تاريخ الخلفاء الراشدين (٢)

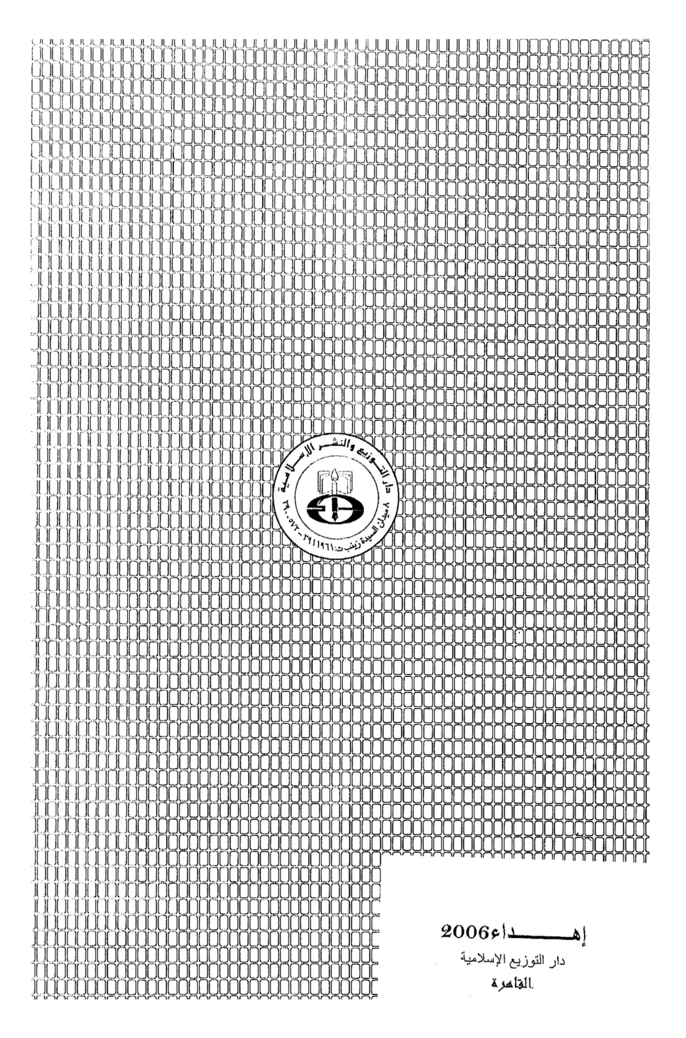
فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين

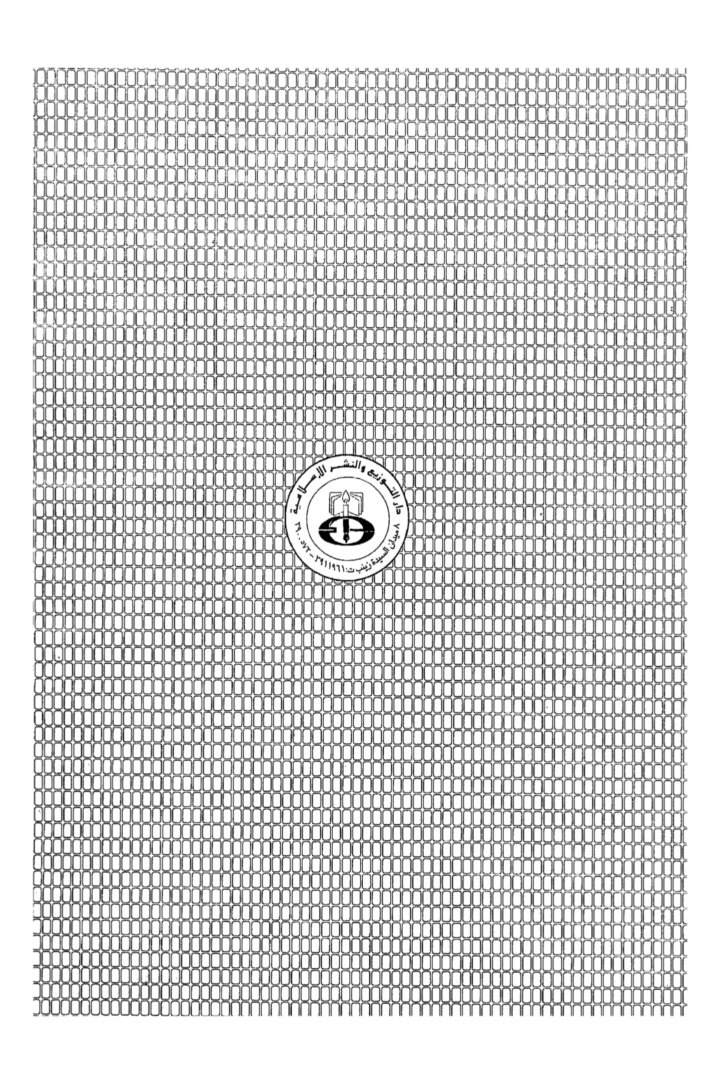


شخصيته وعصره

تأليف

الدكتور علي محمد محمد الصلابي


دار التوزيع والنشر الإسلامية
إهـــــداء 2006
دار التوزيع الإسلامية
القاهرة


دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢

تاريخ الخلفاء الراشدين (٢)

فصل الخطاب فى سيرة

أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

شخصيته وعصره

د. على محمد محمد الصَّلاَّبى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: ١٤٦٤٦ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي:

977 - 265 - 395 - 8



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله ونصرته أهدى هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

المؤلف في سطور

على محمد محمد الصّلابى

* ولد فى مدينة بنغازى بليبيا عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م
* حصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقدير ممتاز وكان الأول على دفعته عام ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.
* نال درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن عام ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.
* نال درجة الدكتوراه فى الدراسات الإسلامية
* **صدرت له عدة كتب :**

١ – من عقيدة المسلمين فى صفات رب العالمين (دار البيارق)

٢– الوسطية فى القرآن الكريم (دار البيارق – دار النفائس) .

سلسلة (صفحات من التاريخ الإسلامى فى الشمال الإفريقى) .

٣ – صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامى والشمال الأفريقى (دار البيارق)

٤ – عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج (دار البيارق) .

٥ – الدولة العبيدية (الفاطمية) الرافضية (دار البيارق)

٦ – فقه التمكين عند دولة المرابطين (دار البيارق) .

٧ – دولة الموحدين (دار البيارق) .

٨ – الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (دار التوزيع والنشر الإسلامية) .

٩ – الحركة السنوسية فى ليبيا (دار البيارق) .

(أ) الإمام محمد بن على السنوسى ومنهجه في التأسيس

(ب) محمد المهدى السنوى، وأحمد الشريف .

(ج) ادريس السنوسى، وعمر المختار .

١٠ – فقه التمكين فى القرآن الكريم (دار الوفاء، دار البيارق) .

١١– السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دار التوزيع والنشر الإسلامية) .

تاريخ الخلفاء الراشدين ١– أبو بكر الصديق شخصيته وعصره.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد...

فهذا الكتاب (**أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره**)

يرجع الفضل فى كتابته إلى المولى عز وجل، ثم إلى مجموعة خيرة من العلماء، والشيوخ، والدعاة، الذين شجعونى على المضى فى دراسة عصر الخلفاء الراشدين، حتى إن أحدهم قال لي: لقد أصبحت هناك فجوة بين أبناء المسلمين وذلك العصر، وحدث خلط فى ترتيب الأوليات، حيث صار الكثير من أبناء المسلمين يلمون بسيرة الدعاة والعلماء والمصلحين، أكثر من إلمامهم بسيرة الخلفاء الراشدين، وأن ذلك العصر غنى بالجوانب السياسية، والتربوية، والإعلامية، والأخلاقية، والاقتصادية، والفكرية، والجهادية، والفقهية، التى نحن فى أشد الحاجة إليها، ونحتاج أن نتتبع مؤسسات الدولة الإسلامية، وكيف تطورت مع مسيرة الزمن، كالمؤسسة القضائية، والمالية، ونظام الخلافة، والمؤسسة العسكرية، وتعيين الولاة، وما حدث من اجتهادات فى ذلك العصر عندما احتكت الأمة الإسلامية بالحضارة الفارسية، والرومانية، وطبيعة حركة الفتوحات الإسلامية.

كانت بداية هذا الكتاب فكرة أراد الله لها أن تصبح حقيقة، فأخذ الله بيدى وسهل لى الأمور وذلل الصعاب، وأعاننى على الوصول للمراجع والمصادر، والفضل لله تعالى الذى أعاننى على ذلك.

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين ملىء بالدروس والعبر، وهى متناثرة فى بطون الكتب والمصادر والمراجع، سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية أو كتب التراجم والجرح والتعديل، فقمت بدراستها حسب وسعى وطاقتى، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة، يصعب الوقوف على حقيقتها فى الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة، فقمت بجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، وقد طبع الكتاب الأول عن الصديق رضى الله عنه وقد سميته (أبو بكر الصديق شخصيته وعصره).

وبفضل الله انتشر هذا الكتاب فى المكاتب العربية والمعارض الدولية، ووصل إلى كثير من القراء والدعاة والعلماء وطلاب العلم، وعوام المسلمين، فشجعونى على الاستمرار فى دراسة عصر الخلفاء الراشدين ومحاولة تبسيطه وتقديمه للأمة فى أسلوب يلائم العصر.

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين ملئ بالدروس والعبر، فإذا أحسنا عرضه وابتعدنا عن الروايات الضعيفة والموضوعة وعن كتب المستشرقين وأذنابهم من العلمانيين والروافض وغيرهم، واعتمدنا منهج أهل السنة فى الدراسة نكون قد أسهمنا فى صياغته بمنظور أهل السنة، وتعرفنا على حياة وعصر من قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال فيهم رسول الله ﷺ: «خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم...»(١).

وقال فيهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه

(١) مسلم (٤/ ١٩٦٣، ١٩٦٤).

فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[١]، فالصحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه فى مشارق الأرض ومغاربها، فعصرهم خير العصور، فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم، ورووا السنن والآثار عن رسول الله ﷺ، فتاريخهم هو الكنز الذى حفظ مدخرات الأمة فى الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم، فتجد الأجيال فى هذا التاريخ المجيد، ما يعينها على مواصلة رحلتها فى الحياة على منهج صحيح، وهدى رشيد، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها فى دنيا الناس، وتستمد من ذلك العصر ما يغذى الأرواح، ويهذب النفوس، وينور العقول، ويشحذ الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العبر، وينضج الأفكار ويجد الدعاة والعلماء والشيوخ وأبناء الأمة ما يعينهم على إعداد الجيل المسلم، وتربيته على منهاج النبوة، ويتعرفوا على معالم الخلافة الراشدة، وصفات قادتها وجيلها، وخصائصها وأسباب زوالها.

فهذا الكتاب الثانى عن عصر الخلفاء الراشدين، يتحدث عن الفاروق عمر بن الخطاب، ويتناول شخصيته وعصره، فهو الخليفة الثانى وأفضل الصحابة الكرام بعد أبى بكر الصديق رضى الله عنهم جميعًا، وقد حثنا رسول الله ﷺ وأمرنا باتباع سنتهم والاهتداء بهديهم، قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى**»[٢] فعمر رضى الله عنه خير الصالحين بعد الأنبياء والمرسلين وأبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقد قال فيهما رسول الله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدى، أبى بكر وعمر**»[٣]. وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة فى فضائل الفاروق رضى الله عنه فقد قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر**»[٤] وقال رسول الله ﷺ: «**أُريتُ كأنى أنزع بدلو بكرة على قليب[٥]، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين فنزع نزعًا ضعيفًا والله تبارك وتعالى يغفر له[٦]، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستقى، فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن**»[٧] وقد قال عمرو بن العاص رضى الله عنه: قلت: يا رسول الله أى

(١) شرح السنة للبغوى (١/ ٢١٤، ٢١٥).

(٢) سنن أبى داود (٤/ ٢٠١)، الترمذى (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٣) صحيح سنن الترمذى للألبانى (٣/ ٢٠٠).

(٤) البخارى رقم (٣٦٨٩)، مسلم (٢٣٩٨).

(٥) القليب البئر غير المطوية.

(٦) والله يغفر له: هذه عبارة ليس فيها تنقيص لأبى بكر وإنها كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم.

(٧) مسلم رقم (٢٣٩٣).

الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: يا رسول الله من الرجال؟ قال: أبوها قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب ثم عد رجالاً(١).

إن حياة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامى الذى بهر كل تاريخ وفاقه، والذى لم تحوِ تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من الشرف، والمجد، والإخلاص، والجهاد، والدعوة فى سبيل الله. ولذلك قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره فى المصادر والمراجع، واستخرجتها من بطون الكتب، وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها، لكى تصبح فى متناول الدعاة، والخطباء، والعلماء، والساسة، ورجال الفكر، وقادة الجيوش، وحكام الأمة، وطلاب العلم، وعامة الناس، لعلهم يستفيدون منها فى حياتهم، ويقتدون بها فى أعمالهم، فيكرمهم الله بالفوز فى الدارين.

لقد تتبعت حياة الفاروق منذ ولادته حتى استشهاده، فتحدثت عن نسبه وأسرته وحياته فى الجاهلية، وعن إسلامه، وهجرته، وعن أثر القرآن الكريم، وملازمته للنبى ﷺ فى تربيته، وصياغة شخصيته الإسلامية العظيمة، وتكلمت عن مواقفه فى الغزوات، وفى المجتمع المدنى فى حياة الرسول ﷺ والصديق رضى الله عنه، وبينت قصة استخلافه، ووضحت قواعد نظام حكمه، كالشورى، وإقامة العدل، والمساواة بين الناس، واحترامه للحريات، وأشرت إلى أهم صفات الفاروق، وحياته مع أسرته، واحترامه لأهل البيت، وإلى حياته فى المجتمع بعدما أصبح خليفة المسلمين، كاهتمامه ورعايته لنساء المجتمع، وحفظه لسوابق الخير لرعيته، وحرصه على قضاء حوائج الناس، وتربيته لبعض زعماء المجتمع، وإنكاره لبعض التصرفات المنحرفة، واهتمامه بصحة الرعية ونظام الحسبة، وبالأسواق والتجارة، وحرصه على تحقيق مقاصد الشريعة فى المجتمع، كحماية جانب التوحيد، ومحاربة الزيغ والبدع، واهتمامه بأمر العبادات، وحماية أعراض المجاهدين.

وتحدثت عن اهتمام الفاروق بالعلم، وعن تتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم فى المدينة، وجعله المدينةَ داراً للفتوى والفقه، ومدرسة تخرج فيها العلماء، والدعاة، والولاة، والقضاة، وبينت الأثر العمرى فى مدارس الأمصار، كالمدرسة المكية، والمدنية، والبصرية، والكوفية، والشامية، والمصرية، فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار، وأرشد القادة والأمراء مع توسع حركة الفتوحات إلى

(١) الإحسان فى صحيح ابن حبان (١٥/٣٠٩).

إقامة المساجد فى الأقاليم المفتوحة، لتكون مراكز للدعوة والتعليم والتربية، ونشر الحضارة الإسلامية، فقد كانت المساجد هى المؤسسات العلمية الأولى فى الإسلام، ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الشعوب الجديدة التى دخلت فى الإسلام طواعية بدون ضغط أو إكراه. وقد وصلت المساجد التى تقام فيها الجمعة فى دولة عمر رضى الله عنه إلى اثنى عشر ألف مسجد، وقد كانت المؤسسات العلمية خلف مؤسسة الجيش، التى قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب، وقد قاد هذه المؤسسات كوادر علمية، وفقهية، ودعوية متميزة، تربت على يدى رسول الله ﷺ فى المدينة. وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها فى محلها، فأسست تلك الطاقات الكوادر للحركة العلمية والفقهية التى كانت مواكبة لحركة الفتح. وتكلمت عن اهتمام الفاروق بالشعر والشعراء، فقد كان عمر رضى الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه، كما كان أكثرهم تمثلاً به حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيتًا من الشعر، وقد برع الفاروق فى النقد الأدبى، وكانت له مقاييس يحتكم إليها فى تفضيله، أو إيثاره نصًا على نص، أو تقديمه شاعراً على غيره، ومن هذه المقاييس سلامة العربية، وأنس الألفاظ، والبعد عن المعاضلة، والتعقيد والوضوح والإبانة، وأن تكون الألفاظ بقدر المعانى وجمال اللفظة فى موقعها وحسن التقسيم. وكان رضى الله عنه يمنع الشعراء من قول الهجاء، أو ما يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، واستخدم أساليب متعددة فى تأديبهم، منها أنه اشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع ... شتمًا يضر ولا مديحًا ينفع

ومنعتنى عرض البخيل فلم يخف ... شتمى فأصبح آمنًا لا يفزع

وتحدثت عن التطور العمرانى وإدارة الأزمات فى عهد عمر، فبينت اهتمام الفاروق بالطرق ووسائل النقل البرى والبحرى، وإنشاء الثغور والأمصار كقواعد عسكرية ومراكز إشعاع حضارى، وتكلمت عن نشأة المدن الكبرى فى عهد عمر، كالبصرة، والكوفة والفسطاط، وسرت، وعن الاعتبارات العسكرية والاقتصادية التى وضعها الفاروق عند إنشاء المدن، وعن الأساليب التى اتخذها عمر فى مواجهة عام الرمادة، وكيف جعل من نفسه للناس قدوة؟ وعن معسكرات اللاجئين فى تلك السنة، وعن الاستعانة بأهل الأمصار، والاستعانة بالله وصلاة الاستسقاء، وعن بعض الاجتهادات الفقهية فى عام

الرمادة، كوقف إقامة حد السرقة، وتأخير دفع الزكاة فى ذلك العام.

وأشرت إلى عام الطاعون، وموقف الفاروق من هذا الوباء الذى كان سببًا فى وفاة كبار قادة الجيش الإسلامى بالشام، وقد مات أكثر من عشرين ألفًا من المسلمين بسبب الطاعون، واختلت الموازين وضاعت المواريث، فذهب الفاروق إلى الشام، وقسم الأرزاق، وسمى الشواتى والصوائف، وسد ثغور الشام ومسالحها وولى الولاة، ورتب أمور الجند والقادة والناس، وورّث الأحياء من الأموات.

ووضحت دور الفاروق فى تطوير المؤسسة المالية والقضائية؛ فتحدثت عن المؤسسة المالية، وعن مصادر دخل الدولة فى عهد عمر رضى الله عنه، كالزكاة والجزية، والخراج، والعشور، والفئ والغنائم، وعن بيت مال المسلمين وتدوين الدواوين، وعن مصارف الدولة فى عهد عمر، وعن اجتهاد الفاروق فى مسألة أرض الخراج، وعن إصدار النقود الإسلامية، وبينت دور الفاروق فى تطوير المؤسسة القضائية، وتكلمت عن أهم رسائل عمر إلى القضاة، وعن تعيين القضاة، ومرتباتهم وصفاتهم وما يجب عليهم، وعن مصادر الأحكام القضائية، والأدلة التى يعتمد عليها القاضى، وعن اجتهادات الفاروق القضائية كحكم تزوير الخاتم الرسمى للدولة، ورجل سرق من بيت المال بالكوفة، ومن جهل تحريم الزنا، وغيرها من الأحكام القضائية والفقهية، وعن فقه عمر فى التعامل مع الولاة، فبينت أقاليم الدولة فى عهد عمر، وأسماء من تولى إمارة الأقاليم فى عصره، وعن أهم قواعد عمر فى تعيين الولاة وشروطه عليهم، وعن صفات ولاة عمر، وعن حقوق الولاة وواجباتهم، وعن متابعة الفاروق للولاة ومحاسبتهم، وعن تعامل الفاروق مع شكاوى الرعية فى الولاة، وعن أنواع العقوبات التى أنزلها الفاروق بالولاة، وعن قصة عزل خالد بن الوليد رضى الله عنه، وعن عزله فى المرتين الأولى والثانية، ومجمل أسباب عزله، وعن موقف المجتمع الإسلامى من قرار العزل، وعن موقف خالد بن الوليد من ذلك القرار، وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت.

ووصفت فتوح العراق وإيران والشام ومصر وليبيا فى عهد الفاروق، ووقفت عند الدروس والعبر والفوائد والسنن فى تلك الفتوح، وسلطت الأضواء على الرسائل التى كانت بين الفاروق وقادة جيوشه، واستخرجت منها مادة علمية تربوية فى توجيه الشعوب وبناء الدول، وتربية المجتمعات وترشيد القادة، وفنون القتال، واستنبطت من رسائل عمر إلى القادة حقوق الله كمصابرة العدو، وأن يقصدوا بقتالهم نصرة دين الله،

وأداء الأمانة وعدم المحاباة فى نصر دين الله، وحقوق القادة، كالتزام طاعتهم، وامتثال أوامرهم، وحقوق الجند، كاستعراضهم وتفقد أحوالهم، والرفق بهم فى السير، وتحريضهم على القتال . . . إلخ.

وتكلمت عن علاقة عمر مع الملوك، وعن نتائج الفتوحات العمرية، وعن الأيام الأخيرة فى حياة الفاروق، وعن فهمه لفقه القدوم على الله، الذى كان مهيمنًا على نفسه، ومتغلغلاً فى قلبه منذ إسلامه حتى استشهاده. لقد حاولت فى هذا الكتاب أن أُبين كيف فهم الفاروق الإسلام وعاش به فى دنيا الناس، وكيف أثر فى مجريات الأمور فى عصره، وتحدثت عن جوانب شخصيته المتعددة السياسية، والعسكرية، والإدارية، والقضائية، وعن حياته فى المجتمع لَمَّا كان أحد رعاياه، وبعد أن تولى الخلافة بعد الصديق، وركَّزت على دوره فى تطوير المؤسسات المالية، والقضائية، والإدارية، والعسكرية.

إن هذا الكتاب يبرهن على عظمة الفاروق، ويثبت للقارئ بأنه كان عظيمًا بإيمانه، عظيمًا بعلمه، عظيمًا بفكره، عظيمًا ببيانه، عظيمًا بخلقه، عظيمًا بآثاره. فقد جمع الفاروق العظمة من أطرافها وكانت عظمته مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدى الرسول الكريم ﷺ.

إن الفاروق من الأئمة الذى يرسمون للناس خط سيرهم، ويتأسى بهم الناس بأقوالهم وأفعالهم فى هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فما أحوج الأمة الإسلامية إلى الرجال الأكفاء الذين يقتدون بالصحابة الكرام، ويجسّدون المعانى السامية، فيحيونها بتضحيات يراها الناس ويحسُّون بها، فإن تاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام يظل مذكرًا للأمة عبر الأجيال، ويكون الاحتفاء به بالتأسىِّ بأولئك العظماء، وتطبيق تلك المواقف الكريمة من عظماء الرجال، الذين يشاركون أفراد الأمة فى ظروف الحياة المعاصرة، حتى لا يظن ظان أن هذه المواقف والدروس والعبر، إنما كانت فى عصور ملائمة لوجودها، وأن تكرارها يتطلب ظروفًا حياتية مشابهة. والحقيقة تقول إنه كلما قوىَ المحرك الإيمانى، واتضح فقه القدوم على الله، وحرص المسلمون على العمل به، فإن الله يتكفل بنصر أوليائه وتسخير ظروف الحياة لصالحهم.

هذا وقد اجتهدت في دراسة شخصية الفاروق وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدَّعٍ عصمة، ولا متبرئ من زلة. ووجه الله العظيم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء، سميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأربعاء الساعة السابعة وخمس دقائق صباحًا بتاريخ ١٣ من رمضان ١٤٢٢ هـ - الموافق ٢٨ من نوفمبر ٢٠٠١م والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده - قال تعالى: ﴿ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بين يدي الله عز وجل، معترفًا بفضله وكرمه وجوده، فهو المتفضل وهو المكرم وهو المعين وهو الموفِّق، فله الحمد على ما منّ به عليّ أولاً وآخراً، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذي أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع. ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاَّبي

١٣ من رمضان - ١٤٢٢ هـ

الفصل الأول

عمر رضى الله عنه بمكة

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته وحياته فى الجاهلية

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عدى بن كعب بن لؤى[١]، بن غالب القرشى العدوى[٢]، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى كعب بن لؤى بن غالب[٣]، ويكنى أبا حفص[٤]، ولقب بالفاروق[٥]، لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرّق الله به بين الكفر والإيمان[٦].

ثانيًا: مولده وصفته الخَلْقية:

ولد عمر رضى الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة[٧]، وأما صفته الخَلْقية، فكان رضى الله عنه، أبيض أمهق تعلوه حمرة، حسن الخدين والأنف والعينين، غليظ القدمين والكفين، مجدول اللحم، وكان طويلاً جسيمًا أصلع، قد فرع الناس، كأنه راكب على دابة، وكان قويًا شديدًا، لا واهنًا ولا ضعيفًا[٨]، وكان يخضب بالحناء، وكان طويل السَّبلة[٩]، وكان إذا مشى أسرع وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع[١٠].

ثالثًا: أسرته:

أما والده، فهو الخطاب بن نفيل، فقد كان جد عمر نفيل بن عبد العزى ممن تتحاكم

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٦٥)، محض الصواب لابن عبد الهادى (١/ ١٣١).

(٢، ٣) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ١٣١).

(٤، ٥، ٦) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص (١٥).

(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص (١٣٣).

(٨) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى ص (١٥).

(٩) السبلة: طرف الشارب وكان إذا غضب أو حزنه أمر يمسك بها ويفتلها.

(١٠) تهذيب الأسماء (٢/ ١٤) للنووى، أوليات الفاروق للقرشى ص (٢٤).

إليه قريش(١)، وأما والدته فهى حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، وقيل بنت هاشم أخت أبى جهل(٢)، والذى عليه أكثر المؤرخين هو أنها بنت هاشم ابنة عم أبى جهل بن هشام(٣)، وأما زوجاته وأبناؤه وبناته؛ فقد تزوج فى الجاهلية زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون، فولدت له عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة، وتزوج مليكة بنت جرول، فولدت له عبيد الله، فطلقها فى الهدنة، فخلف عليها أبو الجهم بن حذيفة، وتزوج قُرَيْبة بنت أبى أمية المخزومى، ففارقها فى الهدنة، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبى بكر، وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها عكرمة بن أبى جهل حين قتل فى الشام(٤)، فولدت له فاطمة، ثم طلقها وقيل لم يطلقها(٥)، وتزوج جميلة بنت(٦) عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح من الأوس، وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل، وكانت قبله عند عبد الله بن أبى بكر(٧)، ولما قتل عمر تزوجها بعده الزبير بن العوام رضى الله عنه، ويقال هى أم ابنه عياض، فالله أعلم.

وكان قد خطب أم كلثوم ابنة أبى بكر الصديق، وهى صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أمُّ كلثوم: لا حاجة لىَ فيه، فقالت عائشة: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم، إنه خشن العيش، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص، فصدّه عنها ودلّه على أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقال: تعلق منها بسبب من رسول الله ﷺ، فخطبها من على فزوجه إياها فأصدقها عمر رضى الله عنه أربعين ألفًا، فولدت له زيداً ورقية(٨)، وتزوج لُهْيَة امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأصغر، وقيل الأوسط. وقال الواقدى: هى أم ولد وليست بزوجة(٩)، قالوا: وكانت عنده فكيهة أم ولد، فولدت له زينب قال الواقدى: وهى أصغر ولده(١٠)، فجملة أولاده رضى الله عنه ثلاثة عشر ولداً، وهم زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وعاصم، وعبد الله، وعبدالرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأوسط، وعبد الرحمن الأصغر، وعبيد الله،

(١) نسب قريش للزبيرى ص (٣٤٧).
(٢، ٣) أوليات الفاروق السياسية ص (٢٢).
(٤، ٥) البداية والنهاية (٧/١٤٤).
(٦، ٧) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية خلافة عمر للسُّلمى ص (٧).
(٨) الكامل فى التاريخ (٢/٢١٢).
(٩) تاريخ الأمم والملوك للطبرى (٥/١٩١).
(١٠) نفس المصدر (٥/١٩٢).

وعياض، وحفصة، ورقية، وزينب، وفاطمة رضى الله عنهم، ومجموع نسائه اللاتى تزوجهن فى الجاهلية والإسلام ممن طلقهن أو مات عنهن سبع[(١)]، وكان رضى الله عنه يتزوج من أجل الإنجاب، والإكثار من الذرية، فقد قال رضى الله عنه: ما آتى النساء للشهوة، ولولا الولد، ما باليت ألا أرى امرأة بعينى[(٢)]، وقال رضى الله عنه: إنى لأكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره[(٣)].

رابعًا: حياته فى الجاهلية:

أمضى عمر فى الجاهلية شطرًا من حياته، ونشأ كأمثاله من أبناء قريش، وامتاز عليهم بأنه كان ممن تعلموا القراءة وهؤلاء كانوا قليلين جدًا[(٤)]، وقد حمل المسئولية صغيرًا، ونشأ نشأة غليظة شديدة، لم يعرف فيها ألوان الترف، ولا مظاهر الثروة، ودفعه أبوه الخطاب فى غلظة وقسوة إلى المراعى يرعى إبله، وتركت هذه المعاملة القاسية من أبيه أثرًا سيئًا فى نفس عمر رضى الله عنه، فظل يذكرها طيلة حياته؛ فهذا عبد الرحمن بن حاطب يحدثنا عن ذلك فيقول: كنت مع عمر بن الخطاب بضجنان[(٥)]، فقال: كنت أرعى للخطاب بهذا المكان، فكان فظًا غليظًا، فكنت أرعى أحيانًا وأحتطب أحيانًا..[(٦)] ولأن هذه الفترة كانت قاسية فى حياة عمر، فإنه كان يكثر من ذكرها فيحدثنا سعيد بن المسيب رحمه الله قائلا: حج عمر، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العلى العظيم، المعطى ما شاء، لمن شاء، كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى، فى مدرعة صوف، وكان فظًا، يتعبنى إذا عملت، ويضربنى إذا قصرت، وقد أمسيت ليس بينى وبين الله أحد، ثم تمثل:

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويُردى المال والولد
لم تُغن عن هرمز يومًا خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

(١) البداية والنهاية (٧/١٤٤).

(٢) الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذرى تحقيق الدكتور إحسان صدقى ص (٢٢٧).

(٣) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور ص (١١٢).

(٤) الإدارة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب، فاروق مجدلاوى ص (٩٠).

(٥) ضجنان جبل على مسيرة بريد من مكة وقيل على مسافة ٢٥كم.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٥٢/٢٦٨)، طبقات ابن سعد (٣/٢٦٦) وقال الدكتور عاطف لماضة صحيح الإسناد.

ولا سليمـــان إذ تجـرى الرياح له | والإنس والجن فـيـمـا بينهـا بردُ
أين الملوك التى كـانت نواهلهـا | من كل أوب إليـهـا راكب يفـد
حـوضًـا هنالك، مـورود بلا كـذب | لابد من ورده يومًـا كـمـا وردوا[1]

ولم يكن ابن الخطاب رضى الله عنه يرعى لأبيه وحده، بل كان يرعى لخالات له من بنى مخزوم وذكر لنا ذلك عمر رضى الله عنه نفسه حين حدثته نفسه يومًا وهو أمير المؤمنين، أنه أصبح أميرًا للمؤمنين فمن ذا أفضل منه ... ولكى يُعرِّف نفسه قدرها - كما ظن - وقف يومًا بين المسلمين يعلن أنه لم يكن إلا راعى غنم، يرعى لخالات له من بنى مخزوم. يقول محمد بن عمر المخزومى عن أبيه: نادى عمر بن الخطاب بالصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس، وكبروا، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال: أيها الناس .. لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم، فيقبضن لى قبضة من التمر أو الزبيب، فاظل يومى وأى يوم!!

ثم نزل، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن قمّات نفسك - عبْتَ - فقال: ويحك يا ابن عوف!! إنى خلوت فحدثتنى نفسى، قالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟!

فأردت أن أعرفها نفسها. وفى رواية: إنى وجدت فى نفسى شيئًا، فأردت أن أطاطئ منها[2].

ولا شك أن هذه الحرفة - الرعى - التى لازمت عمر بن الخطاب فى مكة قبل أن يدخل الإسلام قد أكسبته صفات جميلة كقوة التحمل، والجلد وشدة البأس، ولم يكن رعى الغنم هو شغل ابن الخطاب فى جاهليته[3]، بل حذق من أول شبابه ألوانًا من رياضة البدن، فحذق المصارعة، وركوب الخيل والفروسية، وتذوق الشعر ورواه[4]

(١) الفاروق مع النبى د. عاطف لماضه ص (٥) نقله عن ابن عساكر (٥٢/٢٦٩).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٩٣) وله شواهد تقويه.

(٣) الفاروق مع النبى ص (٦).

(٤) التاريخ الإسلامى العام، على حسن إبراهيم ص (٢٢٦)، الإدارة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ص(٩٠).

وكان يهتم بتاريخ قومه وشئونهم، وحرص على الحضور فى أسواق العرب الكبرى، مثل (عكاظ) و(مجنة) و(ذى المجاز) واستفاد منها فى التجارة ومعرفة تاريخ العرب، وما حدث بين القبائل من وقائع ومفاخرات ومنافرات، حيث تعرض تلك الأحداث فى إطار آثار أدبية، يتناولها كبار الأدباء بالنقد على مرأى ومسمع من ملء القبائل وأعيانها مما جعل التاريخ العربى عرضًا دائم الحركة لا ينسدل عليه ستار النسيان، وربما تطاير شرر الحوادث فكانت الحرب وكانت عكاظ - بالذات - سببًا مباشرًا فى حروب أربع سميت حروب الفجار[١].

واشتغل عمر رضى الله عنه بالتجارة وربح منها ما جعله من أغنياء مكة، وكسب معارف متعددة من البلاد التى زارها للتجارة، فرحل إلى الشام صيفًا وإلى اليمن شتاءً[٢]، واحتل مكانةً بارزة فى المجتمع المكى الجاهلى، وأسهم بشكل فعَّال فى أحداثه، وساعده تاريخ أجداده المجيد، فقد كان جده نفيل بن عبد العزى تحتكم إليه قريش فى خصوماتها[٣]، فضلاً عن أن جده الأعلى كعب بن لؤى كان عظيم القدر والشأن عند العرب، فقد أرّخوا بسنة وفاته إلى عام الفيل[٤]، وتوارث عمر عن أجداده هذه المكانة المهمة التى أكسبته خبرة ودراية ومعرفة بأحوال العرب وحياتهم، فضلاً عن فطنته وذكائه، فلجأوا إليه فى فض خصوماتهم، يقول ابن سعد: «إن عمر كان يقضى بين العرب فى خصوماتهم قبل الإسلام»[٥].

وكان رضى الله عنه، رجلاً حكيمًا، بليغًا، حصيفًا، قويًا، حليمًا، شريفًا، قوى الحجة واضح البيان، مما أهله لأن يكون سفيرًا لقريش، ومفاخرًا ومنافرًا لها مع القبائل[٦]، قال ابن الجوزى: كانت السفارة إلى عمر بن الخطاب، إن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيرًا، أو نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافرًا ومفاخرًا، ورضوا به رضى الله عنه[٧].

---

(١) عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه، د. على احمد الخطيب ص (١٥٣).

(٢) عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر ص (١٧).

(٣) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، د. العانى ص (١٦).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١/٧) نقلاً عن د. العانى ص (١٦).

(٥، ٦) الخليفة الفاروق د. العانى ص (١٦).

(٧) مناقب عمر ص (١١).

وكان يدافع عن كل ما ألفته قريش من عادات، وعبادات، ونظم، وكانت له طبيعة مخلصة، تجعله يتفانى فى الدفاع عما يؤمن به، وبهذه الطبيعة التى جعلته يشتد فى الدفاع عما يؤمن به، قاوم عمر الإسلام فى أول الدعوة، وخشى عمر أن يهز هذا الدين الجديد النظام المكى الذى استقر، والذى يجعل لمكة بين العرب مكانًا خاصًا، ففيها البيت الذى يُحَجُّ إليه، والذى جعل قريشًا ذات مكانة خاصة عند العرب، والذى صار لمكة ثروتها الروحية، وثروتها المادية، فهو سبب ازدهارها، وغنى سراتها، ولهذا قاوم سراة مكة هذا الدين، وبطشوا بالمستضعفين من معتنقيه، وكان عمر من أشد أهل مكة بطشًا بهؤلاء المستضعفين(١).

ولقد ظل يضرب جارية أسلمت، حتى عيت يداه، ووقع السوط من يده، فتوقف إعياء، ومر أبو بكر فرآه يعذب الجارية، فاشتراها منه وأعتقها(٢).

لقد عاش عمر فى الجاهلية وسبر أغوارها، وعرف حقيقتها، وتقاليدها، وأعرافها، ودافع عنها بكل ما يملك من قوة، ولذلك لما دخل فى الإسلام عرف جماله وحقيقته وتيقن الفرق الهائل بين الهدى والضلال، والكفر والإيمان، والحق والباطل، ولذلك قال قولته المشهورة: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية(٣).

****

(١، ٢) الفاروق عمر، عبد الرحمن الشرقاوى ص (٨).

(٣) الفتاوى (١٥/٣٦)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١٤٤).

المبحث الثانى

إسلامه وهجرته

أولاً: إسلامه:

كان أول شعاعة من نور الإيمان لامست قلبه، يوم رأى نساء قريش يتركن بلدهن ويرحلن إلى بلد بعيد عن بلدهن، بسبب ما لقين منه ومن أمثاله، فرق قلبه، وعاتبه ضميره، فرثى لهن، وأسمعهن الكلمة الطيبة التى لم يكن يطمعن أن يسمعن منه مثلها[١].

قالت أم عبد الله بنت حنتمة: لما كنا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة، أقبل عمر حتى وقف عليَّ، وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا، فقال لى: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت: نعم، والله لنخرجن فى أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجا. فقال عمر: صحبكم الله. ورأيت منه رقة لم أرها قط. فلما جاء عامر بن ربيعة وكان قد ذهب فى بعض حاجته وذكرت له ذلك فقال: كأنك قد طمعت فى إسلام عمر؟ قلت له: نعم فقال: إنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب[٢]؛

لقد تأثر عمر من هذا الموقف وشعر أن صدره قد أصبح ضيقًا حرجًا؛ فأى بلاء يعانيه أتباع هذا الدين الجديد، وهم على الرغم من ذلك صامدون! ما سر تلك القوة الخارقة؟ وشعر بالحزن وعصر قلبه الألم[٣]، وبعد هذه الحادثة بقليل أسلم عمر رضى الله عنه وبسبب دعوة رسول الله ﷺ، فقد كانت السبب الأساسى فى إسلامه فقد دعا له بقوله: **اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبى جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب،** قال: وكان أحبهما إليه عمر[٤]، وقد ساق الله الأسباب لإسلام عمر رضى الله عنه، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشىء قط يقول: إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن، بينما عمر جالس إذ مرّ به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأ ظنى،

---

(١) أخبار عمر، الطنطاويان ص (١٢).

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢١٦)، فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٣٤١) إسناد حسن.

(٣) الفاروق عمر ص (٩)..

(٤) الترمذى (٣٦٨٢) المناقب وصححه الألبانى صحيح الترمذى (٢٩٠٧).

أو إن هذا على دينه فى الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم. علىّ بالرجل، فدُعى له، فقال له ذلك. فقال: ما رأيت كاليوم استُقبل به رجلٌ مسلم. قال: فإنى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى.

قال: كنت كاهنهم فى الجاهلية.

قال: فما أعجب ما جاءتك به جنِّيَّتُك؟ قال: بينما أنا يومًا فى السوق جاءتنى أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها[1]، ويأسها من بعد إنكاسها[2]، ولحوقها بالقلاص، وأحلاسها[3].

قال عمر: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخًا قط أشدَّ صوتًا منه يقول: يا جليح[4]، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله. فقمت، فما نشبنا[5] أن قيل: هذا نبى.[6] وقد ورد فى سبب إسلام الفاروق رضى الله عنه الكثير من الروايات، ولكن بالنظر إلى أسانيدها من الناحية الحديثية فأكثرها لا يصح[7]، ومن خلال الروايات التى ذكرت فى كتب السيرة والتاريخ يمكن تقسيم إسلامه والصدع به إلى عناوين منها.

١- عزمه على قتل رسول الله:

- كانت قريش قد اجتمعت فتشاورت فى أمر النبى ﷺ فقالوا: أى رجل يقتل محمداً؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا لها، فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج فى الهاجرة، فى يوم شديد الحر، متوشحًا سيفه يريد رسول الله ورهطًا من أصحابه، فيهم أبو بكر وعلى وحمزة رضى الله عنهم فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، وقد ذكروا له أنهم اجتمعوا فى دار الأرقم فى أسفل

---

(١) إبلاسها: المراد به اليأس ضد الرجاء.

(٢) الإنكاس: الانقلاب.

(٣) القلاص جمع قُلُص، وهى الفتية من النياق، والأحلاس ما يوضع على ظهور الإبل.

(٤) يا جليح: معناه الوقح المكافح بالعداوة.

(٥) فما نشبنا: أى لم نتعلق بشىء من الأشياء حتى سمعنا أن النبى قد خرج.

(٦) البخارى رقم (٣٨٦٦).

(٧) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص٢٣ وقد ذكر الروايات التى ذكر منها إسلام عمر وخرجها وحكم على أسانيدها.

الصفا. فلقيه نُعَيم بن عبد الله النّحّام. فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فاقتله. قال له نُعَيم: لبئس الممشى مشيت يا عمر، ولقد والله غرّتك نفسك من نفسك، ففرّطت وأردت هلكة بنى عدىّ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً؟ فتحاورا حتى علت أصواتهما، فقال عمر: إنى لأظنك قد صبوت ولو أعلم ذلك لبدأت بك، فلما رأى النَّحَّام أنه غير مُنْتَه قال: فإنى أخبرك أن أهليك وأهل ختَنك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك، فلما سمع مقالته قال: وأيهم؟ قال: خَتَنك وابن عمك وأختك(1).

٢- مداهمة عمر بيت أخته وثبات فاطمة بنت الخطاب أمام أخيها:

لما سمع عمر أن أخته وزوجها قد أسلما، احتمله الغضب وذهب إليهما، فلما قرع الباب قالا: من هذا؟ قال: ابن الخطاب. وكانا يقرآن كتابًا فى أيديهما، فلما سمعا حس عمر قاما مبادرين فاختبآ ونسيا الصحيفة على حالها، فلما دخل ورأته أخته عرفت الشر فى وجهه، فخبأت الصحيفة تحت فخذها قال: ما هذا الْهَيْنَمَة والصوت الخفى الذى سمعته عندكم؟ «وكانا يقرآن طه» فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق فى غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه سعيد وبطش بلحيته فتواثبا، وكان قويًا شديداً، فضرب بسعيد الأرض ووطئه وطأ ثم جلس على صدره، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها، فقالت وهى غضبى: يا عدو الله، أتضربنى على أن أوحّد الله؟ قال: نعم. قالت: ما كنت فاعلاً فافعل، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لقد أسلمنا على رغم أنفك، فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها، فقعد، ثم قال: أعطونى هذه الصحيفة التى عندكما فاقرأها، فقالت أخته: لا أفعل. قال: ويحك قد وقع فى قلبى ما قلت، فأعطنيها أنظر إليها، وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحرزيها حيث شئت. قالت: إنك رجس فـ﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُون﴾فقم فاغتسل أو توضأ فخرج عمر ليغتسل ورجع إلى أخته فدفعت إليه الصحيفة وكان فيها طه وسور أخرى فرأى فيها:

---

(1) سيرة ابن هشام (1/343) فيه انقطاع الطبقات لابن سعد (3/267) عن القاسم بن عثمان البصرى عن أنس والقاسم ضعيف وقد حقق الروايات الدكتور وصى الله محمد عبّاس فى تحقيقه لكتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (1/342).

بسم الله الرحمن الرحيم

فلما مرّ بالرحمن الرحيم ذعر، فألقى الصحيفة من يده، ثم رجع إلى نفسه فأخذها فإذا فيها: ﴿طه ۝١ ما أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١-٨].

فعظمت في صدره. فقال: من هذا فرّت قريش؟ ثم قرأ. فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٤-١٦].

قال: ينبغي لمن يقول هذا أن لا يُعبد معه غيره، دلوني على محمد[(١)].

٣- ذهابه لرسول الله وإعلان إسلامه:

فلما سمع خبّاب رضي الله عنه ذلك خرج من البيت وكان مختفيًا وقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون قد سبقت فيك دعوة رسول الله ﷺ يوم الإثنين: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب**»[(٢)].

قال: دلوني على مكان رسول الله، فلما عرفوا منه الصدق قالوا: هو في أسفل الصفا. فأخذ عمر سيفه فتوشّحه ثم عمد إلى رسول الله وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته وَجِلوا ولم يجترئ أحد منهم أن يفتح له، لما قد علموا من شدته على رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة رضي الله عنه وجَلَ القوم قال: ما لكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب قال: عمر بن الخطاب؟ افتحوا له، فإن يرد الله به خيراً يُسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينًا، ففتحوا، وأخذ حمزة ورجل آخر بعضديه حتى أدخلاه على رسول الله ﷺ، فقال: أرسلوه[(٣)]، ونهض إليه رسول الله ﷺ وأخذ بحجزته[(٤)]،

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه، عمر بن الخطاب، الطنطاويان ص (١١٧).

(٣) أخبار عمر، الطنطاويان ص (١٨).

(٤) حجز الإنسان: معقد السراويل والإزار، لسان العرب (٥/٣٣٢).

وبجمع ردائه ثم جبذه جَبْذَة شديدة، وقال: **ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ والله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة**، فقال له عمر: يا رسول الله جئتك أؤمن بالله وبرسوله وبما جئت به من عند الله، قال: فكبر رسول الله ﷺ، فعرف أهل البيت من أصحاب رسول الله أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله من مكانهم، وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله، وينتصفون بهما من عدوهم(١).

٤- حرص عمر على الصدع بالدعوة وتحمله الصعاب فى سبيلها:

دخل عمر فى الإسلام بإخلاص متناهٍ، وعمل على تأكيد الإسلام بكل ما أوتى من قوة، وقال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال ﷺ: **بلى، والذى نفسى بيده إنكم على الحق، إن متّم وإن حييتم**. قال: ففيمَ الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق لَتَخرجنّ وكان الرسول ﷺ (على ما يبدو) قد رأى أنه قد آن الأوان للإعلان، وأن الدعوة قد غدت قوية تستطيع أن تدفع عن نفسها، فأذن بالإعلان، وخرج ﷺ فى صفَّيْن، عمر فى أحدهما، وحمزة فى الآخر، ولهم كديد ككديد الطحين(٢)، حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وحمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط وسمّاه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق(٣).

لقد أعز الله الإسلام والمسلمين بإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقد كان رجلاً ذا شكيمة، لا يرام ما وراء ظهره، وامتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة(٤).

وتحدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مشركى قريش، فقاتلهم حتى صلى عند الكعبة(٥)، وصلى معه المسلمون، وحرص عمر رضى الله عنه على أذية أعداء الدعوة بكل ما يملك، ونتركه يحدثنا عن ذلك بنفسه قال رضى الله عنه: كنت لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين، فذهبت إلى خالى أبى جهل - وكان شريفًا فيهم - فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب. فخرج إلىّ فقلت: أعلمت أنى قد صبوت؟

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٣٤٤).

(٢) الكديد: التراب الناعم فإذا وطئ ثار غباره.

(٣) حلية الأولياء (١/٤٠)، صفة الصفوة (١/١٠٣، ١٠٤).

(٤) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ص (٢٦، ٢٧).

(٥) الرياض النضرة (١/٢٥٧) لمحب الطبرى.

قال: فعلت؟ قلت: نعم. قال: لا تفعل. قلت: بلى! قال: لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب (أى رده) دونى وتركنى. قلت: ما هذا بشىء. فذهبت إلى رجل من أشراف قريش فقرعت عليه بابه، فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب فخرج إلىَّ، فقلت: أشعرت أنى صبوت؟ قال: أفعلت؟ قلت: نعم. قال: لا تفعل، ودخل فأجاف الباب دونى، فقلت: ما هذا بشىء، فقال لى رجل: أتحب أن يُعلَم إسلامك؟ قلت: نعم. قال: إذا جلس الناس فى الحجر، جئت إلى ذلك الرجل (جميل بن معمر الجمحى) فجلست إلى جانبه وقلت: أعلمت أنى صبوت؟ فلما جلس الناس فى الحجر فعلت ذلك، فقام فنادى بأعلى صوته: إن ابن الخطاب قد صبأ. وثار إلىَّ الناس يضربوننى وأضربهم[١]. وفى رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: لما أسلم عمر لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أى أهل مكة أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجمحى. فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت وسمعت. فأتاه فقال: يا جميل إنى قد أسلمت، فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام يجر رداءه، وتبعه عمر واتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم فى أنديتهم حول الكعبة - ألا إنَّ عمر بن الخطاب قد صبأ. وعمر يقول من خلفه: كذب ولكننى أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فثاروا إليه، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل إصبعيه فى عينيه، فجعل عُتبة يصيح، فتنحى الناس عنه، فقام عمر يجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى أحجم الناس عنه، واتبع المجالس التى كان يجلسها بالكفر فاظهر فيها الإيمان[٢]، وما زال يقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم وفتر عمر وجلس، فقاموا على رأسه، فقال: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا، أو تركناها لكم. فبينما هم كذلك إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص مُوَشّى، قال: ما بالكم؟ قالوا: ابن الخطاب قد صبأ. قال: فمه؟ امرؤ اختار ديناً لنفسه، أتظنون أن بنى عدىّ يُسلمون إليكم صاحبهم، فكأنما كانوا ثوبا انكشف عنه، فقلت له بالمدينة: يا أبت من الرجل ردّ عنك القوم يومئذ؟ قال: يا بنى، ذاك العاص بن وائل السهمى[٣].

---

(١) شرح المواهب (١ / ٣٢٠)، اخبار عمر الطنطاويان ص (١٩).

(٢) الرياض النظرة ص (٣١٩).

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١ / ٣٤٦) إسناده حسن.

٥- أثر إسلامه على الدعوة:

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونصلى، حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا، فصلينا وطفنا[١]. وقال أيضًا: كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى ونطوف بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلناهم حتى تركونا نصلى[٢]، وقال صهيب بن سنان: لما أسلم عمر بن الخطاب، ظهر الإسلام، ودعى إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه[٣].

ولقد صدق فى عمر رضى الله عنه قول القائل:

أعنى به الفاروق فرق عنوة بالسيف بين الكفر والإيمان

هو أظهر الإسلام بعد خفائه ومحا الظلام وباح بالكتمان[٤]

٦- تاريخ إسلامه وعدد المسلمين يوم أسلم:

أسلم عمر رضى الله عنه فى ذى الحجة من السنة السادسة من النبوة، وهو ابن سبع وعشرين سنة[٥]، وكان إسلامه بعد إسلام حمزة رضى الله عنه بثلاثة أيام[٦]، وكان المسلمون يومئذ تسعة وثلاثين، قال عمر رضى الله عنه: لقد رأيتنى وما أسلم مع رسول الله ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلاً فكملتهم أربعين، فأظهر الله دينه، وأعز الإسلام، (وروى) أنهم كانوا أربعين أو بضعة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، ولكن عمر لم يكن يعرفهم كلهم لأن غالب من أسلم كان يخفى إسلامه خوفًا من المشركين، ولا سيما عمر فقد كان عليهم شديداً، فذكر أنه أكملهم أربعين ولم يذكر النساء لأنه لا إعزاز بهن لضعفهن[٧].

---

(١) فضائل الصحابة (١/ ٣٤٤) إسناده حسن.
(٢) الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذرى ص (١٤١).
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٩)، صفة الصفوة (١/ ٢٧٤).
(٤) نونية القحطانى ص (٢٢).
(٥) تاريخ الخلفاء ص (١٣٧).
(٦، ٧) أخبار عمر، الطنطاويان ص (٢٢).

ثانيًا: هجرته:

لما أراد عمر الهجرة إلى المدينة أبى إلا أن تكون علانية، يقول ابن عباس رضى الله عنهما: قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه: ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا متخفيًا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكّب قوسه، وانتضى فى يده أسهمًا، واختصر عترته[١]، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام، فصلى متمكنًا، ثم وقف على الحلق واحدة، واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس[٢]، من أراد أن تثكله أمه، ويوتم ولده، أو يرمل زوجه فليلقنى وراء هذا الوادى. قال علىٌّ رضى الله عنه: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم، وأرشدهم ومضى لوجهه[٣].

وكان قدوم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى المدينة قبل مقدم النبى ﷺ إليها، وكان معه من لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله ابنا سراقة ابن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمى، زوج ابنته حفصة، وابن عمه سعيد بن زيد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وواقد بن عبد الله التميمى، حليف لهم، وخولى بن أبى خولى، ومالك بن أبى خولى، حليفان لهم من بنى عجل وبنو البكير، وإياس وخالد، وعاقل، وعامر، وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر فى بنى عمرو بن عوف بقباء[٤].

يقول البراء بن عازب رضى الله عنه: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أبى مكتوم، وكانا يُقرئان الناس، فقدم بلال، وسعد، وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين نفراً من أصحاب النبى ﷺ، ثم قدم النبى ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله ﷺ[٥].

وهكذا ظل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خدمة دينه وعقيدته بالأقوال والأفعال، لا يخشى فى الله لومة لائم، وكان رضى الله عنه سنداً ومعيناً لمن أراد الهجرة من مسلمى

---

(١) عترته: العترة عصا فى قدر نصف الرمح وهى أطول من العصا وأقوى من الرمح.

(٢) المعاطس: الأنوف.

(٣) خبر لا بأس به انظر صحيح التوثيق فى سيرة الفاروق ص (٣٠).

(٤) فتح البارى (٧/ ٢٦١) نقلاً عن صحيح التوثيق ص (٣١).

(٥) البخارى رقم (٣٩٢٥).

مكة حتى خرج، ومعه هذا الوفد الكبير من أقاربه وحلفائه، وساعد عمر رضى الله عنه غيره من أصحابه الذين يريدون الهجرة وخشى عليهم من الفتنة والابتلاء فى أنفسهم[١]، ونتركه يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبى ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمى، التناضب[٢]، من أضاءة[٣] بنى غفار، فوق سَرِف[٤]، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه. قال: فاصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند التَّناضب، وحُبس عنا هشام، وفُتن فافتتن[٥]، فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عيّاش بن أبى ربيعة، وكان ابن عمهما وأخوهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلّماه وقالا: إن أمك نذرت أن لا يمسّ رأسها مُشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: أبرُّ قسم أمى، ولى هناك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما. قال: فأبى علىَّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له: أما إذا قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتى هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول[٦]، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا أخى، والله لقد استغلظت بعيرى هذا، أفلا تُعقبنى[٧] على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخ، ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن[٨]. قال: فكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى

---

(١) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص (٣١).

(٢) التناضب: جمع تنضيب وهو شجر.

(٣) الأضاءة: على عشرة أميال من مكة.

(٤) سرف: وادى متوسط الطول من أودية مكة.

(٥) الهجرة النبوية المباركة، عبد الرحمن عبد البر ص (١٢٩).

(٦) الذلول: أذلها العمل، فصارت سهلة الركوب والانقياد.

(٧) تُعقبنى: تجعلنى اعقبك عليها لركوبها.

(٨) السيرة النبوية الصحيحة (١/٢٠٥).

قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدى فى صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال: فقال هشام: فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى[١]، أصَعِّد بها فيه، وأصَوِّبُ، ولا أفهمها حتى قلت: اللهمّ فهِّمنيها، قال: فألقى الله فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه، فلحقت برسول الله وهو بالمدينة[٢].

هذه الحادثة تظهر لنا كيف أعد عمر رضى الله عنه خطة الهجرة له، ولصاحبيه عياش ابن أبى ربيعة وهشام بن العاص بن وائل السهمى، وكان ثلاثتهم كل واحد من قبيلة، وكان مكان اللقاء الذى اتعدوا فيه بعيداً عن مكة وخارج الحرم على طريق المدينة، ولقد تحدد الزمان والمكان بالضبط بحيث إنه إذا تخلف أحدهم فليمض صاحباه ولا ينتظرانه، لأنه قد حبس، وكما توقعوا، فقد حبس هشام بن العاص رضى الله عنه، بينما مضى عمر وعياش بهجرتهما ونجحت الخطة كاملة ووصلا المدينة سالمين[٣] إلا أن قريشاً صممت على متابعة المهاجرين، ولذلك أعدت خطة محكمة قام بتنفيذها أبو جهل، والحارث وهما أخوا عياش من أمه، الأمر الذى جعل عياشاً يطمئن إليهما، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمه، فاختلق أبو جهل هذه الحيلة لعلمه بمدى شفقة ورحمة عياش بأمه، والذى ظهر جلياً عندما أظهر موافقته على العودة معهما، كما تظهر الحادثة الحس الأمنى الرفيع الذى كان يتمتع به عمر رضى الله عنه، حيث صدقت فراسته فى أمر الاختطاف[٤]، كما يظهر المستوى العظيم من الأخوة التى بناها الإسلام، فعمر يضحى بنصف ماله حرصاً على سلامة أخيه، وخوفاً عليه من أن يفتنه المشركون بعد عودته، ولكن غلبت عياش عاطفته نحو أمه، وبره بها ولذلك قرر أن يمضى لمكة فيبر قسم أمه

---

(١) ذو طوى: واد من أودية مكة.

(٢) الهجرة النبوية المباركة ص (١٣١).

(٣) التربية القيادية (٢/١٥٩).

(٤) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابى ص (٥١٢).

ويأتى بماله الذى هناك، وتأبى عليه عفته أن يأخذ نصف مال أخيه عمر رضى الله عنه وماله قائم فى مكة لم يمس، غير أن أفق عمر رضى الله عنه كان أبعد، فكأنه يرى رأى العين المصير المشئوم الذى سينزل بعياش لو عاد إلى مكة، وحين عجز عن إقناعه أعطاه ناقته الذلول النجيبة، وحدث لعياش ما توقعه عمر من غدر المشركين(١).

وساد فى الصف المسلم أن الله تعالى لا يقبل صرفًا ولا عدلاً من هؤلاء الذين فتنوا فافتتنوا، وتعايشوا مع المجتمع الجاهلى فنزل قول الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ...**﴾ وما أن نزلت هذه الآيات، حتى سارع الفاروق رضى الله عنه، بها إلى أخويه الحميمين عياش وهشام، ليجددا محاولاتهما فى مغادرة معسكر الكفر. أى سمو عظيم عند ابن الخطاب رضى الله عنه، لقد حاول مع أخيه عياش، عرض عليه نصف ماله على أن لا يغادر المدينة، وأعطاه ناقته ليفر عليها ومع هذا كله، فلم يشمت بأخيه، ولم يتشفَّ منه لأنه خالفه، ورفض نصيحته، وألقى برأيه خلف ظهره، إنما كان شعور الحب والوفاء لأخيه هو الذى يسيطر عليه، فما أن نزلت الآية حتى سارع ببعثها إلى أخويه فى مكة وإلى كل المستضعفين هناك ليقوموا بمحاولات جديدة للانضمام إلى المعسكر الإسلامى(٢).

هذا وقد نزل عمر بالمدينة، وأصبح وزير صدق لرسول الله ﷺ، وآخى النبى ﷺ بينه وبين عويم بن ساعدة(٣)، وقيل بينه وبين عتبان بن مالك(٤)، وقيل بينه وبين معاذ بن عفراء(٥). وقد علق ابن عبد الهادى على ذلك وقال: لا تناقض بين الأحاديث ويكون رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين كل أولئك فى أوقات متعددة، فإنه ليس بممتنع أن يؤاخى بينه وبين كل أولئك فى أوقات متعددة(٦).

****

(١، ٢) التربية القيادية (٢/ ١٦٠).

(٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى (٣١).

(٤) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٧٢).

(٥) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى (٣١).

(٦) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ١٨٤).

الفصل الثانى

التربية القرآنية والنبوية لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

المبحث الأول

حياة الفاروق مع القرآن الكريم

أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوى الذى تربى عليه عمر بن الخطاب وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين، فهو المصدر الوحيد للتلقى، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقى وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، والفكرة المركزية التى يتربى عليها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة، فكانت للآيات الكريمة التى سمعها عمر من رسول الله ﷺ مباشرة أثرها فى صياغة شخصية الفاروق الإسلامية، فقد طهّرت قلبه، وزكت نفسه، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته (١).

فقد عرف الفاروق من خلال القرآن الكريم من هو الإله الذى يجب أن يعبده، وكان النبى ﷺ يغرس فى نفسه معانى تلك الآيات العظيمة، فقد حرص ﷺ أن يربى أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة الفاروق إلى الله، والكون والحياة، والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدى النبى ﷺ.

فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص موصوف بالكمالات التى لا تتناهى فهو سبحانه «واحد لا شريك له ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً».

وأنه سبحانه خالق كل شيء ومالكه ومدبره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) السيرة النبوية للصَّلاَّبى (١/١٤٥).

وأنه تعالى مصدر كل نعمة فى هذا الوجود دقت أو عظمت، ظهرت أو خفيت ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[النحل : ٥٣].

وأن علمه محيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ولا ما يخفى الإنسان وما يعلن.

وأنه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، فى كتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك فى اللحظة المناسبة والوقت المناسب ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق : ١٨].

وأنه سبحانه يبتلى عباده بأمور تخالف ما يحبون، وما يهوون ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم له ظاهراً وباطنًا، فيكون جديراً بالخلافة والإمامة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوى شيئًا، ولا يسند إليه شيء ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك : ٢].

وأنه سبحانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه ونزل على حكمه فى كل ما يأتى وما يذر: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦].

وأنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه فلا يشركوا به شيئًا ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[الزمر : ٦٦].

وأنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد فى القرآن الكريم (١).

وأما نظرته للكون فقد استمدها من قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ٩-١٢].

---

(١) منهج الرسول فى غرس الروح الجهادية ص (١٠ - ١٦).

وأما هذه الحياة مهما طالت فهى إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة التى وصفتها، فأصبح حاله ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وأما تصوره للنار فقد استمده من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعًا له فى حياته عن أى انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة الفاروق عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، فقد خرج رضى الله عنه ذات ليلة فى خلافته يعسُّ بالمدينة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائمًا يصلى، فوقف يسمع قراءته، فقرأ: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ إلى أن بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧].

قال: قسم ورب الكعبة حق. فنزل عن حماره فاستند إلى حائط فمكث مليًا، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه (١).

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ له، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر فى قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شىء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] وأن الله قد كتب كل شىء كائن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي

(١) الرقة والبكاء، عبدالله بن أحمد المقدسى ص (١٦٦).

﴿إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] وأن الله خالق لكل شيء ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ فى قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت فى حياته وسنراها بإذن الله تعالى فى هذا الكتاب، وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبنى الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة (١) فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑧ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩].

وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما فى السماء والأرض، وفضله الله على كثير من خلقه، وكرمه بإرساله الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى عز وجل سبحانه للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضاه ويكون ذلك باتباع النبى ﷺ الذى دعا الناس إلى الإسلام لكى يحيوا حياة طيبة فى الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم فى الآخرة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وعرف عمر رضى الله عنه حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان وأن هذا العدو يأتى للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يوسوس له بالمعصية ويستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوه إبليس وانتصر عليه فى حياته، كما سترى فى سيرته، وتعلَّم من قصة آدم مع الشيطان فى القرآن الكريم؛ أن آدم هو أصل البشر، وجوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع فى الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار فى حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع

---

(١) أصول التربية للخلاوى ص (٣١).

الصحابة لقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. وسار على منهج رسول الله فى تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

لقد أكرم المولى عز وجل عمر بن الخطاب بالإسلام الذى قدم له عقيدة صحيحة صافية، خلفت عقيدته الأولى، وقضت فى نفسه عليها، فانهارت أركان الوثنية، فلا زلفى لوثن، ولا بنات لله، ولا صهر بين الجن والله، ولا كهانة تحدد للمجتمع مساره، وتقذف به فى تيه التشاؤم والطيرة، ولا عدم بعد الموت [١]، انتهى ذلك كله وخلفته عقيدة الإيمان بالله وحده مصفَّاة من الشرك، والولد والكهانة، والعدم بعد الحياة الدنيا ليحل الإيمان بآخرة ينتهى إليها عمل الإنسان فى تقويم مجزى عليه، انتهى عبث الجاهلية فى حياة بلا بعث ولا مسئولية أمام الديان، وخلفتها عقيدة الإيمان باليوم الآخر ومسئولية الجزاء، وانصهر عمر بكليته فى هذا الدين، وأصبح الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وعبد الله وحده فى إحسان كأنما يراه [٢]، وتربى عمر على القرآن الكريم مع توفيق من الله تعالى له فى العيش مع القرآن الكريم الذى أثر فى عقله وقلبه ونفسه وروحه وانعكست ثمار تلك المعايشة على جوارحه، وكان سبب ذلك – بعد توفيق الله له – تتلمذه على يدى رسول الله ﷺ [٣].

ثانيًا: موافقات عمر للقرآن الكريم، وإلمامه بأسباب النزول وتفسيره لبعض الآيات:

١- موافقات عمر للقرآن الكريم:

كان عمر من أكثر الصحابة شجاعة وجرأة، فكثيراً ما كان يسأل الرسول ﷺ عن التصرفات التى لم يدرك حكمها، كما كان رضى الله يبدى رأيه واجتهاده بكل صدق ووضوح، ومن شدة فهمه واستيعابه لمقاصد القرآن الكريم نزل القرآن الكريم موافقًا لرأيه رضى الله عنه فى بعض المواقف، قال عمر رضى الله عنه: وافقت الله تعالى فى ثلاث، أو وافقنى ربى فى ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقامَ إبراهيم مُصلى، وقلت: يا

(١، ٢) عمر بن الخطاب: على الخطيب ص٥١.

(٣) المصدر نفسه ص (٥٢).

رسول الله يدخل عليك البرُّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله تعالى آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبه النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو ليبدلّن الله رسوله ﷺ خيراً منكن حتى أتيت إحدى نسائه قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه، حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (١) [التحريم: ٥].

٢- موافقته في ترك الصلاة على المنافقين:

قال عمر: لما توفي عبدالله بن أُبي دُعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت: يا رسول الله أعلى عدو الله عبدالله بن أبيّ القائل يوم كذا وكذا: كذا وكذا، يعد أيامه قال ورسول الله ﷺ يتبسم حتى إذا أكثرت عليه، قال: أخر عني يا عمر، إني خيرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت. قال: ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال: فعجب لي وجرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ إلى آخر الآية، فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل(٢).

٣- موافقته في أسرى بدر:

قال عمر رضي الله عنه: ... فلما كان يومئذ فهزم الله المشركين فقُتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلا، فاستشار رسول الله أبا بكر وعلياً وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفداء، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ فقال: قلت: والله ما أرى رأي أبو بكر ولكني

---

(١) البخاري: ك التفسير رقم (٤٤٨٣).

(٢) الترمذي رقم (٣٠٩٧) أخبار عمر الطنطاويان ص (٣٨٠، ٣٨١).

أرى أن تمكننى من فلان – قريب لعمر – فاضرب عنقه، وتمكن عليًا من عقيل[١]، فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم، وقادتهم. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت، فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر: غدوت إلى النبى ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر، وإذا هما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاء، تباكيت لبكائكما، قال: قال النبى ﷺ: **«الذى عَرَضَ علىَّ أصحابك من الفداء، ولقد عُرِض علىَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة»** – لشجرة قريبة– وأنزل الله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾** إلى قوله: **﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾** من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقُتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ وكُسِرَت رباعيته [٢] وهشمت البيضة [٣] على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله تعالى: **﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾** إلى قوله **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** بأخذكم الفداء [٤].

٤- موافقته فى الاستئذان:

أرسل النبى ﷺ غلامًا من الأنصار إلى عمر بن الخطاب، وقت الظهيرة ليدعوَه، فدخل عليه وكان نائمًا وقد انكشف بعض جسده، فقال: اللهم حرّم الدخول علينا فى وقت نومنا وفى (رواية) قال: يا رسول الله وددت لو أن الله أمرنا ونهانا فى حال الاستئذان [٥] فنزلت: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾** [٦] [النور: ٥٨].

---

(١) عقيل بن أبى طالب الهاشمى أسلم يوم الفتح وتوفى فى أول خلافة يزيد.

(٢) الرباعية: السّنُ التى بين الثَّنية والناب.

(٣) البيضة: الخُذة سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام.

(٤) مسند أحمد (١/ ٢٥٠) رقم (٢٢١) وصححه أحمد شاكر، مسلم بنحوه رقم (١٧٦٣).

(٥) الرياض النضرة ص (٣٣٢) سنده ضعيف ذكره الواقدى بدون إسناد.

(٦) الفتاوى (٢٨/ ١٠).

٥- عمر ودعاؤه فى تحريم الخمر:

قال عمر: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شفاءً فنزلت هذه الآية التى فى البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: فدعى عمر، فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانًا شفاءً فنزلت الآية التى فى النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] فكان منادى رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربنَّ الصلاة سكران، فدُعى عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التى فى المائدة فدُعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] قال عمر: انتهينا، انتهينا (١)، وهكذا خضع تحريم الخمر لسنة التدريج، وفى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فهم عمر من الاستفهام الاستنكارى بان المراد به التحريم، لأن هذا الاستفهام أقوى وأقطع فى التحريم من النهى العادى، ففى ألفاظ الآية وتركيبها وصياغتها تهديد رهيب واضح كالشمس فى التحريم (٢).

٦- إلمامه بأسباب النزول:

حفظ عمر القرآن كله (٣) فى الفترة التى بدأت بإسلامه، وانتهت بوفاة الرسول ﷺ وقد حفظه مع أسباب التنزيل إلا ما سبق نزوله قبل إسلامه، فذلك مما جمعه جملة، ولا مبالغة إذا قلنا: إن عمر كان على علم بكثير من أسباب التنزيل، لشدة اتصاله بالتلقى عن رسول الله ﷺ، ثم هو قد حفظ منه ما فاته، فإن يلم بأسباب النزول والقرآن بكر التنزيل، والحوادث لاتزال تترى فذلك أمر يسير(٤).

وقد كان عمر سببًا فى التنزيل لأكثر من آية بعضها متفق على مكيته، وبعضها مدنى، بل كان بعض الآيات يحظى من عمر بمعرفة زمانه ومكانه على وجه دقيق، قال عن الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]: والله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت على رسول الله والساعة التى نزلت

---

(١) صححه أحمد شاكر فى تخريجه لأحاديث المسند رقم (٣٧٨).

(٢) شهيد المحراب للتلمسانى ص (١٠١).

(٣) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى (١/ ٧٢).

(٤) عمر بن الخطاب: د. على الخطيب ص (٩٠ - ٩٢).

فيها على رسول الله عشية عرفة فى يوم جمعة (١)، وقد كان عمر - وحده أو مع غيره - سببًا مباشرًا فى تنزيل بعض الآيات منها، قول الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

وفى الصحيح: أن رجلاً قال: لا أبالى ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال على بن أبى طالب: الجهاد فى سبيل الله أفضل من هذا كله. فقال عمر بن الخطاب: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله. ولكن إذا قضيت الصلاة. سألته عن ذلك، فسأله فأنزل الله هذه الآية، فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف، ومن الإحسان إلى الحجاج، بالسقاية، ولهذا قال أبو هريرة رضى الله عنه: لأن أرابط ليلة فى سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود (٢).

٧- سؤاله لرسول الله ﷺ عن بعض الآيات:

كان عمر رضى الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن بعض الآيات، وأحيانًا أخرى يسمع صحابيًا يستفسر من رسول الله ﷺ عن بعض الآيات فيحفظها ويعلمها لمن أراد من طلاب العلم، فعن يَعْلى بن أمية، قال: سألت عمر بن الخطاب، قلت: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، وقد آمن الله الناس؟(٣) فقال لى عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: صدقة تصدّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته (٤)، وقد سئل عمر بن الخطاب عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سُئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: **إن الله خلق آدم ثم مسح**

---

(١) إسناده صحيح على شرط الشيخين الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (١٨٨).

(٢) الفتاوى (٢٨/ ١٠).

(٣) وفى رواية: أمن الناس.

(٤) إسناده صحيح على شرط مسلم، مسند أحمد رقم (١٧٤) الموسوعة الحديثية.

ظهره بيمينه، واستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبدَ للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبدَ للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار(١).

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] قال عمر: أى جمع يهزم؟ أى جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثبت فى الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ (٢).

٨- تفسير عمر لبعض الآيات وبعض تعليقاته:

كان عمر يتحرّج فى تفسير القرآن برأيه ولذلك لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: هى الرياح، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قيل: ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾. قال: السحاب، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قيل: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؟ قال: السفن، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قيل: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾؟ قال: هى الملائكة، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته(٣)، وكان رضى الله عنه له منهج فى تفسيره للآيات، فإنه رضى الله عنه إذا وجد لرسول الله ﷺ تفسيراً أخذ به، وكان هو الأفضل مثل ما مر معنا من تفسيره وإذا لم يجد طلبه فى مظانه عند بعض الصحابة مثل: ابن عباس، وأبى بن كعب، وعبدالله بن مسعود ومعاذ وغيرهم رضى الله عنهم، وهذا مثال على ذلك؛ فقد قال عمر رضى الله عنه يومًا لأصحاب النبى ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

---

(١) صحيح لغيره مسند أحمد رقم (٣١١) الموسوعة الحديثية.

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٦٦).

(٣) أخبار عمر بن الخطاب الطنطاويان ص(٣٠٨) نقلاً عن الرياض النضرة.

[البقرة: ٢٦٦]. قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله(١)، وفي رواية قال ابن عباس: عني بها العمل، ان آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبر سنه وكثر عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم يبعث، فقال عمر: صدقت يا ابن أخي (٢).

وكانت له بعض التعليقات على بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧] فقال: نعم العدلان ونعم العلاوة (٣)، ويقصد بالعدلين الصلاة والرحمة والعلاوة الاهتداء (٤).

وسمع القارئ يتلو قول الله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار:٦] فقال عمر: الجهل (٥). وفسر قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧] بقوله: الفاجر مع الفاجر والطالح مع الطالح (٦)، وفسر قول الله تعالى: ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨]، بقوله: أن يتوب ثم لا يعود فهذه التوبة الواجبة التامة (٧)، وذات يوم مر بدير راهب فناداه يا راهب فأشرف الراهب. فجعل عمر ينظر إليه ويبكي فقيل له يا أمير المؤمنين: ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٣، ٤] فذاك الذي أبكاني(٨)، وفسر الجبت بالسحر والطاغوت بالشيطان في قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] (٩).

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤٩).

(٢) الخلافة الراشدة والدولة الأموية: د. يحيى اليحيى ص (٣٠٥).

(٣) المستدرك (٢/ ٢٧٠).

(٤) الخلافة الراشدة والدولة الأموية ص (٣٠٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٣).

(٦) الفتاوى (٧/ ٤٤).

(٧) المصدر نفسه (١١/ ٣٨٢).

(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٧).

(٩) المصدر نفسه (١/ ٥٢٤).

المبحث الثانى

ملازمته لرسول الله ﷺ

كان عمر رضى الله عنه واحداً من المكيين الذين قرأوا وكتبوا فى مجتمعهم الأمى، وهذا دليل على شغفه بالعلم منذ صغره، وسعيه ليكون واحداً من القلة القليلة، الذين محوا أميتهم، وهذبوا أنفسهم، وتبوأوا مكانة مرموقة فى عصر الرسالة، لمجموعة مقومات، لعل منها إلمامه بالقراءة والكتابة وهو حدث له قيمته آنذاك وقد تلقى عمر دروسه الأولى، وتعلم القراءة والكتابة على يدى حرب بن أمية والد أبى سفيان(١)، وقد أهلته هذه الميزة، لأن يثقف نفسه بثقافة القوم آنذاك، وإن كنا نجزم أن الرافد القوى الذى أثر فى شخصية عمر وصقل مواهبه، وفجر طاقاته وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ وتتلمذه على يديه فى مدرسة النبوة، ذلك أن عمر لازم الرسول ﷺ فى مكة بعد إسلامه كما لازمه كذلك فى المدينة المنورة – حيث سكن العوالى – وهى ضاحية فى ضواحى المدينة، وإن كانت قد اتصلت بها الآن وأصبحت ملاصقة لمسجد الرسول ﷺ، حيث امتد العمران، وتوسعت المدينة، وزحفت على الضواحى، فى هذه الضاحية نظم عمر نفسه، وحرص على التلمذة فى حلقات مدرسة النبوة فى فروع شتى من المعارف والعلوم على يدى معلم البشرية وهاديها، والذى أدبه ربه فأحسن تاديبه، وقد كان لا يفوته علم من قرآن، أو حديث أو أمر أو حدث أو توجيه، قال عمر: كنت أنا وجار لى من الأنصار من بنى أمية بن زيد – وهى من عوالى المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئت بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك(٢).

وهذا الخبر يوقفنا على الينبوع المتدفق، الذى استمد منه عمر علمه وتربيته وثقافته، وهو كتاب الله الحكيم، الذى كان ينزل على رسول الله ﷺ منجماً على حسب الوقائع والأحداث، وكان الرسول يقرأه على أصحابه، الذين وقفوا على معانيه، وتعمقوا فى فهمه، وتاثروا بمبادئه، وكان له عميق الأثر فى نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم،

(١، ٢) عمر بن الخطاب، د. محمد احمد أبوالنصر ص (٨٧).

وكان عمر واحداً من هؤلاء الذين تأثروا بالمنهج القرآنى فى التربية والتعليم، وعلى كل دارس لتاريخ عمر وحياته، أن يقف وقفة متأملة أمام هذا الفيض الربانى الصافى، الذى غذى المواهب وفجر العبقريات، ونمى ثقافة القوم، ونعنى به القرآن الكريم، وقد حرص عمر منذ أسلم على حفظ القرآن وفهمه وتأمله، وظل ملازمًا للرسول ﷺ يتلقى عنه ما أنزل عليه، حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، وقد أقرأه الرسول ﷺ بعضه وحرص على الرواية التى أقرأه بها الرسول(١)، وكان لعمر أحيانًا شرف السبق إلى سماع بعض آياته فور نزوله، كما عنى بمراجعة محفوظه منه(٢)، فقد تربى عمر رضى الله عنه على المنهج القرآنى، وكان المربى له ﷺ. وكانت نقطة البدء فى تربية عمر هى لقاءه برسول الله ﷺ، فحدث له تحول غريب واهتداء مفاجىء بمجرد اتصاله بالنبى ﷺ، فخرج من دائرة الظلام إلى دائرة النور، واكتسب الإيمان، وطرح الكفر، وقوى على تحمل الشدائد والمصائب، فى سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة، كانت شخصية رسول الله ﷺ المحرك الأول للإسلام، وشخصيته ﷺ تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين، فقد صنعه الله على عينه، وجعله أكمل صورة لبشر فى تاريخ الأرض، والعظمة دائمًا تحب، وتحاط من الناس بالإعجاب، ويلتف حولها المعجبون، يلتصقون بها التصاقًا بدافع الإعجاب والحب، ولكن رسول الله ﷺ يضيف إلى عظمته تلك، أنه رسول الله، متلقى الوحى من الله، ومبلغه إلى الناس، وذلك بُعد آخر له أثره فى تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يُحب العظماء من الناس، ولكن أيضًا لتلك النفحة الربانية التى تشمله من عند الله، فهو معه فى حضرة الوحى الإلهى المكرم، ومن ثم يلتقى فى شخص الرسول ﷺ البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئًا واحداً فى النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية. حب عميق شامل للرسول البشر أو للبشر الرسول ويرتبط حب الله بحب رسوله ويمتزجان فى نفسه، فيصبحان فى مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك.

كان هذا الحب الذى حرك الرعيل الأول من الصحابة هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذى تنطلق منه(٣)، لقد حصل للصحابة ببركة صحبتهم

(١، ٢) عمر بن الخطاب د. محمد أحمد أبو النصر ص (٨٨).

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص (٣٤، ٣٥).

لرسول الله ﷺ وتربيتهم على يديه أحوال إيمانية عالية، يقول سيد قطب رحمه الله عن تلك التزكية: إنها لتزكية، وإنه لتطهير ذلك الذى كان يأخذهم به الرسول ﷺ. تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية، وتطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح، وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيمانى، ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة الكسب الحلال، إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة، ولحياة السريرة، ولحياة الواقع، تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه و نشأته إلى آفاق النور التى يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملأ الأعلى(١).

لقد تتلمذ عمر رضى الله عنه على يدى رسول الله، فتعلم منه القرآن الكريم والسنة النبوية، وتزكية النفوس قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران: ١٦٤].

وحرص على التبحر فى الهدى النبوى الكريم فى غزواته، وسلمه، وأصبح لعمر رضى الله عنه علم واسع، ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، التى أثرت فى شخصية عمر وفقهه ولازم رسول الله ﷺ، واستمع من رسول الله وتلقى عنه، وكان إذا جلس فى مجلس النبوة لم يترك المجلس حتى ينفض، كما كان حريصا على أن يسأل الرسول ﷺ على كل ما تجيش به نفسه، أو يشغل خاطره(٢)، لقد استمد من رسول الله علما وتربية، ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وخصه رسول الله ﷺ برعايته، وشمله بتسديده، ولقد شهد له رسول الله ﷺ بالعلم، فقد قال ﷺ: «**بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت حتى إنى لأرى الرىَّ يخرج فى أظفارى، ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب**»

قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**العلم**»(٣).

---

(١) الظلال (٦/٣٥٦٥).

(٢) عمر بن الخطاب. د. محمد أبو النصر ص (٩١).

(٣) البخارى، رقم (٨٢).

قال ابن حجر: والمراد بالعلم هنا العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ[1].

وهذه المعرفة لا يمكن تَأَتِّيها إلا لمن كان راسخ القدم في التزود بما يعينه على فهم كتاب الله، وسنة نبيه، وسبيله في ذلك: التعمّق في فهم اللغة وآدابها، والتمرس في معرفة أساليبها، والتزود في كل ما يساعد على فهمها من معارف وخبرات ، وكذلك كان عمر رضي الله عنه[2]، ولقد جمع بين رسول الله ﷺ وبين عمر حب شديد، والحب عامل هام في تهيئة مناخ علمي ممتاز بين المعلم وبين تلميذه، يأتي بخير النتائج العلمية والثقافية، لما له من عطاء متجدد، وعمر قد أحب رسول الله ﷺ حبًا جمًا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية في سبيل نشر دعوته، فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»**[3]. فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: **«لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»** فقال له عمر: فإنه الآن: والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ: **«الآن يا عمر»**[4].

واستأذن عمر يومًا إلى عمرة فقال له ﷺ: **«لا تنسنا يا أخي في دعائك»**[5] فقال عمر: ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله: يا أخي[6].

وهذا الحب السامي الشريف هو الذي جعل عمر يلازم الرسول ﷺ في جميع غزواته، وقد أمده ذلك بخبرة ودربة ودراية بشئون الحرب، ومعرفة بطبائع النفوس وغرائزها، كما أن ملازمته للرسول ﷺ وكثرة تحدثه معه، قد طبعه على البلاغة والبيان والفصاحة وطلاقة اللسان، والتفنن في أوجه القول[7]، وفي النقاط القادمة سنبين بإذن الله تعالى مواقفه في الميادين الجهادية مع رسول الله، وبعض الصور من حياته الاجتماعية بالمدينة في حياة النبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري (٧/٣٦).

(٢) عمر بن الخطاب ، د. محمد أبو النصر ص (٩٣).

(٣) البخاري رقم (١٥).

(٤) البخاري رقم (٦٦٣٢).

(٥) أبو داود في الصلاة(١٤٩٨)، والترمذي في الدعوات (٣٥٦٢). وقال: (هذا حديث حسن صحيح) وابن ماجه في المناسك (٢٨٩٤) كلهم عن عمر وهناك من ضعفه.

(٦) المصدر السابق.

(٧) عمر بن الخطاب ، د. محمد أبو النصر ص (٩٤).

أولاً: عمر رضى الله عنه فى ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ :

اتفق العلماء على أن عمر رضى الله عنه شهد بدرا، وأحدا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولم يغب عن غزوة غزاها رسول الله[١].

١- غزوة بدر:

شارك عمر رضى الله عنه فى غزوة بدر، وعندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه قبل المعركة، تكلم أبو بكر رضى الله عنه أول من تكلم، فأحسن الكلام، ودعا إلى قتال الكافرين، ثم الفاروق عمر رضى الله عنه فأحسن الكلام، ودعا إلى قتال الكافرين[٢]، وكان أول من استشهد من المسلمين يوم بدر مهجع[٣] مولى عمر رضى الله عنه[٤]، وقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه خاله العاص بن هشام[٥]، ضاربا بالقرابة عرض الحائط أمام رابطة العقيدة، بل كان يفخر بذلك تأكيداً لهذه الفكرة، وبعد انتهاء المعركة أشار بقتل أسارى المشركين، وفى تلك الحادثة دروس وعبر عظيمة[٦]، و عندما وقع العباس عم النبى ﷺ فى الأسر حرص عمر على هدايته وقال له: يا عباس أسلم، فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك[٧]، وكان من بين الأسرى خطيب قريش سهيل بن عمرو، فقال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، دعنى أنتزع ثنيتى سهيل بن عمرو فيدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا، فقال رسول الله ﷺ : **«لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا، و إن عسى أن يقوم مقاما لا تذمه»**[٨]، وهذا ما حدث فعلا بعد وفاة رسول الله ﷺ إذ هم عدد من أهل مكة بالرجوع عن الإسلام، حتى خافهم والى مكة عتاب بن أسيد فتوارى، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبى وقال: إن ذلك لم يزد

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص (٨٩).

(٢) الفاروق مع النبى ، د. عاطف لماضة ص (٣٢).

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٩١، ٣٩٢) ضعيف لانقطاعه.

(٤) السيرة النبوية (٢/ ٣٨٨) لابن هشام، صحيح التوثيق ص (١٨٧).

(٥) الخلافة والخلفاء الراشدون، للبهنساوى ص (١٥٤).

(٦) ذكرتها فى كتابى: السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث) جـ٢، ص (٤٧ - ٥٧)، ط ١.

(٧) البداية والنهاية (٣/ ٢٩٨).

(٨) المصدر نفسه (٣/ ٣١١).

الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه فتراجع الناس عن رأيهم[1]. وحدثنا عمر عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ عندما خاطب مشركي مكة الذين قتلوا ببدر، فعن أنس قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال، وكنت حديد البصر فرأيته، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ قال: سأراه وأنا مستلقٍ على فراشي، ثم أخذ يُحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول: «**هذا مصرع فلان غدا، إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله**»، قال: فجعلوا يصرعون عليها، قال: قلت: والذى بعثك بالحق، ما أخطأوا تيك، كانوا يصرعون عليها ثم أمر بهم فطرحوا فى بئر، فانطلق إليهم، فقال: «**يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله حقا، فإني وجدت ما وعدنى الله حقا**» قال عمر: يا رسول الله، أتُكلم قوما قد جَيَّفوا؟ قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا**»[2]، وعندما جاء عمير بن وهب إلى المدينة قبل إسلامه فى أعقاب بدر يريد قتل رسول الله ﷺ، كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم فى عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحا سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر وهو الذى حرش بيننا، وحرزنا للقوم يوم بدر. ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يانبى الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه. قال: **فأدخله علىَّ**، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة[3] سيفه فى عنقه فلببه[4] بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال: **أرسله يا عمر، ادن يا عمير**. فدنا ثم قال: انعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة**[5]. فقال: **فما جاء بك يا عمير**؟ قال: جئت لهذا الأسير الذى

---

(١) التاريخ الإسلامى للحميدى (٤/١٨١).

(٢) مسند أحمد رقم (١٨٢) الموسوعة الحديثية إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) حمالة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.

(٤) لببه: قيده.

(٥) انظر صحيح السيرة النبوية للعلى ص (٢٥٩).

في أيديكم فأحسنوا فيه. قال :فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئا قال :اصدقني، ما الذى جئت له ، قال: ما جئت إلا لذلك. قال :بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير: أشهد أنك لرسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله: **فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا** (١).

ومن خلال هذه القصة يظهر الحس الأمنى الرفيع الذى تميز به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد انتبه لمجيء عمير بن وهب وحذر منه، وأعلن أنه شيطان ما جاء إلا لشر، فقد كان تاريخه معروفا لدى عمر، فقد كان يؤذى المسلمين في مكة وهو الذى حرض على قتال المسلمين في بدر، وعمل على جمع المعلومات عن عددهم، ولذلك شرع عمر في أخذ الأسباب لحماية الرسول ﷺ، فمن جهته فقد أمسك بحمالة سيف عمير الذى في عنقه بشده فعطله عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول ﷺ وأمر نفراً من الصحابة بحراسة النبى ﷺ(٢).

٢- غزوة أحد، وبنى المصطلق والخندق:

من صفات الفاروق الجهادية: عِلو الهمة، وعدم الصغار، والترفع عن الذلة حتى ولو بدت الهزيمة تلوح أمامه، كما حدث في غزوة أحد، ثانية المعارك الكبرى التى خاضها رسول الله ﷺ، فعندما وقف أبو سفيان في نهاية المعركة وقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ :«**لاتجيبوه**» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال ﷺ«**لاتجيبوه**» فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إنّ هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر

(١) صحيح السيرة النبوية ص (٢٦٠).

(٢) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابى حـ ٢، ص ٦٤ ط (١) دار التوزيع والنشر الإسلامية.

رضى الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: اعل هبل[١]، فقال النبى ﷺ :«أجيبوه» . قالوا: ما نقول؟ قال:«قولوا: الله أعلى وأجل» . قال أبو سفيان: لنا العُزَّى، ولا عُزَّى لكم. فقال النبى ﷺ :أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال:«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» ، قال أبو سفيان يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله لم آمر بها ولم تسؤنى[٢]، وفى رواية قال عمر: لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار[٣]. فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر، لقول ابن قمئة لهم: إنى قد قتلت محمدا[٤].

كان فى سؤال أبى سفيان عن رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر، دلالة واضحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم، لأنه فى علمهم أنهم أهل الإسلام، و بهم قام صرحه، وأركان دولته، وأعمدة نظامه، ففى موتهم يعتقد المشركون أنه لا يقوم الإسلام بعدهم، وكان السكوت عن إجابة أبى سفيان أولاً تصغيرا له، حتى إذا انتشى وملأه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر وردوا عليه بشجاعة[٥].

وفى غزوة بنى المصطلق كان للفاروق موقف متميز، ونترك شاهد عيان يحكى لنا ما شاهده، قال جابر بن عبدالله الأنصارى: كنا فى غزاة فكسع[٦] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصارى: يا للأنصار. وقال المهاجرى: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله فقال:«ما بال دعوى الجاهلية» ، قالوا: يا رسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال النبى ﷺ :**دعوها فإنها منتنة** ، فسمع بذلك عبدالله ابن أبى فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبى ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبى ﷺ : **دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه** [٧]، وفى رواية قال عمر بن الخطاب: مر

---

(١) اعل هبل: ظهر دينك.

(٢) البخارى المغازى، رقم (٤٠٤)، السيرة الصحيحة (٢/٣٩٢).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة (٢/٣٩٢).

(٤) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (١٨٩).

(٥) السيرة النبوية الصحيحة (٢/٣٩٢).

(٦) كسع: ضربه برجله.

(٧) السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤٠٩).

به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ : «**فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟ لا. ولكن أذن بالرحيل**» وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس(١)، ومن مثل هذه المواقف والتوجيهات النبوية استوعب عمر رضى الله عنه فقه المصالح والمفاسد، فهذا الفقه يظهر فى قوله ﷺ : **فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**(٢)، إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية، ووحدة الصف الداخلية، والفرق كبير جدا بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمد محمداً، ويؤكدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبى سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً(٣)، وبين أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولا شك أن وراء ذلك محاولات ضخمة، ستتم فى محاولة الدخول إلى الصف الداخلى فى المدينة من العدو، بينما هم يائسون الآن من قدرتهم على شىء أمام ذلك الحب وتلك التضحيات(٤).

وفى غزوة الخندق يروى جابر فيقول: أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب، قال النبى ﷺ : «**والله ما صليتها**»، فقمنا إلى بطحان(٥)، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب(٦).

٣- صلح الحديبية، وسرية إلى هوازن، وغزوة خيبر:

وفى الحديبية دعا رسول الله ﷺ عمر ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء به، فقال: يا رسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى، وقد عرفت قريش عداوتى لها وغلظتى عليها، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣١٩).
(٢) السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤٠٩).
(٣) التربية القيادية (٣/٤٦٢).
(٤) المصدر نفسه (٣/٤٦٣).
(٥) بطحان: أحد أودية المدينة.
(٦) البخارى رقم (٥٩٦).

سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته[1]، وبعد الاتفاق على معاهدة الصلح وقبل تسجيل وثائقها ظهرت بين المسلمين معارضة شديدة وقوية لهذه الاتفاقية، وخاصة فى البندين اللذين يلتزم النبى ﷺ بموجبهما برد من جاء من المسلمين لاجئا، ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتدا، والبند الذى يقضى بأن يعود المسلمون من الحديبية إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة ذلك العام، وقد كان أشد الناس معارضة لهذه الاتفاقية وانتقادا لها، عمر بن الخطاب، وأسيد بن حضير سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ معلنا معارضته لهذه الاتفاقية وقال لرسول الله ﷺ : ألستَ برسول الله؟ قال: **بلى**، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: **بلى**، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: **بلى**، قال: فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ قال: **إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى**[2]، وفى رواية: **أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى**[3]، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: **بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟** قلت: لا، قال **فإنك آتيه ومطوف به**. قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ فقال أبو بكر ناصحا الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة: الزم غرزه فإنى أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن نخالف أمر الله ولن يضيعه الله[4]، وبعدحادثة أبى جندل المؤلمة المؤثرة عاد الصحابة إلى تجديد المعارضة للصلح، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله ﷺ بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته، وإعلان معارضتهم مجددا للصلح إلا أن النبى ﷺ بما أعطاه الله من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة استطاع أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح، وأنه فى صالح المسلمين وأنه نصر لهم[5]، وأن الله سيجعل للمستضعفين من أمثال أبى جندل فرجا ومخرجا، وقد تحقق ما أخبر به ﷺ، وقد تعلم عمر رضى الله عنه من رسول الله احترام المعارضة النزيهة ولذلك نراه فى خلافته يشجع الصحابة على

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٨)، وأخبار عمر ص (٣٤).

(٢) البخارى، رقم (٢٧٣٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٢/ ٦٣٤).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٦).

(٥) صلح الحديبية، باشميل ص (٢٧٠).

إبداء الآراء السليمة التى تخدم المصلحة العامة[١] فحرية الرأى مكفولة فى المجتمع الإسلامى وأن للفرد فى المجتمع المسلم الحرية فى التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأى نقدا لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره فى جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، ونفهم من معارضة عمر لرسول الله ﷺ أن المعارضة لرئيس الدولة فى رأى من الآراء وموقف من المواقف ليست جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها فى غياهب السجون[٢].

لم يكن ذلك الموقف من الفاروق شكا أو ريبة فيما آلت إليه الأمور، بل طلب لكشف ما خفى عليه، وحث على إذلال الكفار، لما عرف من قوته فى نصرة الإسلام[٣]، وبعد ما تبينت له الحكمة قال عن موقفه بالحديبية: ما زلت أتصدق، وأصوم، وأصلى، وأعتق من الذى صنعت يومئذ، مخافة كلامى الذى تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا[٤].

وفى شعبان سنة ٧ من الهجرة بعث رسول الله عمر بن الخطاب إلى تُرَبَة فى ثلاثين رجلا إلى عَجُز[٥] هوازن بُتَرَبَة وهى بناحية القبلاء[٦]، على أربع مراحل من مكة[٧]، فخرج، وخرج معه دليل من بنى هلال[٨]، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحدا فانصرف راجعا إلى المدينة رضى الله عنه[٩]. وفى رواية: قال له الدليل الهلالى: هل لك فى جمع آخر تركته من خشعم سائرين قد أجدبت بلادهم؟ فقال عمر: لم يأمرنى رسول الله بهم، إنما أمرنى أن أعمد لقتال هوازن بتربة[١٠]، وهذه السرية تدلنا على ثلاث نتائج عسكرية:

---

(١) القيادة العسكرية فى عهد رسول الله ص (٤٩٥).

(٢) غزوة الحديبية لأبى فارس ص (١٣٤، ١٣٥).

(٣) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (١٩١).

(٤) مختصر منهاج القاصدين ص (٢٩٣)، فرائد الكلام للخلفاء ص (١٣٩).

(٥) العجز: مؤخر الشىء.

(٦) فى الأصل «الفلا» وهو تحريف.

(٧) تربة: واد يقع شرق الحجاز يصب صوب عالية نجد.

(٨) هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٩) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٧٢).

(١٠) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٨) اخبار عمر ص (٣٤).

الأولى: أن عمر أصبح مؤهلا للقيادة إذ لولا ذلك لما ولاه النبى الكريم ﷺ قيادة سرية من سرايا المسلمين تتجه إلى منطقة بالغة الخطورة وإلى قبيلة من أقوى القبائل العربية وأشدها شكيمة.

والثانية: أن عمر الذى كان يكمن نهارا ويسير ليلا، مشبع بمبدأ المباغتة، أهم مبادئ الحرب على الإطلاق، مما جعله يباغت عدوه ويجبره على الفرار، وبذلك انتصر بقواته القليلة على قوات المشركين الكثيرة.

والثالثة: أن عمر ينفذ أوامر قائده الأعلى نصا وروحا، ولا يحيد عنها، وهذا هو روح الضبط العسكرى وروح الجندية فى كل زمان و مكان(١).

وفى غزوة خيبر عندما نزل رسول الله بحضرة أهل خيبر أعطى رسول الله اللواء(٢) عمر بن الخطاب، فنهض معه من نهض من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: **لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** فلما كان غد تصدر(٣) لها أبو بكر، وعمر، فدعا عليا، وهو أرمد(٤)، فتفل فى عينيه وأعطاه اللواء، ونهض معه من الناس من نهض فتلقى أهل خيبر فإذا مرحب يرجز ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاك السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحينا أضرب ... إذا الليوث أقبلت تلهب

فاختلف هو وعلى - رضى الله عنه - فضربه علىٌّ على هامته حتى عضى السيف منه بيضتى(٥) رأسه، وسمع أهل المعسكر صوت ضربته، فما تتام آخر الناس مع على حتى فتح الله لهم وله.

وعندما أقبل فى خيبر نفر من أصحاب النبى ﷺ، فقالوا: فلان شهيد ، فقال

---

(١) الفاروق القائد ص (١١٧، ١١٨) شيت خطاب.

(٢) اللواء: العلم، والراية ولا يمسكها إلا صاحب الجيش.

(٣) تصدر: نصب صدره فى الجلوس، وجلس فى صدر المجلس.

(٤) الرمد: وجع العين وانتفاخها.

(٥) البيضة: الخوذة.

رسول الله ﷺ: «كلا، إنى رأيته فى النار فى بردة غلها، أو عباءة» ثم قال رسول الله ﷺ: **يا ابن الخطاب اذهب فناد فى الناس: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**. قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[1].

٤- فتح مكة وغزوة حنين وتبوك:

لما نقضت قريش صلح الحديبية بغدرها، خشيت من الخطر القادم من المدينة، فأرسلت أبا سفيان ليشد العقد ويزيد فى المدة، فقدم على رسول الله فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ولكن بدون جدوى، وخرج حتى أتى رسول الله فكلمه فلم يرد عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله؟ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به[2]، وعندما أكمل النبى ﷺ استعداده للسير إلى فتح مكة، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى أهل مكة يخبرهم فيه بنبأ تحرك النبى ﷺ إليهم، ولكن الله سبحانه وتعالى أطلع نبيه ﷺ عن طريق الوحى على هذه الرسالة، فقضى ﷺ على هذه المحاولة فى مهدها، فأرسل النبى ﷺ عليا والمقداد فأمسكوا بالمرأة فى روضة خاخ على بعد اثنى عشر ميلا من المدينة، وهددوها أن يفتشوها إن لم تخرج الكتاب فسلمته لهم، ثم استدعى حاطب رضى الله عنه للتحقيق فقال: يا رسول الله، لا تعجل علىَّ، إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش - يقول - كنت حليفا ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتى، ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **إما إنه قد صدقكم**، فقال عمر: يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ، **إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**[3] ومن الحوار الذى تم بين الرسول ﷺ وعمر بن الخطاب فى شأن حاطب يمكن أن نستخرج بعض الدروس والعبر منها.

---

(١) إسناده حسن، رجاله رجال الشيخين، الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (٢٠٣).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٦٥)، أخبار عمر ص (٣٧).

(٣) البخارى فى المغازى رقم (٤٢٧٤).

- حكم الجاسوس القتل، فقد أخبر عمر بذلك ولم ينكر عليه الرسول ﷺ، ولكن منع من إيقاع العقوبة بسبب كونه بدريا.

- شدة عمر فى الدين: لقد ظهرت هذه الشدة فى الدين حينما طالب بضرب عنق حاطب.

- الكبيرة لا تسلب الإيمان: إن ما ارتكبه حاطب كبيرة وهى التجسس ومع هذا ظل مؤمنا.

- لقد أطلق عمر على حاطب صفة النفاق بالمعنى اللغوى لا بالمعنى الاصطلاحى فى عهده ﷺ. إذ النفاق إبطان الكفر والتظاهر بالإسلام، وإنما الذى أراده عمر، إنه أبطن خلاف ما أظهر، إذ أرسل كتابه الذى يتنافى مع الإيمان الذى خرج يجاهد من أجله ويبذل دمه فى سبيله(١).

- تأثر عمر من رد الرسول ﷺ، فتحول فى لحظات من رجل غاضب ينادى بإجراء العقوبة الكبيرة على حاطب إلى رجل يبكى من الخشية والتأثر ويقول: الله ورسوله أعلم، ذلك لأن غضبه كان لله ورسوله، فلما تبين له أن الذى يرضى الله تعالى ورسوله ﷺ غير ما كان يراه، غض النظر عن ذلك الخطأ ومعاملة صاحبه بالحسنى تقديراً لرصيده فى الجهاد، واستجاب(٢).

وعندما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران، وخشى أبو سفيان على نفسه، وعرض عليه العباس عم رسول الله طلب الأمان من رسول الله ﷺ فوافق على ذلك، يقول العباس بن عبدالمطلب قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ فى الناس، واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة؟ فداك أبى وأمى، قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك، قال: فركب خلفى ورجع صاحباه، فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلىَّ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد

(١) السيرة النبوية لأبى فارس ص (٤٠٤).

(٢) التاريخ الإسلامى (٧/١٧٦، ١٧٧).

نحو رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعنى فلأضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله إنى قد أجرته، فلما أكثر عمر من شأنه قلت: مهلا يا عمر، فوالله أن لو كان من بنى عدى ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف، فقال عمر: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال ﷺ: **اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتنى به** (١)، فهذا موقف عمر – رضى الله عنه – وهو يرى عدو الله يمر بقوات المسلمين، محتميا بظهر العباس عم النبى ﷺ وقد بدا ذليلا خائفا، فيود عمر – رضى الله عنه – أن يضرب عنق عدو الله قربى إلى الله تعالى وجهاداً فى سبيله، ولكن الله تعالى قد أراد الخير بأبى سفيان فشرح صدره للإسلام، فحفظ دمه ونفسه(٢).

وفى غزوة حنين، باغت المشركون جيش المسلمين وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: أين أيها الناس؟ هلموا إلى أنا رسول الله: أنا محمد بن عبدالله، فلم يسمع أحد، وحملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس إلا أنه بقى مع رسول الله نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته وكان فيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته على بن أبى طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، وربيعة بن الحارث وغيرهم(٣)، ويحكى أبو قتادة عن موقف عمر فى هذه الغزوة فيقول: خرجنا مع النبى ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه(٤)، بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل على فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فارسلنى، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ فقال: أمر الله، ثم رجعوا(٥).

---

(١) السيرة النبوية ص (٥١٨ – ٥٢٠).

(٢) الفاروق مع النبى، د. عاطف لماضة ص (٤٢).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٨٩)، أخبار عمر ص (٤١).

(٤) العاتق: ما بين المنكب والعنق.

(٥) البخارى رقم (٤٣٢١)، (٤٣٢٢).

قال تعالى عن هذه الغزوة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥] فلما تاب الله تعالى على المؤمنين بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم، نصر الله أولياءه، بعد أن فاءوا إلى نبيهم واجتمعوا حوله، فأنزل الله سيكنته ونصره على جنده وقال تعالى يقص علينا ذلك: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

وبعد معركة حنين عاد المسلمين إلى المدينة وبينما هم يمرون بالجعرانة(١)، كان رسول الله يقبض الفضة من ثوب بلال رضى الله عنه ويعطى الناس، فأتى رجل وقال لرسول الله: يا محمد، اعدل، قال رسول الله ﷺ: **ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: دعنى يارسول الله، فأقتل هذا المنافق، فقال: **معاذ الله! أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم(٢)، يمرقون منه كما يمرق السهم(٣) من الرمية(٤)**، ففى هذا الموقف منقبة عظيمة لعمر رضى الله عنه، فهو لا يصبر إذا انتهكت أمامه الحُرمات، فقد اعتدى على مقام النبوة والرسالة، فما كان من الفاروق إلا أن أسرع قائلا: دعنى يا رسول الله، أقتل هذا المنافق، هذا هو رد الفاروق أمام من ينتهكون قدسية النبوة والرسالة(٥)، وفى الجعرانة لبى عمر رضى الله عنه رغبة يعلى بن أمية التميمى الصحابى المشهور فى رؤية رسول الله حين ينزل عليه الوحى، فعن صفوان ابن يعلى، أن يعلى كان يقول لعمر بن الخطاب: ليتنى أرى نبى الله ﷺ حين ينزلُ(٦) عليه، قال: فبينما النبى ﷺ بالجعرانة، وعليه ثوب قد أظل به،معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه أعرابى عليه جبة متضمخ(٧)، بطيب، فقال: يا رسول الله كيف ترى فى رجل

---

(١) الجعرانة: تقع شمال مكة مع ميل إلى الشرق بتسعة وتسعين ميلا.

(٢) فيه تأويلان: أحدهما معناه لا تفقهه قلوبهم، ولا ينتفعون بما تلوا منه، ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والثانى لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة.

(٣) يخرجون من الدين خروج السهم إذا نفذ الصيد.

(٤) مسلم رقم (١٠٦٣).

(٥) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (٢٠٠).

(٦) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/٤٠٨).

(٧) الضمخ: لطخ الجسد بالطيب حتى كأنما يقطر.

أحرم بعمرة فى جبة بعد ما تضمخ بالطيب؟ فأشار عمر على يعلى بيده، أن تعال فجاء يعلى فإذا النبى ﷺ محمر الوجه، يغط(١) كذلك ساعة، ثم سرى عنه قال: **أين الذى سألنى عن العمرة آنفا؟** فالتمس الرجل فجيء به، فقال النبى ﷺ : **أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها، ثم ضع فى عمرتك كما تضع فى حجك**(٢).

وأما فى غزوة تبوك فقد تصدق بنصف ماله، وأشار على رسول الله بالدعاء للناس بالبركة عندما أصاب الناس مجاعة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما كان غزوة تبوك(٣)، أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا(٤)، فأكلنا وادَّهنَّا، فقال رسول الله ﷺ : **افعلوا**، فجاء عمر، فقال: يا رسول الله إن فعلت قلَّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل فى ذلك، فقال رسول الله ﷺ **«نعم»** قال: فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، ثم دعا ﷺ عليه بالبركة ثم قال: **خذوا فى أوعيتكم** فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاءً إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله : **أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة**(٥).

هذه بعض المواقف العمرية التى شاهدها مع رسول الله ﷺ ولا شك أن الفاروق قد استوعب الدروس والعبر التى حدثت فى غزوات رسول الله ﷺ وأصبحت له زادا انطلق به فى ترشيد وقيادة الناس بشرع الله تعالى.

ثانياً: من مواقفه فى المجتمع المدنى:

كان عمر شديد الحرص على ملازمة رسول الله ﷺ وكان رضى الله عنه إذا جلس إلى رسول الله لم يترك المجلس حتى ينفض، فهو واحد من الجمع القليل الذى لم يترك

(١) الغط: هو الصوت الذى يخرج من نفس النائم.

(٢) مسلم رقم (١١٨٠).

(٣) تبوك: موضع بين وادى القرى والشام.

(٤) النواضح من الإبل التى يسقى عليها الماء.

(٥) مسلم، ك الإيمان رقم (٢٧).

رسول الله ﷺ وهو يخطب حين قدمت عير إلى المدينة[1]، وكان يجلس في حلقات ودروس ومواعظ رسول الله نشطا يستوضح، ويستفهم، ويلقى الأسئلة بين يدى. رسول الله فى الشئون الخاصة والعامة[2]، ولذلك فقد روى عن النبى ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثا[3]، وفى رواية: خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثا[4]، اتفق الشيخان فى صحيحيهما على ستة وعشرين منها، وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين ومسلم بواحد وعشرين[5]، والبقية فى كتب الأحاديث الأخرى[6]، وقد وفقه الله إلى رواية أحاديث لها قيمتها الأولوية فى حقيقة الإيمان والإسلام والإحسان والقضاء والقدر، وفى العلم والذكر والدعاء وفى الطهارة والصلاة والجنائز، والزكاة والصدقات، والصيام، والحج، وفى النكاح والطلاق والنسب، والفرائض، والوصايا والاجتماع، وفى المعاملات والحدود، وفى اللباس والأطعمة والأشربة والذبائح، وفى الأخلاق والزهد والرقاق والمناقب والفتن والقيامة، وفى الخلافة والإمارة والقضاء، وقد أخذت هذه الأحاديث مكانها فى مختلف العلوم الإسلامية، ولا تزال رافدا يمد هذه العلوم[7]، وإليك بعض المواقف التعليمية والتربوية والاجتماعية من حياة الفاروق مع رسول الله ﷺ فى المدينة.

١- رسول الله ﷺ يسأل عمر عن السائل:

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: أخبرنى عمر بن الخطاب أنهم بينما هم جلوس - أو قعود - عند النبى ﷺ، جاءه رجل يمشى، حسن الوجه، حسن الشعر، عليه ثياب بياض، فنظر القوم بعضهم إلى بعض: ما نعرف هذا، وما هذا بصاحب سفر. ثم قال: يا رسول الله، آتيك؟ قال: نعم. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه، ويديه على فخذيه، فقال: ما الإسلام؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (١٥ / ٣٠٠) مسلم رقم (٨٦٣).

(٢) انظر: عمر بن الخطاب، د. على الخطيب ص (١٠٨).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص (١٣٣).

(٤) انظر: عمر بن الخطاب، د. على الخطيب ص (١٠٩).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١ / ٤٠).

(٦) عمر بن الخطاب د. على الخطيب ص (١٠٩).

(٧) المصدر نفسه ص (١١٢).

الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، قال: فما الإيمان؟ قال :أن تؤمن بالله وملائكته، والجنة والنار، والبعث بعد الموت، والقدر كله . قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعمل لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال: فمتى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فما أشراطها؟ قال إذا العراة الحفاة العالة رعاء الشاء تطاولوا فى البنيان، وولدت الإماء أربابهن [١]. قال: ثم قالعليّ الرجل ، فطلبوه فلم يروا شيئا، فمكث يومين أو ثلاثة، ثم قال يا ابن الخطاب أتدرى من السائل عن كذا وكذا؟ قال: الله ورسوله أعلمقال: ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم [٢].

وهذا الحديث يبين أن الفاروق تعلم معانى الإسلام والإيمان والإحسان بطريقة السؤال والجواب من أفضل الملائكة وأفضل الرسل.

٢- إصابة رأيه رأى رسول الله ﷺ :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا قعودا حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر، فى نفر. فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فابطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا، فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغى رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطا(٣) للأنصار لبنى النجار، فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد، فإذا ربيع(٤) يدخل فى جوف حائط من بئر خارجة فاحتفزت(٥) كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال أبو هريرة؟ فقلت: نعم يا رسول الله قال ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا، فقمت فابطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا، فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائى. فقال: يا أبا هريرة — وأعطانى نعليه -اذهب بنعلى هاتين فمن لقيته من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة . وكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثنى بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثديىّ،

---

(١) فى طبعة الشيخ احمد شاكر: رباتهن.

(٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند احمد رقم (١٨٤).

(٣) الحائط: البستان.

(٤) الربيع: الساقية أو الجدول.

(٥) فاحتفزت: تضاممت ليسعنى المدخل.

فخررت لاستى، فقال: ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً وركبنى(١) عمر. فإذا هو على أثرى فقال لى رسول الله ﷺ :**مالك يا أبا هريرة؟** قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى(٢) به فضرب بين ثدييَّ ضربة فخررت لاستى، قال: ارجع فقال رسول الله ﷺ **ياعمر ما حملك على ما فعلت؟** فقال: يا رسول الله، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا به قلبه بشره بالجنة؟ قال: **نعم** . قال: فلا تفعل؛ فإنى أخاف أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون. فقال رسول الله ﷺ **فخلهم** (٣).

٣- حرص رسول الله ﷺ على توحيد مصدر تلقى الصحابة:

عن جابر بن عبدالله أن النبى ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال: **أمتهوكون فيها (٤) يا ابن الخطاب؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى** وفى رواية **أن لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم** (٥).

٤- رسول الله ﷺ يتحدث عن بدء الخلق:

عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر رضى الله عنه يقول قام فينا النبى ﷺ مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه(٦). وهذا الحديث يدخل ضمن فقه القدوم على الله الذى فهمه عمر من رسول الله .

٥- نهى رسول الله ﷺ عن الحلف بالآباء وحثه على التوكل على الله:

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله يقول **إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم** . قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ

---

(١) ركبنى عمر: تبعنى وجاء على أثرى.
(٢) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين (١/٢٥٨).
(٣) مسلم، ك الإيمان رقم (٣١).
(٤) أمتهوكون: التهوك كالتهور، وقوع فى الأمر بغير رؤية - رواه أحمد (١٤٧٣٦).
(٥) الفتاوى (٢٣٢/١١)، مسند أحمد (٣٨٧/٣) عن جابر.
(٦) البخارى، ك بدء الخلق رقم (٣١٩٢).

سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها، ولا تكلمت بها ذاكرا ولا آثرا(١)، وسمع عمر رضى الله عنه نبى الله يقول: لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا(٢).

٦- رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيًا ورسولاً:

عن أبى موسى قال: سئل النبى ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أُكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلونى عما شئتم، قال رجل: من أبى؟ قال: أبوك حذافة، فقام آخر، فقال: من أبى؟ قال: أبوك سالم مولى شيبة(٣)، فلما رأى عمر ما فى وجهه، قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل(٤)، وفى رواية: فبرك عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا، فسكت(٥).

٧- لا ونعمة عين بل للناس عامة:

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: امرأة جاءت تبايعه فادخلتها الدولج(٦) فاصبت منها ما دون الجماع؟ فقال: ويحك لعلها مغيبة(٧) فى سبيل الله؟ ونزل القرآن: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. إلى آخر الآية فقال: يا رسول الله إلىَّ خاصة أم للناس عامة، فضرب عمر صدره بيده، فقال: لا، ولا نعمة عين بل للناس عامة، فقال رسول الله ﷺ: صدق عمر(٨).

٨- حكم العائد فى صدقته:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: حملت على فرس فى سبيل الله، فاضاعه

---

(١) إسناده صحيح على شرط البخارى، مسند أحمد رقم (١١٢) الموسوعة الحديثية.

(٢) إسناده قوى، مسند أحمد رقم (٢٠٥) الموسوعة الحديثية.

(٣) سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة صحابى، محض الصواب (٢/ ٧٠٠).

(٤) البخارى، رقم (٩٢)، مسلم رقم (٢٣٦٠).

(٥) البخارى، رقم (٩٣)، مسلم (٢٣٥٩).

(٦) الدولج: المخدع، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير.

(٧) المغيبة: التى غاب عنها زوجها.

(٨) مسند أحمد (٤١/٤) رقم (٢٢٠٦) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

صاحبه، فأردت أن أبتاعه وظننت أنه بائعه برخص، فقلت: حتى أسأل رسول الله ﷺ فقال: **لا تبتعه، وإن أعطاكه بدرهم، فإن الذى يعود فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه**(١).

٩- من صدقاته ووقفه:

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر تصدق بمال له على عهد رسول الله ﷺ وكان يقال له: ثمغ، وكان به نخل، فقال عمر: يا رسول الله إنى استفدت مالا، وهو عندى نفيس، فأردت أن أتصدق به،فقال النبى ﷺ: **تصدق بأصله، لا يباع ولا يوهب، ولا يورث، ولكن ينفق ثمره**. فتصدق به عمر، فصدقته تلك فى سبيل الله، وفى الرقاب، والمساكين، والضيف وابن السبيل، ولذوى القربى، ولا جناح على من وليه أن يأكل بالمعروف، أو يؤكل صديقه غير متمول به(٢)، وفى رواية: أصاب عمر بخيبر أرضا، فأتى النبى ﷺ فقال: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه، كيف تأمرنى به؟ قال: **إن شئت حبست أصلها و تصدقت بها**، فتصدق عمر: أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، فى الفقراء وذوى القربى، والرقاب، وفى سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقا غير متمول فيه(٣)، فهذا الموقف العمرى فيه فضيلة ظاهرة للفاروق رضى الله عنه ورغبته فى المسارعة للخيرات، وإيثاره الحياة الآخرة على الحياة الفانية.

١٠- هدية نبوية لعمر بن الخطاب وأخرى لابنه:

عن ابن عمر قال: رأى عمر على رجل حلة من استبرق، فأتى بها إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله اشتر هذه فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك. قال: **إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة**. فمضى من ذلك ما مضى، ثم إن النبى ﷺ بعث إليه بحلة، فأتى بها النبى ﷺ فقال: بعثت إلىَّ بهذه، وقد قلت فى مثلها أو قال فى حلة عطار(٤) ما قلت؟ قال: **إنما بعثت بها إليك لتصيب بها مالاً**(٥)وفى رواية:

---

(١) إسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند أحمد رقم (٢٨١).

(٢، ٣) البخارى، ك الوصايا رقم (٢٧٧٣) رواية أخرى.

(٤) التميمى الدرامى.

(٥) مسلم، رقم (٢٠٦٨).

... فكساها عمر أخًا له بمكة قبل أن يسلم(١)، وأما هدية النبى ﷺ لابن عمر، فعن عبدالله بن عمر قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، فكنت على بكر صعب(٢) لعمر، فكان يغلبنى فيتقدم أمام القوم، فيزجره عمر ويرده، فقال النبى ﷺ لعمر: **بعنيه**. قال: هو لك يا رسول الله، قال: **بعنيه**: فباعه من رسول الله فقال النبى ﷺ: **هو لك يا عبدالله ابن عمر تصنع به ما شئت**(٣).

١١- تشجيعه لابنه وبشرى لابن مسعود:

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهى مثل المسلم، حدِّثونى ما هى؟** فوقع الناس فى شجر البادية، ووقع فى نفسى أنها النخلة، قال عبدالله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: **هى النخلة**. قال عبدالله: فحدثت أبى بماوقع فى نفسى، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون لى كذا وكذا(٤). وأما بشرى عمر لابن مسعود، فقد روى عمر رضى الله عنه أنه سمر فى بيت أبى بكر مع رسول الله فى أمور المسلمين، فخرج رسول الله، وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلِّى فى المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فلما كدنا أن نعرفه، قال رسول الله ﷺ: **من سره أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**. قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله يقول له: **سل تعطه، سل تعطه**. قال عمر: قلت: والله لأغدون إليه فلأبشرنه، قال: فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقنى إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقنى إليه(٥).

١٢- حذره من الابتداع:

عن المسور بن مخرمة(٦)، وعبدالرحمن بن عبدالقارى أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان، فى حياة رسول الله ﷺ

---

(١) البخارى، رقم (٨٨٦).

(٢) صعب: غيرمنقاد ولا ذلول.

(٣) البخارى، ك البيوع، رقم (٢١١٥).

(٤) البخارى، ك العلم رقم (١٣١).

(٥) إسناده صحيح، مسند أحمد رقم (١٧٥) الموسوعة الحديثية.

(٦) الزهرى له ولأبيه صحبة توفى سنة ٦٤هـ.

فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أُساوره[1] في الصلاة، فانتظرته حتى سلم ، فلببته[2]، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ أقوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنك أقرأتني سورة الفرقان، فقال: **يا هشام اقرأها**. فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله: **هكذا أنزلت**، ثم قال: **اقرأ يا عمر**، فقرأتها التي أقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: **هكذا أنزلت**. ثم قال رسول الله ﷺ: **إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه**[3].

١٣- خذ ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل:

عن عبدالله بن عمر قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قد كان رسول الله يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقرَ إليه مني حتى أعطاني مرة مالاً، فقلت: أعطه أفقر إليه مني. فقال رسول الله ﷺ: **خذه، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه، وما لا، فلا تتبعه نفسك**[4].

١٤- دعاء رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه:

رأى النبي ﷺ على عمر ثوبًا وفي رواية قميصًا أبيض فقال: **أجديد ثوبك أم غسيل؟** فقال: بل غسيل، فقال: **البس جديداً ، وعش حميداً ، ومُت شهيداً**[5].

١٥- لقد علمت حين مشي فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها:

عن جابر بن عبدالله: أنا أباه تُوُفِّي وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه، فجاء رسول الله ﷺ وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النخل

---

(١) ساوره: مساورة وسوارا: واثبه.

(٢) لببه تلبيبا: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة.

(٣) البخاري، ك فضائل القرآن، رقم (٥٠٤١)، مسلم رقم (٨١٨).

(٤) مسلم، ك الزكاة رقم (١٠٤٥).

(٥) حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٢)، وهو في الصحيح الجامع (١٢٣٤).

فمشى فيها ثم قال لجابر: جُدّ له، فأوف له الذى له، فجده بعدما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقًا(١)، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذى كان، فوجده يصلى العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل، فقال: أخبر بذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر فأخبره فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ليباركن فيها(٢).

١٦- زواج حفصة بنت عمر رضى الله عنهما من رسول الله ﷺ:

قال عمر رضى الله عنه: حين تأيمت(٣) حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمى، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى بالمدنية، فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر فى أمرى، فلبثت ليالّى، ثم لقينى فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضى الله عنه فلم يرجع إلىّ شيئًا، وكنت عليه أوجد منى على عثمان، فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علىّ حين عرضت علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر: قلت نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىّ إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشى سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها(٤).

ثالثًا: موقف عمر رضى الله عنه من خلاف رسول الله ﷺ مع أزواجه:

عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ، اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] حتى حجَّ عمر وحججت معه، فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة، فتبرز ثم أتانى، فسكبت على يديه فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبى ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس؛ قال الزهرى: كره، والله ما سأله

(١) الوسق: ستون صاعًا.

(٢) البخارى، ك الاستقراض رقم (٢٣٩٦).

(٣) تأيمت: مات عنها زوجها.

(٤) البخارى، ك النكاح، رقم (٥١٢٢)، عمر بن الخطاب، محمد رشيد ص (٢٣).

عنه ولم يكتمه عنه – قال هى حفصة وعائشة. قال: ثم أخذ يسوق الحديث، قال: كنا معشرقريش قوما نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، قال: وكان منزلى فى بنى أمية بن زيد بالعوالى، قال: فتغضبت [١] يوما على امرأتى، فإذا هى تراجعنى، فأنكرت أن تراجعنى، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت ، فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هى قد هلكت؟ لا تراجعى رسول الله ولا تسأليه شيئا، وسلينى ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسم وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك – يريد عائشة– : قال: وكان لى جار من الأنصار، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ، فينزل يوما، وأنزل يوما ، فيأتينى بخبر الوحى وغيره، وآتيه بمثل ذلك، قال: وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبى يوما، ثم أتانى عشاءً فضرب بابى، ثم نادانى فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم فقلت: وماذا، أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول، طلق الرسول نساءه. فقلت: قد خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كائنا. حتى إذا صليت الصبح شددت علىَّ ثيابى، ثم نزلت فدخلت على حفصة وهى تبكى، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدرى هو هذا معتزل فى هذه المشربة، فأتيت غلاما له أسود، فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إلىَّ، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر، فإذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم، فجلست قليلاً، ثم غلبنى ما أجد ، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلىَّ، فقال: قد ذكرتك له فصمت فخرجت، فجلست إلى المنبر، ثم غلبنى ما أجد، فأتيت الغلام، فقلت: أستأذن لعمر، فدخل ثم خرج إلىّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، فوليت مدبرا، فإذا الغلام يدعونى، فقال: ادخل، فقد أذن لك. فدخلت، فسلمت على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إلىَّ وقال؟ لا. فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا

---

(١) أى: فغضبت.

معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فتغضبت على امرأتى يوما فإذا هى تراجعنى، فأنكرت أن تراجعنى، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر، أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هى قد هلكت؟ فتبسم رسول الله ﷺ ، فقلت. يا رسول الله، فدخلت على حفصة، فقلت: لا يغرك أن كانت جارتك هى أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى، فقلت: أستأنسُ يا رسول الله ؟ قال: **نعم** . فجلست، فرفعت رأسى فى البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر إلا أهبة[1] ثلاثة، فقلت: ادع يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالسا، ثم قال: **أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا** ، فقلت: استغفر لى يا رسول الله. وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل[2].

هذا ما تيسر جمعه وترتيبه من حياة الفاروق فى المجتمع المدنى، ولقد نال عمر رضى الله عنه أوسمة رفيعة من رسول الله ﷺ، بينت فضله، ودينه، وعلمه، رضى الله عنه وسنتحدث عنها بإذن الله.

رابعا: شىء من فضائله ومناقبه:

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يلى أبا بكر الصديق فى الفضل، فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين وأبى بكر، وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده فى أفضليته رضى الله عنه، وهو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة[3]، وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق رضى الله عنه ومنها:

١ - إيمانه وعلمه ودينه:

فقد جاء فى منزلة إيمانه رضى الله عنه ما رواه عبدالله بن هشام أنه قال: كنا مع

(١) أهبة: الجلود قبل الدبغ.

(٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين مسند أحمد رقم (٢٢٢) الموسوعة الحديثية.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام، د. ناصر بن على عائض حسن الشيخ (١/ ٢٤٣).

النبى ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسى، فقال النبى ﷺ: **لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك** فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسى. فقال النبى ﷺ: **الآن يا عمر** (١)، وأما علمه فقد قال رسول الله ﷺ: **بينا أنا نائم شربت - يعنى اللبن - حتى أنظر إلى الرى يجرى فى ظفرى أو فى أظفارى، ثم ناولت عمر**. فقالوا: فما أولته قال: **العلم** (٢)، وجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم فى كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح، فاللبن للغذاء البدنى والعلم للغذاء المعنوى. وفى الحديث فضيلة ومنقبة لعمر - رضى الله عنه - وإن الرؤيا من شأنها أن لا تحمل على ظاهرها، وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحى، لكن منها ما يحتاج إلى تعبير، ومنها ما يحمل على ظاهره.. والمراد بالعلم - فى الحديث - سياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبى بكر، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان، فإن مدة أبى بكر كانت قصيرة فلم تكثر فيها الفتوح التى هى أعظم الأسباب فى الاختلاف، ومع ذلك فساس عمر فيها مع طول مدته الناس بحيث لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعًا فى خلافة عثمان، فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ولم يتفق له ما اتفق لعمر فى طواعية الخلق له، فنشأت من ثم الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله، واستخلف علىٌّ فما ازداد الأمر إلا اختلافًا والفتن إلا انتشاراً. وأما دينه، فقد قال رسول الله ﷺ: **بينا أنا نائم، رأيت الناس يعرضون وعليهم قُمُصٌ منها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**، قالوا: ماذا أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: **الدِّين** (٣).

٢ - هيبة عمر وخوف الشيطان منه:

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: أستأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يُكَلِّمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر

---

(١) الصحيح المسند فى فضائل الصحابة (٦٦).

(٢) البخارى ك المناقب رقم (٣٦٨١)، مسلم رقم (٢٣٩١).

(٣) مسلم رقم (٢٣٩٠).

ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر أضحك الله سنَّك يا رسول الله، فقال النبى ﷺ : عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندىَ فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول اللهَ ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إيها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا[١] قط إلا سلك فجا غير فجك[٢]. هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضى الله عنه وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلا ينفذ إليه[٣].

قال ابن حجر: فيه فضيلة لعمر تقتضى أن الشيطان لا سبيل له عليه لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة، إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له، بحسب ما تصل إليه قدرته، فإن قيل: عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة، لأنه إذا منع من السلوك فى طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له لأنها فى حق النبى واجبة وفى حق غيره ممكنة، ووقع فى حديث حفصة عند الطبرانى فى الأوسط بلفظ: إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا فر لوجهه، وهذا دال على صلابته فى الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض، وقال النووى: هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه؛ وقال عياض: يحتمل أن يكون ذلك على سبيل ضرب المثل وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان. قال ابن حجر: والأول أولى[٤].

٣ - ملهم هذه الأمة:

قال رسول الله ﷺ : **لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، فإن يك فى أمتى أحد، فإنه عمر**[٥] هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للفاروق رضى الله عنه، وقد اختلف العلماء فى المراد بالمحدث، فقيل المراد بالمحدث: الملهم، وقيل: من يجرى الصواب على

---

(١) الفج: الطريق الواسع ويطلق على المكان المنخرق بين الجبلين.

(٢) البخارى رقم (٣٦٨٣)، مسلم (٢٣٩٦).

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة (١/٣٤٨).

(٤) فتح البارى (٧/٤٧، ٤٨)، شرح النووى (١٥/١٦٥ - ١٦٧).

(٥) البخارى رقم ٣٦٨٩، مسلم رقم (٢٣٩٨).

لسانه من غير قصد، وقيل: مكلم أى: تكلمه الملائكة بغير نبوة.. بمعنى أنها تكلمه فى نفسه وإن لم ير مكلما فى الحقيقة فيرجع إلى الإلهام. وفسره بعضهم بالتفرس(١).

قال ابن حجر: والسبب فى تخصيص عمر بالذكر، لكثرة ما وقع له فى زمن النبى ﷺ من الموافقات التى نزل القرآن مطابقا لها، ووقع له بعد النبى ﷺ عدة إصابات(٢) وكون عمر رضى الله عنه اختص بهذه المكرمة العظيمة وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا تدل على أنه أفضل من الصديق رضى الله عنه(٣)، قال ابن القيم: ولا تظن أن تخصيص عمر رضى الله عنه بهذا تفضيل له على أبى بكر الصديق، بل هذا من أقوى مناقب الصديق، فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدى الرسالة، استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره، فالذى يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذى يتلقاه عمر من التحديث، فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير(٤).

٤ - لم أر عبقريا يفرى فريه:

قال رسول الله ﷺ: **أريت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب(٥)، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له(٦)، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن(٧)**، وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضى الله عنه تضمنها قوله ﷺ: **فجاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا..** الحديث ومعنى، «استحالت» صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر. وأما «العبقرى» فهو السيد وقيل: الذى ليس فوقه شىء، ومعنى «ضرب الناس بعطن» أى: أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها، وهو الموضع الذى تساق إليه بعد السقى لتستريح، وهذا المنام الذى رآه النبى ﷺ مثال واضح لما جرى للصديق وعمر رضى الله عنهما فى

---

(١) فتح البارى (٧/ ٥٠)، شرح النووى (١٥/ ١٦٦).

(٢) فتح البارى (٧/ ٥١).

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة (١/ ٢٥١).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٥).

(٥) القليب: البئر غير المطوية.

(٦) والله يغفر له: هذه عبارة ليس فيها تنقيص لأبى بكر وإنما كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم.

(٧) البخارى رقم (٣٦٨٢) مسلم رقم (٢٣٩٣).

خلافتهما، وحسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، فقد حصل فى خلافة الصديق قتال أهل الردة وقطع دابرهم، واتساع الإسلام رغم قصر مدة خلافته فقد كانت سنتين وأشهرا فوضع الله فيها البركة وحصل فيها من النفع الكثير، ولما توفى الصديق خلفه الفاروق فاتسعت رقعة الإسلام فى زمنه وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله فكثر انتفاع الناس فى خلافة عمر لطولها، فقد مصَّر الأمصار، ودوَّن الدواوين، وكثرت الفتوحات والغنائم.. ومعنى قوله ﷺ: «فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه»: أى لم أر سيدا يعمل عمله، ويقطع قطعه. ومعنى قوله ﷺ: «حتى ضرب الناس بعطن»، قال القاضى عياض: ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة، وقيل: يعود إلى خلافة أبى بكر وعمر جميعا، لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر، «وضرب الناس بعطن»، لأن أبا بكر قمع أهل الردة، وجمع شمل المسلمين، وألفهم وابتدأ الفتوح، ومهد الأمور، وتمت ثمرات ذلك وتكاملت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما[١].

٥ - غَيرة عمر رضى الله عنه وبشرى رسول الله ﷺ له بقصر فى الجنة:

قال رسول الله ﷺ: **رأيتنى دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء أمرأة أبى طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمرَ فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار؟**[٢]، وفى رواية قال رسول الله ﷺ: **بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبرا، فبكي عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله**[٣]؟

هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث أخبر النبى ﷺ برؤيته قصرا فى الجنة للفاروق وهذا يدل على منزلته عند الله تعالى[٤].

---

(١) شرح النووى (١٥/ ١٦١، ١٦٢).

(٢) البخارى برقم (٦٦٢٠)، (٣٦٧٩)، (٥٢٢٦)، (٧٠٢٤) مسلم رقم (٢٣٩٤).

(٣) البخارى رقم: (٣٦٨٠)، مسلم رقم (٢٣٩٥).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة (١/ ٢٤٥).

٦ - أحب أصحاب رسول الله ﷺ إليه بعد أبى بكر :

قال عمرو بن العاص رضى الله عنه : قلت : يا رسول الله أى الناس أحب إليك؟ قال : عائشة ، قلت : يا رسول الله، من الرجال؟ قال : أبوها ، قلت : ثم من؟ قال : عمر بن الخطاب ثم عد رجالا[١].

٧ - بشرى لعمر بالجنة :

عن أبى موسى الأشعرى قال : كنت مع النبى ﷺ فى حائط من حيطان المدينة ، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبى ﷺ : **افتح له وبشره بالجنة** ، ففتحت له ، فإذا أبو بكر ، فبشرته بما قال النبى ﷺ ، فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح ، فقال النبى ﷺ : **افتح له وبشره بالجنة** ، ففتحت له فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبى ﷺ فحمد الله ، ثم استفتح رجل ، فقال لى : **افتح له وبشره بالجنة ، على بلوى تصيبه** فإذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ، ثم قال : الله المستعان[٢].

خامساً : موقف عمر فى مرض رسول الله ﷺ ووفاته :

١ - فى مرض رسول الله ﷺ :

قال عبدالله بن زمعة : لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده فى نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال ﷺ : **«مروا من يصلى للناس»** ، قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : يا عمر قم فصلِّ بالناس ، فتقدم فكبر ، فلما سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلا مجهرا ، قال : **فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون** قال : فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس ، قال : قال عبدالله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك!! ماذا صنعت بى يا ابن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله أمر بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس ، قال : قلت : والله ما أمرنى رسول الله ﷺ بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس[٣]، وقد روى ابن عباس بأنه : لما اشتد

---

(١) الإحسان فى صحيح ابن حبان (١٥/٢٠٩) ، الحديث فى مسلم برقم (٢٣٨٤) ، والبخارى باب غزوة ذات السلاسل برقم (٤٣٥٨).

(٢) البخارى ، ك الصحابة رقم (٣٦٩٣).

(٣) حديث إسناده صحيح أخرجه أبو داود رقم (٤٦٦٠).

بالنبى ﷺ وجعه قال: **ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده**، قال عمر رضى الله عنه: إن النبى ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا! فاختلفوا وكثر اللغط قال: **قوموا عنى، ولا ينبغى عندى التنازع**، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه(١)، وقد تكلم العلماء على هذا الحديث بما يشفى العليل ويروى الغليل، وقد أطال النفس فى الكلام عليه النووى فى شرح مسلم فقال: اعلم أن النبى ﷺ معصوم من الكذب، ومن تغيير شىء من الأحكام الشرعية فى حال صحته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه، وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوما من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها، مما لا نقص فيه لمنزلته، ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه ﷺ وفى هذا الحال كلام فى الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التى قررها، فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء فى الكتاب الذى هم النبى ﷺ به، فقيل: أراد أن ينص على الخلافة فى إنسان معين لئلا يقع نزاع وفتن، وقيل: أراد كتابا يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها، ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه، وكان النبى ﷺ هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحى إليه بذلك، ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أوحى إليه بذلك، ونسخ ذلك الأمر الأول، وأما كلام عمر رضى الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون فى شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله، ودقيق نظره، لأنه خشى أن يكتب ﷺ أمورا ربما عجزوا عنها، واستحقوا العقوبة عليها، لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها، فقال عمر: حسبنا كتاب الله، لقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فعلم أن الله تعالى أكمل دينه، فأمن الضلال على الأمة، وأراد الترفيه على رسول الله ﷺ، فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه، قال البيهقى: ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله ﷺ، أو ظن به غير ذلك مما لا يليق به بحال، لكنه لما رأى ما غلب على رسول الله ﷺ من الوجع، وقرب الوفاة، مع ما اعتراه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه، فيجد المنافقون بذلك سبيلا إلى الكلام فى الدين، وقد كان أصحابه ﷺ يراجعونه فى بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحتيم، كما راجعوه يوم

(١) البخارى، ك العلم رقم (١١٤). مسلم ك الوصية رقم (١٦٣٧)

الحديبية فى الخلاف، وفى كتاب الصلح بينه وبين قريش، فأما إذا أمر النبى ﷺ بالشىء أمر عزيمة فلا يراجعه فيه أحد منهم[١] ، وقول عمر رضى الله عنه: حسبنا كتاب الله، ردا على ما نازعه، لا على من أمر النبى ﷺ[٢]، وعلق الشيخ على الطنطاوى على ذلك فقال: والذى أراه أن عمر قد تعود خلال صحبته الطويلة للرسول أن يبدى له رأيه لما يعلم من إذنه له بذلك ولرضاه عنه، وقد مر من أخبار صحبته، مواقف كثيرة كان يقترح فيها على رسول الله ﷺ أمورا، ويطلب منه أمورا، ويسأله عن أمور، فكان الرسول ﷺ يقره على ما فيه الصواب، ويرده عن الخطأ، فلما قال الرسول ﷺ: **ائتونى أكتب لكم كتابا**، اقترح عليه عمر على عادته التى عوده الرسول ﷺ، أن يكتفى بكتاب الله، فأقره الرسول ﷺ، ولو كان يريد الكتابة، لأسكت عمر، ولأمضى ما يريد[٣].

٢ - موقفه يوم قُبض الرسول ﷺ:

لما بلغ الناس خبر وفاة رسول الله ﷺ حدثت ضجة كبيرة، فقد كان موت الرسول ﷺ صدمة لكثير من المسلمين، خاصة ابن الخطاب، حدثنا عن ذلك الصحابى الجليل أبو هريرة - رضى الله عنه - حيث قال: لما توفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى، وإن رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ قد مات[٤]، وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله ﷺ فى بيت عائشة رضى الله عنها، ورسول الله ﷺ مسجى فى ناحية البيت، عليه بردة حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ثم أكب عليه فقبَّله، ثم بكى فقال: بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا، قال: ثم رد البردة على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال:

على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت، أقبل

(١) صحيح السيرة النبوية ص (٧٥٠) نقلا عن شرح مسلم (١١/٩٠).

(٢) شرح النووى (١١/٩٠)، فصل الخطاب فى مواقف الأصحاب للغرسى ص (٤١).

(٣) أخبار عمر ص(٤٦).

(٤) السيرة النبوية لابن أبى شهبة (٢/٥٩٤).

على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس: إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران – ١٤٤].

قال أبو هريرة: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت، حتى تلاها أبو بكر يومئذ، قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم، قال: فقال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله قد مات(١).

*****

(١) البخاري، ك الجنائز، رقم (١٢٤٢).

المبحث الثالث

عمر رضى الله عنه فى خلافة الصديق

أولاً: مقامه فى سقيفة بنى ساعدة ومبايعته الصديق:

عقب وفاة النبى ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت كلاماً قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت، وأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس(1)، فرضى الله عن عمر وأرضاه، فإنه عندما ارتفعت الأصوات فى السقيفة وكثر اللغط، وخشى عمر الاختلاف، ومن أخطر الأمور التى خشيها عمر أن يبدأ بالبيعة لأحد الأنصار فتحدث الفتنة العظيمة؛ لأنه ليس من اليسير أن يبايع أحد بعد البدء بالبيعة لأحد الأنصار، فأسرع عمر رضى الله عنه إخماداً للفتنة(2)، وقال للأنصار: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر(3)، ثم بادر رضى الله عنه وقال لأبى بكر: ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، وبايعه المهاجرون، ثم الأنصار(4).

وعندما كان يوم الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها فى كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إلىَّ رسول الله ﷺ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد

---

(1) البخارى، ك فضائل الصحابة، رقم (3668).

(2) الحكمة فى الدعوة إلى الله، سعيد القحطانى ص (226).

(3) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (1/ 280).

(4) البخارى، ك فضائل الصحابة، رقم (3668).

أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوا، فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة[١]، فكان عمر رضى الله عنه يذود ويقوى، ويشجع الناس على بيعة أبى بكر حتى جمعهم الله عليه، وأنقذهم الله من الاختلاف والفرقة والفتنة، فهذا الموقف الذى وقفه عمر مع الناس من أجل جمعهم على إمامة أبى بكر، موقف عظيم من أعظم مواقف الحكمة التى ينبغى أن تسجل بماء الذهب[٢].

لقد خشى أن يتفرق أمر المسلمين وتشب نار الفتن فأخمدها بالمبادرة إلى مبايعة أبى بكر، وتشجيع الناس على المبايعة العامة فكان عمله هذا سببًا لنجاة المسلمين من أكبر كارثة كانت تحل بهم، لولا يمن نقيبته وصحة نظره بعد معونة الله تعالى[٣].

ثانيًا: مراجعته لأبى بكر فى محاربة مانعى الزكاة وإرسال جيش أسامة:

قال أبو هريرة رضى الله عنه: لما توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»**. قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عناقًا[٤]، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله - عز وجل - قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق[٥]، وعندما اقترح بعض الصحابة على أبى بكر بأن يبقى جيش أسامة حتى تهدأ الأمور أرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلى أبى بكر يستأذنه أن يرجع بالناس وقال: إن معى وجوه المسلمين وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وحرم رسول الله، والمسلمين أن

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٠٥، ٣٠٦) إسناده صحيح.
(٢) الحكمة فى الدعوة إلى الله ص (٢٢٧).
(٣) الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار ص (١٢٣).
(٤) العناق: هى الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة.
(٥) البخارى، ك استتابة المرتدين والمعاندين رقم (٦٩٢٥).

يتخطفهم المشركون(١)، ولكن أبا بكر خالف ذلك وأصرّ على أن تستمر الحملة العسكرية فى تحركها إلى الشام مهما كانت الظروف والأحوال والنتائج، وطلبت الأنصار رجلاً أقدم سنًا من أسامة يتولى أمر الجيش وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق فى ذلك فقال عمر رضى الله عنه: فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سنًا من أسامة رضى الله عنه فوثب أبو بكر رضى الله عنه وكان جالسًا وأخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله وتأمرنى أن أعزله(٢)، فخرج عمر رضى الله عنه إلى الناس فقولوا: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت فى سببكم من خليفة رسول الله(٣).

ثالثًا: عمر ورجوع معاذ من اليمن، وفراسة صادقة فى أبى مسلم الخولانى، ورأيه فى تعيين إبان بن سعيد على البحرين:

١ - عمر ورجوع معاذ من اليمن:

مكث معاذ بن جبل باليمن فى حياة رسول الله ﷺ، وكان له جهاده الدعوى وكذلك ضد المرتدين، وبعد وفاة رسول الله ﷺ قدم إلى المدينة، فقال عمر رضى الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه: أرسل إلى هذا الرجل فدع له ما يعيشه وخذ سائره منه. فقال أبو بكر: إنما بعثه النبى ﷺ ليجبره ولست بآخذ منه شيئًا إلا أن يعطينى، ورأى عمر أن أبا بكر رضى الله عنهما لم يأخذ برأيه، ولكن عمر مقتنع بصواب رأيه، فذهب إلى معاذ لعله يرضى، فقال معاذ: إنما بعثنى رسول الله ﷺ ليجبرنى ولست بفاعل، إن عمر لم يذهب إلى أبى بكر مستعديًا، ولكنه كان يريد الخير لمعاذ وللمسلمين، وها هو معاذ يرفض نصيحة عمر ويعلم عمر أنه ليس بصاحب سلطان على معاذ فينصرف راضيًا، لأنه قام بواجبه من النصيحة، ولكن معاذاً رأى بعد رفضه نصيحة عمر ما جعله يذهب إليه قائلاً: قد أطعتك، وإنى فاعل ما أمرتنى به، فإنى رأيت فى المنام أنى فى خوضة ماء قد خشيت الغرق فخلصتنى منه يا عمر، ثم ذهب معاذ إلى أبى بكر رضى الله عنهما فذكر ذلك كله له، وحلفه أنه لا يكتمه شيئًا، فقال أبو بكر رضى الله عنه: أنا

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٦).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٦).

(٣) نفس المصدر السابق.

لا آخذ شيئًا وقد وهبته لك. فقال عمر رضى الله عنه: هذا حين حل وطاب[1]، وقد جاء فى رواية: أن أبا بكر قال لمعاذ: ارفع حسابك فقال معاذ: أحسابان حساب الله وحساب منكم؟ والله لا ألى لكم عملاً أبدًا[2].

٢ - فراسة صادقة فى أبى مسلم الخولانى:

كان عمر رضى الله عنه يتمتع بفراسة يندر وجودها فى هذه الحياة، فقد روى الذهبى أن الأسود العنسى تنبأ باليمن - ادعى النبوة - فبعث إلى أبى مسلم الخولانى، فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره.. فقيل للأسود: إن لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة، فأناخ راحلته، ودخل المسجد يصلى، فبصر به عمر رضى الله عنه فقام إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن قال: وما فعل الذى حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثُوَب. قال: نشدتك بالله، أنت هو؟ قال: اللهم نعم. فاعتنقه عمر، وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق، فقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ من صُنع به كما صُنع بإبراهيم الخليل[3].

٣ - رأيه فى تعيين إبان بن سعيد على البحرين:

انتهج أبو بكر رضى الله عنه خط الشورى فى تعيين الأمراء، فقد ورد أنه شاور أصحابه فيمن يبعث إلى البحرين، فقال له عثمان: ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله، فقدم عليه[4] بإسلامهم وطاعتهم، وقد عرفوه وعرفهم، وعرف بلادهم يعنى العلاء بن الحضرمى، فأبى ذلك عمر عليه، وقال: أكره إبان بن سعيد بن العاص، فإنه رجل قد حالفهم، فأبى أبو بكر أن يكرهه وقال: لا أكره رجلاً يقول: لا أعمل لأحد بعد رسول الله وأجمع أبو بكر بعثة العلاء بن الحضرمى إلى البحرين[5].

رابعًا: رأى عمر فى عدم قبول دية قتلى المسلمين، واعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن:

١ - رأى عمر فى عدم قبول دية قتلى المسلمين فى حروب الردة:

جاء وفد بزاخة من أسد وغطفان إلى أبى بكر يسألونه الصلح، فخيرهم بين الحرب

---

(١) شهيد المحراب ص (٦٩) نقلاً عن الاستيعاب (٣/٣٣٨).

(٢) عيون الأخبار (١/١٢٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٨، ٩)، أصحاب الرسول (١/١٣٧).

(٤) كنز العمال (٥/٦٢٠) رقم (١٤٠٩٣).

(٥) القيود الواردة على سلطة الدولة، عبد الله الكيلانى ص (١٦٩).

المجلية والسلم المخزية، فقالوا: هذه المجلية قد عرفناها فما المخزية؟ قال: تنزع منكم الحلقة والكراع، ونغنم ما أصبنا منكم وتردون علينا ما أصبتم منا، وتدون قتلانا وتكون قتلاكم فى النار، وتتركون أقوامًا يتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة رسوله ﷺ والمهاجرين أمرًا يعذرونكم به، فعرض أبو بكر ما قال على القوم، فقام عمر بن الخطاب، فقال: قد رأيت رأيًا سنشير عليك، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فنعم ما ذكرت، وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا فنعم ما ذكرت، وأما ما ذكرت تدون قتلانا وتكون قتلاكم فى النار، فإن قتلانا قاتلت فقتلت على أمر الله، أجورها على الله ليس لها ديات. فتبايع القوم على ما قال عمر[١].

٢ - اعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس وعيينة بن حصن:

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر - رضى الله عنه - فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضًا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها أو نزرعها، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون فيما قالا، إن كانت أرضًا سبخة لا ينتفع بها؟ قالوا: نرى أن تقطعهما إياها، لعل الله ينفع بها بعد اليوم. فأقطعهما إياها، وكتب لهما بذلك كتابًا، وأشهد عمر، وليس فى القوم، فانطلقا إلى عمر يشهدانه، فوجداه قائمًا يهنأ[٢] بعيرًا له، فقالا: إن أبا بكر أشهدك على ما فى الكتاب فنقرأ عليك أو تقرأ؟ فقال: أنا على الحال الذى تريان، فإن شئتما فاقرءا وإن شئتما فانظرا حتى أفرغ، فأقرأ عليكما قالا: بل نقرأ فقرءا فلما سمع ما فى الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه فمحاه، فتذمرا، وقالا مقالة سيئة، فقال: إن رسول الله كان يتألفكما، والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله قد أعز الإسلام فاذهبا فأجهدا جهدكما، لا رعى الله عليكما إن رعيتما. فأقبلا إلى أبى بكر وهما يتذمران فقالا: والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: لا بل هو لو كان شاء. فجاء عمر - وهو مغضب - فوقف على أبى بكر فقال: أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين أرض هى لك خاصة أم للمسلمين عامة. قال: بل للمسلمين عامة. قال: فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء الذين حولى فأشاروا على بذلك. قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك، فكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضا. فقال

---

(١) اخبار عمر ص (٣٦٢) نقلاً عن الرياض النضرة، نيل الأوطار (٨/٢٢).

(٢) يهنا: الإبل يهنؤها: طلاها بالهناء، اى القطران.

أبو بكر رضى الله عنه: قد كنت قلت لك إنك على هذا أقوى منى، ولكن غلبتنى[١].

هذه الواقعة دليل لا يقبل الشك أن حكم الدولة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين كان يقوم على الشورى، فهى تظهر لنا خليفة رسول الله ﷺ، حريصًا على استشارة المسلمين فى الصغيرة والكبيرة، وماكان ليبرم أمرًا دون مشورة إخوانه[٢].

إن الخبر السالف الذكر يؤكد لنا أن خليفة رسول الله رضى الله عنه كان يمضى الشورى فى كل شأن من شئون المسلمين، بل وكان ينزل عن رأيه، وهو من هو رضى الله عنه، إنها صورة للشورى الحقيقية المنضبطة مع أوامر الله، مع الحلال والحرام، لا الشورى المزيفة التى تجرى تحت قباب مجالس دستورية لم تجن من ورائها الشعوب إلا المرارة والاستبداد والظلم والضياع[٣].

خامسًا: جمع القرآن الكريم:

كان من ضمن شهداء المسلمين فى حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضى الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بجمع القرآن حيث جمع من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال[٤]، وأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى الصحابى زيد بن ثابت الأنصارى، قال زيد بن ثابت رضى الله عنه: أرسل إلىّ أبو بكر رضى الله عنه مقتل أهل اليمامة[٥]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر[٦] يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن[٧] فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلتُ لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك وقد

---

(١) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/٢٦٢).

(٢) استخلاف أبو بكر الصديق، جمال عبد الهادى ص (١٦٦، ١٦٧).

(٣) المصدر نفسه ص (١٦٧).

(٤) حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد ص (١٤٥).

(٥) يعنى واقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وإخوانه.

(٦) استحر: كثر واشتد.

(٧) أى فى الأماكن التى يقع فيها القتال مع الكفار.

كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[1]. قال زيد: فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ مما أمرنى به من جمع القرآن[2].

ونستخلص من واقعة جمع القرآن الكريم بعض النتائج منها:

١ - إن جمع القرآن الكريم جاء نتيجة الخوف على ضياعه نظرًا لموت العديد من القراء فى حروب الردة، وهذا يدل على أن القراء والعلماء كانوا وقتئذ أسرع الناس إلى العمل والجهاد لرفع شأن الإسلام والمسلمين بأفكارهم وسلوكهم وسيوفهم فكانوا خير أمة أخرجت للناس ينبغى الاقتداء بهم لكل من جاء بعدهم.

٢ - إن جمع القرآن تم بناء على المصلحة المرسلة ولا أدل على ذلك من قول عمر لأبى بكر حين سأله كيف نفعل شيئًا يفعله رسول الله ﷺ: إنه والله خير. وفى بعض الروايات أنه قال له: إنه والله خير ومصلحة للمسلمين، وهو نفس ما أجاب به أبو بكر زيد بن ثابت حين سأل نفس السؤال وسواء صحت الرواية التى جاء فيها لفظ المصلحة أو لم تصح، فإن التعبير بكلمة خير، يفيد نفس المعنى، وهو مصلحة المسلمين فى جمع القرآن، فقد كان جمع القرآن مبينًا على المصلحة المرسلة أول الأمر ثم انعقد الإجماع على ذلك بعد أن وافق الجميع بالإقرار الصريح أو الضمنى، وهذا يدل على أن المصلحة المرسلة يصح أن تكون سنداً للإجماع بالنسبة لمن يقول بحجيتها كما هو مقرر فى كتب أصول الفقه.

٣ - وقد اتضح لنا من هذه الواقعة كذلك كيف كان الصحابة يجتهدون فى جو من الهدوء يسوده الود والاحترام، هدفهم الوصول إلى ما يحقق الصالح العام لجماعة المسلمين، وأنهم كانوا ينقادون إلى الرأى الصحيح وتنشرح قلوبهم له بعد الإقناع والاقتناع، فإذا اقتنعوا بالرأى دافعوا عنه كما لو كان رأيهم منذ البداية، وبهذه الروح أمكن انعقاد إجماعهم حول العديد من الأحكام الاجتهادية[3].

****

---

(١) أى من الأشياء التى عندى وعند غيرك.

(٢) البخارى ك فضائل القرآن، رقم (٤٩٨٦).

(٣) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى، عبد السلام السليمانى ص (١٢٧).

الفصل الثالث

استخلاف الصديق للفاروق، وقواعد نظام حكمه، وحياته فى المجتمع

المبحث الأول

استخلاف الصديق للفاروق وقواعد نظام حكمه

أولا : استخلاف الصديق للفاروق :

لما اشتد المرض بأبى بكر جمع الناس إليه فقال : إنه قد نزل بى ما قد ترون ولا أظننى إلا ميت لما بى وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتى، وحل عنكم عقدتى، ورد عليكم أمركم فأمِّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمَّرتم فى حياتى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى.(١) وتشاور الصحابة رضى الله عنهم، وكلٌ يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال : فامهلونى حتى أنظر لله، ولدينه، ولعباده، فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال له : أخبرنى عن عمر بن الخطاب فقال له : ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى. فقال أبو بكر : وإن، فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان. فقال : أخبرنى عن عمر بن الخطاب. فقال : أنت أخبر به، فقال : على ذلك يا أبا عبد الله فقال عثمان : اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر : يرحمك الله والله لو تركته ما عَدَتْك. ثم دعا أسيد ابن حضير فقال له مثل ذلك، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذى يسر خير من الذى يعلن، ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، وكذلك استشار سعيد بن زيد وعدداً من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريباً كانوا برأى واحد فى عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته فقال لأبى بكر : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر : أجلسونى، أبالله تخوفوننى؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك(٢) وبين لهم سبب غلظة عمر وشدته فقال : ذلك لأنه يرانى رقيقا ولو أفضى الأمر

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٨)، تاريخ الطبرى (٤/ ٢٣٨).

(٢) الكامل لابن الأثير (٢/ ٧٩)، التاريخ الإسلامى محمود شاكر ص (١٠١).

إليه لترك كثيرا مما عليه(١)، ثم كتب عهداً مكتوباً يقرأ على الناس فى المدينة وفى الأمصار عن طريق أمراء الأجناد فكان نص العهد «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى، وإياكم خيرا، فإن عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

إن عمر هو نصح أبى بكر الأخير للأمة، فقد أبصر الدنيا مقبلة تتهادى وفى قومه فاقة قديمة يعرفها، فإذا ما أطلوا لها استشرفوا شهواتها، فنكلت بهم واستبدت، وذاك ما حذرهم رسول الله ﷺ إياه(٢)، قال رسول الله ﷺ: **فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**(٣)، لقد أبصر أبو بكر الداء فأتى لهم رضى الله عنه بدواء ناجح.. جبل شاهق، إذا ما رأته الدنيا أيست وولت عنهم مدبرة، إنه الرجل الذى قال فيه النبى ﷺ: **إيها يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك**(٤). إن الأحداث الجسام التى مرت بالأمة، قد بدأت بقتل عمر، هذه القواصم خير شاهد على فراسة أبى بكر وصدق رؤيته فى العهد لعمر، فعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة: صاحبة موسى التى قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وصاحب يوسف حيث قال: أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وأبو بكر حين استخلف عمر(٥)، فقد كان عمر هو سد الأمة المنيع الذى حال بينها وبين أمواج الفتن(٦).

هذا وقد أخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة فقد دخل عليه عمر فعرفه أبو بكر بما عزم فأبى أن يقبل، فتهدده أبو بكر بالسيف فما كان أمام عمر إلا أن يقبل(٧)، وأراد

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٧٩).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى عهد الخلفاء ص (٦٦-١١٧)، أبو بكر رجل دولة ص (٩٩).
(٣) البخارى، ك الجزية والموادعة رقم (٣١٥٨).
(٤) البخارى، ك فضائل أصحاب النبى رقم (٣٦٨٣).
(٥) مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٨) صحيح الإسناد.
(٦) أبو بكر رجل الدولة ص (١٠٠).
(٧) مآثر الأنافة (١/ ٤٩).

الصديق أن يبلغ الناس بلسانه واعيًا مدركًا حتى لا يحصل أى لبس فأشرف أبو بكر على الناس وقال لهم: أترضون بمن استخلف عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأى، ولا وليت ذا قرابة، وإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا[١]. وتوجه الصديق بالدعاء إلى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وهو يقول: اللهم وليته بغير أمر نبيك، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، واجتهدت لهم رأيى، فولَّيت عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرنى من أمرك ما حضر، فأخلفنى فيهم فهم عبادك[٢].

وكلف أبو بكر عثمان رضى الله عنه بأن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موت أبى بكر بعد أن ختمه لمزيد من التوثيق والحرص على إمضاء الأمر، دون أى آثار سلبية، وقال عثمان للناس: أتبايعون لمن فى هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به[٣]، فبعد أن قرأ العهد على الناس ورضوا به أقبلوا عليه وبايعوه[٤]، واختلى الصديق بالفاروق وأوصاه بمجموعة من التوصيات لإخلاء ذمته من أى شيء، حتى يمضى إلى ربه خاليًا من أى تبعة بعد أن بذل قصارى جهده واجتهاده[٥]، وقد جاء فى الوصية: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدى فريضته، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفًا، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إنى لأخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إنى لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتى فلا يك غائب أحب أليك من الموت وهو آتيك،وإن أنت ضيعت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تُعجزه[٦].

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٢٤٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/١٩٩)، تاريخ المدينة لابن شهبة (٢/٦٦٥-٦٦٩).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/٢٠٠).

(٤، ٥) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع ص (٢٧٢).

(٦) صفة الصفوة (١/٢٦٤، ٢٦٥).

وباشر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبى بكر رضى الله عنه[1].

ويلحظ الباحث: أن ترشيح أبى بكر الصديق رضى الله عنه لعمر بن الخطاب، لم يأخذ قوته الشرعية، ما لم يستند لرضا الغالبية بعمر وهذا ما تحقق حين طلب أبو بكر من الناس أن يبحثوا لأنفسهم عن خليفة من بعده، فوضعوا الأمر بين يديه، وقالوا له: رأينا إنما هو رأيك[2]، ولم يقرر أبو بكر الترشيح إلا بعد أن استشار أعيان الصحابة فسأل كل واحد على انفراد ولما ترجح لديه اتفاقهم أعلن ترشيحه لعمر، فكان ترشيح أبى بكر صادراً عن استقراء، لآراء الأمة من خلال أعيانها، على أن هذا الترشيح لا يأخذ قوته الشرعية إلا بقبول الأمة به، ذلك أن اختيار الحاكم حق للأمة، والخليفة يتصرف بالوكالة عن الأمة. ولابد من رضا الأصيل، ولهذا توجه أبو بكر إلى الأمة: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإنى والله ما ألوت من جهدى الرأى ولا وليت ذا قرابة، وأنى قد استخلفت عمر ابن الخطاب. فأسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا[3]، وفى قول أبى بكر أترضون بمن أستخلف عليكم، إشعار بأن الأمر للأمة وأنها هى صاحبة العلاقة والاختصاص[4].

إن عمر رضى الله عنه ولى الخلافة باتفاق أهل الحل والعقد وإرادتهم فهم الذين فوضوا لأبى بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائباً عنهم فى ذلك، فشاور ثم عيَّن الخليفة، ثم عرض هذا التعيين على الناس فأقروه، وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد فى الأمة هم النواب (الطبيعيون) عن هذه الأمة، وإذن فلم يكن استخلاف عمر رضى الله عنه إلا على أصح الأساليب الشورية وأعدلها[5].

إن الخطوات التى سار عليها أبو بكر الصديق فى اختيار خليفته من بعده لا تتجاوز الشورى بأى حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة فى تولية أبى بكر نفسه[6]، وهكذا تم عقد الخلافة لعمر رضى الله عنه بالشورى والاتفاق، ولم يورد التاريخ أى خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحداً نهض

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٢٧٢).

(٢) القيود الواردة على سلطة الدولة فى الإسلام ص (١٧٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٤٨).

(٤) القيود الواردة على سلطة الدولة فى الإسلام ص (١٧٢).

(٥) أبو بكر الصديق، على طنطاوى ص (٢٣٧).

(٦) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٢٧٢).

طول عـهـده لينازعـه الأمر، بل كـان هناك إجـمـاع على خـلافـتـه وعلى طاعـتـه فى أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة(١).

ثانياً: انعقاد الإجماع على خلافته رضى الله عنه:

وقد نقل إجماع الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم على خلافة عمر طائفة من أهل العلم الذين يعتمد عليهم فى النقل منهم:

١- روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: دخلت على عمر حين طعن. فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض ولم يختلف فى خلافتك اثنان، وقتلت شهيدا فقال: أعد علىَّ فأعدت عليه فقال: والله الذى لا إله غيره لو أن لى ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع(٢).

٢- وقال أبو نعيم الأصبهانى مبينا الإجماع على خلافة الفاروق رضى الله عنه: لما علم الصديق رضى الله عنه من فضل عمر رضى الله عنه ونصيحته وقوته على ما يقلده ومـا كـان يعينه عليـه من أيامه من المعونة التامة لم يكن يسعه فى ذات الله ونصيحته لعباد الله تعالى أن يعدل هذا الأمر عنه إلى غيره، ولما كان يعلم من أمر شأن الصحابة رضى الله عنهم أنهم يعرفون منه ما عرفه ولا يشكل عليهم شىء من أمره فوض إليهم ذلك فرضى المسلمون ذلك وسلموه، ولو خالطهم فى أمره ارتياب أو شبهة لأنكروه، ولم يتابعوه كاتباعهم أبا بكر رضى الله عنهم فيما فرض الله عليه الاجتماع وأن إمامته وخلافته ثبتت على الوجه الذى ثبت للصديق، وإنما كان الدليل لهم على الأفضل والأكمل فتبعوه على ذلك مستسلمين له راضين به(٣).

٣- وقال أبو عثمان الصابونى بعد ذكره خلافة الصديق باختيار الصحابة وإجماعهم عليه فقال: ثم خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه باستخلاف أبى بكر رضى الله عنه إياه واتفاق الصحابة عليه بعده وإنجاز الله سبحانه بمكانه فى إعلاء الإسلام وإعظام شأنه

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٧٢.

(٢) الاعتقاد للبيهقى ص (١٨٨).

(٣) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص (٢٧٤).

وعده[1].

٤- وقال النووى فى معرض ذكره لإجماع الصحابة على تنفيذ عهد الصديق بالخلافة لعمر حيث قال: أجمعوا على اختيار أبى بكر على تنفيذ عهده إلى عمر[2].

٥- وقال ابن تيمية: وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبى بكر فصار إماما لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم[3].

٦- وقال شارح الطحاوية: وتثبتت الخلافة بعد أبى بكر رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه وذلك بتفويض أبى بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه[4].

ومن هذه النقول التى تقدم ذكرها تبين أن خلافة عمر رضى الله عنه تمت بإجماع أصحاب رسول الله ﷺ حيث تلقوا عهد أبى بكر رضى الله عنه بالخلافة لعمر بالقبول والتسليم ولم يعارض فى ذلك أحد وكذا أجمعت الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة على ما أجمع عليه أصحاب رسول الله ولم يخالفهم إلا من لا يعتد بخلافه ممن ابتلى ببعض أصحاب رسول الله ﷺ كالشيعة الرافضة ومن جرى فى ركابهم ممن فتن بهم، فإن اعترض معترض على إجماع الصحابة المتقدم ذكره بما رواه ابن سعد وغيره من أن بعض الصحابة سمعوا بدخول عبد الرحمن بن عوف وعثمان على أبى بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسونى أبالله تخوفنى؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عنى ما قلت لك من وراءك[5]، والجواب عن هذا الانكار الصادر إن صح من هذا القائل ليس عن جهالة لتفضيل عمر بعد أبى بكر واستحقاقه للخلافة، وإنما كان خوفا من خشونته وغلظته لا اتهاما له فى قوته وأمانته[6].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (١٢٩/١).

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠٦).

(٣) منهاج السنة (١٤٢/١).

(٤) شرح الطحاوية ص (٥٣٩).

(٥) الطبقات لابن سعد (١٩٩/٣).

(٦) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص (٢٧٦).

ثالثًا: خطبة الفاروق لما تولى الخلافة:

اختلف الرواة فى أول خطبة خطبها الفاروق عمر، فقال بعضهم، إنه صعد المنبر فقال: اللهم إنى شديد فلينى، وإنى ضعيف فقونى، وإنى بخيل فسخنى(١)، وروى إن أول خطبة كانت قوله: إن الله ابتلاكم بى وابتلانى بكم بعد صاحبى، فوالله لا يحضرنى شىء من أمركم فيليه أحد دونى، ولا يتغيب عنى فآلو فيه عن أهل الجزء - يعنى الكفاية- والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساءوا لأنكلن بهم، فقال من شهد خطبته ورواها عنه: فوالله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا(٢)، وروى أنه لما ولى الخلافة صعد المنبر وهم أن يجلس مكان أبى بكر فقال: ما كان الله ليرانى أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر. فنزل مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم؛ إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف(٣).

ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا أن عمر ألقى خطبته أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءا فرواه، وحفظ آخر جزءا غيره فذكره، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق فى أول خطبة له بين البيان السياسى، والإدارى والعظة الدينية، فذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا فارقا بين تقوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعا لمنهجه وشريعته، كما أنه ليس غريبا على عمر أن يراعى حق سلفه العظيم أبى بكر فلا يجلس فى موضع كان يجلس فيه فيساويه بذلك فى أعين الناس، فراجع عمر نفسه رضى الله عنه ونزل درجة عن مكان الصديق رضى الله عنه(٤)، وفى رواية أخرى أنه بعد يومين من استخلافه تحدث الناس فيما كانوا يخافون من شدته، وبطشه، وأدرك عمر أنه لابد من تجلية الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض

---

(١) مناقب امير المؤمنين لابن الجوزية ص (١٧٠، ١٧١).

(٢) الطبقات (٣/٢٧٥).

(٣) كنز العمال رقم (٤٤٢١٤) نقلا عن الدولة الإسلامية د. حمدى شاهين ص (١٢٠).

(٤) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين د. حمدى شاهين ص (١٢٠).

شأنه مع النبى ﷺ وخليفته، وكيف أنهما توفيا وهما عنه راضيان، ثم قال: .. ثم إنى قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن للحق. وإنى بعد شدتى تلك أضع خدى لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها؛ لكم على أن لا أجتبى شيئا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا فى وجهه، ولكم على إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه، ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم على ألا ألقيكم فى المهالك ولا أجمركم[1] فى ثغوركم، وإذا غبتم فى البعوث فانا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإحضار النصيحة فيما ولانى الله من أمركم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم[2]، وجاء فى رواية: إنما مثل العرب مثل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، أما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق[3].

وفى هذه الروايات لخطبة عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة يتضح منهجه فى الحكم الذى لم يحد عنه، وأبرز ملامحه:

١- أنه ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء ابتلى به سيحاسب على أداء حقه؛ فالحكم عند الراشدين تكليف وواجب وابتلاء، وليس جاها وشرفا واستعلاء.

٢- وهذا الاستخلاف يتطلب منه أن يباشر حمل أعباء الدولة فيما حضره من أمرها، وأن يولى على الرعية التى غابت عنه أفضل الأمراء وأكفاهم، غير أن ذلك - فيما يرى عمر - ليس كافيا لإبراء ذمته أمام الله تعالى؛ بل يرى أن مراقبة هؤلاء العمال والولاة فرض لا فكاك منه، فمن أحسن منهم زاده إحسانا، ومن أساء عاقبه ونكل به[4]، وسيأتى بيان ذلك بإذن الله عن حديثنا عن مؤسسة الولاة، وفقه الفاروق فى تطويرها.

---

(١) أجمركم: أى لا أبقيكم على جبهات القتال بعيدا عن أهليكم مدة طويلة.

(٢) الإدارة العسكرية فى عهد الفاروق ص (١٠٦).

(٣) السياسة الشرعية د. إسماعيل بدوى ص (١٦٠) نقلا عن الطبرى.

(٤) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (١٢١).

٣- إن شدة عمر التى هابها الناس سيخلصها لهم لينا ورحمة، وسينصب لهم ميزان العدل، فمن ظلم وتعدى فلن يجد إلا التنكيل والهوان «ولست أدع أحدا يظلم أحدا ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض..» أما من آثر القصد والدين والعفاف فسيجد من الرحمة ما لا مزيد عليه؛ أضع خدى لأهل العفاف[١]، وسيتضح عدل عمر رضى الله عنه فى رعيته من خلال المواقف واهتمامه بمؤسسة القضاء وتطويرها بحيث سيطر العدل على كل ولايات الدولة.

٤- وتكفل الخليفة بالدفاع عن الأمة ودينها وأن يسد الثغور ويدفع الخطر، غير أن ذلك لن يتم بظلم المقاتلين، فلن يحبسهم فى الثغور إلى حد لا يطيقونه، وإن غابوا فى الجيوش فسيرعى الخليفة وجهازه الإدارى أبناءهم وأسرهم[٢]، ولقد قام الفاروق بتطوير المؤسسة العسكرية وأصبحت قوة ضاربة لا مثيل لها على مستوى العالم فى عصره.

٥- وتعهد الخليفة بأداء الحقوق المالية للرعية كاملة.. من خراج وفئ، لا يحتجن منه شيئًا ولا يضعه فى غير محله، بل سيزيد عطاياهم وأرزاقهم باستمرار الجهاد والغزو والحض على العمل وضبط الأداء المالى للدولة[٣]، وقد قام بتطوير المؤسسة المالية، وضبط مصادر بيت المال وأوجه الإنفاق فى الدولة.

٦- وفى مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفتها والسمع والطاعة له والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما يشيع الرقابة الإسلامية فى المجتمع.

٧- ونبه إلى أنه لا يعين على ذلك إلا بتقوى الله ومحاسبة النفس واستشعار المسئولية فى الآخرة[٤].

٨- علق الشيخ عبد الوهاب النجار على قول عمر رضى الله عنه: إنما مثل العرب كمثل جمل آنف بقوله: الجمل الآنف: هو الجمع الذلول المواتى الذى يأنف من الزجر والضرب ويعطى ما عنده من السير عفوا سهلا، وهذا تشخيص حسن للأمة الإسلامية لعهده فإنها كانت سامعة مطواعة إذا أمرت ائتمرت، وإذا نهيت انتهت. ويتبع ذلك المسئولية الكبرى على قائدها فإنه يجب عليه أن يرتاد لها ويصدر فى شأنه بعقل، ويورد

---

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين (١٢١)، محض الصواب (١/ ٣٨٥).

(٢) المصدر السابق (١٢١).

(٣، ٤) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (١٢٢).

بتمييز حتى لا يورطها فى خطر، ولا يقحمها فى مهلكة، ولا يعمل شأنها إهمالا يكون من ورائه البطر. وقد أراد بالطريق: الطريق الأقوم الذى لا عوج فيه. وقد بر بما أقسم به(١).

٩- سنة الله فى الفظاظة والغلظة والرفق: مضت سنة الله فى أحوال الناس واجتماعهم وفى إقبالهم على الشخص واجتماعهم عليه وقبولهم منه وسماعهم قوله وأنسهم به، أن ينفضوا عن الفظ الغليظ القلب حتى ولو كان ناصحا مريدا للخير لهم حريصا على ما ينفعهم(٢) وقد دل على هذا قول الله تعالى: ﴿فبما رحْمة مِن اللّه لنت لهُمْ ولوْ كُنت فظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حوْلِكَ فَاعْفُ عنْهُمْ واسْتغْفِرْ لهُمْ وشاوِرْهُمْ فى الأمْر فإذا عزمْت فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ولذلك كان دعاء الفاروق لما تولى الخلافة: اللهم إنى شديد فلينى، وقد استجاب الله هذا الدعاء، وامتلأت نفس عمر بالعطف والرحمة واللين وأصبحت من صفاته بعد توليته الخلافة، فقد عرف الناس عمر فى عهدى الرسول وأبى بكر شديدا حازما، وصوره لنا التاريخ على أنه الشخص الوحيد الذى مثل منذ دخل الإسلام حتى تولى الخلافة دور الشدة والقوة بجانب الرسول ﷺ وبجانب أبى بكر، حتى آل إليه الأمر انقلب رخاء ويسرا ورحمة(٣).

١٠- كانت البيعة العامة فى سيرة الخلفاء الراشدين مقيدة بأهل المدينة دون غيرهم. وربما حضرها وعقدها الأعراب والقبائل التى كانت محيطة بالمدينة، أو نازلة فيها، أما بقية الأمصار، فكانت تبعا لما يتقرر فى مدينة الرسول ﷺ، وهذا لا يطعن بالبيعة، ولا يقلل من شرعيتها، لأن جمع المسلمين من كل الأقطار والأمصار كان أمرا مستحيلا، ولابد للدولة من قائم بها، ولا يمكن أن تعطل مصالح الخلق، أضف إلى ذلك أن الأمصار الأخرى قد أيدت فى بيعة أبى بكر وعمر وعثمان ما جرى فى المدينة، تأييدا صريحا أو ضمنيًا، ولا شك أن الأساليب التى لجأ إليها الناس فى صدر الإسلام كانت تجارب تصب فى حقل تطوير الدولة ومؤسساتها(٤).

١١- المرأة والبيعة: لم أجد أثناء البحث إشارة إلى أن المرأة قد بايعت فى زمن

---

(١) الخلفاء الراشدون ص (١٢٣).

(٢) السنن الإلهية فى الأمم والجماعات والأفراد، زيدان ص (٢٨٢).

(٣) الإدارة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ص (١٠٧).

(٤) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى ص (٢٦٠).

أبى بكر وعمر وفى عصر الخلفاء الراشدين، ولم تشر كتب السياسة الشرعية القديمة إلى حق المرأة أو واجبها فى البيعة – على حد علمى القاصر – والظاهر أن البيعة قد اقتصرت فى معظم عصور التاريخ الإسلامى على الرجال دون النساء، فلا الرجال دعوها إليها، ولا هى طالبت بها، واعتبر تغيب المرأة عن البيعة أمرا طبيعيا، إلى درجة أن علماء الحقوق الدستورية الإسلامية لم يشيروا إليها فى قليل ولا كثير غير أن هذا الواقع التاريخى والفقهى لا يغير من حقيقة الحكم الشرعى شيئًا، فليس فى القرآن الكريم، ولا فى السنة النبوية، وهما المصدران الرئيسيان للشريعة، ما يمنع المرأة من أن تشارك الرجل فى البيعة(١).

١٢– رد سبايا العرب: كان أول قرار اتخذه عمر فى دولته رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهم حيث قال: كرهت أن يكون السبى سنة فى العرب(٢)، وهذه الخطوة الجريئة ساهمت فى شعور العرب جميعا أنهم أمام شريعة الله سواء، وأنه لا فضل لقبيلة على قبيلة إلا بحسن بلائها وما تقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين، وتلت تلك الخطوة خطوة أخرى هى السماح لمن ظهرت توبتهم من أهل الردة بالاشتراك فى الحروب ضد أعداء الإسلام، وقد أثبتوا شجاعة فى الحروب وصبرا عند اللقاء، ووفاء للدولة لا يعدله وفاء(٣).

١٣– تجذر منصب الخلافة فى قلب الأمة وأصبح رمزا للوحدة ولقوة المسلمين، ويرى الباحث القدرة الفائقة التى كان يتمتع بها الصحابة الكرام، ومدى الأصالة فى أعمالهم بحيث أن ما أقاموه فى سويعات قليلة من نفس يوم وفاة الرسول ﷺ احتاج هدمه إلى ربع قرن فى المخطط البريطانى، رغم أن البريطانيين أنفسهم كانوا يطلقون على الخلافة فى تلك الفترة الرجل العجوز، فاى شموخ هذا لتلك الخلافة، وأى رسوخ لها حيث تحتاج لهدمها – وبعد أن أصبحت شكلا لا موضوعا – ربع قرن كامل، وبعد حياة استمرت قرونا من الزمن(٤).

---

(١) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (١/٢٧٧).
(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون ص (١٦٠).
(٣) جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين د. محمد السيد الوكيل ص (٨٩).
(٤) الحضارة الإسلامية د. محمد عادل ص (٣٠).

١٤- الفرق بين الملك والخليفة: قال عمر رضى الله عنه: والله ما أدرى أخليفة أم ملك، فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم، فقال له قائل: إن بينهما فرقا، إن الخليفة لا يأخذ إلا حقا، ولا يضعه إلا فى حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس، فيأخذ من هذا أو يعطى هذا، فسكت عمر(١)، وفى رواية: أن عمر سأل سلمان الفارسى: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنت جبيت من الأرض درهما أو أقل أو أكثر، ثم وضعته فى غير موضعه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر عمر(٢).

رابعًا: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[الشورى: ٢٨]. لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعا، فكذلك الشورى واجبة شرعا(٣)، وقد اعتمد عمر رضى الله عنه مبدأ الشورى فى دولته، فكان رضى الله عنه لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم فى شأن من الشئون العامة، فإذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ويناقش الرأى معهم فيه ويستشيرهم.

ومن مأثور قوله: لا خير فى أمر أبرم من غير شورى(٤)، وقوله: الرأى الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض(٥)، وقوله «شاور فى أمرك من يخاف الله عز وجل»(٦)، وقوله: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها

---

(١) الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب من رواية البلاذرى ص (٢٥٧).

(٢) نفس المصدر السابق ص (٢٥٦).

(٣) النظام السياسى فى الإسلام لأبى فارس ص (٩).

(٤) الخلفاء الراشدون للنجار ص (٢٤٦).

(٥) سراج الملوك للطرطوشى ص (١٣٢).

(٦) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية، سليمان آل كمال (١/ ٢٧٣).

برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأى، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رشدا ولا يقطع مرشدا[١]، وقوله: يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم وبين ذوى الرأى منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعا لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة فى حرب كانوا فيه تبعا لهم[٢]، وكان يحث قادة حربه على الشورى، فعندما بعث أبا عبيد الثقفى لمحاربة الفرس بالعراق قال له: أسمع وأطع من أصحاب النبى ﷺ وأشركهم فى الأمر خاصة من كان منهم من أهل بدر[٣]، وكان يكتب إلى قادته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا فى أمورهم العسكرية عمرو بن معديكرب وطلحة الأسدى قائلا: استشيروا واستعينوا فى حربكم بطلحة الأسدى وعمرو بن معديكرب ولا تولهما من الأمر شيئا فإن كل صانع أعلم بصناعته[٤]، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص: وليكن عندك من العرب أول من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك فى بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك[٥]، ومما قاله عمر رضى الله عنه لعتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: قد كتبت إلى العلاء الحضرمى[٦]، أن يمدك بعرفجة بن هرشمة[٧]، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدته فإذا قدم عليك فاستشره وقربه[٨]، وكان مسلك الفاروق فى الشورى جميلا: فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسمع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله وأصحاب الرأى منهم ثم يفضى إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأى محمود، فما استقر عليه رأيهم أمضاه. وعمله هذا يشبه الأنظمة الدستورية فى كثير من الممالك النظامية إذ يعرض الأمر على مجلس النواب مثلا ثم بعد أن يقرر بالأغلبية يعرض على مجلس آخر يسمى فى بعضها مجلس الشيوخ وفى بعضها مجلس اللوردات فإذا انتهى المجلس من

---

(١) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية، سليمان آل كمال (١/ ٢٧٣).

(٢) الطبرى (٣/ ٤٨١)، نقلا عن الإدارة العسكرية.

(٣) مروج الذهب (٢/ ٣١٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٣١٧).

(٥) نهاية الأرب (٦/ ١٦٩).

(٦) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٤).

(٧) الإصابة (٢/ ٤٩١).

(٨) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٥).

تقريره أمضاه الملك، والفرق بين عمل عمر وعمل هذه الممالك أن هنا الأمر كان اجتهادا منه وبغير نظام متبع أو قوانين مسنونة(١)، وكثيرا ما كان عمر يجتهد في الشيء ويبدى رأيه فيه ثم يأتي أضعف الناس فيبين له وجه الصواب وقوة الدليل فيقبله ويرجع عن خطأ ما رأى إلى صواب ما استبان له(٢).

وقد توسع نطاق الشورى في خلافة عمر رضى الله عنه لكثرة المستجدات والأحداث وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع مثل معاملة الأرض المفتوحة وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة لتدفع أموال الفتوح إلى الدولة، فكان عمر يجمع للشورى أكبر عدد من الصحابة الكبار(٣)، وكان لأشياخ بدر مكانتهم الخاصة في الشورى لفضلهم وعلمهم وسابقتهم إلا أن عمر رضى الله عنه أخذ يشوبهم بشباب، فإنهم على دربهم ماضون لأجلهم ورحمة ربهم ومغفرته والدولة لابد لها من تجديد رجالاتها، وكان عمر العبقرى الفذ قد فطن إلى هذه الحقيقة فأخذ يختار من شباب الأمة من علم منهم علمًا وورعًا وتقى، فكان عبد الله بن عباس من أولهم، وما زال عمر يجتهد متخيراً من شباب الأمة مستشارين له متخذاً القرآن فيصلاً في التخير حتى قال عبد الله بن عباس: وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً(٤)، وقد قال الزهرى لغلمان أحداث: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغى حدة عقولهم(٥). وقال محمد بن سيرين: إن كان عمر رضى الله عنه ليستشير في الأمر حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذه وقد ثبت أنه استشار مرة أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها(٦). وقد كان لعمر رضى الله عنه خاصة من علية الصحابة وذوى الرأى، منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلى بن أبى طالب(٧)، ومعاذ بن جبل، وأبى

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص (٢٤٦).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٤٧).

(٣) عصر الخلافة الراشدة ص (٩٠).

(٤) المصدر نفسه ص (١٤٧).

(٥، ٦) المصدر نفسه ص (٩٠).

(٧) السنن الكبرى للبيهقى (٩/ ٢٩) نقلا عن عصر الخلافة الراشدة ص (٩٠).

ابن كعب وزيد بن ثابت[١]، ونظرائهم فكان يستشيرهم ويرجع إلى رأيهم[٢]، وكان المستشارون يبدون آراءهم بحرية تامة وصراحة كاملة، ولم يتهم عمر رضى الله عنه أحداً منهم فى عدالته وأمانته.

وكان عمر رضى الله عنه يستشير فى الأمور التى لا نص فيها من كتاب وسنة وهو يهدف إلى معرفة إن كان بعض الصحابة يحفظ فيها نصاً من السنة، فقد كان بعض الصحابة يحفظ منها ما لا يحفظه الآخرون، وكذلك كان يستشير فى فهم النصوص المحتملة لأكثر من معنى لمعرفة المعانى والأوجه المختلفة، وفى هذين الأمرين قد يكتفى باستشارة الواحد أو العدد القليل، وأما فى النوازل العامة فيجمع الصحابة، ويوسع النطاق ما استطاع كما فعل عند وقوع الطاعون بأرض الشام متوجها إليها[٣]، وبلغ عمر خبره فوافاه الأمراء بسرغ – موضع قرب الشام – وكان مع عمر المهاجرون والأنصار، فجمعهم مستشيرا، أيمضى لوجهه، أم يرجع؟ فاختلفوا عليه: فمن قائل: خرجت لوجه الله فلا يصدنك عنه هذا. ومن قائل: إنه بلاء وفناء، فلا نرى أن تقدم عليه. ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش، فلم يختلفوا عليه، بل أشاروا بالعودة، فنادى عمر فى الناس: إنى مصبح على ظهر[٤]. فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟. فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف، فجاءهم، وقال: إن النبى ﷺ قال: **إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه**[٥]. وكانت مجالات الشورى فى عهد عمر متعددة منها فى المجال الإدارى والسياسى كاختيار العمال والأمراء، والأمور العسكرية، ومنها فى المسائل الشرعية المحضة، كالكشف فى الحكم الشرعى من حيث الحل والحرمة والمسائل القضائية[٦]، وستتضح

---

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص (٢٤٧).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص (٩٠).

(٣) المصدر نفسه ص (٩١).

(٤) الظهر: الدابة التى تحمل الأثقال ويركب عليها.

(٥) مسلم، ك السلام (٤/ ١٧٤٠) رقم (٢٢١٩).

(٦) القيود الواردة على سلطة الدولة فى الإسلام ص (١٦٧، ١٦٨).

مجالات الشورى وتطبيقاتها وبحث عمر رضى الله عنه عن الدليل الأقوى من خلال هذا البحث كل فى موضعه بإذن الله تعالى، والذى نحب أن نؤكد عليه أن الخلافة الراشدة كانت قائمة على مبدأ الشورى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم تكن فى عهد عمر فلتة استنبطها ولا بدعة أتى بها ولكنها قاعدة من قواعد المنهج الربانى.

خامساً: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامى الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامى التى تساهم فى إقامة المجتمع المسلم ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، ففى خطاب الفاروق للأمة أقر هذه المبادئ، فعدالته ومساواته تظهر فى نص خطابه الذى ألقاه على الأمة يوم توليه منصب الخلافة؛ ولا شك أن العدل فى فكر الفاروق هو عدل الإسلام الذى هو الدعامة الرئيسية فى إقامة المجتمع الإسلامى والحكم الإسلامى فلاوجود للإسلام فى مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

إن إقامة العدل بين الناس – أفراداً وجماعات ودولاً – ليست من الأمور التطوعية التى تترك لمزاج الحاكم أو الأمير وهواه، بل إن إقامة العدل بين الناس فى الدين الإسلامى تعد من أقدس الواجبات وأهمها، وقد اجتمعت الأمة على وجوب العدل(١)، قال الفخر الرازى أجمعوا على أن من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل(٢).

وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية والسنة النبوية فإن من أهداف دولة الإسلام إقامة المجتمع الإسلامى الذى تسود فيه قيم العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربته بجميع أشكاله وأنواعه، وعليها أن تفسح المجال وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقه أن يصل إليه بأيسر السبل وأسرعها دون أن يكلفه ذلك جهداً أو مالاً، وعليها أن تمنع أى وسيلة من الوسائل التى من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول إليه، وهذا ما فعله الفاروق فى دولته، فقد فتح الأبواب على مصاريعها لوصول الرعية إلى حقوقها، وتفقد بنفسه أحوالها، فمنعها من الظلم المتوقع عليها، وأقام العدل بين الولاة والرعية، فى أبهى صورة عرفها التاريخ فقد كان يعدل بين المتخاصمين ويحكم بالحق ولا يهمه أن

---

(١) فقه التمكين فى القرآن الكريم للصلابى ص (٤٥٥).

(٢) تفسير الرازى (١٠/ ١٤١).

يكون المحكوم عليهم من الأقرباء أو الأعداء، أو الأغنياء أو الفقراء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

لقد كان الفاروق قدوة فى عدله، أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل فى نظره دعوة عملية للإسلام به تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، وقد نجح فى ذلك على صعيد الواقع والتطبيق نجاحًا منقطع النظير لا تكاد تصدقه العقول حتى اقترن اسمه بالعدل وبات من الصعب جداً على كل من عرف شيئًا يسيراً من سيرته أن يفصل ما بين الاثنين، وقد ساعده على تحقيق ذلك النجاح الكبير عدة أسباب ومجموعة من العوامل منها:

١ – إن مد خلافته كانت أطول من مدة خلافة أبى بكر بحيث تجاوزت عشر سنوات فى حين اقتصرت خلافة أبى بكر على سنتين وعدة شهور فقط.

٢ – إنه كان شديد التمسك بالحق حتى إنه كان على نفسه وأهله أشد منه على الناس كما سنرى.

٣ – إن فقه القدوم على الله كان قويًا عنده لدرجة أنه كان فى كل عمل يقوم به يتوخى مرضاة الله قبل مرضاة الناس ويخشى الله ولا يخشى أحداً من الناس.

٤ – إن سلطان الشرع كان قويًا فى نفوس الصحابة والتابعين بحيث كانت أعمال عمر تلقى تأييداً وتجاوبًا وتعاونًا من الجميع(١).

٥ – وهذه بعض مواقفه فى إقامته للعدل والقسط بين الناس فقد حكم بالحق لرجل يهودى على مسلم، ولم يحمله كفر اليهودى على ظلمه والحيف عليه، أخرج الإمام مالك(٢) من طريق سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اختصم إليه مسلم ويهودى، فرأى عمر أن الحق لليهودى فقضى له، فقال له اليهودى: والله لقد قضيت بالحق(٣)، وكان رضى الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالمواسم، فإذا اجتمعوا قال:

(١) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد ص (١٤٥).

(٢) الوسطية فى القرآن الكريم للصلاَّبى ص (٩٦).

(٣) الموطأ، ك الأقضية، باب الترغيب فى القضاء بالحق رقم (٢).

أيها الناس إنى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم، فما قام أحد إلا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك ضربنى مائة سوط، قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: انا لا أقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه قال: فدعنا فلنرضه، قال: دونكم فارضوه، فاقتدى منه بمائتى دينار كل سوط بدينارين(١) ولو لم يرضوه لأقاده(٢) رضى الله عنه.

وجاء رجل من أهل مصر يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلاً: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال عذت معاذاً قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربنى بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضى الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه. فقدم عمرو فقال عمر: أين المصرى؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين؟ قال أنس: فضرب، فوالله، لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما رفع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر للمصرى: اصنع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذى ضربنى وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتنى(٣).

لقد قامت دولة الخلفاء الراشدين على مبدأ العدل وما أجمل ما قاله ابن تيمية: إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة،.. بالعدل تستصلح الرجال وتستغزر الأموال(٤).

وأما مبدأ المساواة الذى اعتمده الفاروق فى دولته، فيعد أحد المبادىء العامة التى أقرها الإسلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: ١٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) أقاده: اقتص منه.

(٣) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم ص (١٧٠).

(٤) السياسة الشرعية ص (١٠).

٠.

إن الناس جميعًا فى نظر الإسلام سواسية، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب والعجم، الأبيض والأسود، لقد ألغى الإسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس واللون أو النسب أو الطبقة، والحكام والمحكومون كلهم فى نظر الشرع سواء[١]، وجاءت ممارسة الفاروق لهذا المبدأ خير شاهد وهذه بعض المواقف التى جسدت مبدأ المساواة فى دولته:

– أصابت الناس فى إمارة عمر رضى الله عنه سَنَةٌ (جدب) بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى إذا ريحت[٢] ترابًا كالرماد، فسمى ذلك العام عام الرمادة، فآلى (حلف) عمر ألا يذوق سمنًا ولا لبنًا ولا لحمًا حتى يحيى الناس من أول الحيا، فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا فقدمت السوق عكة من سمن، ووطْب من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين، ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبر الله يمينك، وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن، وعكة من سمن، فابتعتهما بأربعين، فقال عمر: أغليت بهما، فتصدق بهما، فإنى أكره أن آكل إسرافًا، وقال عمر: كيف يعنينى شأن الرعية إذا لم يمسنى ما مسهم[٣]، هذا موقف أمير المؤمنين عام القحط الذى سمى عام الرمادة، ولم يختلف موقفه عام الغلاء، فقد: أصاب الناس سنة غلاء، فغلا السمن، فكان عمر يأكل الزيت، فتقرقر بطنه، فيقول: قرقر ما شئت، فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس[٤].

ولم يقتصر مبدأ المساواة فى التطبيق عند خلفاء الصدر الأول على المعاملة الواحدة للناس كافة، وإنما تعداه إلى شئون المجتمع الخاصة، ومنها ما يتعلق بالخادم والمخدوم، فعن ابن عباس أنه قال: قدم عمر بن الخطاب حاجًا، فصنع له صفوان بن أمية طعامًا، فجاءوا بجفنة يحملها أربعة، فوضعت بين يدى القوم يأكلون وقام الخدام فقال عمر: أترغبونه عنهم؟ فقال سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنا نستأثر عليهم، فغضب عمر غضبًا شديدًا، ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خدامهم، فعل الله بهم وفعل، ثم قال للخدام: اجلسوا فكلوا، فقعد الخدام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين[٥]، وكذلك فإن عمر رضى الله عنه لم يأكل من الطعام ما لا يتيسر لجميع المسلمين، فقد كان يصوم

(١، ٢) فقه التمكين فى القرآن الكريم ص ٥٠١.

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٩٨) نقلاً عن نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (١/ ٨٧).

(٤، ٥) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (١٠١).

الدهر، فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحروا يومًا من الأيام جزورًا[(١)]، فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتى به، فإذا قديد من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التى نحرناها اليوم. فقال: بخ بخ، بئس الوالى أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كرادسها، ارفع هذه الجفنة، هات غير هذا الطعام، فأتى بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز[(٢)] ولم يكن عمر ليطبق مبدأ المساواة فى المدينة وحدها، من غير أن يعلمه لعماله فى الأقاليم، حتى فى مسائل الطعام والشراب[(٣)] فعندما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان أتى بالخبيص، فلما أكله وجد شيئًا حلوًا طيبًا، فقال: والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين، فسرح بهما إلى عمر. فلما قدما عليه فتحهما، فقال: أى شىء هذا؟ قالوا: خبيص فذاقه، فإذا هو شىء حلو. فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا فى رحله؟ قال: لا. قال: أما لا فارددهما. ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك. أشبع المسلمين مما تشبع منه فى رحلك[(٤)].

ومن صور تطبيق المساواة بين الناس ما قام به عمر عندما جاءه مال فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبى وقاص يزاحم الناس، حتى خلص إليه، فعلاه بالدرة وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله فى الأرض، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك[(٥)]، فإذا عرفنا أن سعدًا كان أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأنه فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم للشورى، لأن رسول الله ﷺ مات وهو راض عنهم، وأنه كان يقال له فارس الإسلام... عرفنا مبلغ التزام عمر بتطبيق المساواة[(٦)]، ويروى ابن الجوزى أن عمرو بن العاص، أقام حد الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، يوم كان عامله على مصر. ومن المألوف أن يقام الحد فى الساحة العامة للمدينة، لتتحقق من ذلك العبرة للجمهور، غير أن عمرو بن العاص أقام الحد

---

(١) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (١/ ٨٧).
(٢، ٣) المصدر نفسه (١/ ١٨٨).
(٤) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (١٤٧).
(٥) الخلفاء الراشدون ص (٢٤٣).
(٦) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (١/ ٨٨).

على ابن الخليفة فى البيت، فلما بلغ الخبر عمر، كتب إلى عمرو بن العاص: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصى بن العاص: عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك عليَّ، وخلاف عهدى. أما إنى قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك، واخترتك لجدالك عنى، وإنفاذ عهدى، فأراك تلوثت بما قد تلوثت، فما أرانى إلا عازلك فمسىء عزلك، تضرب عبد الرحمن فى بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفنى؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين. ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق يجب لله عليه، فإذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع[1]، وقد تم إحضاره إلى المدينة وضربه الحد جهراً، روى ذلك ابن سعد وأشار إليه ابن الزبير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر مطولاً[2].

وهكذا نرى المساواة أمام الشريعة فى أسمى درجاتها، فالمتهم هو ابن أمير المؤمنين، ولم يعفه الوالى من العقاب، ولكن الفاروق وجد أن ابنه تمتع ببعض الرعاية، فآلمه ذلك أشد الألم، وعاقب واليه - وهو فاتح مصر - أشد العقاب وأقساه. وأنزل بالابن ما يستحق من العقاب، حرصًا على حدود الله، ورغبة فى تأديب ابنه وتقويمه وإذا كان هذا منهجه مع أقرب الناس عنده فما بالك بالآخرين؟[3].

ومن الأمثلة التاريخية الهامة التى يستدل بها المؤلفون على عدم الهوادة فى تطبيق المساواة، ما صنعه عمر مع جبلة بن الأيهم وهذه هى القصة: كان جبلة آخر أمراء بنى غسان من قبل هرقل، وان الغساسنة يعيشون فى الشام تحت إمرة دولة الروم، وكان الروم يحرضونهم دائمًا على غزو الجزيرة العربية، وخاصة بعد نزول الإسلام. ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية، وتوالت انتصارات المسلمين على الروم، أخذت القبائل العربية فى الشام تعلن إسلامها فبدا للأمير الغسانى أن يدخل الإسلام هو أيضاً، فأسلم وأسلم ذووه معه. وكتب إلى الفاروق يستأذنه فى القدوم إلى المدينة، ففرح عمر بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة وأقام بها زمنًا والفاروق يرعاه ويرحب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج،

---

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (٢٣٥).

(٢) الخلافة الراشدة والدولة الأموية، يحيى اليحيى، ص (٣٤٥).

(٣) فن الحكم فى الإسلام د. مصطفى أبو زيد ص (٤٧٥، ٤٧٦).

وفى أثناء طوافه بالبيت الحرام وطىء إزاره رجل من بنى فزارة فحله، وغضب الأمير الغسانى لذلك - وهو حديث عهد بالإسلام - فلطمه لطمة قاسية هشمت أنفه، وأسرع الفزارى إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ما حل به وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثم سأله فأقر بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تظلم أخاك هذا فتهشم أنفه؟

فأجاب بأنه قد ترفق كثيراً بهذا البدوى (وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذت الذى فى عيناه).

فقال له عمر: لقد أقررت، فإما أن ترضى الرجل وإما أن أقتص له منك.

وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذى يجرى وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟

فقال عمر: إن الإسلام قد سوى بينكما.

فقال الأمير الغسانى: لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية.

فقال الفاروق: دع عنك هذا فإنك إن لم ترض الرجل اقتصصت له منك.

فقال جبلة: إذاً أتنصر.

فقال عمر: إذا تنصرت ضربت عنقك، لأنك أسلمت فإن ارتددت قتلتك[1].

وهنا أدرك جبلة أن الجدال لا فائدة منه، وأن المراوغة مع الفاروق لن تجدى، فطلب من الفاروق أن يمهله ليفكر فى الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفق فى قراره، فقد آثر أن يغادر مكة هو وقومه فى جنح الظلام وفر إلى القسطنطينية، فوصل إليها متنصراً، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشد الندم، وصاغ ذلك فى شعر جميل مازال التاريخ يردده ويرويه. وفى هذه القصة نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشرع، فالإسلام قد سوى بين الملك والسوقة، ولابد لهذه المساواة أن تكون واقعاً حياً وليس مجرد كلمات توضع على الورق أو شعار تردده الألسنة[2].

---

(١) ابن خلدون (٢ / ٢٨١) نقلاً عن نظام الحكم للقاسمى (١ / ٩٠).

(٢) فن الحكم فى الإسلام ص (٤٧٧، ٤٧٨).

لقد طبق عمر رضى الله عنه مبدأ المساواة الذى جاءت به شريعة رب العالمين وجعله واقعًا حيًا يعيش ويتحرك بين الناس، فلم يتراجع أمام عاطفة الأبوة، ولم ينثن أم ألقاب النبالة، ولا تضيع أمام اختلاف الدين أو مجاملة الرجال الفاتحين، لقد كان ذلك المبدأ العظيم واقعًا حيًا، شعر به كل حاكم ومحكوم، ووجده كل مقهور وكل مظلوم(١).

لقد كان لتطبيق مبدأ المساواة أثره فى المجتمع الراشدى فقد أثر الشعور بها على نفوس ذلك الجيل فنبذوا العصبية التقليدية، من الادعاء بالأولية والزعامة، والأحقية بالكرامة، وأزالت الفوارق الحسبية الجاهلية، ولم يطمع شريف فى وضيع، ولم ييأس ضعيف من أخذ حقه، فالكل سواء فى الحقوق والواجبات، لقد كان مبدأ المساواة فى المجتمع الراشدى نوراً جديداً أضاء به الإسلام جنبات المجتمع الإسلامى وكان لهذا المبدأ الأثر القوى فى إنشائه(٢).

سادسًا: الحريات:

مبدأ الحرية من المبادىء الأساسية التى قام عليها الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ويقضى هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس، جميع الناس، دعوة واسعة وعريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة فى التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها فى هذا المجال هى دعوته الناس فى العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله والتوجه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات والمخلوقات، وفى دعوة التوحيد هذه كل معانى الحرية والاستقلال لبنى الإنسان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابيًا كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًا كالامتناع عن إكراه أحد فى الدخول فى الدين، وفى أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة لأن كل مبدأ من هذه المبادىء التى نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية، وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامى، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم؛ لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك فى دولة الروم

---

(١) فن الحكم فى الإسلام ص (٤٧٨).

(٢) المجتمع الإسلامى دعائمه وآدابه د. محمد أبو عجوة ص (١٦٥).

والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية قاسى بسببها الرعايا وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم، فعلى سبيل المثال كانت دولة الروم تفرض على الآخذين بالمذهب اليعقوبى ولا سيما فى مصر والشام أن يدينوا بالمذهب الملكانى (دينها الرسمى) وكم أخذ المخالفون بالمشاعل توقد نيرانها ثم تسلط على أجسامهم حتى يحترقوا ويسيل الدهن من جوانبهم على الأرض، والجبابرة القساة يحملونهم حملاً على الإيمان بما أقره مجمع مقدونية أو يضعونهم فى كيس مملوء بالرمال ثم يلقون بهم فى أعماق البحار.

وكذلك كانت دولة فارس فى مختلف العصور تضطهد معتنقى الملل السماوية ولا سيما المسيحيين بعد ازدياد القتال عنفًا بينها وبين دولة الروم، وأما فى الإسلام فى زمن رسول الله ﷺ، وعصر الخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة فى أيامنا معلومة ومصونة تمامًا[1]، وإليك بعض التفصيل عن الحريات فى زمن الفاروق رضى الله عنه:

١ - حرية العقيدة الدينية:

إن دين الإسلام لم يكره أحداً من الناس على اعتناقه، بل دعا إلى التفكير والتأمل فى كون الله ومخلوقاته وفى هذا الدين وأمر اتباعه أن يجادلوا الناس بالتى هى أحسن، قال تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٦] والآيات فى ذلك كثيرة ولذلك نجد الفاروق فى دولته حرص على حماية الحرية الدينية ونلاحظ بأن عمر سار على هدى النبى ﷺ والخليفة الراشد أبى بكر فى هذا الباب، فقد أقر أهل الكتاب على دينهم؛ وأخذ منهم الجزية وعقد معهم المعاهدات كما سيأتى تفصيله، وخططت معابدهم ولم تهدم وتركت على حالها، وذلك لقول الله تعالى:

---

(١) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، حمد الصمد ص (١٥٧، ١٥٨).

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾[الحج : ٤٠].

فحركة الفتوحات فى عهد الفاروق التى قام بها الصحابة تشهد على احترام الإسلام للأديان الأخرى، وحرص القيادة العليا على عدم إكراه أحد فى الدخول فى الإسلام، حتى إن الفاروق نفسه جاءته ذات يوم امرأة نصرانية عجوز كانت لها حاجة عنده فقال لها : أسلمى تسلمى؛ إن الله بعث محمداً بالحق، فقالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت إلىَّ أقرب، فقضى حاجتها، ولكنه خشى أن يكون فى مسلكه هذا ما ينطوى على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام، فاستغفر الله مما فعل وقال : اللهم إنى أرشدت ولم أُكره[١].

وكان لعمر رضى الله عنه عبد نصرانى اسمه (أشق) حدث فقال : كنت عبداً نصرانياً لعمر، فقال : أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغى لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم، فأبيت فقال : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾. فلما حضرته الوفاة أعتقنى وقال : اذهب حيث شئت[٢]، وقد كان أهل الكتاب يمارسون شعائر دينهم وطقوس عبادتهم فى معابدهم وبيوتهم، ولم يمنعهم أحد من ذلك لأن الشريعة الإسلامية حفظت لهم حتى الحرية فى الاعتقاد، وقد أورد الطبرى فى العهد الذى كتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأهل إيلياء (القدس) ونص فيه على إعطاء الأمان لأهل إيلياء على أنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم[٣]، وكتب والى عمر بمصر عمرو بن العاص لأهل مصر عهداً جاء فيه؛ بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص لأهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم وأكد ذلك العهد بقوله : على ماضى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين[٤]، وقد اتفق الفقهاء[٥]، على أن لأهل الذمة ممارسة شعائرهم الدينية وأنهم لا يمنعون من ذلك ما لم يظهروا، فإن أرادوا ممارسة

---

(١) معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، إدوار غالى ص (٤١).

(٢) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (١ /٥٨).

(٣) تاريخ الطبرى (٤ /١٥٨).

(٤) البداية والنهاية (٧ /٩٨).

(٥) السلطة التنفيذية، د. محمد الدهلوى (٢ /٧٢٥).

شعائرهم إعلانًا وجهرًا كإخراجهم الصلبان يرون منعهم من ذلك فى أمصار المسلمين، وعدم منعهم فى بلدانهم وقراهم(١).

يقول الشيخ الغزالى عن كفالة الإسلام لحرية المعتقد: إن الحرية الدينية التى كفلها الإسلام لأهل الأرض، لم يعرف لها نظير فى القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه فى الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار، مثل ما صنع الإسلام(٢).

لقد حرص الفاروق على تنفيذ قاعدة حرية الاعتقاد فى المجتمع ولخص سياسته حيال النصارى واليهود بقوله: وإنا أعطيناهم العهد على أن نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم، وأن لا نحملهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدوهم بسوء قاتلنا دونهم، وعلى أن نخلى بينهم وبين أحكامهم، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا فنحكم بينهم وإن غيبوا عنا لم نتعرض لهم(٣).

وقد ثبت عن عمر أنه كان شديد التسامح مع أهل الذمة، حيث كان يعفيهم من الجزية عندما يعجزون عن تسديدها، فقد ذكر أبو عبيد فى كتاب الأموال: إن عمر - رضى الله عنه - مر بباب قوم وعليه سائل يسأل - شيخ كبير ضرير البصر - فضرب عضده من خلفه وقال: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى، قال: فما ألجاك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل(٤)، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه(٥)، وقد كتب إلى عماله معممًا عليهم هذا الأمر(٦). وهذه الأفعال تدل على عدالة الإسلام وحرص الفاروق أن تقوم دولته على العدالة والرفق برعاياها ولو كانوا من غير المسلمين، وقد بقيت الحرية الدينية معلمًا بارزًا فى عصر الخلافة الراشدة، مكفولة من قبل الدولة، ومصونة بأحكام التشريع الربانى.

---

(١) السلطة التنفيذية (٢/٧٢٥) وقد فصل المسألة.

(٢) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص (١١١).

(٣) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين ص (١١٧).

(٤) رضخ له: أعطاه شيئًا ليس بالكثير.

(٥) الأموال لأبى عبيد ص (٥٧)، أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/٣٨).

(٦) نصب الراية للزيلعى (٧/٤٥٣).

٢ - حرية التنقل أو حرية الغدو والرواح:

حرص الفاروق على هذه الحرية حرصًا شديداً ولكنه قيدها فى بعض الحالات الاستنثائية التى استدعت ضرورة لذلك، أما الحالات الاستثنائية التى جرى فيها تقييد حرية التنقل أو حرية المأوى فهى قليلة جداً، ويكفينا أن نشير إلى حالتين نظراً لأهميتهما:

أ - أمسك عمر كبار الصحابة فى المدينة ومنعهم من الذهاب إلى الأقطار المفتوحة إلا بإذن منه أو لمهمة رسمية كتعيين بعض ولاة أو قادة للجيوش وذلك حتى يتمكن من أخذ مشورتهم والرجوع إليهم فيما يصادفه من مشاكل فى الحكم، ويحول فى الوقت نفسه دون وقوع أية فتنة أو انقسام فى صفوف المسلمين فى حال خروجهم للأمصار واستقرارهم فيها[١]، فقد كان من حكمته السياسية ومعرفته الدقيقة لطبائع الناس ونفسيتهم، أنه حصر كبار الصحابة فى المدينة، وقال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد[٢]، وكان يعتقد أنه إذا كان التساهل فى هذا الشأن، نجمت الفتنة فى البلاد المفتوحة، والتف الناس حول الشخصيات المرموقة، وثارت حولها الشبهات، وكثرت القيادات والرايات، وكان من أسباب الفوضى[٣]، لقد خشى عمر رضى الله عنه من تعدد مراكز القوى السياسية والدينية داخل الدولة الإسلامية، حيث يصبح لشخص هذا الصحابى الجليل أو ذاك هالة من الإجلال والاحترام على رأيه، ترقى به إلى مستوى القرار الصادر من السلطة العامة، وتجنبًا لتعدد مراكز القوى، وتشتت السلطة، فقد رأى عمر إبقاء كبار الصحابة، داخل المدينة يشاركونه فى صناعة القرار، ويتجنبون فوضى الاجتهاد الفردى، ولولا هذا السند الشرعى لكان القرار الصادر عن عمر - رضى الله عنه - غير مجد ولا ملزم لافتقاده لسببه الشرعى الذى يسوغه؛ إذ التصرف على الرعية منوط بالمصلحة[٤].

ب - وأما الحالة الثانية فقد حصلت عندما أمر عمر بإجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب البلاد العربية إلى العراق والشام، وسبب ذلك أن يهود خيبر ونصارى نجران لم

(١) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين ص (١٦٠).

(٢، ٣) المرتضى سيرة أمير المؤمنين لأبى الحسن الندوى ص (١٠٩).

(٤) القيود الواردة على سلطة الدولة ص (١٥١).

يلتزموا بالعهود والشروط التى أبرموها مع رسول الله ﷺ وجددوها مع الصديق، فقد كانت مقرات يهود خيبر ونصارى نجران أوكاراً للدسائس والمكر فكان لا بد من إزالة تلك القلاع الشيطانية، وإضعاف قواتهم، أما بقية النصارى واليهود، كأفراد فقد عاشوا فى المجتمع المدنى يتمتعون بكل حقوقهم، روى البيهقى فى سننه وعبد الرزاق بن همام الصنعانى فى مصنفه عن ابن المسيب وابن شهاب: أن رسول الله - ﷺ - قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**». قال مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حتى أتاه الثلج واليقين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**»، فأجلى يهود خيبر. قال مالك: قد أجلى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - يهود نجران وفدك[1].

لقد كانت نبوة النبى ﷺ بالنسبة للصحابة يقينًا ولذلك لم يستطع اليهود ولا نصارى نجران أن يلتزموا بعهودهم مع المسلمين لشدة عداوتهم وبغضهم وحسدهم للإسلام والمسلمين، فاليهود فى خيبر كان من أسباب إجلائهم ما رواه ابن عمر - رضى الله عنهما- قال: لما فدع[2] أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبًا فقال: إن رسول الله - ﷺ - عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: نقركم ما أقركم الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدى عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيره هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد - ﷺ - وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول رسول الله - ﷺ -: **كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك[3]، ليلة بعد ليلة؟** فقال: كان ذلك هزيلة من أبى القاسم فقال: كذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضًا من أقتاب وحبال وغير ذلك[4]. لقد غدر اليهود ونقضوا عهودهم، فكان طبيعيا أن يخرجوا من جزيرة العرب تنفيذاً لوصية رسول الله فأجلاهم عمر إلى تيماء وأريحا، وأما نصارى نجران فلم يلتزموا بالشروط والعهود التى أبرموها مع

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى (٩/٢٠٨)، مصنف عبد الرزاق (٦/٥٣).

(٢) فدع: زوال المفصل.

(٣) قلوصك: الناقة الصابرة على السير.

(٤) البخارى، ك الشروط، رقم (٢٧٣٠).

رسول الله ﷺ، وجددوها مع الصديق؛ فأخلوا ببعضها وأكلوا الربا وتعاملوا به، فأجلاهم الفاروق من نجران إلى العراق وكتب لهم: أما بعد.. فمن وقع به من أمراء الشام أو العراق فليوسعهم خريب الأرض(١)، وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقب من أرضهم، فأتوا العراق فاتخذوا النجرانية - وهى قرية بالكوفة -(٢)، وذكر أبو يوسف أن الفاروق خاف من النصارى على المسلمين(٣)، وبذلك تتجلى سياسة الفاروق فيما فعل من إخراجهم بعد توفر أسباب أخرى إضافة إلى وصية رسول الله ﷺ، ويتجلى فقه الفاروق فى توجيه الضربات المركزة إلى مقرات اليهود فى خيبر، والنصارى فى نجران بعد أن وجد المبررات اللازمة لإخراجهم من جزيرة العرب بدون ظلم أو عسف أو جور، وهكذا منع أوكار الدسائس والمكر من أن تأخذ نفسًا طويلاً للتخطيط من أجل القضاء على دولة الإسلام الفتية.

٣ - حق الأمن، وحرمة المسكن، وحرية الملكية:

إن الإسلام أقر حق الأمن فى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿**فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٣]. وقال أيضًا: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٩٤]. وقد عرف الإسلام أيضًا حق الحياة الذى هو أوسع من حق الأمن، لأن هذا الأخير يتضمن فعلاً سلبيًا من جانب الدولة يعبر عنه بالامتناع عن الاعتداء أو التهديد فى حين أن حق الحياة يتضمن علاوة على ذلك فعلاً إيجابيًا وهو حماية الإنسان ودمه من أى اعتداء أو تهديد، ويجعل هذه الحماية مسئولية عامة ملقاة على عاتق الناس كافة، لأن الاعتداء بدون حق على أحدهم هو بمثابة الاعتداء عليهم جميعًا(٤)، قال تعالى: ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: ٣٢]. ومن المنطلق القرآنى والممارسة النبوية تكفل الفاروق فى عهده للأفراد بحق الأمن وحق الحياة وسهر على تأمينهما وصيانتهما من أى عبث أو تطاول. وكان الفاروق رضى الله عنه

---

(١) أى يقطعهم من الأرض التى لا زرع فيها ولا شجر.

(٢) الأموال لأبى عبيد ص (٢٤٥).

(٣) الخراج لأبى يوسف ص (٧٩).

(٤) نظام الحكم فى عهد الراشدين ص (١٦٣).

يقول: (إنى لم أستعمل عليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ويشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم فمن ظلمه عامله بمظلمة فليرفعها إلىَّ حتى أقصه منه)[1]، وجاء عن عمر أيضًا قوله: ليس الرجل بمأمون على نفسه أن أجعته أو أخفته أو حبسته أن يقر على نفسه[2]، وقوله هذا يدل على عدم جواز الحصول على الإقرار والاعتراف من مشتبه به فى جريمة تحت الضغط أو التهديد سواء أكانت الوسيلة المستعملة بذلك مادية (كحرمانه من عطائه أو مصادرة أمواله) أو معنوية (كاللجوء إلى تهديده أم تخويفه بأى نوع من العقاب) وجاء فى كتابه لأبى موسى الأشعرى بصفته قاضيًا: واجعل للمدعى حقًا غائبًا أو بينة أمدًا ينتهى إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أنفى للشك)[3] وهذا القول يدل على أن حق الدفاع كان محترمًا ومصونًا[4]، وفيما يتعلق بحرمة المسكن، فإن الله سبحانه حرم دخول البيوت والمساكن بغير موافقة أهلها أو بغير الطريقة المألوفة لدخولها، فقال سبحانه بهذا الشأن: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٧، ٢٨].

وقال أيضًا: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، كما قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] وقد كانت حرمة المسكن مكفولة ومصونة فى عهد الفاروق وعصر الخلفاء الراشدين[5]، وأما حرية الملكية فقد كانت مكفولة ومصونة أيضًا فى عصر الراشدين ضمن أبعد الحدود التى تقرها الشريعة الإسلامية فى هذا المجال فحين اضطر عمر رضى الله عنه، لأسباب سياسية وحربية لإجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب شبه الجزيرة العربية، إلى العراق والشام أمر بإعطائهم أرضًا كأرضهم فى الأماكن التى انتقلوا إليها احترامًا منه وإقرارًا لحق الملكية الفردية الذى يكفله الإسلام لأهل الذمة مثلما يكفله للمسلمين[6]، وعندما اضطر عمر إلى نزع ملكية بعض الدور من أجل

---

(١) نظام الحكم فى عهد الراشدين ص (١٦٤).

(٢) نفس المصدر السابق ص (١٦٥).

(٣) القضاء ونظامه فى الكتاب والسنة د. عبد الرحمن الحميض ص (٤٨).

(٤) نظام الحكم فى عهد الراشدين ص (١٦٥).

(٥) نفس المصدر السابق ص (١٦٨).

(٦) نفس المصدر السابق ص (١٨٩).

العمل على توسيع المسجد الحرام فى مكة، ولم يكن دفعه للتعويض العادل إلا اعترافًا منه وإقراراً بحق الملكية الفردية التى لا يجوز مصادرتها حتى فى حالة الضرورة إلا بعد إنصاف أصحابها[1]، وحرية الملكية لم تكن فى عهد الراشدين مطلقة وإنما هى مقيدة بالحدود الشرعية وبمراعاة المصلحة العامة، فقد روى أن بلالاً بن الحارث المزنى جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يستقطعه أرضًا، فأقطعه أرضًا طويلة عريضة، فلما آلت الخلافة إلى عمر رضى الله عنه، قال له: يابلال، إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضًا طويلة عريضة فقطعها لك، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئًا يسأله، وأنت لا تطيق ما فى يدك فقال: أجل، فقال عمر: فانظر ما قويت عليه منها فامسكه، وما لم تطق وما لم تقو عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين، فقال: لا أفعل والله شيئًا أقطعنيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله لتفعلن، فأخذ عمر ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين[2]. وهنا يدل على أن الملكية الفردية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمصلحة الجماعة فإن أحسن المالك القيام بما يتطلبه معنى الاستخلاف فى الرعاية والاستثمار فليس لأحد أن ينازعه ملكه، وإلا فإن لولى الأمر أن يتصرف بما يحول دون إهماله[3].

٤ – حرية الرأى:

كفل الإسلام للفرد حرية الرأى كفالة تامة، وقد كانت هذه الحرية مؤمنة ومصونة فى عهد الخلفاء الراشدين، فكان عمر رضى الله عنه يترك الناس يبدون آراءهم السديدة ولا يقيدهم ولا يمنعهم من الإفصاح عما تكنه صدورهم[4]، ويترك لهم فرصة الاجتهاد فى المسائل التى لا نص فيها، فعن عمر أنه لقى رجلاً فقال: ما صنعت؟ قال: قضى على وزيد بكذا قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال: فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلت، ولكنى أردك إلى رأى، والرأى مشترك ما قال على وزيد[5]، وهكذا ترك الفاروق الحرية للصحابة يبدون آراءهم فى المسائل

---

(١) نظام الحكم فى عهد الراشدين ص (١٩٠).
(٢) المغنى (٥/٥٧٩)، نظام الأرض، محمد أبو يحيى ص (٢٠٧).
(٣) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، حمد الصمد ص (١٩٢).
(٤) السلطة التنفيذية للدهلوى (٢/٧٣٥).
(٥) إعلام الموقعين (١/٦٥).

الاجتهادية ولم يمنعهم من الاجتهاد ولم يحملهم على رأى معين[1]، وكان النقد أو النصح للحاكم فى عهد الفاروق والخلفاء الراشدين مفتوحًا على مصراعيه، فقد قام الفاروق رضى الله عنه يخطب فقال: أيها الناس من رأى منكم فىَّ اعوجاجًا فليقومه، فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بسيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوِّم اعوجاج عمر بسيفه[2]، وقد جاء فى خطبة عمر لما تولى الخلافة: أعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحضارى النصيحة[3]، واعتبر الفاروق ممارسة الحرية السياسية البناءة (النصيحة) تعد واجبًا على الرعية ومن حق الحاكم أن يطالب بها: أيها الرعية إن لنا عليكم حقًا: النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير[4]، وكان يرى أن من حق أى فرد فى الأمة أن يراقبه ويقوم اعوجاجه ولو بحد السيف إن هو حاد عن الطريق، فقال: أيها الناس من رأى منكم فى اعوجاجًا فليقومه[5]، وكان يقول: أحب الناس إلىَّ من رفع إلى عيوبى[6]، وقال أيضًا: إنى أخاف أن أخطىء فلا يردنى أحد منكم تهيبًا منى[7]، وجاءه يومًا رجل فقال له على رؤوس الأشهاد: اتق الله يا عمر: فغضب بعض الحاضرين من قوله وأرادوا أن يسكتوه عن الكلام، فقال لهم عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها[8]، ووقف ذات يوم يخطب فى الناس فما كاد يقول: (أيها الناس اسمعوا وأطيعوا) حتى قاطعه أحدهم قائلاً: لا سمع ولا طاعة يا عمر، فقال عمر بهدوء: لم يا عبد الله؟ قال: لأن كلا منا أصابه قميص واحد من القماش لستر عورته. فقال له عمر: مكانك، ثم نادى ولده عبد الله بن عمر، فشرح عبد الله أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه، فاقتنع الصحابة وقال الرجل فى احترام وخشوع: الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين[9]، وخطب ذات يوم، فقال: لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعين أوقية، وإن

---

(١) السلطة التنفيذية للدهلوى (٢/٧٣٨).
(٢) أخبار عمر ص (٣٣١، ٣٣٢)، نقلاً عن الرياض النضرة.
(٣، ٤، ٥) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين ص (١٩٧).
(٦) المصدر السابق ص (١٩٨) والشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذرى ص (٢٣١).
(٧) نفس المصدر السابق ص (١٩٨).
(٨) نفس المصدر السابق ص (٢٠٠).
(٩) عيون الأخبار (١/٥٥) نقلاً عن محض الصواب (٢/٥٧٩).

كانت بنت ذى القصة – يعنى يزيد بن الحصين – فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال، فقالت امرأة معترضة على ذلك: ما ذاك لك، قال: ولم؟ قالت: لأن الله تعالى قال: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٢٠]. فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ[١]، وجاء فى رواية: أنه قال: اللهم غفراً كل إنسان أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إنى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربع مئة درهم، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل[٢].

وليست حرية الرأى مطلقة فى نظر الشريعة فليس للإنسان أن يفصح فى كل ما يشاء، بل هى مقيدة بعدم مضرة الآخرين بإبداء الرأى، سواء كان الضرر عاماً أو خاصاً، ومما منعه عمر رضى الله عنه وحظره وقيده:

أ – الآراء الضالة المضلة فى الدين واتباع المتشابهات: ومن ذلك قصة النبطى الذى أنكر القدر بالشام[٣] فقد اعترض على عمر – رضى الله عنه – وهو يخطب بالشام حينما قال عمر: ومن يضلل الله فلا هادى له، فاعترض النبطى منكراً للقدر، قائلاً: إن الله لا يضل أحداً! فهدده عمر بالقتل إن أظهر مقولته القدرية مرة أخرى[٤]، وعن السائب بن يزيد أنه قال: أتى رجل عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقال يا أمير المؤمنين: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ① فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ﴾ [الذاريات: ١، ٢] فقال عمر – رضى الله عنه– أنت هو؟ فقام إلى وحسر[٥]، عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذى نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحملوه على قتب[٦]، ثم اخرجوا حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيبًا ثم ليقل: إن صبيغًا[٧] ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعًا فى قومه حتى هلك[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢١٣) عزاه للزبير بن بكار وفيه انقطاع، أخرجه أبو حاتم فى مسنده والبيهقى فى السنن وقال: مرسل جيد.

(٢) قال أبو يعلى إسناده جيد، مجمع الزوائد (٤/٢٨٣).

(٣) هو قسطنطين الجاثليق بطريق الشام.

(٤) الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها د. ناصر العقل ص (٢٢٣).

(٥) حسر عن ذراعيه: أى أخرجهما من كميه. (٦) القتب: إكاف البعير.

(٧) هو صبيغ بن عسيل الحنظلى، سأل عمر عن متشابه القرآن واتهمه عمر برأى الخوارج.

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائى (٣٠/ ٦٣٤، ٦٣٥).

ب - والوقوع فى أعراض الناس بدعوى الحرية :

وقد حبس عمر - رضى الله عنه - الحطيئة[١] من أجل هجائه الزبرقان بن بدر[٢] بقوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها　　　واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى[٣]

لأنه شبهه بالنساء فى أنهن يطعمن ويسقين ويكسين[٤] وقد توعد عمر الحطيئة بقطع لسانه إذا تمادى فى هجو المسلمين ونهش أعراضهم، وقد استعطفه الحطيئة وهو فى سجنه بشعر منه قوله :

ماذا أقول لأفراخ بذى مرخ　　　زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة　　　فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الأمير الذى من بعد صاحبه　　　ألقى إليك مقاليد النهى والبشر

فرق له قلب عمر وخلى سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحداً من المسلمين[٥]، وقد ورد أن الفاروق اشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بمبلغ ثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر :

أخذت أطراف الكلام فلم تدع　　　شتما يضر ولا مديحًا ينفع

ومنعتنى عرض البخيل فلم يخف　　　شتمى وأصبح آمنًا لا يفزع[٦]

٥ - رأى عمر فى الزواج بالكتابيات :

لما علم عمر رضى الله عنه أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية كتب إليه : خلِّ سبيلها، فكتب إليه حذيفة : أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها؟ فقال : لا أزعم أنها حرام، ولكنى أخاف أن تعاطوا المومسات منهن. وفى رواية : إنى أخشى أن تدعوا المسلمات

---

(١) الحطيئة : هو جرول بن مالك بن جرول لقب بالحطيئة لقصره.

(٢) الزبرقان بن بدر التميمى صحابى ولاه رسول الله صدقات قومه.

(٣) السلطة التنفيذية (٢/٧٤٥).

(٤) تفسير القرطبى (١٢/١٧٣، ١٧٤).

(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/٣٢٧)، عمر بن الخطاب د. أحمد أبو النصر ص (٢٢٣).

(٦) أصحاب الرسول (١/١١٠) محمود المصرى، محض الصواب (١/٣٧٦).

وتنكحوا المومسات[1].

قال أبو زهرة: (يجب أن نقرر هنا أن الأولى للمسلم ألا يتزوج إلا مسلمة لتمام الألفة من كل وجه، ولقد كان عمر – رضى الله عنه – ينهى عن الزواج بالكتابيات إلا لغرض سام كارتباط سياسى يقصد به جمع القلوب وتأليفها أو نحو ذلك..)[2].

لقد بين المولى عز وجل فى كتابه بأن الزواج بالمؤمنة ولو كانت أمة أولى من الزواج بالمشركة ولو كانت حرة، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ففى هذه الآيات الكريمة ينهى الحق سبحانه وتعالى عن الزواج بالمشركات حتى يؤمنَّ بالله ويصدقنَّ نبيه، وحكم بأفضلية الأَمَة المؤمنة بالله ورسوله – وإن كانت سوداء رقيقة الحال – على المشركة الحرة وإن كانت ذات جمال وحسب ومال، ويمنع فى المقابل المؤمنات من الزواج بالمشركين ولو كان المشرك أحسن من المؤمن فى جماله وماله وحسبه[3]، وإذا كان الزواج بالمشركة حرامًا بنص هذه الآية فإن الزواج بالكتابية جائز بنص آخر وهو قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ [المائدة: ٥] وهو نص مخصص للعموم فى النص الأول، هذا هو رأى الجمهور[4]، إلا أنهم قالوا: إن الزواج بالمسلمة أفضل، هذا فيما إذا لم تكن هنالك مفاسد تلحق الزوج أو الأبناء أو المجتمع المسلم، أما إن وجدت مفاسد فإن الحكم هو المنع، وهذاما ذهب إليه بعض العلماء المعاصرين[5]، وهو رأى سبق إليه عمر بن الخطاب: إذ هو أول من منع الزواج بالكتابيات مستنداً فى ذلك إلى حجتين:

أ – لأنه يؤدى إلى كساد الفتيات المسلمات وتعنيسهن.

ب – لأن الكتابية تفسد أخلاق الأولاد المسلمين ودينهم. وهما حجتان كافيتان فى

---

(١) إسناده صحيح، تفسير ابن كثير (١/٢٦٥).

(٢) الأحوال الشخصية لأبى زهرة ص (١٠٤).

(٣) فقه الأولويات دراسة فى الضوابط، محمد الوكيلى ص (٧٧).

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزائرى (٥/٧٦، ٧٧).

(٥) فقه الأولويات، محمد الوكيلى ص (٧٧).

هذا المنع، إلا أنه إذا نظرنا إلى عصرنا فإننا سنجد مفاسد أخرى كثيرة استجدت تجعل هذا المنع أشد[١]، وقد أورد الأستاذ جميل محمد مبارك مجموعة من هذه المفاسد منها:

أ – قد تكون للزوجة من أهل الكتاب مهمة التجسس على المسلمين.

ب – دخول عادات الكفار إلى بلاد المسلمين.

جـ – تعرض المسلم للتجنس بجنسية الكفار.

د – جهل المسلمين المتزوجين بالكتابيات مما يجعلهم عجينة سهلة التشكيل فى يد الكتابيات.

هـ – شعور المتزوجين بالكتابيات بالنقص وهو أمر أدى إليه الجهل بدين الله[٢].

وهى مفاسد كافية للاستدلال على حرمة الزواج بالكتابية فى عصرنا.

إن القيود التى وضعها عمر على الزواج بالكتابيات تنسجم مع المصالح الكبرى للدولة والأهداف العظمى للمجتمعات الإسلامية، فقد عرفت الأمم الواعية ما فى زواج أبنائها بالأجنبيات من المضار، وما يجلبه هذا الزواج من أخطار تعيب الوطن عفوا أو قصداً، فوضعت لذلك قيوداً وبالذات للذين يمثلونها فى المجالات العامة، وهو احتياط له مبرراته الوجيهة، فالزوجة تعرف الكثير من أسرار زوجها إن لم تكن تعرفها كلها، على قدر ما بينهما من مودة وانسجام، ولقد كان لهذه الناحية من اهتمام عمر رضى الله عنه مقام الأستاذية الحازمة الحاسبة لكل من جاء بعده كحاكم على مر الزمان، إن الزواج من الكتابيات فيه مفاسد عظيمة، فإنهن دخيلات علينا ويخالفننا فى كل شىء، وأكثرهن يبقين على دينهن، فلا يتذوقن حلاوة الإسلام وما فيه من وفاء وتقدير للزوج، قدر عمر كل ذلك بفهمه لدينه، وبصائر تقديره، لطبائع البشر، وبحسن معرفته لما ينفع المسلمين وما يضرهم، فأصدر فيه أوامره وعلى الفور وفى حسم[٣]. لقد كانت الحرية فى العهد الراشدى مصونة ومكفولة ولها حدودها وقيودها ولذلك ازدهر المجتمع وتقدم فى مدار الرقى، فالحرية حق أساسى للفرد والمجتمع، يتمتع بها فى تحقيق ذاته وإبراز قدراته،

---

(١) فقه الأولويات، محمد الوكيلى ص (٧٨).

(٢، ٣) شهيد المحراب، عمر التلمسانى ص (٢١٤).

وسلب الحرية من المجتمع سلب لأهم مقوماته فهو أشبه بالأموات.

إن الحرية فى الإسلام إشعاع داخلى ملأ جنبات النفس الإنسانية بارتباطها بالله، فارتفع الإنسان بهذا الارتباط إلى درجة السمو والرفعة، فأصبحت النفس تواقة لفعل الصالحات والمسارعة فى الخيرات ابتغاء رب الأرض والسماوات، فالحرية فى المجتمع الإسلامى دعامة من دعائمه تحققت فى المجتمع الراشدى فى أبهى صور انعكست أنوارها على صفحات الزمان(١).

سابعًا: نفقات الخليفة، والبدء بالتاريخ الهجرى ولقب أمير المؤمنين:

١ - نفقات الخليفة:

لما كانت الخلافة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى، فإن من يتولاها ويحسن فيها فإنه يرجى له مثوبته، وجزاؤه عند الله سبحانه وتعالى، فإنه يجازى المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته(٢)، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ذلك بالنسبة للجزاء الأخروى، وأما بالنسبة للجزاء الدنيوى فإن الخليفة الذى يحجز منافعه الصالحة للأمة، ويعمل على أداء الواجب نحوها يستحق عوضًا على ذلك، إذ أن المنافع إذا حجزت قوبلت بعوضين(٣)، فالقاعدة الفقهية أن كل محبوس لمنفعة غيره يلزمه نفقته، كمُفْتٍ وقاضٍ ووالٍ(٤)، وأخذ العوض على تولى الأعمال مشروع بإعطاء النبى ﷺ العمالة(٥) لمن ولاه عملاً(٦)، ولما ولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبى بكر مكث زمانًا، لا يأكل من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة، لم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فى ذلك فقال: قد شغلت نفسى فى هذا الأمر فما يصلح لى فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد

---

(١) المجتمع الإسلامى د. محمد أبو عجوة ص (٢٤٥).

(٢) السلطة التنفيذية (١/٢١٥).

(٣) المبسوط (١٥/١٤٧ - ١٦٦)، المغنى (٥/٤٤٥).

(٤) السلطة التنفيذية (١/٢١٥).

(٥) العمالة: بالضم، رزق العامل.

(٦) السلطة التنفيذية (١/٢١٦).

بن زيد بن عمرو بن نفيل(١)، وقال عمر لعلى: ما تقول أنت فى ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حظه من بيت المال فقال: أنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف(٢)، وجاء فى رواية أن عمر خرج على جماعة من الصحابة فسألهم: ما ترونه يحل لى من مال الله؟ أو قال: من هذا المال؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم بذلك منا، قال: إن شئتم أخبرتكم ما أستحل منه، ما أحج وأعتمر عليه من الظهر، وحلتى فى الشتاء وحلتى فى الصيف، وقوت عيالى شبعهم، وسهمى فى المسلمين، فإنما أنا رجل من المسلمين، قال معمر: وإنما كان الذى يحج عليه ويعتمر بعيراً واحداً(٣).

وقد ضرب الخليفة الراشد الفاروق للحكام أروع الأمثلة فى أداء الأمانة فيما تحت أيديهم، فقد روى أبو داود عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: ذكر عمر بن الخطاب يومًا الفيء فقال: ما أنا بأحق بهذا الفيء منكم، وما أحد منا بأحق به من أحد، إلا أنا على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسم رسول الله ﷺ فالرجل وقدمه، والرجل وبلاؤه، والرجل وعياله، والرجل وحاجته(٤). وعن الربيع بن زياد الحارثى أنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعجبته هيئته ونحوه، فقال: يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بطعام لين، ومركب لين، وملبس لين لأنت - وكان أكل طعامًا غليظًا - فرفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها رأسه، ثم قال: أما والله ما أراك أردت بها الله، ما أردت بها إلا مقاربتى، وإن كنت لعلها، لأحسب أن فيك خيراً، ويحك هل تدرى مثلى ومثل هؤلاء؟ قال: وما مثلك ومثلهم، قال: مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، فقالوا: أنفق علينا، فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: فذلك مثلى ومثلهم(٥)، وقد استنبط الفقهاء من خلال الهدى النبوى والعهد الراشدى مجموعة من الأحكام تتعلق بنفقات الخليفة منها:

أ - أنه يجوز للخليفة أن يأخذ عوضًا عن عمله، وقد نص النووى(٦)، وابن

---

(١) سعيد بن زيد العدوى أحد العشرة المبشرين بالجنة.
(٢) سنده صحيح، الخلافة الراشدة د. يحيى اليحيى ص (٢٧٠).
(٣) مصنف عبد الرزاق رقم (٢٠٠٤٦) نقلاً عن السلطة التنفيذية.
(٤) سنن أبى داود رقم (٢٩٥٠).
(٥) محض الصواب (١/٣٨٣)، الطبقات الكبرى (٣/٢٨٠، ٢٨١).
(٦) روضة الطالبين (١١/١٣٧).

العربى[1]، والبهوتى[2]، وابن مفلح[3] على جواز ذلك.

ب - وأن الخليفتين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد أخذا رزقًا على ذلك.

جـ- وأن أخذ الرزق هو مقابل انشغالهما في أمور المسلمين كما قاله أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

د - وأن الخليفة له أن يأخذ ذلك سواء كان بحاجة إليه أو لا، ويرى ابن المنير[4]، أن الأفضل له أن يأخذ، لأنه لو أخذ كان أعون فى عمله مما لو ترك، لأنه بذلك يكون مستشعراً بأن العمل واجب عليه[5].

٢ - بدء التاريخ:

يعد التاريخ بالهجرة تطوراً له خطره فى النواحى الحضارية، وكان أول من وضع التاريخ بالهجرة عمر، ويحكى فى سبب ذلك عدة روايات، فقد جاء عن ميمون بن مهران أنه قال: دفع إلى عمر رضى الله عنه صك محله فى شعبان، فقال عمر: شعبان هذا الذى مضى أو الذى هو آت أو الذى نحن فيه، ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: ضعوا للناس شيئًا يعرفونه، فقال قائل: اكتبوا على تاريخ الروم فقيل: إنه يطول وإنهم يكتبون من عند ذى القرنين، فقال قائل: اكتبوا تاريخ الفرس، قالوا: كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه أقام عشر سنين فكتب أو كتب التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ[6]. وعن عثمان بن عبيد الله[7]، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم فقال: متى نكتب التاريخ؟ فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه: منذ خرج النبى ﷺ من أرض الشرك يعنى من يوم هاجر، قال:

---

(١) البداية والنهاية (١٢/٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) الإعلام للزركلى (٨/٢٤٩).

(٣) السلطة التنفيذية (١/٢١٨).

(٤) المصدر نفسه (١/٢١٩).

(٥) شرح مسلم للنووى (٧/١٣٧).

(٦) محض الصواب (١/٣١٦)، ابن الجوزى ص (٦٩).

(٧) ابن أبى رافع مولى النبى ﷺ يروى عن أبيه.

فكتب ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه[١]، وعن ابن المسيب قال: أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب رضى الله عنه لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة على بن أبى طالب رضى الله عنه[٢]، وقال أبو الزناد[٣]: استشار عمر فى التاريخ فأجمعوا على الهجرة[٤]، وروى ابن حجر فى سبب جعلهم بداية التاريخ فى شهر محرم وليس فى ربيع الأول الشهر الذى تمت فيه هجرة النبى ﷺ أن الصحابة الذين أشاروا على عمر وجدوا أن الأمور التى يمكن أن يؤرخ بها أربعة، هى مولده ومبعثه وهجرته ووفاته، ووجدوا أن المولد والمبعث لا يخلو من النزاع فى تعيين سنة حدوثه، وأعرضوا عن التأريخ بوفاته لما يثيره من الحزن والأسى عند المسلمين، فلم يبق إلا الهجرة، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان من المحرم، إذ وقعت بيعة العقبة الثانية فى ذى الحجة، وهى مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال محرم، فناسب أن يجعل مبتدأ.. ثم قال ابن حجر: وهذا أنسب ما وقعت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم[٥].

وبهذا الحدث الإدارى المتميز أسهم الفاروق فى إحداث وحدة شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى فى شبه الجزيرة، حيث ظهرت وحدة العقيدة بوجود دين واحد، ووحدة الأمة بإزالة الفوارق، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد، فاستطاع أن يواجه عدوه وهو واثق من النصر[٦].

٣ - لقب أمير المؤمنين:

لما مات أبو بكر رضى الله عنه وكان يدعى خليفة رسول الله ﷺ فقال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيطول هذا، ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة، يدعى به من بعده من الخلفاء، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدُعى عمر أمير المؤمنين فهو أول من سمى بذلك[٧]، وعن

(١) المستدرك (٣/١٤) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبى ص (١٦٣).

(٣) عبد الله بن ذكوان القرشى، ثقة فقيه، التقريب ص (٣٠٢).

(٤) محض الصواب (١/٣١٧).

(٥) فتح البارى (٧/٢٦٨)، الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى ص (٢٨٦).

(٦) جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين، محمد الوكيل ص (٩٠).

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٨١)، محض الصواب (١/٣١١).

ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سأل أبا بكر بن سليمان بن أبى خيثمة(١)، لما كان أبو بكر رضى الله عنه يكتب من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ؟ ثم كان عمر رضى الله عنه يكتب بعده: من عمر بن الخطاب خليفة أبى بكر، من أول من كتب أمير المؤمنين فقال: حدثتنى جدتى الشفاء(٢)، وكانت من المهاجرات الأول، وكان عمر إذا دخل السوق دخل عليها قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عامل بالعراق(٣)، أن ابعث إلى برجلين جلدين نبيلين، أسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه صاحب العراقين بلبيد بن ربيعة، وعدى بن حاتم، فقدما المدينة فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص، فقالا له: (يا عمرو استأذن لنا على أمير المؤمنين، فدخل عمرو فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له عمر: ما بدا لك فى هذا الاسم يا ابن العاص؟ لتخرجن مما قلت، قال: نعم، قدم لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، إنه أمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من ذلك اليوم(٤)، وفى رواية: أن عمر رضى الله عنه قال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم فهو سمى نفسه(٥)، وبذاك يكون عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أول من سمى بأمير المؤمنين.

وأنه لم يسبق إليه، وإذا نظر الباحث فى كلام أصحاب النبى ﷺ رأى أن جميعهم قد اتفقوا على تسميته بهذا الاسم وسار له فى جميع الأقطار فى حال ولايته(٦).

****

---

(١) العدوى المدنى، ثقة، عارف بالنسب من الثالثة، التقريب ص (٦٠٧).
(٢) الشفاء بنت عبد الله العدوية، أسلمت قبل الهجرة.
(٣) محض الصواب (١/٣١٢).
(٤) المستدرك (٣/٨١، ٨٢) قال الذهبى: صحيح.
(٥) محض الصواب (١/٣١٢).
(٦) المصدر نفسه (١/٣١٣).

المبحث الثانى

صفات الفاروق، وحياته مع أسرته، واحترامه لأهل البيت

أولاً: أهم صفات الفاروق:

إن مفتاح شخصية الفاروق إيمانه بالله تعالى والاستعداد لليوم الآخر، وكان هذا الإيمان سببًا فى التوازن المدهش والخلاب فى شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولذلك لم تطغ قوته على عدالته، وسلطانه على رحمته، ولا غناه على تواضعه، وأصبح مستحقًا لتأييد الله وعونه، فقد حقق شروط كلمة التوحيد، من العلم واليقين، والقبول، والانقياد، والإخلاص والمحبة، وكان على فهم صحيح لحقيقة الإيمان، وكلمة التوحيد، فظهرت آثار إيمانه العميق فى حياته والتى من أهمها:

١- شدة خوفه من الله تعالى بمحاسبته لنفسه:

كان رضى الله عنه يقول: أكثروا من ذكر النار، فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامها حديد(١)، وجاء ذات يوم أعرابى، فوقف عنده وقال:

يا عمر الخير جزيت الجنة   جهز بنياتى وأمهنه

أقسم بالله لتفعلنه

قال: فإن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابى؟ قال:

أقسم أنى سوف أمضينه

قال: فإن مضيت ماذا يكون يا أعرابى؟ قال:

والله عن حالى لتسألنه   ثم تكون المسالات ثمه

والواقف المسئول بينهنه   إما إلى نار وإما جنة

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام أعطه قميصى هذا لذلك اليوم، لا لشعره، والله ما أملك قميصًا غيره(٢)، و هكذا بكى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بكاء شديداً تأثراً بشعر ذلك الأعرابى الذى ذكَّره بموقف الحساب يوم القيامة، مع أنه

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١٥٥).

(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٣١٢).

لا يذكر أنه ظلم أحداً من الناس، ولكنه لعظيم خشيته وشدة خوفه من الله تعالى تنهمر دموعه أمام كل من يُذكِّره بيوم القيامة(١)، وكان رضى الله عنه من شدة خوفه من الله تعالى يحاسب نفسه حساباً عسيراً، فإذا خيل إليه أنه أخطأ فى حق أحد طلبه، وأمره بأن يقتص منه، فكان يقبل على الناس يسألهم عن حاجتهم، فإذا أفضوا إليه بها قضاها، ولكنه ينهاهم عن أن يشغلوه بالشكاوى الخاصة إذا تفرغ لأمر عام، فذات يوم كان مشغولاً ببعض الأمور العامة(٢)، فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معى فأعنى على فلان، فإنه ظلمنى، فرفع عمر الدرة، فخفق بها رأس الرجل، وقال: تتركون عمر وهو مقبل عليكم، حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه، فانصرف الرجل متذمراً، فقال عمر علىّ بالرجل: فلما أعادوه ألقى عمر بالدرة إليه، وقال: أمسك الدرة، واخفقنى كما خفقتك، قال الرجل: لا يا أمير المؤمنين، أدعها لله ولك قال عمر: ليس كذلك :إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب، أو تردها على، فأعلم ذلك، فقال الرجل: أدعها لله يا أمير المؤمنين، وانصرف الرجل، أما عمر فقد مشى حتى دخل بيته(٣) ومعه بعض الناس منهم الأحنف بن قيس الذى حدثنا عما رأى: . . . فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس، فقال: يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين فجاء رجل يستعديك، فضربته، ما تقول لربك غداً إذا أتيته؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه خير أهل الأرض(٤). وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر رضى الله عنه وأنا فى السوق، و هو مار فى حاجة، ومعه الدرة، فقال: هكذا أمط(٥) عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقنى بها خفقة فما أصاب إلا طرف ثوبى، فأمطت عن الطريق، فسكت عنى حتى كان فى العام المقبل، فلقينى فى السوق، فقال: يا سلمة أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، فأخذ بيدى، فما فارقت يدى يده حتى دخل بيته، فأخرج كيساً فيه ست مائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكرتنيها قال: والله ما نسيتها بعد(٦)،

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٩/ ٤٦).

(٢، ٣) الفاروق للشرقاوى ص (٢٢٢).

(٤) محض الصواب (٢/ ٥٠٣).

(٥) ماطه وأماطه: نحاه ودفعه.

(٦) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٤٤) وإسناده ضعيف.

وكان رضى الله عنه يقول فى محاسبة النفس ومراقبتها: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيأوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[١] وكان من شدة خشيته لله ومحاسبته لنفسه يقول: لو مات جدى بطف[٢] الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر[٣]، وعن على رضى الله عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: بعير ند[٤] من إبل الصدقة أطلبه فقلت: أذللت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن لا تلمنى فوالذى بعث محمدا بالنبوة لو أن عناقًا[٥] أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة[٦]، وعن أبى سلامة قال: انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالاً ونساء فى الحرم على حوض يتوضأون منه، حتى فرق بينهم، ثم قال: يا فلان، قلت: لبيك، قال: لا لبيك ولا سعديك، ألم آمرك أن تتخذ حياضًا للرجال وحياضًا للنساء، قال: ثم اندفع فلقيه على رضى الله عنه فقال: أخاف أن أكون هلكت، قال: وما أهلكك؟ قال: ضربت رجالاً ونساء فى حرم الله - عز وجل - قال: يا أمير المؤمنين أنت راع من الرعاة، فإن كنت على نصح وإصلاح فلن يعاقبك الله، وإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم[٧]، وعن الحسن البصرى أنه قال: بينما عمر رضى الله عنه يجول فى سكك المدينة إذ عرضت له هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فانطلق إلى أبى بن كعب فدخل عليه بيته وهو جالس على وسادة فانتزعها أبى من تحته وقال: دونكها يا أمير المؤمنين قال: فنبذها برجله وجلس، فقرأ عليه هذه الآية وقال: أخشى أن أكون أنا صاحب الآية، وأوذى المؤمنين، قال: لا تستطيع إلا أن تعاهد رعيتك، فتأمر وتنهى، فقال عمر: قد قلت والله أعلم[٨]، وكان عمر رضى الله عنه ربما توقد النار ثم يدلى يده فيها، ثم يقول: ابن الخطاب هل لك على هذا صبر[٩].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص٣٧٢، فرائد الكلام ص (١٤٣).

(٢) طف: الشاطئ.

(٣) مناقب عمر ص (١٦٠، ١٦١).

(٤) ند: شرد وهرب.

(٥) العناق: الأنثى من المعز ما لم يتم له سنة.

(٦) مناقب عمر ص (١٦١).

(٧) مصنف عبد الرزاق (١/ ٧٥، ٧٦) وإسناده حسن، محض الصواب (٢//٦٢٢).

(٨) مناقب عمر ص (١٦٢)، محض الصواب (٢/ ٦٢٣).

(٩) نفس المصدر السابق ص (٦٢).

وعندما بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسية إلى عمر رضى الله عنه بقباء كسرى، وسيفه ومنطقته، وسراويله، وقميصه، وتاجه، وخفيه، نظر عمر فى وجوه القوم فكان أجسمهم وأمدهم قامة سراقة بن جعثم المدلجى، فقال: يا سراقة قم فالبس، فقام فلبس وطمع فيه، فقال له عمر: أدبر فأدبر ثم قال: أقبل فأقبل، ثم قال: بخ بخ، أعرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى، وسراويله، وسيفه، ومنطقته، وتاجه، وخفاه، رب يوم يا سراقة ابن مالك لو كان عليك فيه من متاع كسرى كان شرفًا لك ولقومك انزع فنزع سراقة، فقال عمر: اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك وكان أحب إليك منى وأكرم عليك منى، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى، وأكرم عليك منى، ثم أعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى ثم بكى حتى رحمه من عنده، ثم قال لعبد الرحمن: أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسى(١) ومواقفه فى هذا الباب كثيرة جداً.

٢- زهده:

فهم عمر رضى الله عنه من خلال معايشته للقرآن الكريم، ومصاحبته للنبى الأمين ﷺ ومن تفكره فى هذه الحياة بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء وعليه فإنها مزرعة للآخرة، ولذلك تحرّر من سيطرة الدنيا بزخارفها، و زينتها، وبريقها وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهراً وباطناً، وكان وصل إلى حقائق استقرت فى قلبه ساعدته على الزهد فى هذه الدنيا ومن هذه الحقائق:

أ- اليقين التام بأننا فى هذه الدنيا أشبه بالغرباء، أو عابرى سبيل كما قال النبى ﷺ: **«كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**(٢).

ب- وأن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة إلا ما كان منها طاعة لله - تبارك وتعالى - إذ يقول النبى ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربةَ ماء»**(٣)، **«ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، أو عالما، أو متعلما»**(٤).

---

(١) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٦٢٥).

(٢) الترمذى، ك الزهد رقم (٢٣٣٣) وهو حديث صحيح.

(٣) نفس المصدر السابق (٢٣٢٠).

(٤) نفس المصدر السابق (٢٣٢٢) حسن غريب قاله الترمذى.

جـ- وأن عمرها قد قارب على الانتهاء، إذ يقول ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى**»(١).

د- وأن الآخرة هي الباقية، وهي دار القرار، كما قال مؤمن آل فرعون:

﴿ **يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[غافر:٣٩، ٤٠](٢)، كانت هذه الحقائق قد استقرت فى قلب عمر فترفع رضى الله عنه عن الدنيا وحطامها وزهد فيها وإليك شيئًا من مواقفه التى تدل على زهده فى هذه الفانية، فعن أبى الأشهب(٣) قال: مر عمر رضى الله عنه على مزبلة فاحتبس عندها، فكأن أصحابه تأذوا بها، فقال: هذه دنياكم التى تحرصون عليها، وتبكون عليها(٤).

وعن سالم بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب كان يقول: والله ما نعبأ بلذات العيش أن نأمر بصغار المعزى أن تسمط(٥) لنا، ونأمر بلباب(٦) الخبز فيخبز لنا، ونأمر بالزبيب فينبذ لنا فى الأسعان(٧) حتى إذا صار مثل عين اليعقوب(٨)، أكلنا هذا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقى طيباتنا، لأنا سمعنا الله يقول: ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾[الأحقاف:٢٠]، وعن أبى عمران الجونى قال: قال عمر بن الخطاب: لنحن أعلم بلين الطعام من كثير من آكليه، ولكنا ندعه ليوم ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا** ﴾[الحج:٢]، وقد قال عمر رضى الله عنه: نظرت فى هذا الأمر، فجعلت إن أردت الدنيا أضر بالآخرة، وإن أردت الآخرة أضر بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا، فأضر بالفانية(٩)، وقد خطب رضى الله عنه الناس، وهو خليفة، وعليه

---

(١) مسلم، ك الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة - الحديث رقم (٨٦٧).

(٢) من أخلاق النصر فى جيل الصحابة د. السيد محمد نوح ص (٤٨، ٤٩).

(٣) جعفر بن حيان السعدى.

(٤) الزهد للإمام أحمد ص (١١٨).

(٥) السمط: سمط الجدى: سمطه: نتف صوفه بالماء الحار.

(٦) اللباب: الخالص من كل شيء.

(٧) الأسعان: جمع سعن، والسعن: قربة تقطع من نصفها وينتبذ فيها.

(٨) اليعقوب: الحجل.

(٩) الحلية (١/ ٥٠) وهو ضعيف لانقطاعه، مناقب عمر لابن الجوزى ص (١٣٧).

إزار فيها اثنتا عشرة رقعة(١)، وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، إحداهن بأدم أحمر(٢)، وأبطأ على الناس يوم الجمعة، ثم خرج فاعتذر إليهم فى احتباسه، وقال: إنما حبسنى غسل ثوبى هذا، كان يغسل، ولم يكن لى ثوب غيره(٣)، وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاجًا من المدينة إلى مكة، إلى أن رجعنا، فما ضرب له فسطاطًا(٤)، ولا خباء، كان يلقى الكساء(٥) والنطع(٦)، على الشجرة فيستظل تحته(٧)، هذا هو أمير المؤمنين الذى يسوس رعية من المشرق والمغرب يجلس على التراب وتحته رداء كأنه أدنى الرعية، أو من عامة الناس، ودخلت عليه مرة حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها وقد رأت ما هو فيه من شدة العيش والزهد الظاهر عليه فقالت: إن الله أكثر من الخير، وأوسع عليك من الرزق، فلو أكلت طعامًا أطيب من ذلك، ولبست ثيابًا ألين من ثوبك؟ قال: سأخصمك إلى نفسك(٨)، فذكر أمر رسول الله ﷺ وما كان يلقى من شدة العيش، فلم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وكانت معه حتى أبكاها، ثم قال: إنه كان لى صاحبان سلكا طريقًا، فإن سلكت الشديد، لعلى أن أدرك معهما عيشهما الرخى(٩).

لقد بسطت الدنيا بين يدى عمر رضى الله عنه وتحت قدميه، وفتحت بلاد الدنيا فى عهده، وأقبلت إليه الدنيا راغمة، فما طرف لها بعين، ولا اهتز لها قلبه، بل كان كل سعادته، فى إعزاز دين الله، وخضد شوكة المشركين، فكان الزهد صفة بارزة فى شخصية الفاروق(١٠)، يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: والله ما كان عمر بن الخطاب بأقدمنا هجرة، وقد عرفت بأى شىء فضلنا، كان أزهدنا فى الدنيا(١١).

---

(١) الزهد للإمام أحمد ص (١٢٤) له طرق تقويه.

(٢) الطبقات الكبرى (٣/٣٢٨) إسناده صحيح.

(٣) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/٥٦٦).

(٤) الفسطاط: بيت من شعر.

(٥) الكساء: فى الطبقات والمناقب او النطع.

(٦) النطع: بساط من الأديم.

(٧) الطبقات لابن سعد (٣/٢٧٩) وإسناده صحيح.

(٨) سأخصمك إلى نفسك: أى سأجعلك حكمًا على نفسك.

(٩) الزهد للإمام أحمد ص (١٢٥)، الطبقات (٣/٢٧٧).

(١٠) الفاروق أمير المؤمنين د. لماظة ص (١١).

(١١) إسناده جيد: أخرجه ابن أبى شيبة (٨/١٤٩) فى مصنفه، وابن عساكر (٥٢/٢٤٤).

٣- ورعه:

ومما يدل على ورعه رضى الله عنه ما أخرجه أبو زيد عمر بن شبة من خبر معدان بن أبى طلحة اليعمرى أنه قدم على عمر رضى الله عنه بقطائف وطعام، فأمر به فقسم، ثم قال: اللهم إنك تعلم أنى لم أرزقهم ولن أستأثر عليهم إلا أن أضع يدى فى طعامهم، وقد خفت أن تجعله ناراً فى بطن عمر، قال معدان: ثم لم أبرح حتى رأيته اتخذ صفحة من خالص ماله فجعلها بينه وبين جفان العامة، فأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يرغب فى أن يأكل مع عامة المسلمين لما فى ذلك من المصالح الاجتماعية، ولكنه يتحرج من أن يأكل من طعام صنع من مال المسلمين العام، فيأمر بإحضار طعام خاص له من خالص ماله، وهذا مثال رفيع فى العفة والورع إذ أن الأكل من مال المسلمين العام معهم ليس فيه شبهة تحريم لأنه منهم ولكنه قد أعف نفسه من ذلك ابتغاء مما عند الله تعالى، ولشدة خوفه من الله تعالى خشى أن يكون ذلك من الشبهات فحمى نفسه منه(١)، وعن عبد الرحمن بن نجيح قال: نزلت على عمر رضى الله عنه، فكانت له ناقة يحلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنا أنكره، فقال: ويحك من أين هذا اللبن لك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشربها، فخليت لك ناقة من مال الله، فقال: ويحك تسقينى ناراً، واستحل ذلك اللبن من بعض الناس، فقيل: هو لك حلال يا أمير المؤمنين ولحمها(٢)، فهذا مثل من ورع أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، حيث خشى من عذاب الله جل وعلا لما شرب ذلك اللبن مع أنه لم يتعمد ذلك، ولم تطمئن نفسه إلا بعد أن استحل ذلك من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم الذين يمثلون المسلمين فى ذلك الأمر.

وهذا الخبر وأمثاله يدل على أن ذكر الآخرة بما فيها من حساب ونعيم أو شقاء أخذ بمجامع عمر وملأ عليه تفكيره، حتى أصبح ذلك موجها لسلوكه فى هذه الحياة(٣)، لقد كان عمر رضى الله عنه شديد الورع، وقد بلغ به الورع فيما يحق له ولا يحق، أنه مرض يوماً، فوصفوا له العسل دواء، وكان فى بيت المال عسل جاء من بعض البلاد المفتوحة، فلم يتداو عمر بالعسل كما نصحه الأطباء، حتى جمع الناس، وصعد المنبر

(١) التاريخ الإسلامى (١٩/ ٣٧).

(٢) تاريخ المدينة المنورة ص (٧٠٢).

(٣) التاريخ الإسلامى (١٩/ ٢٨).

واستأذن الناس: إن أذنتم لى، وإلا فهو علىَّ حرام، فبكى الناس إشفاقًا عليه وأذنوا له جميعًا، ومضى بعضهم يقول لبعض: لله درك يا عمر! لقد أتعبت الخلفاء بعدك[١].

٤- تواضعه:

عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذى وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول الله ﷺ ففعل ذلك العباس[٢]، وعن الحسن البصرى قال: خرج عمر رضى الله عنه فى يوم حار واضعا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام، احملنى معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا، اركب وأركب أنا خلفك تريد تحملنى على المكان الوطئ، وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة، وهو خلفه والناس ينظرون إليه[٣]، وعن سنان بن سلمة الهذلى قال: خرجت مع الغلمان ونحن نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه الدرة، فلما رآه الغلمان تفرقوا فى النخل، قال: وقمت وفى إزارى شىء قد لقطته، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا ما تلقى الريح، قال: فنظر إليه فى إزارى فلم يضربنى، فقلت: يا أمير المؤمنين، الغلمان الآن بين يدى، وسيأخذون ما معى، قال: كلا، امش، قال: فجاء معى إلى أهلى[٤].

وقدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس فى يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (معمم) بعباءة يهنأ بعيراً من إبل الصدقة (أى يطليه بالقطران) فقال: يا أحنف ضع ثيابك، وهلم، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه إبل الصدقة، فيه حق اليتيم، والأرملة، والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلاً تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأى عبد هو أعبد منى، ومن الأحنف؟ إنه من ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١١٣)، الفاروق للشرقاوى ص (٢٧٥).

(٢) صفة الصفوة (١/٢٨٥).

(٣) أصحاب الرسول، محمود المصرى (١/١٥٧).

(٤) صلاح الأمة فى علو الهمة، سيد العفانى (٥/٤٢٥).

لسيده فى النصيحة، وأداء الأمانة[١]، وعن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال: رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على عاتقة قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغى لك هذا، فقال: لما أتانى الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسى نخوة، فأردت أن أكسرها[٢]، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب يوما، وخرجت معه حتى دخل حائطا، فسمعته يقول - وبينى وبينه جدار، وهو فى جوف الحائط - عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين بخ، والله بنى الخطاب، لتتقين الله أو ليعذبنك[٣]، وعن جبير ابن نفير: أن نفراً قالوا لعمر بن الخطاب: ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقول للحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله، فقال عوف ابن مالك[٤]: كذبتم - والله - لقد رأينا بعد رسول الله ﷺ، فقال: من هو؟ فقال: أبو بكر، فقال عمر: صدق عوف، وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسلك، وأنا أضل من بعير أهلى - يعنى قبل أن يسلم - لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين[٥].

وهذا يدل على تواضع عمر وتقديره للفضلاء ولا يقتصر على الأحياء منهم، ولكنه يعم منهم الموتي كذلك، فلا يرضى أن ينكر فضلهم أو يغفل ذكرهم، ويظل يذكرهم بالخير فى كل موقف، ويحمل الناس على احترام هذا المعنى النبيل وعدم نسيان ما قدموه من جلائل الأعمال، فيبقى العمل النافع متواصل الحلقات يحمله رجال من رجال إلى رجال، فلا ينسى العمل الطيب بغياب صاحبه أو وفاته وفى هذا وفاء وفيه إيمان[٦].

إن عمر رضى الله عنه لا يقر إغفال فضل من سبقه فى هذا المقام ولا يرضى أن تذهب أفضال السابقين أدراج النسيان. إن الأمة التي تنسى أو تغفل ذكر من خدموها، أمة مقضى عليها بالتبار، أليس من الخير أن يربى الناس على هذه الخلال السامية؟ لقد تربى عمر على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فعلماه ما تعجز عنه كتب التربية والأخلاق قديمها وحديثها، وما يزال كتاب الله بين أيدينا وما تزال سنة رسول الله ﷺ

(١) أخبار عمر ص (٣٤٣)، أصحاب الرسول، محمود المصرى (١/١٥٦).
(٢) مدارج السالكين (٢/٣٣٠).
(٣) مالك فى الموطا (٢/٩٩٢) إسناده صحيح.
(٤) الأشجعى، صحابى مشهور، من مسلمة الفتح.
(٥) مناقب عمر لابن الجوزى ص (١٤)، محض الصواب (٢/٥٨٦).
(٦) شهيد المحراب ص (١٤٤).

محفوظة لدينا وفيها علم وتربية وأخلاق بما لا يقاس عليه(١).

٥- حلمه:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس(٢)، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل(٣)، ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله(٤)، فعندما سمع رضى الله عنه الآية الكريمة هدأت ثائرته، وأعرض عن الرجل الذى أساء إليه فى خلقه عندما اتهمه بالبخل، وفى دينه عندما اتهمه بالجور فى القسم، وتلك التى يهتم لها عمر وينصب، ومن منا يملك نفسه عند الغضب؟ وخاصة إذا كان للغضب ما يحمل عليه، كثيرون لا أظن ولا قليلون، متى نتجمل بهذه التعاليم لنكون مثلاً قرآنياً نتحرك وفق ما نقرأ فى كتاب الله الكريم؟ متى يكون خلقنا القرآن(٥)؟ وعندما خطب عمر بالجابية فى الشام تحدث عن الأموال وكيفية القسمة وعن أمور ذكر منها... وإنى أعتذر إليكم عن خالد بن الوليد فإنى أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطى ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان فنزعته وأمرت أبا عبيدة ابن الجراح، فقام أبو عمرو بن حفص بن المغيرة(٦)، فقال: والله ما اعتذرت يا عمر، ولقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ وأغمدت سيفاً سله رسول الله ﷺ ووضعت أمراً نصبه رسول الله ﷺ، وقطعت رحما،وحسدت ابن العم. فقال عمر رضى الله

---

(١) شهيد المحراب ص (١٤٤، ١٤٥).

(٢) الحر بن قيس الفزارى، صحابى أسلم مع وفد بنى فزارة.

(٣) الجزل: الجزيل العظيم: واجزلت له العطاء اى اكثرت.

(٤) البخارى، ك تفسير القرآن رقم (٤٦٤٢).

(٥) شهيد المحراب ص (١٨١).

(٦) المخزومى.

عنه: إنك قريب القرابة، حديث السن، تغضب فى ابن عمك[١].

هذه بعض صفاته التى كانت ثماراً لتوحيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله تعالى، وقد تحدث العلماء والباحثون عن صفاته الشخصية والتى من أهمها: القوة الدينية، والشجاعة، والإيمان القوى، والعدل، والعلم، والخبرة، وسعة الإطلاع، والهيبة وقوة الشخصية، والفراسة والفطنة وبعد النظر والكرم، والقدوة الحسنة، والرحمة، والشدة والحزم، والغلظة، والتقوى والورع، وتكلموا عن سمات السلوك القيادى عند الخليفة عمر بن الخطاب والتى من أهمها؛ سماع النقد، والقدرة على تفعيل الناس وإيجاد العمل، والمشاركة فى اتخاذ القرارات بالشورى، والقدرة على إحداث التغيير والتقلب فى المواقف الطارئة، وشدة مراقبته للولاة والأمراء. وفى ثانيًا البحث سوف يلاحظ القارئ الكريم هذه الصفات وأكثر ولا أريد حصرها فى هذا المبحث خوفًا من التكرار.

ثانيًا: حياته مع أسرته:

قال عمر رضى الله عنه: إن الناس ليؤدون إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، وإن الإمام إذا رتع رتعت الرعية[٢]، ولذلك كان رضى الله عنه شديداً فى محاسبة نفسه وأهله، فقد كان يعلم أن الأبصار مشرئبة نحوه وطامحة إليه، وأنه لا جدوى إن قسا على نفسه ورتع أهله فحوسب عنهم فى الآخرة، ولم ترحمه ألسنة الخلائق فى الدنيا، فكان عمر إذا نهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: إنى نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإنى والله لا أوتى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا أضعفت له العذاب، لمكانه منى، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم أن يتأخر[٣] و كان شديد المراقبة والمتابعة لتصرفات أولاده وأزواجه وأقاربه وهذه بعض المواقف:

١- المرافق العامة:

منع عمر رضى الله عنه أهله من الاستفادة من المرافق العامة التى رصدتها الدولة لفئة من الناس، خوفًا من أن يحابى أهله به، قال عبد الله بن عمر: اشتريت إبلاً أنجعتها الحمى

(١) محض الصواب (٢/ ٦٠٢).

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب د. محمد قلعجى ص (١٤٦).

(٣) محض الصواب (٣/ ٨٩٣).

فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سمانًا، فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ... بخ... ابن أمير المؤمنين، قال: ما هذه الإبل؟ قال، قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى ابتغى ما يبتغى المسلمون، قال: فقال: فيقولون ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر اغد إلى رأس مالك، واجعل باقيه فى بيت مال المسلمين(١).

٢- محاسبته لابنه عبد الله لما اشترى فئ جلولاء:

قال عبد الله بن عمر: شهدت جلولاء - إحدى المعارك ببلاد فارس - فابتعت من المغنم بأربعين ألفًا، فلما قدمت على عمر قال: أرأيت لو عرضت على النار فقيل لك: افتده، أكنت مفتديا به؟ قلت: والله ما من شيء يؤذى بك إلا كنت مفتديًا بك منه، قال: كأنى شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه، وأنت كذلك فكان أن يرخصوا عليك أحب إليهم من أن يغلوا عليك، وإنى قاسم مسئول وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف درهم، فدفع إلى ثمانين ألفا وبعث بالباقى إلى سعد بن أبى وقاص ليقسمه(٢).

٣- منع جرّ المنافع بسبب صلة القربى به:

عن أسلم قال: خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر فى جيش إلى العراق فلما قفلا مرا على أبى موسى الأشعرى وهو أمير البصرة فرحب بهما وسهل وقال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين وأسلفكماه فتبيعان به متاع الراق ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح، ففعلا، وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال. فلما قدما على عمر قال: أكل الجيش أسلف كما أسلفكما؟ فقالا: لا، فقال عمر: أديا المال وربحه، فأما عبد الله فسكت، وأما عبيد الله فقال: ما ينبغى لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال أو نقص لضمناه. فقال: أديا المال. فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله. فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضًا (شركة)(٣). فأخذ عمر رأس

(١) مناقب عمر لابن الجوزى ص (١٥٧، ١٥٨).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى عهد الخلفاء الراشدين ص (٢٧٠، ٢٧١).
(٣) الخلفاء الراشدون للنجار ص (٢٤٤).

المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال. قالوا: هو أول قراض في الإسلام.

٤- تفضيل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر رضي الله عنهم في العطاء:

كان عمر رضي الله عنه يقسم المال ويفضل بين الناس على السابقة والنسب ففرض لأسامة بن زيد رضي الله عنه أربعة آلاف، وفرض لعبد الله بن عمر رضي الله عنه ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت فرضت لأسامة بن زيد أربعة آلاف، و فرضت لي ثلاثة آلاف؟ فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك! وما كان له من الفضل ما لم يكن لي! فقال عمر: إن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وهو كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك[١]!!

٥- أنفقت عليك شهراً:

قال عاصم بن عمر: أرسل إليّ عمر يرفأ (مولاه) فأتيته - وهو جالسٌ في المسجد - فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني لم أكن أرى شيئًا من هذا المال يحل لي قبل أن أليه إلا بحقه، ثم ما كان أحرم علي منه حين وليته، فعاد أمانتي، وإني كنت أنفقت عليك من مال الله شهراً، فلست بزائدك عليه، وإني أعطيت ثمرك بالعالية منحة، فخذ ثمنه، ثم ائت رجلاً من تجار قومك فكن إلى جانبه، فإذا ابتاع شيئًا فاستشركه وأنفق عليك وعلى أهلك قال: فذهبت ففعلت[٢].

٦- خذه يا معيقيب فاجعله في بيت المال:

قال معيقيب: أرسل إليَّ عمر رضي الله عنه مع الظهيرة، فإذا هو في بيت يطالب ابنه عاصمًا... فقال لي: أتدري ما صنع هذا؟ إنه انطلق إلى العراق فأخبرهم أنه ابن أمير المؤمنين، فانتفقهم «سألهم النفقة»، فأعطوه آنية وفضة ومتاعًا، وسيفًا محلى. فقال: عاصم: ما فعلت، إنما قدمت على أناس من قومي، فأعطوني هذا. فقال عمر: خذه يا معيقيب، فاجعله في بيت المال[٣].

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١١٣).

(٢) الطبقات (٣/٢٧٧) إسناده صحيح، محض الصواب (٢/٤٩١).

(٣) عصر الخلافة الراشدة للعمري ص (٢٣٦)، والأثر حسن.

فهذا مثل من التحرى فى المال يكتسبه الإنسان عن طريق جاهه، ومنصبه، فحيث شعر أمير المؤمنين عمر بأن ابنه عاصماً قد اكتسب هذا المال لكونه ابن أمير المؤمنين تحرج فى إبقاء ذلك المال عنده لكونه اكتسبه بغير جهده الخاص فدخل ذلك فى مجال الشبهات(١).

٧- عاتكة زوجة عمر والمسك:

قدم على عمر رضى الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال عمر: والله لوددت أنى وجدت امرأة حسنة الوزن تَزِنُ لى هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: أنا جيدة الوزن فهلمّ أزن لك، قال: لا، قالت: لم؟ قال: إنى أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا - وأدخل أصابعه فى صدغيه - وتمسحي به عنقك، فأصيب فضلاً على المسلمين(٢)، فهذا مثل من ورع أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه واحتياطه البالغ لأمر دينه، فقد أبى على امرأته أن تتولى قسمة ذلك الطيب حتى لا تمسح عنقها منه فيكون قد أصاب شيئًا من مال المسلمين، وهذه الدقة المتناهية فى ملاحظة الاحتمالات لأوليائه السابقين إلى الخيرات، وفرقان يفرقون به بين الحلال والحرام والحق والباطل، بينما تفوت هذه الملاحظات على الذين لم يشغلوا تفكيرهم بحماية أنفسهم من المخالفات(٣).

٨- رفضه هدية لزوجته:

قال ابن عمر: أهدى أبو موسى الأشعرى لامرأة عمر عاتكة بنت زيد طنفسة، أراها تكون ذراعًا وشبرًا، فرآها عمر عندها، فقال: أنَّى لك هذه؟ فقالت: أهداها لى أبو موسى الأشعرى، فأخذها عمر رضى الله عنه فضرب بها رأسها، حتى نفض رأسها(٤)، ثم قال عليَّ بأبى موسى وأتعبوه فاتى به، وقد أتعب وهو يقول: لا تعجل عليَّ يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما يحملك على أن تهدى لنسائى؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها فلا حاجة لنا فيها(٥)، وكان رضى الله عنه يمنع أزواجه فى التدخل فى شئون الدولة، فعندما كتب عمر رضى الله عنه على بعض عماله، فكلمته امرأته فيه

(١) التاريخ الإسلامى (١٩/ ٤٠).
(٢) الزهد للإمام أحمد ص (١١)، نقلاً عن التاريخ الإسلامى (١٩/ ٣٠).
(٣) التاريخ الإسلامى (١٩/ ٣٠).
(٤) نفض الرأس: حركة فى ارتجاف.
(٥) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذرى ص (٢٦٠).

فقالت: يا أمير المؤمنين فيم وجدت عليه؟ قال: يا عدوة الله وفيم أنت وهذا؟ إنما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين، وفي رواية: فأقبلي على مغزلك ولا تعرضي فيما ليس من شأنك(١).

٩- هدية ملكة الروم لزوجته أم كلثوم:

ذكر الأستاذ الخضري في محاضراته، أنه لما ترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وسير إليه عمر الرسل مع البريد بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحناش من أحناش النساء ودسته إلى البريد فأبلغه لها فأخذ منه وجاءت امرأة قيصر وجمعت نساءها وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم وكاتبتها وأهدت لها وفيما أهدت لها عقد فاخر، فلما انتهى به البريد إليه أمر بإمساكه ودعا الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري. قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فقال قائلون: هو له بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ولا تحت يديك فتبقيك. وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنستثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب شيئًا، فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها فأمر بردها إلى بيت المال ورد عليها بقدر نفقتها(٢).

١٠- أم سليط أحق به:

عن ثعلبة بن أبي مالك أنه قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطًا بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال عمر: أم سليط أحق به - وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ - قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد(٣).

١١- غششت أباك ونصحت أقرباءك:

جيء إلى عمر رضي الله عنه بمال، فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين، فقالت: يا أمير المؤمنين، حق أقربائك من هذا المال، قد أوصى الله عز وجل بالأقربين من هذا المال، فقال:

(١) أخبار عمر ص (٢٩٣)، الشيخان رواية البلاذري ص (١٨٨).

(٢) الخلفاء الراشدون د. عبد الوهاب النجار ص (٢٤٥).

(٣) فتح الباري (٧/٤٢٤)، (٦/٩٣)، الخلافة الراشدة ص (٢٧٣).

يا بنية حق أقربائى فى مالى، وأما هذا ففى سداد المسلمين، غششت أباك ونصحت أقرباءك. قومى[1].

١٢- أردت أن ألقى الله ملكًا خائنًا؟

قدم صهر لعمر عليه فطلب أن يعطيه عمر من بيت المال فانتهره عمر وقال: أردت أن ألقى الله ملكًا خائنًا؟ فلما كان بعد ذلك أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم[2].

هذه بعض المواقف التى تدل على ترفع عمر عن الأموال العامة ومنع أقربائه وأهله من الاستفادة من سلطانه ومكانته، ولو أن عمر أرخى العنان لنفسه أو لأهل بيته لرتعوا ولرتع من بعدهم، وكان مال الله تعالى حبسًا على أولياء الأمور. ومن القواعد الطبيعية المؤيدة بالمشاهد أن الحاكم إذا امتدت يده إلى مال الدولة اتسع الفتق على الراتق واختل بيت المال أو مالية الحكومة وسرى الخلل إلى جميع فروع المصالح وجهر المستسر بالخيانة وانحل النظام، ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس زاهداً فى حقوقهم دعاهم ذلك إلى محبته والرغبة فيه، وإذا كان حاكمًا حدبوا عليه وأخلصوا فى طاعته وكان أكرم عليهم من أنفسهم[3].

ومن خلال حياته مع أسرته وأقربائه يظهر لنا معلم من معالم الفاروق فى ممارسة منصب الخلافة وهى القدوة الحسنة فى حياته الخاصة والعامة، حتي قال فى حقه على بن أبى طالب: عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعوا، وكان لالتزامه بما يدعو إليه، ومحاسبته نفسه وأهل بيته أكثر مما يحاسب به ولاته وعماله الأثر الكبير فى زيادة هيبته فى النفوس وتصديق الخاصة والعامة له[4].

هذا هو عمر الخليفة الراشد الذى بلغ الذروة فى القدوة، رباه الإسلام فملأ الإيمان بالله شغاف قلبه، إنه الإيمان العميق، الذى صنع منه قدوة للأجيال، ويبقى الإيمان بالله والتربية على تعاليم هذا الدين سببًا عظيمًا فى جعل الحاكم قدوة فى أروع ما تكون القدوة من هنا إلى يوم القيامة[5].

---

(١) الزهد للإمام أحمد ص (١٧)، فرائد الكلام ص (١٣٩).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبى ص (٢٧١).

(٣) الخلفاء الراشدون للذهبى ص (٢٧١).

(٤) القيادة والتغيير ص (١٨٢).

(٥) فن الحكم ص (٧٤).

ثالثًا : احترامه ومحبته لأهل البيت :

لا شك أن لأهل بيت النبى ﷺ منزلة رفيعة ودرجة عالية من الاحترام والتقدير عند أهل السنة والجماعة، حيث يرعون حقوق آل البيت التى شرعها الله لهم، فيحبونهم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ التى قالها يوم غدير خم: **«أذكركم الله فى أهل بيتى»** (١)، فهم أسعد الناس بالأخذ بهذه الوصية، وتطبيقها، فيتبرؤون من طريقة الروافض الذين غلوا فى بعض أهل البيت، غلوا مفرطًا، وطريقة النواصب الذين يؤذونهم ويبغضونهم، فأهل السنة متفقون على وجوب محبة أهل البيت وتحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم بقول أو فعل(٢)، وهذا الفاروق رضى الله عنه يوضح لنا معتقد أهل السنة فى أهل البيت من خلال تصرفاته ومواقفه معهم.

١- معاملته لأزواج النبى ﷺ :

كان رضى الله عنه يتفقد أزواج النبى ﷺ ويجزل لهن العطاء، وكان لا يأكل طريفة ولا فاكهة إلا جعل منها لأزواج النبى ﷺ وآخر من يبعث إليه حفصة، فإن كان نقصان كان فى حقها(٣). وكان يرسل العطاء لهن، فهذه القصة وقعت مع أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها لما خرج العطاء أرسل عمر إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها بالذى لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى. فقالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب قالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوبًا، ثم قالت لبرزة بنت رافع: أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان: (من أهل رحمها وأيتامها) فقسمته حتى بقيت تحت الثوب. فقالت برزة: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا فى هذا حق. قالت: فلكم ما تحت هذا الثوب. قالت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهمًا. ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا. فماتت رضى الله عنها، فكانت أول أزواج النبى ﷺ لحوقًا به(٤)، ومن صور إكرامه لأزواج النبى ﷺ ما روته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، تقول: كان عمر بن الخطاب يرسل إلينا بأحظائنا حتى من الرؤوس والأكارع(٥).

---

(١) مسلم، ك فضائل الصحابة، رقم (٢٤٠٨).

(٢) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٥٩).

(٣) الزهد، ص (١٦٦) من طريق مالك وإسناده صحيح.

(٤) خبر حسن أخرجه ابن سعد (١٠٩/٨)، أخبار عمر ص (١٠٠).

(٥) خبر صحيح، أخرجه ابن سعد (٣٠٣/٣).

وعندما استأذن أزواج النبى ﷺ عمر فى الحج، فأبى أن يأذن لهن حتى أكثرن عليه فقال: سآذن لكن بعد العام وليس هذا من رأيى، فأرسل معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وأمرهما أن يسير أحدهما بين أيديهن والآخر خلفهن ولا يسايرهن أحد، فإذا نزلن فأنزلوهن شعبًا ثم كونا على باب الشعب لا يدخلن عليهن أحد، ثم أمرهما إذا طفن بالبيت لا يطوف معهن أحد إلا النساء(١).

٢- على بن أبى طالب رضى الله عنه وأولاده:

كان عمر رضى الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم على أبنائه، وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف.

- جاء فيما رواه الحسين بن على رضى الله عنه: أن عمر قال لى ذات يوم: أى بُنَىّ لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يومًا وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقينى بعد، فقال: يا بنى لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خالٍ بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنت من رؤوسنا ما ترى: الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه(٢).

وروى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه على بن الحسين، قال: قدم على عمر حُلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا فى الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضى الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شىء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لى ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شىء، كبرت عنهما وصغر عنهما، ثم كتب إلى اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما(٣)، وعن أبى جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، جمع ناسًا من أصحاب النبى ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بنى هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلى، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بنى عدى ابن كعب،

---

(١) الإدارة فى عهد عمر بن الخطاب ص (١٢٦)، الفتح (٤/ ٨٧).
(٢) المرتضى للندوى ص (١١٨) نقلاً عن الإصابة (١/ ١٣٣).
(٣) المصدر نفسه ص (١١٨) نقلاً عن الإصابة (١/ ١٠٦).

فكتب: من شهد بدراً من بني هاشم، ثم من شهد بدراً من بنى أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ(١)، يقول العلامة شبلى النعمانى فى كتاب «الفاروق» حول عنوان (رعاية الحقوق والآداب بين الآل والأصحاب): إن عمر رضى الله عنه لم يكن يبتُ برأى فى مهمات الأمور قبل أن يستشير عليًا رضى الله عنه، الذى كان يشير عليه بغاية من النصح ودافع من الإخلاص، ولما سافر إلى بيت المقدس استخلفه فى جميع شئون الخلافة على المدينة، وقد تمثل مدى الانسجام والتضامن بينهما حينما زوجه على رضى الله عنه من السيدة أم كلثوم التي كانت بنت فاطمة رضى الله عنها(٢)، وسمى أحد أولاده عمر، كما سمى أحدهم أبا بكر، وسمى الثالث عثمان(٣)، ولا يسمى الإنسان أبناءه إلا بأحب الأسماء وبمن يرى فيهم القدوة المثالية(٤).

كان علىٌّ رضى الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وكان عمر يستشيره فى الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفى موضوع التقويم الهجرى وغير ذلك من الأمور(٥)، وكان على رضى الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحًا لعمر خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أناس إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التى تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضَّ عليه، وكل أمورهم كانت تجرى من وراء الكواليس(٦).

يقول الدكتور البوطى: إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل فى خلافة عمر ذلك التعاون المتميز الصافى، بين عمر وعلى رضى الله عنهما، فقد كان على هو المستشار الأول لعمر فى سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علىٌّ على عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه

(١، ٢) المرتضى للندوى ص (١١٩).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٣١، ٣٣٢).

(٤) المرتضى للندوى ص (١١٩).

(٥) على بن أبى طالب مستشار أمين الخلفاء الراشدين محمد الحاجى ص (٩٩).

(٦) نفس المصدر السابق ص (١٣٨).

عن قناعة، وحسبك في ذلك قوله: لولا عليٌّ لهلك عمر، أما على فقد كان يمحضه النصح في كل شئونه وأحواله، وقد رأيت أن عمر (استشاره في أن يذهب بنفسه على رأس جيش لقتال الفرس، فنصحه نصيحة المحب له الغيور عليه والضنين به، أن لا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذى سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلى، أفكان لعلى أن يعرض عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة، بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة رضوان الله عليهم كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصوّر أن يجمعوا وفى مقدمتهم على رضوان الله عليه على ذلك؟ ثم يقول بعد ذلك بقليل: بوسعنا أن نعلم إذن، بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد – نهاية عهد عمر – بل إلى نهاية عهد على كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أى من المسلمين أى إشكال بشأن الخلافة أو بشأن من هو أحق بها[1].

٣- الخلاف بين العباس وعلى رضى الله عنهما فى فيء رسول الله ﷺ من بنى النضير:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلى حين متع[2]، النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتينى، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال[3] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكيء على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيرى، قال: اقبضه أيها المرء، فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفا، فقال: هل لك في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص، يستأذنون؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلّموا وجلسوا ثم جلس يرفا يسيرا، ثم قال: لك في عليٍّ، وعباسٍ؟ قال نعم: فأذن لهما، فدخلاً فسلما فجلسا، فقال عباس: (يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا). وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بنى النضير، فقال الرهط عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. قال عمر: تيدكم[4]،

---

(١) فقه السيرة النبوية ص (٥٢٩).

(٢) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

(٣) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن.

(٤) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، اى اتئد.

أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: **لا نورث ما تركنا صدقة**، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرَّهطُ: قد قال ذلك؛ فأقبل عمر على على، وعباس، فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإنى أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحدا غيره، ثم قرأ: ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾. فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقى منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلى، وعباس: أنشدكما بالله، هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولىُّ رسول الله ﷺ فقبضها أبو بكر، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولىَّ أبى بكر فقبضتها سنتين من إمارتى، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أنى فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتمانى تكلمانى وكَلِمَتُكُما واحدة، وأمركما واحد، جئتنى يا عباس، تسألنى نصيبك من ابن أخيك، وجاءنى هذا «يريد عليا» يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: **لا نورث ما تركناه صدقة**، فلما بدا لى أن أدفعه إليكما؟ قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على علىٍّ وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان منى قضاء غير ذلك، فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضى فيها قضاءً غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلى، فإنى أكفيكماهما[١].

(١) رواه البخارى ك فرض الخمس رقم (٣٠٩٤)، ومسلم رقم (١٧٥٧) واللفظ للبخارى.

٤ - احترام عمر للعباس وابنه عبدالله رضى الله عنهم:

بينّ الفاروق رضى الله عنه للأمة عامة فضل العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ ومدى احترامه وتواضعه ومعرفته لحقه، وذلك عندما استسقى به فى عام الرمادة كما سيأتى بإذن الله تعالى، بل قد أقسم عمر رضى الله عنه للعباس كما تقدم: أن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله ﷺ(١)، ومن المحبة التى كان يكنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابن عم رسول الله ﷺ عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أنه كان يدخله فى مجلس كبار الصحابة من مشيخة بدر رضى الله عنهم، وقد كان لهم أبناء فى سنه ولم يحظ بهذا التكريم سواه، وفى هذا بيان لفضيلته ومكانته العلمية لدى الفاروق رضى الله عنهم أجمعين. فقد روى البخارى بإسناده إلى ابن عباس قال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمته، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:١، ٢] حتى ختم السورة فقال بعضهم: لا ندرى أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لى: يا ابن العباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله، والفتح مكة فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابا، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم(٢)، قال الحافظ ابن حجر: وأخرج البغوى(٣)، فى معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال: كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إنى رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوما فمسح رأسك وقال **اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل**(٤)، ففعل عمر رضى الله عنه هذا تقريرا لجلالة قدر ابن عباس وبيانا لكبير منزلته فى العلم والفهم، وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن عمر رضى الله عنه كان يقول: نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس، وكان يقول إذا أقبل: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السئول، والقلب العقول(٥)، لقد كان الحب والود متبادلا بين عمر وبين أهل بيت رسول الله ﷺ.

---

(١) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٢١٠).

(٢) البخارى، رقم (٤٢٩٤).

(٣) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٢١٠).

(٤) فتح البارى (١/ ١٧٠).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ٣٠٣).

المبحث الثالث
حياة عمر فى المجتمع واهتمامه بنظام الحسبة

أولاً: حياة عمر فى المجتمع:

كانت حياة عمر رضى الله عنه فى المجتمع تطبيقًا حيًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن خلال مواقفه المتنوعة نرى الإسلام متجسداً فى سيرته وإليك بعض هذه المواقف:

١- عمر رضى الله عنه ورعايته لنساء المجتمع:

كان عمر رضى الله عنه يهتم بنساء المسلمين وبناتهم، وعجائزهم ويعطى لهن حقوقهن، ويرفع عنهن ما يقع من الظلم عليهن، ويرعى شئون الأسر التى غاب عنها رجالها فى الجهاد، ويحرص على إيصال حقوق الأرامل إليهن حتى قال قولته المشهورة: والله لئن سلمنى الله لا أدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدى أبداً (١)، وهذه بعض المشاهد التى كتبت على صفحات الزمن بأحرف من نور:

- ثكلتك أمك .. عثرات عمر تتبع:

خرج عمر رضى الله عنه فى سواد الليل فرآه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما، فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعهدنى منذ كذا وكذا، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى فقال طلحة: ثكلتك أمك عثرات عمر تتبع (٢).

إن الاهتمام بضعفاء المجتمع من عوامل النصر، ومن القربات العظيمة التى يتقرب بها إلى المولى عز وجل فينبغى لقادة الحركات الإسلامية، وحكام الشعوب الإسلامية، وأئمة المساجد وأبناء المسلمين أن يعتنوا بهذا الجانب الإنسانى فى مجتمعاتهم ويعطوه حقه.

---

(١) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص (٣٧٣).

(٢) أخبار عمر ص (٣٤٤)، محض الصواب (١/٣٥٦) فيه ضعف لإعضاله.

- هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات:

خرج عمر رضى الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدى فإذا امرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر بن الخطاب فردت عليه السلام، وقالت: يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميراً فى سوق عكاظ تذعر الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً، ولم تذهب الأيام حتى سُمّيت أمير المؤمنين، فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت، فقال الجارود: أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر: دعها أما تعرف هذه؟ هذه هى خولة بنت ثعلبة التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحق أن يسمع لها (١)، وجاء فى رواية: فوالله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع إليها(٢)، وجاء فى رواية: هذه خولة التى أنزل الله فيها: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾ [المجادلة: ١](٣).

- مرحبًا بنسب قريب:

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجى وترك صبية صغاراً والله ما يُنضجون كُراعا، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خُفاف بن إيماء الغفارى (٤)، وقد شهد أبى الحديبية مع النبى ﷺ فوقف معها عمر ولم يمض، وقال: مرحبًا بنسب قريب ثم انصرف إلى بعيرٍ ظهيرٍ(٥)، كان مربوطًا فى الدار، فحمل عليه غرارتين (٦) ملأهما طعاماً، وجعل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، فقال عمر: ثكلتك أمك، والله إنى لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه(٧)، ثم أصبحنا نستفىء سُهمانهما فيه (٨).

---

(١) محض الصواب (٣/٧٧٧)، ضعيف لانقطاعه بين قتادة وعمر بن الخطاب.

(٢) الدارمى الرد على الجهمية ص (٤٥).

(٣) العلو للعلى الغفار للذهبى ص (٦٣).

(٤) إمام بنى غفار وخطيبهم شهد الحديبية توفى فى خلافة عمر.

(٥) بعير ظهير: أى قوى للظهر معد للحاجة.

(٦) الغرارة: الجوالق واحدة الغرائر.

(٧) لفظ البخارى: ففتحناه.

(٨) البخارى: ك المغازى رقم (٤١٦١).

وهذا دليل على وفاء الفاروق لكل من قدم للإسلام شيئًا، ولو كان صغيراً.. ويا له من وفاء نحن فى أشد الحاجة إليه فى هذا الزمان الذى يكاد ينعدم فيه الوفاء عند كثير من الناس [١].

- خطبته لأم كلثوم بنت الصديق:

تقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها يخطب منها أختها الصغرى أم كلثوم، وحدثت عائشة أختها فردت عليها: لا حاجة لى فى ذلك، فقالت لها: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم إنه خشن العيش شديد على النساء، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته، فقال: يا أم المؤمنين، لا تراعى، أنا أكفيك هذا الأمر، ثم مضى إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، بلغنى خبر أعيذك بالله منه، قال: ما هو؟ قال: خطبت أم كلثوم بنت أبى بكر؟ قال: نعم، أفرغبت بى عنها، أم رغبت بها عنى؟ قال: لا هذا ولا ذاك، لكنها حَدَثَة نشأت فى كنف أم المؤمنين عائشة فى لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك، وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك فى شىء فسطوت بها؟ كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق لك، قال عمر: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟ قال: أنا أكفيك عائشة يا أمير المؤمنين.[٢]، وفى رواية: أن عمرو بن العاص قال: يا أمير المؤمنين لو ضممت إليك امرأة؟ قال عمر: عسى أن يكون ذلك فى أيامك هذه، قال عمرو: ومن ذكر أمير المؤمنين؟ قال عمر: أم كلثوم بنت أبى بكر، قال عمرو: مالك وللجارية تنعى إليك أباها بكرة وعشيا، قال عمر: أعائشة أمرتك بهذا؟ قال عمرو: نعم فتركها وتزوجها طلحة بن عبيدالله[٣].

من الأمانى الحلوة التى تداعب خيال الفتيات، الزواج من عظيم قومها، وهنا يتقدم أمير المؤمنين خاطبًا غير آمر، ولا مكره، وفى تمام الحرية والتصميم ترفض الفتاة أمير المؤمنين رفضًا مسببًا، ويبلغ أمير المؤمنين بالرفض فيعدل، ويقلع غير حانق ولا ضائق ولا مهدد ولا متوعد، لأنه يعلم أن الإسلام لا يرغم الفتاة على الزواج بمن لا تريد، ولقد

---

(١) أصحاب الرسول محمود المصرى (١/ ١٧٧).

(٢) الفاروق عمر للشرقاوى ص (٢١٠، ٢١١).

(٣) شهيد المحراب ص (٢٠٤).

كان عمرو بارعا فى لباقة مدخله بتبليغ الرفض، كما كان عمر لماحا فى معرفة مصدره رغم دقة عمرو فى التعبير [١]، بل إن عمر رضى الله يقف بجانب الفتيات فى حقهن فى الموافقة على من يتقدم إليهن حيث يقول: لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح، فإنهن يحببن ما تحبون [٢].

- رجل يكلّم امرأة فى الطريق:

بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمرّ فى الطريق، فإذا هو برجل يكلم امرأة، فعلاه بالدرة فقال: يا أمير المؤمنين إنما هى امرأتى، فقال له: فلم تقف مع زوجتك فى الطريق تعرضان المسلمين غيبتكما؟ فقال: يا أمير المؤمنين الآن قد دخلنا المدينة ونحن نتشاور أين ننزل، فدفع إليه الدرة وقال: اقتص منى يا عبدالله، فقال: هى لك يا أمير المؤمنين فقال: خذ واقتصّ فقال بعد ثلاث: هى لله، قال: لله لك فيها [٣].

- امرأة تشتكى إلى عمر من زوجها:

جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجى قد كثر شره، وقل خيره، قال لها عمر: ومن زوجك؟ قالت: أبو سلمة. قال: فعرفه عمر رضى الله عنه فإذا رجل له صحبة، فقال لها عمر: ما نعلم من زوجك إلا خيراً، ثم قال لرجل عنده ما تقول أنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا نعلم إلا ذلك، فأرسل إلى زوجها وأمرها فقعدت خلف ظهره، فلم يلبث أن جاء الرجل مع زوجها، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: ومن هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه امرأتك، قال: وتقول ماذا؟ قال: تزعم أنه كثر شرُّك وقل خيرك، قال: بئسما قالت يا أمير المؤمنين، والله إنها لأكثر نسائها كسوة، وأكثرها رفاهية بيت، ولكن بعلها بَكِئ [٤]، فقال: ما تقولين؟ قالت: صدق، فأخذ الدرة فقام إليها فتناولها وهو يقول: يا عدوة نفسها أفنيت شبابه، وأكلت ماله، ثم أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه، فقالت: يا أمير المؤمنين أقلنى فى هذه المرة، والله لا ترانى فى هذا المقعد أبداً فدعا بأثواب ثلاثة. فقال لها: اتقى الله وأحسنى صحبة هذا الشيخ ثم أقبل عليه فقال: لا يمنعك ما رأيتنى صنعت بها أن تحسن صحبتها، قال: أفعل يا أمير المؤمنين، قال

---

(١) شهيد المحراب ص (٢٠٥).

(٢) عيون الأخبار (٤ / ١١)، فرائد الكلام ص (١٤١).

(٣) أخبار عمر ص (١٩٠) نقلاً عن الرياض النضرة.

(٤) بكئ وبكيئة: الناقة والشاة إذا قل لبنها، وكأنه يعنى أن زوجها لا يستطيع الجماع.

الراوى: كأنى أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقة ثم إنى سمعت عمر رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير أمتى القرن الذى أنا فيه، ثم الذين يلونه، ثم الذين يلونه، ثم يجىء قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، يشهدون قبل أن يستشهدوا لهم فى أسواقهم لغط**»(١).

- لِمَ تطلقها؟ قال: لا أحبها:

قال عمر رضى الله عنه لرجل همّ بطلاق امرأته: لم تطلقها؟ قال: لا أحبها، فقال عمر: أوكل البيوت بنيت على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم (٢).

- رزق أولاد الخنساء:

عندما استشهد أبناء الخنساء الأربعة فى القادسية وبلغ عمر رضى الله عنه الخبر قال: أعطوا الخنساء أرزاق أولادها الأربعة وأجروا عليها ذلك حتى تقبض، فلم تزل تأخذ عن كل واحد منهم مائتى درهم فى كل شهر حتى قبضت (٣).

- هند بنت عتبة تقترض من بيت المال وتتاجر:

كان زوجها قبل أبى سفيان حفص بن المغيرة عمّ خالد بن الوليد وكان من الجاهلية، وكانت هند من أحسن نساء قريش وأعقلهن، ثم إن أبا سفيان طلقها فى آخر الأمر، فاستقرضت من عمر من بيت المال أربعة آلاف درهم، فخرجت إلى بلاد كلب فاشترت وباعت، وأتت ابنها معاوية وهو أمير على الشام لعمر فقالت: أى بنى إنه عمر وإنما يعمل لله (٤).

إن المرأة فى العصر الراشدى كانت لها مكانتها فقد رفع الإسلام مكانتها، فنراها شاركت فى العصر الراشدى بخوض العديد من المجالات الفكرية والأدبية والتجارية، فالسيدة عائشة وأم سلمة وحبيبة بنت أم حبيبة، وأروى بنت كريز بن عبدشمس وأسماء بنت سلمة التميمية برعن فى الحديث والفقه والأدب والفتيا، وغيرهن أجدن قول الشعر كالخنساء وهند بنت عتبة (٥)، وكان عمر رضى الله عنه يعرف للمرأة

---

(١) اللغط: الصوت والجلبة، مجمع الزوائد (١٠/٩١) رجاله ثقات.

(٢) البيان والتبيين (٢/١٠١)، فرائد الكلام ص (١١٣).

(٣) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية، د. سليمان آل كمال (٢/٧٦٤).

(٤) تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين ص (٢٩٨، ٢٩٩).

(٥) تطور تاريخ العرب السياسى والحضارى، د. فاطمة الشامى ص (١٧٥).

فضلها، وأنها مخلوق يحس ويشعر، وينظر ويفكر، وأنه كما كان يستشير الرجال فقد كان يستشير النساء، فقد كان يقدم الشفاء بنت عبدالله العدوية في الرأى، فماذا بقى بعد ذلك للمرأة حتى تبحث عنه فى غير الإسلام إذا كان أمير المؤمنين يستشيرها فى أعمال الدولة ويرضى رأيها[1]، وكان رضى الله عنه يعتبر نفسه أبا العيال، فيمشى إلى المغيبات اللواتى غاب أزواجهن فيقف على أبوابهن ويقول: ألكنّ حاجة؟ وأيتكن تريد أن تشترى شيئًا؟ فإنى أكره أن تخدعن فى البيع والشراء، فيرسلن معه بجواريهن فيدخل السوق ووراءه من جوارى النساء وغلمانهنّ ما لا يحصى، فيشترى لهن حوائجهن، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده، وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه فى منازلهن بكتب أزواجهنّ ويقول: أزواجكن فى سبيل الله، وأنتن فى بلاد رسول الله ﷺ، إن كان عندكن من يقرأ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن، ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبى حتى نبعث بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة: هذه دواة وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكنّ ويمرّ إلى المغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن [2].

٢- حفظ سوابق الخير للرعية:

كان رضى الله عنه يحفظ سوابق الخير للمسلمين، وكان لديه ميزان دقيق فى تقييم الرجال فقد قال رضى الله عنه: لا يعجبنكم طنطنة الرجل ولكن من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس، فهو الرجل[3]، وكان رضى الله يقول: لا تنظروا إلى صلاة امرئ، ولا صيامه، ولكن انظروا إلى عقله وصدقه، ويقول: إنى لا أخاف عليكم أحد رجلين مؤمنًا قد تبين إيمانه، وكافرًا قد تبين كفره، ولكنى أخاف عليكم منافقًا يتعوذ بالإيمان، ويعمل لغيره، وسأل عمر عن رجل شهد عنده بشهادة، وأراد أن يعرف هل له من يزكّيه، فقال له الرجل: إنى أشهد له وأزكيه يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أأنت جاره فى مسكنه؟ قال: لا، قال: أعاشرته يومًا فعرفت حقيقة أمره؟ قال: لا، قال: أسافرت يومًا معه فإن السفر والاغتراب محك للرجال؟ قال: لا، قال عمر: لعلك رأيته فى المسجد قائمًا قاعدًا يصلى؟ قال: نعم، قال: اذهب فأنت لا تعرفه [4].

---

(١) شهيد المحراب ص (٢٠٥).

(٢) اخبار عمر ص٣٣٩، سراج الملوك ص (١٠٩).

(٣) فقه الائتلاف: محمود محمد الخزندار ص (١٦٤).

(٤) عمر بن الخطاب: صالح بن عبدالرحمن عبدالله ص (٦٦).

وقد حظى مجموعة من المسلمين بالثناء والتقدير من عمر رضى الله عنه بفضل توفيق الله لهم للأعمال الجيدة لخدمة الإسلام وهذه بعض المواقف الدالة على ذلك:

- آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيّت إذ غدروا:

عن عدى بن حاتم قال: أتيت عمر بن الخطاب فى أناس من قومى، فجعل يفرض للرجل من طئ فى ألفين ويعرض عنى، قال: فاستقبلته فأعرض عنى، ثم أتيته فى حيال وجهه فأعرض عنى، فقلت: يا أمير المؤمنين أتعرفنى؟ فضحك حتى استلقى على قفاه، ثم قال: نعم، والله إنى لأعرفك، آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء، جئت بها إلى رسول الله ﷺ[1] ثم أخذ يعتذر، ثم قال: إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة، وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق[2].

وجاء فى رواية: فقال عدى: فلا أبالى إذاً [3].

- حق على كل مسلم أن يُقَبِّل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ:

أسرت الروم الصحابى الجليل عبدالله بن حذافة السهمى فجاءوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك فى ملكى وأزوجك ابنتى، فقال له: لو أعطيتنى جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فقال: إذن أقتلك، فقال: أنت وذاك، فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر، وفى رواية ببقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقى فيه فرفع فى البكرة ليلقى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه فقال: إنى إنما بكيت لأن نفسى إنما هى نفس واحدة تلقى فى هذه القدر الساعة فى الله فأحببت أن يكون لى بعدد كل شعرة فى جسدى نفس تعذب هذا العذاب فى الله، وفى بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لى ولم أكن لأشمتك بى، فقال له الملك: فقبل رأسى وأنا أطلقك، فقال: وتطلق معى جميع أسارى

---

(١) مسلم رقم (٢٥٢٣).

(٢) مسند أحمد رقم (٣١٦).

(٣) الخلافة الراشدة د. يحيى اليحيى ص (٢٩٧)، فتح البارى (٧/٧٠٦).

المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ فقام فقبل رأسه رضى الله عنه[1] .

- أفيكم أويس بن عامر؟

كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص، فبرئت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»، فاستغفر لى، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال يأتي الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون فى غبرات[2] الناس أحب إلىَّ، قال: فلما كان من العام المقبل، رجع رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، فقال: تركته رث البيت، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فأتى أويسا فقال: استغفر لى، قال: أنت أحدث عهدا بسفر صالح، فاستغفر لى، قال: استغفر لى، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، قال: فاستغفر له، قال: ففطن له الناس فانطلق على وجهه [3].

- عمر رضى الله عنه ومجاهد بار بأمه:

أقبل قوم غزاة من الشام يريدون اليمن، وكانت لعمر جفنات يضعها إذا صلى الغداة، فجاء رجل منهم فجلس يأكل فجعل يتناول بشماله، فقال له عمر، وكان يتعهد الناس عند طعامهم: كل بيمينك، فلم يجبه، فأعاد عليه، فقال: هى يا أمير المؤمنين مشغولة، فلما فرغ من طعامه دعا به فقال: ما شغل يدك اليمنى؟ فأخرجها، فإذا هى مقطوعة،

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦١٠).

(٢) أراد أن يبقى مع البقيا المتأخرين لا المتقدمين المشهورين.

(٣) مسلم: ك فضائل الصحابة رقم (٢٥٤٢).

فقال: ما هذا؟ فقال: أصيبت يدى يوم اليرموك، قال: فمن يوضئك؟ قال: أتوضأ بشمالى، ويعين الله، قال: فأين تريد؟ قال: اليمن، إلى أم لى لم أرها منذ كذا وكذا سنة، قال: أو بر أيضاً، فأمر له بخادم وخمسة أباعر من إبل الصدقة وأوقرها له [١].

- رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت في وجهه:

بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدى عمر إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل فى وجهه ضربة، فسأله فأخبره: أنه أصابته فى غزاة كان فيها، فقال: عدوا له ألفا، فأعطى ألف درهم، ثم قال: عدوا له ألفا، فأعطى الرجل ألفا أخرى، قال له ذلك أربع مرات كل ذلك يعطيه ألف درهم، فاستحيا الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، فسأل عنه، فقيل له: رأينا أنه استحيا من كثرة ما أعطى فخرج، فقال: أما والله لو أنه مكث مازلت أعطيه ما بقى منها درهم، رجل يضرب ضربة فى سبيل الله حفرت فى وجهه[٢].

- أمنية عمرية:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأصحابه: تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه فى سبيل الله وأتصدق به، وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدا وجواهر فانفقه فى سبيل الله، وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين، فقال: أتمنى لو أنها مملوءة رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبى حذيفة، وحذيفة بن اليمان[٣]، فأستعملهم فى طاعة الله[٤]، وهؤلاء من إخوانه فى الله، وقد وصف عمر رضى الله عنه إخوان الصدق بقوله: عليك بإخوان الصدق، تعش فى أكنافهم، فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقليك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر فى أمرك من يخشى الله تعالى[٥]، وكان عمر رضى الله عنه يذكر الأخ من إخوانه فى الليل فيقول: يا طولها من ليلة فإذا صلى الغداة غدا إليه، فإذا لقيه

---

(١) الشيخان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من رواية البلاذرى ص (١٧٤، ١٧٥).

(٢) مناقب عمر لابن الجوزى ص (٧٤)، وإسناده ضعيف لانقطاعه، محض الصواب (١/٣٦٨).

(٣) الحاكم فى المستدرك (٣/٢٦٦)، وصححه الذهبى، أصحاب الرسول (١/١٧٤).

(٤) تهذيب الكمال للمزى (٥/٥٠٥)، حذيفة بن اليمان، إبراهيم محمد العلى ص (٦٢).

(٥) مختصر منهاج القاصدين ص (١٠٠)، فرائد الكلام ص (١٣٩).

التزمه أو اعتنقه[1]، وكان يقول: لولا أن أسير فى سبيل الله، أو أضع جنبى فى التراب لله، أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما تلتقط الثمرة، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله [2].

- العمل عنده هو معيار التفاضل بين الناس:

كان العمل عند الفاروق رضى الله هو معيار التفاضل بين البشر، فعندما حضر إليه جمع من سادات قريش على رأسهم سهيل بن عمرو بن الحارث، وأبو سفيان بن حرب، وبعض عبيد قريش السابقين: صهيب وبلال، أذن فى لقائه للموالى الفقراء قبل أن يأخذ للسادة من قريش وأشرافها، فغضب السادة لذلك، فقال أبو سفيان لبعض أصحابه: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه؟ فقال سهيل: أيها القوم، إنى والله أرى الذى فى وجوهكم.. إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم، دعى القوم - إلى الإسلام - ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم [3].

- عمر رضى الله عنه يشهد للجنازة:

عن أبى الأسود، أنه قال: أتيت المدينة فوافيتها[4]، وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتًا ذريعًا، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فمرت به جنازة فأُثنى على صاحبها خير، فقال عمر: وجبت، ثم مر بأخرى فأُثنى على صاحبها خير، فقال عمر: وجبت، ثم مر بالثالثة فأُثنى عليها شر، فقال عمر: وجبت، فقال أبو الأسود: ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال رسول الله ﷺ: **أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة**، قال: فقلنا: وثلاثة؟ قال: فقال: **وثلاثة**، قال: قلنا: واثنان؟ قال: **واثنان**، قال: ثم لم نسأله عن الواحد [5].

- عمر رضى الله عنه وعطاء حكيم بن حزام رضى الله عنه:

عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم قال لى: **يا حكيم إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له**

---

(١) أخبار عمر ص (٣٢١).

(٢) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٢٢٥).

(٣) مناقب عمر ص (١٢٩)، فن الحكم ص (٣٦٧).

(٤) فى رواية فوافقتها.

(٥) البخارى رقم (٢٦٤٣)، مسند أحمد رقم (١٣٩) الموسوعة الحديثية.

فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذى بعثك بالحق لا أرزأ [١]، أحدا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم إن عمر دعاه ليعطيه فيأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين إنى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له من هذا الفىء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبى ﷺ حتى تُوفِّى رحمه الله[٢].

- عمر يُقَبِّل رأس على رضى الله عنهما:

شكا رجل عليا إلى عمر، رضى الله عنهما فلما جلس عمر لينظر فى الدعوى قال عمر لعلى: ساو خصمك يا أبا الحسن، فتغير وجه على، وقضي عمر فى الدعوى، ثم قال لعلى: أغضبت يا أبا الحسن لأنى سويت بينك وبين خصمك؟ فقال على: بل لأنك لم تسو بينى وبين خصمى يا أمير المؤمنين، إذ كرمتنى فناديتنى يا أبا الحسن، بكنيتى، ولم تناد خصمى بكنيته، فقبل عمر رأس على، وقال: لا أبقانى الله بأرض ليس فيها أبوالحسن[٣].

- جرير البجلى ينصح عمر:

عن عاصم بن بهدله عن رجل من أصحاب عمر، قال: كنا عند عمر بن الخطاب، فخرجت من رجل ريح، وحضرت الصلاة فقال عمر: عزمت على من كانت هذه الريح منه إلا قام فتوضأ، فقال جرير بن عبدالله: يا أمير المؤمنين اعزم علينا جميعًا أن نقوم فنتوضأ فهو أستر، ففعل[٤].

- رجل من الموالى يخطب من قريش:

شجع عمر رضى الله عنه التزاوج بين القبائل كوسيلة للتاليف بينها، حتى إن رجلا من الموالى خطب إلى رجل من قريش أخته، فرفض القرشى، فتدخل عمر لديه قائلاً: ما يمنعك أن تزوجه؟ فإن له صلاحًا، وقد جاءك بخير الدنيا (المال) وخير الآخرة (التقوى)

---

(١) ما رزأ فلانا شيئًا: أى ما اصاب من ماله شيئًا ولا نقص منه.

(٢) البخارى رقم (١٤٧٢، ٢٧٥٠، ٣١٤٣، ٦٤٤١)، مسلم رقم (١٠٣٥).

(٣) عمر بن الخطاب: صالح عبد الرحمن ص (٧٩).

(٤) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٢١٩).

زوِّج الرجل إن رضيت أختك، فزوجه إياها [1].

٣- مهابته في وسط المجتمع وحرصه على قضاء حوائج الناس:

- مهابته في وسط المجتمع:

كان لعمر رضى الله عنه هيمنة على النفوس والقلوب، ومهابة تكبح من جماح النفوس وتضبط من نزواتها، وأصح دليل على ذلك عزله لخالد بن الوليد رضي الله عنه وهو في أوج شهرته، وقد اقترنت به تجارب الانتصار في كل حرب، وأحاطت به هالات الإكبار والإعجاب، وقد أنفذ أمر عزله يوم كان الناس في أشد حاجة إليه، ووصل أمر العزل والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك، وأمَّر على الجيوش أبا عبيدة، فقال خالد: سمعًا وطاعة لأمير المؤمنين، ولما نبه أحد الجنود على وقوع الفتنة بهذا التغيير، قال خالد: لا مجال لفتنة مادام عمر [2]، وهذا إن دل على خضوع خالد لأمر الخليفة - وهو القائد المنصور المحبب - وتنازله عن القيادة في تواضع وإيثار قلما يوجد له نظير في تاريخ القيادات العسكرية والإمارات الحربية، فهو يدل كذلك على سطوة سيدنا عمر وامتلاكه لزمام الأمور [3]، فقد كانت له مهابة عظيمة في قلوب الناس، فعن الحسن البصري - رحمه الله - قال: بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن امرأة يتحدث عنها الرجال فأرسل إليها، قال: وكان عمر رجلاً مهيبًا فلما جاءها الرسول، قالت: يا ويلها ما لها ولعمر، فخرجت فضربها المخاض فمرت بنسوة فعرفن الذى بها، فقدمت بغلام فصاح صيحة ثم طفا [4]، فبلغ ذلك عمر - رضى الله عنه - فجمع المهاجرين والأنصار واستشارهم، وفي آخر القوم رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنما كنت مؤدبًا وإنما أنت راعٍ، قال: ما تقول يا فلان؟ قال: أقول إن كان القوم تابعوك على هواك فوالله ما نصحوا لك، وإن يك اجتهادهم أراهم فوالله فقد أخطأ رأيهم يا أمير المؤمنين، قال: فعزمت عليك لما قمت فقسمتها على قومك [5]، فقيل للحسن: من الرجل؟ قال: على بن أبى طالب [6]، واجتمع على وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن وسعد رضى الله عنهم

---

(١) المرتضى للندوى ص (١٠٦).

(٢، ٣) المصدر نفسه ص (١٠٧).

(٤) طفا فلان: مات.

(٥) يقصد الدية: والله أعلم.

(٦) مناقب عمر ص (١٣٥)، مراسيل الحسن، محض الصواب (١/٢٧٣).

وكان أجرأهم على عمر عبدالرحمن بن عوف فقالوا: يا عبدالرحمن لو كلمت أمير المؤمنين للناس، فإنه يأتي طالب الحاجة، فتمنعه هيبته أن يكلمه حتى يرجع ولم يقض حاجته، فدخل عليه فكلمه في ذلك، فقال: يا عبدالرحمن، أنشدك الله أعلى وعثمان وطلحة والزبير وسعد، أو بعضهم أمرك بهذا؟ قال: اللهم نعم. فقال: يا عبدالرحمن، والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خفت الله في الشدة، فأين المخرج؟ فقام عبدالرحمن يبكي ويجر إزاره ويقول بيده، أف لهم بعدك، أف لهم بعدك [1]، وعن عمر بن مرة [2]، قال: لقي رجل من قريش عمر فقال: لِنْ لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة، فقال: أفي ذلك ظلم؟ قال: لا. قال: فزادني الله في صدوركم مهابة [3]، وحدث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فقال: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر رضي الله عنه عن آية، فلا أستطيع أن أسأله هيبة [4]، وعن عكرمة مولى ابن عباس: أن حجاما كان يقص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان رجلاً مهيبًا فتنحنح عمر فأحدث الحجام، فأمر له عمر بأربعين درهمًا [5]، وكان عندما يرى شدة هيبته في نفوس الناس يقول: اللهم تعلم أني منك أشد فرقا منهم مني [6].

- حرصه على قضاء حوائج الناس:

قال ابن عباس: كان عمر رضي الله عنه كلما صلى صلاة جلس للناس، فمن كانت له حاجة نظر فيها، فصلى صلوات لم يجلس بعدها، فأتيت الباب، فقلت: يا يرفأ، أبأمير المؤمنين علة من شكو؟ [7] قال: لا، فبينما أنا كذلك إذ جاء عثمان، فدخل يرفأ ثم خرج علينا فقال: قم يا ابن عفان، قم يا ابن عباس، فدخلنا على عمر وبين يديه صبر[8] من مال، فقال: إني نظرت فلم أجد بالمدينة أكثر عشيرة منكما، فخذا هذا المال فاقسماه بين الناس، وإن فضل فضل فرداه، قال: فجثوت لركبتي فقلت: وإن كان نقصان

---

(١) الشيخان من رواية البلاذري ص (٢٢٠).

(٢) الشني، بصري، مقبول: من الرابعة التقريب ص (٤١٧).

(٣) مناقب عمر لابن الجوزي ص (١٣٥)، محض الصواب (١/٢٧٣).

(٤) مسلم: ك الطلاق رقم (١٤٧٩).

(٥) الطبقات لابن سعد (٣/٢٨٧) منقطع، مناقب عمر ص (١٣٤).

(٦) مناقب عمر ابن الجوزي ص (١٣٤)، منقطع.

(٧) شكا شكوا وشكوة وشكاية.

(٨) صبر المال: أكوام المال.

رددت علينا؟ فقال: شنشنة أعرفها من أخزم [١]، أين كان هذا ومحمد ﷺ وأصحابه يأكلون القد؟ قلت: لو فتح الله لصنع غير الذى تصنع، قال: وما كان يصنع؟ قلت: إذا لأكل، وأطعمنا قال: فنشج حتى اختلفت أضلاعه وقال: لوددت أنى خرجت من الأمر كفافا لا على ولا لى [٢]، وعن سعيد بن المسيب قال: أصيب بعير من الفىء فنحره عمر رضى الله عنه، وأرسل منه إلى أزواج النبى ﷺ وصنع ما بقى، فدعا عليه جماعة من المسلمين، وفيهم العباس بن عبدالمطلب، فقال العباس: يا أمير المؤمنين لو صنعت لنا كل يوم مثل هذا فأكلنا عندك وتحدثنا فقال عمر: لا أعود لمثلها، إنه مضى صاحباى وقد عملا عملا، وسلكا طريقاً، وإنى إن عملت بغير عملهما سلك بى غير طريقهما [٣]، وعن أسلم مولى عمر: استعمل عمر مولى له على الحمى فقال: يا هنى اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة، وأدخل ربَّ الصُّرَيمة والغنيمة، وإياى ونَعم ابن عوف ونعم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى زرع ونخل، وإن ربّ الصُّرَيمة والغُنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتينى ببنيه فيقول: يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبا لك، فالماء والكلأ أيسر علىّ من الذهب والفضة، وايم الله إنهم ليرون أنى ظلمتهم إنها لبلادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الإسلام، والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم بلادهم شبراً [٤]، وعن موسى بن أنس بن مالك: أن سيرين - والد محمد بن سيرين - سأل أنساً المكاتبة، وكان كثير المال فأبى، فانطلق إلى عمر، فقال كاتبه فأبى، فضربه بالدرة ويتلو عمر ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾ [النور: ٣٣] فكاتبه [٥]، وفى القصة الأخيرة نرى عبداً يطلب حريته، وسيداً يأبى، وحاكماً ينصف، وينفذ رأى العبد، ويترك رأى السيد، أين تجد هذا فى التاريخ على طوله وعرضه [٦].

٤- تربيته لبعض زعماء المجتمع:

لم يسمح عمر رضى الله عنه فى خلافته للأعيان أن يتسلطوا على أبناء المجتمع أو

---

(١) الشيخان فى رواية البلاذرى ص (٢٢١).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٢٢).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/٢٨٨)، الشيخان من البلاذرى ص (٢٢٢).

(٤) تاريخ الذهبى عهد الخلفاء الراشدين، ص (٢٧٢).

(٥) محض الصواب (٣/٩٧٥).

(٦) شهيد المحراب ص (٢٢٢).

يتطاولوا عليهم أو يشعروا بنوع من الرفعة على الناس وإليك بعض هذه المواقف:

- أبو سفيان رضى الله عنه وداره بمكة:

قدم عمر مكة فأقبل أهل مكة يسعون، فقالوا: يا أمير المؤمنين إن أبا سفيان ابتنى داراً، فحبس عنا مسيل الماء ليهدم منازلنا، فأقبل عمر ومعه الدرة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً فقال: ارفع هذا، فرفعه ثم قال: وهذا.. وهذا حتى رفع أحجاراً كثيرة خمسة أو ستة، ثم استقبل عمر الكعبة، فقال: الحمد لله الذى جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه (١).

- عيينة بن حصن ومالك بن أبى زفر:

زار عيينة بن حصن عمر رضى الله عنه وعنده مالك بن أبى زفر من فقراء المسلمين، فتطاول عليه قائلاً: أصبح الضعيف قويًا، والدنى مرتفعًا، فقال مالك: أيفخر علينا هذا بأعظم حائلة، وأرواح فى النار فغضب عمر لما اعترض عيينة على هذا القصاص، وقال له: كن ذليلاً فى الإسلام، فوالله لا أرضى عنك حتى يشفع لك مالك، ولم يجد عيينة بدا من أن يستشفع بمالك لدى عمر (٢).

- الجارود، وأبى بن كعب رضى الله عنهم:

أقبل الجارود على عمر رضى الله عنهما، فقال رجل: هذا سيد ربيعة، فاعتلاه عمر بالدرة، وقال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، وفعل عمر ذات الصنيع مع أبىّ بن كعب، لما رأى الناس قد اجتمعت عليه تسأله بعد خروجه من المسجد، وقال: إن هذا الذى تصنع فتنة للمتبوع، ومذلة للتابع (٣).

٥- إنكاره لبعض التصرفات فى المجتمع:

كانت حياة الفاروق رضى الله عنه على وفق شرع الله تعالى الحكيم ولذلك كان لا يرضى عن أى سلوك منحرف، أو تصرف يتولد عنه مفاسد للمجتمع الإسلامى، وهذه بعض المواقف التى وجّه فيها الفاروق بعض المخطئين إلى الصواب:

---

(١) أخبار عمر ص (٣٢١)، مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (١٢٨).

(٢، ٣) تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (٢/ ٦٩٠)، الدور السياسى للصفوة ص (١٩١).

- مجزرة الزبير بن العوام رضى الله عنه:

كان عمر رضى الله عنه يأتى إلى مجزرة الزبير بن العام، وكانت الوحيدة بالمدينة، ومعه الدرة، فإذا رأى رجلاً اشترى لحما يومين متتابعين ضربه بالدرة، وقال له: ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك [1].

- الآن سل ما بدا لك:

رأى عمر رضى الله عنه سائلاً يسأل، وعلى ظهره جراب مملوء طعامًا، فأخذ الطعام ونثره لإبل الصدقة، ثم قال له: الآن سل ما بدا لك [2].

- دع هذه المشية:

أقبل رجل مرخيًا يديه طارحًا رجليه، يتبختر، فقال له عمر رضى الله عنه: دع هذه المشية فقال: ما أطيق، فجلده ثم تبختر، فجلده فترك التبختر، فقال عمر: إذ لم أجلد فى مثل هذا ففيم أجلد؟ فجاءه الرجل بعد ذلك فقال: جزاك الله خيراً، إن كان إلا شيطانًا أذهبه الله بك [3].

- لا تُمِت علينا ديننا:

نظر عمر رضى الله عنه إلى رجل مظهر للنسك متماوت، فخفقه بالدرة، وقال: لا تمت علينا ديننا، أماتك الله [4]، وعن الشفاء بنت عبدالله وقد رأت فتيانا يقصدون فى المشى، ويتكلمون رويدا، فقالت: ما هؤلاء؟ قالوا: نساك، فقال: كان والله عمر بن الخطاب إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله الناسك حقًا [5].

- اهتمامه بصحة الرعية:

اهتم الخليفة عمر رضى الله عنه بصحة الرعية، فكان يحذرهم من مغبة السمنة ومخاطرها، ويدعوهم إلى تخفيف أوزانهم لما فيه من القوة على العمل والقدرة على أداء الواجبات، فكان يقول: أيها الناس، إياكم والبطنة عن الطعام، فإنها مكسلة عن

---

(١) الدور السياسى للصفوة ص (٢٣١) نقلا عن مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى.

(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (١٠١).

(٣) أخبار عمر ص (١٧٥).

(٤) المصدر نفسه ص (١٩٠).

(٥) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٢٢٦).

الصلاة، مفسدة للجسم، مورثة للسقم، وإن الله عز وجل يبغض الحبر السمين، ولكن عليكم بالقصد فى قوتكم، فإنه أدنى من الصلاح وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله عز وجل، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه [1]. ويذكر ابن الجوزى: أن عمر رضى الله عنه، رأى رجلاً عظيم البطن، فقال: ما هذه؟ قال: بركة من الله، فقال: بل عذاب من الله [2]. وأما اهتمامه بالصحة العامة للمواطنين فإنه كان ينهى من به مرض مُعدٍ منهم أن يختلط بهم لمنع انتشار المرض، وكان ينصح المريض بالبقاء فى بيته حتى يتماثل إلى الشفاء، فيروى أنه رضى الله عنه، مر بامرأة مجذومة وهى تطوف بالبيت فقال لها: يا أمة الله لو قعدت فى بيتك لا تؤذين الناس، فقعدت، فمر بها رجل بعد ذلك فقال: إن الذى نهاك قد مات فاخرجى، فقالت: والله ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتًا[3]، كما كان يؤكد على الرياضة والفروسية وركوب الخيل، وكان يقول: علموا أولادكم العوم، والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا، ورووهم ما جمل من الشعر[4].

- نصيحة عمرية لمن وقع فى شرب الخمر:

تفقد عمر رضى الله عنه رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام، فقيل له: إنه تتابع فى الشرب، فقال لكاتبه اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك وأنا أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣] ثم ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيًا، ثم أمر من معه بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدنى ربى أن يغفر لى، وحذرنى عقابه، فلم يزل يرددها حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزع، وحسنت توبته، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أحدكم زل فسددوه وادعوا له، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه[5].

---

(١) الخليفة الفاروق د. عبدالرحمن العانى ص (١٢٤).

(٢) مناقب عمر أمير المؤمنين ص (٢٠٠).

(٣) الخليفة الفاروق ص (١٢٤) نقلاً عن الرياض النضرة.

(٤) المصدر نفسه (١٢٥).

(٥) تفسير القرطبى (١٥/٢٥٦).

وفى هذا الموقف تظهر عبقرية عمر فى تربية النفوس ومعرفته بطبائع البشر، ووسائل التقويم، فما ينفع شخصاً قد يضر غيره، فهذا درس من دروس التربية الناجحة، وأسلوب رقيق فى التوجيه، أمير المؤمنين على ضخامة مسئولياته، ومشاغله يغيب عن مجلسه واحد من رواده فلا يفوته هذا الغياب، ولكن يسأل ليعالج فيصلح، واليوم يغيب الأخ عن أخيه، فلا يشعر أحدهما بغياب الآخر وإن شعر فلا يسأل عن سبب الغياب، وإذا تحرى السؤال فلا يسعى وراء علاج إن كان فى الأمر ما يستدعى العلاج، إن هذا التفلت معول من معاول هدم الأخوة الإسلامية، وما هذا بحال مسلمين يعرفون أنهم إخوة، فهل من التفاتة، لعل وعسى[1].

- **رأى عمر فى المجالس الخاصة:**

كان عمر رضى الله عنه يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوى إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم، وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة تنتهى بأحزاب متعادية [2]، روى ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش بلغنى أنكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معا حتى يقال: من صحابة فلان، من جلساء فلان حتى تُحُومِيت المجالس، وأيم الله إن هذا لسريع فى دينكم سريع فى شرفكم سريع فى ذات بينكم، ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول: هذا رأى فلان قد قسموا الإسلام أقساماً، أفيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معا، فإنه أدوم لألفتكم، وأهيب لكم فى الناس [3]، وفى الحق: إن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس، واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم مضيع كثيراً لما ينتظر من تربية الخاصة للعامة، واجتماعهم مفيد فائدة كبرى وهى نقل أقوالهم غير محرفة ولا مشوبة بما يطمس حقيقتها، ثم إن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف فى المسائل التى تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة فى الدين، وهو الذى خافه عمر رضى الله عنه على الناس وعلى من يأتى [4].

---

(1) شهيد المحراب ص (208).

(2) الخلفاء الراشدون: حسن أيوب ص (115).

(3) فرائد الكلام ص (116)، تاريخ الطبرى (3/281).

(4) الخلفاء الراشدون: حسن أيوب ص (115).

ثانيًا: اهتمامه بالحسبة (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر):

أخبر المولى عز وجل عن أصحاب نبيه الكريم ﷺ الذين أخرجوا من ديارهم أنهم عند تمكين الله لهم فى الأرض سيقومون بأربعة أمور: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر وذلك فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

يقول الإمام أبو بكر الجصاص فى تفسيره: وهذه صفة المهاجرين لأنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، فأخبر تعالى أنه إن مكنهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهو صفة الخلفاء الراشدين الذين مكنهم الله فى الأرض وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم [١].

وقد شهد التاريخ وثبت بالتواتر أن الفاروق رضى الله عنه قام بتلك الأمور خير قيام[٢]، واهتم رضى الله عنه بحماية وتطوير مؤسسات الدولة كالمالية، والقضائية، والعسكرية، والمتعلقة بالولاة، واجتهد رضى الله عنه فى حمل الناس على امتثال أوامر الله تعالى وأوامر نبيه محمد ﷺ، وعمل على حمل الناس على اجتناب ما نهى الله عنه ونهى عنه نبيه ﷺ من خلال منصبه كخليفة للمسلمين، ومن خلال الولايات الإسلامية المنتشرة فى الدولة الإسلامية، قال ابن تيمية - رحمه الله - وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٣]، وقد قام الفاروق رضى الله عنه بحماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ، وإقامة العبادات فى المجتمع الإسلامى، وحارب المنكر، وشجع على المعروف:

١- حماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ والبدع:

لما كان من مقاصد قيام الدولة الإسلامية حراسة الدين، فإن من أهم ما قام به الفاروق

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ٢٤٦).

(٢) الحسبة فى العصر الراشدى: د. فضل إلهى ص (١٥).

(٣) الحسبة فى الإسلام ص (٦)، السلطة التنفيذية (١/ ٣٠٩).

القيام بهذا المقصد وهو حفظ أصل الدين بحمل الناس على العقيدة الصحيحة الصافية التى تركهم عليها رسول الله ﷺ، وحارب شبهات الزائغين ورد كيد أعداء الدين الذين يروجون للعقائد المنحرفة والخرافات المنكرة التى زينها لهم الشيطان، فظنوا أنهم يحسنون صنعًا وإليك بعض المواقف التى تشهد للفاروق فى حمايته لجانب التوحيد ومحاربته للزيغ:

- عروس النيل:

أرسل عمرو بن العاص إلى الفاروق رضى الله عنهما يخبره عن عادة أهل مصر فى رمى فتاة فى النيل كل عام وقالوا له: أيها الأمير لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون فى الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا فترة والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذى فعلت، وإنى قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابى، فألقها فى النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار، وهو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك، قال: فألقى البطاقة فى النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا فى ليلة واحدة وقطع الله هذه السنة السيئة عن أهل مصر إلى اليوم[1].

فقد بين الفاروق معانى التوحيد فى البطاقة وأن النيل إنما يجرى بمشيئة الله وقدرته سبحانه وتعالى، وكشف للناس زيف معتقدهم الفاسد الذى تغلغل فى النفوس وكان بتصرفه الحكيم قد نسف هذا المعتقد من نفوس المصريين[2].

- إنك حجر لا تنفع ولا تضر:

عن عابس بن ربيعة عن عمر رضى الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال: إنى

---

(١) البداية والنهاية (٧/١٠٢، ١٠٣) قال على طنطاوى: نشرناها لشهرتها لا لصحتها.

(٢) فن الحكم، ص (٣٤٧).

أعلم أنك حجر لا تضر، ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك [1]. إنه الاتباع فى أحسن صوره، وأجمل معانيه [2]، قال ابن حجر: قال الطبرى: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل النبى ﷺ ثم قال ابن حجر - رحمه الله -: وفى قول عمر هذا التسليم للشارع فى أمور الدين، وحسن الاتباع، فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة فى اتباع النبى ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه [3]، وهذا الخلق وهو اتباع السنة والحرص عليها من أخلاق النصر فى جيل الصحابة رضى الله عنهم، فقد علموا بأنه لابد من اتباع السنة كى يحبوهم الله بالنصر والتأييد[4].

- **قطع شجرة الرضوان:**

أخرج ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع: أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة - شجرة الرضوان - فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت[5].

فهذا موقف لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فى حماية التوحيد والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك التابعون بعمل لم يعمله الصحابة رضي الله عنهم، فهو أمر مبتدع، وقد يؤدى بعد ذلك إلى عبادة وأمر بها فقطعت [6].

- **قبر دانيال:**

لما ظهر قبر دانيال بتستر كتب فيه أبو موسى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب إليه عمر، إذا كان بالنهار فاحفر ثلاثة عشر قبرا، ثم ادفنه بالليل فى واحد منها، وعفر قبره لئلا يفتتن به الناس[7].

---

(١) البخارى رقم (١٥٩٧).
(٢) أصحاب الروسل (١/١٦١).
(٣) فتح البارى (٣/٥٩٠، ٥٩١).
(٤) من أخلاق النصر فى جيل الصحابة ص (٢٣).
(٥) التاريخ الإسلامى (١٩، ٢٠/٢٦٠)، طبقات ابن سعد (٢/١٠٠).
(٦) المصدر نفسه (١٩، ٢٠/٢٦٠).
(٧) الفتاوى (١٥/٩٠).

أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد ؟

ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان فى السفر فرأى قومًا ينتابون مكانا يصلون، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد. من أدركته الصلاة فليصل وإلا فليمض(١).

- فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع:

إن عزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش فى الشام لم يكن له أى سبب غير المصلحة العامة للأمة، فقد خشى الفاروق من تعلق الناس بخالد، فيعتقدون أن النصر معلق ببركة خالد وحنكته الحربية، فيتكلون على ذلك، فأراد أن يعلمهم أن الله هو الناصر وأنه الفعال لما يريد، فأصدر قراره بعزله وأكد ذلك فى كتابه المفسر للقرار الذى عممه على الولايات حرصًا منه على جانب التوحيد حيث جاء فيه: إنى لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع (٢).

- إنما المتوكل من يُلقى حبَّة فى الأرض:

عن معاوية بن قرة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقى ناسا من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتكلون إنما المتوكلون من يلقى حبة فى الأرض ويتوكل على الله عز جل (٣).

- ألا وإنا نقتدى، ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع:

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر: ألا إن أصحاب الرأى أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم، فضلوا وأضلوا، ألا وإنا نقتدى، ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر، وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنا لما فتحنا المدائن أصبنا كتابا فيه كلام معجب، قال: أمن كتاب الله؟ قال لا. فدعا بالدرة فجعل يضربه بها وجعل يقرأ: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣].

---

(١) الفتاوى (١٠/٢٣٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/٨٢).

(٣) أصحاب الرسول، إسناده صحيح (١/١٦٤).

ثم قال: إنما هلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم، وأساقفتهم، وتركوا التوراة والإنجيل، حتى درسا[1]، وذهب ما فيهما من العلم[2]، وعن أسلم قال: سمعت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول: فيم الرملان[3] الآن ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ[4]، وعن الحسن البصرى: أن عمران بن حصين رضى الله عنه، أحرم من البصرة فقدم على عمر فأغلظ له ونهاه عن ذلك، وقال: يتحدث الناس أن رجلاً من أصحاب محمد ﷺ أحرم من مصر من الأمصار[5]، وعن أبى وائل[6] قال: كنت جالسًا على كرسى شيبة بن عثمان[7] فى الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيه صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها، فقلت: ما كنت لتفعل، قال: ولم؟ قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرآن أقتدى بهما[8].

هذه بعض مواقف الفاروق التى ترشدنا إلى حمايته لجانب التوحيد، ومحاربته للبدع، فقد فهم التوحيد الذى أرشد إليه الإسلام وعرفه وعمل به وحرص على محو كل أثر من آثار الوثنية فى النفوس والقلوب، وأقام صرح التوحيد فى أعماق الكينونة البشرية[9]، لقد عمل الفاروق على تعميق حقيقة الإيمان فى المجتمع الإسلامى بكل معانيه وبكل أركانه، ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه، ومحاربة البدع والاقتداء برسول الله فى أقواله وأفعاله ﷺ، فهذه الأصول تدخل ضمن فقه التمكين الذى فهمه الفاروق وعاش به فى دنيا الناس.

٢ - اهتمامه بأمر العبادات:

فهم الفاروق رضى الله عنه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: أن الدين كله داخل فى العبادة، والدين منهاج الله جاء ليسع الحياة كلها، وينظم جميع أمورها من أدب الأكل

---

(١) درس الشيء: عفا.

(٢) فيه ضعف لانقطاعه، مناقب عمر لابن الجوزى ص (٢٣) وله طرق تقويه.

(٣) الرّمل: أن يهزّ منكبيه ويسرع فى المشى.

(٤، ٥) محض الصواب (٢/٥٣٢).

(٦) هو شقيق بن سلمة.

(٧) شيبة بن عثمان بن أبى طلحة القرشى العبدرى حاجب الكعبة.

(٨) محض الصواب (٢/٥٣٧) إسناده صحيح.

(٩) أشهر مشاهير الإسلام رفيق العظم (٢/٢٥٦، ٢٥٧).

والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وشئون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية فى السلم والحرب، وأن الشعائر التعبدية من صلاة وصوم، وزكاة، وحج، لها أهميتها ومكانتها ولكنها ليست العبادة كلها بل هى جزء من العبادة التى يريدها الله تعالى[1]، وتطبيق هذا الفهم للعبادة فى دنيا الناس من شروط التمكين فى الأرض، كما أن العبادة لها أهمية فى حياة الإنسان فى تثبيت الاعتقاد، وتثبيت القيم الأخلاقية، وإصلاح الجانب الاجتماعى. وإليك بعض اهتمامات الفاروق بشعائر الصلاة والزكاة والحج والصوم والذكر وحرصه على تحقيق معانى العبادة فى نفسه وفى المجتمع الإسلامى.

- الصـــلاة:

كان النبى ﷺ يأمر المسلمين بالصلاة ويبالغ فى الإنكار على من يتخلف عن الجماعة ويشتد نكيره على تاركها، وسار الصديق على هديه، ولما تولى الفاروق الخلافة اهتم بأمر الصلاة وحمل الناس عليها وتعقب تاركها، وكتب إلى عماله: أن أهم أمركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع[2]، وكان رضى الله عنه شديد الحرص على الخشوع فى الصلاة، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: صليت خلف عمر فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف[3]، وجاء فى رواية: أنه قرأ فى صلاة الفجر: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] وبكى حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف[4]، وقد قال رضى الله عنه لمن يعبث فى صلاته: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه[5]، وكان رضى الله عنه إذا أبطأ عليه خبر الجيوش قنت[6]، وكان يدعو للمجاهدين فى صلاته ويقنت لذلك، فعندما قاتل أهل الكتاب قنت عليهم فى الصلاة المكتوبة[7]، وكان رضى الله عنه يربى الناس ونفسه على الاهتمام

---

(١) فقه التمكين فى القرآن الكريم للصلابى ص (١٨١).

(٢) الفتاوى (١٠/٢٤٩)، الموطأ مع شرحه أوجز المسالك (١/١٥٤).

(٣) حلية الأولياء (١/٥٢).

(٤) الفتاوى (١٠/٣٧٤).

(٥) الفتاوى (١٨/١٥٤).

(٦) الفتاوى (٢٣/٦٢).

(٧) الفتاوى (٢١/٩١).

بأمر الصلاة فرائضها وسننها ويرشد الناس إلى السنة وينهاهم عن البدع، فعندما تأخر رضى الله عنه فى صلاة المغرب حتى طلع نجمان بسبب شغله ببعض الأمور أعتق رقبتين بعد الصلاة(١)، وكان يرى الجمع بين صلاتين من غير عذر من الكبائر، وكان ينهى من يصلى بعد العصر(٢)، وكان يؤنب من تأخر عن التقدم لصلاة الجمعة، فعن سالم بن عبد الله، وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم: أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم فى الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبى ﷺ فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ قال: إنى شغلت فلم أنقلب إلى أهلى حتى سمعت التأذين فلم أزد أن توضأت فقال :والوضوء أيضًا؟وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل(٣)، وكان رضى الله عنه يمنع رفع الأصوات فى المسجد، فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا فى المسجد فحصبنى رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتنى بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما - قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ(٤).

وكان رضى الله عنه يعظم توجيهات رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **إذا استأذنت أحدكم امرأته أن تأتى المسجد فلا يمنعها،** قال: وكانت امرأة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تصلى فى المسجد فقال لها: إنك لتعلمين ما أحب، فقالت: والله لا أنتهى حتى تنهانى، قال: فطعن عمر وإنها لفى المسجد(٥)، فهذا الخبر يدل على تعظيم أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لأمور الشريعة، ووقوفه عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث قدم تنفيذ ذلك على ما تحبه نفسه(٦).

وكان رضى الله عنه يحب الصلاة فى كبد الليل - يعنى وسط الليل - وكان يصلى ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله، ويقول: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ**

---

(١) التاريخ الإسلامى، الحميدى (١٩، ٢٠/٤٢) نقلاً عن تاريخ دمشق.

(٢) الفتاوى (٢١/٩٨)، (٢٢/٢٣).

(٣) الفتح (٢/٤١٥ - ٤٣٠)، الخلافة الراشدة ص (٢٩٤) د. يحيى اليحيى.

(٤) الفتح (١/٦٦٨).

(٥) البخارى، رقم (٨٦٥)، وأحمد رقم (٤٥٢٢) الموسوعة الحديثية واللفظ للإمام أحمد.

(٦) التاريخ الإسلامى (١٩، ٢٠/٤٠).

﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢](١)، وقد قام ذات ليلة فغشيه هم عظيم من تفكيره فى أمور الناس، فما استطاع أن يصلى، وما استطاع أن يرقد، فقد قال: فوالله ما أستطيع أن أصلى ولا أستطيع أن أرقد، وإنى لأفتتح السورة فما أدرى أفى أولها أنا أم فى آخرها، فلما سئل: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: من همى بالناس(٢)، وكان يعوض ما فاته من قيام بالليل بالنهار فقد روى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل**(٣)، وكان رضى الله عنه يتمنى أن يكون مؤذنًا فقد قال: لو كنت أطيق الأذان مع الخلافة لأذنت(٤)، وكان كثير الدعاء والتضرع لله عز وجل ومن أدعيته وأقواله فى شأن الدعاء: اللهم اجعل عملى كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا(٥)، ومن دعائه أيضًا: اللهم إن كنت كتبتنى شقيًا فامحنى واكتبنى سعيداً، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت(٦)، وكان يقول: إنى لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه(٧)،وكان يحث الناس على الاقتراب من المطيعين ويقول: اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون، فإنهم تتجلى لهم أمور صادقة(٨)، وكان عمر رضى الله عنه يحب التذكير بالله، فقد كان يقول لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فيقرأ ويستمع عمر ومن معه فيبكون(٩)، وكان يحب الجلوس مع أهل الذكر، فعن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال: كان عمر يعس فى المسجد بعد العشاء، فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه، إلا رجلاً قائمًا يصلى، فمر بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبى بن كعب، فقال: من هؤلاء؟ قال: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأدناهم: خذ فى الدعاء فدعا، فاستقرأهم رجلاً رجلا حتى انتهى إلىَّ، وأنا بجانبه،

(١) محض الصواب (٢/ ٦٣٥) إسناده ضعيف.

(٢) الفاروق عمر للشرقاوى ص (٢١٤).

(٣) مسلم رقم (٧٤٧).

(٤) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٢٢٥).

(٥) الفتاوى (١/ ٢٣٢).

(٦) الفتاوى (١٤/ ٢٧٥).

(٧) الفتاوى (٨/ ١١٨).

(٨) الفتاوى (١٥/ ٦٠).

(٩) الفتاوى (١٠/ ٥١).

فقال: هات، فحصرت وأخذنى أفكل[1]، فقال: قل، ولو أن تقول اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، قال: ثم أخذ عمر فى الدعاء، فما كان أحد أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه، ثم قال: تفرقوا الآن[2].

- التراويح:

أول من جمع الناس على صلاة التراويح هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكتب بذلك إلى البلدان، وسبب ذلك أن الفاروق خرج فى ليلة من ليالى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع[3] متفرقون يصلى الرجل لنفسه، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط، فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب، قال الراوى عبد الرحمن بن عبد القارى: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوّله[4]، ولا يتوهم متوهم أن التراويح من وضع عمر، ولا أنه أول من وضعها، بل كانت موضوعة من زمن النبى ﷺ، ولكن عمر - رضى الله عنه - أول من جمع الناس على قارئ واحد فيها، فإنهم كانوا يصلون لأنفسهم فجمعهم على قارئ واحد[5]، وأما دليل أصلها من هدى النبى ﷺ، فقد كان ﷺ يحث الناس على قيام شهر رمضان فقد قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[6]، وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل، فصلّى فى المسجد، وصلّى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلّى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلمّا قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: **أما بعد فإنه لم يَخْفَ علىَّ مكانكم ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها**، فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[7]،

(١) الأفكل: الرعدة، وافكل تعنى رعدة.

(٢) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٢٣٦).

(٣) أوزاع جماعات لا واحد له من لفظه.

(٤) البخارى رقم (٢٠١٠).

(٥) محض الصواب (١/٣٤٩).

(٦) البخارى، رقم (٢٠٠٩).

(٧) البخارى، رقم (٢٠١٢).

وأما قول عمر بن الخطاب : نعم البدعة هذه، إنما سماها بدعة، فإنما ذلك لأنه بدعة في اللغة، إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة[١]، وما فعله الفاروق من جمع الناس على إمام في صلاة التراويح وتعميم ذلك في الولايات يدل على حبه وولعه بالنظام.

- الزكاة والحج، ورمضان :

اهتم الفاروق بالزكاة ونظم هذه الفريضة وأصبحت من ضمن مصادر دخل الدولة وسنتحدث عن هذه الفريضة عند حديثنا عن المؤسسة المالية بإذن الله تعالى. وأما الحج، فقد كان يحج بالناس خلال فترة خلافته وقيل حج عشر سنين أي فترة خلافته كلها وقيل تسع سنين منها[٢]، ومن واجبات الخليفة أو الولاة الذين ينوبون عنه في الولايات أمور منها :

- إشعار الناس بأوقات الحج والخروج إلى المشاعر.
- ترتيبهم للمناسك وفق الشرع.
- تقديره للمواقف بمقامه فيها.
- اتباعه في الأركان المشروعة.
- إمامتهم في الصلوات وإلقاؤه الخطب المشروعة[٣].

وكان رضي الله عنه يحث الناس على الحج ويأمرهم بذلك حتى قال : لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جَدَة - أي سعة - فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية[٤]، وكان رضي الله عنه، قد اجتهد بحيث يكون البيت معموراً في غير أشهر الحج، فقد كان الناس في عهد أبي بكر وعمر يقتصرون على العمرة في أشهر الحج، ويتركون سائر الأشهر، لا يعتمرون فيها من أمصارهم، فصار البيت يعرى عن العمار من أهل الأمصار سائر الحول، فأمرهم عمر بن الخطاب بما هو

---

(١) الفتاوى (٣١/٢٣).
(٢) السلطة التنفيذية (١/٣٨٢).
(٣) المصدر نفسه (١/٣٨٣).
(٤) فرائد الكلام ص (١٧٣).

أكمل لهم بأن يعتمروا فى غير أشهر الحج، فيصير البيت مقصوداً معموراً فى أشهر الحج، وغير أشهر الحج، وهذا الذى اختاره لهم عمر هو الأفضل، حتى عند القائلين بأن التمتع أفضل من الإفراد، والقران كالإمام أحمد وغيره[١]، وقد ثبت عنه بأنه: كان يتصدق كل عام بكسوة الكعبة ويقسمها بين الحجاج[٢]، وأما الصيام، فقد سار فيه على نهج رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه أنه أفطر فى يوم غيم ثم طلعت الشمس فقال عمر رضى الله عنه: الخطب يسير وقد اجتهدنا[٣]، وعندما بلغ عمر أن رجلاً يصوم الدهر، أتاه فعلاه بالدرة وجعل يقول: كل يا دهرى[٤]، فقد كان رضى الله عنه كثير التعبد والاجتهاد فى الطاعات، فإنه كان من الصلاة إلى الغاية القصوى، والصوم أخذ منه غايته وخصوصًا فى آخر عمره، والصدقة أكثر منها، والحج كان لما ولى الخلافة يحج كل عام، والجهاد غزا مع النبى ﷺ جميع المشاهد، وغزا بعده،وجميع ما وقع فى خلافته من الغزوات والفتوحات فله أجره، لأنه سببه[٥]، وكان من أهل الذكر فقد قال رضى الله عنه: عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء[٦]، وكان يقول: خذوا بحظكم من العزلة[٧].

٣- اهتمامه بالأسواق والتجارة:

حرص الفاروق على تفقد أحوال المتعاملين فى السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وكان يولى غيره على أمر السوق، فقد ولى عمر السائب بن يزيد رضى الله عنه سوق المدينة، وعبد الله بن عتبة بن مسعود وغيرهم[٨]، ويلاحظ الباحث أن نظام الحسبة فى الدولة الإسلامية، نشأ طبقًا لقواعد الشريعة الإسلامية، وتطور مع تطور المجتمع الإسلامى، حتى أصبح ولاية من ولايات الإسلام، لها شروط يتعين توافرها فى متوليها، وشروط فيمن يحتسب عليه، وشروط فى الأعمال التى يحتسب فيها[٩].

---

(١) الفتاوى (٢٦/١٤٦، ١٤٧).
(٢) الفتاوى (٣١/١٤).
(٣) الموطأ (١/٣٠٣) نقلاً عن الخلافة الراشدة ص (٣٣٠).
(٤) الفتح (٤/٢٦١).
(٥) محض الصواب (٢/٦٣٧).
(٦) تفسير القرطبى (١٦/٣٣٦)، محض الصواب (٢/٦٧٧).
(٧) الزهد، لوكيع (٢/٥١٧) إسناده صحيح.
(٨) السلطة التنفيذية (١/٤٠٨).
(٩) الرقابة المالية فى الإسلام د. عوف الكفراوى ص (٦٦).

وقد ثبت أن الفاروق رضى الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب فى مجال السوق، فقد كان يطوف فى الأسواق حاملاً درته معه، يؤدب بها من رآه مستحقًا لذلك، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: رأيت على عمر رضى الله عنه إزارا فيه أربع عشرة رقعة إن بعضها لأدم، وما عليه قميص ولا رداء، معتم، معه الدرة، يطوف فى سوق المدينة[1]، ونقل الحافظ الذهبى عن قتادة قوله: كان عمر رضى الله عنه يلبس - وهو خليفة - جبة من صوف مرقوعًا بعضها بأدم، ويطوف فى الأسواق، على عاتقه درة يؤدب الناس بها[2]، ومن احتسابه فى مجال السوق ما رواه الإمام مسلم عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه قال: أقبلت أقول: من يصطرف الدراهم[3] فقال طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - وهو عند عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: أرنا ذهبك ثم ائتنا إذا جاء خدمنا، نعطك ورقك[4]، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: كلا، والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه، فإن رسول الله ﷺ قال: **الورق بالورق ربا إلا هاء وهاء[5]، والذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء[6]**، ومن احتسابه فى مجال السوق أيضاً أنه رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه[7]، وكان رضى الله عنه يمنع الاحتكار فى أسواق المسلمين، فقد سأل عمر حاطب بن أبى بلتعة: كيف تبيع يا حاطب؟ فقال: مدين، فقال: تبتاعون بأبوابنا وأفنيتنا وأسواقنا، تقطعون فى رقابنا ثم تبيعون كيف شئتم، بع صاعًا - والصاع أربعة أمداد - وإلا فلا تبع فى سوقنا، وإلا فسيروا فى الأرض واجلبوا ثم بيعوا كيف شئتم[8]، وخرج مرة إلى السوق فرأى ناساً يحتكرون بفضل أذهابهم[9]، فقال عمر: لا ونعمة عين، يأتينا الله بالرزق حتى إذا نزل فى سوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم عن الأرملة والمسكين، حتى إذا خرج

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٣٠).

(٢) تاريخ الإسلام، عهد الراشدين ص (٢٦٨).

(٣) من يصطرف الدراهم: أى من يبيعها بمقابلة الذهب.

(٤) الورق: المقصود به الفضة.

(٥) هاء وهاء: خذ هذا ويقول صاحبه مثله.

(٦) مسلم رقم (١٥٨٦).

(٧) الحسبة فى الإسلام لابن تيمية ص (٦٠)، الحسبة د. فضل إلهى ص (٢٤).

(٨) موسوعة فقه عمر بن الخطاب، قلعجى ص (٢٨).

(٩) مفردها: ذهب، أى أموالهم.

الجلاب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم؟ ولكن أيما جالب جلب بجمل على عموده كتده فى الشتاء والصيف حتى ينزل سوقنا فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء وليمسك كيف شاء، وعن مسلم ابن جندب قال: قدم المدينة طعام فخرج أهل السوق إليه فابتاعوه فقال لهم عمر: أفى أسواقنا تتجرون؟ أشركوا الناس أو اخرجوا فاشتروا ثم ائتوا فبيعوا[1]، وعمر رضى الله عنه لا يقصر الاحتكار على أقوات الناس والبهائم، ولكنه يجعله عامًا فى كل ما يضر بالناس فقده، فقد روى مالك فى الموطأ أن عمر بن الخطاب قال: لا حكرة فى سوقنا، ولا يعمد رجال بأيديهم فضول أذهاب إلى رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرون علينا، ولكن أيما جالب جلب على عمود كتده فى الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء، وليمسك كيف شاء[2].

وتفيد النصوص التى ذكرت أن الغاية من الاحتكار هى التحكم فى الأسعار، مما يؤثر على الفقير والأرملة واليتيم، وهذا واضح من قول عمر لحاطب بن أبى بلتعة – وكان يبيع مدين بدرهم – تبتاعون بأبوابنا وأفنيتنا وأسواقنا تقطعون فى رقابنا، ثم تبيعون كيف شئتم!! بع صاعًا – والصاع أربعة أمداد – وقوله لأهل السوق الذين يحتكرون: يأتينا الله بالرزق، حتى إذا نزل بسوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم على الأرملة والمسكين حتى إذا خرج الجلاب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم، فأنكر ذلك عليهم أشد إنكار[3]، وكان رضى الله عنه يتدخل لفرض السعر المناسب للسلع الضرورية عندما تدعو الحاجة إلى هذا التدخل حماية للمستهلكين، وللتجار، فقد جاء رجل بزيت فوضعه فى السوق وجعل يبيع بغير سعر الناس، فقال له عمر: إما أن تبيع بسعر السوق وإما أن ترحل عن سوقنا فإنا لا نجبرك على سعر، فنحاه عنهم[4].

– إلزام التجار بمعرفة الحلال والحرام فى البيوع:

كان الفاروق رضى الله عنه يضرب بالدرة من يقعد فى السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد فى سوقنا من لا يعرف الربا[5]، وكان يطوف بالأسواق

---

(١) موسوعة فقه عمر ص (٢٨).

(٢، ٣) المصدر نفسه ص (٢٩).

(٤) تاريخ المدينة المنورة (٢/٧٤٩) موسوعة فقه عمر ص (١٧٧).

(٥) نظام الحكومة الإسلامية للكتانى (٢/١٧).

ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: لا يبيع فى سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[١]، فكل شئون الحكم كانت محل اهتمام عمر لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدى الحاكم، إنه يقعِّد للتجارة القواعد التى تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار، ولا أسواق سوداء أو زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز فى عالم التجارة، يصدر قراراً موجزاً شاملاً يقضى على كل المفاسد ويضبط كل شىء: من لم يتفقه فلا يتجر فى سوقنا[٢].

وهذا يشبه صدور قانون من قوانين اليوم يقول مثلاً لا يزاول العمل الفلانى من لم يكن حاصلاً على إجازة كذا وكذا فى علم من العلوم[٣]، وتعنى دول اليوم بتنظيم الأسواق والإشراف عليها، وتقوم الغرف التجارية أو ما يقوم مقامها على ترشيد وإصلاح وضبط كل ما من شأنه ضبط الأسواق، وراحة الجمهور، وكان لعمر رضى الله عنه فضل السبق فى ذلك، فلم يترك الأمر فوضى فى الأسواق، ولكن أقام عليها مشرفين يراقبون وينظمون ويحافظون، فقد استعمل سليمان بن حثمة على الأسواق، كما كان السائب ابن يزيد عاملاً له على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود، فهناك مشرف عام على الأسواق، ومشرفون على كل سوق على حدة يعملون تحت إمرته، ومن المقطوع بنفعه أن العناية بالأسواق تنظيماً وتيسيراً، لها دخل كبير فى إراحة الناس من كثير من العناء فى الحصول على حاجاتهم، فإذا اهتم الحاكم بهذه الناحية الاهتمام الذى يستحقه كان له من الله الأجر. وأثبتت تصرفات عمر رضى الله عنه السليمة الصحيحة، العملية الدقيقة، أن الإسلام صالح لكل عصر وفى كل مكان فى جميع أنحاء العالم، يدفع الأمم المتأخرة إلى التقدم، ويحفظ الأمم المتقدمة من التدهور والانهيار، لا يسد الطريق على من يريد التقدم أن يتقدم ولا يترك الغافل فى سباته العميق[٤].

- أمره الناس بالسعى وحثهم على التكسب:

كان عمر رضى الله عنه يحث الناس على السعى وكسب لقمة العيش، فعن محمد ابن سيرين عن أبيه قال: شهدت مع عمر بن الخطاب المغرب فأتى علىَّ ومعى رزيمة[٥]،

---

(١) نظام الحكومة الإسلامية للكتانى (١٧/٢).

(٢، ٣) شهيد المحراب ص (٢٠٩).

(٤) المصدر السابق ص (٢١٠).

(٥) رزيمة: تصغير رزمة وهى الكارة من الثياب.

فقال: ما هذا معك؟ فقلت: رزيمة أقوم فى هذا السوق، فأشترى وأبيع، فقال: يا معشر قريش لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التجارة، فإنها ثلث الإمارة، وروى أيضًا عن الحسن قال: قال عمر: من اتجر فى شىء ثلاث مرات فلم يصب منه شيئًا، فليتحول إلى غيره[١]، وقال عمر: تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة[٢]، وقال: لولا هذه البيوع صرتم عالة على الناس[٣]، وقال: مكسبة فيها بعض دناءة خير من مسألة الناس[٤]، وقال: إذا اشترى أحدكم جملاً فليشتره عظيمًا سمينًا، فإن أخطأه خيره لم يخطئه سوقه، وقال: يا معشر الفقراء، ارفعوا رؤوسكم واتجروا، فقد وضح الطريق، ولا تكونوا عيالاً على الناس[٥]، وقال لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وإن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض، وتلا قول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة: ١٠][٦]، وكان رضى الله عنه إذا رأى غلامًا فأعجبه سأل: هل له حرفة؟ فإن قيل: لا، قال: سقط من عينى[٧]، وقال: ما جاءنى أجلى فى مكان ما عدا الجهاد فى سبيل الله أحب إلى من أن يأتينى وأنا بين شعبتى رحلى، أطلب من فضل الله وتلا: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [المزمل: ٢٠][٨].

– **خشية عمر من ترك أعيان المسلمين للتجارة:**

دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه السوق فى خلافته فلم ير فيه فى الغالب إلا النبط، فاغتم لذلك فلما أن اجتمع الناس أخبرهم بذلك وعذلهم[٩] فى ترك السوق فقالوا: إن الله أغنانا عن السوق بما فتح به علينا، فقال رضى الله عنه: والله لئن فعلتم ليحتاج رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم[١٠]، فقد كان رضى الله عنه ينظر بتوجس وخشية إلى تقاعس أعيان المسلمين – من غير المجاهدين – عن التجارة والسعى فى طلب الرزق[١١].

(١، ٢، ٣، ٤) نظام الحكومة النبوية (٢/ ٢٠).

(٥) فرائد الكلام ص١٢٩، تنبيه الغافلين ص (٢١١) للسمرقندى.

(٦، ٧، ٨) نظام الحكومة الإسلامية (٢/ ٢٠).

(٩) أى لامهم.

(١٠) نظام الحكومة الإسلامية (٢/ ١٨).

(١١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (١٦١).

٤- الدوريات العمرية الليلية (العسس) :

ومما لا شك فيه أن (العسس) كان نواة الشرطة، فقد ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه، كان أميراً على العسس فى عهد أبى بكر، وأن عمر بن الخطاب تولى هو نفسه العسس وكان يستصحب معه أسلم مولاه، وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف، والعسس هو الطواف بالليل لتتبع اللصوص وطلب أهل الفساد ومن يخشى شرهم، ومن الحق أن نعده الخطوة الأولى فى تنظيم مؤسسة الشرطة، لأن المؤمنين كانوا يتولون حراسة أنفسهم، ومنع المنكر من بينهم فى النهار، حتى إذا ناموا تولى السهر عنهم رجال العسس، ثم لما تكاثر المفسدون وتظاهروا بالمنكر فى وضح النهار، أحوج الأمر إلى من يترصدهم نهاراً أيضاً، فأنشئت الشرطة .. فالشرطة إذن (عسس دائم) إذا صح هذا التعبير[١].

كان الفاروق رضى الله عنه يقوم بنفسه على حراسة المسلمين، وقد ساعده ذلك على الإلمام بواقع المجتمع الإسلامى، ففى مدينة رسول الله ﷺ - وهى يومئذ عاصمة الدولة الإسلامية الكبرى وملتقى البشر ومقر الحكم - كان يسعى فى دروبها ليلاً ليرى بنفسه ويسمع ما قد يتردد عماله فى أن يحملوه إليه، أو يفوت عليهم ما يحملوه إليه، وكم وضع من القواعد وكم عدل من القواعد، التى وجد أن الواقع يفرض عليه وضعها، أو يفرض عليه تعديلها وإلغاءها، وإليك بعض الأمثلة الدالة على ما ذهبت إليه[٢]:

- النهى عن تعجيل فطام الصبيان :

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانهما ويصليان فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقى الله وأحسنى إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبى فأتى أمه فقال لها: ويحك إنك أم سوء، مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟ فقالت: يا عبد الله إنى أشغله عن الطعام فيأبى ذلك قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا

---

(١) عبقرية الإسلام فى أصول الحكم ص (٣٢٢).

(٢) فن الحكم ص (٢٦٤).

للمفطوم – وكان عمر قد فرض لكل مفطوم رزقًا أو عطاء – قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت كذا وكذا شهرا، فقال: ويحك لا تعجليه عن الفطام، فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤسا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق[1]، ما أجملها من حادثة وما أعظمها من عدالة، وبذلك أصبح كل مولود مسجلا فى ديوان العطاء ويفرض له من بيت مال المسلمين، لأن بيت المال حق لكل مسلم ولأن المسئول عنه إنما هو أمين وقائم عليه، لا يجوز له أن يصرف منه شيئًا فى غير محله ولا أن يمنع منه حقًا وجب فيه.

– تحديد مدة غياب الجنود عن زوجاتهم:

ومن ثمار عسس عمر رضى الله عنه أنه خرج ذات ليلة يطوف فى المدينة، فسمع امرأة تقول فى ضيق شديد:

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه	وأرقنى[2] ألا ضجيع ألاعبه
ألاعبه طورا وطورا كأنما	بدا قمرا فى ظلمة الليل حاجبه
يسر به من كان يلهو بقربه	لطيف الحشا لا تجتويه[3] أقاربه
فوالله لولا الله لا شىء غيره	لنقض من هذا السرير جوانبه
ولكننى أخشى رقيبًا موكلا	بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه[4]

فقال عمر: يرحمك الله ثم أرسل إليها بكسوة ونفقة، وكتب فى أن يقدم عليها زوجها[5]، وجاء فى رواية .. ثم خرج فضرب الباب على حفصة ابنته رضى الله عنها فقالت: يا أمير المؤمنين ما جاء بك فى هذه الساعة؟ فقال: أى بنية كم صبر المرأة عن زوجها؟ قالت: تصبر الشهر والشهرين والثلاثة وفى أربعة ينفذ الصبر، فكتب عمر

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٠).

(٢) الأرق: السهر.

(٣) اجتواه: كرهه.

(٤) محض الصواب (١ /٣٨٨) سنده فيه انقطاع.

(٥) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (٨٩).

أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر[١]، فهذه سياسة عمر فى تحديد مدة غياب الجندى عن زوجته، ولم يخالف عمر – رضى الله عنه – فى ذلك مخالف[٢]، وأما الجنود الذين لم يلتزموا بالمدة، فقد وضع لهم الفاروق نظامًا قبل تحديد مدة الغياب، فبعد أن عرف عدد الغائبين غيبة طويلة والذين لم ينفقوا على زوجاتهم فى غيابهم لما عرف بأسمائهم كتب إلى أمراء الجيوش أن يطلبوا هؤلاء ويعرضوا عليهم الآتى : إما أن يرجعوا إلى نسائهم، وإما أن يبعثوا إليهن بنفقة كافية وإما أن يطلقوا، وإذا طلقوا ألزموا ببعث نفقة ما مضى[٣].

- حماية أعراض المجاهدين :

ومن ثمار تفقده لأحوال الرعية بالليل حماية أعراض المجاهدين، فقد خرج ذات ليلة يطوف فى المدينة فسمع شعراً فيه ريبة، امرأة فى جوف الليل تتمنى الوصول إلى شربة خمر، والقرب من شاب جميل طالما تمنته سواء أكان التمنى حقًا أم كان تغزلاً فقط دون قصد شىء، فظاهر ما قالت الريبة فقد تغنت بالبيت التالى :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها   هل من سبيل إلى نصر بن حجاج

سمع هذا عمر فأصبح وطلب نصر بن حجاج، وإذا هو أصبح الناس وجهًا وأحسنهم شعراً، فأمره بحلق شعره، فازداد جمالاً فأمره بالعمامة فازداد جمالاً فنفاه إلى البصرة[٤]، خشية افتتان النساء به، وسدا للذريعة ومحافظة على أعراض الجنود المرابطين فى سبيل الله. وهذا الفعل من عمر يعطى لنا بعداً فى سياسته العامة وحكمته فى تقديم المصلحة العامة، ففى جمال نصر وولوعه بنفسه وغياب الجنود عن نسائهم وتوفر الراحة والأمن فى المدينة، ذريعة إلى الوقوع فى الفتنة، فأولى بهذا الشاب المتدلل أن ينتقل إلى مدينة عسكرية عله يكتسب خبرة فى القتال أو يستفيد مما يراه من بطولات وهمم الرجال، والبصرة – المدينة العسكرية آنذاك – أضمن لعلاج مثل هذا الشاب[٥].

---

(١) مناقب أمير المؤمنين ص (٨٩)، أوليات الفاروق ص (٢٨٩).

(٢) أوليات الفاروق ص (٢٨٩).

(٣) المصدر نفسه ص (١٧٠).

(٤) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (٩١).

(٥) أوليات الفاروق ص (٨٢).

وخشيت المرأة التى سمع منها عمر، أن يبدر إليها بشىء، فدست إليه أبياتًا تقول فيها:

قل للإمام الذى تخشى بوادره ... مالى وللخمر أو نصر بن حجاج

إنى عنيت أبا حفص بغيرهما ... شرب الحليب وطرف فاتر سلجى

إن الهوى زمه التقوى فقيده ... حتى أقر بإلجام وإسراج

لا تجعل الظن حقًا لا تبينه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجى

فبعث إليها عمر، رضوان الله عنه، قد بلغنى عنك خير، إنى لم أخرجه من أجلك، ولكنى بلغنى أنه يدخل على النساء فلست آمنهن وبكى عمر وقال: الحمد لله الذى قيد الهوى، وقد أقر بإلجام وإسراج[١]، ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كتابًا، فمكث الرسول عنده أيامًا ثم نادى مناديه، ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج، فمن كانت له حاجة فليكتب، فكتب نصر بن حجاج كتابًا، ودسه فى الكتب" بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين سلام الله عليك أما بعد:

لعمرى لئن سيرتنى أو فضحتنى ... وما نلته منى عليك حرام

فأصبحت منفيًا على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكتين مقام

أإن غنت الزلفاء يومًا بمنية ... وبعض أمانى النساء غرام

ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء فمالى فى الندى كلام

ويمنعنى مما تظن تكرمى ... وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تظن صلاتها ... وحال لها فى قومها وصيام

فهذان حالانا فهل أنت راجعى ... فقد جب منى كاهل وسنام

إمام الهدى لا تبتلى الطرد مسلما ... له حرمة معروفة وزمام

فقال عمر: أما ولى سلطان فلا، فما رجع إلى المدينة إلا بعد وفاة عمر، رضوان الله عليه[٢].

---

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (٩٢).

(٢) المصدر نفسه ص (٩٢، ٩٣).

ووقعت قصة أخرى شبيهة بهذه واجهها الفاروق فى طوافه بالليل أيضًا، فبينما هو ذات ليلة يطوف فى المدينة إذ سمع نساء يتحدثن ويتساءلن: أى فتيان المدينة أصبح وجهًا؟ فقالت إحداهن: أبو ذؤيب، فطلبه عمر وإذا هو من أجمل الناس، فقال له: أما إنك لذئبهن اذهب فلن تساكننى أبدًا فقال الفتى: أما إن كنت فاعلاً فألحقنى بابن عمى نصر بن الحجاج وكان الاثنان من بنى سليم فألحقه بابن عمه[1].

وهذا الفعل العمرى يفرضه واقع الأمة، وينسجم مع شخصية الفاروق القوية التى تستوعب طاقات الأفراد المتنوعة، وعهد الفاروق عهد تعبئة وتحشيد للجيوش وإرسالها للقتال فى سبيل الله لكل القادرين عليه، فكيف يسمع عمر بهذين الشابين فى المدينة وليس هناك ما يمنعهما من القتال، فإخراجهما من المدينة أولى من تصفيف الشعر ومجالسة النساء[2].

- أأنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة:

عن أسلم مولى عمر رضى الله عنه قال: خرج عمر إلى حرة واقم[3] وأنا معه حتى إذا كنا بصرار[4]، إذا نار تؤرث - أى تشعل - قال: يا أسلم إنى أرى ها هنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان، وقدر منصوبة على نار، وصبيانها يتضاغون (أى يتصايحون) فقال عمر: السلام عليكم يا أهل الضوء، وكره أن يقول يا أصحاب النار، فقالت: وعليكم السلام فقال: أأدنو؟ فقالت: ادن بخير أو دع، فدنا منها فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: وأى شىء فى هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: أى رحمك الله، وما يدرى عمر بكم، قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا، فأقبل على، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً من دقيق، وكبة شحم، وقال: احمله علىَّ، قلت: أنا أحمله عنك، قال: أأنت تحمل وزرى يوم القيامة لا أم لك، فحملته عليه فانطلق

---

(١) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٢١١، ٢١٢).

(٢) أوليات الفاروق ص (٨٣).

(٣) الحرة: أرض حجارتها سود بركانية والمدينة بين حرتين.

(٤) على ثلاثة أميال من المدينة.

وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئًا، فجعل يقول لها: ذرى علي أنا أحر لك[1]، وجعل ينفخ تحت القدر فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم، ثم أنزلها، وقال: ابغيني شيئًا، فأتته بصفحة فأفرغها فيها، فجعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم - أى أبسطه حتى يبرد - فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرا، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين فيقول: قولى خيرا، إذا جئت أمير المؤمنين، وجدتنى هناك إن شاء الله! ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها فربض مربضا، فقلت له: لك شأن غير هذا؟ فلا يكلمنى، حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا، وهدأوا، فقام يحمد الله ثم أقبل عليَّ فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت[2].

وهذا حافظ إبراهيم يصور لنا هذا المشهد العظيم:

ومن رآه أمام القدر منبطحا[3]	والنار تأخذ منه وهو يذكيها[4]
وقد تخلل فى أثناء لحيته	منها الدخان وفوه[5] غاب فى فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على	حال تروع - لعمر الله - رائيها
يستقبل النار خوف النار فى غده	والعين من خشية الله سالت

- **يا أمير المؤمنين بشِّر صاحبك بغلام:**

بينما عمر يعس ذات ليلة، إذ مر برحبة من رحاب المدينة فإذا هو بيت شعر لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه فسلم عليه، ثم قال: من أنت؟ قال: رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله، قال: ما هذا الصوت الذى أسمعه فى البيت؟ قال: رحمك الله لحاجتك، قال: على ذاك ما هو

(١) اتخذ لك حريرة وهى حساء من دقيق ودسم.

(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٢١٤)، الطبرى (٥/ ٢٠٠).

(٣) انبطح: نام على وجهه ممتد على الأرض.

(٤) أذكى النار: أى أوقدها.

(٥) فوه غاب فى فيها: أى فمه غاب فى فى النار وهو ينفخها.

(٦) المآقى: جمع ماق وموق وهو طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع، العشر المبشرون بالجنة، العفيفى ص (١٧٣).

قال: امرأة تمخض، قال: هل عندها أحد، قال: لا، فانطلق حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت على: هل لك فى أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد، قالت: نعم، إن شئت؟ قال: فخذى معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن، وجيئى ببُرمة (أى قدر) وشحم وحبوب، فجاءت به، فقال: انطلقى، وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت فقال لها: ادخلى إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له: أوقد لى نارا، ففعل، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الأعرابى بأمير المؤمنين، كأنه هابه، فجعل يتنحى عنه، فقال له: مكانك كما أنت فحمل البرمة فوضعها على الباب ثم قال: أشبعيها، ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدى الرجل وقال: كل ويحك فإنك قد سهرت من الليل، وقال لامرأته: اخرجى، وقال للرجل: إذا كان غداً فائتنا نأمر لك بما يصلحك، فلما أصبح أتاه ففرض لابنه فى الذرية وأعطاه[1].

- والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا:

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بينما أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعس بالمدينة إذ عيى، فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه[2] بالماء، قالت: يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت: وما كان عزمته؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى: لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر، فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم علم الباب واعرف الموضع، ثم مضى فى عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها، وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها وإذا ليس لها رجل، فأتيت عمر فأخبرته، فدعا ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لى زوجة، وقال عبد الرحمن: لى زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لى

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٠).

(٢) المذيق: كأمير: اللبن المزوج بالماء.

فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت له بنتًا، وولدت البنت بنتا، وولدت البنت عمر بن العزيز رحمه الله تعالى[1].

قال ابن عبد الهادي: قال بعضهم: هكذا وقع في رواية، وهو غلط، وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتا، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله[2].

وهكذا كان عمر رضي الله عنه يتفقد الرعية بنفسه، ويعس في الليالي ويقوم بواجبه نحو رعيته محتسبًا عند الله تعالى أجره، ولم يكن رضي الله عنه في حرصه على الإلمام بواقع دولته يقتصر على العاصمة وحدها، بل كان يمتد إلى جميع أرجاء الدولة الإسلامية، كما سنرى في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى.

٥- رأفته ورحمته بالبهائم:

كانت رأفة الفاروق بالبهائم صادرة عن إيمان ملؤه الرفق والرحمة والإحسان إلى كل شيء، فقد لان قلبه بذكر الله، فأصبح يشفق على خلق الله، وقد فهم من الإسلام بأنه في كل ذات كبد رطب أجر، وأنه لا يجوز شرعًا إساءة استعمال الحيوان ولا إزهاقه ولا تسخيره في غير ما خلق له ولا تحميله فوق طاقته[3]، وقد أعلن رضي الله عنه بأنه مسئول عن بغلة تعثر في العراق لم يسوِّ لها الطريق وهذه بعض الصفحات العمرية التي سجلت بماء الذهب في ذاكرة التاريخ الإنساني:

- أتحمل على بعيرك ما لا يطيق:

عن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب جمّالاً ويقول: حمّلت جملك ما لا يطيق[4].

- أما علمتم أن لها عليكم حقًا:

قال الأحنف بن قيس: وفدنا إلى عمر بفتح عظيم، فقال: أين نزلتم؟ فقلت: في مكان كذا وكذا، فقام معي حتى انتهينا إلى مناخ ركائبنا، فجعل يتخللها ببصره

---

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (٨٩، ٩٠).

(٢) محض الصواب (١/٣٩١).

(٣) شهيد المحراب ص (٢٢٦).

(٤) محض الصواب (٢/٤٦٩).

ويقول: ألا اتقيتم الله فى ركائبكم هذه؟ أما علمتم أن لها عليكم حقًا؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض(١)؟

- يداوى إبل الصدقة:

قدم على عمر وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس، فى يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (متعمّم) بعباءة يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة - يطليه بالقطران - فقال: يا أحنف ضع ثيابك وهلمّ فأعن أمير المومنين على هذا البعير، فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف؟ إنه من ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيّده فى النصيحة وأداء الأمانة(٢).

- عذبت بهيمة من البهائم فى شهوة عمر:

اشتهى الفاروق سمكًا طريًا، فأخذ يرفأ - مولاه - راحلة فسار ليلتين مقبلاً وليلتين مدبرًا، واشترى مكتلاً فجاء به، وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرق فنظرها عمر فقال: عذبت بهيمة من البهائم فى شهوة عمر، والله لا يذوق عمر ذلك(٣).

- إنى لخائف أن أسأل عنك:

رأى عمر جملاً تبدو عليه مظاهر الإعياء والمرض فتقدم من الجمل ووضع يده فى دبر الجمل يفحصه وهو يقول إنى لخائف أن أسأل عنك(٤).

هذه بعض المواقف العمرية التى تدل على رأفة ورحمة الفاروق بالبهائم، ألا ليت الشباب الحائر يطالع تاريخه ويلم بإسلامه، ليعرف أنه ما من قاعدة إنسانية تنفع المجتمع البشرى إلا ولها فى الإسلام تقعيد وتنظيم حتى لا ينبهروا بالغرب الذى يباهى بإنشاء جمعيات الرفق بالحيوان، على أنها مظهر من مظاهر إنسانيته الفاضلة، وحتى لا يقلده

---

(١) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ (٢/٦٠٥).
(٢) أخبار عمر ص (٣٤٣) نقلاً عن ابن الجوزى.
(٣) الرياض النضرة ص (٤٠٨).
(٤) الطبقات (٣/٢١٥).

شبابنا ظنًا منهم أنهم أصحابها وليدركوا أننا أساتذتهم فى الرفق بالحيوان[١]، وفى كل شىء نافع.

إن مراقبة الله سر الهدى، ومنار الخير، ولب العبادة حتى الجمل المريض يخشى فيه عمر ربه أن يسأله عنه، هذا هو كنه الإسلام، رقابة وخشية تسكن القلب، وهل ينجح حاكم بغير هذا كى ينجو من حساب الله، وقد ولاه أمر عباده[٢]؟

٦- زلزلة الأرض فى عهد الفاروق:

تزلزلت الأرض بالناس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: أيها الناس، ما كانت هذه الزلزلة إلا على شىء أحدثتموه والذى نفسى بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبدا[٣].

****

(١) شهيد المحراب ص (٢٢٨).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٢٩).

(٣) فرائد الكلام ص (١٤٠) نقلاً عن الداء والدواء لابن القيم ص (٥٣).

المبحث الرابع

اهتمام الفاروق بالعلم والدعاة والعلماء

أولاً: اهتمام الفاروق بالعلم:

العلم من أهم مقومات التمكين للأمة الإسلامية، لأنه من المستحيل أن يمكن الله تعالى لأمة جاهلة، متخلفة عن ركاب العلم، وإن الناظر إلى القرآن الكريم ليتراءى له فى وضوح أنه زاخر بالآيات التى ترفع من شأن العلم، وتحث على طلبه وتحصيله، وإن أول آية من كتاب الله تعالى تأمر بالعلم والقراءة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وكذلك يجعل القرآن الكريم العلم مقابلا للكفر الذى هو جهل وضلال، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وإن الشىء الوحيد الذى أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يطلب منه الزيادة هو العلم[١]، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وقد فهم الصحابة الكرام أن العلم والفقه فى الدين من أسباب جلب النصر والعون والتأييد الإلهى لذلك حرصوا على التفقه فى الدين وتعلم كتاب الله وسنة رسوله، وكان طلبهم للعلم لله سبحانه وتعالى، وحرصوا على معرفة الدليل فى الأحكام، وأيقنوا بأنه لابد فى العلم من العمل، وإلا نزع الله منه البركة، فقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ دعاءه: (**اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**)[٢]، وقد شهدت الأمة للفاروق رضى الله عنه بغزارة العلم وبأنه فقيه من فقهاء الأمة فى الصدر الأول بلا منازع، فقد عرف بعمق الفهم، والقدرة على التحليل، والبراعة فى الاستنباط والاستنتاج، وهذا ما أهله – بعد توفيق الله تعالى – لتلك المكانة المرموقة، ولقد أصبح عمر فقيه المسلمين بعد أن آلت إليه الخلافة، فأرسى باجتهاداته قواعد العدالة كما فهمها من جوهر الإسلام وحقيقته، وقد كان رضى الله عنه فى مقدمة الفقهاء من الصحابة، وقد أشاد السلف الصالح بعلمه ودرايته، ومعرفته الدقيقة بالأحكام الشرعية، وكان رضى الله عنه يحتاط فى أخذ الحديث ويهتم بمذاكرة الصحابة فى العلم، ويسأل الصحابة عن

(١) التمكين للأمة الإسلامية ص (٦٢).

(٢) مسلم رقم (٢٧٢٢).

المسائل التى لم يتعلمها من رسول الله، وله أقوال فى الحث على طلب العلم، وتتبع رعيته بالتوجيه والتعلم، وجعل من المدينة دارا للفقه والفتوى وأصبحت مدرسة يتخرج فيها الولاة والقضاة، وأعد مجموعة خيرة من الصحابة الكرام قادوا المؤسسات العلمية (المساجد) فى حركة الفتوح فقاموا بتربية وتعليم الشعوب المفتوحة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووضع النواة الأولى فى تأسيس المدارس العلمية التى أثرت فى الشعوب الإسلامية كمدرسة البصرة، والكوفة، والشام، وطور المدرسة المدنية والمكية.

١- احتياطه فى أخذ الحديث ومذاكرته للعلم وسؤاله عما يجهل:

- احتياطه في أخذ الحديث وطلبه للتثبت:

استأذن أبو موسى الأشعرى فى الدخول على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يؤذن له - وكأنه كان مشغولا - فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله ابن قيس؟ ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه: فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تأتينى على ذلك بالبينة فانطلق إلى مجالس الأنصار فسألهم، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا. فقام أبو سعيد فقال: كنا نؤمر بهذا. فقال عمر: خفى على هذا من أمر رسول الله ﷺ؟ ألهانى عنه الصفق بالأسواق، يعنى الخروج إلى التجارة(١)، وجاء فى رواية أبى سعيد الخدرى قال: كنت فى مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقال رسول الله ﷺ: **إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع**، فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبى ﷺ؟ فقال أبى بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى ﷺ قال ذلك(٢).

- مذاكرة عمر للعلم وسؤاله عما يجهل:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى عمر بامرأة تشم، فقام فقال: أنشدكم بالله من سمع من النبى ﷺ فى الوشم؟ فقال أبو هريرة: فقمت فقلت: يا أمير المؤمنين أنا سمعت، قال: ما سمعت؟ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **لا تَشِمْنَ ولا تَسْتَوْشِمْنَ**(٣)،

(١، ٢) مسلم رقم (٢١٥٣).

(٣) البخارى رقم (٥٩٤٦).

وعن المغيرة بن شعبة عن عمر رضى الله عنه أنه قال: استشارهم فى إملاص المرأة، فقال المغيرة: قضى النبى ﷺ بالغرة عبد أو أمة قال: ائت من يشهد معك، فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبى ﷺ قضى به(١)، وعن عمر رضى الله عنه أنه سئل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجد الماء؟ فقال: لا يصلى حتى يجد الماء فقال له عمار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت فى الإبل فأجنبنا، فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة، وأما أنت فلم تصل، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: إنما يكفيك هذا(٢)، وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه، فقال له عمر: اتق الله يا عمار، فقال: إن شئت لم أحدث به، فقال: بل نوليك من ذلك ما توليت، فهذه سنة شهدها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها، وذكره عمار فلم يذكر، وهو لم يكذب عماراً بل أمره أن يُحدث به(٣).

٢- من أقواله فى الحث على العلم:

قال رضى الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء(٤).

وقال رضى الله عنه: لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه ولا يحقر من دونه، ولا يأخذ على علمه أجراً.

وقال رضى الله عنه: تفقهوا قبل أن تسوَّدوا، أى تصيروا سادة قومكم، فتمنعكم الأنفة من التعلم، فتعيشوا جهالاً(٥).

وقال رضى الله عنه: العلم إن لم ينفعك لن يضرك(٦).

وقال رضى الله عنه: موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه(٧).

---

(١) البخارى رقم (٦٩٠٦).
(٢) النسائى فى الطهارة (٣١٧).
(٣) الفتاوى (١٣٥/٢٠).
(٤) مفتاح دار السعادة (١٢٢/١)، فرائد الكلام ص (١٣٥).
(٥) التبيان فى حملة القرآن للنووى ص (٦٠)، فرائد الكلام (١٦٣).
(٦) الزهد للإمام أحمد ص (١٧٤)، فرائد الكلام ص (١٦٨).
(٧) فرائد الكلام ص (١٥٧)، مفتاح دار السعادة (١٢١/١).

وقال رضى الله عنه: كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم ألا يُكثر لكم(١).

وقال رضى الله عنه: تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم(٢).

وحذر رضى الله عنه من زلة العالم فقال: يهدم الإسلام زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون(٣).

٣- تتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم فى المدينة:

كان الفاروق يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومى وخصوصاً يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة فى توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ للفاروق كثيراً من خطبه وهذه إشارات عابرة لبعض خطبه:

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهى خمسة أشياء: العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والعسل، والخمر ما خامر العقل، وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا(٤).

وخطب يوم الجمعة فى نصح الرعية وبيان حقها عليه فقال: أيها الناس: إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجَّلون فى دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحى، فمن أسرَّ شيئًا أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئًا أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر لنا شيئًا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، فأنفقوا خيرا

---

(١) فرائد الكلام ص (١٥٩)، البيان والتبيين للجاحظ (٢/٣٠٣).

(٢) أخبار عمر ص (٢٦٣)، محض الصواب (٢/٦٨٦).

(٣) محض الصواب (٢/٧١٧).

(٤) الخلافة الراشدة ص (٣٠٠) د. يحيى اليحيى.

لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، أيها الناس أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القباطى فإنه إن لم يشف فإنه يصف، أيها الناس: إنى لوددت أن أنجو كفافا لا لى ولا على، وإنى لأرجو إن عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين – وإن كان فى بيته – إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوما، وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله، ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره(١).

- **حكم عظيمة من الخطبة:**

لقد استفتح عمر رضى الله عنه خطبته بحكم عظيمة بين فيها أن الغنى الحقيقى يكون بالقناعة، وأن الفقر الحقيقى يكون بالطمع، فأصل القناعة الإياس مما فى أيدى الناس، فمن أيس مما عند غيره قنع بما عنده، ومن قنع بما عنده استغنى وإن كان فقيرا، ومن أخذ به الطمع واستشرف لما فى أيدى الناس افتقر فى نفسه وإن كان غنيا فى ماله، فإن ماله لا يغنيه، لأن الغنى غنى النفس، وأن العقل السليم يقتضى أن لا يجمع الإنسان من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه، وألا تكون آماله الدنيوية معلقة بما لا يملك، وأن ينظر إلى الدنيا على أنها دار زوال، وأن لا يغتر بما فيها من جواذب ومغريات(٢).

- **أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم:**

وفى هذه الخطبة تقرير لما استقر عليه الأمر بعد انقطاع الوحى من أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم إلى الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن الوالى ليس مسئولا عن الحكم على سرائر القلوب، ولن يستطيع ذلك، ولكنه مسئول عن صلاح ظواهر الناس، ومن صلاح الظاهر يتكون المجتمع الصالح فإنه يحكم للمجتمع بذلك إذا صلح ظاهره ولم تعلن فيه الفواحش ولم يبرز فيه من يجاهر بالفسوق أو يدافع عنه، وإن كان فيه أفراد قد ساءت بواطنهم، لأن العرف الاجتماعى – والحال هذه – يكون سائرا مع ما أعلن من الصلاح ومكارم الأخلاق، أما ما خفى من الانحراف فإن العرف الإسلامى يرفضه فيضطر أصحابه إلى التستر والانزواء.

---

(١) فرائد الكلام ص (١٩٠) نقلا عن تاريخ الطبرى.

(٢) التاريخ الإسلامى (٢٠/ ٢٦٦).

- **بعض الشح شعبة من النفاق:**

وقوله رضى الله عنه: واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق واضح فى الذين يتقاعسون عن الإنفاق فى سبيل الله تعالى، وهم يرون دولا وطوائف من أمتهم يعتدى عليهم الكفار وتنتهك أعراضهم وتنتهب بلادهم، فينهض هؤلاء المعتدى عليهم للجهاد، ولكن لا يجدون إلا القليل من المسلمين الذين يساعدونهم بأموالهم، فالذين أصيبوا بمرض الشح من المؤمنين قد اتصفوا بالنفاق العملى، وهو علامة على ضعف الإيمان(١).

- **ولوددت أن أنجو كفافا لا لى ولا على:**

احساس مرهف وتصور بالغ الدقة فى إدراك المسئولية، فإن تحمل الولاية إقدام على عمل من أعلى الأعمال الصالحة، ولكن فيه مزالق خطيرة قد تحيله إلى عمل من أسوأ الأعمال، وكم من مسئول كان عمله رافعا ذكره عند الله تعالى وعند الصالحين من الناس، لما يقوم به من محاسبة نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وكم من مسئول كان عمله بضد ذلك لكونه اتبع هواها وقدم رضا الناس على رضا الله تعالى، ولقد كان عمر رضى الله عنه من أبرز عظماء التاريخ الذين مثلوا العدالة فى أبلغ صورها، ومع ذلك يقول هذه المقالة، ويحمله خوفه العظيم من الله تعالى على تناسى ما لعمله فى الولاية من أجر مقابل أن يخرج طاهر الأردان مما فيها من وزر(٢).

٤- من حكمه التى سارت بين الناس:

قال رضى الله عنه: من كتم سره كانت الخيرة فى يديه، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها فى الخير مدخلاً، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تكثر الحلف فيهينك الله، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، اكتسبهم فإنهم زين فى الرخاء عدة عند البلاء(٣).

(١، ٢) التاريخ الإسلامى (٢٠/ ٢٦٧).

(٣) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٥٩)، التاريخ الإسلامى (٢٠/ ٢٧٠).

فهذه حكم بالغة، وكل حكمة تفتح آفاقًا فى عالم التربية وهذا تعليق مفيد على هذه الحكم:

- من كتم سره كانت الخيرة فى يديه:

فالإنسان حاكم نفسه ما دام سره بين جنبيه، فإذا أفشى السر لواحد من الناس أو أكثر فإنه لو رأى أن المصلحة فى عدم الإفشاء لم يستطع رد أمره إلى السرية.

- ومن عرَّض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن:

فالإنسان هو المسئول عن نفسه قبل الناس، فعليه أن يحاول إبراء ساحته بكل ما يستطيع، وإذا ظن أن بعض الناس قد يفهمون من سلوكه خلاف مراده فليسارع إلى كشف أمره وإن كان موضع الثقة، وسمعته عالية فى المجتمع فإن النبى ﷺ قال للرجلين اللذين رأياه ومعه امرأة تسير فى الليل: على رسلكما إنها صفية بنت حيى[1].

- ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها فى الخير مدخلاً:

فهذا توجيه عمرى جليل فى التحرز من سوء الظن، فإحسان الظن بالمسلمين مطلوب من المسلم، وأن يحاول تأويل الكلمات التى ظاهرها الشر بما تحتمله من خير حتى يجد أن تلك الكلمات متمحضة للشر، فذلك مطلوب من المسلم مع أخذ الحذر لنفسه ولمن هم تحت ولايته حتى لا يؤخذ على غرة[2].

- ولا تكثر الحلف فيهينك الله:

فالحلف بالله تعالى تعظيم له، فإذا كان الحلف بقدر الحاجة وفى حال التعظيم لله تعالى وخشيته كان ذلك من توحيده وإجلاله جل وعلا، أما إذا أكثر المسلم من الحلف بالله تعالى حتى فى الأمور الحقيرة فإنه لن يصاحب ذلك تعظيم له سبحانه، بل يدخل فى باب الاستهانة وعدم المبالاة، فتكون عاقبة ذلك تعرض المكثر من الحلف لإهانة الله تعالى إياه، ومن تعرض لذلك فقد خسر خسرانا مبينا.

- وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه:

فإذا كان بينك وبين أحد خلاف فعصى الله تعالى بسببك، إما بالاعتداء عليك أو انتهاك عرضك أو أخذ مالك، فإن أفضل جزاء تجازيه به أن تطيع الله جل وعلا فيه،

(١، ٢) التاريخ الإسلامى (٢٠/ ٢٧١).

وذلك بالتزام الأدب الإسلامى فى الخلاف وحفظ حق أخيك المسلم، بأن لا ترد عليه بالمستوى الهابط الذى خاطبك به، ثم إن عفوت عنه وتنازلت عن حقك فذلك من كمال طاعة الله سبحانه.

- وعليك بإخوان الصدق:

نعم فرب أخ لك لم تلده أمك، بل إن إخوان الصدق الذين ائتلفت قلوبهم على التقوى أعظم تضحية وإحسانا من إخوان النسب إذا لم يكونوا كذلك، فإخوان الصدق سعادة للإنسان فى وقت الرخاء، يسر بلقائهم، ويشترك معهم فى أعمال البر والإحسان والإصلاح، إذا نزل البلاء وجد الجد فهم عدة لإخوانهم يتسابقون إلى البذل والتضحية ويتنافسون في أداء الأعمال الشاقة، ويؤثرون على أنفسهم وإن كانت بهم خصاصة[1].
فهذه بعض الحكم العمرية التى سارت بين الناس، فإذا كان نقاد الأدب لا يزالون يعجبون بحكم المتنبى، ويرون فيها خلاصة لتجارب الناس فى عصره، فإن حكم المتنبى لا يمكن أن تذكر مع كلمات عمر ولا تجرى معها في ميدان، إن المتنبى لخص فى حكمه تجارب الناس، وعمر وضع فى كلماته (الحكم) للناس، إن من كلماته ما كان دستورا للحكم أو للقضاء أو للأخلاق، دستورا كاملا ولكنه لم يجىء فى مواد مطولة ولم يكتب بلغة القوانين، بل جاء حكمة سائرة، ومثلا مأثورا، فى لغة هى فى البيان غاية الغايات من مثل قوله: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ وقوله: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين فى غير ضعف والقوى فى غير عنف، وقوله: أريد للإمارة رجلا، إن كان فى القوم وهو أميرهم ظن واحدا منهم، وإن كان فيهم وهو واحد منهم ظن أنه أميرهم، وقوله فى الولاة: أشكو إلى الله ظلم القوى، وعجز التقى، وقوله: من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه وقوله: لست بخب ولا الخب يخدعنى[2].

وقوله: ما أمر الله تعالى بشىء إلا وأعان عليه، ولا نهى عن شىء إلا وأغنى عنه[3].

ثانيًا: جعله المدينة دارًا للفتوى والفقه:

لما انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت المدينة، عاصمة الدولة الإسلامية،

---

(١) التاريخ الإسلامى (٢٠/ ٢٧٢).

(٢) أخبار عمر ص (٢١٢).

(٣) أدب الدنيا والدين ص (٣١١) للماوردى، فرائد الكلام ص (١١١).

وموطن الخلافة، وفيها تفتق عقل الصحابة، فى استخراج أحكام إسلامية؛ تصلح لما جد من شئون فى المجتمعات الإسلامية، بعد الفتوح التى كثرت، واتسعت بها رقعة الإسلام، فقد كانت المدينة تحتل المكانة المرموقة بين سائر الأمصار، فالمجتمع المدنى عاش فيه رسول الله ﷺ، وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، وبذلك أصبح لا يدانيه أى مجتمع آخر. . وكان لوجود عمر على رأس الخلافة فى المدينة – مدة عشر سنوات – لخصائصه الذاتية، وسياسته فى الحكم، أثر كبير فى جعل المدينة المدرسة الأولى للحديث، والفقه والتشريع فى القرنين الأول والثانى، وذلك لما يأتى:

– إن المدينة كانت فى عهد عمر مجمع الصحابة، وخصوصا ذوى السبق منهم فى الإسلام، استبقاهم عمر حوله، حرصا عليهم، ورغبة فى أن يكونوا عونا له فى سياسة الأمة، واستعانة بعلمهم، واعتمادا على إخلاصهم، واسترشادا بآرائهم ومشورتهم، وقد بقى علم هؤلاء الصحابة بالمدينة، فبلغ فقهاء الصحابة المفتون ١٣٠ مائة وثلاثين صحابيا، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر، وعلى، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم(١).

والمتوسطون من الصحابة فيما روى عنهم من الفتيا: أبو بكر، لقصر المدة التى عاشها بعد رسول الله ﷺ، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدرى، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبدالله بن الزبير، وأبو موسى الأشعرى، وسعد بن أبى وقاص، وجابر ابن عبد الله ومعاذ بن جبل، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وعبادة ابن الصامت قالوا: ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير(٢)، وجل من ذكرتهم بقى فى المدينة فى عهد عمر بن الخطاب، إلا من كانت له مهمة تعليمية أو جهادية كلفه بها الفاروق نتيجة لتوسع الدولة، واحتياج البلاد المفتوحة لمن يعلم أهلها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد أثمرت سياسة عمر رضى الله عنه فى جعل المدينة دار الفقه والعلم ومنزل أهل الرأى والمشورة، ومما يدل على نجاح تلك السياسة ما رواه ابن عباس حيث قال: كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم

(١، ٢) المدينة النبوية فجر الإسلام، محمد شراب (٢/ ٤٥).

عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا فى منزله بمنى، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها، إذ رجع إلى عبدالرحمن فقال: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك فى فلان، يقول: لو قد مات عمر، لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبدالرحمن فقلت: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنا، فيعى أهل العلم مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال عمر: أما والله – إن شاء الله – لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة(١).

قال ابن حجر: واستدل بهذا الحديث على أن أهل المدينة مخصوصون بالعلم والفهم، لاتفاق عبدالرحمن بن عوف وعمر على ذلك، قال: وهو صحيح فى حق أهل ذلك العصر – عصر عمر – ويلتحق بهم من ضاهاهم فى ذلك ولا يلزم من ذلك أن يستمر ذلك فى كل عصر، ولا فى كل فرد(٢)، وقد أثر ذلك العصر فى المدارس العلمية التى نشأت مع تطور المجتمع وتوسع الفتوحات، فقد كان تلاميذ مدرسة عمر فى المدينة، ونشروا علمهم بالمدينة، فنشأ تلاميذ صاروا أعلاما لقربهم من المنهل، ولبقائهم فى البيئة المدنية، وبعض تلاميذ عمر تم إرسالهم إلى البلدان المفتوحة لتعليم وتفقيه وتربية الشعوب التى دخلت فى الإسلام.

ولقد تصدرت المدينة مكانا عاليا فى العلم والفقه، وأثرت مدرسة المدينة فى الأقطار المفتوحة والمدارس التى تشكلت كالبصرة والكوفة وغيرهما ويأتى تعاقب مركزية الفقه فى المدينة كالتالى:

– المدينة مهبط الوحى، والتشريع، ولا ينازعها بلد فى العصر الراشدى.

– فى عهد الخلفاء الراشدين، كانت المدينة مركز فقهاء الصحابة وعلى رأسهم عمر.

– قتل عثمان سنة ٣٥هـ، وانتقل على إلى الكوفة، ومع ذلك بقيت المدينة مركز أهل

---

(١) البخارى، ك الحدود رقم (٦٨٣٠).

(٢) الفتح (١٢/ ١٥٥)، المدينة فجر الإسلام (٢/ ٤٦).

العلم والفتوى بسبب امتداد عمر الصحابة الفقهاء، فى المدينة، حتى عمروا أكثر النصف الثانى من القرن الأول وهم: عائشة وأبو هريرة وجابر بن عبدالله، وابن عمر وسعد بن أبى وقاص، وغيرهم.

- نشأت مدرسة كبار التابعين فى المدينة، وكان منهم الفقهاء السبعة، الذين لم يوجد لهم نظير فى الأمصار الإسلامية، وهم المذكورون فى قول الشاعر:

ألا كل من لا يقتدى بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجة

فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

- وجاءت الطبقة الثانية من التابعين (صغِار التابعين) وعاشوا حتى أواخر النصف الأول من القرن الثانى أذكر منهم: ابن شهاب الزهرى، ونافع بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصارى.

- ثم جاء عصر الإمام مالك، وهو من تابعى التابعين، فكان من أعلم الناس بعلم من سبقه من التابعين كبارهم وصغارهم.

ويشهد لعلم أهل المدينة، احتياج أهل الأمصار إلى علم الحجاز، ورحلتهم إليه فى طلبه، بما لم يعرف للأمصار الأخرى فقد رحل علماء الأمصار الإسلامية إلى المدينة فى طلب العلم، وعرض ما لديهم على علمائهم، فكانوا المرجع فى هذا الشأن، وقد ذهب علماء المدينة إلى الأمصار قضاة ومعلمين[1] ابتداء من الذين أرسلهم عمر رضى الله عنه لما فتحت الشام والعراق لتعليم الناس كتاب الله وسنة رسوله فقد ذهب إلى العراق عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسى، وغيرهم ، وذهب إلى الشام معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وأمثالهم، وبقى عنده مثل عثمان، وعلى، وعبدالرحمن بن عوف، ومثل أبى بن كعب، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وكان ابن مسعود - وهو أعلم من كان بالعراق من الصحابة إذ ذاك - يفتى بالفتيا، ثم يأتى المدينة فيسأل علماء أهل المدينة، فيردونه عن قوله فيرجع إليهم[2].

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢/ ٤٧).

(٢) الفتاوى (٢٠/ ١٧٢).

لقد أثرت المدرسة المدنية فى بقية المدارس، وكان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة منقادين لعلم أهل المدينة، لا يعدون أنفسهم أكفاءهم فى العلم، كأهل الشام ومصر، مثل الأوزاعى ومن قبله وبعده من الشاميين، ومثل الليث بن سعد ومن قبله ومن بعده من المصريين، وأن تعظيمهم لعلم أهل المدينة واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بينٌ، وكذلك علماء أهل البصرة، كأيوب، وحماد بن زيد، وعبدالرحمن بن مهدى، وأمثالهم، ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة فى هذه الأمصار(١).

لقد كانت ثقة أهل الأمصار فى علم أهل المدينة، تجعلهم يقدمونه على كل علم لما روى الخطيب البغدادى: أن محمد بن الحسن الشيبانى كان إذا حدثهم عن مالك، امتلأ عليه منزله، وإذا حدثهم عن غير مالك لم يجبه إلا القليل من الناس، فقال: ما أعلم أحدا أسوأ ثناء على أصحابه منكم إذا حدثتكم عن مالك ملأتم على الموضع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكارهين(٢).

ويتفاضل غير أهل المدينة بقدر ما يأخذونه من علم أهل المدينة ويرون فى علم أهل المدينة معيارا للتفوق، فيقول مجاهد وعمر بن دينار وغيرهما من أهل مكة: لم يزل شأننا متشابها متناظرا حتى خرج عطاء بن أبى رباح إلى المدينة، فلما رجع استبان فضله علينا(٣).

إن من أسباب الثروة الفقهية التى حظيت بها المدينة أيام عمر بن الخطاب: شخصية عمر بن الخطاب الملهمة، وقد شهد رسول الله ﷺ لعمر بذلك، لما رآه موفقا فى آرائه. وقد جعل من عاصمة الدولة مدرسة تخرج فيها العلماء والدعاة والولاة والقضاة، وإذا نظرنا فى المدارس العلمية الأولى فى العالم الإسلامى رأينا الأثر العمرى عليها لأن كل المؤسسين تقريبا تأثروا بفقه الفاروق رضى الله عنه وإليك نبذة مختصرة عن هذه المدارس:

١ - المدرسة المكية:

احتلت هذه المدرسة المكانة فى قلوب المؤمنين، الساكنين، والثائبين إلى بلد الله الحرام، الحجاج، والعمار، والزوار، بل أخذت مكة بألباب كل مؤمن رآها، أو تمنى أن

---

(١) الفتاوى (٢٠ / ١٧٤).

(٢، ٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢ / ٤٨).

يراها، ولقد كان العلم بمكة يسيرا زمن الصحابة، ثم كثر فى أواخر عصرهم وكذلك فى أيام التابعين، وزمن أصحابهم، كابن أبى نجيح، وابن جريج(١)، إلا أن مكة اختصت زمن التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس – رضى الله عنهما – الذى صرف جل همه، وغاية وسعه إلى علم التفسير، وربى أصحابه على ذلك، فنبغ منهم أئمة كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس فى التفسير، وقد ذكر العلماء مجموعة من الأسباب أدت إلى تفوق هذه المدرسة، أهم هذه الأسباب والأساس فيها إمامة ابن عباس – رضى الله عنهما– وأستاذيته لها(٢)، وقد تحدث العلماء عن مجموعة من الأسباب أهلت ابن عباس رضى الله عنهما وقدمته على غيره من الصحابة فى فهم كتاب الله والقدرة على تفسيره، وهى على الإجمال، دعاء النبى ﷺ له بالفقه فى الدين والعلم بالتأويل، الأخذ عن كبار الصحابة، قوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، اهتمامه بالتفسير، منهجه المميز فى تعليم أصحابه، حرصه على نشر العلم، رحلاته وأسفاره، تأخر وفاته، قرب منزلته من عمر رضى الله عنه(٣)، فقد حظى بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس مازال شابا غلاما، فكان لذلك الأثر البالغ فى دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار فى باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبى عن ابن عباس قال: قال لى أبى: يا بنى، أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك ، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عنى ثلاثا: اتق الله لا تفشين له سرا، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحدا(٤)، وكان عمر – رضى الله عنه – يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط ، وقد قال ابن عباس – رضى الله عنهما – كان عمر يسألنى مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لى: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتمونى أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه(٥)، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس فى مجلس فيه من هو أسن منه لا

---

(١) الإعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ ص (٢٩٢).

(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧١) د. محمد الخضرى.

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٧٤ – ٣٩٥).

(٤) الحلية (١/ ٣١٨)، تفسير التابعين (١/ ٣٧٦).

(٥) المستدرك (٣/ ٥٣٩) وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبى.

يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه، فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطا لنفسه، وتشجيعا له فى العلم(١)، كما مر معنا فى تفسير قوله تعالى: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٦] وقوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾، وكان لعمر – رضى الله عنه – مجلس يسمع فيه من الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبدالرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – إذا صلى السبحة، وفرغ، دخل مربدا له(٢)، فأرسل إلى فتيان قد قرأوا القرآن، منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرأون القرآن ويتدارسون، فإذا كانت القائلة انصرف، قال: فمروا بهذه الآية ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ**﴾ و ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [البقرة: ٢٠٦]، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأى شىء قلت؟ قال: لا شىء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشترى نفسى! فقاتله، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يا ابن عباس(٣)، وكان عمر – رضى الله عنه – يسأل ابن عباس عن الشىء من القرآن ثم يقول: غص غوّاص(٤)، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا أبا عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحدا سواه إذا كانت العضل(٥)، وعن سعد بن أبى وقاص قال: ما رأيت أحدا أحضر فهما، ولا ألب لبا، ولا أكثر علما، ولا أوسع حلما من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات: ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين، والأنصار(٦)، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم

---

(١) تفسير التابعين (١/ ٣٧٧).

(٢) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان الذى يجعل فيه التمر.

(٣) تفسير الطبرى (٤/ ٢٤٥) الدر المنثور (١/ ٥٧٨).

(٤) فضائل الصحابة لأحمد رقم (١٩٤٠).

(٥) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩).

(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩).

فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا، وقلبا عقولا[١]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحدا[٢]، وكان ابن عباس – رضى الله عنهما – كثير الملازمة لعمر، حريصا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضى الله عنه من أكثر الصحابة نقلا ورواية لتفسير عمر وعلمه – رضى الله عنهم – وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضى الله عن الجميع[٣]، هذا بعض ما لقيه ابن عباس إمام المدرسة المكية من عناية الفاروق وتقريبه له – رضى الله عنهم – وأظن هذا مما أعان ابن عباس وشجعه للمضى قدما فى طريق العلم عامة والتفسير خاصة[٤].

٢- المدرسة المدنية:

قد تحدثنا عن اهتمام عمر بالمدينة وجعلها دارا للفتوى والفقه والعلم، وأشهر من تفرغ فى المدينة للحياة العلمية زيد بن ثابت – رضى الله عنه – ، فقد استبقاه عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى المدينة ، فكثر أصحابه ، يقول ابن عمر – رضى الله عنهما – فرق عمر الصحابة فى البلدان ، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتى أهلها، ويقول حميد بن الأسود: ما تقلد أهل المدينة قولا بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك[٥]، وكان أحد الصحابة الذين قيض الله لهم أصحابا حفظوا أقوالهم، ونشروا علمهم ، وآثارهم[٦]، وقال عامر الشعبى – رحمه الله – : غلب زيد الناس على اثنين، على الفرائض، والقرآن[٧]، وقد شهد رسول الله ﷺ لزيد فى علم الفرائض فقال: **وأفرضهم زيد**[٨]، وقد صحب زيدا عدد من فقهاء المدينة، وقد اشتهر من أصحابه والآخذين عنه ستة من التابعين، يقول ابن المدينى: فأما من لقى زيدا، وتثبت عندنا أنه لقيه فهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد،

---

(١) تفسير التابعين (١/٣٧٩)، فضائل الصحابة لأحمد رقم (١٥٥٥).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/٣٧٠).

(٣) تفسير التابعين (١/٣٨١).

(٤) المصدر نفسه (١/٥٠٦).

(٥) العلل لأحمد (٣/٢٥٩) (٥١٤٥)، تفسير التابعين (١/٥٠٦).

(٦) تفسير التابعين (١/٥٠٦).

(٧) تهذيب تاريخ دمشق (٥/٤٤٩)، تفسير التابعين (١/٥٠٨).

(٨) سنن الترمذى قال الترمذى: حديث حسن صحيح رقم (٣٧٩١).

وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار[1]، وقد كان لمدرسة المدينة الأثر الكبير كما بينا فى المدارس العلمية الأخرى.

٣- المدرسة البصرية:

أول من مصر البصرة عتبة بن غزوان - رضى الله عنه - اختطها سنة أربع عشرة وقيل غير ذلك، بأمر عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وسيأتى الحديث عنها بإذن الله تعالى عند حديثنا عن التطوير العمرانى فى السياسة العمرية، وهى أقدم من الكوفة بثلاث سنين[2]، وهى منافسة لمدرسة الكوفة فى كل الفنون، وقد نزلها من الصحابة جمع كثير[3]، منهم أبو موسى الأشعرى، وعمران بن حصين - رضى الله عنهما-، وعدة من الصحابة كان خاتمتهم أنس بن مالك رضى الله عنه[4]، ومن أشهر من نزل البصرة أبو موسى الأشعرى، وأنس بن مالك رضى الله عنهما، فأما أبو موسى - رضى الله عنه - فكان فيمن قدم مكة، وأسلم، وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها[5]، وقد تأثر أبو موسى بعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وكانت بينهما مراسلات، سنأتى عليها بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة، وكان أبو موسى رضى الله عنه قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع، والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد فى الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رضى الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبى فى تذكرة الحفاظ فى الطبقة الأولى من الصحابة رضى الله عنهم، قال عنه: كان عالما عاملا صالحا تاليا لكتاب الله، إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقرآن، روى علما طيبا مباركا، أقرأ أهل البصرة وأفقههم[6]، وقد كان رضى الله عنه كثير الملازمة للنبى ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلى وأبى بن كعب وعبدالله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيرا، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب فى أثناء ولايته

---

(١) تفسير التابعين (١/٥١٠).

(٢) المصدر نفسه (١/٤٢٢).

(٣) عد ابن حبان أكثر من خمسين صحابيا من المشاهير الذين دخلوا البصرة، المصدر السابق.

(٤) طبقات ابن سعد (٧/٢٦)، مسلم (١/٦٥).

(٥) تفسير التابعين (١/٤٢٣).

(٦) تذكرة الحفاظ (١/٢٣).

الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر فى كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبى واحدا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلى، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[1]، وكان أبو موسى عندما يأتى المدينة المنورة يحرص على مجالس عمر رضى الله عنهما، وربما أمضى جزءا كبيرا معه، فعن أبى بكر بن أبى موسى أن أبا موسى رضى الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء، فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة، قال: إنه فقه، فجلس عمر فتحدثا طويلا، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا فى صلاة[2]، وكما كان أبو موسى حريصا على طلب العلم والتعلم كان أيضا حريصا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، و كان يحض الناس على التعلم والتعليم فى خطبه، فعن أبى المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[3]، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمى وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها فى تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلم من الصلاة استقبل رضى الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[4]، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر رضى الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن[5]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضى الله عنه كل ما يستطيع من جهد فى تعليم القرآن ونشره بين الناس فى كل البلاد التى نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه وازدحم حوله طلاب العلم فى مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[6]، فالقرآن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

(٢) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد، محمد طهماز ص (١٢١).

(٣) الطبقات (٤/ ١٠٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٩).

(٥) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم ص (١٢٥، ١٢٦).

(٦) المصدر نفسه ص (١٢٧).

الكريم شغله الشاغل رضى الله عنه، صرف له معظم أوقاته فى حله وفى سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثنى الأشعرى إلى عمر رضى الله عنه. فقال عمر: كيف تركت الأشعرى؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس(١) ولا تسمعها إياه(٢)، حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه، فعن حطاب بن عبدالله الرقاشى قال: كنا مع أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حلقا، فلما حضرت العصر نادى منادى العصر، فهب الناس للوضوء أيضا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث، وأثمرت جهوده العلمية رضى الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم و علمائه، زاد عددهم فى البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكى يكرمهم ويزيد عطاءهم، كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلى ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال(٣)، واهتم أبو موسى رضى الله عنه بتعليم السنة وروايتها، فروى عن رسول الله ﷺ الكثير، كما روى عن كبار الصحابة السنة وروايتها، وروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين قال الذهبى – رحمه الله – : حدث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلى، وأبو سعيد الخدرى ، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدى وخلق سواهم(٤)، وكان رضى الله عنه شديد التمسك بسنة النبى ﷺ، دل ذلك على ما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضى الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضى الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبى ﷺ مخافة الزلل والخطأ، وقد كان عمر يوصى عماله أن يهتموا بالقرآن، وألا يكثروا من رواية السنة وكان أبو موسى شديد الطاعة لعمر(٥)، وأما أنس بن

---

(١) أى عاقل فطن.

(٢) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم ص (١٢٨).

(٣) المصدر نفسه ص (١٢٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨١).

(٥) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد ص (١٣٢).

مالك النجارى الخزرجى، خادم رسول الله ﷺ ، كان يتسمى بذلك ويفتخر به وحق له ذلك(١) فيقول رضى الله عنه: خدمت النبى ﷺ عشر سنين وأنا غلام(٢)، ويقول أيضا: قدم رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين سنة(٣)، وقد دعا له النبى ﷺ بكثرة المال، والولد، والمباركة فى العمر، فقال عليه الصلاة والسلام: **اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه**(٤)، قال الذهبى: وقد سرد صاحب التهذيب نحو مائتى نفس من الرواة عن أنس (٥)، وروى ألفى حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا، اتفق البخارى ومسلم على مائة وثمانين حديثا، وانفرد البخارى بثمانين حديثا، ومسلم بتسعين(٦)، ويعتبر أنس بن مالك رضى الله عنه شيخ السادة من علماء التابعين أمثال: الحسن البصرى، وسليمان التيمى، وثابت البنانى، والزهرى، وربيعة بن أبى عبدالرحمن، وإبرهيم بن ميسرة، ويحيى بن سعيد الأنصارى، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم(٧)، وقد اهتم أنس بخدمة السنة رواية وتعليما وغلبت عليه الصفة العلمية، فقد قام ببعض الأعمال الهامة فى خدمة الخلافة الراشدة، وأسند إليه الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم بعض المناصب الرفيعة فى الدولة المسلمة، وخاصة فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، ولما تولى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه ولاية البصرة فى عهد عمر قرب أنسا واعتبره من خاصته، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبى موسى فى مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفرى الأديم بلسانه فريا، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس - ما بطأ بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عجلت الدنيا وغيبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ماعدلوا ولا ميلوا(٨)، ولثقة أبى موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثنى أبو موسى الأشعرى من البصرة إلى عمر

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٢٧).

(٢) تفسير التابعين (١/٤٢٣).

(٣) مسلم رقم (٢٠٢٩).

(٤) مسلم رقم (٢٤٨١).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٣٩٧).

(٦) المصدر نفسه (٣/٤٠٦)، تفسير التابعين (١/٤٢٣).

(٧) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبدالحميد طهماز ص (١٣٥).

(٨) المصدر نفسه ص (١٤٩).

فسألنى عن أحوال الناس[١]، وبعد فتح تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[٢]، وقد روى عن أنس خلق عظيم من الصحابة و التابعين، لا سيما فى البصرة، وقد ترك أثره فى الزهد والعبادة فيمن حوله من الناس، وكان أنس حريصا على تعليم أصحابه، شديد المحبة لتلاميذه يدنيهم ويكرمهم، قائلا: ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ والله لأنتم أحب إلى من عدة ولدى إلا أن يكونوا فى الفضل مثلكم وإنى لأدعو لكم بالأسحار[٣]، مما مكنه من إنشاء جيل من العلماء الذين أخذوا عنه علم الحديث وبلغوه للآخرين وحملوا للأجيال من بعدهم، وبقى أصحاب أنس الثقات إلى ما بعد الخمسين ومئة[٤].

٤- المدرسة الكوفية:

نزل الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر، رضى الله عنهم أجمعين، وكتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة قائلا: يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب، وجمجمتها، وسهمى الذى أرمى به إن أتانى شيء من هاهنا، وهاهنا، قد بعثت إليكم بعبد الله وخرت لكم، وآثرتكم به على نفسى[٥]، وفى رواية عنه قال: أما بعد فإنى بعثت إليكم عمارا أميرا، وعبدالله معلما ووزيرا، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما وإنى قد آثرتكم، بعبد الله على نفسى إثرة[٦]، وقد اهتم عمر بالكوفة ووجه ابن مسعود، فكتب إليه: أن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل[٧]، وعندما شيع جماعة من الصحابة قاصدين الكوفة قال لهم: إنكم تأتون أهل قرية – يعنى الكوفة – لهم دوى بالقرآن كدوى النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وأمضوا وأنا شريككم[٨]، لقد كان عمر يفضل الاشتغال بالقرآن عن الاشتغال بالسنة، ويظهر لنا ذلك فى أنه لما أراد أن يكتب السنة استشار أصحاب

(١، ٢) أنس بن مالك، الخادم الأمين ص ١٤٩.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٣٩٥).

(٤) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٧١).

(٥) مجمع الزوائد (٩/٢٩١) رجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة.

(٦) السلطة التنفيذية (١/٢٥٢).

(٧) الفتح (٨/٦٢٥)، الخلافة الراشدة د. يحيى ص (٣٠٩).

(٨) طبقات ابن سعد (٦/٧)، فقه عمر، قلعجى ص (٦٥٩).

رسول الله في ذلك ، فأشاروا عليه: أن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وأني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا(١). لقد كانت منهجية الفاروق تعتمد على ترسيخ القرآن الكريم في نفوس الناس وعدم صرفهم عنه، حتى تتأصل معانيه في حياة المجتمع، وتستقر علومه ويميز الناس بينه وبين سواه، من العلوم الإسلامية الأخرى بما فيها الحديث النبوي(٢)، فالتأكيد على القرآن الكريم كان منذ عهد رسول الله ﷺ والتحذير من الانصراف الى غيره كان منذ ذلك العصر أيضا وما كان عمر رضي الله عنه إلا متبعا لتعاليم النبي ﷺ(٣).

اجتهد عبدالله بن مسعود في إيجاد جيل، يحمل دعوة الله فهمًا وعلمًا، وكان له الأثر البالغ في نفوس أصحابه الملازمين له أو من جاء بعدهم، وقد شهد له الفاروق بالعلم، فعن زيد بن وهب، قال: كنت جالسا في القوم عند عمر، إذ جاء رجل نحيف قليل، فجعل عمر ينظر إليه ويتهلل وجهه، ثم قال: كنيف مليء علما، كنيف مليء علما، كنيف ملئ علما، فإذا هو ابن مسعود(٤)، وقد تأثرت مدرسة الكوفة بابن مسعود فقد كانت من أكثر المدارس اقتداء ومتابعة لأستاذها حتى بعد موته، فإن تأثيره قد بقي في الكوفة بعده مدة طويلة(٥)، وقد تأثر رضي الله عنه بفقه عمر غاية التأثر وكان يدع قوله لقوله، وكان يقول: لو أن علم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وضع في كفة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه(٦).

وقد برز ابن مسعود – رضي الله عنه – بين الصحابة، وسبق في علم القراءة، وقد تلقى من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة من القرآن ، فعن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبدالله بن مسعود، فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا

---

(١) تاريخ المدينة (٢/ ٧٧٠) موسوعة فقه عمر ص (٦٥٩).

(٢) الأنصار في العصر الراشدي ص (٢٦٨).

(٣) المصدر نفسه ص (٢٦٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/١٥٦)، الحلية (١/ ١٢٩).

(٥) تفسير التابعين (١/ ٤٦٢).

(٦) العلم لأبي حنيفة ص (١٢٣)، تفسيرالتابعين (١/ ٤٦٣).

وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبى ﷺ أنى من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم[١]، وعن مسروق: ذكر عبدالله عند عبدالله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: استقرئوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبى حذيفة، وأبى بن كعب، و معاذ بن جبل[٢]، وقد عرف عمر الفاروق - رضى الله عه - لابن مسعود قدره فى علم القراءة والإقراء، فعن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر، وهو يعرفه، فقال: يا أمير المؤمنين جئت من الكوفة، وتركت بها من يملأ المصاحف عن ظهر قلبه قال: فغضب عمر، وانتفخ، حتى كاد يملأ ما بين شعبتى الرجل، ثم قال: ويحك من هو؟ قال: عبدالله بن مسعود، فما زال يطفئ، ويسرى الغضب، حتى عاد إلى حاله التى كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقى أحد من المسلمين هو أحق بذلك منه[٣]، وقد ترك ابن مسعود مجموعة من التلاميذ اشتهروا بالفقه، والعلم، والزهد والتقوى منهم: علقمة بن قيس، مسروق بن الأجدع، عبيدة السلمانى، أبو ميسرة بن شرحبيل، والأسود بن يزيد،الحارث الجعفى، مرة الهمدانى[٤].

٥- المدرسة الشامية:

بعد فتح الشام كتب يزيد بن أبى سفيان إلى عمر بن الخطاب كتابا جاء فيه: إن أهل الشام كثروا وملأوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعنى يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء رضى الله عنهم، فأرسلهم لهذه المهمة وقال لهم: ابدأوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يتعلم بسرعة فإذا رأيتم ذلك، فعلموا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، ويخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من أناس ما وصلوا إليه من مستوى علمى أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين[٥]، كانت المدارس العلمية

---

(١) البخارى رقم (٥٠٠٠).

(٢) البخارى رقم (٣٧٥٨).

(٣) المستدرك (٢/ ٢٢٧) صححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٤) تفسير التابعين (١/ ٤٧٢ - ٤٨٤).

(٥) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٥٩).

التى أنشأ نواتها الفاروق فى البلدان المفتوحة تقوم بدور فى تعليم الناس وتربيتهم، فالمدرسة الشامية قامت على أكتاف معاذ وأبى الدرداء وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم وغيرهم من الصحابة، فأبو الدرداء رضى الله عنه كانت له حلقة عظيمة فى مسجد دمشق يحضرها ما يزيد على ألف وستمائة شخص، يقرأون عشرة عشرة، ويتسابقون عليه، وأبو الدرداء واقف يفتى الناس فى حروف القرآن[١]، ويعد أبو الدرداء أكثر الصحابة أثرا فى الشام ودمشق، يقول الذهبى: وكان أبو الدرداء عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقيههم وقاضيهم[٢]، وكان - رضى الله عنه - من قراء الصحابة المعدودين[٣]، وكان رضى الله عنه يحث أهل الشام على طلب العلم قائلا: مالى أرى علماءكم يذهبون وأرى جهالكم لا يتعلمون؟ اعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء[٤]، ومن حثه على طلب العلم قوله: كن عالما أو متعلما أو محبا أو متبعا ولا تكن الخامسة فتهلك، قال الحسن البصرى: الخامسة المبتدع[٥]، وقوله: اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم[٦]، ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم فى الأجر سواء ولا خير فى الناس بعدها[٧]، ولن تكون عالما حتى تكون متعلما، ولا تكون متعلما حتى تكون بما علمت عاملا[٨]، وكان يقول: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها[٩]، وقيل لأبى الدراء: ما لك لا تقول الشعر؟ فإنه ليس رجل له بيت من الأنصار إلا وقد قال الشعر؟ قال: وأنا قد قلت فاسمعوا:

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى ... وتقوى الله أفضل ما استفادا[١٠]

---

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجوزى (١/٦٠٧).

(٢) التذكرة (١/٢٤).

(٣) تفسير التابعين (١/٥٢٦).

(٤، ٥) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٥٦).

(٦) الطبقات (١/٤٣٠).

(٧) صفة الصفوة (١/٦٢٨).

(٨) سير أعلام النبلاء (٢/٣٤٧).

(٩) الطبقات (١/٤٣٠).

(١٠) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٥٦).

وقد جاء في رواية: أن أبا الدرداء عندما أراد عمر أن يوليه فى الشام فأبى، فأصر عليه، فقال أبو الدرداء: إذا رضيت منى أن أذهب إليهم لأعلمهم كتاب ربهم، وسنة نبيهم وأصلى بهم ذهبت، فرضى عمر منه بذلك [١]، ومن إلمام أبى الدرداء بكثير من العلم، ازدادت مكانته فى نفوس المسلمين، فاجتمع حوله كثير من طلاب العلم، فمن سائل عن فريضة، ومن سائل عن حساب، وسائل عن حديث وسائل عن معضلة، وسائل عن شعر [٢]، ولهذا كان أثره العلمى واسعًا فى الشام ولاسيما فى تعليم القرآن [٣]، وكذلك أثره الوعظى فقد قام فى أهل الشام ذات يوم فقال لهم: يا أهل الشام ما لكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، ألا وإن عادا وثمود، كانوا قد ملأوا ما بين بصرى وعدن أموالا وأولادا ونعمًا، فمن يشترى منى ما تركوه بدرهمين [٤]، وقد كانت مثل هذه التعاليم تنسجم مع السياسة العمرية الرامية إلى تهيئة الأمة، وإدامة جاهزيتها الجهادية [٥].

وأما معاذ بن جبل الخزرجى رضى الله عنه فقد استفاد منه أهل اليمن ثم أهل الشام وكان عبدالله بن مسعود يثنى على معاذ بن جبل، فيحدث أصحابه قائلاً: إن معاذا ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قالوا: وما الأمة قال: الذى يعلم الناس الخير، ثم قال: هل تدرون ما القانت؟ قالوا: لا، قال: القانت المطيع لله [٦]، وإن معاذا كان كذلك. فقد كان ابن مسعود يشبه معاذا بالنبى إبراهيم الخليل عليه السلام لما هو عليه من السمو العلمى والمكانة الفقهية والخلقية، وذلك لما امتاز به معاذ من فهم عميق للفقه الإسلامى، أعطاه قدرة على الإجابة عن المعضلات ما أوجد له القبول والإعجاب بين المسلمين [٧]، قال عنه عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ[٨]، وكان عمر إذا حزبه أمر يستشير أهل الشورى ومعهم من الأنصار: معاذ بن جبل وأبى بن كعب

---

(١) أصحاب الرسول (٢/٢٠٩).

(٢، ٣) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٥٦).

(٤) الاكتفاء للكلاعى (٣/٣١١).

(٥) الأنصار فى العصر الراشدى ص (١٢٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (١/٤٥٠).

(٧) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٨٥).

(٨) تهذيب الكمال (٢٨/١١٣) للمزى نقلاً عن الأنصار فى العصر الراشدى.

وزيد بن ثابت [١] لما يتمتعون به من الفقه والتفسير الواقعى والعملى للأحداث ولما كان لديهم من خبرة فى ذلك إذ كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ، وقد كان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يحب سماع حديث معاذ وأبو الدرداء، فيقول: حدثونا عن العاقلين، فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء الأنصاريان [٢]، ولما خطب الخليفة عمر بن الخطاب بالجابية قال: من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل [٣]، وكان رأى عمر فى بداية عهد الصديق أن الخلافة لا تستغنى عن وجود معاذ ابن جبل فى عاصمتها وكان معارضاً لخروجه من المدينة، فكان يقول بعد خروج معاذ إلى الشام: لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها فى الفقه، وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى علىَّ وقال: رجل أراد الشهادة فلا أحبسه. فقلت: والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفى بيته عظيم الغنى عن مصره [٤]، ويبدو أن الفاروق غير رأيه فيما بعد فقد أرسله لتعليم أهل الشام وأقره على البقاء فيها.

وقد كان لخروج معاذ بن جبل إلى الشام، أثر كبير لما ترك من العلم والفقه ولما أثبت من جدارة فى ذلك، قال أبو مسلم الخولانى: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلا من أصحاب النبى ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا، ساكت لا يتكلم، فإذا امترى القوم فى شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لى: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل [٥]، وكان معاذ رضى الله عنه يحث على طلب العلم فيقول: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والدين عند الأجلاء، يرفع الله تعالى به أقواماً، ويجعلهم فى الخيرة قادة وأئمة تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم وينتهى إلى رأيهم [٦]، وقد

(١) الطبقات (١/٤٢٦).

(٢) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٨٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٤٥٢).

(٤) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٨٥)، سير أعلام النبلاء (١/٢٨٥).

(٥) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٨٥).

(٦) نفس المصدر ص (٢٨٥)، حلية الأولياء (١/٢٣٩).

بقى فى الشام يعلم الناس دينهم إلى أن أصيب فى طاعون عمواس، فبكاه أصحابه فقال: ما يبكيكم، قالوا: نبكى على العلم الذى ينقطع عنا عند موتك، قال: إن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، ومن ابتغاهما وجدهما فى الكتاب والسنة، فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ولا تعرضوه على شيء من الكلام (١)، فالقرآن عند معاذ هو الميزان الذى يقاس عليه كل شيء ولا يقاس هو على غيره، هذه هى منهجية معاذ فى تعليمه للقرآن، بقى متمسكًا بذلك إلى آخر لحظة فى حياته، فكان وهو فى غمرات الموت كلما أفاق فتح عينيه ثم قال: ربى اخنقنى خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبى يحبك (٢).

وأما عبادة بن الصامت رضى الله عنه، فقد وجهه عمر الفاروق إلى الشام قاضيًا ومعلمًا، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، فولى قضاءها، واستقر به المقام فيها، فكان أول من تولى قضاء فلسطين، وكان أيضًا يعلم أهلها القرآن، وظل على هذا النحو إلى أن مات بها(٣)، وقد أسهم عبادة بنصيب كبير فى تنفيذ سياسة الفاروق العلمية والتربوية والجهادية، وكان رضى الله عنه من أهل الزهد والخشونة فعندما وصل إلى حمص قال لأهلها: ألا إن الدنيا عرض حاضر، وإن الآخرة وعد صادق.. ألا وإن للدنيا بنين وإن للآخرة بنين، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها بنوها(٤)، فهذه المعانى كان عمر يحرص على ترسيخها فى نفوس المسلمين، ويختار من الصحابة الكرام من يستطيع أن يذكر الناس بها، وتتجسد هذه المعانى فى سيرته، وكان رضى الله عنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا تأخذه فى الله لومة لائم، فعندما كان قاضيًا فى فلسطين أنكر على والى الشام شيئًا وقال: لا أساكنك بأرض فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال: ارحل إلى مكانك فقبح الله أرضا لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عليك (٥)، فعاد إلى الشام داعية ومعلمًا وقدوة فى مجتمعه.

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٥٠١)، الأنصار فى العصر الراشدى ص (٨٤).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٥٠١).

(٣) عبادة بن الصامت صحابى كبير وفاتح مجاهد، د. وهبة الزحيلى ص (٨٤).

(٤) الاكتفاء للكلاعى (٣/ ٣١٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢٢)، الأنصار فى العصر الراشدى ص (١٢٤).

وبعث عمر رضى الله عنه - أيضًا - عبدالرحمن بن غنم الأشعرى إلى الشام يفقه الناس، فمعاذ وأبو الدرداء وعبادة رضى الله عنهم هم الأعمدة الرئيسية التى اعتمد عليها عمر فى تأسيس المدرسة الشامية التى قامت بالدعوة والتعليم والتربية فى تلك الديار، وكان معهم مجموعة خيرة من الصحابة الكرام، وعلى يد هؤلاء الصحب الكرام تعلم التابعون بالشام، وكانوا كثيرين إلا أن أشهرهم عائذ الله بن عبدالله أبو إدريس الخولانى، ومكحول أبو عبدالله الدمشقى وغيرهم كثير [١].

٦- المدرسة المصرية:

كان فى جيش عمرو بن العاص رضى الله عنه الذى فتح مصر الكثير من الصحابة، إلا أننا يمكن أن نعد عقبة بن عامر رضى الله عنه أكثر الصحابة تأثيراً فى مصر فى النواحى العلمية، وقد أحب أهل مصر عقبة، ورووا عنه، ولازموه حتى قال سعد بن إبراهيم: كان أهل مصر يحدثون عن عقبة بن عامر، كما يحدث أهل الكوفة عن عبدالله [٢]، وتلقى المصريون العلم عن الصحابة، وكان من أشهرهم أبو الخير مرشد بن عبدالله اليزنى، فقد أخذ العلم وتتلمذ على يد عقبة، وعمرو بن العاص [٣]، وعبدالله بن عمرو رضى الله عنهم.

هذه أهم المدارس التى كان لحركة الفتوحات أثر فى نشأتها والتى أشرف على نواتها الأولى الفاروق رضى الله عنه، وقد كان عمر رضى الله عنه إذا اجتمع إليه جيش بعث عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه ليعلم الجند أمور دينهم، وما قد يعرض لهم من الأمور والأحكام والقواعد الفقهية والقرآن [٤]، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية احتاجت للمؤسسات العلمية التربوية فقد بنيت الأمصار الإسلامية مثل الكوفة والبصرة والفسطاط، فبالإضافة إلى كونها قواعد عسكرية ومراكز لتجمع الجند وأسرهم، أصبحت أيضًا مقرًا لتجمع العلماء والفقهاء والوعاظ [٥]، فقد كان الفاروق يعين الدعاة والمعلمين ويرسلهم إلى البلدان المفتوحة، وقد صرح الفاروق بأن من أهم مقاصد بعث الولاة والأمراء إلى الأمصار أن يقوموا بتعليم الناس، فقد خطب الفاروق رضى الله عنه

(١) تفسير التابعين (١/ ٥٢٦ - ٥٢٨).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٥٤٠، ٥٤١).
(٣) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٦).
(٤، ٥) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية (٢/ ٧١٢).

وقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار وأني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا بينهم وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ ويقسموا فيهم فيئهم[١]. وقد فرض الفاروق الأرزاق من بيت مال المسلمين للمعلمين والمفتين حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم فى التعليم والإفتاء، وحتى الذين يعلمون الأطفال تكفل الفاروق بأرزاقهم، فقد كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان، فكان عمر يرزق كلا منهم خمسة عشر (درهما) فى كل شهر [٢]، فقد كان نشر التعليم من أهم أهداف الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أرسل فى البوادى والأمصار من يعلمهم دينهم، ولم يكتف عمر رضى الله عنه بجهود ولاة الأمصار فى نشر التعليم، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم من المدينة، محملين بوصاياه، فقد بعث عشرة من الصحابة رضى الله عنهم وكان فيهم عبدالله بن مغفل المزنى ليفقهوا الناس بالبصرة [٣]، وكذلك بعث عمران بن حصين الخزاعى رضى الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة [٤].

ويبدو أن التعليم فى الشام كان أكثر مركزية من بقية الأمصار لأن عمر رضى الله عنه لما افتتح البلدان كتب إلى أبى موسى الأشعرى، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجمعة، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص، وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر بمثل ذلك، وكتب إلى أمراء أجناد الشام: لا يتبدوا إلى القرى ويتركوا المدائن، وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجداً واحداً، ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذوا أهل الكوفة والبصرة ومصر [٥]، فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار، وأرشد القادة والأمراء مع توسع حركة الفتوحات بإقامة المساجد فى الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز للدين الجديد، ومراكز للعلم والمعرفة ونشر الحضارة الإسلامية، فقد كانت المساجد هى المؤسسات العلمية الأولى فى الإسلام ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الأمة وفق الخطة الاستراتيجية التى سار عليها الفاروق والتى وضعت منذ عصر النبى ﷺ، وقد وصلت المساجد التى يصلى فيها الجمعة فى دولة عمر رضى الله عنه إلى اثنى عشر ألف منبر [٦]، وكانت تقوم بدورها فى

---

(١) مسلم رقم (٥٦٧).

(٢) رواه البيهقى (٦/١٢٤)، السلطة التنفيذية (٢/٧٦٦).

(٣، ٤) عصر الخلافة الراشدة ص (٢٧٣).

(٥) المصدر السابق ص (٢٧٥).

(٦) نظام الحكومة الإسلامية (٢/٢٦٢).

تعليم الناس وتربيتهم وتهذيب نفوسهم، وعندما احتاج المسلمون إلى فصل مكان تعليم الصبيان عن المساجد أمر عمر رضى الله عنه ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتاديبهم [١]، وشجع الفاروق الطلاب على تلقى العلوم ويسر سبلها لهم، وأعطاهم المكافآت المالية تشجيعاً لهم، فقد كتب إلى بعض عماله بمنح الجوائز تشجيعاً للمتفوقين، وقد تجلى ذلك فى أمره لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بأن يعطى من يتعلم القرآن مما بقى من المال [٢]، وهذا التشجيع من الفاروق لأبناء الأمة الذين إن تفرغوا لتعلم كتاب الله وحفظه فلن يجدوا إلا العون والتشجيع وخصوصاً فى الأقاليم التى أهلها حديثو عهد بالإسلام يفجر الطاقات الكامنة فيها من مقدرة أبنائها على حفظ وفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد كان رضى الله عنه يهتم بجميع العلوم التى لها علاقة بالقرآن والسنة وخصوصا اللغة العربية ومن أقواله فى ذلك: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد فى المروءة [٣]، وقوله: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض [٤]، وقوله: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه [٥]، وقوله: شر الكتابة المشق [٦]، وشر القراءة الهذرمة، وأجود الخط أبينه[٧]، بل نجد أن الفاروق يعاقب من يخطئ فى العربية وهو فى مكان هام ينبغى أن يكون فيه مجيدا لما كلف به وتحمله، فقد ورد أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتاباً، فكتب إليه عمر: إن كاتبك الذى كتب إلى لحن فاضربه سوطا [٨]، وقد روى ابن الجوزى أيضاً: أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلىَّ عمر فكتب: بسم الله، ولم يكتب السين، فكتب عمر إلى عمرو: أن اضربه سوطا، فضربه عمرو، فقيل له: فى أى شىء ضربك؟ قال: فى سين[٩].

إن الفاروق – رضى الله عنه – كان حريصاً على إتقان كل شىء ولذا لم يترك أمراً من

(١) السلطة التنفيذية (٢/٧٦٨).
(٢) أشهر مشاهير الإسلام (٢/٥٤٠، ٥٤١).
(٣) معجم الأدباء (١/١٩).
(٤) البيان والتبين للجاحظ (٢/٢١٩).
(٥) ألف باء للبلوى (١/٤٢) أولويات الفاروق ص (٤٥٨).
(٦) المشق: تطويل الخط بغير إجادة.
(٧) تدريب الراوى للسيوطى ص (١٥٢).
(٨، ٩) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (١٥١).

الأمور التى تتصل بالسياسة أو الاقتصاد أو الجيوش، أو التعليم، أو الأدب، أو غير ذلك مما يتصل بحياة الأمة، ومجدها وعزتها وقوتها وحضارتها إلا أبدع فيه وأعطاه اهتمامه، ويدلنا على شمولية سياسته وحسن رعايته للأمة باستعمال الشدة فى موضعها، واللين فى موضعه، والحفاظ على أن يكون مستوى الكتابة بين الولاة على مستوى الفصحى فى أمة دستورها القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين(١).

كانت خلف المؤسسة العسكرية التى قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب، كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة تربت على يدى رسول الله ﷺ فى المدينة، وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها فى محلها، فأسست تلك الكوادر الحركة العلمية والفقهية التى كانت مواكبة لحركة الفتح، واستطاع علماء الصحابة الذين تفرغوا لدعوة الناس وتربيتهم أن ينشئوا جيلاً من العارفين بالدين الإسلامى من أبناء المناطق المفتوحة، وقد استطاعوا أن يتغلبوا على مشكلة إعاقة الحاجز اللغوى، بل تعلم الكثير من الأعاجم لغة الإسلام، وأصبح كثير من رواد حركة العلم بعد عصر الصحابة من العجم، لقد أثرت المدارس العلمية والفقهية فى المناطق المفتوحة، وشكلت جيلاً من العلماء نقلوا إلى الأمة علم الصحابة وأصبحوا من ضمن سلسلة السند التى نقلت للأمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرجع الفضل - بعد الله - فى نقل ما تلقاه الصحابة من علم من الرسول بالدرجة الأولى إلى مؤسسى المدارس العلمية، بمكة والمدينة، والبصرة، والكوفة، ومصر وغيرها من الأقطار(٢)، وقد اهتم الفاروق بأولئك العلماء والفقهاء وتابع أحوالهم، وسعيهم حتى بارك الله فى جهودهم وأثمرت تلك الثمار، فأصبحت يانعة.

ثالثًا: الفاروق والشعر والشعراء:

يظهر من الأخبار التى وصلتنا أن الحركة الشعرية، كانت نشطة فى المدينة أيام عمر ابن الخطاب، حيث لا يخلو كتاب فى تاريخ الشعر العربى من ذكر عمر بن الخطاب، وبخاصة فى موضوع النقد الأدبى، وانتشار الآراء النقدية فى زمنه، دليل على وجود السماع أو الرواية، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد على الأسانيد إلى الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التى تتصل بالخلفاء

---

(١) أوليات الفاروق ص (٤٥٨).

(٢) الدور السياسى للصفوة ص (٤٦٢، ٤٦٣).

الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التى كانت تردد فى العهد النبوى وروتها كتب الحديث الشريف[١]، ونحو أبيات للنابغة الجعدى[٢] وأمية بن أبى الصلت، وحسان بن ثابت[٣]، فالمراجع فيما يتعلق بالشعر والشعراء فى عهد عمر هى كتب الأدب والأدباء، فهى غنية فى هذا الباب.

١ - عمر والشعر:

كان عمر رضى الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه، كما كان أكثرهم تمثلاً به، حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[٤]، روى أنه خرج يومًا - وقد لبس بردًا جديدًا فنظر إليه الناس نظرًا شديدًا، فتمثل قائلاً:

لم تغن عن هرمز يومًا خزائنه ... والخلد قد حاول عاد فما خلدوا

أين الملوك التى كانت نوافلها ... من كل أوب إليها راكب يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده كما وردوا[٥]

ويروى الإمام الشافعى - رحمه الله - أن عمر كان يحرك فى محسر ويقول:

إليك تغدو قلقًا وضينها ... مخالفًا دين النصارى دينها[٦]

والبيت الواحد من نصارى نجران أسلم وذهب يحج، وقيل لامرأة أوسية حكيمة من العرب بحضرة عمر:

أى منظر أحسن؟

فقالت: قصور بيض فى حدائق خضر، فأنشد عمر لعدى بن زيد:

كدمى العاج فى المحاريب ... أو كالبيض فى الروض زهره[٧] مستنير

---

(١) مجمع الزوائد (٨/١٢٦).

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/٩٨).

(٣، ٤) البيان للجاحظ (١/٢٤١)، الأدب فى الإسلام، د. نايف معروف ص (١٦٩).

(٥) الأدب فى الإسلام د. نايف معروف ص (١٧٠)

(٦) مسند الشافعى ص (١٢٢) نقلاً عن عمر بن الخطاب د. أبو النصر ص (٢٠٩).

(٧) المصدر نفسه ص (٢٠٩)، أدب الإملاء للسمعانى ص (١١).

وعن ابن عباس قال: خرجت مع عمر فى بعض أسفاره فإنا لنسير ليلة، وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه. وقال:

كـذبتم وبيت الله يقـتل أحـمـد ... ولمـا نـطـاعـن دونـه ونـنـاضـل

ونسلمـه حـتى نصـرع حـوله ... ونـذهل عن أبنـائنا والحـلائل

وقال أيضًا:

ومـا حـملت من ناقـة فـوق رحلهـا ... أبر وأوفى ذمـة من مـحـمـد

وأكـسى لبـرد الخـال قـبل ابتـذاله ... وأعطى لرأس السـابق المتـجـرد(١)

ويلاحظ الباحث أن محفوظ عمر من الشعر قديمه ومعاصره، كان طيعًا له، مما ينبئ عن حافظة مستوعبة لمخزونها، مصنفة له، إذ كان على طرف لسانه منه ما يناسب وقائع يومه فى بديهة حاضرة وحافظة سريعة، بل إنه حفظ من الشعر ما صدر عن ضغينة للإسلام، فأسمع حسان بن ثابت ما قالته هند بنت عتبة ضد حمزة والمسلمين(٢)، مما هيج حسان للرد عليها.

وبهذا يمكننا أن نقول: إن عمر كان مرهف الحس، رقيق الشعور، يتذوق الشعر ويرويه، ويبدى فيه رأيًا صائبًا بيد أنه لم يكن شاعرًا، كما يرى بعض الباحثين، وما قيل من أنه شاعر لا يسلم به النقاد والأدباء المنصفون، لأنه عاش فى قومه كتابًا مفتوحًا، لا يستتر منهم فى شىء، وكانت له مجالسه التى تجمعه وغيره من الناس، ولو كان لعمر شعر لرواه عنه هؤلاء ورددوه وأذاعوه فيما بينهم، ووصل إلينا عن طريق الرواة كما وصلت إلينا سيرته وحياته، كما أن النقاد الأوائل لم يذكروا أن عمر كان شاعرًا – فلم يذكره ابن سلام فى طبقاته – ولا ابن قتيبة – فى كتابه الشعر والشعراء، كما لم يذكره الجاحظ فى كتابه التى عنى فيها بكثير من بلاغة عمر وأدبه (٣)، وقد ذكر المبرد فى خبر عمر ومتمم بن نويرة – فى رثائه الأخير – مالك بن نويرة قول عمر لمتمم: لو كنت أقول الشعر – كما تقول – لرثيت أخى كما رثيت أخاك (٤)، وكان رضى الله عنه يحب من

(١) تاريخ الطبرى (٥/٢١٨).

(٢) عمر بن الخطاب ص (٢٠٩) محمد أبو النصر.

(٣) المصدر نفسه ص (٢١٠).

(٤) الكامل فى الأدب (٢/٣٠٠).

الشعر ما يعبر عن جوهر الحياة الإسلامية، ويصور مبادئها، ولا تتعارض معانيه مع معانى الدين الجديد، أو تغاير قيمه، وكان يحث المسلمين على تعلم الشعر الجميل فيقول: تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تنقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق (١)، وكتب لأبى موسى الأشعرى واليه على العراق: مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالى الأخلاق، وصواب الرأى، ومعرفة الأنساب (٢)، ولا يقف عند هذا الحد فحسب، بل يراه مفتاحاً للقلوب ومحركًا لمشاعر الخير فى الإنسان، فهو يقول فى فضله ونفعه: أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها فى حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم (٣). ولكى تكتمل تربية الأبناء يوجه الآباء ليرووا أولادهم محاسن الشعر، فيقول: علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا، ورووهم ما يجمل من الشعر (٤)، ويظهر حرص عمر على الشعر الجاهلى شديداً، لما لذلك من صلة بكتاب الله حين يقول: عليكم بديوانكم لا تضلوا. فقال له سامعوه: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم (٥)، وهذا يتفق مع موقف تلميذه ترجمان القرآن عبدالله بن عباس الذى يقول: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب (٦).

وكان عمر رضى الله عنه يرى أن الشعر كان أصح العلوم عند الجاهليين، فقد ورد أنه قال: كان الشعر علم القوم، ولم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو الروم ولهيت عن الشعرت وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب فى الأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره (٧).

---

(١) أدب الإملاء للسمعانى ص (٧١).

(٢) العمدة لأبى رشيق (١/١٥).

(٣) الأدب فى الإسلام د. نايف معروف ص (١٧١).

(٤) الكامل فى الأدب (١/٢٢٧).

(٥) المعجم الكبير للطبرانى (٧/١٢٩)، الأدب الإسلامى ص (١٧١).

(٦) الأدب الإسلامى (١٧١)، العمدة لابن رشيق (١/١٧).

(٧) طبقات الشعراء ابن سلام (١/٢٥)، أدب صدر الإسلام ص (٨٧).

وقد كان رضى الله عنه يحب من الشعراء من ملأ الإيمان قلبه، وعمر وجدانه بمثل الإسلام الرفيعة، وقيمة السامية، وترجمها شعرا ينم عن التدين الحق، ويصور الأخلاق الفاضلة التى حث الإسلام عليها، وطالب أتباعه باعتناقها، أما ما عدا ذلك مما يتعارض مع هذه المبادئ وتلك القيم، فإن عمر كان يلفظه ويأباه، ويقف من أصحابه موقفًا متشدداً يؤازره فى ذلك حسه الرهيف، وذوقه الرفيع الذى ينفذ إلى أعماق النص الأدبى يكشف عما فيه من قيم شعورية تتمشى مع الإسلام ولا ترفضها تعاليمه (١).

٢- الفاروق والحطيئة والزبرقان بن بدر:

روى أن الشاعر الحطيئة - أبا مليكة - جرول بن أوس من بنى قطيعة بن عبس، كان فى طريقه إلى العراق فراراً بأهله من الجدب، وطلبا للعيش، فلقى الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف التميمى السعدى (٢) وكان فى طريقه إلى عمر بصدقات قومه، وعرفه الزبرقان فحادثه، وعلم بحاله، فطلب إليه أن ينزل بقومه، وينتظر أوبته، فنزل الحطيئة بهم، لكن بغيض بن عامر بن شماس بن لؤى بن جعفر أنف الناقة، وكان خصمًا للزبرقان، استطاع أن يفسده عليه، وأن يضمه إليه، وأن يغريه بالزبرقان، فاندفع يهجوه ويمدح بنى أنف الناقة، وبلغ هجاؤه قصائد عدة دفع الزبرقان بن بدر بواحدة منها إلى عمر يقول فيها الحطيئة:

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم ... فى بائس جاء يحدو آخر الناس

لقد مريتكم لو أن درتكم ... يوما يجيء بها مسحى وإبساسى (٣)

إلى أن قال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

ما كان ذنبى أن فلت معاولكم ... من آل لأبى صفاة أصلها راسى

قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم ... مجدا تليدا ونبلا غير أنكاسى (٤)

---

(١) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص (٢١٨).

(٢) المصدر نفسه ص (٢١٩).

(٣) الإبساس: دعاء الناقة بقولهم، بس بس طلبًا لإدرارها.

(٤) عمر بن الخطاب: محمد أبو النصر ص (٢٢٠).

ثم رفع أمره إلى عمر وأتاه به وقال له: هجانى قال: وما قال لك؟ قال: قال لى: دع المكارم لا ترحل لبغيتها.. إلخ الأبيات. فقال عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس؟ فقال عمر: علىّ بحسان، فجىء به فسأله، فقال: لم يهجه، بل سلح عليه، فسجنه عمر [1]. وكان عمر رضى الله عنه أعلم الناس بالشعر ولكنه هنا فى مقام القضاء فاستدعى أهل التخصص ليحكموا ثم أصدر بعد ذلك حكمه، يقول العقاد عن عمر فى هذه القضية:.. فنسى أنه الأديب الراوية، ولم يذكر إلا أنه القاضى، الذى يدرأ الحدود بالشبهات، ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصناعة [2]، وحينما شعر الحطيئة بمرارة السجن أخذ يستعطف عمر بأبيات ينفى ما نُسب إليه، وذلك على طريقة النابغة فى اعتذارياته للنعمان بن المنذر حين يقول:

أعوذ بجندك إنى امرؤ ... سقتنى الأعادى إليك السِّجالا

ولا تأخذنى بقول الوشاة ... فإن لكل زمان رجالا

فإن كان ما زعموا صادقًا ... فسيقت إليك نسائى رجالا [3]

حواسر لا يشتكين الوَجَا ... يُخَضْضِّضْن آلا ويرفعن آلا [4]

فلم يستجب عمر لاعتذاره حتى قال أبياته العاطفية المؤثرة الرائعة التى يقول فيها:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخٍ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ... ألقت إليك مقاليد النُّهى البشر [5]

لم يؤثروك إذا ما قدموك لها ... لكن بك استأثروا إذ كانت الأثر

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم ... بين الأباطح تغشاهم بها القِرَرُ

أهلى فداؤك ما بينى وبينهم ... من عرض داوية تعمى بها الخُبرُ [6]

(١) سلح: تغوط، الأدب فى الإسلام ص (١٧٢).
(٢) عبقرية عمر ص (٢٤٦).
(٣) رجالا: اى راجلة.
(٤) الوجا: الحفا.
(٥) الكامل فى الأدب (٢/٧٢٥).
(٦) الداوية: الفلاة الواسعة.

فبكى عمر تأثراً بما سمعه، وأمر بإطلاق سراحه، وعملا على لجم لسانه، فقد اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. فقال الحطيئة متشاكيًا فى ذلك:

وأخــذت أطراف الكلام فلم تدع شـتـمـا يضـر ولا مـديحـا ينفع

وحـميتنى عـرض اللئيم فلم يخف ذمى وأصــبـح آمنـا لا يفـــزع

ويبدو أن الحطيئة لم يقتنع فى قرارة نفسه بوجوب هجر الهجاء نهائيًا، فاستدعاه عمر، وأجلسه بين يديه، وهدده بقطع لسانه، فقال الحطيئة: يا أمير المؤمنين، إنى والله قد هجوت أبى وأمى، وهجوت امرأتى وهجوت نفسى، فتبسم عمر رضى الله عنه، وعفا عنه[1]، وانتهى الحطيئة عن الهجاء فى زمن عمر، وهناك حادثة أخرى مماثلة ذكرها صاحب (زهر الآداب) حيث قال: كان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم ويتشرفون بهذا الوسم إذ كان عبدالله بن كعب جدهم إنما سمى العجلان لتعجيله القرى للضيفان.. فكان شرفًا لهم حتى قال النجاشى واسمه قيس بن عمرو بن كعب يهجوهم بقصيدة منها:

أولئك أخــوال اللعين وأســرة الهــجين ورهط الواهن المتــذلل

ومــا ســمى العــجــلان إلا لقــوله خـذ العـقب واحلب أيهـا العـبـد

وزعمت الرواة أن بنى العجلان استعدوا على النجاشى - لما قال هذا الشعر - عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحبسه وقيل جلده [2]، فالخليفة عمر بن الخطاب يعاقب على شعر الهجاء وليس الأمر كذلك فحسب، وإنما كان يعاقب على أنواع أخرى من الشعر منها: التعرض لأعراض المسلمين، إثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين، التعرض لنساء المسلمين وقد فصل ذلك الدكتور واضح الصمد [3].

٣- الشعر يحول حزم عمر إلى لين وشفقة:

كان أمية بن الأسكر الكنانى، وكان سيدا من سادات قومه، وله ابن اسمه كلاب هاجر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأقام بها مدة، ثم لقى ذات

---

(١) الكامل فى الأدب (٢/٧٢٥).

(٢) زهر الآداب للقيروانى (١/٥٤)، الأدب فى الإسلام ص (٩٢).

(٣) أدب صدر الإسلام د. واضح الصمد ص (٩٢، ٩٣).

يوم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام فسألهما: أى الأعمال أفضل فى الإسلام؟ فقالا له: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه فى الجند الغازى إلى الفرس. فقام أمية وقال لعمر: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامى ولولا كبر سنى، فقام إليه ابنه كلاب وكان عابداً زاهداً فقال: لكنى يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسى وأبيع دنياى بآخرتى فتعلق به أبوه وكان فى ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيراً حتى إذا احتاجا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لى، فخرج غازياً بعد أن أرضى أباه فابطأ، وكان أبوه فى ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت وأنشأ يقول:

لمن شيخان قد نشدا كلابا	كتاب الله لو قبل الكتابا
أناديه فيعرض فى إباء	فلا وأبى كلاب ما أصاب
لذا هتفت حمامة بطن وج [1]	على بيضاتها ذكراً كلابًا
فإن مهاجرين تكنفاه	ففارق شيخه خطأً وخابا
تركت أباك مرعشة يداه	وأمك ما تسيغ لها شرابًا
تنفض مهده شفقا عليه	وتجنبه أباعرها الصعابا
فإنك قد تركت أباك شيخا	يطارق [2] أينقا [3] شربا [4] طرابا
إذا ارتعشن إرقا لا [5] سراعا	أثرن بكل رابية ترابا
طويلا شوقه يبكيك فردا	على حزن ولا يرجو الإيابا
فإنك والتماس الأجر بعدى	كباغى الماء يتبع السرابا [6]

---

(١) اسم واد بالطائف.

(٢) يطارق: يضرب.

(٣) أينقا: جمع ناقة.

(٤) شربا: ضامرة.

(٥) الإرقال: السير السريع.

(٦) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص (٢٢٦).

وكان أمية قد أضر (أى عمى) فأخذه قائده بيده ودخل به على عمر وهو فى المسجد فأنشده:

أعاذل قد عذلت بغير علم ... وما تدرين عاذل ما ألاقى

فأما كنت عاذلتى فردى ... كلابا إذ توجه للعراق

لوم أقض اللبانة من كلاب ... غداة غد وآذن بالفراق

فتى الفتيان فى عسر ويسر ... شديد الركن فى يوم التلاقى

فلا أبيك ما باليت وجدى ... ولا شفقى عليك ولا اشتياقى

وإيفادى عليك إذا شتونا ... وضمك تحت نحرى واعتناقى

فلو فلق الفؤاد شديد وجد ... لهم سواد قلبى بانفلاق

سأستعدى على الفاروق ربا ... له دفع الحجيج إلى بساق (١)

وأدعو الله مجتهداً عليه ... ببطن الأخشبين (٢) إلى دقاق (٣)

أن الفاروق لم يردد كلابا ... على شيخين هامهما زواق (٤)

فبكى عمر بكاءً شديداً وكتب إلى أبى موسى يأمره بإشخاص كلاب، فرحله على الفور فقدم على عمر، فأمر به فأدخل ثم أرسل إلى أمية، فتحدث معه ساعة ثم سأله ما أحب الأشياء إليه فى يومه، فقال: كلاب أحب أنه عندى فأشمه، فأمر بكلاب فأخرج إليه، فوثب الشيخ فجعل يشم ابنه ويبكى، وجعل عمر رضى الله عنه يبكى (٥)، والحاضرون كذلك وقالوا لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه فانشأ يقول:

لعمرك ما تركت أبا كلاب ... كبير السن مكتئباً مصابا

وأما لا يزال لها حنين ... تنادى بعد رقدتها كلابا

لكسب المال أو طلب المعالى ... ولكنى رجوت به الثوابا

---

(١) جبل عرفات. (٢) جبلان بمكة. (٣) موضع.

(٤) زواق: أشرف على الموت.

(٥) الأدب الإسلامى د. نايف معروف ص (١٨٠) .

وكان كلاب من خيار المسلمين فلم يزل مقيماً عندهما حتى ماتا [١].

وهناك حادثة مشابهة حيث هاجر شيبان بن المخبل السعدى (الشاعر المعروف وخرج مع سعد بن أبى وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه والده «المخبل» جزعا شديداً، وكان قد أسن وضعف، فلم يملك الصبر عنه، فأنشد قصيدة يقول فيها:

أيهلكنى شيبان فى كل ليلة ... لقلبى من خوف الفراق وجيب

فإن حنت ظهرى خطوب ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

ويخبرنى شيبان أن لن يعقنى ... تعق إذا فارقتنى وتحوب [٢]

فلا تدخلن الدهر قبرك حوبة ... يقوم بها يوما عليك حسيب [٣]

فلما سمعها عمر رق له وبكى، وكتب إلى سعد بان يرجع شيبان، فرده إلى أبيه [٤]، ولم تكن هذه الحادثة هى الأخيرة من نوعها حيث يتأثر عمر بالشعر، بل يذكر له حوادث مماثلة، منها: هاجر خراش بن أبى خراش الهذلى فى أيام عمر بن الخطاب، وغزا مع المسلمين فأوغل فى أرض العدو فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدى عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل أخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه وأنشأ يقول:

ألا من مبلغ عنى خراشا ... وقد يأتيك بالنبأ البعيد

وقد تأتيك بالأخبار من لا ... تجهز بالحذاء ولا تزيد

تناديه ليعقبه كليب ... ولا يأتى لقد سفه الوليد

فرد أناءة لا شيء فيه ... كأن دموع عينيه الفريد

وأصبح دون غابقة وأمسى ... جبال من جرار الشام سود

ألا فاعلم خراش بأن خير ... المهاجر بعد هجرته زهيد

رأيتك وابتغاء البردونى ... كمخضوب اللبان ولا يصيد [٥]

---

(١) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص (٢٢٨).

(٢) تحوب: تأثم.

(٣) الحوبة: الذنب.

(٤) أدب صدر الإسلام ص (٩٠).

(٥) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص (٢٣٠).

فتأثر عمر، وكتب بعودة خراش إلى أبيه، وأمر بأن لا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له (١).

وهكذا نلاحظ تأثر أمير المؤمنين بالشعر، ولشدة تأثره يبكى، وهو الذى اشتهر بالشدة والحزم، وهذا يدل على إحساسه المرهف وشعوره الإنسانى، حيث يشارك الآباء العاجزين توقهم وحاجتهم إلى أبنائهم، وكذلك يشارك كل إنسان مظلوم أو مغلوب على أمره، ما ينتابه من أحاسيس ومشاعر، وقد مر معنا موقفه من شعر الهجاء (٢).

٤- نزعة النقد الأدبى عند عمر :

كان عمر بن الخطاب من أشد الناس تأثرًا برسول الله ﷺ حتى فى نظرته إلى الأدب، وفى حكمه على الشعر والشعراء، وقد أثرت عنه آراء وأحكام نقدية لنصوص أدبية كثيرة، ومعظم هذا المروى - نقل عنه - وهو خليفة أى فى السنوات العشر الأخيرة من حياته، وهى آثار تصور فى جملتها مدى تقديره للأثر الأدبى عندما تكتمل له (نظرية الكمال) التى يراها عمر، والتى هى لديه نتاج ثقافة العمر فى تلك المرحلة الناضجة، لذا ينبغى أن نحيط بالروافد التى أصقلت حسه النقدى، ونمت ملكة النقد عنده واضعين فى الاعتبار حياته بشطريها الجاهلى والإسلامى على هذا النحو :

- كان عمر فى جاهليته واحداً من المسئولين عن صيانة القيم الجاهلية، وكانت له مكانته فى قريش، وقريش آنذاك محط أنظار العرب وملتقى أفئدتهم، وكان كذلك فى الإسلام فى عصر الخلافة.
- كان عمر خبيراً بالشعر العربى جاهليه وإسلاميه، مستوعبًا لما قاله المشركون والمرتدون وأعداء الإسلام من شعر ضد هذا الدين الحنيف.
- كان عمر عليمًا بأحوال العرب فى الجاهلية والإسلام - عقيدة وتاريخًا وأنسابًا وسلوكًا وعلمًا - وقد أنار له علمه بهذه الأشياء طريق نقد الكلام وإبداء الرأى فيه.
- حرص عمر منذ نشأته على غشيان المجالس الأدبية التى لم تخل من المسامرة وإنشاد الشعر ومطارحة الأدب وتذوقه وإبداء الرأى فيه، حتى إذا أسلم عمر أصبح يعتبر مجالسة الرجال الذين ينتقون أطايب الحديث كما ينتقى أطايب الثمر، إحدى

---

(١) الأغانى للأصفهانى (١٣/ ١٨٩).

(٢) أدب صدر الإسلام ص٩٠.

ثلاث ترغبه فى الدنيا بعد الصلاة والجهاد فى سبيل الله، كما كان عمر واحداً من سمار النبى ﷺ، وقد أقام وهو خليفة رحبة فى ناحية المسجد سميت البطحاء كان يرتادها محبو الشعر وطلابه (١).

- كان لعمر صاحب رسول الله ﷺ القدح المعلى والنظر الثاقب والالمعية الهادفة، والذكاء الخارق المصحوب بالإلهام، والشفافية المبصرة، مما يجعله يصيب المعنى فلا يكاد يخطئه وهو بجانب ذلك موفور الإحساس بما يقرأ أو يسمع، شديد التذوق للنص الأدبى وما احتوى عليه من قيم جمالية أو شعورية، وذلك لفرط إحساسه به وإدراك كنهه وغاياته (٢)، فقد كان رضى الله عنه تأخذ المعانى الهادفة بمجامع قلبه، فترضى بها نفسه، ويفصح عن إعجابه بها وتقديره، فقد روى أن متمماً بن نويرة رثا أخاه مالكًا، الذى لقى حتفه على يدى جنود خالد بن الوليد فى حروب الردة، فلما انتهى متمم إلى قوله:

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه　　　حلو شمائله عفيف المئزر

قام إليه عمر فقال: لوددت أنى رثيت أخى زيداً بن الخطاب بمثل ما رثيت به مالكًا أخاك، فقال له: يا أبا حفص، والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته.

فقال عمر: ما عزانى أحد بمثل تعزيتك (٣).

ومن هذا المنطق فى فهم النص وتقدير حيويته، كان عمر يرتفع بقيمة النص الأدبى البليغ، ويسمو به إلي منزلة لا تدانيها قيمة كنوز الدنيا الفانية، روى عنه رضى الله عنه أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدنى بعض ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا نعطيه فنجزل، فقال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم (٤). هذه هى الروافد التى غذت ذوق عمر النقدى وصقلت ملكته الناقدة، وجعلته يتبوأ هذه المكانة

---

(١) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص (٢٤٤) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢٤٦).

(٣) المصدر نفسه ص (٢٤٧) ، الكامل للمبرد (٢/٣٠٠).

(٤) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢/١٠٦).

الأدبية في عصر صدر الإسلام (١).

وأما المقاييس التى أخذها عمر فى إيثاره نصًا على نص، أو تقديمه شاعراً على غيره فإنها مقاييس الشكل وهى:

● **سلامته العربية:**

فقد كان ذوقه مطبوعًا على سلامة الفصحى وصحتها، يتأفف من اللحن، وينفر منه، وكان اللحن فى العبارة كافيًا لأن يسقط النص ويرفضه،بل ويعاقب من يقع منه اللحن(٢).

● **أنس الألفاظ والبعد عن المعاضلة والتعقيد:**

روى أن عمر رضى الله عنه كان يقدم زهيرًا، ويستحسن شعره، ويعلل لهذا الاستحسان بأنه كان لا يعاظِلُ بين الكلام ولا يَتْبَعُ وحشيَّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه(٣)، والمعاظلة: أن يعقد الكلام ويوالى بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض، وحوشى الكلام: وحشيّه وغريبه (٤)، وهذا الأثر يوضح أصول الشعر الذى يرضى عنه الإسلام: وهو الشعر الواضح المعنى القريب المفردات، الصادق البعيد عن المبالغة.. لأن الشعر يدعو إلى قضية، ويخاطب جمهور الناس، ولابد أن يكون مفهومًا (٥)، والجدير بالذكر أن علماء البلاغة الذين دونوا أصول هذا العلم فيما بعد، لم يخرجوا فى مباحثهم عن فصاحة المفرد وبلاغته والكلام وفصاحته، عما قال عمر فى هذا الصدد، اللهم إلا ما اقتضاه التصنيف من منهج وتنظيم وتبويب عند بعضهم(٦).

● **الوضوح والإبانة:**

فقد كتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما: أنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به، قلة علمى بما هجتم عليه، والذى استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليه، واجعلنى من أمركم على الجلية (٧).

(١، ٢) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص (٢٤٨).

(٣، ٤، ٥) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢/١٠٢).

(٦) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص (٢٥٠).

(٧) مجموعة الوثائق السياسية ص ٤١٤.

وهذه الكلمة الأخيرة (واجعلني من أمركم على الجلية) تبين بجلاء إيثار عمر الوضوح والإبانة في الكلام، كما تصور إيثاره الصدق فيه، وهذا مقياس نقدى دقيق، كما كتب إلى كل قضاته يناشدهم الإيضاح في التعبير عن فهم مسائل القضاء.. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، وقال عن أمر أراد أن يخطب فيه: وكنت زورت مقالة أعجبتني، وهكذا يرى عمر أن الكلمة وسيلة إفهام وأداة هدى وبيان، وليست سبيلاً إلى الإغراب والتعمية، ومن ثم أنكر التشادق والتقعر (١).

● **أن تكون الألفاظ بقدر المعاني:**

ومن مأثور كلامه من ذلك قوله: إياك والمكابلة (٢). قال الإمام الدارمي: يعنى في الكلام أي: المزايدة فيه، فعمر إذن يريد البعد عن فضول القول، لأنه ضياع لمضمون الفكرة وتبديد لها ولا يخلو من تكرار ممل وترداد مكروه، فوق كونه يفقد روعة النص ويذهب بجماله (٣)، قال عمر رضي الله عنه: إن شقائق الكلام من شقائق اللسان فأقلوا ما استطعتم (٤).

● **جمال اللفظة في موقعها:**

كان ينفر من اللفظة التي أقحمت في غير مكانها المناسب لأنها تشين المعنى وتذهب برونق الكلام وبهائه، ومن ذلك قوله لسحيم عبد بني الحسحاس بصدد تعقيبه على بيت له يقول فيه:

عميرة ودع أن تجهزت غاديا　　　كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر: لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك، وذلك لأن عمر أدرك بذوقه، الذي صقله الإسلام ونماه، أن الإسلام في نفس المؤمن، أقوى زجراً من قبل الشيب ومن بعده.. وجدير به أن يقدم في النص تمشياً مع أهميته وتأثيره في النفوس، وهذا ما نأى عنه البيت (٥).

---

(١) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص (٢٥١).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٩) نقلا عن عمر بن الخطاب، أبو النصر ص (٢٥٢).

(٣) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص (٢٥٢).

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣/ ١١٢).

(٥) المدينة النبوية، شراب (٢/ ١٠٢)، عمر بن الخطاب، أبو النصر ص (٢٥٣).

● **حسن التقسيم:**

كما كان عمر يعلن عن إعجابه الشديد بما فى البيت من جمال فنى يرضى الأذواق والعقول على السواء ويترجم هذا الإعجاب فى ترديده البيت، ترديداً ينم عن حسن تذوق، وعمق إحساس بما فى النص من جمال، ومما يدل على ذلك ما روى من أن عمر أنشد قصيدة عبده بن الطيب التى أولها:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

فلما بلغ المنشد قوله:

والمرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميل

قال عمر متعجبًا: والعيش شح وإشفاق وتأميل يعجبه من حسن ما قسم وما فصل(١).

ولما أنشد عمر قول زهير بن أبى سلمى:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حتى ثلاث كلهن لكم شفاء (٢)

فهو يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة بينة واضحة، وسمى زهير (قاضى الشعراء) بهذا البيت، فكان عمر رضوان الله عليه يتعجب من معرفة زهير لمقاطع الحق مع أنه جاهلى وقد جاء الإسلام وأكد تلك المقاطع (٣).

وهناك مقاييس أخرى كان عمر يؤثرها فى مضمون الأدب، ويوجه بها الأدباء وجهة جديدة، تنبع من الدين والخلق، ويمكن أن تضاف إلى المقاييس الفنية السابقة حتى يمكن أن تعطى القارئ تصوراً لمقاييس نقد الأدب فى عصر عمر ممثلة فى تعبيراته ومأثوراته منها؛ الصدق فى الترجمة عن الخواطر وتصوير العواطف النبيلة، كان مما يستحسنه عمر وينال إعجابه، وعنصر الصدق هذا هو الذى جعله يعجب إعجابًا شديداً بقصيدة المخبل

---

(١) البيان والتبيين (١/ ٢٤٠)، المدينة النبوية، شراب (٢/ ١٠٥).

(٢) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص (٢٥٤).

(٣) أدب صدر الإسلام ص (٩٦).

السعدية، وأمية بن الأسكر الكناني، كما كان عمر يؤثر في المعنى أن يكون جديداً مبتكراً يناسب الدين ويتمشى مع أخلاقه وآدابه، وأن يصاغ هذا المعنى صياغة محكمة وأن يعبر عنه في تصوير جميل وبيان حسن، وكان عمر يؤثر في المعنى فوق صدقه وابتكاره، أن يكون موائما لمقاييس الدين الخلقية، بحيث لا يتورط الشاعر في هجاء ذميم أو سباب فاضح، أو نهش للأعراض، أو الانكباب على وصف الشراب وتصوير سورة الخمور أو غير ذلك مما ينبئ عن ضعف العقيدة وفساد الخلق، وقد سبق أن ذكرت موقفه من الحطيئة وسحيم، ومن كان على شاكلتهما من الشعراء (١).

ومما يتصل بنقده هذا ما روى من أن النعمان بن عدى قد عينه عمر على ميسان (٢)، فذهب إليها وامتنعت زوجته عن أن ترافقه، فأراد أن يبعث في نفسها الرغبة في صحبته بما يعرف عن غيرة النساء، فكتب إليها بأبيات من فضل القول، لا تمثل حقيقة في قليل أو كثير هي:

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها	بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية	وصناجة تحدو على كل ميسم
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني	ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه	تنادمنا في الجوسق المتهدم

فلما سمعهما عمر قال: وأيم الله لقد ساءني، ثم عزله. ولا غرابة فيما فعل عمر من عزله النعمان، لأن النعمان كان أمير قوم وإمامهم في الصلاة، وقدوتهم في الحياة، وهذا الشعر وإن لم يمثل حياة رجل كان من أهل الهجرة الأولى، لكنه يتعارض مع قيم هذا الدين، وتأباه تعاليمه، ومن ثم رفضه عمر، وعاقب قائله (٣).

هذه هي أبرز الملامح والنزعات النقدية التي تميز بها نقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي تدل على أصالة النقد الأدبي في أطوار نشأته الأولى، كما تبين منزعه واتجاهه حيث لم يعتمد على الذوق وحده في تقويم الأدب والحكم عليه، وإنما جنح إلى لون من

---

(١) عمر بن الخطاب، أبو النصر، ص (٢٥٥-٢٦٢).

(٢) ميسان: بلدة في العراق كثيرة القرى والنخل تقع بين البصرة وواسط.

(٣) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص (٢٦٣).

الموضوعية الدقيقة فى شرح النص، وتبيان جماله أو قبحه، والتعليل لما يستجاد أو يستهجن من نماذجه، وسيظل النقد العربى مدينا لعمر ما عاش يتوخى فى النص سلامة العربية، وبلاغة عبارتها، واستقلال المعنى بحظه التام من التعبير وصدق التكوين وحسن التصوير ووضوحه. وهذه مقاييس نقدية دقيقة لا يختلف مع عمر فيها ناقد أصيل (١)، ويطول بنا القول لو استرسلنا فى بيان ثقافة هذا الخليفة العظيم ومقدرته على تذوق الشعر ونقده والحكم عليه، فإن ذلك يحتاج إلى فصول طويلة ومن خير الكتب التى ترضى حاجة النفس فى هذا الباب كتاب: عمر بن الخطاب للدكتور محمد أبو النصر، والأدب الإسلامى فى عهد النبوة، وخلافة الراشدين للدكتور نايف معروف، وأدب صدر الإسلام للدكتور واضح الصمد، والمدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى للأستاذ محمد محمد حسن شراب.

****

---

(١) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص (٢٦٥).

المبحث الخامس

التطوير العمرانى وإدارة الأزمات فى عهد عمر

أولاً: التطوير العمرانى:

قام عمر رضى الله عنه بتوسعة مسجد الرسول ﷺ، وأدخل فيه دار العباس بن عبد المطلب، وامتدت التوسعة عشرة أذرع من جهة القبلة وعشرين ذراعًا من الناحية الغربية، وسبعين ذراعًا من الناحية الشمالية، وأعاد بناءه باللبن والجريد، وجعل عُمُده من الخشب، وسقفه من الجريد وكساه ليحمى الناس من المطر، ونهى عن زخرفته بحمرة أو صفرة لئلا يفتتن الناس فى صلاتهم[1]، وكان المسجد ترابًا ففرشه بالحصى ليكون أنظف للمصلى وألين على الماشى[2].

وأجرى عمر رضى الله عنه تعديلات يسيرة فى المسجد الحرام بمكة، فنقل مقام إبراهيم، وكان ملصقًا بالكعبة إلى مكانه اليوم بعيداً عنها للتيسير على الطائفين والمصلين، وعمل عليه المقصورة[3] واشترى دوراً حول الحرم وهدمها وزادها فيه، وأبى قوم من جيران المسجد أن يبيعوا فهدم بيوتهم، ووضع الأثمان حتى أخذوها بعد، واتخذ له جداراً قصيراً دون القامة، فكانت المصابيح توضع عليه[4]، وكانت كسوة الكعبة فى الجاهلية الجلود، فكساها ﷺ بالثياب اليمانية، ثم كساها عمر القباطى[5]، وهى ثياب مصرية رقيقة بيضاء[6]، كما عمّرت المساجد فى الأمصار الجديدة فى خلافة عمر رضى الله عنه، فاختط سعد بن أبى وقاص المسجد الجامع بالكوفة، واختط عتبة بن غزوان المسجد الجامع بالبصرة، واختط عمرو بن العاص المسجد الجامع فى الفسطاط، فكانت هذه المساجد الكبيرة محل صلاة المسلمين وتعارفهم وتدارسهم العلم وقضائهم وتلقيهم أوامر الخليفة والولاة[7].

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص (٢٢٧)، فتح البارى (٤/ ٩٨).

(٢) أخبار عمر، ص (١٢٦).

(٣) عصر الخلافة الراشدة ص (٢٢٧)، فتح البارى (٨/ ١٦٩).

(٤) أخبار عمر ص (١٢٦)، عصر الخلافة الراشدة ص (٢٢٧).

(٥) أخبار مكة للأزرقى (١/ ٢٥٣)، أخبار عمر ص (١٢٦).

(٦، ٧) عصر الخلافة الراشدة ص (٢٢٨).

١ - الاهتمام بالطرق ووسائل النقل البرى والبحرى:

رصد الخليفة الفاروق حصة من بيت مال المسلمين لدعم التواصل بين أجزاء الدولة الإسلامية، وخصص عمر عدداً ضخماً من الجمال، بوصفها وسيلة المواصلات المتاحة آنذاك، لتيسير انتقال من لا ظهر له بين الجزيرة، والشام، والعراق، كما اتخذ ما يسمى (دار الدقيق) وهى مكان يجعل فيه السويق، والتمر، والزبيب، ومتطلبات المعيشة الأخرى، يعين به المنقطع من أبناء السبيل، والضيف الغريب، ووضع فى الطريق بين مكة والمدينة، ما يصلح به حاجة المسافر وما يحمل عليه من ماء إلى ماء، فالفاروق رضى الله عنه يترسم الهدى القرآنى المرشد إلى أن العمران يستلزم التواصل، مما يوفر الأمن، ولا يجعل المسافر بحاجة إلى حمل ماء ولا زاد[١]، وكانت توجيهات عمر إلى القبائل والأمراء والولاة تصب فى هذا الاتجاه، فعن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: قدمنا مع عمر بن الخطاب في عمرته سنة سبع عشرة، فكلمه أهل المياه فى الطريق أن يبنوا منازلهم فيما بين مكة والمدينة لم تكن قبل ذلك، فأذن لهم، واشترط أن ابن السبيل أحق بالماء والظل[٢]، ونلاحظ اهتمام عمر بإصلاح الطرق فى معاهدات بعض ولاته مع البلدان التى تم فتحها، فلما تمّ فتح نهاوند جاء أهل الماهين ماه بهرذان، وماه دينار وطلبوا من حذيفة بن اليمان الأمان على أن يؤدوا الجزية، فكتب لأهل كل ماه عهداً هذه صورته: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار، أعطاهم الأيمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة[٣]، ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى واليهم من المسلمين على كل حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته. و ما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا (أضافوا) جنود المسلمين من مرّ بهم فآوى إليهم يوماً وليلة، ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة، شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن وكتب فى المحرم سنة ١٩هـ[٤]، ومما يستنبط من هذا الكتاب استيعاب ولاة عمر لأصول الحضارة، وسياسة الملك، فقد عرفوا لوازم العمران، فجعلوا إصلاح الطرق التى هى عون الأمم التجارية

---

(١) الدور السياسى للصفوة ص (١٨٩، ١٩٠).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص (١٨٧، ١٨٨).

(٣، ٤) أشهر مشاهير الإسلام (٢ / ٣٤٢).

والحربية إجباريًا على أهل البلاد المفتوحة، وقد انصرفت همة الفاروق منذ السنة السادسة عشرة للهجرة إلى تمصير الأمصار فى العراق وشق الأنهار وإصلاح الجسور[1]، وقد جاء فى عهد عياض بن غنم لأهل الرها ما يأتى: بسم الله، هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها إنكم قد فتحتم لى باب المدينة على أن تؤدوا إلىّ عن كل رجل ديناراً ومدى قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن يتبعكم وعليكم إرشاد الضال، وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلمين، شهد الله وكفى بالله شهيداً[2] وعندما علم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن خليجًا كان يجرى بين النيل من قرب حصن بابليون إلى البحر الأحمر، فكان يربط الحجاز بمصر، وييسر تبادل التجارة، ولكن الروم أهملوه، فردم، فأمر الفاروق عامله على مصر عمرو بن العاص، بشق هذا الخليج مرة أخرى، فشقه، فيسر الطريق بين بلاد الحجاز وبين الفسطاط عاصمة مصر، وأصبح شريان تجارة يتدفق منه الرخاء ما بين البحرين مرة أخرى: وقامت على هذا الخليج داخل الفسطاط منتزهات وخمائل ومساكن، وسماه عمرو: خليج أمير المؤمنين[3]، وقد حمل والى مصر ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك، فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القُلزم[4]، وحفر بالعراق قناة مائية مسافة ثلاثة فراسخ من الخور إلى البصرة لإيصال مياه دجلة إلى البصرة[5]، وهذه المشاريع فى حفر الأنهار والخلجان وإصلاح الطرق، وبناء الجسور والسدود، أخذت أموالاً ضخمة من ميزانية الدولة فى عهد عمر[6].

٢ - إنشاء الثغور والأمصار، كقواعد عسكرية، ومراكز إشعاع حضارى:

مع توسع حركات الفتوحات اهتمت الدولة الإسلامية فى عهد الفاروق ببناء المدن على الثغور، وتسهيل سبل المواصلات وإصلاح الأراضى، وكذلك تشجيع الهجرة إلى مراكز التجمع الجهادية، والتحول إلى البلدان المفتوحة لنشر الإسلام وإمداد المجاهدين

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٣٤٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٣٤٦).

(٣) الفاروق عمر للشرقاوى ص (٢٥٤، ٢٥٥).

(٤) أخبار عمر ص (١٢٧).

(٥، ٦) عصر الخلافة الراشدة ص (٢٣٠).

بالرجال والعتاد، وأهم الأمصار التى أنشئت[1] هى البصرة، والكوفة، والموصل، والفسطاط، والجيزة، وسرت[2]، وقد خططت ووزعت بين الجيوش بحسب قبائلهم وألويتهم، وأنشئت فيها المرافق العامة كالمساجد والأسواق، وأنشىء لكل مدينة حمى لرعى خيل وإبل المجاهدين، وشجع الناس على استقدام أهليهم وذراريهم من مدن الحجاز وأطراف الجزيرة العربية للإقامة فى هذه المدن، لتكون قواعد عسكرية تنطلق منها تعبئة الجيوش وإمدادها للتوغل فى أرض العدو، ونشر دعوة الإسلام فيها، وقد أمر عمر رضى الله عنه قادة الجيوش عند تخطيط هذه المدن أن يكون الطريق بينها وبين عاصمة الخلافة سهلاً، وأن لا يحول دونها بحار أو أنهار، لأن عمر رضى الله عنه كان يخشى من جهل العرب حينئذ بركوب البحر، ولكن عندما أدرك قدرة الجيش الإسلامى فى مصر على استغلال الطرق المائية النهرية، سمح لعمرو بن العاص بشق قناة نهرية تصل بين نهر النيل والبحر الأحمر حتى تنقل الإمدادات من الطعام إلى الحجاز[3] كما مر معنا.

لقد قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتمصير الأمصار، وتجنيد الأجناد مع توسع رقعة الدولة، وكثرة الفتوحات، وبعد الشقة بين المسلمين، فقد احتاج الجند إلى أماكن يستريحون فيها من عناء السفر، فلا بد لهم من منازل يأوون إليها شتاء وإذا رجعوا من غزوهم، فوجدت الدواعى لبناء المدن، وما دام هدف الفتوحات هو نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للأمم والشعوب والأفراد، فكان لا بد من إقامة حياة إسلامية تلمسها هذه الأمم، والشعوب ويحس بها الأفراد، فبنيت الأمصار الإسلامية على نمط إسلامى تطبق فيها الحياة الإسلامية كاملة، كنماذج للمجتمع الإسلامى، فالكوفة والبصرة والفسطاط والموصل مدن إسلامية، توسط كلا منها المسجد، وانتشرت من حوله البيوت للجنود، وفى هذه المجتمعات النموذجية تمركزت الفكرة الإسلامية بقوتها ومبادئها، القوة ممثلة فى الجيش كله، والفكرة ممثلة فى كتاب الله، مجتمعات كاملة تطبق أحكام الله على نفسها فى كل أمر، وعلى استعداد دائماً لبذل الدماء فى سبيل الله، ومن هذه المجتمعات انبثق الإسلام نوراً على البلاد التى افتتحها، فوجهت أبناءها وطبقت العدل فى حكمها وقبلت من أسلم فيها، وهذه أبرع الأساليب فى تبليغ الدعوة وعرض

---

(١) اقتصاديات الحرب فى الإسلام د. غازى بن سالم ص (٢٤٥).

(٢) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصرى ص (٣٣٣ - ٣٤٠).

(٣) اقتصاديات الحرب فى الإسلام ص (٢٤٥).

الفكرة على الأجانب عنها. وفى الشام لم تنشأ فيه أمصار إسلامية، لأنها زخرت بالدور التى هجرها أهلها الروم وجلوا عنها، فاستولى عليها المسلمون، وصارت لهم أخائذ تغنيهم عن بناء دور جديدة، ولكثرة العرب فى الشام، حيث كانت كل قبيلة تجد لها أقارب هناك، ولذلك ظهرت الأجناد فى الشام(١). ومن أهم الأمصار التى مصرت فى عهد عمر رضى الله عنه:

- مدينة البصرة:

معنى البصرة فى اللغة الأرض الغليظة ذات الحجارة الصلبة، وقيل: الأرض ذات الحصى وقيل: الحجارة الرخوة البيضاء،والبصرة مدينة عند ملتقى دجلة والفرات ويعرف ملتقاهما بشط العرب(٢)، وقد روعى فى تمصيرها فكرة عمر بن الخطاب فى إنشاء المدن فى مراعاة الطبيعة العربية، فموقعها قريب من الماء والمرعى فى طرق البر إلى الريف، وكان سبب نزول المسلمين بها فى عهد أبى بكر أن قطبة بن قتادة الذهلى أو سويد بن قطبة على اختلاف فى الرواية كان يصاول الفرس فى جماعة من قومه فى ناحية البصرة، فأبقاه خالد بن الوليد واليًا وقائداً فى ناحية. فلما صارت الخلافة إلى عمر عين عتبة بن غزوان من أصحاب رسول الله ﷺ السابقين الأولين واليًا وقائداً لهذه الناحية وقال له: أشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان عن إمداد إخوانهم. وأمر قطبة أو سويداً بالانضمام إليه، فسار إليه عتبة فى أكثر من ثلاثمائة رجل وانضم إليه قطبة فيمن معه من بكر بن وائل وتميم، فنزلها فى شهر ربيع الأول أو الآخر عام ١٤هـ(٣)، واستشار عتبة عمر بن الخطاب فى تمصير البصرة، فأمره أن ينزل موقعًا قريبًا من الماء والمرعى، فوقع اختياره على مكان البصرة وكتب إليه: إنى وجدت أرضًا فى طرف البر إلى الريف، ومن دونها مناقع ماء فيها قصباء فكتب له: أن أنزل فيها. فنزلها وبنى مسجدها من قصب وبنى دار إمارتها دون المسجد، وبنى الناس سبع دساكر من قصب أيضًا لكثرته هناك، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو، فيعيدوا بناءها كما كان، وأصاب القصب حريق، فاستأذنوا عمر بن الخطاب أن يبنوا باللبن فأذن لهم فى إمارة أبى موسى الأشعرى بعد وفاة عتبة عام ١٧هـ. فبنى أبو موسى المسجد ودار

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصرى ص (٣٣٣).
(٢) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص (١٧٧).
(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية ص (٣٣٣).

الإمارة باللبن والطين وسقفها بالعشب، ثم بنوها بالحجارة والآجر، وقد جعلوها خططًا لقبائل أهلها وجعلوا عرض شارعها الأعظم وهو مربدها ستين ذراعًا، وعرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعًا، وعرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وقبور موتاهم، وتلاصقوا فى المنازل[١]، وأمر عمر أبا موسى الأشعرى أن يحتفر لأهل البصرة نهرًا، فحفر نهر الأبلة وقاده إلى البصرة بمسافة ثلاثة فراسخ[٢]، وبذلك يكون المسلمون فى طليعة من عرف تخطيط المدن، وقد كثر غناء من سكن البصرة من المسلمين بفتح الأبلة ودست وميسان[٣]، فرغبها الناس وآتوها، وكانوا طلاب غنى كما كان الأوائل طلاب جهاد فوفدت أخلاط من القبائل وأخلاط من الطامعين والتجار فازداد عدد سكانها زيادة كبيرة[٤].

ومن خلال الروايات التاريخية استنتج الباحثون الاعتبارات العسكرية والاقتصادية التى وضعها الفاروق عند إنشاء المدن:

● تأسيس هذه المدن على مشارف أرض العرب مما يلى أرض العجم، لتبقى حصونًا منيعة لا يطمع العدو فى تجاوزها.

● صلاحية مواقع هذه المدن لسكن العرب لأنهم كانوا حينئذ مادة الجهاد فى سبيل الله، وهم لا يصلحون إلا حيث توجد مراعى الإبل، كما بين الفاروق رضى الله عنه.

● روعى فى اختيار مواقع المدن أن تكون على حد البر من أرض العرب، حتى يجد العرب المراعى اللازمة لمواشيهم، كما روعى من جهة ثانية أن تكون على أدنى الريف من أرض العجم لترد إلى هذه المدن المنتجات الريفية من ألبان وأصواف وحبوب وثمار، فقد قال عمر رضى الله عنه عندما قرأ كتاب عتبة بن غزوان عن أرض البصرة: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعى والمحتطب[٥]، وهذا يدل على سلامة السياسة الحربية ودقة التخطيط العمرانى ليلائم ظروف السلم والحرب معًا، فقد ضمنت هذه الخطة تامين مصادر المياه، وقرب خطوط الإمداد بالمواد الغذائية، مصادر الطاقة اللازمة لحاجة أهل المصر كالحطب وغيره.

(١، ٢، ٣، ٤) تاريخ الدعوة الإسلامية ص (٣٣٤).

(٥) فتوح البلدان للبلاذرى ص (٣٤١).

● التأكد من عدم وجود عوائق طبيعية كالبحار مثلاً تمنع وصول الإمدادات من قاعدة الخلافة إلى جبهات القتال[١].

● كان تنظيم الأمصار يتم طبقًا للتنظيم القبلى للجيش، فكل قبيلة تكون فى منازل متجاورة[٢].

- مدينة الكوفة:

تجمع آراء المؤرخين على أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعد هو المؤسس الأول للمدينة، وأنه قد اختار موضعها وأمر بتخطيطها بعد فترة من الانتصارات التى حقَّقها المسلمون فى حربهم ضد الفرس فى جبهة المدائن، وكما هى الحال تمامًا فى مسألة اختيار وتمصير مدينة البصرة، فإن العوامل العسكرية لعبت دوراً أساسيًا ومركزيًا فى دفع سعد إلى التفكير فى اتخاذ موضع أو مخيم للمجاهدين[٣]، وقام بتنفيذ ذلك بعد توجيه الفاروق له رضى الله عنهم، وقد خضع اختيار سعد للكوفة وفق المعايير التى وضعها الفاروق، وقد لاحظ الفاروق فى وفود القادسية والمدائن تغيراً فى وجوههم فعلم أن ذلك من وخومة البلاد، فكتب إلى سعد بن أبى وقاص يأمره أن يتخذ لهم مكانًا يوافقهم كما يوافق إبلهم، وأرسل سلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان رائدين، فارتادا حتى أتيا موضع الكوفة، وموقعها بين الحيرة والفرات، وقد سميت بذلك لأنها من رمل وحصباء، كل رمل وحصباء فهو كوفة[٤]، فتحول سعد من المدائن إليها فى محرم عام ١٧هـ، وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون فى خيامهم لأن ذلك أجد فى حربهم وأذكى لهم وأهيب فى عين عدوهم وأدعى إلى إحجامه عن أمر يهم به، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة فى بنيان القصب لم يحب أن يخالفهم فأذن لهم، فابتنى أهلها بالقصب، ثم إنَّ الحريق الذى وقع بالكوفة والبصرة أتى عليها، فاستأذنوا عمر فى البناء باللبن فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاث أبيات (حجرات) ولا تطاولوا فى البنيان. وكتب إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بنائها عاصم بن الدلف أبا الجرداء، وعلى تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بنائها أبا الهياج بن

---

(١) فتوح البلدان ص (٢٧٥).

(٢) اقتصاديات الحرب فى الإسلام ص (٢٤٧).

(٣) دراسة فى تاريخ المدن العربية الإسلامية د. عبد الجبار ناجى ص (١٨٣).

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية ص (٣٣٥).

مالك الأسدى، فقام أبو الهياج بتخطيط الكوفة بأمر عمر الذى أمر بالمناهج أربعين ذراعًا، وما يليها ثلاثين ذراعًا وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع ليس دون ذلك شىء، وفى القطائع ستين ذراعًا وكان أول شىء خُط فيها مسجدها، ثم قام فى وسطه رامٍ شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه، ثم أمر بالبناء وراء مواقع السهام، وبنى فى مقدمة المسجد ظلة ذرعها مئتان على أساطين من رخام كانت للأكاسرة سماؤها كأسمية المساجد الرومية، وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مائتا ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال وقام بالبناء روزبة الفارسى[1]، وسكنها بعد إنشائها المجاهدون المسلمون ثم فرقة فارسية من فرق القائد رستم عدتها أربعة آلاف كانت تعرف باسم جند شاهنشاه، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا، ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم العطاء، فأعطاهم سعد ما سألوه، وكان لهم نقيب يقال له ديلم، فقيل عنهم حمراء ديلم[2]، كما نزلها جماعة من يهود نجران ونصاراها عندما أجلاهم عمر عن شبه الجزيرة فأقاموا بمحلة عرفت بالنجرانية فى الكوفة[3]،وارتفع شأن البصرة والكوفة بعد تمصيرهما وعظم أمرهما وأصبح لهما شهرة عظيمة فى قيادة الجيوش وحمل لواء العلم والأدب فى العالم الإسلامى كله، بل وانتقلت إليهما القوة من الحجاز فاتخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه الكوفة مقراً لخلافته بعد أن انتقل مركز الثقل الإسلامى إلى الأمصار على وجه الإجمال[4].

إن عمر رضى الله عنه وضع تخطيط البصرة والكوفة على قاعدة صحيحة محكمة، فقد وسع طرقها وجعلها على نظام جميل وهى فى شكلها العام تدل على عبقرية الفاروق فى المجال العمرانى، فقد كانت الكوفة تجمع بين سكن المدن وهواء البادية وتربتها وذلك أدعى لصحة الأجسام وجودة الهواء لأن سعة الطرق للبلاد بمثابة الرئة للجسم، وكان عمر يريد ممن نزلوا الكوفة أن يكونوا فى خيامهم لأن ذلك أسرع إذا مست الحاجة وأهيب فى عين عدوهم إلا أن الأمر تطور بعد ذلك حتى بنيت المدن بالطوب[5].

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ١٧).

(٢، ٣) تاريخ الدعوة ص (٣٣٦).

(٤) المصدر نفسه ص (٣٣٨).

(٥) الخلفاء الراشدون ص (١٨٢).

- **خشية عمر على المسلمين من الدخول فى حياة الترف والنعيم:**

كان عمر رضى الله عنه يخشى على المسلمين الدخول فى حياة الترف والنعيم وما يترتب على ذلك من نتائج سيئة فى الدنيا والآخرة، فعندما نزل أهل الكوفة، واستقرت بأهل البصرة الدار عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا، ثم إن أهل الكوفة استأذنوا فى بنيان القصب واستأذنه فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أحَدُّ لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا: العِكرش[1] إذا رَوِى قصَّب فصار قصباً. قال: فشأنكم فابتنى أهل المصرين بالقصب[2].

ثم إن الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكان أشدهما حريقًا الكوفة، فاحترق ثمانون عريشًا، ولم يبق فيها قصبة شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك، فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر يستأذنونه فى البناء باللّبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم وكانوا لا يدعون شيئًا ولا يأتونه إلا وآمروه فيه (يعنى شاوروه) فقال: افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (يعنى غرف) ولا تطاولوا فى البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك. قال: وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بنياناً فوق القدر، قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السَّرف، ولا يخرجكم من القصد[3].

هذا ومن استعراض هذا الخبر يتبين لنا أن أولئك القوم كانوا زاهدين فى مظاهر الدنيا، فهم يريدون من المساكن ما يكنّهم من الشمس والمطر والبرد والحر، ولا يهمهم التمتع بالقصور والبيوت العالية، ولذلك اختاروا التعريش بالقصب الذى كان أيسر الأشياء لديهم حتى اضطروا إلى البناء بالطين، ومع ذلك نجد عمر رضى الله عنه يضع لهم الاحتياطات اللازمة لمنع التنافس والتطاول فى البنيان، وهذا إدراك بعيد المدى لما يتوقع أن تكون عليه الأمة من الغنى بعد الفتوح، فهو يحاول فى هذا التوجيه وأمثاله أن يحدّ من اندفاع الأمة نحو الإسراف والترف، وأن يحملها على حياة القصد والاعتدال ومن كلام عمر رضى الله عنه السابق يتبين لنا أن المقصود بالبناء الذى لا خير فيه ما قرب من الإسراف وأخرج عن القصد والاعتدال، وإن من أعظم مظاهر الإسراف التطاول فى

---

(١) العكرش: نبات شوكى ينبت من نزوز الأرض.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ١٥).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ١٦).

البنيان، وذلك لأن البنيان يستهلك من الإنسان مالاً كثيراً ووقتًا طويلاً، فإذا انصرف له الإنسان بالاهتمام استحوذ على تفكيره حتى يبقى هو الهم الأكبر عند بعض الناس[١]، ولئن كان ما يخشاه عمر رضى الله عنه من الانفتاح الدنيوى فى عهده ويحاول أن يحجز الأمة عن التوغل فيه من ناحية البناية لا يعدو أن يكون بناء محدوداً ينتهى إعداده فى أمد قصير فإن إعداد البناء فى عصرنا هذا قد يستغرق سنوات من العمر، ثم قد يعقبه فى أحوال كثيرة ديون متراكمة يظل صاحبها يجمع فضول أمواله لسدادها، وقد يمر عليه سنون من عمره وهو لا يعرف عن الزكاة شيئًا مع أنه يعتبر من المتوسطين فى الغنى الذين هم غالبية الناس، لأن القصور التى تعارف أكثر الناس عليها تتطلب أنواعًا عالية من الأثاث والكماليات التى ترهق طالبها وتجعله يظل يلاحق أنفاسه سنوات عَلَّه يصل إلى ما تصبو إليه نفسه من مشاكلة الناس فى مظاهر الحياة الدنيا، وفى خضم هذا التنافس تضيع أحيانًا بعض مطالب الإسلام الحيوية من العبادات المالية التى على رأسها الزكاة والإنفاق على المجاهدين فى سبيل الله تعالى، كما أنه قد ينشغل فكر الإنسان أحيانًا عن الأمور المهمة كالصلاة وطلب العلم[٢].

- قول عمر: ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد:

يعنى أن حدود البناء المشروع ما لا يقرب صاحبه من الإسراف وهو مجاوزة الحد المشروع ولا يخرجه عن حدِّ الاعتدال، وقد ترك عمر رضى الله عنه تحديد ذلك لهم، لأن لكل بلد عرفًا خاصًا يتحدد به الإسراف والاعتدال والتقتير، فالقصد إذًا يحدده العرف السائد فى البلد لدى أوساط الناس من أهل الاستقامة بالاعتدال فى الأمور الدنيوية[٣].

- قوله: الزموا السنة تلزمكم الدولة:

يعنى أن الالتزام بالطريق المستقيم الذى سار عليه رسول الله ﷺ سبب فى الإدالة على الناس والتمكين فى الأرض، كما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور: ٥٥].

(١، ٢) التاريخ الإسلامى (١٩، ٢٠/ ٢٢).

(٣) المصدر نفسه (١٩، ٢٠/ ٢٣).

ولقد كان هذا التزهيد من عمر رضى الله عنه فى مظاهر الدنيا مع أن المسلمين آنذاك كانوا يتنافسون فى هذا الزهد، فكيف بمن جاءوا بعدهم على مرِّ العصور ممن يتنافسون على مظاهر الدنيا؟ هذا ولقد كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه حريصًا على علاج أمر الانفتاح المادى الذى كان فى عصره حيث فتحت بلاد الفرس وأجزاء من بلاد الروم، فأفاء الله تعالى على المسلمين من غنائم الفتوح وفىء البلاد وخراجها أموالاً عظيمة، ولقد خطب أمير المؤمنين خطبة بليغة شخص فيها ذلك الواقع وأرشد المسلمين إلى السلوك الأمثل.

فقد قال رضى الله عنه: إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئًا لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشىء غيره وسخر لكم ما فى البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون. ثم جعل لكم سمعًا وبصراً، ومن نعم الله عليكم نعم عمّ بها بنى آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرىء خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فانتم مستخلفون فى الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم يُستصفَوْن[1] معايشهم وكدائحهم ورشح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبًا، فليس لهم معقل يلجأون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة[2] العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التى لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام فى كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التى لا يحصى عددها، لا يقدر قدرها، ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذى لا إله إلا هو الذى أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته،

(١) استصفى الشىء: أخذ صفوه.

(٢) رفاغة العيش: سعة العيش وبحبوحته.

والمسارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم وفى مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]. وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]. فلو كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبتهم بالله جهالة، فلو كان هذا الذى استشلاكم[١] به لم يكن معه حظ فى دنياكم، غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة ما كنتم عليه أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فبلهُ ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا والآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفًا لها ولانتقالها، ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة، واستيجاب للزيادة، هذا لله علىّ من أمركم ونهيكم واجب[٢].

– مدينة الفسطاط:

إذا كان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعد المؤسس الأول لمدينة الكوفة، فإن عمرو ابن العاص يعد المؤسس لمدينة الفسطاط، فبعد انتهائه من عملية فتح الإسكندرية أراد الاستقرار فيها، فكتب إليه عمر بن الخطاب: أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء حتى أقدم إليكم.. فتحول من الإسكندرية إلى الفسطاط[٣]، وأول عمل عمله فيها هو بناء مسجده الذى عرف باسمه فضلاً عن مسجده فى الإسكندرية ثم بنى دارًا لعمر بن الخطاب وربما قصد بها دارًا للخلافة، فكتب إليه عمر بن الخطاب وأمره أن يجعلها سوقًا للمسلمين[٤]، وبنى عمرو بن العاص لنفسه دارين قريبتين من المسجد كما يخبرنا عنها ابن عبد الحكم: فاختط عمرو بن العاص داره التى هى اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها[٥]. وربما بناها واحدة له، والأخرى دارًا للإمارة

(١) استشلاكم: دعاكم لينقذكم.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٢١١ – ٢١٣).

(٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم: ص (٩١) سميت فسطاط لأنه اقام فسطاطه فيها.

(٤) عمرو بن العاص القائد والسياسى ص (١٣٥).

(٥) فتوح مصر ص (٩٦، ٩٧).

بعد أن أمر عمر بن الخطاب بهدم داره السالفة الذكر، وكلف عمرو بن العاص جماعة من كبار الصحابة من مرافقيه ليفصلوا بين القبائل فجعلوا لكل قبيلة جهة لمنازلهم عرفت بالخطط، وهى أشبه ما تُعرف بالأحياء فى وقتنا الحاضر، ولكنها لم تكن بهذا الاتساع حيث جعل بين القبيلة والأخرى شوارع، وربما لم تكن بمفهوم الشوارع اليوم وإنما ممرات بين كل حارة وأخرى. وكانت الجماعة مكونة من: معاوية بن خديج التجيبى، وشريك ابن سُمى الغطيفى، وعمرو بن محرم الخولانى، وحويل بن ناشرة المعافرى، وكانوا هم الذين أنزلوا الناس، وفصلوا بين القبائل وذلك فى سنة إحدى وعشرين[1]، وعلى الرغم من أن المجال لا يتسع لذكر جميع الخطط فى هذا المجال إلا أنه لا بأس من ذكر بعض منها مثل: خطة أسلم، والليتون،وبنى معاذ، وبلى،وبنى بحر،ومهرة،ولخم،وغافق،والصدف، وحضرموت، وتجيب، وخولان، ومذحج، ومراد، ويافع، ومعافر، ومعهم الأشعريون[2]، ويستدل الباحث من هذه الأسماء على كثرة القبائل العربية وغيرها ممن شارك فى عملية الفتح، وبالتالى كثرة الأحياء المكونة من هذه القبائل وحب كل قبيلة فى أن يكون لها استقلالها الخاص، لتداول شئونها وما يهم من أفرادها، ونستدل أيضًا على دقة التنظيم الذى وافق عليه عمرو بن العاص فى هذا التقسيم القبلى[3]، وقد كانت هذه القبائل تبنى فى وسطها مساجدها فقد ذكر ابن ظهيرة فى كتابه: الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة نقلاً عن ابن زولاق ما ذكره عن المساجد الأولى فى الفسطاط، ذكر فى أولها مسجد عمرو بن العاص ثم عدداً من المساجد المنسوبة لأفراد[4]، وقال بعدها: وبمصر من مساجد الصحابة سوى ما ذكرنا مساجد بنوها حين الفتح عدتها نحو مائتى مسجد وثلاثة وثلاثين مسجداً، وقد أعد ترتيبها تبعًا لعشائرها[5].

هذا وقد وفق عمرو بن العاص باختياره المكان إذ يسهل منه الاتصال بحاضرة الخلافة، فضلاً عن كونه وسطًا بين شمالى البلاد وجنوبها وقريبًا من النيل[6].

- مدينة سرت بليبيا:

بعد أن أصبحت برقة قاعدة للإسلام غربى مصر، انطلق منها عمرو بن العاص وجنده

---

(١) عمرو بن العاص القائد والسياسى ص (١٣٦).

(٢) فتوح مصر ص (١١٥ - ١٢٩).

(٣) عمرو بن العاص القائد والسياسى ص (١٣٧).

(٤، ٥) أهل الفسطاط د. صالح أحمد العلى ص (٣٨).

(٦) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصرى ص (٣٣٩).

إلى طرابلس، فبدأ بمدينة سرت بين برقة وطرابلس فاستولى عليها، واتخذها المسلمون قاعدة للانطلاق إلى الغرب منذ عام ٢٢هـ، وبقيت قاعدة لقوات المسلمين ومركزًا لعقبة ابن نافع الذى صرف همه لنشر الإسلام فى الواحات القريبة من فزان وودان وزويلة والسودان(١).

- الحاميات المقامة فى المدن المفتوحة:

أطلق عمر رضى الله عنه اسم الأجناد على الحاميات المقامة فى المدن المفتوحة فى جميع الجهات من البلاد المفتوحة، وخاصة بلاد الشام، فكان فيها ثكنات لإقامة الجند، وفى كل معسكر حظيرة للخيل فيها ما لا يقل عن أربعة آلاف حصان بكامل معداتها، وتجهيزاتها كلها على أهبة الاستعداد(٢)، حتى إذا دعت الحاجة أمكن القيادة أن تدفع إلى ميادين القتال فى وقت قصير أكثر من ٣٦ ألفًا من الفرسان دفعة واحدة فى بلاد الشام وحدها. وقد خصصت مراع واسعة لتلك الخيول فى كل الأجناد، وكان كل حصان يوسم على فخذه ميسم: جيش فى سبيل الله، تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومن هذه الحاميات فى بلاد الشام:

- جند دمشق: وتولاها فى عهد عمر بن الخطاب ثلاثة على الترتيب هم: يزيد بن أبى سفيان، فسويد بن كلثوم، فمعاوية بن أبى سفيان.

- جند حمص: وقد تولاها أبو عبيدة عامر بن الجراح، فعبادة بن الصامت، فعياض ابن غنم، فسعيد بن عامر بن حذيم ثم عمير بن سعد فعبد الله بن قرط.

- جند قنسرين: وتولاها خالد بن الوليد فعمير بن سعد.

- جند فلسطين: وتولاها يزيد بن أبى سفيان فعلقمة بن مجزز.

- جند الأردن: مركزها طبرية وتولاها شرحبيل بن حسنة فيزيد بن أبى سفيان فمعاوية، وقد تولى معاوية جند دمشق والأردن بعد وفاة يزيد فى طاعون عمواس(٣) هذا وقد دفعت الرغبة فى الجهاد ابتغاء مرضاة الله كثيراً من الصحابة وعلماء التابعين إلى

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية ص (٣٤٠).

(٢) البداية والنهاية (٧/١٣٨)، تاريخ الدعوة ص (٣٤١).

(٣) تاريخ الدعوة ص (٣٤١).

الارتحال إلى هذه المدن التى تسمى الثغور والأمصار، بنشر الدعوة والجهاد فى سبيل الله وتعليمهم القرآن والسنة، وقد أصبحت كل من المدينة المنورة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط، مناطق جذب سكانية تحوّل الناس إليها طلبًا للعلم والجهاد، أو برغبة التسجيل فى ديوان الجيش والحصول على الأعطيات، أو برغبة التجارة واحتراف المهن الأخرى، مما جعل هذه الأمصار منارات حضارية ازدهرت فيها شتى العلوم والمعارف ونمت فيها مختلف الحرف والصناعات[1].

ثانيًا: الأزمة الاقتصادية (عام الرمادة):

تعرضت الدولة الإسلامية فى عهد عمر رضى الله عنه للابتلاء وهذه السنة جارية فى الأمم والدول والشعوب والمجتمعات، والأمة الإسلامية أمة من الأمم، فسنة الله فيها جارية لاتتبدل ولا تتغير، ومن أعظم الابتلاءات فى عهد عمر، عام الرمادة وطاعون عمواس، ونترك الصفحات لتحدثنا عن تعامل عمر مع هذه الأزمات، وكيف دفعها بسنة الأخذ بالأسباب، والتضرع والدعاء لله رب العباد، ففى سنة ١٨هـ أصاب الناس فى الجزيرة مجاعة شديدة وجدب وقحط، واشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوى إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وماتت المواشي جوعًا وسمى هذا العام عام الرمادة؛ لأن الريح كانت تسفى ترابًا كالرماد، واشتد القحط، وعزت اللقمة. وهرع الناس من أعماق البادية إلى المدينة يقيمون فيها، أو قريبًا منها، ويلتمسون لدى أمير المؤمنين حلاً، فكان الفاروق أكثر الناس إحساسًا بهذا البلاء وتحملاً لتبعاته[2]، ويمكن للباحث أن يلحظ الخطوات التى سار عليها عمر فى التعامل مع هذه الأزمة كالآتى:

١ - ضرب من نفسه للناس قدوة:

جيء لعمر بن الخطاب فى عام الرمادة بخبز مفتوت بسمن فدعا رجلاً بدويًا ليأكل معه، فجعل البدوى يتبع باللقمة الودك فى جانب الصفحة[3]، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك، فقال البدوى: أجل، ما أكلت سمنًا ولا زيتًا، ولا رأيت آكلا له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحمًا ولا سمنًا حتى يحيا الناس، ولقد أجمع الرواة جميعًا أن عمر كان صارمًا فى الوفاء بهذا القسم، ومن ذلك، أنه لما قدمت إلى السوق عكة سمن ووطب من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهمًا ثم أتى عمر

---

(١) اقتصاديات الحرب فى الإسلام ص (٢٥٠).

(٢) فن الحكم (٦٨)، البداية والنهاية (٧/٩٨)، تاريخ الطبرى (٥/٧٥).

(٣) الودك: الدسم والدهن وصفحة الشيء وجهه وجانبه.

فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، وقدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهمًا، فقال عمر: أغليت[1] فتصدق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافًا. ثم أردف قائلاً: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[2]، فهذه جملة واحدة في كلمات مضيئة، يوضح فيها الفاروق مبدأ من أروع المبادئ الكبرى التي يمكن أن تعرفها الإنسانية في فن الحكم «كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم»[3]، وقد تأثر عمر في عام الرمادة حتى تغير لونه رضي الله عنه فعن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان رجلاً عربيًا يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرمهما، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر[4]، وعن أسلم قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هما بأمر المسلمين[5]، وكان رضي الله عنه يصوم الدهر[6]، فكان عام الرمادة، إذا أمسى أتي بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحر يومًا من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وعرفوا له طيبها، فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها[7]، ارفع هذه الصحفة، هات لنا غير هذا الطعام، فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك بالزيت، ثم قال: ويحك يا يرفا[8] احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت يثمغ[9]، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم[10].

هذا هو الفاروق وهذا هو فن الحكم في الإسلام يؤثر الرعية على نفسه، فيأكلون خيراً مما يأكل، وهو الذي يحمل من أعباء الحكم والحياة أضعاف ما يحملون، ويعاني من ذلك أضعاف ما يعانون وهو في ذلك لا يضع القيود على نفسه

---

(١) أغليت بهما: اشتريتهما بسعر غال.

(٢) تاريخ الطبري (٥/٧٨).

(٣) فن الحكم ص (٧١).

(٤) الطبقات (٣/٣١٤).

(٥) الطبقات (٣/٣١٥)، محض الصواب (١/٣٦٣).

(٦) محض الصواب (١/٣٦٢).

(٧) الكراديس: عظام محال البعير.

(٨) حاجب عمر، أدرك الجاهلية، وحج مع عمر في خلافة أبي بكر.

(٩) موضع مال لعمر وقفه بالمدينة.

(١٠) الطبقات (٣/٣١٢)، الشيخان من رواية البلاذري ص (٢٩٤).

وحدها، بل يسير بها ليقيد أفراد أسرته، فهم أيضا يجب أن يعانوا أكثر مما يعانى الناس، وقد نظر ذات يوم فى عام الرمادة فرأى بطيخة فى يد ولد من أولاده فقال له على الفور: بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى؟ فخرج الصبى هاربا يبكى، ولم يسكت عمر إلا بعد أن سأل عن ذلك وعلم أن ابنه اشتراها بكف من نوى[١].

لقد كان إحساسه بمسئولية الحكم أمام الله عز وجل يملك عليه شعاب نفسه، فلم يترك وسيلة فى الدين، والدنيا يواجه بها الجدب وانقطاع المطر إلا لجأ إليها، فكان دائم الصلاة، دائم الاستغفار، دائم الحرص على توفير الأقوات للمسلمين، يفكر فى رعيته، من زحف منهم إلى المدينة، ومن بقى منهم فى البادية، ويواجه العبء كله فى كفاءة واقتدار.. ثم بعد ذلك قسوة على النفس ما أروعها من قسوة، حتى قال من أحاط به فى تلك الأزمة: لو لم يرفع الله المحل[٢] عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين[٣].

٢- معسكرات اللاجئين عام الرمادة:

عن أسلم قال: لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة، فكان عمر قد أمر رجالا يقومون بمصالحهم، فسمعته يقول ليلة: أحصوا من يتعشى عندنا، فأحصوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل، وأحصوا الرجال المرضى والعيالات فكانوا أربعين ألفا. ثم بعد أيام بلغ الرجال والعيال ستين ألفا، فما برحوا حتى أرسل الله السماء، فلما مطرت رأيت عمر قد وكل بهم من يخرجونهم إلى البادية ويعطونهم قوتا وحملانا إلى باديتهم، وكان قد وقع فيهم الموت فأراه مات ثلثاهم، وكانت قدور عمر تقوم إليها العمال من السحر يعملون الكركور ويعملون العصائد[٤]، وهنا نرى الفاروق رضى الله عنه يقسم وظائف العمل على العاملين، وينشىء مؤسسة اللاجئين بحيث يكون كل موظف عالما بالعمل الذى كلفه به دون تقصير فيه، ولا يتجاوز إلى عمل آخر مسند إلى غيره[٥]، فقد عين أمراء على نواحى المدينة لتفقد أحوال الناس الذين

---

(١) الطبقات (٣/٣١٥)، محض الصواب (١/٣٦٣).

(٢) المحل: انقطاع المطر ويبس الأرض.

(٣) فن الحكم ص (٧١)، الطبقات (٣/٣١٥).

(٤) تاريخ الذهبي ص (٢٧٤).

(٥) الكفاءة الإدارية د. عبد الله قادرى ص (١٠٧).

اجتمعوا حولها طلبا للرزق لشدة ما أصابهم من القحط والجوع، فكانوا يشرفون على تقسيم الطعام والإدام على الناس وإذا أمسوا اجتمعوا عنده فيخبرونه بكل ما كانوا فيه، وهو يوجههم[1]، وكان عمر يطعم الأعراب من دار الدقيق وهي من المؤسسات الاقتصادية التي كانت أيام عمر توزع على الوافدين على المدينة، الدقيق والسويق، والتمر والزبيب من مخزون الدار قبل أن يأتي المدد من مصر والشام والعراق، وقد توسعت دار الدقيق لتصبح قادرة على إطعام عشرات الألوف الذين وفدوا على المدينة مدة تسعة أشهر، قبل أن يحيا الناس بالمطر[2]، وهذا يدل على عقلية عمر في تطوير مؤسسات الدولة سواء كانت مالية، أو غيرها، وكان رضى الله عنه يعمل بنفسه في تلك المعسكرات، قال أبو هريرة: يرحم الله ابن حنتمة، لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين، وعكة زيت[3] في يده وإنه ليعتقب (أى يتناوب) هو وأسلم فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريبًا. قال: فأخذت أعقبه (أعاونه) فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذا صِرْمٌ (جماعة) نحو من عشرين بيتًا من محارب فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد. قال: وأخرجوا لنا جلد ميتة مشوية كانوا يأكلونها،، ورمة العظام مسحوقة كانوا يسفونها قال: فرأيت عمر طرح رداءه ثم نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتى شبعوا، ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة، ثم كساهم، ثم لم يزل يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك[4].

وكان رضى الله عنه يصلى بالناس العشاء ثم يخرج إلى بيته فلا يزال يصلى حتى يكون آخر الليل ثم يخرج فيأتى الأنقاب، فيطوف عليها وقد ذكر عبد الله بن عمر بأنه قال: وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدى، ويقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء، يردد هذه الكلمات[5]، وقال مالك ابن أوس (من بنى نصر): لما كان عام الرمادة قدم على عمر قومي وهم مائة بيت فنزلوا الجبانة، فكان عمر يطعم الناس من جاءه، ومن لم يأت أرسل إليه الدقيق والتمر والأدم إلى منزله، فكان يرسل إلى قومي بما يصلحهم شهراً بشهر؛ وكان يتعهد مرضاهم

(١) الكفاءة الإدارية ص(١١٥).

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٣٧، ٣٨).

(٣) العكة: آنية السمن أصغر من القربة.

(٤) أخبار عمر ص (١١١)، نقلاً عن الرياض النضرة.

(٥) المصدر نفسه ص (١١١).

وأكفان من مات منهم. ولقد رأيت الموت وقع فيهم حتى أكلوا الثفل، وكان عمر رضى الله عنه يأتى بنفسه فيصلى عليهم، لقد رأيته صلى على عشرة جميعًا، فلما أحيوا قال: اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية، فجعل عمر يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم[1]، وعن حزم بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب عام الرمادة مر على امرأة وهى تعصد عصيدة لها، فقال: ليس هكذا تعصدين. ثم أخذ المسوط (ما يخلط به كالملعقة) فقال: هكذا فأراها، وكان يقول: لا تذرن إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء بل تذره قليلا قليلا وتسوطه بمسوطها، فإنه أربع له وأحرى ألا يتفرد (أى يجتمع ويركب بعضه بعضا)، وحدثت بعض نساء عمر رضى الله عنه فقالت: ما قرب عمر امرأة زمن الرمادة حتى أحيا الناس هما[2]، وعن أنس قال: تقرقر بطن عمر بن الخطاب عام الرمادة، وكان يأكل الزيت، وكان قد حرم على نفسه السمن، فنقر بطنه بأصبعيه وقال: تقرقر إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيى الناس[3].

٣- الاستعانة بأهل الأمصار:

وأسرع عمر رضى الله عنه، فكتب إلى عماله على البلاد الغنية يستغيثهم فأرسل إلى عمرو بن العاص عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى العاصى ابن العاص، سلام عليك، أما بعد، أفترانى هالكا ومن قبلى، وتعيش أنت منعما ومن قبلك؟ فواغوثاه واغوثاه، فكتب إليه عمرو بن العاص: لعبد الله أمير المؤمنين من عمرو ابن العاص سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو، أما بعد أتاك الغوث، فالريث الريث؛ لأبعثن إليك بعير (عير: بكسر العين: قافلة) أولها عندك وآخرها عندى، مع أنى أرجو أن أجد سبيلا أن أحمل فى البحر[4]، فبعث فى البر بألف بعير تحمل الدقيق وبعث فى البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والدهن، وبعث إليه بخمسة آلاف كساء[5].

وكتب عمر إلى كل عامل من عماله على الشام: ابعث إلينا من الطعام بما يصلح من

---

(١) أخبار عمر ص (١١٢)، ابن الجوزى ص (٦١).

(٢) المصدر نفسه ص (١١٦).

(٣) الحيلة (١/ ٤٨).

(٤، ٥) أخبار عمر ص (١١٥).

قبلنا، فإنهم قد هلكوا، إلا أن يرحمهم الله[١]، وكتب إلى عماله على العراق وفارس بمثل ذلك، فكلهم أرسلوا إليه[٢]، وذكر الطبرى: أن أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح فى أربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فلما رجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم، فقال: لا حاجة لى فيها يا أمير المؤمنين، إنما أردت الله وما قبله، فلا تدخل على الدنيا، فقال: خذها فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه، فأبى، فقال: خذها فإنى قد وليت لرسول الله ﷺ مثل هذا، فقال لى مثل ما قلت لك، فقلت له كما قلت لى فأعطانى،فقبل أبو عبيدة وانصرف مع عماله، وتتابع الناس[٣] وبعث معاوية بن أبى سفيان ثلاثة آلاف بعير تحمل طعاما، ووصلت من العراق ألف بعير تحمل دقيقا[٤]، وشرع عمر فى توزيع هذا الزاد على أهل المدينة ومن لاذوا بها من الأعراب، وسير منه إلى البادية، وأمر بتوزيعه على أحياء العرب جميعا، قال الزبير بن العوام: قال لى عمر فى عام الرمادة، وقد حمل قافلة من الإبل بالدقيق والشحم والزيت لنجدة أهل البادية: اخرج فى أول هذه العير فاستقبل بها نجدا، فاحمل إلى أهل كل بيت ما قدرت أن تحملهم إلى، ومن لم تستطع حمله، فمر لكل أهل بيت ببعير بما عليه من المتاع، ومرهم، فليلبسوا كساءين، واحدا للشتاء، والآخر للصيف، ولينحروا البعير، فليحفظوا شحمه، وليقددوا لحمه.. ثم ليأخذوا شحما ودقيقا فيطبخوا، ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزقه[٥]، وجعل عمر يرسل إلى الناس مؤونة شهر بشهر، مما يصله من الأمصار من الطعام والكساء، واستمرت القدور العمرية الضخمة، يقوم عليها عمال مهرة، يطبخون من بعد الفجر، ثم يوزعون الطعام، على الناس، وأعلن عمر: إن لم يرفع الله الجدب فسأجعل مع أهل كل بيت مثلهم، وسنطعم ما وجدنا أن نطعمهم، فإن أعوزنا، جعلنا مع أهل كل بيت ممن يجد عدتهم ممن لا يجد، إلى أن يأتى الله بالحيا (المطر)[٦]. وقد جاء فى رواية قوله: لو امتدت المجاعة لوزعت كل جائع على بيت من بيوت المسلمين فإن الناس لا يهلكون على أنصاف بطونهم[٧].

---

(١) الفاروق عمر ص (٢٦٢).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٦٣).

(٣) تاريخ الطبري (٥/٨٠).

(٤، ٥) الفاروق عمر ص (٢٦٢).

(٦) المصدر نفسه ص (٢٦٣).

(٧) السياسة الشرعية د. إسماعيل بدوي ص(٤٠٣)، محض الصواب (١/٣٦٤).

وكان الفاروق يقوم بتوزيع الطعام، والزاد على كثير من القبائل فى أماكنهم من خلال لجان شكلها، فعندما وصلت إبل عمرو بن العاص إلى أفواه الشام أرسل عمر من يشرف على توزيعها مع دخولها جزيرة العرب، فعدلوا بها يمينا وشمالا ينحرون الجزر، ويطعمون الدقيق، ويكسون العباء، وبعث الفاروق رجلا بالطعام الذى أرسله عمرو من مصر فى البحر، فحمله إلى أهل تهامة يطعمونه(١).

٤- الاستغاثة بالله وصلاة الاستسقاء:

عن سليمان بن يسار قال: خطب عمر الناس فى زمان الرمادة فقال أيها الناس: اتقوا الله فى أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمركم فقد ابتليت بكم وابتليتم بى، فما أدرى السخطة على دونكم أو عليكم دونى أو قد عمتنى وعمتكم، فهلموا فلندع الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المحل، فرئى عمر يومئذ رافعا يديه يدعو الله ودعا الناس، وبكى وبكى الناس مليا ثم نزل(٢)، وعن أسلم قال: سمعت عمر يقول: أيها الناس: إنى أخشى أن تكون سخطة عمتنا جميعا فأعتبوا ربكم وانزعوا وتوبوا إلى ربكم وأحدثوا خيرا(٣)، وعن عبد الله بن ساعدة قال: رأيت عمر إذا صلى المغرب نادى أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، وسلوه من فضله، واستسقوا سقيا رحمة لا سقيا عذاب. فلم يزل كذلك حتى فرج الله(٤) ذلك، وعن الشعبى: إن عمر رضى الله تعالى عنه خرج يستسقى فقام على المنبر، فقرأ هذه الآيات ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[نوح: ١٠، ١١]، ويقول: استغفروا ربكم، ثم توبوا إليه، ثم نزل فقيل له: ما يمنعك من أن تستسقى؟ فقال: طلبت المطر بمجاديح(٥) السماء التى ينزل به المطر(٦)، ولما أجمع عمر على أن يستسقى، ويخرج بالناس، كتب إلى عماله أن يخرجوا يوم كذا، وأن يتضرعوا إلى ربهم، ويطلبوا أن يرفع هذا المحل(٧) عنهم، وخرج عمر لذلك اليوم وعليه برد رسول الله ﷺ، حتى انتهى إلى

---

(١) أخبار عمر ص(١١٠).

(٢) الطبقات (٣/٣٢٢)، الشيخان من رواية البلاذري ص (٣٢٣).

(٣) الطبقات (٣/٣٢٢)، أخبار عمر ص(١١٦).

(٤) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٣١٩).

(٥) مجاديح السماء: انواؤها، ويقال ارسلت السماء لمجاديحها.

(٦) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٣٢٠).

(٧) المحل: انقطاع المطر، ويبس الأرض.

المصلى، فخطب الناس فتضرع، وجعل النساء يلحون، فما كان أكثر دعائه إلا استغفار حتى إذا قرب أن ينصرف، رفع يديه مدا وحول ردائه، فجعل اليمين على اليسار، ثم اليسار على اليمين، ثم مد يديه وجعل يلح فى الدعاء، ويبكى بكاء طويلا حتى أخضل لحيته(١)، وقد جاء فى صحيح البخارى عن أنس: أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا(٢)، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون(٣)، وروى أن عمر لما استسقى عام الرمادة قال فى آخر كلامه: اللهم إنى قد عجزت وما عندك أوسع لهم ثم أخذ بيد العباس فقال: نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] فحفظتهما لصلاح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نبيك فى عمه، فقال العباس وعيناه تنضحان: اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك ﷺ وهذه أيدينا مبسوطة إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين يا أرحم الراحمين، اللهم أنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير، وفرق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون(٤)، فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس: ترون، ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فوالله ما نزحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر فطفق الناس بالعباس يقولون: هنيئا لك يا سقى الحرمين. فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب:

. بعمى سقى الله الحجاز وأهله ... عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس فى الجدب راغبا ... إليه فما رام حتى أتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه ... فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس

---

(١) الطبقات (٣/ ٣٢٠، ٣٢١)، تاريخ المدينة المنورة ابن شبة (٢/ ٧٤٢).

(٢) فتسقينا: أي بدعائه حيا ولو كان يتوسل به ميتا لتوسل به عمر، ولما احتاج لعمه العباس ليدعو له.

(٣) البخاري رقم (١٠١٠).

(٤) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص (٢١٧).

عـم الـنـبـى وصـنـو والـده الـذى ورث الـنـبـى بـذاك دون الـنـاس
أحـيـا الإله به البـلاد فـأصـبـحـت مـخـضـرة الأجناب بعـد اليـأس[1]

وقد جاء فى رواية صفة ما دعا به العباس فى هذه الواقعة: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك، وهذه أيدينا بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض، وعاش الناس[2].

٥- وقف إقامة الحد عام المجاعة:

وقد قام عمر رضى الله عنه بوقف حد السرقة فى عام الرمادة وهذا ليس تعطيلا لهذا الحد، كما يكتب البعض، بل لأن شروط تنفيذ الحد لم تكن متوافرة فأوقف تنفيذ حد السرقة، لهذا السبب، فالذى يأكل ما يكون ملكا لغيره بسبب شدة الجوع وعجزه عن الحصول على الطعام يكون غير مختار فلا يقصد السرقة ولهذا لم يقطع عمر يد الرقيق الذين أخذوا ناقة وذبحوها وأمر سيدهم حاطب بدفع ثمن الناقة[3]، وقد قال عمر رضى الله عنه: (لا يقطع فى عذق[4]، ولا عام السنة[5])[6]. وقد تأثرت المذاهب الفقهية بفقه عمر رضى الله عنه فقد جاء فى المغنى: قال أحمد: لا قطع فى المجاعة، يعنى أن المحتاج إذا سرق ما يأكله فلا قطع عليه لأنه كالمضطر، وروى الجوزجانى عن عمر أنه قال: لا قطع فى عام السنة، وقال سألت أحمد عنه فقلت: تقول به؟ قال: أى لعمرى لا أقطعه إذا حملته الحاجة والناس فى شدة ومجاعة[7]، وهذا فهم عمرى عميق لمقاصد الشريعة، فقد نظر عمر إلى جوهر الموضوع ولم يكتف بالظواهر، نظر إلى السبب الدافع إلى السرقة، فوجد أنه فى الحالتين الجوع الذى يعتبر من الضرورات التى تبيح

---

(١) الفاروق عمر بن الخطاب ص (٢١٧).

(٢) الخلافة الراشدة والدولة الأموية د. يحيى اليحيى ص (٣٠٢).

(٣) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوى ص (١٦٥).

(٤) عذق: النخلة، ولا قطع فيه لأنه ما دام معلقا فى الشجرة فليس فى حرز.

(٥) السنة: الجدب، المصباح المنير ص (٢٩٢).

(٦) مصنف عبد الرزاق (١٠/٢٤٢).

(٧) المغنى لابن قدامة (٨/٢٧٨).

المحظورات، كما يدل على ذلك قول عمر فى قصة غلمان حاطب: إنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم عليه حل له[(١)].

٦- تأخير دفع الزكاة فى عام الرمادة:

أوقف عمر رضى الله عنه إلزام الناس بالزكاة فى عام الرمادة ولما انتهت المجاعة وخصبت الأرض جمع الزكاة عن عام الرمادة، أى اعتبرها دينا على القادرين حتى يسد العجز لدى الأفراد المحتاجين وليبقى فى بيت المال رصيدا بعد أن أنفقه كله[(٢)]، فعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أخر الصدقة عام الرمادة، فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل، ورفع الله ذلك الجدب، أمرهم أن يخرجوا، فأخذوا عقالين[(٣)]، فأمرهم أن قسموا عقالا ويقدموا عليه بعقال، أى صدقة سنة[(٤)].

ثالثاً: الطاعون:

فى العام الثامن عشر من الهجرة[(٥)] وقع شىء فظيع مروع، هو ما تذكره المصادر باسم (طاعون عمواس) وقد سمى بطاعون عمواس نسبة إلى بلدة صغيرة يقال لها: عمواس وهى: بين القدس والرملة، لأنها كان أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر فى الشام منها فنسب إليها[(٦)]، وأفضل من ذكر صفة هذا الداء على حسب علمى القاصر ابن حجر حيث قال بعد أن ذكر الأقوال فى الطاعون: فهذا ما بلغنا من كلام أهل اللغة وأهل الفقه والأطباء فى تعريفه، والحاصل أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونا بطريق المجاز، لاشتراكهما فى عموم المرض به، أو كثرة الموت[(٧)]، والغرض من هذا التفريق بنى الوباء والطاعون، التدليل على صحة الحديث النبوى الذى يخبر أن الطاعون لا يدخل المدينة النبوية، أما الوباء فقد يدخلها وقد دخلها فى القرون التى خلت[(٨)].

---

(١) أعلام الموقعين (٣/ ١١)، الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ص (١٣٦).

(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون ص (١٦٦).

(٣) العقال: صدقة عام.

(٤) الشيخان من رواية البلاذرى ص (٣٢٤).

(٥) تاريخ القضاعى ص (٢٩٤).

(٦) خلاصة تاريخ ابن كثير، محمد كنعان ص (٢٣٦).

(٧) الفتح (١٠/ ١٨٠).

(٨) أبو عبيدة عامر بن الجراح، محمد شراب ص (٢٢٠).

وكان حصول الطاعون فى ذلك الوقت بعد المعارك الطاحنة بين المسلمين والروم وكثرة القتلى وتعفن الجو وفساده بتلك الجثث أمرا طبيعيا قدره الله لحكمة أرادها[١].

١- رجوع عمر من سَرْغ على حدود الحجاز والشام:

ففى سنة ١٧هـ أراد عمر رضى الله عنه أن يزور الشام للمرة الثانية فخرج إليها ومعه المهاجرون والأنصار حتى نزل بسرغ على حدود الحجاز والشام فلقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة وكان الطاعون بالشام، فشاور عمر رضى الله عنه واستقر رأيه على الرجوع[٢].

وبعد انصراف عمر رضى الله عنه حصل الطاعون الجارف المعروف بطاعون عمواس وكانت شدته بالشام فهلك به خلق كثير منهم أبو عبيدة بن الجراح، وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبى سفيان، والحارث بن هشام وقيل استشهد باليرموك، وسهيل بن عمرو وعتبة بن سهيل وأشراف الناس، ولم يرتفع عنهم الوباء إلا بعد أن وليهم عمرو بن العاص، فخطب الناس وقال لهم: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النار فتجنبوا منه فى الجبال، فخرج وخرج الناس فتفرقوا حتى رفعه الله عنهم فبلغ عمر ما فعله عمرو فما كرهه[٣].

٢- وفاة أبى عبيدة رضى الله عنه:

لما فشا الطاعون وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبى عبيدة ليستخرجه منه: سلام عليك، أما بعد فإنه قد عرضت إلىَّ حاجة أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلىَّ، فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء إشفاقا عليه وضنا به فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلىَّ وإنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فى وفيهم أمره وقضاه، فحللنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعنى فى جندى، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: وكأن قد قال ثم كتب إليه: سلام عليك أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضا عميقة

---

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص (٢٢٤).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٢٢، ٢٢٣).

(٣) الخلفاء الراشدون للنجار ص (٢٢٥)، تاريخ الطبرى (٥/٣٦).

فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة، فلما أتى كتابه دعا أبا موسى فقال: يا أبا موسى إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءنى بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم فرجع أبو موسى إلى منزله فوجد زوجته قد أصيبت فرجع إليه فأخبره الخبر فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله فى غرزه طعن فقال: والله لقد أصبت[١]، وعن عروة قال: إن وجع عمواس كان معافى منه أبو عبيدة وأهله فقال: اللهم نصيبك فى آل أبى عبيدة، فخرجت منه بثرة، فجعل ينظر إليها فقيل: إنها ليست بشىء، فقال: إنى لأرجو أن يبارك الله فيها[٢]، وقد قام قبل أن يصاب فى الناس خطيبا فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم محمد ﷺ وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه[٣]، ولما طعن - رحمه الله - دعا المسلمين فدخلوا عليه، فقال لهم: إنى موصيكم بوصية، فإن قبلتموها لم تزالوا بخير ما بقيتم، وبعدما تهلكون: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا، وتصدقوا، وحجوا واعتمروا، وتواصلوا وتحابوا، واصدقوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن امرأ لو عُمِّر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعى هذا الذى ترون، إن الله قد كتب الموت على بنى آدم، فهم ميتون، فأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم لمعاده ثم قال لمعاذ بن جبل: يا معاذ صلِّ بالناس، فصلى معاذ بهم، ومات أبو عبيدة - رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه[٤]- فقام معاذ فى الناس: يا أيها الناس، توبوا إلى الله توبة نصوحا، فإن عبدا إن يلق الله تائبا من ذنبه كان حقا على الله أن يغفر له ذنوبه، ومن كان عليه دين فليقضه، فإن العبد مرتهن بدينه، ومن أصبح منكم مصارما مسلما فليلقه فيصالحه إذا لقيه، وليصافحه، فإنه لا ينبغى لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام، والذنب فى ذلك عظيم عند الله، وإنكم أيها المسلمون قد فجعتم برجل، والله ما أزعم أنى رأيت منكم عبدا من عباد الله - قط - أقل غمرا، ولا أبرأ صدرا، ولا أبعد من الغائلة، ولا أنصح للعامة، ولا أشد عليهم تحننا وشفقة منه، فترحموا عليه، ثم احضروا الصلاة عليه.

غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، والله لا يلى عليكم مثله أبدا، فاجتمع الناس، وأخرج أبو عبيدة، فتقدم معاذ فصلى عليه، حتى إذا أتى به قبره، دخل قبره معاذ،

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥).

(٢) تاريخ الذهبى ص (١٧٤).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٦).

(٤) الاكتفاء (٣/ ٣٠٦)

وعمرو بن العاص، والضحاك بن قيس، فلما سفوا عليه التراب، قال معاذ: رحمك الله أبا عبيدة، فوالله لأثنين عليه بما علمت، والله لا أقولها باطلا، وأخاف أن يلحقنى من الله مقت، كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيرا، ومن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، ومن الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، وكنت والله ما علمت من المخبتين المتواضعين، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الجفاة المتكبرين(١). ولم يكن أحد من الناس أشد جزعا على فقد أبى عبيدة من معاذ، ولا أطول حزنا عليه منه(٢)، وكتب معاذ إلى عمر رضى الله عنهما بوفاة أبى عبيدة فجاء فى الرسالة: أما بعد، فاحتسب امرأ كان لله أمينا، وكان الله فى نفسه عظيما، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزا، أبا عبيدة بن الجراح، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه، وبالله نثق له، كتبت إليك وقد فشا الموت، وهذا الوباء فى الناس، ولن يخطئ أحدا أجله، ومن لم يمت فسيموت، جعل الله ما عنده خيرا له من الدنيا وإن أبقانا أو أهلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته(٣)، فلما وصل الكتاب إلى عمر فقرأه بكى بكاء شديدا ونعى أبا عبيدة إلى جلسائه(٤)، فبكى القوم وحزنوا حزنا شديدا مع التسليم بالقضاء والقدر.

٣- وفاة معاذ بن جبل رضى الله عنه:

بعد وفاة أبى عبيدة رضى الله عنه، صلى معاذ بالناس أياما واشتد الطاعون، وكثر الموت فى الناس، فقام خطيبا فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين من قبلكم، وإن معاذا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم، فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ(٥)، فلما رآه قال ابنه: الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، قال: يا بنى، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات - يرحمه الله- وصلى عليه معاذ، ودفنه فلما رجع معاذ إلى بيته طعن، فاشتد به

(١، ٢) الاكتفاء (٣/٣٠٧).

(٣) المصدر نفسه (٣/٣٠٩).

(٤) المصدر نفسه (٣/٣١٠).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/٣٦).

وجعه، وجعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتوه أقبل عليهم فقال لهم: اعملوا وأنتم فى مهلة وحياة، وفى بقية من آجالكم، من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلا، وأنفقوا مما عندكم من قبل أن تهلكوا وتدعوا ذلك ميراثا لمن بعدكم، واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشربتم ولبستم وأنفقتم فأعطيتم فأمضيتم، وما سوى ذلك فلوارثين، فلما اشتد به وجعه جعل يقول: رب اخنقنى خنقك(١)، فأشهد أنك تعلم أنى أحبك(٢)، ولما حضرته الوفاة قال: مرحبا بالموت، مرحبا بزائر جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكننى كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، وطول الساعات فى النهار ولظمأ الهواجر، فى الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب فى حلق الذكر(٣)، وكان عمره عند وفاته ٣٨ عاما(٤)، واستخلف بعده عمرو بن العاص، فصلى عليه عمرو، ودخل قبره فوضعه فى لحده، ودخل معه رجال من المسلمين، فلما خرج عمرو من قبره، قال: رحمك الله يا معاذ، فقد كنت ما علمناك؛ من نصحاء المسلمين ومن خيارهم، وكنت مؤدبا للجاهل، شديدا على الفاجر، رحيما بالمؤمنين(٥).

وتولى قيادة الجيوش بعد موت أبى عبيدة رضى الله عنه ومعاذ بن جبل عمرو بن العاص فقام فى الناس خطيبا: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه فى الجبل، ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفعه الله عنهم(٦)، وكتب عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فقال له: سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإن معاذ بن جبل رحمه الله مات، وقد فشى الموت فى المسلمين، وقد استأذنونى فى التنحى إلى البر، وقد علمت أن إقامة المقيم لا تقربه من أجله، وإن هروب الهارب منه لا يباعده من أجله، ولا يدفع به قدره والسلام عليك

---

(١) الاكتفاء (٣/٣٠٨)، المقصود: أمتنى.

(٢) المصدر نفسه (٣/٣٠٨).

(٣، ٤) حلية الأولياء (١/٢٢٨ - ٢٤٤).

(٥) الاكتفاء (٣/٣٠٩).

(٦) البداية والنهاية (٧/٩٥).

ورحمة الله وبركاته[١]، ولما وصل كتاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين ينعى فيه معاذا، وكانت وفاة معاذ على أثر أبى عبيدة رضى الله عنهم، فجزع عليه جزعا شديدا، وبكى عمر والمسلمون، وحزنوا عليه حزنا عظيما، وقال عمر - ضى الله عنه -: رحم الله معاذا والله لقد رفع الله لهلاكه من هذه الأمة علما جما، ولرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه، ورأيناها أدت إلى خير وبركة، ورب علم أفادناه، وخير دلنا عليه، جزاه الله جزاء الصالحين[٢]، وأما ثالث القادة المشهورين الذين أصيبوا بالطاعون، وكان أفضل بنى سفيان ويقال له يزيد الخير فهو يزيد بن أبى سفيان، ومن القادة العظام الذين استشهدوا بطاعون عمواس شرحبيل بن حسنة[٣].

٤- خروج الفاروق إلى الشام وترتيبه للأمور:

تأثر الفاروق وحزن حزنا عظيما لموت قادته العظام وجنوده البواسل بسبب الطاعون فى الشام، وجاءته رسائل الأمراء من الشام تتساءل عن الميراث الذى تركه الأموات خلفهم، وعن أمور عديدة، فجمع الناس واستشارهم فيما جد من أمور وعزم على أن يطوف على المسلمين فى بلدانهم، لينظم لهم أمورهم، واستقر رأى عمر بعد تبادل وجهات النظر مع مجلس الشورى أن يبدأ بالشام، فقد قال: إن مواريث أهل الشام قد ضاعت فأبدأ بالشام فاقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ثم أرجع فأتقلب فى البلاد وأبدى لهم أمرى، فسار عن المدينة واستخلف على بن أبى طالب رضى الله عنه[٤]، فلما قدم الشام، قسم الأرزاق، وسمى الشواتى[٥]، والصوائف[٦]، وسد فروج الشام ومسالحها[٧]، وولى الولاة، فعين عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة، واستعمل معاوية على دمشق، ورتب أمور الجند والقادة والناس، وورث الأحياء من

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص (٤٩٠).
(٢) الاكتفاء (٣/٣١٠).
(٣) الكامل فى التاريخ (٢/١٧١، ١٧٢)، تاريخ الذهبى ص (١٨١).
(٤) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رضا ص (٢٣٠).
(٥) الشواتي: جمع شاتية وهى السرية التى تغزو فى الشتاء.
(٦) الصوائف: جمع صائفة وهى التى تغزو فى الصيف.
(٧) المسالح: الثغور.

الأموات[1]، ولما حضرت الصلاة قال له الناس: لو أمرت بلالا فأذن فأمره فأذن فما بقى أحد أدرك النبى ﷺ وبلال يؤذن إلا وبكى حتى بل لحيته وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله ﷺ[2]، وقبل أن يرجع إلى المدينة خطب فى الناس: ألا وإنى قد وليت عليكم وقضيت الذى على فى الذى ولانى الله من أمركم إن شاء الله، فبسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم، ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج، وبوأنا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيئكم وما قلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئًا ينبغى العمل به، فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[3]، وكانت هذه الخطبة قبل الصلاة المذكورة، لقد كان طاعون عمواس عظيم الخطر على المسلمين وأفنى منهم أكثر من عشرين ألفا وهو عدد يوازى نصفهم بالشام وربما تخوف من ذلك المسلمون يومئذ واستشعروا الخطر من قبل الروم، وفى الحقيقة لو تنبه الروم لهذا النقص الذى أصاب جيش المسلمين بالشام يومئذ وهاجموا البلاد لصعب على الجيوش المرابطة دفعهم ولكن ربما كان اليأس تمكن من نفوس الروم فأقعدهم عن مهاجمة المسلمين خصوصًا إذا كان أهل البلاد راضين بسلطة المسلمين مرتاحى القلوب إلى سلطانهم العادل وسيرتهم الطيبة الحسنة وبدون الاستعانة بهم لا يتيسر للروم مهاجمة الشام لاسيما إذا أضفنا إلى هذا ملل القوم من الحرب وإخلادهم إلى الراحة من عناء المقاومة لقوم أصبح النصر حليفهم فى كل مكان ودب الرعب من سطوتهم فى قلب كل إنسان[4].

٥- حكم الدخول والخروج فى الأرض التى نزل بها الطاعون:

قال رسول الله ﷺ: **«إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»**[5]، وقد اختلف الصحابة فى مفهوم النهى عن الخروج والدخول، فمنهم من عمل به على ظاهره، ومنهم من تأوله، والذين تأولوا النهى أباحوا خروج من وقع فى أرضه الطاعون، وقد مر علينا حرص الفاروق على إخراج أبى عبيدة من الأرض

---

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص ٣٢٥، الفاروق، محمد رشيد ص ٢٣٠.

(٢) خلاصة تاريخ ابن كثير، الخلافة الراشدة ص ٢٣٦.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٧٩).

(٤) أشهر المشاهير (٢/ ٣٦١).

(٥) مسلم، ك السلام رقم (٢٢١٩).

التى وقع فيها الطاعون إلا أن أبا عبيدة اعتذر رضى الله عنه، كما أن الفاروق طلب من أبى عبيدة أن يرتحل بالمسلمين من الأرض الغمقة التى تكثر فيها المياه والمستنقعات إلى أرض نزهة عالية، ففعل أبو عبيدة، وكانت كتابة عمر إلى أبى عبيدة، بعد أن التقيا فى سرغ، وسمعا حديث عبد الرحمن بن عوف بالنهى عن الخروج والقدوم إلى أرض الوباء، ورجع عمر إلى المدينة، ويظهر أن الوباء كان فى بدايته ولم يكن قد استشرى واشتعل لهيبه، فلما رجع عمر إلى المدينة وصلته أخبار بكثرة الموت من هذا الطاعون.

ومفهوم عمر رضى الله عنه بجواز الخروج من أرض الطاعون، نقل أيضا عن بعض الصحابة الذين عاصروا أبا عبيدة فى الشام وعاشوا محنة المرض، كعمرو بن العاص، وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهم، والخلاف جار فى مسألة الخروج من أرض الطاعون لا فى الدخول إلى أرض الطاعون. فبعضهم أباح الخروج على ألا يكون الخروج فرارا من قدر الله، والاعتقاد بأن فراره هو الذى سلمه من الموت، أما من خرج لحاجة متمحضة فهو جائز، ومن خرج للتداوى فهو جائز، فإن ترك الأرض الوبئة والرحيل إلى الأرض النزهة مندوب إليه ومطلوب، وأما تعليل أبى عبيدة رضى الله عنه بقاءه واعتذاره للفاروق عن الخروج، فراجع إلى أسباب صحية واجتماعية وسياسية وقيادية ينظمها الدين فى نظامه، وتعد مثلا أعلى للقيادة الأمينة وأبو عبيدة أمين هذه الأمة، حيث قال معللا سبب ثباته: إنى فى جند من المسلمين ولا أجد بنفسى رغبة عنهم، وقد أصاب بعض العلماء المفصل عندما ذكر من حكمة النهى عن الخروج فرارا من الطاعون: أن الناس لو تواردوا على الخروج، لصار من عجز عنه - بالمرض المذكور أو غيره - ضائع المصلحة، لفقد من يتعهده حيا وميتا، ولو أنه شرع الخروج، فخرج الأقوياء لكان فى ذلك كسر قلوب الضعفاء، وقد قالوا: إن حكمة الوعيد من الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر، وادخال الرعب فيه بخذلانه، والخلاصة: أن البقاء رخصة، والخروج رخصة، فمن كان فى الوباء وأصيب، فلا فائدة من خروجه، وهو بخروجه ينقل المرض إلى الناس الأصحاء، ومن لم يصب فإنه يرخص له فى الخروج من باب التداوى على ألا يخرج الناس جميعا، فلابد أن يبقى من يعتنى بالمرضى[1].

---

(١) أبو عبيدة عامر بن الجراح، شراب ص (٢٣٢ - ٢٣٧).

الفصل الرابع
المؤسسة المالية والقضائية
وتطويرها في عهد عمر رضى الله عنه
المبحث الأول
المؤسسة المالية

أولاً: مصادر دخل الدولة في عهد عمر رضى الله عنه:

نظر المسلمون في العصر الراشدي إلى المال بكل أشكاله وأنواعه بأنه مال الله، وبأن الإنسان مستخلف فيه، يتصرف فيه بالشروط التي وضعها المولى عز وجل، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في كل أمر يتعلق بالمال وإنفاقه فيقول: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، وقوله تعالى يتحدث عن البر وهو جماع الخير ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ وإيتاء المال اعتراف من المسلم – ابتداء – بأن المال الذي في يده هو رزق الله له: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ لأنه خلقه هو، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق انبثق البر بعباد الله(١).

وعلى هذا الأساس الإيماني نظر الفاروق إلى مال الدولة التي توسعت مواردها في عصره، حيث فتحت الدولة بلدانًا واسعة، وخضعت لحكمها شعوب كثيرة، فنظم علاقة الدولة مع هذه الشعوب، فمنهم من دخل في حكم الدولة صلحًا، ومنهم من دخل في حكمها كرهًا، وتبعًا للفتح آلت إليها أرض غلبت عليها عنوة (بقوة السلاح)، وأراضٍ صالح أصحابها، وأرض جلا عنها مالكوها أو كانت ملكًا لحكام البلاد السابقين ورجالهم، ومن شعوب هذه البلاد كتابيون (أهل كتاب كاليهود والنصارى) نظم الفاروق طريق التعامل معهم وفق شرع الله المحكم.

وقد قام عمر رضى الله عنه بتطوير النظام المالي في دولته سواء في الموارد أو الإنفاقات أو ترتيب حقوق الناس من خلال نظام الدواوين، وقد أخذت موارد الدولة تزداد في

---

(١) دراسات في الحضارة الإسلامية أحمد إبراهيم الشريف ص(٢٥٣).

عصر عمر رضى الله عنه، وشرع فى تطويرها، ورتب لها عمالاً للإشراف عليها فكانت أهم مصادر الثروة فى عهده: الزكاة، والغنائم، والفيء، والجزية، والخراج، وعشور التجار، فعمل الفاروق على تطوير هذه المصادر واجتهد فى القضايا وفق مقاصد الشريعة التى وضعت لمصالح العباد، فقد أخذت الدولة تستجد فيها ظروف لم تكن موجودة فى عهد رسول الله ﷺ[1]، وكان عمر رضى الله عنه منفذا للكتاب والسنة تنفيذاً عبقرياً، لا يستأثر بالأمر دون المسلمين، ولا يستبد بالرأى فى شأن من الشئون، فإذا نزل به أمر جمع المسلمين يستشيرهم ويعمل بآرائهم[2]، وأما أهم مصادر الثروة فى عهد الفاروق فهى الآتى:

١- الزكاة:

هى الركن الاجتماعى البارز فى أركان الإسلام، وأول تشريع سماوى إسلامى، فرض فى أموال أغنياء المسلمين، لتؤخذ منهم، وترد إلى الفقراء، بحسب أنصبتها المعروفة فى الزروع والثمار، والذهب والفضة وعروض التجار والماشية، ليكون هناك نوع من التضامن والتكافل الاجتماعى، والمحبة والألفة بين الأغنياء والفقراء، فالزكاة تكليف يتصل بالمال، والمال كما يقولون عصب الحياة، فمن الناس سعيد بالمال، ومنهم شقى به، وهذه سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ونظراً لما للمال من أثر فى حياة الناس فقد عنى الإسلام بأمره أشد العناية، واهتم بالزكاة غاية الاهتمام، ووضع لها نظامًا دقيقًا حكيمًا رحيمًا، يؤلف بين القلوب[3]، ولذلك سار الفاروق على نهج رسول الله ﷺ وأبى بكر، فقام بتنظيم مؤسسة الزكاة، وتطويرها، فأرسل المصدقين لجمع الزكاة فى أرجاء الدولة الإسلامية بعد أن أسلم الكثير من سكان البلاد المفتوحة، وكان العدل فى جباية الأموال، صفة الخلافة الراشدة دون الإخلال بحقوق بيت المال، وقد أنكر الفاروق على عامل من عمال الزكاة أخذه لشاة كثيرة اللبن ذات ضرع عظيم قائلاً: ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون، لا تفتنوا الناس[4]، وقد جاء ناس من أهل الشام إلى عمر، فقالوا: إنا قد أصبنا أموالاً وخيلاً ورقيقًا نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور، قال عمر: ما فعله صاحباى قبلى فأفعله،

---

(١) دراسات فى الحضارة الإسلامية، الشريف ص(٢٥٤).

(٢) مبادئ النظام الاقتصادى الإسلامى د. سعاد إبراهيم صالح ص(٢١٣).

(٣) سياسة المال فى الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب، عبد الله جمعان السعدى ص(٨).

(٤) الموطأ (١/٢٥٦)، عصر الخلافة الراشدة ص(١٩٤).

واستشار أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم علی، فقال علی: هو حسن، إن لم يكن جزية راتبة يؤخذون بها من بعدك[1]، وقد ذكر الدكتور أكرم ضياء العمرى أن الصحابة اقترحوا على عمر فرض الزكاة على الرقيق والخيل بعد ما توسعت ملكية الرقيق والخيل فى أيدى المسلمين، فعد عمر الرقيق والخيل من أموال التجار وفرض على الرقيق الصبيان والكبار ديناراً (عشرة دراهم) وعلى الخيل العربية عشرة دراهم وعلى البراذين (الخيل غير العربية) خمسة دراهم، ويفهم أنه لم يفرض الزكاة فى رقيق الخدمة والخيل المعدة للجهاد لأنها ليست من عروض التجارة، بل إنه عوض من يدفع زكاتهما كل شهرين جربين (حوالى ٢٠٩ كيلو جرامات من القمح) وهو أكثر قيمة فى الزكاة وذلك لحديث رسول الله ﷺ: «**ليس على المسلم فى فرسه ولا فى عبده صدقة**»[2].

وقد أخذ من الركاز (المال المدفون) - إذا عثر عليه - الخمس، وحرص على تداول الأموال وتشغيلها لئلا تذهب بها الزكاة مع تعاقب الأعوام[3]، فكان عنده مال ليتيم فأعطاه للحكم بن العاص الثقفى ليتجر به[4]، إذ لم يجد عمر وقتًا للتجارة لانشغاله بأمور الخلافة، وعندما صار الربح وفيراً من عشرة آلاف درهم إلى مائة ألف شك عمر فى طريقة الكسب، ولما علم أن التاجر استغل صلة اليتيم بعمر رفض جميع الربح واسترد رأس المال حيث اعتبر الربح خبيثًا[5]، فهو يعمل بمبدأ فرضه على ولاته وهو رفض استغلال مواقع المسئولية فى الدولة، ومن هنا قاسم الولاة ثروتهم إذا نمت بالتجارة[6]، وسيأتى بيان ذلك عند الحديث عن الولاة بإذن الله تعالى.

وقد أخذ عمر فى زكاة الزروع العشر فيما سقته الأمطار والأنهار ونصف العشر فيما سقى بالآلة[7]، وهو الموافق للسنة، وكان يوصى بالرفق بأصحاب البساتين عند تقدير الحاصل من الثمر[8]، وأخذ زكاة عشرية من العسل إذا حمت الدولة وادى النحل

---

(١) الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (٨٢)، إسناده صحيح.

(٢) البخارى رقم (١٤٦٣)، وأحمد (٧٢٥٣)، والترمذى رقم (٦٢٨) وقال الترمذى: والعمل عليه عند أهل العلم.

(٣) عصر الخلافة الراشدة ص(١٩٤، ١٩٥).

(٤) المصدر نفسه ص١٩٥، الأموال لابن زنجويه (٣/ ٩٩٠) الأثر صحيح.

(٥) الأموال ابو عبيد ص(٤٤٥) والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص(١٩٥).

(٦) عصر الخلافة الراشدة ص(١٩٥).

(٧) المصنف (٤/ ١٣٤، ١٣٥) والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص(١٩٥).

(٨) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥ والأثر صحيح.

لمستثمره[1]، وقد كثرت الحنطة فى خلافته، فسمح بإخراج زكاة الفطر من الحنطة بنصف وزن ما كانوا يؤدونه قبل خلافته من الشعير أو التمر أو الزبيب[2]، وهذا فيه تيسير على الناس، وقبول للمال الأنفس فى الزكاة وإن تفاوت الجنس[3]، وأما بخصوص مقادير أموال الزكاة التى كانت تجنى كل عام فأمر غير معروف، والإشارات التى تذكر بعض الأرقام إشارات جزئية وغير دقيقة، ولا تنفع فى إعطاء تقدير كلى، وقد قيل إن عمر بن الخطاب حمى أرض الربذة لنعم الصدقة، وكان يحمل عليها فى سبيل الله، وكان مقدار ما يحمل عليه كل عام فى سبيل الله أربعين ألفًا من الظهر[4]، وأما الموظفون الذين أشرفوا على هذه المؤسسة فقد ذكرت المصادر أسماء عدد منهم فى خلافة عمر رضى الله عنه وهم، أنس بن مالك، وسعيد بن أبى ا لذباب على السراة، وحارث بن مضرب العبدى، وعبد الله بن الساعدى، وسهل بن أبى حثمة، ومسلمة بن مخلد الأنصارى، ومعاذ بن جبل على بنى كلاب، وسعد الأعرج على اليمن، وسفيان بن عبد الله الثقفى كان واليًا على الطائف فكان يجبى زكاتها[5].

٢- الجزية:

هى الضريبة التى تفرض على رؤوس من دخل ذمة المسلمين من أهل الكتاب[6]، وقيل: هى الخراج المحمول على رؤوس الكفار إذلالاً لهم (وصغاراً)[7] لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وتؤخذ الجزية من أهل الكتاب: وهم اليهود والنصارى وهو إجماع لا خلاف فيه ومن لهم شبهة كتاب: وهم المجوس، وقد حار عمر رضى الله عنه فى أمرهم فى أول الأمر، أيأخذ منهم الجزية؟ أو لا يأخذها؟ حتى قطع عبد الرحمن بن عوف حيرته حين

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥ والأثر صحيح.

(٢) نفس المصدر نفسه ص(١٩٦) والأثر صحيح.

(٣) فتح البارى (٣/٣١٣) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص(١٩٦).

(٤) الحياة الاقتصادية فى العصور الإسلامية الأولى د. محمد بطاينة ص(١٠٤).

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص(١٩٦، ١٩٧).

(٦) السياسة الشرعية لابن تيمية ص(١١٣، ١١٤)، المعاهدات فى الشريعة د. الديك ص(٣١٣).

(٧) أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية حسين المِمّى ص(٣٩).

حدثه أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر(١)، فقد روى ابن أبى شيبة وغيره أن عمر كان بين القبر والمنبر فقال: ما أدرى ما أصنع بالمجوس، وليسوا بأهل كتاب، فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **سنوا بهم سنة أهل الكتاب**(٢)، وفى حديث آخر أن عمر لم يرد أن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر(٣)، وقد علل العلماء أخذها من المجوس بأنهم كانوا فى الأصل أهل كتاب، وإنما طرأت عليهم عبادة النار بعد ذلك، وعندئذ أخذها من أهل السواد(٤) وأخذها من مجوس فارس وكتب لجزء بن معاوية: انظر مجوس من قبلك فخذ منهم الجزية، فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرنى أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر(٥).

وهى تجب على الرجال الأحرار العقلاء، ولا تجب على امرأة ولا صبى ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع وذرارى، كما أن الجزية لا تؤخذ من المسكين الذى يتصدق عليه ولا من مقعد، والمقعد والزمن إذا كان لهما يسار أخذت منهما،وكذلك الأعمى وكذلك المترهبون الذين فى الديارات إذا كان لهم يسار أخذ منهم وإن كانوا مساكين يتصدق علهيم أهل اليسار لم يؤخذ منهم(٦)، وتسقط الجزية، بالموت، فإذا مات من تجب عليه الجزية سقطت الجزية، لأن الجزية واجبة على الرؤوس، فإذا فاتت الرؤوس بالموت سقطت، وبالإسلام، فإذا أسلم من فرضت عليه الجزية، سقطت عنه بإسلامه، فقد أسلم رجلان من أهل أليس، فرفع عنهما جزيتهما(٧)، وأسلم الرقيل دهقان النهرين ففرض له عمر فى ألفين ووضع عن رأسه الجزية(٨).

ومن الجدير بالذكر أن الجزية تسقط عن العام الذى أسلم فيه الذمى، سواء كان إسلامه فى أوله أو فى وسطه أو فى آخره، قال عمر: إن أخذ الجزية الجابى بكفه ثم أسلم

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب (٢٣٥).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٣٥) نقلاً عن مصنف ابن أبى شيبة (١/١٤١).

(٣) البخارى، ك الجزية والموادعة رقم (٣١٥٧).

(٤) سواد العراق.

(٥) البخارى، رقم (٣١٥٧).

(٦) أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية ص (٤٢).

(٧) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٢٣٨).

(٨) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٢٣٨) نقلاً عن المحلى (٧/٣٤٥).

صاحبها ردها عليه(١)، وتسقط بالافتقار، فإذا افتقر الذمى بعد غنى وأصبح غير قادر على دفع الجزية سقطت عنه الجزية، وقد أسقطها عمر عن الشيخ الكبير الضرير البصر عندما رآه يسأل الناس(٢) وفرض له ما يعوله من بيت المال، وتسقط عند عجز الدولة عن حماية الذميين، لأن الجزية ما هى إلا ضريبة على الأشخاص القاطنين فى أقاليم الدولة الإسلامية، وتدفع هذه الضريبة فى مقابل انتفاعهم بالخدمات العامة للدولة، علاوة على أنها نظير حمايتهم والمحافظة عليهم، وبدل عدم قيامهم بواجب الدفاع عن الدولة ومواطنيها(٣)، ومن الأدلة على أن الجزية فى مقابل الحماية، ما قام به أبو عبيدة بن الجراح، حينما حشد الروم جموعهم على حدود البلاد الإسلامية الشمالية، فكتب أبو عبيدة إلى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم أموالهم التى جبيت منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم (أى الروم)، فلو كانوا هم ما ردوا علينا شيئًا وأخذوا كل شيء بقى لنا حتى لا يدعوا لنا شيئًا(٤)، كما تسقط إذا قاموا هم بعبء الدفاع بتكليف من الدولة كما حدث فى العهد الذى وقعه سراقة بن عمرو مع أهل طبرستان بعد أن وافقه عمر على ذلك(٥).

وأما قيمتها فقد كانت غير محددة واختلفت من إقليم لآخر بحسب قدرة الناس، وظروف الإقليم، فقد وضع على أهل السواد، ثمانين وأربعين درهمًا، وأربعة وعشرين درهمًا، بحسب حال كل واحد من اليسار، يؤخذ ذلك منهم كل سنة، وإن جاءوا بعرض قبل منهم مثل الدواب والمتاع وغير ذلك ويؤخذ منهم بالقيمة(٦)، وجعل على أهل الشام أربعة دنانير، وأرزاق المسلمين من الحنطة مُدَّيْن، وثلاثة أقساط من زيت لكل

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٢٣٩) نقلاً عن المغنى (٨/٥١١).

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٢٣٩).

(٣) المعاهدات فى الشريعة الإسلامية د. الديك ص (٣١٤).

(٤) فتوح البلدان ص (١٤٣)، الموارد المالية د. يوسف عبد المقصود ص (٢٢٨).

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية د، جميل المصرى ص (٣٢٧).

(٦) دور الحجاز فى الحياة السياسية ص (٢٣٠).

فرد، وعلى أهل الفضة أربعين درهمًا وخمسة عشر صاعًا لكل إنسان، وعلى أهل مصر دينارين لكل حالم إلا أن يكون فقيراً(١)، وأما أهل اليمن فقد خضعت للإسلام فى عهد النبوة، وفرضت الجزية على كل رجل دينارا أو عدله معافر، وتشير روايات ضعيفة إلى بقاء هذه الجزية على أهل اليمن دون تغير فى خلافة عمر، ورغم ضعفها فإنها تتفق مع سياسة عمر فى مراعاة أحوال الرعية، وعدم تغيير الإجراءات النبوية(٢)، فالجزية كانت تختلف بحسب يسار الناس وبحسب غنى الإقليم كذلك، وكانت تخضع للاجتهاد بما يكون من طاقة أهل الذمة بلا حمل عليهم ولا إضرار(٣)، وكان عمر يأمر جباة الجزية بأن يرفقوا بالناس فى جبايتها، وعندما أُتى عمر بمال كثير فقال: إنى لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفواً صفواً، قال: بلا سوط ولا نوط؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله الذى لم يجعل ذلك على يدى ولا فى سلطانى(٤)، ومن أشهر الموظفين فى هذه المؤسسة عثمان بن حنيف، وسعيد بن حذيم، وولاة الأمصار كعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم.

وقد نظمت الجزية بمجموعة من الأحكام والقوانين استمدها الفقهاء والمشرعون من نصوص القرآن والسنة وعمل الخلفاء الراشدين، ودلت تلك الأحكام على أن مؤسسة الجزية من مصادر الدولة الإسلامية، كما أن لها صفة سياسية، فدفع أهل الذمة للدولة دليل على إخلاصهم لها وخضوعهم لأحكامها وقوانينها والوفاء بما عاهدوا عليه(٥)، ويذهب الأستاذ حسن الممى بأن مؤسسة الجزية لها صبغة سياسية أكثر منها صبغة مالية(٦)، والحقيقة أن هذه المؤسسة جمعت بين الصبغتين وهى من مصادر الثروة فى الدولة الإسلامية.

- أخذ عمر الصدقة مضاعفة من نصارى تغلب:

كان بعض عرب الجزيرة من النصارى قد رفضوا دفع الجزية لكونهم يرونها منقصة ومذمة، فبعث الوليد برؤساء النصارى وعلمائهم إلى أمير المؤمنين فقال لهم: أدوا الجزية، فقالوا لعمر: أبلغنا مأمننا، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخل أرض والله

---

(١) دور الحجاز فى الحياة السياسية ص (٢٣٠).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص (١٧٣).

(٣) المصدر نفسه ص (١٦٧).

(٤) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٢٤٣).

(٥، ٦) أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية ص (٤٣).

لتفضحنا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية، والله لتؤدنه وأنتم صغرة قمأة (يعنى حقيرين) ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم، ثم لأسبينكم، قالوا: فخذ منا شيئًا ولا تسمه جزاء، فقال: أما نحن فنسميه جزاء وسموه أنتم ما شئتم، فقال له على بن أبى طالب: يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه فرضى به منهم جزاء، فرجعوا على ذلك(١)، ومن هذا الخبر نأخذ درسًا فى معاملة المتكبرين من الأعداء، الذين يخاطبون المسلمين بعزة وأنفة ويهددون باللجوء إلى دول الكفر، فنجد أمير المؤمنين خاطبهم بعنف وحقرهم وهددهم إذا لجأوا إلى الكفار بالسعى فى إحضارهم ومعاملتهم كمعاملة الحربيين من سبى ذراريهم ونسائهم، وهذا أشد عليهم كثيراً من دفع الجزية، فهذا الجواب القوى أزال ما فى رؤوسهم من الكبرياء والتعاظم، فرجعوا متواضعين يطلبون من أمير المؤمنين أن يوافق على أخذ ما يريد من غير أن يسمى ذلك جزية، وهنا تدخل على رضى الله عنه وكان لرأيه مكانة عند عمر لفقهه فى الدين، فأشار عليه بأن يضعف الصدقة كما فعل سعد بن أبى وقاص بأمثالهم، فقبل ذلك أمير المؤمنين تألفا لهم ومنعا من محاولة اللجوء إلى دول الكفر، وقد أصبح هذا الرأى مقبولاً حينما وقع موقعه، وذلك بعد ما أزال أمير المؤمنين ما فى نفوسهم من العزة والكبرياء، فأما لو قبل ذلك منهم فى بداية العرض فإنهم سيعودون بكبريائهم، ولا يؤمن منهم بعد ذلك أن ينقضوا العهد ويسيئوا إلى المسلمين(٢).

وقد جاء فى رواية عن قصة بنى تغلب، بأنهم دعوا إلى الإسلام فأبوا، ثم إلى الجزية فلم يطمئنوا إليها، وولوا هاربين يريدون اللحاق بأرض الروم، فقال النعمان بن زرعة لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بنى تغلب قوم عرب، يأنفون من الجزية، و ليست لهم أموال، إنما هم أصحاب حروث ومواشى، ولهم نكاية فى العدو فلا تعن عدوك عليك بهم قال: فصالحهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، علي أن ضاعف عليهم الصدقة(٣).. وقال: هى جزية وسموها ما شئتم(٤)، فقال بنو تغلب: أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلج

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٠) وقد ضعف الدكتور العمرى هذه الرواية، انظر عصر الخلافة الراشدة ص(١٦٧).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١/ ١٤١، ١٤٢).

(٣) الأموال (١/ ٣٧) نقلاً عن سياسة المال فى الإسلام عبد الله جمعان ص (٧٢).

(٤) فتح القدير (١/ ٥١٤)، سياسة المال فى الإسلام ص (٧٢).

فإنا نرضى ونحفظ ديننا(١)، والسر فى قبول الخليفة عمر رضى الله عنه، الصدقة من بنى تغلب وهل تعد صدقة أم جزية؟ يرجع إلى أن الاختلاف فى التسمية أمر قد تسوهل فيه ورضى الخليفة به ما دام فى ذلك المصلحة العامة، والذى دفعه إلى ذلك خشية انضمام بنى تغلب إلى الروم وما كان يرجوه من إسلامهم ليكونوا عونا للمسلمين على أعدائهم، ولأن هؤلاء قوم من العرب لهم من العزة والأنفة ما يبرر حفظ كرامتهم، وأن ما يرد إلى بيت المال من أموالهم خير للمسلمين وأجدى على خزانة الدولة من هربهم وانضمامهم إلى صفوف الروم(٢)، أما من ناحية هل هى صدقة أم جزية؟ فهى جزية لأنها تصرف فى مصارف الخراج ولأن الصدقة لا تجب على غير المسلمين، ولأن الجزية فى نظير الحماية وكان بنو تغلب فى حماية المسلمين، وفى الوقت نفسه يمكننا أن نقول إنها ليست بجزية عمليا، لأن ما فرض على نصارى بنى تغلب كان على الأموال التي تفرض عليها الزكاة، فكل شيء على المسلمين فيه زكاة كالزروع والثمار والماشية والنقدين.. فهو عليهم مضاعف يؤخذ من النساء كما يؤخذ من الرجال ولم يكن على الأشخاص وهذا ينافى معنى الجزية عرفًا(٣)، والمهم فى كلتا الحالتين باعتبارها صدقة أو جزية فهى ضريبة بينت مدى خضوعهم لسلطة الإسلام(٤).

هذا وقد كانت هنالك حقوق والتزامات كثيرة للعرب على البلاد المفتوحة عدا الجزية، وقد تنوعت هذه الحقوق وتطورت أيام الخليفة عمر رضى الله عنه، فمن ذلك ضيافة الحاكم إذا وفد، والرسل والسفراء ومن نزل من المسلمين بأهل البلاد، وقد حددت مدة الضيافة فى خلافة عمر رضى الله عنه بثلاثة أيام، مما يأكلون ولا يكلفون بذبح شاة ولا دجاجة ولا مما لا طاقة لهم به(٥)، وقد مر معنا عند حديثنا عن التطوير العمرانى فى عهد عمر، أن بعض الاتفاقيات فى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه اشتملت على إصلاح الطرق، وإنشاء الجسور وبناء القناطر، وقد تطور نظام الجزية فى عهد عمر رضى

(١) فتوح البلدان ص (١٨٦)، سياسة المال فى الإسلام ص (٧٢)، يعتبر كتاب سياسة المال فى عهد عمر بن الخطاب للأستاذ عبد الله جمعان السعدى هو العمدة فى مبحث المؤسسة المالية فقد قمت بتلخيصه وإضافة بعض الأشياء.

(٢) سياسة المال فى الإسلام ص (٧٢).

(٣) المصدر نفسه ص (٧٣)، النظام الإسلامى المقارن ص (٣٩).

(٤) سياسة المال فى الإسلام ص (٧٣).

(٥) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص (١٦٤).

الله عنه، فأحصى السكان، وميز بين الغنى والفقير ومتوسط الحال، واستحدث كثيراً من الشروط والالتزامات فى نصوص المعاهدات مما لم يعرف من قبل، وذلك لاتساع العمران، وبسط السلطان على مصر والشام والعراق، ومخالطة المسلمين لأهل البلاد واتصالهم الدائم بحضارتها مما مكنهم من سياسة الدولة وشئون العمران، وما تتطلبه طبيعة التدرج والنمو، فأوجدوا ما لم يكن موجوداً من إصلاح الطرق والعمران وبناء القناطر والجسور التى هى عون الأمم المتحضرة، ومن هنا انتظمت الأمور، واتسعت البلاد ورسخت قواعد النظم المالية وغيرها(١).

- شروط عقد الجزية ووقت أدائها:

وقد استنبط الفقهاء من خلال عصر الخلفاء الراشدين مجموعة من الشروط:

- أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له.
- أن لا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب ولا ازدراء.
- أن لا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه.
- أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح.
- أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ولا دينه.
- وأن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغنياءهم(٢).

وأما وقت أدائها فقد حدد الخليفة عمر رضى الله عنه وقت أداء الجزية فى آخر الحول ومرادنا به آخر العام الزراعى، و يرجع هذا التغيير فى وقت أداء الجزية فى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه إلى حالة الاستقرار، والاستقرار يدعو إلى التنظيم وتعيين الأوقات المناسبة للدولة والمكلفين بدفع الجزية، كما أن تحصيلها وقت إتيان الغلات – وهو ما يعبر عنه المؤرخون بآخر العام – فيه دفع للمشقة، وتسهيل على المكلفين وراحة للدافعين(٣).

٣- الخراج:

الخراج له معنيان: عام وهو كل إيراد وصل إلى بيت مال المسلمين من غير الصدقات،

---

(١) سياسة المال فى الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب ص (١٧٤).

(٢) سياسية المال فى الإسلام فى عهد عمر ص (٧٦).

(٣) المصدر نفسه ص (٦٧).

فهو يدخل فى المعنى العام للفىء، ويدخل فيه إيراد الجزية وإيراد العشور وغير ذلك، وله معنى خاص: وهو إيراد الأراضى التى افتتحها المسلمون عنوة وأوقفها الإمام لمصالح المسلمين على الدوام، كما فعل عمر بأرض السواد من العراق والشام(١)، والخراج كما قال ابن رجب الحنبلى لا يقاس بإجارة ولا ثمن، بل هو أصل ثابت بنفسه لا يقاس بغيره(٢).

عندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات العظيمة وبالذات بعد القضاء على القوتين العظيمتين الفرس والروم، تعددت موارد المال فى الدولة الإسلامية وكثرت مصارفه، وللمحافظة على كيان هذه الدولة المترامية الأطراف وصون عزها وسلطانها، وضمان مصالح العامة، والخاصة كان لابد من سياسة مالية حكيمة ورشيدة، فكر لها عمر رضى الله عنه، ألا وهى إيجاد مورد مالى ثابت ودائم للقيام بهذه المهام، وهذا المورد هو: الخراج، فقد أراد الفاتحون أن تقسم عليهم الغنائم من أموال وأراضى وفقًا لما جاء فى القرآن الكريم خاصًا بالغنائم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقد أراد عمر رضى الله عنه فى بداية الأمر تقسيم الأرض بعدد الفاتحين، لكن على بن أبى طالب رضى الله عنه رأى عدم التقسيم، وشاركه الرأى معاذ بن جبل، وحذر عمر من ذلك(٣)، وقد روى أبو عبيد قائلاً: قدم عمر الجابية فأراد قسم الأراضى بين المسلمين فقال معاذ: والله إذا ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم فى أيدى القوم ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً، وهم لا يجدون شيئًا فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم(٤)، لقد نبه معاذ بن جبل رضى الله عنه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه إلى أمر عظيم، جعل عمر يتتبع آيات القرآن الكريم، ويتأملها مفكرًا فى معنى كل كلمة يقرأها حتى توقف عند آيات تقسيم الفىء فى سورة الحشر، فتبين له أنها تشير إلى الفىء للمسلمين فى الوقت

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (٢٤، ٢٥)، اقتصاديات الحرب ص (٢١٥).

(٢) الاستخراج لأحكام الخراج ص (٤٠)، اقتصاديات الحرب ص (٢١٥).

(٣) سياسة المال فى الإسلام ص (١٠٣).

(٤) الأموال لأبى عبيد ص (٧٥)، سياسة المال ص (١٠٣).

الحاضر، ولمن يأتي بعدهم، فعزم على تنفيذ رأى معاذ رضى الله عنه، فانتشر خبر ذلك بين الناس ووقع خلاف بينه وبين بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فكان عمر ومؤيدوه لا يرون تقسيم الأراضى التى فتحت، وكان بعض الصحابة ومنهم بلال بن رباح، والزبير بن العوام يرون تقسيمها، وكما تقسم غنيمة العسكر، كما قسم النبى ﷺ خيبر، فأبى عمر رضى الله عنه التقسيم وتلا عليهم الآيات الخمس من سور الحشر من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦] حتى فرغ من شأن بنى النضير ثم قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧] فهذه عامة فى القرى كلها، ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨] ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] فهذا فى الأنصار خاصة ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، فكانت هذه عامة لمن جاء بعدهم، فما من أحد من المسلمين إلا له فى هذا الفيء حق، قال عمر: فلئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه فى وجهه(١)، وفى رواية أخرى جاء فيها: قال عمر: فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأى؟ ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم، فقال عمر: ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك، والله لا يفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كلا على المسلمين، فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها، فما يسد به الثغور؟ وما يكون للذرية والأرامل لهذا البلد وبغيره من أراضى الشام والعراق؟ فأكثروا على عمر وقالوا: تقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا،

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (٦٧)، اقتصاديات الحرب ص (٢١٧).

ولأبناء القوم وأبناء أبنائهم ولم يحضروا، فكان عمر رضى الله عنه، لا يزيد على أن يقول: هذا رأى، قالوا: فاستشر، فأرسل إلى عشرة من الأنصار من كبراء الأوس والخزرج وأشرافهم فخطبهم، وكان مما قال لهم: إنى واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفنى من خالفنى، ووافقنى من وافقنى، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذى هواى ثم قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنى أظلمهم حقوقهم، ولكن رأيت أنه لم يبق شىء يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها واضعًا عليهم فيها الخراج وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئًا للمسلمين، المقاتلة والذرية، ولمن يأتى من بعدهم، أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام لا بد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج؟ فقالوا جميعًا: الرأى رأيك فنعم ما قلت ورأيت، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم(١)، وقد قال عمر فيما قاله: لو قسمتها بينهم لصارت دولة بين الأغنياء منكم، ولم يكن لمن جاء بعدهم من المسلمين شىء، وقد جعل الله لهم فيها الحق بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] ثم قال: فاستوعبت الآية الناس إلى يوم القيامة، وبعد ذلك استقر رأى عمر وكبار الصحابة رضى الله عنهم على عدم قسمة الأرض(٢).

وفى حواره مع الصحابة يظهر أسلوب الفاروق فى الجدل، وكيف جمع فيه قوة الدليل، وروعة الصورة، واستمالة الخصم، فى مقالته التى قال للأنصار، عند المناقشة فى أمر أرض السواد، ولو أن رئيسًا ناشئا فى السياسة، متمرسًا بأساليب الخطب البرلمانية أراد أن يخطب النواب (لينال موافقتهم) على مشروع من المشروعات لم يجىء بأرق من هذا المدخل، أو أعجب من هذا الأسلوب. وامتاز عمر فوق ذلك بأنه كان صادقًا فيما يقول، ولم يكن فيه سياسيًا مخادعًا وأنه جاء به فى نمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال(٣).

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (٦٧)، اقتصاديات الحرب ص (٢١٧).

(٢) سياسة المال فى الإسلام فى عهد عمر ص (١٠٥).

(٣) أخبار عمر ص (٢١٠).

- هل كان الفاروق مخالفًا للنبى ﷺ فى حكم أرض الخراج؟

من قال: إن الفاروق خالف الرسول ﷺ بفعله فى عدم تقسيم أرض الخراج، لأن النبى ﷺ قسم خيبر، وقال: إن الإمام إذا حبس الأرض المفتوحة عنوة نقض حكمه لأجل مخالفة السنة، فهذا القول خطأ وجرأة على الخلفاء الراشدين - إذا فعلوا هذا الفعل - فإن فعل النبى ﷺ فى خيبر إنما يدل على جواز ما فعله ولا يدل على وجوبه، فلو لم يكن معنا دليل على عدم وجوب ذلك، لكان فعل الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم دليلاً على عدم الوجوب، فكيف وقد ثبت أنه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الأحاديث الصحيحة، بل تواتر ذلك عند أهل المغازى والسير؟ فإنه قدم حين نقضوا العهد ونزل بمر الظهران، ولم يأت أحد منهم يصالحه ولا أرسل إليهم أحداً يصالحهم، بل خرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فأخذه العباس وقدم به كالأسير، وغايته أن يكون العباس أمنه فصار مستأمنا، ثم أسلم فصار من المسلمين، فكيف يتصور أن يعقد صلح الكفار - بعد إسلامه - بغير إذن منهم؟ مما يبين ذلك أن النبى ﷺ علق الأمان بأسباب، كقوله: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن(١)، فأمن من لم يقاتله، فلو كانوا معاهدين لم يحتاجوا إلى ذلك، وأيضاً، سماهم النبى ﷺ طلقاء؛ لأنه أطلقهم من الأسر كثمامة بن آثال وغيره، وأيضًا فإنه أذن فى قتل جماعة منهم من الرجال والنساء، وأيضًا فقد ثبت عنه فى الصحاح أنه قال فى خطبته: إن مكة لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى، وإنما أحلت لى ساعة(٢).

ودخل مكة وعلى رأسه المغفر ولم يدخلها بإحرام، فلو كانوا صالحوه لم يكن قد أحل له شىء، كما لو صالح مدينة من مدائن الحل لم تكن قد أحلت فكيف يحل له البلد الحرام وأهله مسالمون له صلح معه؟! وأيضًا فقد قاتلوا خالدا وقتل طائفة من المسلمين طائفة من الكفار، وفى الجملة، فإن من تدبر الآثار المنقولة علم بالاضطرار أن مكة فتحت عنوة، ومع هذا فالنبى ﷺ لم يقسم أرضها كما لم يسترق رجالها، ففتح خيبر عنوة وقسمها، وفتح مكة عنوة ولم يقسمها، فعلم جواز الأمرين(٣)، وبذلك لم يكن الفاروق مخالفًا للهدى النبوى فى عدم تقسيمه للأراضى المفتوحة، وقد كان سنده فيما فعل أموراً منها:

---

(١) مسلم رقم (١٧٨٠).

(٢) النسائى فى الكبرى فى الحج (٢/٣٨) الفتاوى (٢٠/٣١٣).

(٣) الفتاوى (٢٠/٣١٢، ٣١٣).

١- آية الفيء في سورة الحشر.

٢- عمل النبي ﷺ حينما فتح مكة عنوة فتركها لأهلها ولم يضع عليها خراجًا.

٣- قرار مجلس الشوري الذى عقده عمر لهذه المسألة بعد الحوار والمجادلة، وقد أصبح سنة متبعة فى أرض يظهر عليها المسلمون ويقرون أهلها عليها، وبهذا يظهر أن عمر حينما ميَّز بين الغنائم المنقولة وبين الأراضى كان متمسكًا بدلائل النصوص، وجمع بينها وأنزل كلا منها منزلته التى يرشد إليها النظر الجامع السديد يضاف إلى ذلك أن عمر كان يقصد أن تبقى لأهل البلاد ثرواتهم وأن يعصم الجند الإسلامى من فتن النزاع على الأرض والعقار، ومن فتن الدعة والانشغال بالثراء والحطام(١).

إن الفاروق رضى الله عنه كان يلجأ إلى القرآن الكريم يلتمس منه الحلول ويطوف بين مختلف آياته، ويتعمق فى فهم منطوقها ومفهومها، ويجمع بينها ويخصص بعضها ببعض حتى يصل إلى نتائج تحقق المصالح المرجوة منها، مستلهمًا روح الشريعة غير واقف مع ظواهر النصوص، وقد أسعفه فى قطع هذه المراحل إدراكه الدقيق لمقاصد الشريعة بتلكم النصوص، وهى عملية مركبة ومعقدة لا يحسن الخوض فيها إلا من تمرس على الاجتهاد وأعطى فهما سديداً وجرأة علي الإقدام حيث يحسن الإقدام، حتى خيل للبعض أن عمر كان يضرب بالنصوص عرض الحائط فى بعض الأحيان، وحاشا أن يفعل عمر ذلك، لكنه كان مجتهداً ممتازاً اكتسب حاسة تشريعية لا تضاهى، حتى كان يرى الرأى فينزل القرآن على وفقه، والنتيجة التى نخرج بها من هذه القضية هى أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، ومثله فى السنة، فعلى المجتهد وهو يبحث عن الحكم الشرعى أن يستعرض جميع النصوص التى تساعد على الحل دون الاقتصار على بعضها، وإلا عد مقصرا فى اجتهاده، ويكون ما توصل إليه لاغيًا(٢).

- كيف تم تنفيذ مشروع الخراج فى عهد الفاروق؟

لما انتهى كبار الصحابة ورجال الحل والعقد إلى إقرار رأى الخليفة عمر رضى الله عنه بتحبيس الأرض على أهلها، وتقسيم الأموال المنقولة على الفاتحين انتدب شخصيتين كبيرتين هما: عثمان بن حنيف، وحذيفة بن اليمان، وذلك لمسح أرض سواد العراق، وحين بعثهما لهذه المهمة زودهما الخليفة بنصائحه وتوجيهاته الثاقبة، وأمرهما بأن

---

(١) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ص (١٣١).

(٢) المصدر نفسه ص (١٣١، ١٣٢).

يلاحظا ثروة الأفراد، وخصوبة الأرض وجدبها، ونوع النباتات والشجر، والرفق بالرعية، فلا تحمل الأرض ما يتحمله المكلفون، بل يترك لهم ما يجبرون به النوائب والحوائج، ولكي ينطلق قرار عمر رضى الله عنه على أساس عادل، رغب أن يعرف الحالة التى كان عليها أهل العراق قبل الفتح، وطلب من الصحابيين عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان أن يرسلاً إليه وفدا من كبار رجال السواد، فبعثا إليه وفدا من دهاقنة السواد، فسألهم عمر رضى الله عنه: كم كنتم تؤدون إلى الأعاجم فى أرضهم؟ قالوا: سبعة وعشرين درهما، فقال عمر رضى الله عنه: لا أرضى بهذا منكم(١)، وهذا يدل على أن الفتح الإسلامى كان عدلاً على الناس الذين فتحت بلادهم، وكان عمر يرى أن فرض خراج على مساحة الأرض أصلح لأهل الخراج، وأحسن رداً، وزيادة فى الفىء من غير أن يحملهم ما لا يطيقون، فقام عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان بما وكل إليهما خير قيام فبلغت مساحة السواد (٣٦٠٠٠,٠٠٠) ستة وثلاثين ألف ألف(٢)، ووضعا على جريب العنب عشرة دراهم، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب الحنطة أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهمين(٣)، وكتبا إلى عمر بن الخطاب بذلك فأمضاه وقد حرص عمر (رضى الله عنه) على العناية بأهل تلك الأرض والبلاد، وما يوفر العدل ويحققه خوفًا أن يكون عثمان وحذيفة رضى الله عنهما حملا الناس والأرض ما لا يطيقون أداءه من خراج فسألهما: كيف وضعتما على الأض لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون؟ فقال حذيفة: لقد تركت فضلاً، وقال عثمان: لقد تركت الضعف، ولو شئت لأخذته. فقال عمر رضى الله عنه عند ذلك: أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعنهم لا يفتقرون إلى أمير بعدى(٤).

وهذه الطريقة التى نفذت فى سواد العراق هى ذاتها التي نفذت فى الأراضى المصرية، لكن الذى تولاها هو عمرو بن العاص وكانت وحدة المساحة التى ربط على أساسها الخراج الفدان(٥)، وكذلك فعل عمر (رضى الله عنه) بأرض الشام كما فعل بأرض السواد، ولم يذكر المؤرخون معلومات صريحة واضحة عن المساحة ونوع الزروع والثمار

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (٤٠، ٤١).

(٢) المصدر نفسه ص (٣٨).

(٣) المصدر نفسه (٣٩)، سياسة المال فى الإسلام ص (١٠٨).

(٤) الخراج لأبى يوسف ص (٤٠)، سياسة المال فى الإسلام ص (١٠٨).

(٥) الدولة العباسية للخضرى ص (١٤٤)، سياسة المال ص (١٠٩).

التى فرض عليها الخراج، ولا من قام بعملية مسح أراضى الشام(١)، وكان الخليفة عمر رضى الله عنه بهذا الصدد، عمل إحصاء دقيقًا لثروة الولاية قبل الولاية عليها، ثم إلزام الولاة عند اعتزالهم أعمالهم بمصادرة بعض الأموال التي جمعوها لأنفسهم في أثناء ولايتهم، إذا تبين له أن أعطياتهم لا تسمح لهم بادخار هذه الأموال كلها(٢)، وسيأتى تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الولاة، وقد كثرت الممتلكات الخاصة للدولة التى اصطفاها عمر رضى الله عنه لبيت المال فى العراق والشام ومصر، فكانت هذه الأملاك تدر دخلاً عظيما ووفيرًا على خزانة الدولة، خاصة فى مصر لاتساع الأراضى الزراعية التى يملكها التاج فى العصور القديمة(٣).

- ما القيم والمصالح الأمنية فى عدم تقسيم أراضى الخراج؟

هناك جملة من المصالح الأمنية التى استند إليها الخليفة - والذين وافقوه على رأيه - فى اتخاذ هذا القرار يمكننى تصنيفها إلى صنفين: أولهما المصالح الداخلية، وأهمها سد الطريق على الخلاف، والقتال بين المسلمين، وضمان توافر مصادر ثابتة لمعايش البلاد والعباد، وتوفير الحاجات المادية اللازمة للأجيال اللاحقة من المسلمين، وثانيهما المصالح الخارجية والتى يتمثل أهمها فى توفير ما يسد ثغور المسلمين، ويسد حاجتها من الرجال والمؤن، والقدرة على تجهيز الجيوش، بما يستلزمه ذلك من كفالة الرواتب وإدرار العطاء، وتمويل الإنفاق على العتاد والسلاح، وترك بعض الأطراف لتتولى مهام الدفاع عن حدود الدولة وأراضيها اعتماداً على ما لديها من خراج، والذى يجب ملاحظته فى هذه المصالح أن الخليفة أراد أن يضع بقراره دعائم ثابتة لأمن المجتمع السياسى ليس فى عصره فقط، بل وفيما يليه من عصور بعده، وعباراته من مثل (فكيف بمن يأتى من المسلمين)، و(كرهت أن يترك المسلمون) التي توحى بنظرته المستقبلية لهذا الأمن الشامل تشهد على ذلك، وقد أثبت تطور الأحداث السياسية فى عصر الخليفة الثانى صواب وصدق ما قرره.

---

(١) سياسة المال فى الإسلام ص (١١١).

(٢) المصدر نفسه ص (١١٤).

(٣) المصدر نفسه ص (١١٨).

– إن تعدد أطوار اتخاذ القرار بعدم تقسيم الأراضى قد أكد أمرين أولهما أن بعض القرارات المهمة التي تمس المصالح الجوهرية للمسلمين قد تأخذ من الجهد والوقت الكثير، كما أنها قد تتطلب قدرا من الأناة فى تبادل الحجج والبراهين، دون أن يتيح ذلك مجالاً للخلاف وتعميق هوة الانقسام أحيانًا أو يفوت بابا من أبواب تحقيق بعض المصالح الخاصة بأمن الأمة فى حاضرها ومستقبلها، والأمر الثانى أن بعض القرارات المهمة التى قد تخرج بعد عسر النقاش والحوار، والبداية المتعثرة لها، يفرض على الحاكم الشرعي أن يكون أول المسلمين وآخرهم جهداً فى السعي إلى تضييق هوة الخلاف، والتقريب بين وجهات النظر المتعارضة لكى يصل بالمسلمين إلى الحكم الشرعى فيما هو متنازع بشأنه(١).

– إن تبادل الرأى والاجتهاد بين الخليفة والصحابة الذين لم يوافقوه على رأيه واستناد الكل فى ذلك إلى النصوص المنزلة فى الاجتهاد يثبت أن الفيصل فى إبداء الآراء فى القرارات السياسية عامة والتى تمس مصالح المسلمين بصفة مباشرة خاصة، هو أن تجىء هذه الآراء مستندة إلى النصوص المنزلة، أو ما ينبغى أن يتفرع عنها من مصادر أخرى لا تخرج عن أحكامها فى محتواها ومبرراتها.

– إن لجوء الخليفة إلى استشارة أهل السابقة من كبار الصحابة العلماء فى فقه الأحكام ومصادر الشرع، واستجابتهم بإخلاص النصح له، يؤكد أن أهل الشورى لهم مواصفات خاصة تميزهم، فالذين يستشارون هم أهل الفقه والفهم والورع والدراية، الواعون لدورهم، إنهم بعبارة أدق الذين لا إمعية فى آرائهم، ومن دأبهم توطين أنفسهم على قول الحق وفعله، غير خائفين فى ذلك لومة لائم من حاكم أو غيره.

– ثم يبقى القول إن ما حدث بصدور قرار عدم تقسيم الأراضى، يظل نموذجًا عاليًا سار عليه الصحابة فى كيفية التعامل وفق آداب الحوار وأخلاقيات مناقشة القضايا وتقليب أوجهها المختلفة ابتداء بمرحلة التفكير فى اتخاذ القرار بعدم تقسيم الأراضى – بصفة مباشرة ، أو غير مباشرة – وعلى رأسهم الخليفة الذى لم يخرج عن هذه الآداب

---

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن فى الإسلام؛ مصطفى منجود ص (٣١٧، ٣١٨).

رغم اختلاف اجتهاداتهم بشأنه(١)، بل إن الفاروق رضى الله عنه بين بأن الحاكم مجرد فرد فى هيئة الشورى، وأعلن الثقة فى مجلس شورى الأمة، خالفته، أو وافقته والرد إلى كتاب الله، فقد قال رضى الله عنه: إنى واحد منكم، كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفنى من خالفنى، ووافقنى من وافقنى، ومعكم من الله كتاب ينطق بالحق(٢).

- أهم الآثار الدعوية فى هذا القرار:

من أهم هذه الآثار: القضاء نهائيًا على نظام الإقطاع، فقد ألغى عمر رضى الله عنه كل الأوضاع الإقطاعية الظالمة التى احتكرت كل الأرض لصالحها واستعبدت الفلاحين لزراعتها مجانًا، فقد ترك عمر رضى الله عنه أرض السواد فى أيدى فلاحيها، يزرعونها مقابل خراج عادل يطيقونه يدفعونه كل عام، وقد اغتبط الفلاحون بقرار عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتمليكهم الأرض الزراعية، يزرعونها مقابل دفع الخراج الذى يستطيعونه مما يجعلهم يشعرون لأول مرة فى حياتهم أنهم أصحاب الأرض الزراعية لا ملك للإقطاعيين من الطبقة الحاكمة، وكان الفلاحون مجرد أجراء يزرعونها بدون مقابل، وكان تعبهم وكدهم يذهب إلى جيوب الطبقة الإقطاعية، طبقة ملاك الأرض ولا يتركون لهم إلا الفتات(٣).

- قطع الطريق على دعوة جيوش الروم والفرس بعد طردهم:

لقد أدت سياسة عمر رضى الله عنه فى تمليك الأرض لفلاحى الأمصار المفتوحة عنوة إلى شعورهم بالرضا التام كما تقدم، وهذا مما جعلهم يبغضون حكامهم من الفرس والروم ولا يقدمون لهم أية مساعدات بل كانوا على العكس من ذلك يقدمون المساعدات للمسلمين ضدهم، حتى إن رستم القائد الفارسى دعا أهل الحيرة فقال: يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيونًا لهم علينا وقويتموهم بالأموال(٤).

---

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن فى الإسلام، مصطفى منجود ص (٣١٧، ٣١٨).

(٢) الدور السياسى للصفوة ص (١٨٥).

(٣) الدعوة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب حسنى غيطاس ص (١٣٠).

(٤) الدعوة الإسلامية فى عهد عمر ص (١٣١).

- مسارعة أهل الأمصار المفتوحة إلى الدخول فى الإسلام:

فقد ترتب على ما تقدم من تمليك الأرض للفلاحين أن سارعوا إلى الدخول فى الإسلام، الذى انتشر بينهم بسرعة مدهشة لم يسبق لها مثيل، فقد لمسوا العدل وتبين لهم الحق، وأحسوا بكرامتهم الإنسانية من معاملة المسلمين لهم (١).

- تدبير الأمور لحماية الثغور:

فقد امتدت الدولة الإسلامية صوب جهاتها الأربع، وانتقلت أسماء الثغور إلى ما وراء حدود الدولة فى عصورها الأولى، ومن أهم هذه الثغور، ما كان يعرف بالثغور الفراتية والتى كانت تمتد على طول خط استراتيجى يفصل ما بين الدولة الإسلامية والامبراطورية البيزنطية وغيرها من الثغور، وقد اتخذ عمر فى كل مصر على قدره خيولاً، وقد وصلت قوات الفرسان المرابطين فى الأمصار إلى أكثر من ثلاثين ألف فارس، وهذا بخلاف قوات المشاه وأى قوات أخرى كالجمالة وخلافه، وهذه خصصها عمر كجيش منظم لحماية ثغور المسلمين، وكفل أرزاقهم وصرفهم عن الاشتغال بأى شىء إلا بالجهاد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فكان الخراج من الأسباب التى ساقها المولى عز وجل لتجهيز هذه القوات وكفالة أرزاق أجنادها (٢).

إن الفاروق رضى الله عنه وضع قواعد نظام الخراج، باعتباره مورداً من الموارد المالية الهامة لخزينة الدولة، وكان يهدف من ورائه إلى أن يكون بيت المال قائماً بما يجب عليه من تحقيق المصالح العامة للأمة وحفظ ثغورها وتأمين طرقها، ولا يتأتى ذلك إلا بإبقاء أصحاب الأرض التى تملكها المسلمون عنوة لقاء نسبة معينة مما تنتجه الأرض، وهذا أمرٌ شأنه أن يزيدهم حماساً فى العمل ورغبة فى الاستغلال والاستثمار ومقارنة ذلك بما كانوا يرهقون به من الضرائب من طرف أولياء أمورهم قبل وصول المسلمين (٣).

٤- العشــور:

هى الأموال التى يتم تحصيلها على التجارة التى تمر عبر حدود الدولة الإسلامية سواء داخلة أو خارجة من أراضي الدولة وهى أشبه ما تكون بالرسوم الجمركية فى العصر

---

(١) الدعوة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ص (١٣٢).

(٢) المصدر نفسه ص (١٣٥).

(٣) أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية ص (٦٣).

الحاضر، ويقوم بتحصيلها موظف يقال له (العاشر) أى الذى يأخذ العشور [١]، ولم يكن لهذه الضريبة وجود فى عهد النبى ﷺ، وخليفته الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه، لأن تلك الفترة كانت فترة دعوة إلى الإسلام، والجهاد فى سبيل نشره، وبناء الدولة الإسلامية، فلما اتسعت الدولة فى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه، وامتدت حدودها شرقًا وغربًا وصار التبادل التجارى مع الدول المجاورة، ضرورة تمليها المصلحة العامة، رأى الخليفة عمر رضى الله عنه أن يفرض تلك الضريبة على الواردين إلى دار الإسلام، كما كان أهل الحرب يأخذونها من تجار المسلمين القادمين إلى بلادهم، معاملة بالمثل، وقد أجمع المؤرخون [٢] أن أول من وضع العشر فى الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك عندما كتب إليه أهل منبج ومن وراء بحر عدن يعرضون عليه أن يدخلوا بتجارتهم أرض العرب وله منها العشر، فشاور عمر فى ذلك أصحاب النبى ﷺ فأجمعوا على ذلك، فهو أول من أخذ منهم العشور، ولكن عمر أراد أن يتأكد من مقدار ما تأخذه الدول الأخرى من تجار المسلمين إذا اجتازوا حدودهم، فسأل المسلمين كيف يصنع بكم الحبشة إذا دخلتم أرضهم؟ قالوا: يأخذون عشر ما معنا، قال: فخذوا منهم مثل ما يأخذون منكم [٣]، وسأل أيضًا عثمان بن حنيف: كم يأخذ منكم أهل الحرب إذا أتيتم دارهم؟ قال: العشر، قال عمر: فكذلك فخذوا منهم [٤]، وروى أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى الخليفة عمر رضى الله عنه: إن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه الخليفة عمر رضى الله عنه: خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهمًا درهمًا، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه [٥]، وقد ساهم هذا التشريع الجديد فى تنظيم العلاقات التجارية بين الدول، وقد حققت التجارة الإسلامية مكاسب كبيرة فى عالم التجارة، حيث فتحت أبواب الدولة الإسلامية للتجارة، وجلبت البضائع والسلع إلى الدولة الإسلامية من كل أنحاء العالم، وهذا بطبيعة الحال شجع التاجر المسلم والأجنبى

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (٢٧١)، اقتصاديات الحرب ص(٢٢٣).

(٢) سياسة المال فى الإسلام ص(١٢٨).

(٣، ٤) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص(٦٥١).

(٥) الخراج لأبى يوسف ص (١٤٥، ١٤٦)، سياسة المال ص (١٢٨).

على زيادة نشاطهم فى التصدير والاستيراد من جميع أنحاء العالم، وبذلك نشطت المراكز التجارية داخل بلاد الدولة الإسلامية، بما فيها الجزيرة وزادت حركة القوافل التجارية القادمة والذاهبة من أقاليم الجزيرة إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى، كما استقبلت موانئ بلاد الإسلام السفن الكبيرة التى تصل إليها من الهند والصين وشرقى أفريقية محملة بأغلى وأنفس البضائع، وظهر ذلك جليًا فى العصر الراشدى والدولة الأموية (١)، وقد كان فى عهد عمر عشارون يأخذون زكاة ما يمر بهم من أموال التجار ويعتبرون النصاب والحول، قال أنس بن مالك: بعثنى عمر بن الخطاب على جباية العراق، وقال: إذا بلغ مال المسلم مائتى درهم فخذ منها خمسة دراهم، وما زاد على المائتين، ففى كل أربعين درهمًا درهم (٢)، وذكرالشيبانى أن عمر بن الخطاب بعث زياد بن جرير وقيل: زياد بن حدير مصدّقًا إلى عين التمر، وأمره بأن يأخذ من أموالهم ربع العشر، ومن أهل الذمة إذا اختلفوا بها للتجارة نصف العشر، ومن أموال أهل الحرب العشر، وجعل عمر بن الخطاب نفقة العاشر أى المصدّق من المال الذى يأخذه (٣).

إن من يفكر فى ذلك التحديد الذى رسمه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد يصل إلى أنه فرض العشر على الحربيين لمعاملتهم المسلمين كذلك، فهذا مبدأ المعاملة بالمثل، وأنه فرض نصف العشر على أهل الذمة تمييزاً لهم عن المسلمين، وتطبيقًا لما سبق أن فرضه على نصارى بنى تغلب الذين قبلوا أن تؤخذ منهم الجزية ضعف ما يؤخذ من المسلمين من الصدقة، وأن ما قرره على المسلمين هو بمثابة زكاة، ومعروف نصاب الزكاة لعروض التجارة، وهو الذى جعله حداً أدنى لأخذها، ومنع من تكرار أخذها من المسلمين وأهل الذمة، مادام رأس المال ثابتًا والبضاعة الواردة لم تزد قيمتها عنه، ولو تكرر مرات دخولها إلا بعد الحول، وتمشيًا لمبدأ المعاملة بالمثل، فإنه حينما يرفع أهل الحرب ما يأخذونه من المسلمين من ضريبة، فيحق للمسلمين رفع الضريبة على ما يرد منهم إلى دار الإسلام بنفس النسبة، وكذلك الحال عند إسقاطهم لها، فعلى المسلمين إسقاطها عنهم، وهذا ما تسير عليه الدول حديثًا، ويسمى برفع الحواجز الجمركية (٤)، وعندما يكون المسلمون فى حاجة إلى بعض البضائع والمنتجات الواردة إليهم فإنهم

---

(١) التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية د. محمد العمادى ص (٣٣٢).

(٢) الحياة الاقتصادية فى العصور الإسلامية الأولى ص (١٠١).

(٣) شرح السير الكبير (٥/ ٢١٣٣، ٢١٣٤) الحياة الاقتصادية ص(١٠١).

(٤) سياسة المال فى الإسلام ص (١٣٢).

يخفضون أو يعفون التجار من ضريبتها تشجيعًا لتوريدها، والإكثار منها، وقد فعل الخليفة عمر رضى الله عنه ذلك حين أمر عماله أن يأخذوا نصف العشر من الحربيين حين دخولهم الحجاز بالزيت والحبوب، كما أمر بإعفائهم أحيانًا أخرى، فعن الزهرى عن سالم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه، أنه كان يأخذ من النَبَط من القطنية العشر، ومن الحنطة والزبيب نصف العشر ليكثر الحمل إلى المدينة (١)، وقد كان لهذه التنظيمات المالية التى وجدت أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، النفع الكبير فى سهولة التبادل التجارى بين المسلمين وجيرانهم، وورود أصناف متعددة من متطلبات الناس واحتياجاتهم فهو لم يقتصر اهتمامه على تنظيم المواد الآتية إلى بيت المال، بل نظم الطرق التى بواسطتها وبسببها يزداد دخل بيت المال، وتنعم البلاد بالرخاء ورغد العيش، ومن ذلك اهتمامه بالتجارة الخارجية، وحسن معاملته لأهلها، وتتبعه العمال والأمراء، والكتابة إليهم بذلك وحرصه على استيفاء حقوق الدولة من غير تعسف فى جبايتها (٢).

٥- الفىء والغنائم:

أما الفىء فهو كل مال وصل المسلمين من المشركين من غير قتال، ولا بإيجاف خيل ولا ركاب، ويوزع خمس الفىء على أهل الخمس (٣) الذين بينهم الله سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

وأما الغنائم: فهى ما غلب عليه المسلمون من مال أهل الحرب حتى يأخذوه عنوة(٤)، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

ففى خلافة عمر رضى الله عنه زادت الغنائم زيادة كبيرة لاتساع المناطق المفتوحة ولما كانت تتمتع به من ازدهار اقتصادى كبير، وكان القادة الفرس والروم يخرجون إلى

(١، ٢) سياسة المال فى الإسلام ص (١٣٣).

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل عبدالله المصرى ص (٣٢٢).

(٤) الخراج لأبى يوسف ص(١٩) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص (١٨٣).

الميدان بكامل أبهتهم، فيقع سلبهم للمسلم، وأحيانًا يبلغ ١٥٫٠٠٠درهم، و٣٠٫٠٠٠درهم (١)، وقد فتحت المدن العظيمة كالمدائن وجلولاء وهمذان والرى واصطخر وغيرها، فحاز المسلمون أموالاً عظيمة مثل بساط كسرى، وهو ٣٦٠٠ ذراع مربعة أرضه مفروشة بالذهب وموشى بالفصوص وفيه رسوم ثمار بالجواهر، وورقها بالحرير، وفيه رسوم للماء الجارى بالذهب، وقد بيعت بعشرين ألف درهم (٢٠٫٠٠٠درهم) وحاز المسلمون الذهب والفضة والمجوهرات العظيمة من غنائم جلولاء ونهاوند حيث بلغ خمس جلولاء ستة ملايين درهم (٢)، وأعظم الغنائم هى أرض السواد التى وقفها عمر رضي الله عنه للدولة، وأراضى الصوافى التى قتل أصحابها أو فروا عنها، وأملاك كسرى وأهله، حيث جعلت غلتها للدولة، فكانت بإدارتها لصالح بيت المال، ويقال إن غلتها - فيما بعد - بلغت سبعة ملايين درهم، فقد كانت الغنائم عظيمة القدر، وأنها أغنت المسلمين أفراداً ودولة وارتفعت بمستوى المعيشة وظهرت آثارها أكثر جلاء في خلافة عثمان رضى الله عنه (٣).

هذه هى أهم مصادر الدولة فى عهد الفاروق رضى الله عنه.

ثانيًا: بيت مال المسلمين وتدوين الدواوين:

بيت المال: هو المكان الذى ترد إليه جميع موارد الدولة، وهو كذلك المكان الذى تصرف منه جميع مصر وفاتها من أعطيات الخلفاء والجيش والقضاة والعمال والمرافق العامة والخاصة للدولة وهكذا(٤)، وأما الدواوين: فهى السجلات والدفاتر التى تسجل فيها أمور الدولة وقد أطلقت كلمة ديوان على المكان الذى يجتمع فيه الكتاب والموظفون العاملون بتلك السجلات عند الفرس (٥)، وفى بداية الدولة الإسلامية لم يكن هناك بيت مال بالمعنى الذى عرف به فيما بعد، فقد كانت سياسة الرسول ﷺ تقوم على أن لا يؤخر تقسيم الأموال أو إنفاقها، وقد سار أبو بكر على نهج النبى ﷺ، ونهج الفاروق طريق صاحبيه فى أول خلافته حتى اتسع سلطان الدولة شرقًا وغربًا، فبدأ بالتفكير فى طريقة يدبر فيها ما تجمع لدى الخليفة من أموال الفتوحات وغنائمها،

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص(١٨٨).

(٢، ٣) المصدر نفسه ص ١٨٩.

(٤) سياسة المال فى الإسلام ص (١٥٥).

(٥) مقدمة ابن خلدون (٢٤٣، سياسة المال فى الإسلام ص (١٥٥).

وإيرادات الجزية والخراج والصدقات، فكثرت الجيوش واحتاجت إلى ضبط احتياجاتها وأسماء رجالها خوفًا من ترك أحدهم دون عطاء، أو تكرار العطاء للآخرين، وتوالت حملات الفتح وانتصاراتها، فكثرت الأموال بشكل لم يكن معروفًا لدى المسلمين من قبل، فرأى أمير المؤمنين عمر أن لا طاقة للخليفة وأمرائه بضبطها، وأنه ليس من الحكمة الاقتصادية أنه يترك زمام الأمور المالية بيد العمال والولاة دون أن يضبطها عداً أو يحصيها حسابًا، فكان نتيجة ذلك التفكير مليًا فى وضع قواعد ثابتة لهذه الأموال، ومن هنا نشأ الديوان، وكان عمر رضى الله عنه هو أول من وضع الديوان فى الدولة الإسلامية(١) .

وقصة ذلك كما تناقلها المؤرخون: أن أبا هريرة قال: قدمت من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسألنى عن الناس، فأخبرته، ثم قال لى: ماذا جئت به؟ قال: قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: ويحك. هل تدرى ما تقول؟ قلت: نعم، مائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف. قال: إنك ناعس، ارجع إلى أهلك، فنم، فإذا أصبحت فائتنى، فلما أصبحت أتيته، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: ويحك! هل تدرى ما تقول؟! قلت: نعم، مائة ألف، حتى عدها خمس مرات، يعدها بأصابعه الخمس، قال: أطيب؟ قلت: لا أعلم إلا ذلك. قال: فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم أن نكيلكم كيلاً، وإن شئتم أن نعدكم عداً فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنى قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانًا لهم(٢)، فاشتهى عمر ذلك(٣)، وقد استشار عمر المسلمين فى تدوين الدواوين، فأشار بعضهم بما يراه إلا أن الوليد بن هشام بن المغيرة، قال: جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانًا وجندوا جنداً، فدون ديوانًا وجند جنداً، وفى بعض الروايات أن الذى قال ذلك هو خالد ابن الوليد(٤)، وذكر بعض المؤرخين أنه كان بالمدينة بعض مرازبة الفرس، فلما رأى حيرة عمر قال له: يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئًا يسمونه ديوانًا جميع دخلهم وخرجهم مضبوطة فيه لا يشذ منه شيء، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل،

---

(١) سياسة المال فى الإسلام ص (١٥٧) .

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٠٠، ٣٠١) خبر صحيح.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص(٢٤٤)، الخراج لأبى يوسف ص (٤٨، ٤٩).

(٤) الأحكام السلطانية ص (٢٢٦، ٢٢٧)، فتوح البلدان ص (٤٣٦).

فتنبه عمر وقال: صفه لي، فوصفه المرزبان، فدون الدواوين وفرض العطاء[١]، وقد حبذ عثمان التدوين فأشار برأيه: أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يُعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشية أن ينتشر الأمر[٢]. هذه بعض الروايات التى حدثت بناء على استشارة عمر رضى الله عنه فى مرات متعددة لمن يحضرون عنده، وهناك اختلاف بين المؤرخين فى السنة التى تم فيها التدوين، فمن قائل: إن ذلك فى السنة الخامسة عشرة للهجرة كالطبرى وعنه أخذ ابن الأثير وغيرهم، وقال آخرون: إن ذلك كان فى شهر محرم من سنة عشرين هجرية كالبلاذرى، والواقدى، والماوردى وابن خلدون[٣] وغيرهم، والأرجح أن يكون تم فى سنة عشرين هجرية، لأنه فى سنة خمس عشرة كانت القادسية، ولم يستكمل فتح العراق والشام ومصر إلا بعدها[٤]. وقد سار عمر فى تقسيم الأموال على خلاف ما سار عليه أبو بكر حيث كان الصديق يقسم الأموال بين الناس بالسوية، فى حين قسم عمر أعطياتهم على حسب السابقة فى الإسلام والفضل فى الجهاد ونصرة رسول الله ﷺ[٥]، وقد كان رأى الفاروق هذا من زمن الصديق، وقال لأبى بكر لما رآه سوَّى بين الناس قال له: أتسوى بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف؟ فقال له أبو بكر: إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا دار بلاغ للراكب، فقال له عمر: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه[٦]، ولذلك قسم الفاروق الناس فى العطاء إلى أنواع هى:

– ذوو السوابق الذين بسابقتهم حصل المال.

– من يغنى المسلمين فى جلب المنافع لهم كولاة الأمور والعلماء الذين يجلبون لهم منافع الدين والدنيا.

– من يبلى بلاء حسناً فى دفع الضرر عنهم كالمجاهدين فى سبيل الله من الجنود والعيون والناصحين نحوهم.

– ذوو الحاجات [٧].

---

(١) الأحكام السلطانية ص(٢٢٦)، تاريخ الإسلام السياسى (١/٤٥٦).

(٢) الأحكام السلطانية ص (٢٢٦)، سياسة المال ص (١٥٨).

(٣) مقدمة ابن خلدون ص (٢٤٤)، سياسة المال ص (١٥٩).

(٤، ٥) سياسة المال فى الإسلام ص (١٥٩).

(٦) الأحكام السلطانية للماوردى ص (٢٠١).

(٧) السياسة الشرعية لابن تيمية ص (٤٨)، أوليات الفاروق ص (٣٥٨).

هذه سياسته في التقسيم تضمنها قوله: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد إنما هو الرجل وسابقته، والرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وحاجته [١]، وقد دعا الفاروق عقيل بن أبى طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من شبان قريش وقال: اكتبوا للناس على منازلهم، فبدأوا ببنى هاشم فكتبوهم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعه إلى عمر، فلما نظر فيه قال: لا، ما وددت أنه كان هكذا، ولكن ابدأوا بقرابة النبى ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله، فجاءت بنو عدى إلى الخليفة عمر رضى الله عنه وقالوا: إنك خليفة رسول الله ﷺ وخليفة أبى بكر رضى الله عنه وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا فقال: بخ بخ يا بنى عدى، أردتم الأكل على ظهرى، وأن أهب حسناتى لكم، لا، ولكنكم حتى تأتيكم الدعوة وأن ينطبق عليكم الدفتر - يعنى ولو تكتبون آخر الناس - إن لى صاحبين سلكا طريقًا فإن خالفتهما خولف بى، ولكنه والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا ولا نرجو الثواب عند الله تعالى على عملنا إلا بمحمد ﷺ، فهو شرفنا وقومه أشراف العرب ثم الأقرب فالأقرب، ووالله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل لهم أولى بمحمد ﷺ منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه [٢]، وبدأ عمر رضى الله عنه تسجيله بديوان سجل فيه أصحاب الأعطيات ومقدار أعطياتهم، وسمّى ديوان الجند على أساس أن جميع العرب المسلمين جنود للجهاد فى سبيل الله، فبدأ سجله للجيش ببنى هاشم الأقرب فالأقرب من رسول الله ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، وجعل لكل واحد من المسلمين مبلغًا محددًا، وفرض لزوجات النبى ﷺ وسراريه، وسائر المسلمين من الرجال والنساء والأطفال منذ الولادة والعبيد بمقادير مختلفة [٣]، وبإخراج هذا الديوان أظهر عمر اهتمامه بأمر الجهاد فى سبيل الله، واعتنى بأمر المجاهدين حفظًا لحقوقهم، وعمل سجل الجند باللغة العربية بالمدينة المنورة على يد نفر من نوابغ قريش وعلماء الأنساب منهم، ثم أمر بعمل الدواوين فى أقاليم الدولة الإسلامية، فدونت بلغة البلاد المفتوحة، ولم يتم تعريبها إلا فى خلافة عبدالملك بن مروان وابنه الوليد، وبعد تدوين الدواوين صار عمر يجمع المال مدة سنة ثم يقسمه بين الناس، لأنه يرى أن جمعه أعظم للبركة،

---

(١) جامع الأصول (٢/ ٧١)، أخبار عمر ص (٩٤).

(٢) فتوح البلدان ص (٤٣٦)، الأحكام السلطانية ص(٢٢٧).

(٣) سياسة المال فى الإسلام ص (١٦٠).

فكان جمع المال يستلزم أن يكون له أمناء، فكان زيد بن أرقم على بيت المال فى عهد عمر (١)، وروى أبو عبيد بسنده عن عبدالقارى من قبيلة القارة قال: كنت على بيت المال زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢).

ثالثًا: مصارف الدولة فى عهد عمر:

تنقسم مصارف بيت المال إلى ثلاثة أقسام هى: مصارف الزكاة وما يتصل بها، ومصارف الجزية والخراج والعشور وما يتصل بها، ومصارف الغنائم وما يتصل بها، وقد بين القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعمل الصحابة رضوان الله عليهم مصارف هذه الأبواب (٣).

١- مصارف الزكاة:

ذكر المولى عز وجل ثمانية أصناف ممن تجب لهم الزكاة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد كان الفقراء والمساكين فى عهد عمر رضى الله عنه يعطون من هذه الأموال ما يبعدهم عن المسكنة والفقر، ويخرجهم من الفاقة والعوز، ويقربهم إلى أدنى مراتب الغنى واليسار (٤)، وقد كان عمر رضى الله عنه يقول: إذا أعطيتم فأغنوا (٥)، وهذه هى السياسة العمرية الراشدة، وهى إعطاء ما يكفى وزيادة النسبة للعجز المؤقت، أما العجز المزمن من مرض ونحوه، فإن الزكاة بالنسبة لهذا الصنف من الناس معونة دائمة منتظمة حتى يزول الفقر بالغنى، ويزول العجز بالقدرة، والبطالة بالكسب، وتتعدى هذه السياسة العمرية المسلمين فتشمل مساكين أهل الكتاب بعد إسقاط الجزية عنهم(٦)، كما أن من نفقات الزكاة العاملين عليها فهم لهم وظائف شتى، وأعمال متشعبة، كلها تتصل بتنظيم الزكاة، وبإحصاء من تجب عليه، فيما تجب، ومقدار ما

---

(١) صبح الأعشى فى قوانين الإنشاء للقلقشندى (١/ ٨٩).
(٢) فقه الزكاة (١/ ٣١٨) هذا المصدر والذى فوقه من سياسة المال ص (١٦٠).
(٣) سياسة المال فى الإسلام ص (١٦٩).
(٤) النظام الإسلامى المقارن ص (١١٢)، سياسة المال ص (١٧١).
(٥) الأموال لأبى عبيد (٤/ ٦٧٦)، سياسة المال ص (١٧١).
(٦) سياسة المال فى الإسلام ص (١٧٢).

يجب، ومعرفة من تجب له، وكم عددهم، ومبلغ حاجتهم، وقدر كفايتهم إلى غير ذلك من الشئون التى تحتاج إلى جهاز كامل من الخبراء وأهل الاختصاص ومن يعاونهم [١]، وأما المؤلفة قلوبهم فقد أسقط عمر سهمهم، وذلك لأن الإسلام كان قوى الجانب فى خلافته فلا حاجة للإنفاق من أموال الزكاة على هذا الصنف من الأصناف الثمانية التى نصت عليها الآية [٢]، وأما فى عصرنا الحاضر فلايزال التأليف موجوداً بصورة أو أخرى، ويوجد من تنطبق عليه شروط المؤلفة قلوبهم [٣]، وقد استغل بعض خصوم الإسلام ودعاة الجمود من المسلمين إسقاط نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة فى عهد عمر فكتبوا عن هذه القصة، وادعوا أن عمر رضي الله عنه بهذا أوقف نصاً من نصوص القرآن الكريم، وهذا الادعاء ليس بصحيح، كما أنه لا يتفق مع الحقيقة، فالواقع أن الخليفة عمر رضى الله عنه أوقف نصيب المؤلفة قلوبهم لسبب وحكمة، وهى أن الإسلام أصبح عزيزاً قوياً بعد أن كان ضعيفاً فى عهده الأول، ورأى رضى الله عنه أنه لا داعى لتأليف هؤلاء وهؤلاء بعد العزة والنصرة والقوة [٤].

وقد وافق الصحابة على قرار الفاروق، ولم تأت هذه الموافقة اعتباطاً وإنما نتيجة الاقتناع بالمبررات التى دفع بها لإيقاف إعطاء المؤلفة قلوبهم، من حيث إن الإسلام قد غدا فى قوة ومكنة تجعلانه فى غنى عن عدد قليل لا وزن له بعد دخول أمم كثيرة فى الإسلام، كما أنه ليس ثمة خوف من هؤلاء الذين يطلبون التأليف، بل كان الخوف عليهم أن يظلوا على نزعتهم التواكلية، ثم إن حق هؤلاء ليس حقًا موروثًا يتوارثونه جيلاً بعد جيل [٥]، إن عمر لم يقف جامداً أمام هذا النص فيما يتصل بسهم المؤلفة قلوبهم، فهو قد فهم أن المقصود من النص هو إعزاز الإسلام بدخول أشراف العرب فيه، وتثبيت من أسلم منهم على الإسلام، فقد نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره، وحيث أعز الله الإسلام وكثر أهله فقد أصبح الإعطاء حينئذ – فى نظر عمر – ذلة وخنوعًا، وزالت العلة التى من أجلها جعل الله للمؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة، وبناء على ذلك أوقف عمر هذا السهم ولم يعطه لهم، وبناء على هذا الفهم الصحيح لا يجوز

---

(١) المصدر نفسه ص (١٧٣) .

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص (٢٠٢).

(٣) سياسة المال فى الإسلام ص (١٧٥) .

(٤) المصدر نفسه ص (١٧٧، ١٧٨).

(٥) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن فى الإسلام ص(٣٠٦).

أن نقول إن عمر ألغى العمل بالنص القرآنى المتعلق بإعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة لأن ذلك من قبيل النسخ، ولا نسخ إلا من طرف صاحب الشرع نفسه، وعليه فلا نسخ بعد وفاة الرسول ﷺ(١)، لقد كان عمر رضى الله عنه يراعى تغير الظروف والعلل التى بنيت عليها نصوص الأحكام، ولم يكن يقف مع ظواهرها كما سبق القول (٢)، كما كان الإنفاق فى الرقاب، والغارمين، وفى سبيل الله وابن السبيل، وقد اعتنى القرآن الكريم بابن السبيل أيّما اعتناء، فقد جعل له سهمًا من الزكاة ونصيبًا من الفيء ومن خمس الغنائم، وعناية الإسلام بالمسافرين الغرباء والمنقطعين عناية فذة لم يعرف لها نظير فى نظام من الأنظمة أو شريعة من الشرائع، ويؤكد هذه العناية هدى النبى ﷺ والصديق، كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتخذ فى عهده دارًا خاصة أطلق عليها (دار الدقيق)، وذلك أنه جعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع به، والضيف ومن ينزل بعمر، ووضع عمر فى طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به، ويحمل من ماء إلى ماء (٣).

إن هذا التحديد للأصناف الثمانية يوجب على الدولة حصرهم وتتبع حالتهم، وأن يكون هناك سجلات فى كل بلد، ثم فى المقر الرئيسى للدولة، وقد كان للصدقة ديوان خاص بها فى دار الخلافة، له فروع فى سائر الولايات، وقد كان ذلك فى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه بعد تدوين الدواوين (٤)، إن نظرة إلى تلك الأصناف الثمانية الذين ذكرتهم الآية نلاحظ أنها قد شملت المصالح الدينية والسياسية والاجتماعية من دعوة للجهاد فى سبيل الله، وتكوين الجيوش، والعمل على القضاء على الفقر، وسداد الدين، ودفع الحاجة عن ذوى الحاجة، أى أنها تشمل كل متطلبات المجتمع وإيجاد الأمن والمحبة والتآلف بين أفراده (٥).

٢- مصارف الجزية والخراج والعشور:

تصرف فى أعطيات الخلفاء، والعمال والجند، وآل البيت، وزوجات المجاهدين وغيرها من أوجه الخير.

---

(١) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ص (١٣٢، ١٣٣).

(٢) المصدر نفسه ص (١٣٤).

(٣) الطبقات (٣/٢٨٣).

(٤، ٥) سياسة المال فى الإسلام ص (١٨٤).

- أعطيات الخليفة:

وقد فرض للخليفة عمر رضى الله عنه من الأعطيات خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم على رواية أخرى.

- أعطيات العمال:

أى ولاة الأقاليم، ففى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه، عين الفاروق فى كل ولاية، واليا حازمًا عادلاً لحكمها وإدارتها، وزوده بعدد من الأعوان والمساعدين والجباة والقضاة والكتّاب وعمال الخراج، والصدقات وغيرهم، فكان للصلاة والحرب عامل - وهو الأمير - ولتحصيل الأموال عامل آخر، ولمساحة الأراضى وتقدير الضرائب وإحصاء الناس عمّال لهم خبرة ودراية، وقد أجرى لهم الأعطيات بما يتناسب مع منصب كل منهم وما تتطلبه أعماله، مراعيًا فى ذلك حالة الإقليم من قرب وبعد، وتوفر خيرات، ورخص وغلاء، ولم يجعل لصرفها موعداً ثابتًا لا يتخلف(١)، وسيأتى الحديث عن العمال بالتفصيل بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة العمال.

- أعطيات الجند:

اهتم عمر رضى الله عنه بأمر الجند فنظم ديوان الجيش، وسار فى تقسيم الأرزاق فيه على أساس القربى من النسب النبوى الشريف، والسابقة للإسلام (٢)، وبذلك أصبح فى مقدمة أصحاب المعاشات آل بيت رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم، وكان العباس يتسلمها ويوزعها عليهم، ثم زوجات النبى ﷺ وتختص كل واحدة بمعاش مستقل عن آل البيت، أما بقية المسلمين فقد قسموا إلى طبقات حسب ترتيب اشتراكهم فى الجهاد فى سبيل الله، فبدأ بأهل بدر، ثم من حاربوا بعد بدر إلى الحديبية ثم من حاربوا من الحديبية إلى آخر حروب الردة ثم من تلاهم ممن شهد القادسية واليرموك وهكذا، كما أنه جعل مخصصات لزوجات المحاربين وأطفالهم منذ الولادة ولم يغفل أمر الغلمان، واللقطاء، بل خصص لهم أعطيات سنوية، أدناها مائة درهم تتزايد عند بلوغهم(٣)، كما فرض للموالى من ألفين إلى ألف (٤). وقد وردت روايات كثيرة تتفق فيما بينها فى كثير من أرقام المقررات التى قررها الخليفة عمر رضى الله عنه أعطيات للجند،

---

(١) سياسة المال فى الإسلام ص (١٩٨).

(٢) الأحكام السلطانية ص (٢٢٧)، سياسة المال ص (١١٩).

(٣) الطبقات (٣/٣٠١).

(٤) تاريخ اليعقوبى (٢/١٥٣، ١٥٤).

وتختلف بعض الاختلافات فى تلك المقادير [1]، وأما ما صح من مقادير العطاء فإن عطاء زوجات النبى ﷺ كان عشرة آلاف درهم (١٠٠٠٠درهم) كل سنة إلا جويرية وصفية وميمونة فقد فرض لهن أقل من ذلك ثم زاد عطاءهن إلى اثنى عشر ألف درهم (١٢٠٠٠ درهم) إلا صفية وجويرية كان عطاؤهن ستة آلاف درهم (٦٠٠٠درهم)، وقد طالبت عائشة بالمساواة بين أمهات المؤمنين، فوافق عمر على مساواتهن، وكان عطاء المهاجرين والأنصار أربعة آلاف درهم (٤٠٠٠درهم) لكل واحد سنويًا سوى عبدالله بن عمر بن الخطاب فإنه فرض له ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم (٣٥٠٠درهم) معللاً ذلك بأنه هاجر به أبوه أى ليس كمن هاجر بنفسه [2]، وكان عبدالله صبيًا حين الهجرة، ثم زاد المهاجرين ألفًا فصار عطاؤهم خمسة آلاف درهم (٥٠٠٠درهم) كل سنة [3]، ويبدو أن هذا العطاء للبدريين فقط من المهاجرين والأنصار [4]، وأما من شهد صلح الحديبية فكان عطاؤه ثلاثة آلاف درهم (٣٠٠٠درهم) كل سنة [5]، وفرض لكل مولود مائة درهم (١٠٠درهم) وكان يفرض للفطيم ثم فرض للمولود حين ولادته خوفًا من تعجيل فطامه، وأما الموالى فقد فرض لأشرافهم كالهرمزان حينما أسلم ألفى درهم (٢٠٠٠درهم) وغير ذلك من الأعطيات، وإضافة إلى العطاء السنوى فإن عمر رضى الله عنه كان يوزع عطايا متفرقة [6]، وإلى جانب ما خصص لكل فرد ممن سبق ذكرهم وزيادة على عطائه السابق طعام من الحنطة كل شهر [7]، وقد قال الخليفة عمر رضى الله عنه فى آخر عهده : لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم، ألف لسفره، وألف لسلاحه، وألف يخلفها لأهله، وألف لفرسه وبغله [8]، وقد روى الخليفة عمر رضى الله عنه أن لكل مسلم حقًا فى بيت المال، منذ أن يولد حتى يموت، ولقد أعلن هذا المبدأ بقوله : والله الذى لا إله إلا هو - ثلاثًا - ما من أحد إلا له فى هذا المال حق أعطيَه أو مُنعَه، وما أحد بأحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدكم، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله فالرجل وبلاؤه فى الإسلام، والرجل وقدمه فى الإسلام، والرجل وغناؤه فى الإسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيت

---

(١) سياسة المال فى الإسلام ص (٢٠٠).

(٢، ٣، ٤) عصر الخلافة الراشدة ص (٢١٤).

(٥، ٦) المصدر نفسه ص (٢١٥).

(٧) سياسة المال فى الإسلام ص (٢٠٢) .

(٨) سياسة المال فى الإسلام ص (٢٠٣)، الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٨).

ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يُخمَّرَ وجهه (١).

ومن المهم أن نتبين وجهة نظر عمر رضى الله عنه فى عدم المساواة بين المسلمين فى العطاء، ودعمه الواضح لقرابة الرسول ﷺ ولكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار واعتباره للسابقة فى الإسلام والبلاء فى الجهاد، فلاشك أن الفئة التى حازت الأموال الوفيرة فى خلافته هى التى أقامت على أكتافها صرح الدولة الإسلامية، كما أنها أكثر فقها والتزامًا بالشرع ومقاصده، وأكثر ورعًا وصلاحًا فى التعامل مع المال، وتذليله لتحقيق المقاصد الاجتماعية عن طريق الإنفاق، ودعم هذه الفئة اقتصاديًا يقوى نفوذها فى المجتمع، ويجعلها أقدر على القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويلاحظ أن عمر رضى الله عنه عزم على تبديل سياسة التفضيل فى العطاء إلى المساواة، وقد صرح بذلك فى آخر خلافته قائلاً: لئن بقيت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم بيانا واحداً (٢) - أى سواء - وأما عن نظرة عمر إلى الأموال العامة فقد عبر عنها بقوله: إن الله جعلنى خازنًا لهذا المال، وقاسمًا له، ثم قال: بل الله يقسمه (٣)، وقد بكى عندما رأى عظمة الأموال التى جلبت إلى بيت المال فى فتوح فارس، فلما ذكره عبدالرحمن بن عوف بأنه يوم شكر وسرور فرح، قال عمر: كلا إن هذا لم يعطه قوم إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء(٤)، ونظر إلى أموال فتح جلولاء فقرأ الآية: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤] وقال: اللهم لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم فاجعلنى أنفقه فى حقه وأعوذ بك من شره(٥).

٣- مصارف الغنائم:

أما توزيع الغنائم فقد قسمها الله تعالى ورسوله ﷺ كما جاء فى الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وأما أربعة أخماس الغنيمة الباقية فكانت

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/٢٩٩) كتاب الخراج لأبى يوسف ص (٥٠).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص(٢١٦)، الأموال ابن زنجويه (٢/٥٧٦).

(٣) الأثر صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص (٢١٦).

(٤، ٥) المصدر نفسه ص (٢١٧)، الأثر صحيح.

توزع بين الغانمين للفارس ثلاثة أسهم: سهمان لفرسه وسهم له، وللراجل سهم (١)، وقد كان للرسول ﷺ سهم في حياته ينفقه على نفسه، وأزواجه، وما بقى من هذه الأسهم كان يجعله في المصالح العامة أو ينفقه على أهل الفاقة والاحتياج، وكان لذوى قربى الرسول ﷺ السهم الثانى، وهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب الذين خضعوا للإسلام وشملتهم دعوته عليه الصلاة والسلام، وقد اختلف الناس بعد وفاة الرسول ﷺ في هذين السهمين، سهم الرسول ﷺ، وسهم ذوى القربى، فقال قوم: سهم الرسول للخليفة من بعده، وقال آخرون: سهم ذوى القربى لقرابة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقالت طائفة: سهم ذوى القربى لقرابة الخليفة من بعده، فأجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والسلاح (٢)، وبذلك أصبحت مخصصات السهمين تصرف في مصالح المسلمين العامة، كتجهيز الجيوش، وسد الثغور، والعمل على تقوية الدولة وتمكينها، في عهد الخليفة الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأما مخصصات الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فقد بقيت كما كانت على أيام الرسول ﷺ، ولم يطرأ عليها أى تغيير أو تعديل في أيام الخليفة الثانى رضى الله عنه (٣).

هذه بعض المعالم الواضحة على المؤسسة المالية في زمن الفاروق، وكيف عمل على تطويرها، وقد كان رضى الله عنه شديد الورع في المال العام ويظهر ذلك في قوله: أنا أخبركم بما أستحل من مال الله، حلة الشتاء والقيظ وما أحج عليه وأعتمر من الظهر، وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، أنا رجل من المسلمين يصيبنى ما يصيبهم (٤)، وكان يقول: اللهم إنك تعلم أنى لا آكل إلا وجبتى، ولا ألبس إلا حلتى، ولا آخذ إلا حقى (٥)، وكان يقول: إنى أنزلت مال الله منى بمنزلة مال اليتيم من كان غنياً فليستعفف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف (٦).

٤- أمور متعلقة بالتطور الاقتصادى في الدولة:

- إصدار النقود الإسلامية:

تعتبر النقود من المعادن الثمينة كالذهب والفضة وهى وسيلة ضرورية للحياة

(١، ٢) الخراج لأبى يوسف ص (٢٢).

(٣) سياسة المال في الإسلام ص (٢٠٥، ٢٠٦).

(٤) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/٦٩٨) الأثر صحيح.

(٥) المصدر نفسه (٢/٦٩٨)، عصر الخلافة الراشدة ص(٢١٨).

(٦) الطبقات (٣/٣١٣)، عصر الخلافة الراشدة ص (٣١٨).

الاجتماعية الخاصة والعامة، لاسيما في التعامل بين الأمم والدول، وما يعنينا من هذا الموضوع – وقد أصبح للإسلام دولة فيها مسلمون وغيرهم من الناس، ويجاورها أمم ودول ذات نظم وحضارات، ظلت تتعامل مع الدولة الإسلامية في عهد عمر وغيره من خلفاء وأمراء المسلمين – هو الناحية التنظيمية والإدارية التي سلكها عمر بشأن النقود، سواء أكان في داخل الدولة الإسلامية أم في دور الحرب الأخرى (١)، فالمعلومات التاريخية تشير إلى أن عمر بن الخطاب قد أبقى على تداول النقود والعملة التي كانت متداولة قبل الإسلام وفي عهد الرسول ﷺ وأبي بكر بما كان عليها من نقوش هرقلية عليها نقوش مسيحية أو كسروية رُسم فيها بيت النار، بيد أنه أقرها على معيارها الرسمي المعروف على عهد النبي ﷺ وأبي بكر، مضيفاً إليها كلمة جائز، لتمييزها من البهارج الزائفات (٢)، فالذي ضرب النقود المسكوكة في الخارج وأقر التعامل بها وقرر الدرهم الشرعي في الإسلام هو الفاروق رضي الله عنه، يقول الماوردي: إن عمر بن الخطاب هو الذي حدد مقدار الدرهم الشرعي (٣)، ويقول المقريزي: وأول من ضرب النقود في الإسلام عمر بن الخطاب سنة ثماني عشر من الهجرة على نقش الكسروية وزاد فيها: الحمد لله. وفي بعضها: لا إله إلا الله، وعلى جزء منها اسم الخليفة عمر (٤)، وعليه فإن الفاروق رضي الله عنه قد وضع تنظيماً خاصاً لوسيلة من وسائل الحياة الضرورية للمسلمين وغيرهم أثناء حكمه وقد تبعه الخلفاء الراشدون وغيرهم ممن طوروا هذا الأمر مع تطور وتقدم المدنية والحضارة (٥).

- الإقطاع:

مضى أبو بكر رضي الله عنه في تطبيق السياسة النبوية في إقطاع الأراضي للناس طلباً لاستصلاحها، فقد أقطع الزبير بن العوام أرضاً مواتاً ما بين الجرف وقناة (٦)، وأقطع مجاعة بن مرارة الحنفي الخضرمة (قرية كانت باليمامة) وأراد إقطاع عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس التميمي أرضا سبخة – ليس فيها كلأ ولا منفعة – أرادا

---

(١) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص (٣٦٤).

(٢) المصدر نفسه ص (٣٦٦).

(٣) الأحكام السلطانية ص (١٤٧).

(٤) شذور العقود في ذكر النقود ص (٣١-٣٣).

(٥) الإدارة العسكرية في عهد عمر ص (٣٦٧).

(٦) الطبقات الكبرى (٣/١٠٤)، الأثر صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص (٢٢٠).

استصلاحها ثم عدل عن ذلك أخذا برأى عمر رضى الله عنه فى عدم الحاجة لتاليفهما على الإسلام، فقد قال لهما عمر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان يتالفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله عز وجل قد أعز الإسلام، فاذهبا فأجهدا جهدكما (١)، ومن الواضح أن اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي بل على أشخاص بعينهم لا يرى تاليفهم على الإسلام، وقد توسع عمر رضى الله عنه فى إقطاع الأراضى لغرض استصلاحها جرياً على السياسة النبوية، فقد أعلن: يا أيها الناس من أحيا أرضًا ميتة فهى له (٢)، وتعتضد آثار ضعيفة لتؤكد انتزاع عمر رضى الله عنه ملكية الأرض المقتطعة إذا لم يتم استصلاحها، وتحدد رواية ضعيفة لذلك ثلاث سنوات من تاريخ الإقطاع، وقد ثبت إقطاع عمر رضى الله عنه لخوات بن جبير أرضًا مواتا(٣)، وللزبير بن العوام أرض العقيق جميعها، ولعلى بن أبى طالب أرض ينبع، فتدفق فيها الماء الغزير، فأوقفها على رضى الله عنه صدقة على الفقراء، وتوجد آثار ضعيفة لإقطاعه عدداً من الصحابة الآخرين (٤).

****

(١) البخارى: التاريخ الصغير (١/٨١)، عصر الخلافة الراشدة ص (٢٢١).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص(٢٢١) الأثر صحيح.

(٣) المصدر نفسه ص (٢٢١).

(٤) المصدر نفسه ص (٢٢٢).

المبحث الثانى
المؤسسة القضائية

عندما انتشر الإسلام، واتسعت رقعة الدولة فى عهد عمر، وارتبط المسلمون بغيرهم من الأمم، دعت حالة المدينة الجديدة إلى تطوير مؤسسة القضاء، فقد كثرت مشاغل الخليفة، وتشعبت أعمال الولاة فى الأمصار، وزاد النزاع والتشاجر، فرأى عمر رضى الله عنه أن يفصل الولايات بعضها عن بعض، وأن يجعل سلطة القضاء مستقلة، حتى يتفرغ الوالى لإدارة شئون ولايته، فأصبح للمؤسسة القضائية قضاة مستقلون، عن الولايات الأخرى، كولاية الحكم والإدارة، فكان عمر بهذا أول من جعل للقضاء ولاية خاصة، فعين القضاة فى الأمصار الإسلامية، فى الكوفة والبصرة والشام، ومصر، وجعل القضاء سلطة تابعة له مباشرة، سواء كان التعيين من الخليفة، أو كان بتفويض أحد ولاته بذلك نيابة عنه، وهذا يدل على أن القيادة الإسلامية متمثلة فى شخصية الفاروق، لم تكن عاجزة عن وضع قواعد أصلية، فى تنظيم الدولة وترتيب شئونها، وتحديد سلطاتها، وإذا كانت أوربا قد اكتشفت هذه القاعدة بصورة نظرية فى القرن الثامن عشر، واعتبرتها فتحًا جديداً فى تنظيم الدولة، وفى رعاية حقوق المواطنين، يوم تحدث عنها (مونتسكو) فى كتابه روح الشرائع ، ولكن لم يكتب لهذه القاعدة التطبيق العملى إلا فى أوائل القرن التاسع عشر، أى بعد الثورة الفرنسية، فإن الإسلام قد أقرها قبل أربعة عشر قرناً، واعتبرها أصلا من أصول نظامه، وقد كانت هذا الأصل من زمن الرسول ﷺ حين أرسل معاذاً إلى اليمن وسأله رسول الله ﷺ بما تقضى يا معاذ؟ فبين معاذ أنه يقضى بكتاب الله، فإن لم يجد فبسنة رسول الله، فإن لم يجد يجتهد رأيه ولا يألو، فأقره الرسول ﷺ على ذلك[1]. وأما الفاروق، فقد قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلق بها من أمور، وأصبح فى عهده مبدأ فصل القضاء عن غيره من السلطات واضحًا فى حياة الناس ولم يكن استقلال ولاية القضاء مانعًا لعمر رضى الله عنه من أن يفصل فى بعض القضايا، وربما ترك بعض ولاته يمارسون القضاء مع السلطة التنفيذية، ويراسلهم فى الشئون القضائية، فقد راسل المغيرة بن شعبة فى أمر القضاء وكان واليه على البصرة ثم الكوفة، وراسل معاوية واليه على الشام فى النزاع القضائى، وراسل أبا

(١) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (٢/٥٣).

موسى الأشعرى فى شأن بعض القضايا، وكان القاضى يعين للولاية كلها، سواء أكان تعيينه من قبل الخليفة أم كان من قبل الوالى بأمر الخليفة، وكان مقر القاضى حاضرة الولاية وإليه ترجع السلطة القضائية فى ولايته[1]، وقد تم فصل السلطة القضائية فى الولايات الكبيرة على الغالب، مثل الكوفة، ومصر، وقد جمع لبعض ولاته بين الولاية والقضاء إذا كان القضاء لا يشغلهم عن شئون الولاية، وراسلهم بهذا الوصف فى شئون القضاء، وأنه كان يقوم بالقضاء فى بعض الأحيان مع وجود قضاة له بالمدينة[2]، ومن القضاة الذين قصرهم الفاروق فى خلافته على القضاء وحده:

- عبد الله بن مسعود: ولاه عمر قضاء الكوفة، فقد روى قتادة عن مجلز أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة، وبعث عبد الله بن مسعود على بيت المال والقضاء[3].

- سلمان بن ربيعة: ولاه عمر القضاء على البصرة ثم القادسية.

- قيس بن أبى العاص القرشى تولى قضاء مصر.

وأما الذين جمعوا بين الولاية والقضاء فمنهم:

- نافع الخزاعى والى مكة، ذكر ابن عبد البر أن عمر بن الخطاب استعمله على مكة وفيهم سادة قريش، ثم عزله وولى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى[4].

- يعلى بن أمية والى صنعاء.

- سفيان بن عبد الله الثقفى والى الطائف.

- المغيرة بن شعبة والى الكوفة.

- معاوية بن أبى سفيان والى الشام.

- عثمان بن أبى العاص الثقفى والى البحرين وعمان.

- أبو موسى الأشعرى والى البصرة.

- عمير بن سعد والى حمص.

---

(١) القضاء فى الإسلام، عطية مصطفى ص (٧٧).

(٢) النظام القضائى فى العهد النبوى والخلافة الراشدة، القطان ص (٤٧).

(٣) أخبار القضاء لوكيع (٢/ ١٨٨).

(٤) النظام القضائى فى العهد النبوى ص (٤٩).

ومن هؤلاء من أبقاه الفاروق على القضاء مع الولاية، كما فعل مع معاوية، ومنهم من فصل القضاء عن سلطته وقصره على الولاية كما فعل مع المغيرة، وأبى موسى الأشعرى، ومن قضاة الفاروق بالمدينة:

- على بن أبى طالب.

- زيد بن ثابت رضى الله عنه فقد روى عن نافع: أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقًا(١).

- السائب بن أبى يزيد(٢).

أولاً: من أهم رسائل عمر إلى القضاة:

إن الفاروق رضى الله عنه وضع دستوراً قويمًا فى نظام القضاء والتقاضى، وقد اهتم كثير من أعلام الفقه الإسلامى بشرح هذا الدستور والتعليق عليه، ونجد الدستور العمرى فى القضاء فى رسالته لأبى موسى الأشعرى وهذا نص الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس(٣)، سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس(٤) بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك(٥)، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا، أو حرم حلالاً، لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقًا غائبًا أو بينة أمداً ينتهى إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت(٦)، عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى،

(١) أخبار القضاء لوكيع (١/١٠٨).

(٢) وقائع ندوة النظم الإسلامية فى أبى ظبى (١/٣٧٥).

(٣) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعرى.

(٤) آس بينهم: سوِّ.

(٥) حيفك: ظلمك.

(٦) استحللت: سأله أن يحله له.

المسلمون عدول[1]، بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد، أو مجربًا عليه شهادة زور، أو ظنينًا فى ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر، ودرأ[2] بالبينات والأيمان، وإياك والغلق[3]، والضجر والتأذى للخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإن القضاء فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه، شانه الله فما ظنك بثواب الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام[4]، وقد جمعت هذه الرسالة العجيبة آداب القاضى، وأصول المحاكمة، وقد شغلت العلماء بشرحها والتعليق عليها هذه القرون الطويلة ولا تزال موضع دهشة وإكبار لكل من يطلع عليها، ولو لم يكن لعمر من الآثار غيرها، لعد بها من كبار المفكرين والمشرعين ولو كتبها رئيس دولة فى هذه الأيام التى انتشرت فيها قوانين أصول المحاكمات، وصار البحث فيها مما يقرؤه الأولاد فى المدارس، لكانت كبيرة منه فكيف وقد كتبها عمر منذ نحو أربعة عشر قرنًا، ولم ينقلها من كتاب ولا استمدها من أحد، بل جاء بها فى ذهنه، ثمرة واحدة من آلاف الثمرات، للغرسة المباركة التى غرسها فى قلبه محمد ﷺ، حين دخل عليه فى دار الأرقم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله[5].

ومن الرسائل المهمة فى هذا الباب رسالة الفاروق إلى أبى عبيدة رضى الله عنه: أما بعد فإنى كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسى خيراً، الزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ بأفضل حظيك: إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات العدول، والأيمان القاطعة، ثم أدن الضعيف حتى تبسط لسانه، ويجترىء قلبه، وتعهد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله، وإن الذى أبطل من لم يرفع به رأسًا. واحرص على الصلح ما لم يستبن لك القضاء، والسلام[6]. وكتب رضى الله عنه إلى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فى القضاء: أما بعد، فإنى كتبت إليك بكتاب فى القضاء لم آلك ونفسى فيه خيراً، الزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ فيه بأفضل

---

(١) عدول: هو المستقيم فى أمره.

(٢) درأ الشيء: دفعه.

(٣) الغلق: ضاق صدره وقل صبره.

(٤) أعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٨٥).

(٥) أخبار عمر ص (١٧٤).

(٦) مجموعة الوثائق السياسية ص (٤٣٨).

حظك: إذا تقدم إليك خصمان فعليك بالبينة العادلة أو اليمين القاطعة، وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه، وتعهد الغريب، فإنك إن لم تتعهده ترك حقه، ورجع إلى أهله، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به، وآس بينهم فى لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس، ما لم يستبن لك فصل القضاء[1]، وكتب إلى القاضى شريح عن الاجتهاد: إذا أتاك أمر فاقض فيه بما فى كتاب الله فإن أتاك ما ليس فى كتاب الله فاقض بما سن فيه رسول الله، فإن أتاك ما ليس فى كتاب الله ولم يسنه رسول الله ولم يتكلم فيه أحد فأى الأمرين شئت فخذ به. وفى رواية أخرى: فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيراً لك[2]، ويمكن للباحث من خلال رسائل الفاروق وحياته فى زمن خلافته أن يستخرج ما يتعلق بالمؤسسة القضائية فى الأرزاق والعزل، وأنواع القضاة وصفاتهم وما يجب عليهم ومصادر أحكامهم وخضوع الخليفة نفسه للقضاء وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذه المؤسسة.

ثانياً: تعيين القضاة ورزقهم واختصاصهم القضائى:

١ - تعيين القضاة:

يصدر تعيين القضاة من الخليفة رأساً، فقد عين عمر بن الخطاب شريحاً بالكوفة، أو يكون التعيين من الوالى بتفويض من الخليفة، كما عين عمرو بن العاص والى مصر عثمان بن قيس بن أبى العاص قاضياً بها فحق تعيين القاضى إلى الخليفة، إن شاء عينه بنفسه، وإن شاء فوضه إلى واليه، ولم يكن تعيين القضاء مانعاً من أن يتولى الخليفة القضاء بنفسه، لأن القضاء من سلطاته، وهو الذى يتعهد بالقضاء إلى غيره، فالحق الأول فى القضاء إليه ولا يكتسب القاضى الصفة القضائية إلا إذا عينه الخليفة بنفسه، أو بواسطة واليه[3]. ويجوز للخليفة أن يعزل القاضى لسبب من الأسباب الداعية إلى ذلك، كما إذا زالت أهلية القاضى وصلاحيته للحكم، أو ثبت عليه ما يخل بواجب القضاء، وإن لم يجد سبباً للعزل فالأولى أن لا يعزله، لأن القاضى معين لمصلحة المسلمين فيبقى مادامت المصلحة محققة[4]، وقد عزل عمر رضى الله عنه بعض القضاة

---

(١) البيان والتبيين (٢/ ١٥٠).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٠).

(٣) النظام القضائى، مناع القطان ص (٧٢، ٧٣).

(٤) مغنى المحتاج (٤/ ٣٨٢)، النظام القضائى ص (٧٧).

وولى غيرهم[1]، مثلما عزل أبا مريم الحنفى، فقد وجد فيه ضعفًا فعزله.

٢ - رزق القضاة:

كان عمر رضى الله عنه يوصى الولاة باختيار الصالحين للقضاء، وبإعطائهم المرتبات التى تكفيهم[2]، فقد كتب إلى عبيدة ومعاذ: انظروا رجالاً صالحين فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم[3]، وقد ذكر الدكتور العمرى مرتبات بعض القضاء فى عهد عمر رضى الله عنه وهى كالآتى: سلمان بن ربيعة الباهلى (الكوفة) ٥٠٠ درهم كل شهر، شريح القاضى (الكوفة) ١٠٠ درهم كل شهر، عبد الله بن مسعود الهذلى (الكوفة) ١٠٠ درهم كل شهر وربع شاة كل يوم، وعثمان بن قيس بن أبى العاص (مصر) ٢٠٠ دينار، وقيس بن أبى العاص السهمى (مصر) ٢٠٠ دينار لضيافته[4].

٣ - الاختصاص القضائى:

كان القاضى فى عصر الخلافة الراشدة يقضى فى الخصومات كلها، أيا كان نوعها، فى المعارضات المالية، وفى شئون الأسرة، وفى الحدود والقصاص، وسائر ما يكون فيه الشجار، وليس هناك ما يشير إلى ما يعرف اليوم بالاختصاص القضائى سوى ما جاء فى تولية السائب بن يزيد بن أخت النمر من قول عمر بن الخطاب له: رد عنى الناس فى الدرهم والدرهمين[5]، ويجوز أن يعهد الخليفة إلى القاضى أن يقضى فى قضية بعينها وينتهى اختصاصه بالنظر فيها، وكان القضاة يقضون فى الحقوق المدنية والأحوال الشخصية، أما القصاص والحدود فكان الحكم فيها للخلفاء، وأمراء الأمصار، فلا بد من موافقتهم على الحكم، ثم انحصرت الموافقة على تنفيذ حد القتل بالخليفة وحده، وبقى للولاة حق المصادقة على أحكام القصاص دون القتل، ولم يكن للقضاء مكان مخصص، بل يقضى القاضى فى البيت والمسجد، والشائع جلوسهم فى المسجد[6]، ولم تكن الأقضية تسجل لقلتها وسهولة حفظها، وكان بإمكان القاضى حبس المتهم للتأنيب

---

(١) النظام القضائى ص (٧٧).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٣).

(٣) النظام القضائى ص (٧٦).

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص (١٥٩).

(٥) النظام القضائى ص ٧٤، عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٤).

(٦) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٥).

واستيفاء الحقوق، وقد فعل ذلك عمر وعثمان وعلى، فكانت الدولة تهيئ السجون فى مراكز المدن، وكان القصاص ينفذ خارج المساجد[1].

ثالثًا: صفات القاضى وما يجب عليه:

- **صفات القاضى**: من خلال سيرة عمر رضى الله عنه استنبط العلماء أهم صفات القاضى المراد تعيينه:

١ - العلم بالأحكام الشرعية: لأنه سيطبقها على الحوادث، ويستحيل عليه تطبيقها مع الجهل بها.

٢ - التقوى: فقد كتب عمر إلى معاذ بن جبل وأبى عبيدة بن الجراح أن انظرا رجالاً من صالحى من قبلكم فاستعملاهم على القضاء[2].

٣ - الترفع عما فى أيدى الناس: فقد قال عمر رضى الله عنه: لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع[3]، ولا يتبع المطامع[4].

٤ - الفطنة والذكاء: ويشترط فى القاضى أن يكونا فطنًا ذكيًا ينتبه إلى دقائق الأمور، فعن الشعبى أن كعب بن سوار كان جالسًا عند عمر فجاءته امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجى، والله إنه ليبيت ليله قائمًا، ويظل نهاره صائمًا فى اليوم الحر ما يفطر، فاستغفر لها وأثنى عليها وقال: مثلك أثنى بالخير، قال: فاستحيت المرأة فقامت راجعة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها. قال: وما شكت؟ قال: شكت زوجها أشد الشكاية، قال: أو ذاك أرادت؟ قال: نعم، قال: ردوا علىَّ المرأة، فقال: لا بأس بالحق أن تقوليه، إن هذا زعم أنك تشكين زوجك إنه يجنب فراشك، قالت: أجل، إنى امرأة شابة وإنى لأبتغى ما تبغى النساء، فأرسل إلى زوجها فجاء، فقال لكعب: اقض بينهما، قال: أمير المؤمنين أحق أن يقضى بينهما، قال: عزمت عليك لتقضين بينهما فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه، قال: إنى أرى كأنها عليها ثلاثة نسوة هى رابعتهم فأقضى له بثلاثة أيام بلياليهن يتعبد

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٥).

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٣)، المغنى (٩/٣٧).

(٣) يضارع: يرائى.

(٤) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (٢/١٠٢).

فيهن، ولها يوم وليلة فقال عمر: والله ما رأيك الأول أعجب إليَّ من الآخر، اذهب فأنت قاض على البصرة[1].

٥ – الشدة فى غير عنف واللين من غير ضعف: قال عمر: لا ينبغى أن يلى هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين فى غير ضعف، والشدة فى غير عنف، والإمساك فى غير بخل، والسماحة فى غير سرف[2]، وقال: لا يقيم أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كلمة لا ينقص غربه، ولا يطمع فى الحق على حدته[3].

٦ – قوة الشخصية: قال عمر: لأعزلن أبا مريم وأولين رجلاً إذا رآه الفاجر فرقه، فعزله عن قضاء البصرة، وولى كعب بن سور مكانه[4].

٧ – أن يكون ذا مال وحسب: فقد كتب عمر إلى بعض عماله لا تستقضين إلا ذا مال وذا حسب؛ فإن ذا المال لا يرغب فى أموال الناس، وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس[5].

– ما يجب على القاضى:

هناك أمور بينها الفاروق لابد للقاضى من مراعاتها لإقامة صرح العدالة منها:

١ – الإخلاص لله فى العمل: فقد كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى: إن القضاء فى مواطن الحق يوجب الله له الأجر ويحسن به الذخر، فمن خلصت نيته فى الحق ولو كان على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فى قلبه شانه الله، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصاً، وما ظنك بثواب غير الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته[6].

٢ – فهم القضية فهماً دقيقاً: ودراستها دراسة واعية قبل النطق بالحكم ولا يجوز له النطق بالحكم قبل أن يتبين له الحق، فكتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى: افهم إذا أدلى إليك، وقال أبو موسى مرة: لا ينبغى لقاض أن يقضى حتى يتبين له الحق كما يتبين له الليل والنهار، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال: صدق أبو موسى[7].

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٣).

(٢، ٣، ٤، ٥) المصدر نفسه ص (٧٢٤).

(٦) أعلام الموقعين لابن القيم (١/٨٥).

(٧) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٥).

٣ – الحكم بالشريعة الإسلامية: سواء كان الخصوم من المسلمين أم من غير المسلمين فعن زيد بن أسلم أن يهودية جاءت إلى عمر بن الخطاب فقالت: إن ابنى هلك، فزعمت اليهود أنه لا حق لى فى ميراثه فدعاهم عمر فقال: ألا تعطون هذه حقها؟ فقالوا: لا نجد لها حقًا فى كتابنا، فقال: أفى التوراة؟ قالوا: بل فى المشناة، قال: وما المشناة؟ قالوا: كتاب كتبه أقوام علماء وحكماء، فسبهم عمر وقال: اذهبوا فأعطوها حقها[١].

٤ – الاستشارة فيما أشكل عليه من الأمور: فقد كتب عمر إلى أحد القضاة: واستشر فى دينك الذين يخشون الله عز وجل[٢]، وكتب إلى شريح: وإن شئت أن تؤامرنى ولا أرى مؤامرتك إياى إلا أسلم لك[٣]، وكان عمر كثير الاستشارة حتى قال الشعبى: من سره أن يأخذ بالوثيقة من القضاء فليأخذ بقضاء عمر فإنه كان يستشير[٤].

٥ – المساواة بين المتخاصمين: وقد كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى: سوِّ بين الناس فى وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، وكتب أيضًا: اجعلوا الناس عندكم فى الحق سواء قريبهم كبعيدهم، وبعيدهم كقريبهم، وعندما ادعى أبى بن كعب على عمر دعوى – فى حائط – فلم يعرفها عمر فجعلا بينهما زيداً بن ثابت فأتياه فى منزله فلما دخلا عليه قال له عمر: جئناكم لتقضى بيننا – وفى بيته يؤتى الحكم – قال: فتنحى له عن صدر فراشه – وفى رواية فأخرج له زيد وسادة فألقاها إليه – وقال: ها هنا يا أمير المؤمنين، فقال عمر: جرت يا زيد فى أول قضائك، ولكن أجلسنى مع خصمى، فجلسا بين يديه[٥].

٦ – تشجيع الضعيف: حتى يذهب عنه الخوف ويجترىء على الكلام، فقد كتب عمر إلى معاوية: أدن الضعيف حتى يجترىء قلبه وينبسط لسانه[٦].

٧ – سرعة البت فى دعوى الغريب أو تعهده بالرعاية والنفقة: وقد كتب عمر

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٥).
(٢) المصدر نفسه ص (٧٢٥)، سنن البيهقى (١٠/١١٢).
(٣) المصدر نفسه ص (٧٢٥)، سنن البيهقى (١٠/١١٠).
(٤) المصدر نفسه ص (٧٢٥)، سنن البيهقى (١٠/١٠٩).
(٥) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (٢٥٩).
(٦) مجموعة الوثائق السياسية ص (٤٣٨).

إلى أبى عبيدة: تعاهد الغريب فإنه إن طال حبسه - أى طالت إقامته وبعده عن أهله من أجل هذه الدعوى - ترك حقه وانطلق إلى أهله، وإنما أبطل حقه من لم يرفع به رأسًا[١].

٨ - سعة الصدر: فقد كتب عمر إلى أبى موسى: إياكم والضجر، والغضب والقلق والتأذى بالناس عند الخصومة، فإذا رأى القاضى من نفسه شيئًا من هذا، فلا يجوز له النطق بالحكم حتى يذهب عنه ذلك، لئلا يكون الدافع إلى الحكم حالة نفسية معينة، فقد كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى: ولاتحكم وأنت غضبان[٢]، وعن شريح قال: شرط علىَّ عمر حين ولانى القضاء أن لا أقضى وأنا غضبان[٣]، ومما يؤدى إلى ضيق الصدر ويدفع أحيانًا إلى الاستعجال المخل فى البت فى بعض القضايا الجوع والعطش ونحو ذلك، ولذلك قال عمر: لا يقضى القاضى إلا وهو شبعان ريان[٤].

٩ - تجنب كل ما من شأنه التأثير على القاضى: كالرشوة، وتساهل التجار معه فى البيع والشراء والهدايا ونحو ذلك، ولذلك منع عمر القضاة من العمل بالتجارة، والصفق بالأسواق، وقبول الهدايا والرشاوى، فكتب إلى أبى موسى الأشعرى: لا تبيعن ولا تبتاعن ولا تضاربن ولا ترتش فى الحكم، وقال شريح: شرط علىَّ عمر حين ولانى القضاء أن لا أبيع ولا أبتاع ولا أرشى، وقال عمر: إياكم والرشا، والحكم بالهوى[٥].

١٠- الأخذ بالأدلة الظاهرة دون البحث عن النوايا: فقد خطب عمر بالناس فكان مما قال: إنا كنا نعرفكم ورسول الله فينا، والوحى ينزل وينبئنا بأخباركم، وأما اليوم فإننا نعرفكم بأقوالكم، فمن أعلن لنا خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أعلن لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه وسرائركم فيما بينكم وبين الله[٦].

١١- الحرص على الصلح بين المتخاصمين: قال عمر: ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس، فإن عادوا بصلح يتفق مع شرع الله أمضاه القاضى وإن كان صلحهم لا يتفق مع أحكام الشريعة نقضه القاضى، قال عمر: الصلح

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص (٤٣٨).

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٦).

(٣) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٦)، المغنى (٩/٧٩).

(٤) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٦)، سنن البيهقى (١٠/١٠٦).

(٥) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٧).

(٦) البخارى رقم (٢٦٤١)، سنن البيهقى (١٠/١٢٥- ١٥٠).

جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً[١]، وعلى القاضى أن يحرص على الصلح خاصة بين المتخاصمين إذا لم يتبين له الحق، فقد كتب عمر إلى معاوية: احرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء، أو كانت بينهم قرابة، فإن فصل القضاء يورث الشنآن[٢].

١٢- العودة إلى الحق: إذا أصدر القاضى حكمًا فى قضية من القضايا ثم تغير اجتهاده فى الحكم فيها، فلا يجوز له أن يجعل للاجتهاد الجديد أثرًا رجعيًا، فينقض به الحكم الذى أصدره قبل تغير اجتهاده، كما لا يجوز لقاض بعده أن ينقض الحكم الصادر، فعن سالم بن أبى الجعد قال: لو كان على طاعنًا على عمر يومًا من الدهر لطعن عليه يوم أتاه أهل نجران، وكان على كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبى ﷺ، فكثروا على عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووقع بينهم شىء فأتوه فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولى على أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين شفاعتك بلسانك وخطك بيمينك، فقال على: ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر[٣]، فعمر رضى الله عنه رفض نقض القضاء الأول الذى قضاه فيهم، ورفض على - من بعد عمر - نقض القضاء الذى قضاه عمر فيهم[٤]، وقد حدث كثير من التغير فى اجتهاد عمر فى قضايا كثيرة، منها الحكم فى الجد مع الإخوة، واشتراك الإخوة لأب وأم مع الإخوة لأم فى الثلث عندما لم يبق للإخوة لأب وأم من الميراث شىء، ولم ينقل أنه عاد إلى قضائه الأول فنقضه، ولكنه يعمل باجتهاده الجديد فى القضايا المستقبلة، ولا يمنعه حكمه القديم من اتباع الحق إذا لاح له، فقد كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى: ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم، ولا يبطله شىء، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل[٥]، وبناء على ذلك فقد قضى عمر بن الخطاب فى الجد بقضايا

---

(١) تاريخ المدينة (٢/ ٧٦٩) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٢٧).

(٢) اعلام الموقعين (١/ ١٠٨).

(٣) سنن البيهقى (١٠/ ١٢٠) موسوعة فقه عمر ص (٨٢٨).

(٤) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٨٢٨).

(٥) أعلام الموقعين (١/ ٨٥).

مختلفة، وقضى فى امرأة توفيت وتركت زوجها وأمها وأخويها لأبيها وأخويها لأمها، فأشرك عمر بين الأخوة للأم والأب والأخوة لأم فى الثلث فقال له رجل: إنك لم تشركم بينهم عام كذا وكذا. قال عمر: تلك على ما قضينا يومئذ وهذه على ما قضينا اليوم(١).

١٣- تقرير البراءة للمتهم حتى تثبت إدانته: فعن عبد الله بن عامر قال: انطلقت فى ركب حتى إذا جئنا ذا المروة سرقت عيبة لى، ومعنا رجل منهم، فقال له أصحابى: يا فلان اردد عليه عيبته، فقال: ما أخذتها، فرجعت إلى عمر بن الخطاب فأخبرته. فقال: من أنتم؟ فعددتهم، فقال: أظنه صاحبها - للذى اتهم - فقلت: لقد أردت يا أمير المؤمنين آتى به مصفوداً، قال عمر: أتأتى به مصفوداً بغير بينة(٢).

١٤- لا اجتهاد في مورد النص: قال عمر: ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور(٣)، هذا أهم ما يحب على القاضى أن يلتزم به.

١٥- إخضاع القضاة أنفسهم لأحكام القضاء:

كان عمر رضى الله عنه أول من يخضع للقضاة وهو فى ذروة الخلافة خضوعًا يزينه الرضا القلبى بالحكم، ويتوجه بالإعجاب الواضح إذا ما أصاب، والثناء الصادق على القاضى حتى ولو صدر الحكم ضده(٤)، وهذا مثال على ذلك، فقد ساوم عمر أعرابيًا على فرس، فركبه ليجربه، فعطب الفرس، فقال عمر: خذ فرسك. قال الرجل: لا. قال عمر: فاجعل بينى وبينك حكمًا، قال الرجل: شريح. فتحاكما إليه، فلما سمع قال: يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت، أو رد كما أخذت. فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ فبعثه إلى الكوفة قاضيًا(٥).

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ١١١) موسوعه فقه عمر ص (٧٢٩).

(٢) موسوعة فقه عمر ص (٧٢٩)، المحلى (١١/ ١٣٢).

(٣) أعلام الموقعين (١/ ٨٥)، مجلة البحوث العلمية (٧/ ٢٨٧).

(٤) شهيد المحراب ص (٢١١).

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٧)، شهيد المحراب ص (٢١١).

رابعًا: مصادر الأحكام القضائية:

اعتمد القضاة فى العهد الراشدى على المصادر نفسها التى اعتمدها رسول الله ﷺ وقضاته، وهى الكتاب والسنة والاجتهاد ولكن ظهر فى العهد الراشدى أمران:

- تطور معنى الاجتهاد والعمل به، وما نتج عنه من مقدمات ووسائل وغايات، فظهرت المشاورة والشورى، والإجماع، والرأى والقياس.

- ظهور مصادر جديدة لم تكن فى العهد النبوى، وهى السوابق القضائية التى صدرت عن الصحابة من عهد خليفة إلى خليفة آخر، فصارت مصادر القضاء فى العهد الراشدى هى؛ الكتاب، والسنة، والاجتهاد، والإجماع، والقياس، والسوابق القضائية ويظلل ذلك كله الشورى والمشاورة فى المسائل والقضايا والأحكام، وقد وردت نصوص كثيرة، وروايات عديدة تؤكد هذه المصادر السابقة ونقتطف جانبًا منها[1]:

١ - قال الشعبى عن شريح: قال لى عمر: اقض بما استبان لك من كتاب الله، فإن لم تعلم كل كتاب الله، فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ﷺ، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم كل ما قضى به أئمة المهتدين، فاجتهد رأيك، واستشر أهل العلم والصلاح[2].

٢ - وعن ابن شهاب الزهرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال، وهو على المنبر: يا أيها الناس، إنّ الرأى إنما كان من رسول الله ﷺ مصيبًا، أن الله كان يُريه، وإنما هو منا الظن والتكلف[3]، وروى عنه أنه قال: هذا رأى عمر فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر[4].

٣ - قال ابن القيم: فلما استخلف عمر قال: إنى لأستحى من الله أن أردّ شيئًا قاله أبو بكر[5]، وأكد ذلك عمر أيضًا فى كتاب آخر إلى شريح قال فيه: أن اقض بما فى

---

(١) تاريخ القضاء فى الإسلام د. محمد الزحيلى ص (١١٨).

(٢) أعلام الموقعين (١/٢٢٤)، تاريخ القضاء فى الإسلام ص (١١٩).

(٣) تاريخ القضاء فى الإسلام ص (١٢٠)، إعلام الموقعين (١/٥٧).

(٤) اعلام الموقعين (١/٥٨)، تاريخ القضاء فى الإسلام ص (١٢٠).

(٥) اعلام الموقعين (١/٢٢٤).

كتاب الله، فإن لم يكن فى كتاب الله فبسنة رسول الله، فإن لم يكن فى سنة رسول الله فاقض بما قضى به الصالحون[1].

٤ - وأما الإجماع: فإن لم يجد القاضى نصًا فى القرآن والسنة، رجع إلى العلماء واستشار الصحابة والفقهاء، وعرض عليهم المسألة، وبحثوا فيها، واجتهدوا، فإن وصل اجتهادهم إلى رأى واحد، فهو الإجماع، وهو اتفاق مجتهدى عصر من أمة محمد ﷺ على أمر شرعى، وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامى باتفاق العلماء، وظهر لأول مرة فى العهد الراشدى، ووردت فيه نصوص كثيرة، وبحوث طويلة فى كتب الفقه، وأصول الفقه، وتاريخ التشريع، ولكن القضايا والمسائل التى حصل فيها الإجماع قليلة، وإن إمكانيته محصورة فى المدينة المنورة عاصمة الخلافة، ومجمع الصحابة والعلماء والفقهاء، وهذا يندر فى الأمصار الأخرى[2]، فمن ذلك ما روى أن ابن عباس قال لعثمان رضى الله عنهم: الأخوان فى لسان قومك ليسا إخوة، فلم تحجب بهما الأم من الثلث إلى السدس فى قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾؟ [النساء: ١١] فقال: لا أستطيع أن أنقص ما كان قبلى ومضى في البلدان وتوارث به الناس، وهذا معناه أنه إجماع تم قبل مخالفة ابن عباس، ولا يعتد بمخالفته، والإجماع يتضمن ثلاثة عناصر رئيسية: المشاورة، و الاجتهاد، والاتفاق، فإن فقد عنصر منها لجأ القاضى إلى المصدر التالى.

٥ - السوابق القضائية: التى قضى بها السابقون من الخلفاء والصالحين وكبار الصحابة رضى الله عنهم، وهذا ما عبر عنه صراحة عمر رضى الله عنه فى سوابق أبى بكر، وما أمر به قضاته وولاته كما سبق[3]، وهذا ما بينه صراحة ابن القيم تحت عنوان (رأى الصحابة خير من رأينا لأنفسنا) وقال: وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيراً من رأينا لأنفسنا وكيف لا؟ وهو الرأى الصادر من قلوب ممتلئة نوراً وإيمانًا، وعلمًا، ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا واسطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًا طريًا،

---

(١) تاريخ القضاة فى الإسلام ص (١٢٠).

(٢) المصدر نفسه ص (١٢٢).

(٣) المصدر نفسه ص (١٢٢، ١٢٣).

لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأى غيرهم بآرائهم من أفسد القياس(١).

٦ – القياس: لكن السوابق القضائية قليلة أيضًا، فإن لم يجد القاضى نصًا ولا إجماعًا، ولا سابقة قضائية اعتمد على الاجتهاد، كما جاء فى حديث معاذ، ويأتى فى أوليات الاجتهاد قياس مسألة لم يرد فيها نص بمسألة ورد فيها نص، وهو المصدر الرابع للتشريع والفقه والأحكام، وهذا ما جاء فى رسالة عمر رضى الله عنه لأبى موسى الأشعرى، قال: ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق(٢).

٨ – الرأى: فإن لم يكن للمسألة والقضية أصل من النصوص لتقاس عليها، اعتمد القاضى على الاجتهاد بالرأى فيما هو أقرب إلى الحق والعدل والصواب وقواعد الشرع ومقاصد الشريعة، وهو ما تكرر فى النقول السابقة، فى رسائل عمر لشريح وغيره(٣) وكانت المشاورة والشورى من أهم الوسائل التى يستعين بها القضاة كما ورد فى الروايات والكتب والرسائل السابقة، وهو ما أكده عمر رضى الله عنه قولاً وفعلا، لكثرة محبته للشورى مع فقهه، وقلما يقدم على أمر إلا بعد استشارة كبار الصحابة وفقهائهم(٤)، وعن الشعبى قال: كانت القضية ترفع إلى عمر رضى الله عنه، فربما يتأمل فى ذلك شهراً، ويستشير أصحابه(٥).

خامسًا: الأدلة التى يعتمد عليها القاضى:

إن الأدلة التى يعتمد عليها القاضى فى إصدار الحكم هى:

١ – الإقرار وتعتبر الكتابة نوعًا من الإقرار.

٢ – الشهادة: وعلى القاضى أن يتحقق من صلاحية الشهود لأداء الشهادة، فإن لم يعرفهم هو، طلب منهم أن يأتوا بمن يعرفهم، فقد شهد رجل عند عمر بشهادة فقال له: لست أعرفك، ولا يضرك أن لا أعرفك، ائت بمن يعرفك، فقال رجل من القوم: أنا

(١) أعلام الموقعين (١/ ٨٧) تاريخ القضاء فى الإسلام ص (١٢٣).
(٢) تاريخ القضاء فى الإسلام ص (١٢٤).
(٣) أعلام الموقعين (١/ ٧٠) فما بعدها.
(٤، ٥) تاريخ القضاة ص (١٢٥).

أعرفه، فقال: بأى شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل، قال: فهو جارك الأدنى الذى تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا، قال: فهل عاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدل بهما على الورع؟ قال: لا، قال: فرفيقك فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، قال: لست تعرفه[١]، والشهادة مقدمة على اليمين سواء أقامها صاحبها قبل أن يحلف خصمه اليمين أو بعد أن يحلف اليمين، فإذا استحلف المدعى عليه على دعواه، فلحفه القاضى على ذلك، ثم أتى المدعى بالبينة بعد ذلك على تلك الدعوى، قبلت بينته، وردت اليمين، قال عمر: اليمين الفاجرة أحق أن ترد من البينة العادلة[٢]، والمطالب بالشهادة هو المدعى، فقد كتب عمر إلى أبى موسى فيما كتب: البينة على المدعى، واليمين على من أنكر[٣]، فإن لم يتوفر عند المدعى إلا شاهد واحد اعتبر بشهادته وحلف معها المدعى اليمين، فقد كان عمر يقضى فى المال باليمين مع الشاهد الواحد[٤].

٣ - اليمين: ولا يلجأ القاضى إلى تحليف اليمين إلا عند المدعى عن إقامة البينة ومطالبة المدعى باليمين، فإن حلف قضى بيمينه، وقد قضى عمر على وادعة بالقسامة فحلفوا، فأبرأهم من الدم، وقد تحاكم عمر وأبى بن كعب إلى زيد بن ثابت فى نخل ادعاه أبى، فتوجهت اليمين على عمر فقال زيد: اعف أمير المؤمنين، قال عمر: ولم يعف أمير المؤمنين؟ إن عرفت شيئًا استحققته بيمينى، وإلا تركته، والذى لا إله إلا هو إن النخل لنخلى وما لأبى فيه حق، فلما خرجا وهب النخل لأبى، فقيل له: يا أمير المؤمنين هلا كان هذا قبل اليمين؟ فقال: خفت أن لا أحلف فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدى فتكون سنة[٥]، ولا يجوز لمن استحقت عليه اليمين أن يمتنع عنها ورعًا، وقد رأينا فيما تقدم كيف أن عمر حلف فلما استحق الحق تنازل عنه.

---

(١) سنن البيهقى (١٠/١٢٥) موسوعة فقه عمر ص (٧٣١).

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٣١).

(٣) سنن البيهقى (١٠/١٥٣، ١٥٥).

(٤) المغنى (٩/١٥١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٣٢).

(٥) تاريخ المدينة المنورة (٢/٧٥٥) موسوعة فقه عمر ص (٧٣٢).

وكان عمر رضى الله عنه يغلظ الأيمان على بعض المتخاصمين بتحليفهم إياها فى مكان يوقع الرهبة فى نفوسهم فلا يجرأون على الكذب فيها، فقد حلف جماعة مرة فى الحجر، واستحلف آخر بين الركن والمقام[1].

٤- القيافة فى قضايا إثبات النسب: وهى من القرائن القوية التى يحكم بمقتضاها، دل على ذلك سنة رسول الله ﷺ وعمل الخلفاء الراشدين والصحابة، وقد أثبت الحكم بالقيافة عمر بن الخطاب، وابن عباس وغيرهم[2].

٥- القرائن : والقرائن باب واسع يتفنن القضاة فى استنباطها، ويعتبر من القرائن القوية قرينة الحبل للمرأة التى لم يسبق لها زواج فهو يعتبر دليلا على الزنا، ومثله الولادة لمدة أقل من مدة الحمل، ومنها وجود ميتين أحدهما فوق الآخر، فإن هذا الوضع قرينة قوية على أن الذى مات أولا هو الأسفل، وأن الذى مات آخرا هو الأعلى، ولذلك فقد كان عمر فى طاعون عمواس إن كانت يد أحد الميتين أو رجله على الآخر ورث الأعلى من الأسفل ولم يورث الأسفل من الأعلى، ومن القرائن القوية على شرب الخمر وجودها فى القيء، وقد أقام عمر حد الشرب على من وجدها فى قيئه[3].

٦- علم القاضى: لا يعتبر علم القاضى فى الحدود دليلا يخول له إصدار الحكم على المتهم، فقد كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى أن لا يأخذ الإمام بعلمه ولا ظنه ولا بشبهته[4]، وقال لعبد الرحمن بن عوف: أرأيت لو رأيت رجلا قتل أو سرق أو زنى، قال: أرى شهادتك شهادة رجل من المسلمين، قال عمر: أصبت[5]، وأما فى غير الحدود؛ فقد اختلفت الرواية عن عمر فى اعتبار علم القاضى حجة تخول القاضى الاعتماد عليها فى الحكم إن لم يتوفر من الأدلة غيرها[6]، هذا وقد كان

---

(١) موسوعة عمر بن الخطاب ص (٧٣٣).

(٢) النظام القضائى مناع القطان ص (٨١، ٨٢).

(٣) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٧٣٥).

(٤) المصدر نفسه ص (٧٣٥)، مصنف عبدالرزاق (٨/٤٣٢).

(٥) سنن البيهقى (١٠/١٤٤)، موسوعة فقه عمر ص (٧٣٥).

(٦) موسوعة فقه عمر ص (٧٣٥).

عمر رضى الله عنه حريصا على عدم تشجيع الناس على الاعتراف بخطاياهم، بل يريد لهم الستر والتوبة فيما بينهم وبين الله تعالى، فلما خطب شرحبيل بن السمط الكندى وكان يتولى مسلحة[1] دون المدائن، فقال: أيها الناس، إنكم فى أرض الشراب فيها فاش، والنساء فيها كثير، فمن أصاب منكم حدا، فليأتنا فلنقم عليه الحد، فإنه طهوره، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه: «لا أحل لك أن تأمر الناس أن يهتكوا ستر الله الذى سترهم»[2]، ولكن إذارفع الناس الأمر إلى القضاء، فإن الدولة كانت تقيم الحدود دون هوادة[3]، وكان رضى الله عنه عندما يريد أن يحكم بين خصمين يدعو بهذا الدعاء: اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد الخصمان على من كان الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين[4].

سادسا: من أحكام الفاروق وعقوباته فى بعض الجرائم والجنايات:

١- تزوير الخاتم الرسمى للدولة:

حدث فى عهد الفاروق رضى الله عنه أمر خطير لم يحدث من قبل، ذلك أن معن ابن زائدة استطاع أن يزور خاتم الدولة بنقشه مثله وأخذ به مالا من بيت مال المسلمين، ورفع أمره إلى عمر رضى الله عنه، فضربه عمر مائة وحبسه، فكلم فيه فضربه مائة أخرى، فكلم فيه من بعد فضربه مائة ونفاه[5].

٢- رجل سرق من بيت المال بالكوفة:

لم يقطع عمر من سرق من بيت المال ، فقد سأل ابن مسعود عمر عمن سرق من بيت المال فقال: أرسله فما من أحد إلا وله فى هذا المال حق[6]، وجلده تعزيرا[7].

---

(١) مقاتلون يراقبون العدو فى الثغر الذى يسكنونه لئلا يباغتهم.

(٢) القضاء فى خلافة عمر، ناصر الطريفى (٢/ ٨٦٢).

(٣) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٦).

(٤) الحلية (٦/ ١٤٠)، الطبقات (٣/ ٢٩٠) إسناده صحيح.

(٥) أولويات الفاروق ص (٤٣٥).

(٦) المغنى (١٢/ ٣٨٦) فى الإرواء (٢٤٢٢) إسناده ضعيف.

(٧) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٨).

٣- السرقة في عام الرمادة:

سرق غلمان حاطب بن أبى بلتعة فى عام الرمادة ناقة لرجل مزنى فنحروها وأكلوها ورفع الأمر إلى الفاروق، فطلب الغلمان فاعترفوا أنهم سرقوها من حرز والذين سرقوا عقلاء مكلفون ولم يدعوا ضرورة ملجئة للسرقة، فأمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم، ولكنه وهو يعيش عام الرمادة ويرى حال الناس- التمس لهم عذرا فقال لمولاهم: إنى أراك تجيعهم؟ واكتفى بذلك وأوقف القطع وأمر للمزنى بثمن ناقته مضاعفة[١] (٨٠٠ درهم) ، فقد درء الحد عنهم للضرورة[٢].

٤- مجنونة زنت:

أتى عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار الناس فأمر بها عمر أن ترجم، فمر بها على بن أبى طالب فقال: ارجعوا بها ثم أتاه فقال: أما علمت أن القلم قد رفع، فذكر الحديث وفى آخره قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ فأرسلها[٣]، وجعل عمر يكبر[٤].

٥- ذمى استكره مسلمة على الزنا:

حدث ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه، فصلبه لأنه خالف شروط العهد[٥].

٦- إكراه نساء على الزنا:

أتى عمر بإماء من إماء الإمارة استكرههن غلمان من غلمان الإمارة، فضرب الغلمان ولم يضرب الإماء[٦]، وأتى عمر بامرأة زنت فقالت: إنى كنت نائمة فلم أستيقظ إلا برجل قد جثم علىّ فخلى سبيلها ولم يضربها[٧]، فهذه شبهة والحدود تدرأ بالشبهات ولا فرق بين الإكراه بالإلجاء وهو أن يغلبها على نفسها وبين الإكراه بالتهديد بالقتل،

---

(١) المنتقى شرح الموطأ للباجى (٦/٦٣).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٨).

(٣) الخلافة الراشدة د. يحيى اليحيى ص (٣٥١)، عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٨).

(٤) عصر الخلافة ص (١٤٨).

(٥) الموطأ (٢/٨٢٧)، المغنى (١٢/٢١٧)، البخارى رقم (٢٠٤٨).

(٦) السنن الكبرى للبيهقى (٨/٣٥)، المغنى (١٢/٢١٧).

(٧) السنن الكبرى (٨/٢٣٦) ، المغنى (١٢/٢١٨).

فقد حدث فى عهد عمر: أن امرأة استسقت راعيا فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها ففعلت فرفع ذلك إلى عمر فقال لعلى: ما ترى فيها؟ قال: إنها مضطرة فأعطاها عمر شيئا وتركها.

٧- حكم من جهل تحريم الزنا:

عن سعيد بن المسيب: أن عاملا لعمر بن الخطاب كتب إلى عمر يخبره: أن رجلا اعترف عنده بالزنى؟ فكتب إليه عمر، أن سله: هل كان يعلم أنه حرام، فإن قال: نعم، فأقم عليه الحد، وإن قال: لا، فأعلمه أنه حرام، فإن عاد فاحدده(١).

٨- تزوجت فى عدتها وهى وزوجها لا يعلمان التحريم:

تزوجت امرأة فى عدتها فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب فضربها دون الحد وفرق بينهما(٢)، وجلد الزوج تعزيرا(٣).

٩- امرأة تزوجت ولها زوج كتمته:

رجمها عمر، وجلد الزوج مائة سوط، ولم يرجم للجهالة(٤).

١٠- اتهام المغيرة بن شعبة بالزنا:

فشهد عليه ثلاثة وتراجع الرابع فقال عمر: الحمد لله الذى لم يشمت الشيطان بأصحاب محمد ﷺ(٥)، وأقام حد القذف على الشهود الثلاثة، لأن الشهادة لم تكتمل بالثلاثة(٦).

١١- حكم من تسرت بغلامها:

تزوجت امرأة عبدها ، فقيل لها، فقالت: أليس الله يقول: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

---

(١) المحلى (١٢/١٠٧) رقم (٢١٩٨).
(٢) المحلى (١٢/١٩٢) رقم (٢٢١٥).
(٣، ٤) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٩).
(٥) المغنى (١٢/٢٤٥).
(٦) عصر الخلافة الراشدة ص (١٤٩).

فهذا ملك يمين، ورفع الأمر إلى عمر رضى الله عنه فقال لها: لا يحل لك ملك يمينك[1] وفى رواية: وفرق بينهما وجلدها مائة تعزيرا لا حدا، وقد أسقط عمر عنها الحد لجهلها بالتحريم[2].

١٢- امرأة اتهمت زوجها بجاريتها:

اتهمت امرأة زوجها بجاريتها ثم اعترفت بأنها وهبتها له، فحكم عمر رضى الله عنه بإقامة حد القذف على المرأة ثمانين جلدة[3].

١٣- إقامة حد القذف بالتعريض:

حدث فى عهد الفاروق أن عرض أحد الأشخاص بآخر فقال له: ما أبى بزان ولا أمى بزانية، فاستشار عمر فى ذلك فقال قائل: مدح أباه وأمه، وقال آخرون: كان لأبيه وأمه مكان غير هذا، نرى أن تجلده الحد فجلده عمر الحد ثمانين جلدة[4]، فعمر رضى الله عنه قد جلد الحد بالتعريض لأن القرينة كانت واضحة، فقد كان الرجل يعرض بصاحبه لأن الحال تبين لك فهو ما قال إلا بعد سب ومخاصمة، وفعل عمر رضى الله عنه يعتبر سياسة أراد بها تأديب السفهاء وحفظ أعراض الأبرياء وهى سياسة حكيمة لا تخالف نصا من كتاب ولا سنة، بل إنها عمل بروح الشريعة الغراء[5].

١٤- إهداره دم اليهودى المعتدى على العرض:

كان شابان صالحان متآخيين فى عهد عمر رضى الله عنه، فأغزى أحدهما فأوصى أخاه بأهله، فانطلق ذات ليلة إلى أهل أخيه يتعهدهم فإذا سراج فى البيت يزهر، وإذا يهودى فى البيت مع أهل أخيه وهو يقول:

---

(١) المحلى (١٢/ ١٩٤) رقم (٢٢١٦).

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٢٠٣).

(٣) عصر الخلافة الراشدة ص (١٥٠).

(٤) السنن الكبرى للبيهقى (٨/ ٢٥٢).

(٥) أوليات الفاروق ص (٤٣٩، ٤٤٠).

وأشـــعـت غـــره الإســـلام منـى   خلوت بعــرســه ليل التـمـــام[1]

أبيت على ترائبــهـــا ويمـــسى   على جــرداء لاحــقــه الحــزام[2]

كــأن مــجــامع الربلات[3] منهــا   فـئـــام ينهــضــون إلى فـئـــام[4]

فرجع الشاب إلى أهله فاشتمل على السيف حتى دخل على أهل أخيه، فقتل اليهود ثم جرده فألقاه فى الطريق، فأصبح اليهود وصاحبهم قتيل لا يدرون من قتله، فأتوا عمر ابن الخطاب، فدخلوا عليه، وذكروا ذلك له، فنادى عمر فى الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أنشد الله رجلا علم من هذا القتيل علما إلا أخبرنى به، فقام الشاب، فأنشد عمر الشعر وأخبره فقال عمر: لا يقطع الله يديك، وأهدر دمه[5].

١٥- قتيل الله لا يودى أبداً:

روى عبدالرزاق فى مصنفه و البيهقى فى سننه: أن رجلا استضاف ناسا من هذيل، فأرسلوا جارية تحتطب لهم، فأعجبت المضيف فتبعها، فأرادها على نفسها، فامتنعت ، فعاركها ساعة، فانفلتت منه انفلاتة فرمته بحجر، ففضت كبده فمات، ثم جاءت إلى أهلها فأخبرتهم، فذهب أهلها إلى عمر فأخبروه، فأرسل عمر، فوجد آثارهما فقال: قتيل الله لا يودى أبدا. فهو رضى الله عنه قد أهدر دم ذلك المعتدى فلا قصاص ولا دية ولا كفارة.

١٦- لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم:

عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن غلاما قُتل غيلة فقال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم، وفى رواية: إن أربعة قتلوا صبيا، فقال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم[6]، وهذا الحكم لم يوجد فيه نص من كتاب ولا سنة ولم يوجد أثر عن

---

(١) ليل التمام: الليل الطويل.

(٢) الحزام: ضيقة غليظة.

(٣) الربلات: جمع ربلة وهى باطن الفخذ وما حول الضرع.

(٤) الفئام: هى الجماعات من الناس.

(٥) أوليات الفاروق ص (٤١٤).

(٦) البخارى، ك الديات رقم (٦٨٩٦).

الصديق أنه قضى بمثله، وإنما بنى حكمه على فهمه لمقاصد الشريعة والتى جاءت لحفظ أمن المجتمع واستقراره، إذ أن الدماء ليست أمرا هينا، ولذلك يقتضى العدل، ومصلحة الأمة، ومقاصد الشريعة القصاص إذا ثبت أن الجميع تواطأوا على قتله، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء من الأئمة الأربعة وسعيد بن المسيب والحسن وأبى سلمة وعطاء وقتادة والثورى، والأوزاعى وغيرهم[1]، وهذا الرأى هو الأرجح والأولى بالاتباع وذلك لقوة الدليل فى فعل عمر وإجماع الصحابة ولما فيه من حكمة فى ردع وزجر الناس وحفظ النفوس فى المجتمع[2].

١٧- عقوبة الساحر القتل:

كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[3]، ونفذ ذلك وكان إجماعا من الصحابة[4].

١٨- ما حكم من قتل ولده متعمدا؟ وما حكم المسلم الذى يقتل ذمياً؟

حكم عمر رضى الله فيمن قتل ولده بدفع الدية[5]، وأما المسلم الذى يقتل ذميا فحكمه القتل قصاصا، وهذا حدث فى عهد عمر حيث قتل مسلم ذميا بالشام، فقتل قصاصا[6].

١٩- الجمع بين الدية والقسامة:

القسامة: هى الإيمان المكررة فى دعوى القتل من أولياء القتيل أو المدعى عليهم[7]، وقد أخرج عبدالرزاق وابن أبى شيبة والبيهقى عن الشعبى: أن قتيلا وجد بين وادعة وشاكر[8]، فأمرهم عمر بن الخطاب أن يقيسوا ما بينهما فوجدوه إلى وادعة أقرب فأحلفهم خمسين يمينا، كل رجل: ما قتلته ولا علمت قاتله، ثم أغرمهم الدية،

---

(١) المغنى لابن قدامة (١١/ ٣٨٧).

(٢) أوليات الفاروق السياسية ص (٤٠٩).

(٣، ٤) أوليات الفاروق السياسية ص (٤٤٧).

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص (١٥٣)، المغنى (١١/ ٤٠٥).

(٦) عصر الخلافة الراشدة ص (١٥٣).

(٧) أوليات الفاروق ص (٢٦٤).

(٨) أوليات الفاروق ص (٢٦٦)، قبيلتان باليمن.

فقالوا: يا أمير المؤمنين لا أيماننا دفعت عن أموالنا ولا أموالنا دفعت عن أيماننا، فقال عمر: كذلك الحق[1].

٢٠- اللهم لم أشهد ولم آمر، ولم أرض ولم أُسر إذ بلغني:

لما أُتي عمر بفتح (تستر) قال: هل كان شيء؟ قالوا: نعم رجل ارتد عن الإسلام. قال: فما صنعتم به قالوا: قتلناه. قال: فهلا أدخلتموه بيتًا وأغلقتم عليه وأطعمتموه كل يوم رغيفًا فاستتبتموه فإن تاب وإلا قتلتموه، ثم قال: اللهم لم أشهد، ولم آمر، ولم أرضَ، ولم أُسر إذ بلغني[2].

٢١- جعل حد الخمر ثمانين جلدة:

لما تولى الفاروق الخلافة وكثرت الفتوحات الإسلامية وتحسنت أحوال الناس، وتباعدت الديار ودخل كثير من الناس الإسلام ولم يأخذوا التربية الإسلامية الكافية والتفقه في الدين كمن سبقهم من المسلمين، فكثر في الناس شرب الخمر وكانت مشكلة أمام عمر، فجمع كبار الصحابة وشاورهم في الأمر، فاتفقوا على أن يبلغ هذا الحد ثمانين وهو أدنى الحدود، فعمل به ولم يخالفه أحد من الصحابة في عهده[3]، فقد ذكر ابن القيم: أن خالد بن الوليد بعث وبرة الصليتي من الشام إلى عمر قال: فأتيته وعنده طلحة والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف متكئون في المسجد فقلت له: إن خالد بن الوليد يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الناس قد انبسطوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فما ترى. فقال عمر: هم هؤلاء عندك . قال: فقال عليّ: أراه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون فأجمعوا على ذلك، فقال عمر: بلغ صاحبك ما قالوا، فضرب خالد ثمانين وضرب عمر ثمانين[4].

٢٢- إحراق حانوت الخمر:

عن يحيى بن سعيد بن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وجد عمر في بيت رجل من ثقيف شرابًا فأمر به فأحرق، وكان يقال له رويشد، فقال: أنت

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٨/١٢٣، ١٢٤) أوليات الفاروق ص (٤٦٦).

(٢) محض الصواب (١/٣٧٢).

(٣،٤) أعلام الموقعين (١/٢١١).

فويسق[١]، وقال ابن الجوزى: وأحرق – يعنى عمر – بيت رويشد الثقفى، وكان حانوتا يعنى نباذا[٢]، وقال ابن القيم: وحرق عمر بن الخطاب رضى الله عنه حانوت الخمر بما فيه، وحرق قرية تباع فيها الخمر[٣].

٢٣- أنكحها نكاح العفيفة المسلمة:

أتى عمر رضى الله عنه رجل فقال: إن ابنة لى كنت وأدتها فى الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنى الإسلام فأسلمت، ثم أصابها حد من حدود الله، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها، وأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها[٤]، فداويتها حتى برأت، ثم أقبلت بعد توبة حسنة، وهى تخطب إلى قوم، فأخبرهم بالذى كان؟ فقال عمر رضى الله عنه: أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه، والله لئن أخبرت بشأنها أحدا لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة[٥].

٢٤- من طلق زوجته ليمنعها من الميراث:

عن سالم عن أبيه أن غيلان الثقفى أسلم وتحته عشر نسوة فقال النبى ﷺ: اختر منهن أربعا، فلما كان فى عهد عمر رضى الله عنه طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأرسل إليه عمر فقدم عليه، فقال له: إنى أظهر أن الشيطان فيما يسترق السمع سمع بموتك فقذف فى قلبك أنك تموت، فحملك مبادرة ذلك على ما صنعت، وإنى والله لأظنك لا تلبث بعد أن تقوم عن حضرى هذا حتى تموت، وايم الله لئن مت قبل أن تراجع نساءك وترجع مالك لأورثن نساءك من مالك، ثم لأرجمن قبرك حتى أجعل عليه مثل على قبر أبى رغال، فراجع نساءه – ولم يكن بت طلاقهن – وارتجع ماله الذى قسم بين بنيه، ثم ما لبث أن مات[٦].

---

(١) الأموال لأبى عبيد ص (١٢٥)، رقم (٢٦٧)، أوليات الفاروق ص (٤٣٥).

(٢) نباذا: صانع النبيذ.

(٣) الطرق الحكيمة: ص (١٥، ١٦).

(٤) الودج: عرق فى العنق.

(٥) محض الصواب (٢/٧٠٩) إسناده صحيح إلى الشعبى ولكنه منقطع بين الشعبى وعمر.

(٦) موسوعة فقه عمر ص (٤٧).

٢٥- أقل مدة الحمل وأكثره:

رفعت إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فأراد عمر أن يرجمها، فجاءت أختها إلى على فقالت: إن عمر همَّ برجم أختى، فأنشدك الله إن كنت تعلم لها عذرا لما أخبرتى به، فقال على: إن لها عذرا، فكبرت تكبيرة سمعها عمر ومن عنده، فانطلقت إلى عمر فقالت: إن عليا زعم أن لأختى عذرا، فأرسل عمر إلى على: ما عذرها؟ فقال إن الله يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فالحمل ستة أشهر والفصال أربعة وعشرون شهرا فخلى عمر سبيلها، وقد يبقى الحمل فى بطن أمه أكثر من تسعة أشهر، فقد رفعت لعمر امرأة غاب عنها زوجها سنتين، فجاء وهى حبلى، فهم عمر برجمها فقال له معاذ بن جبل: يا أمير المؤمنين إن يك لك السبيل عليها، فليس لك السبيل على ما فى بطنها، فتركها عمر حتى ولدت غلاما قد نبتت ثناياه، فعرف زوجها شبهه به، قال عمر: عجز النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ هلك عمر[١]، ويظهر أن عمر كان يرى أن أكثر مدة الحمل أربع سنوات، لأنه قضى فى امرأة المفقود أنها تتربص أربع سنين، ثم تعتد عدة الوفاة، قال ابن قدامة حاكيا مذهب عمر فى ذلك: المفقود تتربص زوجته أربع سنين أكثر مدة الحمل، ثم تعتد للوفاة أربعة أشهر وعشرا وتحل للأزواج[٢].

سابعا: فرض القيود على الملكية حتى لا يقع تعسف فى استعمالها:

ومن اجتهادات عمر التى سبق بها زمانه والتى تدل على تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وتفرض قيودا على الملكية حتى لا يقع تعسف فى استعمالها ما رواه مالك فى الموطأ: عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه أن الضحاك بن خليفة ساق خليجا له من العريض فأراد أن يمر به فى أرض محمد بن مسلمة، فأبى محمد، فقال له الضحاك: لم تمنعنى وهو لك منفعة تشرب به أولا وآخرا ولا يضرك، فأبى محمد، فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب، فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة، فأمره أن يخلى سبيله، فقال محمد: لا، فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقى به أولا وآخرا وهو لا يضرك، فقال محمد: لا والله، فقال عمر: والله ليمرن به ولو على بطنك،

(١، ٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (٣٧١).

فأمره عمر أن يمر به ، ففعل الضحاك(١)، وكان هذا قياسا من عمر على حديث أبى هريرة الذى قال فيه : إن النبى ﷺ قال : «**لا يمنع أحدكم جاره خشبة يغرزها فى جداره**» ثم قال أبو هريرة : مالى أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم(٢).

ويظر لنا أن ما فعله عمر هو قياس أولى، لأن نهى النبى ﷺ الجار أن يمنع جاره غرز خشبة فى جداره، هذه العملية وإن كانت لا تضر الجار فإنها فى ذات الوقت لا تنفع هذا الجار، فى حين أن مرور الماء اجتمع فيه الأمران معا، نفع الجار، وعدم إلحاق الضرر به، فهو قياس أولى، وإذا كان أحمد إبراهيم يرى أن عمر قضى فى هذه النازلة بما يعرف اليوم بقواعد العدالة(٣)، فإن عبدالسلام السليمانى يرى أنها تدخل فيما يعرف اليوم فى الفقه الغربى بنظرية التعسف فى استعمال الحق، هذه النظرية التى سبق إليها المسلمون الفقه الغربى بعدة قرون، وقد استمدت من حديث أبى هريرة سالف الذكر، الذى عممه عمر فى كل ما يحتاج الجار إلى الانتفاع به من دار جاره وأرضه، وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز ذلك إلا بإذن جاره(٤).

ويلاحظ على هذه النازلة عدة أمور وهى :

١- أن هذه النازلة تدخل فى الاجتهاد القضائى لعمر، لأنه قضى فيها بناء على شكوى تقدم بها الضحاك إلى عمر بعد أن امتنع محمد بن مسلمة من الاستجابة لما طلب منه بصفة ودية،وبعد أن دعى هذا الأخير للحضور فى مجلس عمر رضى الله عنه.

٢- أن عمر لم يحكم فى هذه النازلة جزافا، بل إنه تثبت فى الأمر واطلع على ملابسات القضية وتأكد من إصرار الخصم على موقفه الرافض لمرور الماء فى أرضه، وهو موقف لا مبرر له، لأن مرور الماء لم يكن يشكل أى ضرر على المدعى عليه، بل على العكس من ذلك كان سيعود عليه بالنفع المحض ويحقق المصلحة المشتركة للطرفين معا، وما دام الأمر كذلك فإن الامتناع عنه يشكل حائلا أمام تحقيق مصلحة عامة ويدخل فى نطاق التعسف فى استعمال الحق، ولم يكن عمر ليتهاون فى تحقيق الصالح العام لكل أفراد الأمة.

---

(١) راجع الموطأ وكتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ ص (٦٣٨، ٦٣٩)، الموطأ (٢/ ٧٤٦).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٣/ ٦٠).

(٣) علم أصول الفقه وتاريخ التشريع ص (٣٩).

(٤) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ص (١٤٠، ١٤١).

٣- لاين سيدنا عمر محمد بن مسلمة، وهو يخاطبه مذكراً إياه بأخوة الإسلام محاولاً إقناعه بالرجوع الى جادة الصواب، ولما قوبل هذا اللين بالرفض البات المشفوع بالقسم، وهو موقف أبان عن تحد لأمر الخليفة وامتناع عن الانصياع لحكمه، فجاء رد فعل عمر عنيفًا وفى مستوى مسئوليته صونا لهيبة الخلافة التى لم يكن يستعملها إلا لتحقيق الصالح العام لجماعة المسلمين وصيانة الحقوق(١).

ثامنًا: إمضاؤه الطلاق الثلاث بلفظ واحد:

عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم(٢)، وعن أبى الصهباء قال لابن عباس: أتعلم أنما كانت الثلاثة تُجعلُ واحدة على عهد النبى ﷺ وأبى بكر وثلاثًا من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم(٣).

فى هذين الأثرين قضى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بإيقاع الطلاق الثلاث ثلاثًا، على خلاف ما كان عليه فى عهد رسول الله ﷺ وعهد أبى بكر الصديق، حيث كان الطلاق ثلاثًا بلفظ واحد أو مجلس واحد يوقع طلقة واحدة. ووجهة نظر عمر فى إيقاع هذه العقوبة والتعزير أن الناس أكثروا من إحداث طلاق الثلاثة، فأراد أن يردهم إلى الطلاق السُّنِّى الذى شرعه الله، وهو إيقاع طلقة واحدة ثم يتركها حتى تنتهى عدتها، فإن كان له رغبة فى عودة وشائج الزوجية راجعها قبل انتهاء العدة، وهكذا حتى تنتهى عدد الطلاق الثلاث(٤)، وهذا التصرف من عمر بن الخطاب اعتبره بعض الناس مخالفة للنصوص ومنهم الدكتور عطية مصطفى مشرفة حيث قال: وكان عمر جريئا فى العمل بالرأى ولو خالف ذلك بعض النصوص والقواعد التى كانت معروفة ومعمولا بها من قبل، ليكون الحكم ملائما لأحوال المجتمع الإسلامى الجديد(٥)، وذكر من الأمثال التى

---

(١) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ص (١٤١، ١٤٢).

(٢، ٣) مسلم، ك الطلاق رقم (١٤٧٢).

(٤) القضاء فى عهد عمر بن الخطاب د. ناصر الطريفى (٢/ ٧٣٣).

(٥) القضاء فى الإسلام ص (٩٨).

ضربها إيقاع الطلاق بلفظ الثلاث ثلاثًا[١] والحق أن عمر بهذا التصرف لم يخالف النصوص القطعية، وإنما اجتهد فى فهم النصوص، إذ له سند منها:

١- روى مالك عن أشهب عن القاسم بن عبدالله أن يحيى بن سعيد حدثه أن ابن شهاب حدثه، أن ابن المسيب حدثه، أن رجلا من أسلم طلق امرأته على عهد رسول الله ﷺ ثلاث تطليقات، فقال له بعض الصحابة: إن لك عليها رجعة، فانطلقت امرأته حتى وقفت على رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجى طلقنى ثلاث تطليقات فى كلمة واحدة فقال لها رسول الله ﷺ: قد بنت منه ولا ميراث بينكما[٢]. ففى هذا الحديث أمضى رسول الله ﷺ الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاثا.

٢- روى النسائى بسنده: أن رسول الله ﷺ أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فقام غضبان ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله[٣]، ففى هذا الحديث غضب رسول الله ﷺ على من طلق امرأته ثلاث بلفظ واحد وأنكر عليه، مما يدل على وقوعها، إذ لو لم تقع الثلاث بلفظ واحد ثلاثا لبين ذلك رسول الله ﷺ، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة مع إمكانه غير جائز[٤].

٣- وعن نافع بن عمير بن عبد يزيد بن ركانة، أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة ألبتة، فأخبر النبى ﷺ بذلك وقال: والله ما أردت إلا واحدة، فقال رسول الله ﷺ: والله ما أردت إلا واحدة؟ فقال ركانة: والله ما أردت إلا واحدة، فردها إليه رسول الله ﷺ فطلقها الثانية فى زمان عمر، والثالثة فى زمان عثمان[٥].

---

(١) المصدر نفسه ص (٩٩).

(٢) المدونة الكبرى، ك الطلاق، باب طلاق السنة (٢/٦٢) وهو مرسل، ولكن مراسيل سعيد بن المسيب كلها صحاح.

(٣) سنن النسائى، ك الطلاق الثلاث المجموعة (٣٤٠١) قال ابن حجر عن هذا الحديث: أخرجه النسائى ورجاله ثقات فتح البارى (٩/٣٦٢) وقال ابن القيم: وإسناده على شرط مسلم زاد المعاد (٥/٢٤١).

(٤) القضاء فى عهد عمر بن الخطاب (٢/٧٣٦).

(٥) سنن أبى داود، ك الطلاق، باب فى البتة (٢٢٠٦) قال أبو داود: وهذا أصح من حديث جريج: إن ركانة طلق امرأته ثلاثا لأنهم أهل بيته وهم أعلم به، وقال النووى: وأما الرواية التى رواها المخالفون أن ركانة طلق ثلاثا فجعلها واحدة فرواية ضعيفة عن قوم مجهولين وإنما الصحيح منها ما قدمناه أنه طلقها البتة ولفظ البتة محتمل للواحدة والثلاثة شرح النووى (١٠/٧١).

ففى هذا الحديث لما طلق ركانة زوجته ألبتة، وادعى أنه لم يرد إلا طلقة واحدة، استحلفه الرسول ﷺ على أنه ما يريد إلا طلقة واحدة، فحلف فردها إليه، مما يدل على أنه لو قصد بطلاقه البتة الطلاق الثلاث لوقعن، وإلا فلم يكن لتحليفه معنى، وبعد سياق ما تقدم نجد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استند إلى دليل من سنة رسول الله ﷺ وأنه بإمضائه الثلاث بلفظ واحد ثلاثا لم يكن بدعا من عند نفسه، كما أن كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم وافقه فيما ذهب إليه، كعثمان بن عفان، وعلى ابن أبى طالب وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود ولهم أكثر من رواية، وعمران بن حصين وعلى هذا فقضية إيقاع الطلاق ثلاثا بكملة واحدة، أو كلمات مثل أن يقول: أنت طالق ثلاثا، أو أنت طالق وطالق وطالق أو أنت طالق ثم طالق ثم طالق أو يقول: أنت طالق ثم ثلاثا أو عشر طلقات، أو مائة طلقة، أو ألف طلقة ، أو نحو، ذلك من العبارات مسألة اجتهادية للحاكم بحسب ما يرى من المصلحة فى الزمان والمكان أن يوقعها ثلاثا أو طلقة واحدة رجعية(١)، وقال ابن القيم رحمه الله: لم يخالف عمر إجماع من تقدمه، بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم، لما علموا أنه حرام وتتابعوا فيه، ولا ريب أن هذا سائغ للأئمة أن يلزموا الناس بما ضيقوا به على أنفسهم، ولم يقبلوا فيه رخصة الله عز وجل وتسهيله(٢).

تاسعًا: تحريم نكاح المتعة:

رويت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه آثار فى تحريم نكاح المتعة والتشديد فى ذلك، واعتباره زنا يعاقب عليه بالرجم بالحجارة لمن أحصن، وقد ظن بعض الناس أن المحرم لنكاح المتعة هو عمر بن الخطاب دون رسول الله ﷺ، فعن أبى نضرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله فقال: على يدى دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ، فلما قام عمر قال: إن الله كان يُحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازله، فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله، وأبِتُّوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة(٣)، فهذا الأثر يفيد أن المتعة كانت على عهد رسول الله ﷺ وأن الذى حرمها

(١) الفقهاء فى عهد عمر بن الخطاب (٢/٧٣٦- ٧٣٩).

(٢) زاد المعاد (٥/٢٧٠).

(٣) مسلم ، ك الحج، رقم (١٢١٧).

عمر بن الخطاب، والآثار التى تفيد أن المتعة كانت حلالا فى عهد رسول الله ﷺ ولم يحرمها وكذلك عهد أبى بكر وإنما الذى حرم المتعة بعد أن كانت حلالاً، هو أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ذكرت عند مسلم، ومصنف عبدالرزاق. وفى الحقيقة أن الذى حرم المتعة هو رسول الله ﷺ وأن الذين نقل عنهم من الصحابة الذين كانوا يرون جواز نكاح المتعة، ولم يبلغهم النهى القاطع عن رسول الله ﷺ، وكذلك من نسب تحريم المتعة إلى عمر بن الخطاب دون أن يكون له سند من النصوص الشرعية من المتأخرين، أمثال أبى هلال العسكرى[١]، ورفيق العظم[٢] فقد جهل أدلة ذلك من سنة رسول الله ﷺ والتى كانت سندا للفاروق فى تحريمه للمتعة، وإليك بعض الأحاديث التى وردت عن رسول الله والتى تفيد أنه حرم نكاح المتعة والتى منها:

١- روى مسلم بسنده عن سلمة قال: رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس[٣] فى المتعة ثلاثا، ثم نهى عنها[٤].

٢- وروى مسلم بسنده عن سبرة أنه قال: أذن لنا رسول الله ﷺ بالمتعة فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بنى عامر، كأنها بكرة عيطاء[٥]، فعرضنا عليها أنفسنا، فقالت: ما تعطى؟ فقلت: ردائى وقال صاحبى: ردائى، وكان رداء صاحبى أجود من ردائى، وكنت أشب منه[٦]، فإذا نظرت إلى رداء صاحبى أعجبها، وإذا نظرت إلىَّ أعجبتها، ثم قالت: أنت ورداؤك يكفينى، فمكثت معها ثلاثا ثم إن رسول الله ﷺ قال: من كان عنده شىء من هذه النساء التى يتمتع، فليخل سبيلها[٧].

(١) الأوائل (١/٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) أشهر مشاهير الإسلام (٢/٤٣٢)، القضاء فى عهد عمر بن الخطاب (٢/٧٥٦).

(٣) أوطاس: واد فى الطائف ويوم أوطاس ويوم فتح مكة فى عام واحد، وهو سنة ثمان من الهجرة شرح النووى لصحيح مسلم (٩/١٨٤).

(٤) مسلم، ك النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة (١٤٠٣).

(٥) البكرة: هى الفتية من الإبل، أى الشابة القوية، وأما العيطاء فهى الطويلة العنق فى اعتدال وحسن قوام شرح النووى لمسلم (٩/١٨٤، ١٨٥).

(٦) وفى رواية ثانية لمسلم: وهو قريب من الدمامة.

(٧) اى يتمتع بها، فحذف بها لدلالة الكلام عليه، أو أوقع يتمتع موقع يباشر أى يباشرها وحذف المفعول. والحديث رواه مسلم برقم (١٤٠٦).

٣- وروى مسلم بسنده عن سبرة الجهنى، أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا(١).

٤- وروى مسلم بسنده عن على بن أبى طالب أنه سمع ابن عباس يُليِّن فى متعة النساء فقال: مهلا يا ابن عباس، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية(٢).

إن الفاروق رضى الله عنه لم يبتدع تحريم نكاح المتعة من عند نفسه ، بل كان متبعا لرسول الله ﷺ حيث حرمها ﷺ عام الفتح فى السنة الثامنة من الهجرة تحريما مؤبدا، بعد أن حرمها فى خبير سنة ست من الهجرة، ثم أحلها عام الفتح فمكث الناس خمسة عشرة يوما و هم يستمتعون، ثم حرمها ﷺ إلى يوم القيامة(٣).

عاشراً: من اختيارات عمر رضى الله عنه الفقهية:

أثر عمر رضى الله عنه فى المؤسسة القضائية باجتهاداته فى مجال القصاص والحدود والجنايات والتعزير، كما أنه رضى الله عنه ساهم فى تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء، وله مسائل كثيرة فى الفقه الإسلامى اختارها ومال إليها وإليك بعضها:

١ - اختيار عمر رضى الله عنه أن جلد الميتة يطهر بالدباغ إذا كانت طاهرة فى حال الحياة.

٢ - اختيار عمر رضىَ الله عنه كراهة الصلاة فى جلود الثعالب.

٣ - اختيار عمر رضى الله عنه لا يكره السواك للصائم بعد الزوال بل يستحب.

٤ - اختيار عمر رضى الله عنه أن المسح على الخفين وما أشبههما موقت بيوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام ولياليهن للمسافر.

---

(١) مسلم ك النكاح رقم (١٤٠٦).

(٢) مسلم ك النكاح رقم (١٤٠٧).

(٣) القضاء فى عهد عمر بن الخطاب (٢/ ٧٥٦).

٥ – اختيار عمر رضى الله عنه ابتداء مدة المسح على الخفين بعد الحدث.

٦ – أن وقت الجمعة إذا زالت الشمس.

٧ – اختيار عمر أن مس الذكر ينقض الوضوء.

٨ – اختيار عمر أن التكبير فى العيد من الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق.

٩ – اختيار أبى بكر وعمر المشى أمام الجنازة أفضل.

١٠ – اختياره تجب الزكاة على الصبى والمجنون.

١١ – اختيار عمر القول بإثبات خيار الفسخ، وإن لكل واحد الخيار ما دام فى المجلس.

١٢ – اختياره لا يصح السلم فى الحيوان.

١٣ – اختياره أنه إذا شرط أنه متى حل الحق ولم يوف فالرهن بالدين، فهو مبيع بالدين الذى عليك، فهو شرط فاسد.

١٤ – اختيار عمر إذا وجد الغريم عين ماله عند المفلس فهو أحق بها.

١٥ – اختيار عمر أن الجارية لا يدفع إليها مالها بعد بلوغها حتى تتزوج أو تلد أو تمضى عليها سنة فى بيت الزوج.

١٦ – اختيار عمر أن عين الدابة تضمن بربع قيمتها.

١٧ – اختيار عمر أن الشفعة لا تكون إلا فى المشاع غير المقسوم، فأما الجار فلا شفعة له.

١٨ – اختياره تجوز المساقاة فى جميع الشجر.

١٩ – اختيار أبى بكر وعمر جواز استئجار الأجير بكسوته.

٢٠ – اختياره لا تلزم الهبة إلا بالقبض.

٢١ – اختياره من وهب لغير ذى رحم فله الرجوع ما لم يثب عليها، ومن وهب لذى رحم فليس له الرجوع.

٢٢ – اختياره أن مدة تعريف اللقطة سنة.

٢٣ – اختياره يجوز أخذ اليسير من اللقطة، والانتفاع به من غير تعريف.

٢٤ – اختيار عمر أن اللقطة إذا عرفها المدة المعتبرة، فلم يعرف مالكها، صارت كسائر أمواله غنياً كان أو فقيراً.

٢٥ – اختيار عمر أن لقطة الحل والحرم سواء.

٢٦ – اختياره اللقيط يقر بيد من وجده إن كان أمينا.

٢٧ – اختياره جواز الرجوع فى الوصية وقال: يغير الرجل ما شاء من وصيته.

٢٨ – اختيار عمر أن الكلالة اسم للميت الذى لا ولد له ولا والد.

٢٩ – اختياره أن الأخوات مع البنات عصبة لهن ما فضل.

٣٠ – إذا كان زوج وأم، وإخوة من أم وإخوة من أب وأم فهذه المسألة فى علم المواريث اختلف العلماء فيها قديماً وحديثاً، فيروى عن عمر وعثمان وزيد بن ثابت رضى الله عنهم أنهم شركوا بين ولد الأبوين وولد الأم فى الثلث، فقسموه بينهم بالسوية للذكر مثل حظ الأنثيين، ويروى أن عمر كان أسقط ولد الأبوين فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حماراً أليست أمنا واحدة، فشرك بينهم وهذه المسألة تسمى المشركة وتسمى الحمارية لما تقدم.

٣١ – اختياره أن للجدات وإن كثرت السدس وهو قول أبى بكر.

٣٢ – اختيار عمر فى أم وأخت وجد؛ للأخت النصف، وللأم ثلث ما بقى، وما بقى للجد.

٣٣ – اختيار عمر إذا كان زوج وأبوان؛ أعطى الزوج النصف، والأم ثلث ما بقى، وما بقى فللأب، وإذا كانت زوجة وأبوان أعطيت الزوجة الربع، والأم ثلث ما بقى، وما بقى فللأب، وهاتان المسألتان تسميان بالعمريتين، لأن عمر رضى الله عنه قضى فيهما بهذا.

٢٤ – اختيار توريث ذوى الأرحام إذا لم يكن ذوى فرض ولا عصبة[١].

هذه بعض الاختيارات العمرية فى مجال الفقه وهى تستحق البحث والتأصيل وإنما ذكرتها من باب الإشارة.

(١) انظر محض الصواب (٣/٧٥٤ – ٧٧٤).

الفصل الخامس

فقه عمر رضى الله عنه فى التعامل مع الولاة

لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهد عمر، قسم الدولة أقساما إدارية كبيرة، ليسهل حكمها والإشراف على مواردها، وقد كانت الفتوحات سببا رئيسيا فى تطوير عمر لمؤسسات الدولة ومن بينها مؤسسة الولاة.

المبحث الأول

أقاليم الدولة

يعتبر تقسيم الولايات فى عهد عمر امتدادا فى بعض نواحيه لما كانت عليه فى عهد أبى بكر إقليميا، مع وجود تغيرات فى المناصب القيادية لهذه الولايات فى كثير من الأحيان وإليك نبذة مختصرة عن هذه الولايات.

أولا: مكة المكرمة:

تولى ولاية مكة فى عهد عمر رضى الله عنه محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس، ثم ولى مكة لعمر فنقذ بن عمير بن جدعان التميمى، وشأنه شأن من سبقه فلم تذكر أخبار عن مدة ولايته لمكة أو أحداثها، وبعده تولى مكة لعمر (نافع بن الحارث الخزاعى) وقد توفى عمر رضى الله عنه وهو على مكة وذكرت المصادر بعض الأحداث عن ولايته مكة منها شراؤه دارا من صفوان بن أمية بغرض جعلها سجنا وذلك فيما رواه البخارى[1]، وقد ورد أيضا أن نافعا لقى عمر بـ(عسفان) أثناء قدومه للحج فقال له عمر: من استعملت على الوادى يعنى مكة؟ قال نافع: ابن (أبزى) قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، فقال: استعملت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين[2]. وفى عهد عمر كانت أبرز الأعمال لولاية مكة هى توسعة الحرم المكى حيث

---

(١) البخارى، ك الخصومات، باب الربط والحبس، مسند أحمد رقم (٢٣٢) الموسوعة الحديثية إسناده صحيح.

(٢) الولاية على البلدان عبد العزيز العمرى (١/٦٧) وهذا اهم مرجع فى الفصل وقد قمت بتخليص هذا الكتاب.

قام عمر بشراء بعض الدور المجاورة للحرم وأمر بهدمها وإدخالها ضمن حرم المسجد وبنى حوله جدرانا قصيرة، وكانت مكة ملتقى الأمراء والولاة فى مختلف الأصقاع بالخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى موسم الحج، وبالتالى كان لمكة دور أساسى كبير كإحدى الولايات الرئيسية للدولة الإسلامية فى عهد عمر رضى الله عنه.

ثانيًا: المدينة النبوية:

يعتبر الخليفة هو الوالى المباشر للمدينة، نظرًا لأنه كان يقيم فيها، وبالتالى كان يتولى شئونها ويسوس أمورها، وخلال غياب الخليفة عمر عن المدينة كان يولى عليها من يقوم مقامه فى إدارة شئون المدينة المختلفة، فكان عمر أحيانا يولى على المدينة خلال بعض أسفاره أو حجه (زيد بن ثابت رضى الله عنه[١]) كما ولى عمر على بن أبى طالب على المدينة عدة مرات أثناء غيابه[٢]، وهكذا فإن عمر رضى الله عنه سار على سياسة الرسول ﷺ وأبى بكر فى الاستخلاف على المدينة فى حال غيابه، وتكتسب ولاية المدينة المنورة أهمية سياسية متميزة بين الولايات المختلفة فى تلك الأيام لعدة أسباب على رأسها: أنها مقر الخليفة عمر، ومصدر الأوامر إلى مختلف الأقاليم الإسلامية ومنها تنطلق الجيوش المجاهدة، يضاف لذلك أنها مقر إقامة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، والذين كان عمر يمنعهم من الانتشار فى الأمصار[٣]، ولذلك كان يفد إليها الكثير من طلاب العلم الذين يريدون أن يأخذوا القرآن وسنة الرسول ﷺ وفقههما من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم[٤].

ثالثًا: الطائف:

تعتبر الطائف إحدى أهم المدن الإسلامية فى عهد عمر رضى الله عنه، وكانت تمد حركة الجهاد بالمقاتلين الأشداء، وكان واليها منذ عهد الرسول ﷺ عثمان بن أبى العاص وأقره أبو بكر على ما كان عليه، واستمرت ولايته على الطائف لمدة سنتين من خلافة عمر، وقد تاقت نفس عثمان بن أبى العاص إلى الجهاد، فكتب إلى عمر يستأذنه فى الغزو فقال له عمر: أما أنا فلا أعزلك، ولكن استخلف من شئت فاستخلف رجلا

---

(١) الولاية على البلدان (١/٦٨).

(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/١٤٧).

(٣) المصدر نفسه (٢/١٥٧).

(٤) الولاية على البلدان (١/٦٨).

من أهل الطائف مكانه، وعين عمر عثمان على عمان والبحرين[١]، وقد ورد أن والى عمر على الطائف حين وفاته هو (سفيان بن عبد الله الثقفى) [٢]، وقد كان بينه وبين عمر ابن الخطاب مكاتبات تتعلق بأخذ الزكاة من الخضار والفواكه أو من العسل[٣]، وكلها تدل على كثرة المزارع ووفرة الإنتاج الزراعى فى الطائف أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد ظلت مدينة الطائف وما جاورها تنعم بالاستقرار فى عهد عمر رضى الله عنه، وقد كانت لأهل مكة متنفسا يقدمون إليه فى الصيف[٤]، واعتبرت الطائف أحد الأمصار الرئيسية التابعة للدولة الإسلامية فى عهد عمر[٥].

رابعًا : اليمن :

عندما تولى عمر رضى الله عنه الخلافة كانت اليمن تنعم بالاستقرار، وقد ضبطت أمورها عن طريق ولاة موزعين فى أنحاء اليمن، وقد أقر عمر عمال أبى بكر على اليمن[٦]، وكان يعلى بن أمية أحد ولاة أبى بكر على اليمن، وقد لمع اسمه فى خلافة عمر بن الخطاب، وذكر المؤرخون أنه والى بعد ذلك على أنه والى عمر على اليمن واشتهر بذلك حتى وفاة عمر رضى الله عنه[٧]، وقد أوردت المصادر العديد من الحوادث التى وقعت لوالى اليمن (يعلى بن أمية) مع بعض الأهالى من اليمن، إضافة إلى حديثها عن بعض القضايا التى قدم أصحابها شكاوى ضد يعلى أمام عمر بن الخطاب، مما استلزم استدعاء يعلى إلى المدينة المنورة عدة مرات حقق خلالها عمر معه فى هذه القضايا[٨]، وفى أثناء غياب يعلى كان عمر أحيانا يعين مكانه من يقوم بعمله، وقد كانت بين يعلى وعمر عدة مكاتبات تتعلق بقضايا الزكاة[٩]، كما ذكر يعلى نفسه ضمن الولاة الذين قاسمهم عمر أموالهم فى أواخر خلافته[١٠]، وقد ذكر من ولاة اليمن لعمر عبد الله بن

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٣٤ .

(٢) تاريخ الطبرى (٥/٢٣٩).

(٣، ٤) الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام، نادية حسين صقر ص(١٩).

(٥) الولاية على البلدان (١/٦٩).

(٦) غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، يحيى بن الحسين (١/٨٣).

(٧) تاريخ الطبرى (٢/١٥٧).

(٨) غاية الأمانى (١/٨٣).

(٩) الأموال للقاسم بن سلام ص ٤٣٦ .

(١٠) تاريخ اليعقوبى (٢/١٥٧).

أبى ربيعة المخزومى، ولعله كان على منطقة محددة من اليمن وهى (الجند) كما صرح بذلك الطبرى حيث ذكره ضمن ولاته حين وفاته إذ كان واليا لعمر على الجند بجانب ذكر ليعلى كوالٍ لليمن[١]، وقد لعب أهل اليمن دورا رئيسيا فى حركة الفتوح أيام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، فاشتركوا فى فتوح الشام وفى فتوح العراق ومصر[٢]، وعندما اختطت الأمصار الإسلامية الجديدة فى العراق كالبصرة والكوفة نزلتها الكثير من القبائل اليمنية وعلى رأسها كنده التى نزلت الكوفة[٣]، كما استقرت أعداد أخرى من القبائل اليمنية بالشام، وكان لهم دور كبير فى فتوحاتها، كما سكنت مجموعة منهم فى مصر بعد إنشاء الفسطاط[٤]، ولا شك أن هذه الهجرات المنظمة من القبائل اليمنية فى عهد عمر قد خطط لها، وقد يكون لأمراء البلدان على اليمن دور كبير فى هذا التخطيط وفى عملية توزيع القبائل على الأمصار، ومن هنا كانت اليمن من أهم الولايات الإسلامية على عهد عمر، وكان دورها وتأثيرها واضحا بالنسبة لمختلف الولايات[٥].

خامساً: البحرين:

عندما تولى عمر أمر المسلمين كان العلاء بن الحضرمى واليا على البحرين، فأقره عمر فى بداية خلافته واليا عليها واستمر عليها حتى سنة أربع عشرة على أرجح الأقوال[٦]، وقد اشترك العلاء رضى الله عنه فى الجهاد المبكر فى نواحى بلاد الفرس، وكان له دور رئيسى فيه، وفى أواخر فترة ولاية العلاء على البحرين أصدر عمر رضى الله عنه قرارا بعزل العلاء عن الولاية، ونقله إلى ولاية البصرة وقد كره العلاء ذلك فتوفى قبل أن يصل البصرة ودفن فى البحرين، وقد قيل فى سبب عزله: إنه غزا فارس عن طريق البحرين دون إذن من عمر، وكان عمر يكره أن يحمل المسلمين فى البحر، وبعد وفاة العلاء تولى على البحرين عثمان بن أبى العاص، فأخذ يجاهد ما يليه من نواحى بلاد فارس، حتى وصل فى بعض فتوحه إلى نواحى السند، وقد صدرت أوامر عمر رضى الله عنه إلى عثمان بن

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٢٣٩).

(٢) الولاية على البلدان (١/٧١).

(٣) اليمن فى ظل الإسلام د. عصام الدين ص (٤٩).

(٤) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص (١١٩-١٢٣).

(٥) الولاية على البلدان (١/٧١).

(٦) المصدر نفسه (١/٧٥).

أبى العاص تأمره بالتعاون فى فتوحه مع والى البصرة أبى موسى الأشعرى فأصبحت جيوشهما تتعاون فى غزو فارس عن طريق البصرة[١].

وقد اشتهر عن عثمان بن أبى العاص ورعه وبعده عن الوقوع فى الحرام[٢]، وقد تولى عثمان ولاية البحرين لعمر مرتين على الأقل إذ أنه ولاه للمرة الأولى فى السنة الخامسة عشرة ثم احتاج إليه لقيادة بعض الجيوش فى نواحى البصرة، ليشترك فى فتوحاتها، وقد تولى (عياش بن أبى ثور)[٣] البحرين بعد عثمان بن أبى العاص، ويبدو أن فترته لم تطل، ثم ولى عمر على البحرين (قدامة بن مظعون) رضى الله عنه الذى صحبه أبو هريرة وولى له أمر القضاء فى البحرين بالإضافة إلى بعض المهام الأخرى، وخلال فترة ولاية قدامة للبحرين امتدحه الناس، إلا أنه حدث فى آخر ولايته أن اتهم رضى الله عنه بشرب الخمر، وبعد التحقيق ثبتت التهمة، فأقام الفاروق عليه الحد وقدامة بن مظعون خال أولاد عمر بن الخطاب، عبد الله وأم المؤمنين حفصة[٤]، وقد غضب قدامة على عمر إلا أن عمر أصر على إرضائه وكان يقول: إنى رأيت رؤيا أنه قد أتانى آت فى منامى فقال لى: صالح قدامة فإنه أخوك[٥]، وقيل: إن عزل قدامة عن ولاية البحرين كان فى سنة عشرين[٦] للهجرة، وقد تولى على البحرين بعد قدامة الصحابى المعروف (أبو هريرة) رضى الله عنه وقد كان أبو هريرة يتولى بعض المسئوليات فى البحرين أثناء ولاية قدامة بن مظعون السابقة، وكان ضمن الشهود الذين شهدوا على قدامة فى الخمر، وقد أصدر عمر رضى الله عنه أمرا بتولية أبى هريرة على البحرين بعد عزله لقدامة[٧]، وقد ولى البحرين لعمر فيما بعد عثمان بن أبى العاص الثقفى مرة أخرى واستمر واليا عليها حتى توفى عمر[٨]، وقد وردت فى كثير من النصوص ولاية البحرين مضافة إليها

(١) الولاية على البلدان (١/٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٧٤).
(٣) الولاية على البلدان (١/٧٣).
(٤) الطبقات (٥/٥٦٠)، تاريخ المدينة (٣/٨٤٣)، الولاية على البلدان (١/٧٤).
(٥) الولاية على البلدان (١/٧٤).
(٦) البداية والنهاية (٧/١٠١).
(٧، ٨) الولاية على البلدان (١/٧٥).

عمان، ووردت روايات عند تولية عثمان بن أبى العاص أنه ولى البحرين واليمامة(١)، وهذه الروايات تعطينا دلالة قوية على مدى ارتباط البحرين بكل من عمان واليمامة، وأن هذين القسمين ربما اعتبرا جزءاً من ولاية البحرين خلال عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولا يخفى مدى الارتباط الجغرافى والبشرى بين هذين الإقليمين وبين البحرين، وقد يفيد تعبير البحرين وما والاها الذى يردده المؤرخون ووجود توابع للبحرين ربما كان المقصود بها عمان واليمامة، وقد كانت البحرين مصدرا رئيسيًا للخراج والجزية، وهذا يدل على ثراء هذه الولاية فى تلك الأيام، وقد شاركت قبائل البحرين المسلمة وأمراؤها فى بلاد فارس والمشرق، وكان لهم دور مهم فى تلك الفتوح(٢).

سادسًا: مصر:

كان عمرو بن العاص رضى الله عنه هو الذى تولى فتح مصر وسيأتى تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات، وأقره عمر واليا عليها، واستمر فى ولايته حتى توفى عمر بن الخطاب رغم اختلافه مع عمر فى بعض الأحيان، مما كان يدفع عمر إلى التهديد بتأديبه، وكان عمرو هو والى مصر الرئيسى، مما كان يرد من وجود بعض الولاة الصغار الآخرين فى مصر مثل ما ورد عن ولاية عبد الله بن أبى السرح على الصعيد إبان وفاة الخليفة عمر(٣)، ومن الملاحظ فى فترة ولاية عمرو بن العاص لمصر فى عصر عمر كثرة تدخل الخليفة عمر فى شئون الولاية المختلفة(٤)، وقد استفاد عمرو بن العاص من خبرة الأقباط فى قضايا الخراج والجزية فاستخدمهم فى هذا العمل(٥)، وقد اشتهر عن عمرو منعه لجنوده من الزراعة والاشتغال بها، ومعاقبة من يخالف ذلك بناء على أوامر عمر ابن الخطاب(٦)، وكان هذا بالطبع لتفريغ الجنود لأمور الجهاد، وعدم الركون إلى الدعة، أو الارتباط بالأرض، وقد كان للجند من الأرزاق التى تصرف من بيت المال ما يغنيهم عن ذلك، وقد استطاع عمرو بن العاص بمتابعة من الخليفة عمر تنظيم أمورها فى

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٣٩).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ٧٦).
(٣) فتوح مصر ص (١٧٣).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ٧٩).
(٥) فتوح مصر وأخبارهم ص (٥٢).
(٦) الولاية على البلدان (١/ ٨٢).

سنوات قليلة حتى أخذت مكانتها كولاية كبرى من ولايات الدولة، وجرى فيها من الأحداث مما يدل على استقرار أوضاع الولاية، بالرغم من المخاطر التى كانت تحدق بها من جراء محاولة الروم المستمرة استعادتها عن طريق غزو الإسكندرية من ناحية البحر، وقد كانت هذه الولاية أرضا خصبة لانتشار الإسلام فيها فى عهد الخليفة عمر نظرا لما ظهر فيها من عدل بين الناس ورحمة، لم يعهدهما أهلها من قبل بالإضافة إلى اقتناعهم بحقائق الإسلام وتعاليمه السمحة، فأصبحوا جندا من جنوده، وكانت الأمور الإدارية فى مصر تمضى بطريقة بسيطة إذ كان عمرو هو الوالى وهو المسئول عن الخراج، ولا يمنع هذا من استعانة عمرو ببعض الولاة على مناطق أخرى تابعة له كما مر، ولكن الوالى الرئيسى والمسئول أمام الخليفة هو عمرو بن العاص طوال فترة حكم عمر بن الخطاب، وقد استفاد عمرو من بعض أهل البلاد فى ترتيب أمور الخراج وتنظيم شئونها المالية(١).

سابعًا: ولايات الشام:

حينما توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه كان المسئول عن جيوش الشام وبلادها هو خالد بن الوليد رضى الله عنه، ولما تولى عمر رضى الله عنه الخلافة أصدر أمرا بعزل خالد ابن الوليد عن ولاية الشام وتعيين أبى عبيدة بن الجراح مكانه أميرا لأمراء الشام، ومسئولا مباشرا عنهم وواليا على الجماعة فيها(٢)، وحينما تولى أبو عبيدة على الشام أخذ ينظم أمورها، ويعين الأمراء من قبله على المناطق المختلفة فيها، وأخذ يعيد تنظيمها حيث كان على بعضها أمراء سابقون فمنهم من أقره أبو عبيدة ومنهم من عزله، يقول خليفة بن خياط: فولى أبو عبيدة حين فتح الشامات يزيد بن أبى سفيان على فلسطين وناحيتها، وشرحبيل بن حسنة على الأردن، وخالد بن الوليد على دمشق وحبيب بن مسلمة على حمص ثم عزله، وولى عبد الله بن قرط الثمالى(٣)، ثم عزله، وولى عبادة ابن الصامت ثم عزله ورد عبد الله بن قرط(٤)، وكان يبعث أحيانا بعض أصحابه لتولى مناطق من الشام لفترة معينة، ذلك أن أبا عبيدة بعث معاذ بن جبل على الأردن(٥)،

(١) الولاية على البلدان (١/ ٨٣).
(٢) تهذيب تاريخ دمشق (١/ ١٥٢).
(٣) الأزدى له صحبة ورواية اشترك فى فتوح الشام.
(٤) تاريخ خليفة ص (١٥٥).
(٥) فتوح الشام ص (٢٤٨).

ومن ذلك إنابته لبعض الناس مكانه حين كان يسافر للجهاد، فقد أناب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل[١]، على دمشق حين خروجه إلى بيت المقدس، وكان أبو عبيدة رحمه الله طوال فترة ولايته على الشام مثالا للرجل الصالح الورع الذى يقتدى به بقية أمرائه ويقتدى به العامة، وقد استشهد كما مر معنا فى طاعون عمواس ثم تولى بعده معاذ، فاستشهد بعده بأيام، وحينما علم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بوفاة أبى عبيدة ووفاة معاذ من بعده عين على أجناد الشام يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وفرق أمراء آخرين على الشام، وقد كان يزيد صاحب خبرة فى إمارة الأجناد، إذ كان على رأس أحد الجيوش التى بعثها أبو بكر إلى الشام للفتح، كما أن أبا عبيدة قد استخلفه عدة مرات على دمشق أثناء غزواته[٢]، وقد ذكر المؤرخون أن عمر حينما ولى يزيد على أجناد الشام حدد أمراء آخرين وزعهم على المناطق واختص يزيد بفلسطين والأردن[٣]، وتعتبر فترة يزيد على الشام قصيرة لذلك يقل الحديث عنها فى المصادر التاريخية وقد توفى يزيد فى السنة الثامنة عشرة، وقبيل وفاته استخلف أخاه معاوية بن أبى سفيان على ما كان يتولاه وكتب إلى عمر كتابا فى ذلك، وكانت مدة ولاية يزيد قريبا من السنة[٤]، وأقر عمر رضى الله عنه ولاية معاوية وأجرى تعديلات فى إدارة الشام بعد وفاة يزيد، وقد حدد لمعاوية جند دمشق وخراجها، وحد من سلطات معاوية فى القضاء والصلاة حيث بعث إليه برجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وجعلهما على القضاء والصلاة[٥]، وهذا فيه تحديد لسلطات معاوية خصوصا أن الصلاة وكلت إلى غيره، وكان الأمير فى العادة هو أمير الصلاة، ولعل هناك أسبابا دفعت عمر إلى هذه السياسة الجديدة التى بدأت تظهر فى الأقاليم الأخرى وبالأسلوب نفسه الذى نهجه مع معاوية تقريبا، وقد اشتهر معاوية بالحلم والبذل مما جعل مجموعات من الناس تلحق بولايته من العراق وغيرها[٦]، وقد قام عمر بتعيين بعض الأمراء فى الشام، وجعل ولايتهم من قبل معاوية، وخلال ولاية معاوية على بلاد الشام كان فى بعض الأحيان يقوم ببعض الغزوات ضد الروم فى شمال الشام وهى ما عرفت بالصوائف[٧]، وقد استمر معاوية واليا على الشام بقية عصر

---

(١) الفتوح، ابن أعثم الكوفى ص (٢٨٩) الولاية على البلدان (١/٩٠).

(٢) فتوح البلدان ص (١٣٧).

(٣) المصدر نفسه ص (١٤٥، ١٤٦).

(٤) الوثائق السياسية للعصر النبوى والخلافة الراشدة ص (٤٩٣).

(٥) الولاية على البلدان (١/٩٢).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/٢٣٩).

(٧) الولاية على البلدان (٢/٩٢)

عمر حتى وفاته رضى الله عنه، مع وجود أمراء آخرين فى مناطق معينة من الشام لهم اتصالهم المباشر بالخليفة فى المدينة المنورة، إلا أن معاوية يعتبر أشهرهم، حيث كان واليا على البلقاء والأردن وفلسطين وانطاكية وقلقيلية ومعرة مصرين وغيرها من مدن الشام[1]، وقد سماه بعض المؤرخين والى الشام بينما تحفظ بعضهم فقالوا حين ذكروا ولاة عمر: ومعاوية بن أبى سفيان على بعض الشام، ولكن بعضهم ذكر أنه قبل موت عمر جمع الشام كلها لمعاوية بن أبى سفيان[2]، ولابد من التنبيه على أن الولايات كانت تجرى فيها تغييرات مستمرة تبعا للظروف العسكرية والظروف العامة للدولة فى تلك الأيام، فكانت الأردن أحيانا تستقل وأحيانا تضم لها أقاليم وأحيانا تنزع منها أقاليم وتضم إلى الشام أو إلى فلسطين إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره[3].

ثامنًا: ولايات العراق وفارس:

كانت الفتوحات قد بدأت فى العراق أيام أبى بكر رضى الله عنه، وكانت فى البداية تحت إمارة المثنى بن حارثة الشيبانى إلى أن قدم خالد بن الوليد إلى العراق، فجعل الولاية له، فلما أمره بالمسير إلى الشام أعاد أبو بكر الولاية مرة أخرى إلى المثنى بن حارثة، وحينما تولى الخلافة عمر بن الخطاب عزل المثنى وعين أبا عبيدة بن مسعود الثقفى، وكان عزل المثنى فى الوقت نفسه الذى عزل فيه خالدا، مما أثار استغراب الناس فقال عمر: إنى لم أعزلهما فى ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما[4]، ومع عزل المثنى فقد كان جنديا مخلصا اشترك مع أبى عبيدة فى معظم معاركه وأبلى بلاء حسنا[5]، وبعد استشهاد أبى عبيد عاد المثنى إلى القيادة ثم تولى قيادة جيوش العراق سعد بن أبى وقاص، وقد انتقضت على المثنى جراحه التى أصابته يوم الجسر فمرض منها ومات قبل أن يصل سعد بن أبى وقاص للعراق[6]، فقد كانت البصرة قد بدأت بالظهور على مسرح الأحداث كولاية قبيل معركة القادسية، إلا أن انتصار القادسية وسقوط المدائن فى يد المسلمين يعتبر بداية مرحلة جديدة وقوية فى بلاد

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٩٣).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (١٥٥)، سير أعلام النبلاء (٣/٨٨).

(٣) الولاية على البلدان (١/١٠٢).

(٤) المصدر نفسه (١/١٠٨).

(٥) البداية والنهاية (٧/٢٨).

(٦) الولاية على البلدان (١/١١١).

العراق، بدأ فيها تنظيم الولايات يأخذ شكلا معينا وبارزا تتضح فيه الملامح العامة سواء فى ولاية البصرة أو ولاية الكوفة، وما ألحق بكل منهما من المدن والقرى التى كانت تتبع كلا منهما من أقاليم فارس والعراق، أو ما استقل عنهما من الولايات فى بلاد فارس(١).

ولاية البصرة:

وجه عمر بن الخطاب إلى نواحى البصرة قبل إنشائها شريح بن عامر، أحد بنى سعد بن بكر مددا لقطبة بن قتادة ثم ولاه عمر فى نواحى البصرة، وقتل فى إحدى المعارك(٢)، ثم قام عمر بن الخطاب بإرسال عتبة بن غزوان إلى نواحى البصرة مع مجموعة من الجند وولاه عليها، وذلك فى السنة الرابعة عشرة وليس فى السادسة عشرة كما يرجح ذلك صالح أحمد العلى إذ يقول: ويزعم بعض المؤرخين أن عتبة أرسل سنة ١٦ هـ بعد معركة القادسية أو جلولاء ولكن الأغلبية المطلقة من المؤرخين يؤكدون أنه أرسل سنة ١٤هـ مما يجعلنا نرجح روايتهم(٣)، وقد كانت مرحلة ولاية عتبة على البصرة مرحلة تأسيسية وهامة فى حياة هذه الولاية، فقد كانت حافلة بالعديد من الأعمال الجليلة، ومنها مجموعة من الفتوح قام بها فى بلاد الفرس القريبة منه على ضفتى دجلة والفرات(٤)، وقد استعفى عتبة من عمر فأبى عمر أن يعفيه وكان ذلك فى موسم الحج وعزم عليه عمر ليرجعن إلى عمله ثم انصرف فمات فى الطريق إلى البصرة، فلما بلغ عمر موته قال: أنا قتلته، لولا أنه أجل معلوم، وأثنى عليه خيرا وكانت وفاته فى السنة السابعة عشرة(٥).

ثم تولى من بعده المغيرة بن شعبة وهو أول من وضع ديوان البصرة واستمر واليا على البصرة إلى أن عزله عمر رضى الله عنه فى السنة السابعة عشرة من الهجرة بعد التهمة الموجهة إلى المغيرة بالزنا، وقد قام عمر بالتحقيق وثبتت براءة المغيرة وجلد الشهود الثلاثة وقام عمر بعزل المغيرة، من باب الاحتياط والمصلحة، وولاه عمر فيما بعد على أماكن أخرى(٦)، وبعد عزل المغيرة بن شعبة ولى عمر على البصرة أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه، ويعتبر أبو موسى – بحق– أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١١٣).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص (١٥٥).
(٣) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة ص (٣٦).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص (١٢٧، ١٢٨).
(٥) الولاية على البلدان (١/ ١١٥).
(٦) المصدر نفسه (١/ ١١٧).

فتحت فى أيامه المواقع العديدة فى فارس، فكان يجاهد بنفسه ويرسل القواد للجهات المختلفة من البصرة، ففى أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له فى كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبى موسى وعمر بن الخطاب فى مختلف القضايا منها توجيهه لأبى موسى فى كيفية استقباله للناس فى مجلس الإمارة ومنها نصيحته لأبى موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهى قيمة قال فيها عمر: أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، إياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغى السمن وإنما حتفها فى سمنها(١)، وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبى موسى تدل على نواح إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله فى كتابة القيم عن الوثائق السياسية(٢)، وتعتبر فترة ولاية أبى موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصرى رحمه الله فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبى موسى(٣)، إذ أن أبا موسى رحمه الله كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها، حيث علمهم القرآن وأمور الدين المختلفة(٤).

وفى عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن فى فارس، والتى فتحت فى زمنه تخضع للبصرة وتدار من قبل والى البصرة الذى يعين عليها العمال من قبله، ويرتبطون به ارتباطا مباشرا وهكذا، واعتُبرت مراسلات عمر مع أبى موسى من أعظم المصادر التى كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبينت ملامح أسلوبه فى التعامل معهم(٥).

---

(١) مناقب عمر لابن الجوزى ص(١٣٠).

(٢) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٩).

(٤، ٥) الولاية على البلدان (١/١٢٠).

ولاية الكوفة:

يعد سعد بن أبي وقاص أول ولاة الكوفة بعد انشائها، بل إنه هو الذى أنشأها بأمر عمر، وكان له الولاية عليها وعلى المناطق المجاورة لها قبل بناء الكوفة، وقد استمر سعد واليا على الكوفة وقام بدوره على أكمل وجه، وكانت لسعد فتوحات عظيمة بعد استقراره بالكوفة فى نواحى بلاد فارس[١]، كما كان لسعد مجموعة من الإصلاحات الزراعية فى ولايته، منها أن مجموعة من الدهاقين سألوا سعدا أن يحفر لهم نهرا لصالح المزارعين فى مناطقهم، فكتب سعد إلى عامله فى المنطقة يأمره بحفر النهر لهم فجمع العمال وحفر النهر، وقد كان سعد ينظم أمور المناطق التابعة للكوفة ويعين عليها الولاة من قبله بعد التشاور مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وقد أعجب عقلاء أهل الكوفة بسعد بن أبى وقاص وامتدحوه، فحين سأل عمر بن الخطاب أحد مشاهير الكوفة عن سعد أجاب: إنه متواضع فى جبايته، عربى فى نمرته، أسد فى تأمره، يعدل فى القضية ويقسم بالسوية، ويبعد بالسرية، ويعطف عليها عطف البرة وينقل علينا خفيا نقل الذرة[٢]، كما سأل عمر جرير بن عبد الله عن سعد بن أبى وقاص وولايته فقال جرير: تركته فى ولايته أكرم الناس مقدرة وأقلهم قسوة، هو لهم كالأم البرة يجمع لهم كما تجمع الذرة، أشد الناس عند البأس وأحب قريش إلى الناس[٣].

ومع اقتناع خيار أهل الكوفة وعقلائها بسعد وامتداحهم له فقد وقعت بعض الشكاوى ضده من قبل بعض عوام الناس فتم عزله وسيتم بإذن الله بيان ذلك عند حديثنا عن الشكاوى ضد الولاة، وبعد عزل سعد بن أبى وقاص عن الكوفة أصدر عمر قرارا بتعيين عمار بن ياسر على صلاة الكوفة، ويلاحظ أن عمارا رضى الله عنه كان ضمن القادة الذين كانوا فى الكوفة، وكان سعد بن أبى وقاص يستعين بهم أثناء ولايته على الكوفة، ولذلك كانت لدى عمار خبرة سابقة وشبه كاملة عن الولاية قبل أن يتولى عليها، وتختلف ولاية عمار هذه عن ولاية سعد، إذ أن عمر جعل مع عمار أناسا آخرين يشتركون معه فى المسئولية ويتقاسمون المهام، فكان عمار على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، لذلك اختلف الوضع إلى حد ما فى

---

(١) فتوح البلدان ص(١٣٩)، تاريخ اليعقوبى (٢/١٥١).

(٢، ٣) الولاية على البلدان (١/١٢٣).

الولاية فى هذه المرحلة عما كانت عليه أيام سعد، ولا يمكننا تجاهل هذا التوزيع الجديد للمسئولية فى الولاية، وقد قام كل منهم بما نيط به من أمور، فكان عمار يقوم بالصلاة، وينظم أمور الولاية وشئونها ويقود الجيوش، فقام ببعض الفتوح، واشترك أهل الكوفة فى أيامه فى عدد من المعارك ضد الفرس الذين جمعوا الجموع ضد المسلمين، فكان عمار يدبر ولايته بمقتضى تلك الظروف الحربية حسب توجيهات عمر بن الخطاب، وقد استمر عمار يؤدى مهمته فى ولاية الكوفة مع ابن مسعود إضافة إلى قيامه بالشئون المالية للولاية يقوم بتعليم الناس القرآن وأمور الدين(١)، وكانت ولاية عمار لأهل الكوفة قرابة سنة وتسعة أشهر، وعزله عمر بناء على عدة شكاوى من أهل الكوفة ضده، وقد قال عمر لعمار: أساءك العزل؟ فقال عمار: ما سرنى حين استعملت، ولقد ساءنى حين عزلت، وقيل إنه قال: ما فرحت حين وليتنى ولا حزنت حين عزلتنى(٢)، كما ذكر أنه استعفى عمر حين أحس بكراهية أهل الكوفة له فأعفاه عمر ولم يعزله(٣) ثم عين عمر جبير بن مطعم على الكوفة ثم عزله قبل أن يتجه إلى الكوفة، نظرا لأن عمر أمره بكتمان خبر التعيين، ولكن الخبر انتشر بين الناس فغضب عمر وعزله ثم تولى ولاية الكوفة المغيرة بن شعبة واستمر يؤدى واجبه واليا للكوفة إلى أن توفى عمر بن الخطاب(٤).

المدائن:

كانت المدائن عاصمة كسرى، قد تم فتحها من قبل سعد بن أبى وقاص، واستقر بها سعد فترة من الوقت ثم انتقل منها إلى الكوفة بعد تمصيرها، وقد كان ضمن جيش سعد سلمان الفارسى رضى الله عنه، وهو الذى اشترك فى العديد من المعارك ضد الفرس، وكان له دور كبير فى دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال، وقد ولاه عمر بن الخطاب على المدائن فسار فى أهلها سيرة حسنة، فقد كان مثالا حيًا لتطبيق تعاليم الإسلام، وقد ذكر أنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء فيرفض عمر ذلك، وقد اشتهر عن سلمان رضى الله عنه زهده، فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير، وكان ناسكا زاهدا(٥)

---

(١) الطبقات (٣/١٥٧).

(٢) الفتوح ابن أعثم (٢/٨٢).

(٣) نهاية الأرب (١٩/٣٦٨).

(٤) تاريخ خليفة ص (١٥٥)، تاريخ الطبرى (٥/٢٣٩).

(٥) مروج الذهب (٢/٣٠٦)، الولاية على البلدان (١/١٣١).

وقد استمر سلمان يعيش فى المدائن إلى أن توفى على أرجح الأقوال سنة ٣٢هـ فى خلافة عثمان بن عفان، ويبدو أن سلمان لم يكن والى المدائن فى أواخر أيام عمر رضى الله عنه، إذ أن عمر قد عين حذيفة بن اليمان على المدائن، ولم يذكر المؤرخون عزل عمر لسلمان، فلعله استعفى عمر فوافقه بعد أن كان يمانع فى إعفائه وولى بعده حذيفة بن اليمان، وقد ورد العديد من الأخبار عن ولاية حذيفة على المدائن منها كتاب عمر إلى أهل المدائن بتعيين حذيفة واليا عليهم، وأمر عمر أهل المدائن بالسمع والطاعة لحذيفة، وقد استمر حذيفة واليا على المدائن بقية أيام عمر وكذلك طيلة خلافة عثمان[١].

أذربيجان:

كان حذيفة بن اليمان أول الولاة على أذربيجان ثم تولى بعدما نقل إلى المدائن عتبة ابن فرقد السلمى، وفى أثناء ولايته حدثت بينه وبين عمر العديد من المراسلات، من ذلك أن عتبة بن فرقد حين جاء إلى أذربيجان وجد عندهم نوعا من الحلوى الطبية تسمى (الخبيص) ففكر أن يصنع منها لعمر بن الخطاب، وبالفعل وضع منها وغلفها بما يحفظها من الجلود وغيرها وبعث بها إلى عمر بن الخطاب في المدينة، فلما تسلمها ذاق الخبيص فأعجبه، فقال عمر: أكل المهاجرين أكل منه شبعه؟ قال الرسول: لا إنما هو شيء خصك بك، فأمر عمر بردها على عتبة فى أذربيجان، وكتب إليه: يا عتبة إنه ليس من كدك ولا كد أبيك، فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع فى رحلك، وإياك والتنعم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير[٢]، وقد رويت الحادثة بروايات مختلفة يؤكد بعضها بعضا، وقد استمر عتبة واليا على أذربيجان بقية خلافة عمر رضى الله عنه وجزءا من خلافة عثمان، وقد وجد العديد من ولاة عمر فى مناطق مختلفة فى العراق وفارس، منهم من كان مستقلا بولايته، ومنهم من كانت ولايته مرتبطة بإحدى الولايتين الكبيرتين فى العراق اللتين هما محورا الإدارة، والقيادة لبلاد العراق وفارس الكوفة، أو البصرة، ومن هذه البلدان التى اختصت بولاة، الموصل، حلوان، كسكر[٣].

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٤).

(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٣٣).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥).

المبحث الثانى

تعيين الولاة فى عهد عمر

سار الفاروق رضى الله عنه على المنهج النبوى الشريف فى اختيار الولاة، فكان لا يولى إلا الأكفاء والأمناء والأصلح من غيرهم على القيام بالأعمال، ويتحرى فى الاختيار والمفاضلة غاية جهده، ولا يستعمل من يطلب الولاية، وكان يرى أن اختيار الولاة من باب أداء الأمانات، بحيث يجب عليه أن يعين على كل عمل أصلح من يجده، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره مع عدم وجود ما يبرر ذلك، يكون قد خان الله ورسوله والمؤمنين[1]، ومن أقواله فى هذا الشأن: وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرنى بنفسى إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم[2]، وقال رضى الله عنه: من قلد رجلاً على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين[3]، وقال أيضًا: من ولى من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين[4].

أولاً: أهم قواعد عمر فى تعيين الولاة وشروطه عليهم:

١ - القوة والأمانة:

وقد طبق الفاروق رضى الله عنه هذه القاعدة، ورجح الأقوى من الرجال على القوى، فقد عزل عمر شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية. فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتنى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكنى أريد رجلاً أقوى من رجل[5]، ومن أجمل ما أُثر عن عمر فى هذا المعنى قوله: اللهم إنى أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة[6].

---

(١) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١/٢٩٥، ٢٩٦).

(٢) دور الحجاز فى الحياة السياسية ص (٢٥٥).

(٣) الفتاوى (٢٨/٤٢).

(٤) المصدر نفسه (٢٨/١٣٨).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/٣٩).

(٦) الفتاوى (٢٨/٤٢).

٢ - مقام العلم فى التولية :

وقد جرى عمر الفاروق على سنة رسول الله ﷺ فى تولية أمراء الجيوش خاصة. قال الطبرى : إن أمير المؤمنين، كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمر عليهم رجلاً من أهل الفقه والعلم(١).

٣ - البصر بالعمل :

كان عمر بن الخطاب يستعمل قومًا، ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل(٢)، والتفضيل هنا إنما يعنى أن أولئك الذين تركهم عمر، كانوا أفضل دينا، وأكثر ورعًا، وأكرم أخلاقًا، ولكن خبرتهم فى تصريف الأمور أقل من غيرهم، فليس من الضرورى أن يجتمع الأمران كلاهما معًا، وهذه القاعدة التى وضعها عمر، ما زالت متبعة حتى اليوم، فى أرقى الدول، ذلك بأن المتدين الورع الخلوق، إذا لم تكن له بصيرة فى شئون الحكم، قد يكون عرضة لخديعة أصحاب الأهواء والمضللين، أما المحنك المجرب، فإنه يعرف من النظرة السريعة، معانى الألفاظ، وما وراء معانى الألفاظ، وهذا السبب نفسه هو الذى دعا عمر بن الخطاب أيضًا لاستبعاد رجل لا يعرف الشر، فلقد سأل عن رجل أراد أن يوليه عملاً فقيل له : يا أمير المؤمنين : إنه لا يعرف الشر. فقال عمر لمخاطبه : ويحك ذلك أدنى أن يقع فيه(٣)، وهذا لا يعنى أن يكون العامل غير متصف بالقوة والأمانة والعلم والكفاية وغيرها من الصفات التى يستلزمها منطق الإدارة والحكم، وإنما يقع التفاضل بين هذه الصفات، ويكون الرجحان لما سماه عمر بن الخطاب : البصر بالعمل(٤).

٤ - أهل الوبر وأهل المدر:

وكان عمر ينظر، حين تعيينه أحد عماله، إلى بعض الخصائص والطباع والعادات والأعراف، فلقد عرف أنه كان ينهى عن استعمال رجل من أهل الوبر على أهل المدر(٥)، وأهل الوبر هم ساكنو الخيام، وأهل المدر هم ساكنو المدن، وهذه نظرة اجتماعية سلوكية فى آن معًا، فى اختيار الموظفين، فلكل من أهل الوبر والمدر طبائع

(١) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (١/ ٤٧٩).

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٥٦).

(٣، ٤، ٥) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى (١/ ٤٨٢).

وخصائص وأخلاق وعادات وأعراف مختلفة، ومن الطبيعي أن يكون الوالي عارفًا بنفسية الرعية، وليس من العدل أن يتولى أمرها رجل جاهل بها، فقد يرى العرف نكرًا وقد يرى الطبيعي غريبًا، فيؤدي ذلك إلى غير ما يتوخاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها(١).

٥ - الرحمة والشفقة على الرعية:

كان عمر رضي الله عنه يتوخى في ولاته الرحمة والشفقة على الرعية، وكم من مرة أمر قادته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين ولا ينزلوهم منزل هلكة، وكتب عمر لرجل من بني أسلم كتابًا يستعمله به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يقبلهم. فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ فو الله ما قبلت ولدا لي قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملا، ورده عمر فلم يستعمله(٢)، وغزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل في يوم شديد البرد لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه يا عمراه! ولم يلبث أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة. فقال: يا لبيكاه يا لبيكاه، وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه وقال: لولا أن تكون سنة لأقدت منك، لا تعمل لي على عمل أبدًا(٣)، وخطب عمر ولاته فقال: اعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله تعالى ولا أعم من حلم إمام ورفقه، وأنه ليس أبغض إلى الله ولا أعم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه يرزق العافية ممن هو دونه(٤).

٦ - لا يولِّي أحدًا من أقاربه:

كان عمر حريصًا على أن لا يولي أحدًا من أقاربه رغم كفاية بعضهم وسبقه إلى الإسلام مثل سعيد بن زيد ابن عمه وعبد الله بن عمر ابنه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولاتهم. وقول عمر: لوددت أني وجدت رجلاً قويًا

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/٢٨٣).

(٢) محض الصواب (٢/٥١٩).

(٣) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٥٠).

(٤) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص (٣٣٤).

أمينًا مسلمًا أستعمله عليهم. فقال الرجل: أنا والله أدلك عليه، عبد الله بن عمر، فقال عمر: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا(١)، وكان يقول: من استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة لا يشغله إلا ذلك فقد خان الله ورسوله(٢).

٧ - لا يعطى من يطلبها:

كان لا يولى عملاً لرجل يطلبه، وكان يقول فى ذلك: من طلب هذا الأمر لم يعن عليه، وقد سار على هذا النهج اقتداء بسنة الرسول ﷺ.

٨ - منع العمال من مزاولة التجارة:

كان عمر يمنع عماله وولاته من الدخول فى الصفقات العامة سواء أكانوا بائعين أو مشترين(٣)، روى أن عاملاً لعمر بن الخطاب اسمه الحارث بن كعب بن وهب، ظهر عليه الثراء، فسأله عمر عن مصدر ثرائه فأجاب: خرجت بنفقة معى فاتجرت بها. فقال عمر: أما والله ما بعثناكم لتتجروا وأخذ منه ما حصل عليه من ربح(٤).

٩ - إحصاء ثروة العمال عند تعيينهم:

كان عمر يحصى أموال العمال والولاة قبل الولاية ليحاسبهم على ما زادوه بعد الولاية مما لا يدخل فى عداد الزيادة المعقولة، ومن تعلل منهم بالتجارة لم يقبل منه دعواه وكان يقول لهم: إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً(٥).

١٠ - شروط عمر على عماله:

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتابًا، وأشهد عليه رهطًا من الأنصار: أن لا يركب برذونا(٦)، ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول: اللهم فاشهد(٧).

---

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص (١٠٨)، الولاية على البلدان (١/١٢٨).

(٢) الفتاوى (٢٨/١٣٨).

(٣، ٤) الإدارة الإسلامية فى عصر عمر بن الخطاب ص (٢١٣).

(٥) المصدر نفسه ص (٢١٥).

(٦) البرذون: الدابة، البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العرب.

(٧) محض الصواب (١/٥١٠).

وهذه الشروط تعنى الالتزام بحياة الزهد والتواضع للناس، وهى خطوة أولى فى إصلاح الأمة بحملها على التوسط فى المعيشة، واللباس والمراكب، وبهذه الحياة التى تقوم على الاعتدال تستقيم أمورها، وهى خطة حكيمة، فإن عمر لا يستطيع أن يلزم جميع أفراد الأمة بأمر لا يعتبر واجبًا فى الإسلام، ولكنه يستطيع أن يلزم بذلك الولاة والقادة، وإذا التزموا فإنهم القدوة الأولى فى المجتمع، وهى خطة ناجحة فى إصلاح المجتمع وحمايته من أسباب الانهيار(١).

١١ - المشورة فى اختيار الولاة:

كان اختيار الولاة يتم بعد مشاورة الخليفة لكبار الصحابة(٢)، فقد قال رضى الله عنه لأصحابه يومًا: دلونى على رجل إذا كان فى القوم أميرًا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير(٣)، فأشاروا إلى الربيع بن زياد(٤)، وقد استشار عمر رضى الله عنه الصحابة فيمن يولى على أهل الكوفة فقال لهم: من يعذرنى من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفًا استضعفوه، وإن استعلمت عليهم قويًا فجروه، ثم قال: أيها الناس ما تقولون فى رجل ضعيف غير أنه مسلم تقى وآخر قوى مشدد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوى المشدد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل فى ذلك رأيك، فقال عمر: صدقت يا مغيرة، ثم ولاه الكوفة وقال له: انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين(٥).

١٢ - اختبار العمال قبل التولية:

كان عمر رضى الله عنه يختبر عماله قبل أن يوليهم، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فاحتبسنى عنده حولاً فقال: يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٩، ٢٠/ ٢٦٨).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص (١١٤).

(٣، ٤) فرائد الكلام ص (١٦٥).

(٥) الولاية على البلدان (١/ ١٢٨).

وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك وأنا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليهم، ثم قال له عمر: أتدرى لم احتبستك، وبيّن له أنه أراد اختباره ثم ولاه[1]، ومن نصائح عمر للأحنف: يا أحنف، من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه[2].

١٣ - جعل الوالى من القوم:

من الملاحظ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى كثير من الأحيان يولى بعض الناس على قومهم إذا رأى فى ذلك مصلحة ورأى الرجل جديراً بالولاية، ومن ذلك توليته « جابر بن عبد الله البجلى » على قومه بجيلة[3]، حينما وجههم إلى العراق، وكذلك تولية سلمان الفارسى على المدائن، وتولية نافع بن الحارث على مكة، وعثمان ابن أبى العاص على الطائف، ولعله كان يرمى من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره[4].

١٤ - المرسوم الخلافى:

وقد اشتهر عن عمر رضى الله عنه أنه حينما كان ينتهى من اختيار الوالى واستشارة المستشارين يكتب للوالى كتاباً يسمى عهد التعيين أو الاستعمال عند كثير من المؤرخين ويمكننا أن نسميه مجازاً (المرسوم الخلافى فى تعيين العامل أو الأمير) وقد وردت العديد من نصوص التعيين لعمال عمر[5]، ولكن المؤرخين يكادون يتفقون على أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا استعمل عاملاً كتب له كتاباً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار واشترط عليه شروطاً فى الكتاب[6]، كما قد يكون الشخص المرشح للولاية غائباً، فيكتب له عمر عهداً يأمره فيه بالتوجه إلى ولايته، ومثال ذلك كتابه إلى العلاء الحضرمى عامله على البحرين أمره بالتوجه إلى البصرة لولايتها بعد

---

(١) الولاية على البلدان (١/١٤٢) ، مناقب أمير المؤمنين ص (١١٧) .

(٢) صفة الصفوة (١/٢٨٧) .

(٣، ٤) الولاية على البلدان (١/١٤٢) .

(٥) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص (٤٠٧) .

(٦) الولاية على البلدان (١/١٤٤) .

عتبة بن غزوان، كما أنه فى حال عزل أمير وتعيين آخر مكانه، فإن الوالى الجديد كان يحمل خطاباً يتضمن عزل الأول وتعيينه مكانه، وذلك مثل كتاب عمر مع أبى موسى الأشعرى حين عزل المغيرة بن شعبة عن ولاية البصرة وعين أبا موسى مكانه[١].

١٥ - لا يستعين بنصرانى على أمور المسلمين:

قدم على عمر فتح من الشام، فقال لأبى موسى: ادع كاتبك يقرأه على الناس فى المسجد. قال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا ولكنه نصرانى، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشوة[٢]، وعن أسق[٣] قال: كنت عبداً نصرانياً لعمر، فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغى لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم فأعتقنى لما حضرته الوفاة وقال: اذهب حيث شئت[٤].

ثانياً: أهم صفات ولاة عمر:

من أهم صفات ولاة عمر؛ سلامة المعتقد، والعلم الشرعى، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع وقبول النصيحة، والحلم، والصبر وعلو الهمة، والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات، وغير ذلك من الصفات وأما أهمها فهى:

١ - الزهد:

فممن ولاة عمر الذين اشتهروا بزهدهم، سعيد بن عامر بن حذيم، وعمير بن سعد، وسلمان الفارسى، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو موسى الأشعرى رضى الله عنهم وكان نساء بعض الولاة يقدمن الشكاوى إلى عمر نتيجة زهد أزواجهن، فقد اشتكت امرأة معاذ بن جبل رضى الله عنه وذلك: أن عمر بعث معاذاً ساعياً على بعض القبائل فقسم فيهم حتى لم يدع شيئاً، حتى جاء مجلسه الذى خرج به على رقبته. فقالت امرأته:

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٤٩).

(٢) بدائع السالك (٢/٢٧).

(٣) ذكره ابن حجر فى الإصابة.

(٤) محض الصواب (٢/٥١٤)، الطبقات (٦/١٥٨).

أين ما جئت به مما يأتى به العمال من عراضة أهليهم؟ فقال: كان معى ضاغط[1]، فقالت: قد كنت أمينًا عند رسول الله ﷺ وعند أبى بكر، أفبعث عمر معك ضاغطًا؟ فقامت بذلك فى نسائها واشتكت عمر، فبلغ ذلك عمر فدعا معاذًا، فقال: أنا بعثت معك ضاغطًا، فقال: لم أجد شيئًا أعتذر به إليها إلا ذلك. قال: فضحك عمر وأعطاه شيئًا وقال: أرضها به[2].

٢ - التواضع:

اشتهر الولاة فى عهد عمر بتواضعهم الشديد حتى إن القادمين إلى بلادهم لا يميزون بينهم وبين عامة الناس، فهم فى لباسهم وبيوتهم ومراكبهم كعامة الناس لا يميزون أنفسهم بشىء، ومن أمثلة ذلك قصة أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، فقد بعث إليه الروم رجلا ليفاوضه: فأقبل حتى أتى أبا عبيدة، فلما دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من أصحابه، ولم يدر أفيهم هو أم لا ولم يرهبه مكان أمير. فقال لهم: يا معشر العرب، أين أميركم؟ فقالوا: ها هو ذا. فنظر فإذا هو بأبى عبيدة جالس على الأرض وهو متنكب القوس وفى يده أسهم وهو يقلبها. فقال له الرسول: أنت أمير هؤلاء؟ قال: نعم. قال: فما يجلسك على الأرض؟ أرأيت لو كنت جالسًا على وسادة أو كان ذلك وضعك عند الله أو مانعك من الإحسان؟ قال أبو عبيدة: إن الله لا يستحى من الحق، ولأصدقنك عما قلت، ما أصبحت أملك دينارًا ولا درهما وما أملك إلا فرسى وسلاحى وسيفى، لقد احتجت أمسى إلى نفقة فلم يكن عندى حتى استقرضت من أخى هذا نفقة كانت عنده، يعنى معاذا فأقرضنيها، ولو كان عندى أيضًا بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون إخوانى وأصحابى وأجلس أخى المسلم الذى لا أدرى لعله عند الله خير منى على الأرض، ونحن عباد الله نمشى على الأرض، ونجلس على الأرض، ونأكل على الأرض ونضجع على الأرض، وليس ذلك ينقصنا عند الله شيئًا، بل يعظم الله به أجورنا، ويرفع درجاتنا، ونتواضع بذلك لربنا[3].

٣ - الورع:

حرص العديد من الولاة أن يعفى من الأعمال الموكلة إليهم فقد استعفى عتبة بن

(١) ضاغط: مراقب.

(٢) الولاية على البلدان (٢/٥٣).

(٣) فتوح الشام للأزدى ص (١٢٢، ١٢٣).

غزوان عمر من ولاية البصرة فلم يعفه[1]، كما أن (النعمان بن مقرن) كان واليًا على كسكر فطلب من عمر أن يعفيه من الولاية ويسمح له بالجهاد رغبة فى الشهادة[2]، كما رفض بعض الصحابة الولاية حينما طلب منهم عمر أن يعملوا فى الولايات، فقد رفض الزبير بن العوام ولاية مصر حينما عرض عليه ذلك قائلاً : يا أبا عبد الله هل لك فى ولاية مصر، فقال : لا حاجة لى فيها ولكن أخرج مجاهدا وللمسلمين معاونًا[3]، كما رفض ابن عباس ولاية حمص حينما عرض عليه عمر أن يوليه إياها بعد وفاة أميرها[4].

٤ - احترام الولاة لمن سبقهم من الولاة :

امتاز الولاة على البلدان باحترام من سبقهم من الولاة وتقديرهم، وهذا يلاحظ فى معظم الولاة فى العصر الراشدى حيث نجد مثلاً أن خالداً بن الوليد حينما قدم إلى الشام أميرًا على أبى عبيدة بن الجراح وغيره رفض أن يتقدم على أبى عبيدة فى الصلاة، وحينما قام عمر بعزل خالد بن الوليد عن ولاية أجناد الشام وتعيين أبى عبيدة مكانه أخفى أبو عبيدة الخبر عن خالد ولم يخبره به حتى ورد كتاب آخر من عمر، فعلم خالد بالخبر فعاتب أبا عبيدة على عدم تبليغه[5]، يقول الدكتور عبد العزيز العمرى : ولم أجد من خلال البحث أن أحداً من الولاة عمل على إذلال من سبقه أو النيل منه، بل إنهم فى الغالب يعملون على مدحهم فى أول خطبة يلقونها ويثنون عليهم[6].

ثالثًا : حقوق الولاة :

مما لا ريب فيه أن للولاة على البلدان حقوقًا مختلفة يتصل بعضها بالرعية وبعضها بالخليفة، وبالإضافة إلى حقوق أخرى متعلقة ببيت المال، وكل هذه الحقوق الأدبية أو المادية تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاة على القيام بواجباتهم وخدمة دين الإسلام وهذه أهم حقوقهم:

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/ ٥٤).

(٣) فتوح البلدان للبلاذرى ص (٢١٤).

(٤) الخراج لأبى يوسف ص (٢٢، ٢٣).

(٥) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٣٩، ١٤٠).

(٦) الولاية على البلدان (٢/ ٥٥).

١ - الطاعة فى غير معصية:

وواجب الطاعة من الرعية للأمراء والولاة قررته الشريعة قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

وهذه الآية تنص على وجوب طاعة أولى الأمر ومنهم الأمراء المنفذون لأوامر الله سبحانه وتعالى(١)، ولاشك أن طاعة الأمراء والخلفاء مقيدة بطاعة الله وأنهم متى عصوا الله فلا طاعة لهم(٢).

٢ - بذل النصيحة للولاة:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له: يا أمير المؤمنين لا أبالى فى الله لومة لائم خير لى أم أقبل على نفسى، فقال: أما من ولى من أمر المؤمنين شيئًا فلا يخف فى الله لومة لائم، ومن كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسه ولينصح لولى أمره(٣).

٣ - إيصال الأخبار للولاة:

يجب على الرعية للوالى إيصال الأخبار الصحيحة إليه والصدق فى ذلك، سواء ما يخص أحوال العامة، أو ما يخص أخبار الأعداء، أو ما كان متعلقًا بعمال الوالى وموظفيه والعجلة فى ذلك قدر المستطاع خصوصًا ما كان متعلقًا بالأمور الحربية وأخبار الأعداء وما يتعلق بخيانات العمال وغير ذلك من منطلق الاشتراك فى المسئولية مع الوالى فى مراعاة المصلحة العامة للأمة(٤).

٤ - مؤازرة الوالى فى موقفه:

إذا كان موقفه للمصلحة العامة وتلزم المعاونة بالدرجة الأولى من قبل الخليفة، فقد كان عمر رضى الله عنه حريصًا على هذا المعنى كل الحرص حيث كان يولى عناية خاصة لاحترام الناس لولاتهم وتقديرهم لهم. ويبذل فى ذلك مختلف الأسباب (فكان عمر

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/٥٦).

(٣) الخراج لأبى يوسف ص (١٥)، الولاية على البلدان (٢/٥٧).

(٤) الولاية على البلدان (٢/٥٧).

على شدة ما فيه مع عماله إذا أحس باعتداء أو شبه اعتداء وقع على أحدهم يشتد على المعتدين فى تلك الناحية، ليبقى للعامل هيبة توقره فى الصدور ومهابة يلجم بها العامة والخاصة[1].

٥ - حق الأمير فى الاجتهاد:

من حق الأمير الاجتهاد برأيه فى الأمور التى يكون مجال الاجتهاد فيها مفتوحًا خصوصًا فى الأمور التى لم يحددها الشرع بدقة، وفى الأمور الأخرى التى لم يأت فيها تفويض من الخليفة للتصرف فى حدود معينة، فقد اجتهد أحد ولاة عمر فى الشام فى قسمة الأسهم بين الراجلة والفرسان، فأجاز عمر اجتهاده، وقد اشتهر عن ابن مسعود وكان أحد ولاة عمر رضى الله عنه أنه خالف عمر فى أكثر من مائة مسألة اجتهادية[2].

٦ - احترامهم بعد عزلهم:

من حقوق الولاة احترامهم بعد عزلهم، فعندما عزل عمر رضى الله عنه شرحبيل بن حسنة عن ولاية الأردن، بين للناس سبب عزله، وقال لشرحبيل عندما سأله أعن سخطة عزلتنى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكنى أريد رجلاً أقوى من رجل[3]، وعزل سعد بن أبى وقاص عن ولاية الكوفة ولعله رأى أن احترامه يقضى بإبعاده عن أناس كانوا يعيبونه فى صلاته مع أن سعداً كان أشبه الناس صلاة برسول الله ﷺ لعلمه التام بصفة صلاة النبى ﷺ، فعزله عمر احترامًا له عن أن يقع فيه مثل هؤلاء الجهال[4].

٧ - حقوقهم المادية:

أما عن الناحية المادية فقد كان للولاة حقوق، وعلى رأسها مرتباتهم التى يعيشون عليها، ولا شك أن الصحابة رضى الله عنهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون قد أحسوا بأهمية الأرزاق بالنسبة للعمال، وأنها حق من حقوقهم إضافة إلى استغنائهم بها عن الناس، وبالتالى عدم التأثير عليهم أو محاولة رشوتهم[5]، وقد كان عمر بن الخطاب

---

(١) الولاية على البلدان (١٥٢/١).

(٢) إعلام الموقعين (٢١٨/٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٣٩/٥).

(٤) الولاية على البلدان (٥٩/٢).

(٥) المصدر نفسه (٦٠/٢).

حريصًا على نزاهة عماله وعفتهم عن أموال الرعية، واستغنائهم بأموالهم عن أموال الغير، ولعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أحس بهذه القضية الخطيرة، وأحس أنه لكى يضمن نزاهة عماله فلا بد له أن يغنيهم عن الحاجة إلى أموال الناس، وقد دار حوار بينه وبين أبى عبيدة مفهومه أن أبا عبيدة قال لعمر بن الخطاب: دنست أصحاب رسول الله ﷺ يعنى باستعمالهم، فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة دينى فبمن أستعين؟ قال أبو عبيدة: أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة(١)، يعنى إذا استعملتهم فى شىء فأجزل لهم فى العطاء والرزق، حتى لا يحتاجوا إلى الخيانة أو إلى الناس.

وقد كان عمر يصرف لأمراء الجيش والقرى وجميع العمال من العطاء ما يكفيهم بالمعروف نظير عملهم (على قدر ما يصلحهم من الطعام ما يقومون به من الأمور)(٢)، وكان عمر يحرص على نزاهة العمال عما بأيديهم من الأموال العامة فيقول لعماله: قد أنزلتكم من هذا المال ونفسى منزلة وصى اليتيم من كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف(٣)، وقد فرض عمر لجميع عماله تقريبًا مرتبات محددة وثابتة سواء يومية أو شهرية أو سنوية وقد ورد ذكر بعضها فى المصادر التاريخية منها ما كان طعامًا ومنها ما كان نقوداً محددة(٤)، وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل عبدالله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على ما سقى الفرات وعمار بن ياسر على الصلاة والجند ورزقهم كل يوم شاة، فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار بن ياسر، لأنه كان فى الصلاة والجند، وجعل ربعها لعبد الله بن مسعود والربع الآخر لعثمان بن حنيف، كما ورد أن عمر بن الخطاب فرض لعمرو بن العاص أثناء ولايته على مصر مائتى دينار(٥)، وكان عطاء سلمان الفارسى رضى الله عنه وهو على ثلاثين ألفًا من الناس فى المدائن خمسة آلاف درهم، ولزهده كان يأكل من عمل يده من الخوص ويتصدق بعطائه(٦)، وقد وردت روايات أخرى متفاوتة فى أرزاق عمر لولاته، ولا شك أن هذا الاختلاف فى الروايات مرده إلى تطور الأحوال وتغيرها خلال

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (١٢٢).

(٢) الولاية على البلدان (١/١٤٩).

(٣) تاريخ المدينة (٢/٦٩٤) الولاية على البلدان (١/١٤٩).

(٤) الولاية على البلدان (١/١٥٠).

(٥) الطبقات الكبرى (٤/٢٦١).

(٦) سير أعلام النبلاء (١/٥٤٧).

عهد عمر، فلا يعقل أن تبقى الأرزاق والمرتبات على ما هى عليه من أول عهده إلى نهايته، نظراً لتغير الظروف والأحوال واختلاف الأسعار وتطور الحاجات نتيجة اتساع الفتوح وزيادة الدخل فى بيت المال[١]، وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رزق معاوية على عمله بالشام عشرة آلاف دينار فى كل سنة، كما ذكر أن عمر كان يفرض لأمراء الجيوش والقرى فى العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلهم من الطعام وما يقومون به من الأمور[٢].

وقد كره بعض العمال أخذ الأرزاق نتيجة قيامه بأعمال الإمارة والولاية للمسلمين إلا أن الفاروق كان يوجههم إلى أخذها، فقد قال عمر رضى الله عنه لأحد ولاته: ألم أحدثك أنك تلى من أعمال المسلمين أعمالاً فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقال: بلى. فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال: إنى لى أفراساً وأعبداً وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتى صدقة على المسلمين، فقال: عمر: لا تفعل فإنى كنت أردت الذى أردت، وكان رسول الله ﷺ يعطينى العطاء فأقول: أعطه أفقر إليه منى، فقال النبى ﷺ: خذه فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك[٣]، وعلى كل حال فإن مبدأ إعطاء الأرزاق للعمال وإغنائهم عن الناس كان مبدأ إسلامياً فرضه الرسول ﷺ، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أغنوا العمال عن أموال الناس، وفرغوهم للعمل ولمصلحة الدولة الإسلامية[٤].

٨ - معالجة العمال إذا مرضوا:

مرض معيقيب، وكان خازن عمر على بيت المال، فكان يطلب له الطب من كل من يسمع عنده بطب، حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن، فقال: هل عندكم من طب لهذا الرجل الصالح، فإن هذا الوجع قد أسرع فيه. قالا: أما شيء يذهبه فإنا لا نقدر عليه ولكنا نداويه بدواء يقفه فلا يزيد. قال عمر: عافية عظيمة أن يقف فلا يزيد، قال: هل ينبت فى أرضك هذا الحنظل. قال: نعم، قالا: فاجمع لنا فيه فأمر عمر فجمع له منه مكتلان عظيمان، فعمدا إلى كل حنظلة، قطعاها باثنين، ثم أضجعا معيقيباً فأخذ كل

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٦٣).

(٢) الخراج لأبى يوسف ص (٥٠)، الولاية على البلدان (٢/٦٣).

(٣) الولاية على البلدان (٢/٦٤)، الإدارة الإسلامية محمد كرد ص (٤٨).

(٤) الولاية على البلدان (٢/٦٤).

واحد منهما بإحدى قدميه ثم جعلا يدلكان بطون قدميه بالحنظل، حتى إذا امحقت أخذ أخرى. ثم أرسلاه فقال عمر: لا يزيد وجعه هذا أبداً. قال الراوى: فو الله ما زال معيقيب بعدها متمسكًا ما يزيد وجعه حتى مات[1].

رابعًا: واجبات الولاة:

إن الولاة بما بوأهم الله من مكانة، قد ألقى على كاهلهم أعباء ثقالاً، وواجبات جسامًا، أثر منها عن عمر بن الخطاب ما يلى:

١ - إقامة أمور الدين:

كنشر الدين الإسلامى بين الناس، وإقامة الصلاة، وحفظ الدين وأصوله، وبناء المساجد وتيسير أمور الحج، وإقامة الحدود الشرعية:

● **نشر الدين الإسلامى:**

حيث اختص ذلك العصر بفتوحات عظيمة اقتضت من الولاة العمل على نشر الدين فى البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة[2]، وفى زمن عمر كتب إليه يزيد ابن أبى سفيان وكان واليا على الشام: إن أهل الشام قد كثروا وملأوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعنى برجال يعلمونهم، فأرسل إليه عمر خمسة من فقهاء الصحابة[3]، وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يردد: ألا إننى والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم أمر دينكم وسنة نبيكم[4]، وكان عمر يقول لولاته: إنا لا نوليكم على أشعار المسلمين ولا على أبشارهم وإنما نوليكم لتقيموا الصلاة وتعلموهم القرآن[5]، وقد أرسل عمر رضى الله عنه مجموعة من المعلمين إلى الأمصار الإسلامية، حيث أسسوا المدارس العلمية المشهورة كما مر معنا.

---

(١) أخبار عمر طنطاويان ص (٣٤١).

(٢) أعلام الموقعين (٢/ ٢٤٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٤٧).

(٤) السياسة الشرعية ص (١٥٠).

(٥) نصيحة الملوك للماوردى ص (٧٢)، الولاية على البلدان (٢/ ٦٥).

● **إقامة الصلاة:**

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكتب لولاته: إن أهم أمركم عندى الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أشد إضاعة[١]، كما كان عمر يؤكد لولاته أهمية إقامة الصلاة فى الناس بقوله: وإنما نوليكم لتقيموا الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن[٢]، وكان عمر رضى الله عنه ينص فى قرار التعيين أن فلاناً أمير الصلاة والحرب كالقرار الذى عين فيه عمار بن ياسر على الصلاة والحرب وعبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال[٣]، وقد تحدث الفقهاء الذين كتبوا فى السياسة الشرعية عن أهمية الصلاة بالنسبة للأمير وما يتضمنه ذلك الأمر من معان عظيمة دنيوية وأخروية[٤].

● **حفظ الدين وأصوله:**

حرص الفاروق على حفظ الدين على أصوله الصحيحة التى نزلت على رسول الله ﷺ، وكان يعمل جاهداً على إحياء سنة الرسول ﷺ والقضاء على البدع والعمل على احترام دين الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ، فقد أمر بطرد رجل وتغريبه نتيجة كثرة إثارته لمواضيع من المتشابه من القرآن[٥]، كما مر معنا، وأمر رضى الله عنه بالقيام فى رمضان وتعميم ذلك على الأمصار[٦]، وقد كتب إلى أبى موسى الأشعرى: إنه بلغنى أن ناساً من قبلك قد دعوا بدعوى الجاهلية يا آل ضبة فإذا أتاك كتابى هذا فانهكهم عقوبة فى أموالهم وأجسامهم حتى يفرقوا إذا لم يفقهوا[٧].

● **تخطيط وبناء المساجد:**

وتذكر بعض الإحصاءات أنه أنشئ فى عهد عمر ٤٠٠٠ مسجد فى بلاد العرب وحدها، وقد اشتهر الولاة بنشر المساجد وتأسيسها فى مختلف مناطق حكمهم مثل

---

(١) الطريقة الحكمية ص (٢٤٠)، الولاية على البلدان (٢/٦٧).

(٢) نصيحة الملوك ص (٧٢).

(٣) الأحكام السلطانية ص (٣٣).

(٤) الولاية على البلدان (٢/٦٧).

(٥، ٦) المصدر نفسه (٢/٦٨).

(٧) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (١٣٣).

عياض بن غنيم الذى أنشأ مجموعة من المساجد فى النواحى المختلفة من الجزيرة(١).

● تيسير أمور الحج:

كان الولاة فى عهد الخلافة الراشدة مسئولين عن تيسير أمور الحج فى ولاياتهم وتأمين سلامة الحجاج منها، فقد كان الولاة يعينون الأمراء على قوافل الحج، ويحددون لهم أوقات السفر حيث لا يغادر الحجاج بلدانهم إلا بإذن الوالى، وقد أكد الفقهاء بعد ذلك على أن تسيير الحجاج عمل من مهام الوالى على بلده، يقول الماوردى: أما تسيير الحجيج من عمله فداخلة فى أحكام إمارته لأنه من جملة المعونات التى تنسب لها(٢).

● إقامة الحدود الشرعية:

أقام عمرو بن العاص الحد على أحد أبناء عمر بن الخطاب فى مصر ثم عاقبه عمر نفسه بالجلد، وقيل إنه توفى بعد ذلك فى أثر هذا الجلد(٣)، وقد كان الولاة يقومون بالقصاص فى القتل دون إذن الخليفة إلى أن كتب إليهم عمر: أن لا تقتلوا أحداً إلا بإذنى(٤)، فأصبحوا يستأذنون عمر فى القتل قبل تنفيذه، فإقامة الحدود من الأمور الدينية والدنيوية التى كان ينظر إليها الخلفاء وولاتهم نظرة جادة ويهتمون بها كما يهتمون بشعائر الدين المختلفة(٥).

٢ - تأمين الناس فى بلادهم:

إن المحافظة على الأمن فى الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالى، وفى سبيل تحقيق ذلك فإنه يقوم بالعديد من الأمور أهمها إقامة الحدود على العصاة والفساق، مما يجد من الجرائم التى تهدد حياة الناس وممتلكاتهم(٦)، وقد كتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى: أخيفوا الفساق واجعلوهم يداً يداً ورجلاً رجلاً(٧)، كما أن إقامة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ص (١٨٢)، الولاية على البلدان (٢/٦٩).
(٢) الأحكام السلطانية ص (٣٣).
(٣) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص (٢٤٠ - ٢٤٢).
(٤) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص (٥٢١).
(٥) الولاية على البلدان (٢/٧٠).
(٦) المصدر نفسه (٢/٧١).
(٧) عيون الأخبار (١/١١).

فريضة الجهاد ضد الأعداء كان لها دور كبير فى تأمين البلاد الإسلامية وأمصارها[1].

٣ - الجهاد فى سبيل الله:

إذا استعرضنا أسماء الأمراء منذ بداية خلافة أبى بكر إلى خلافة عمر لوجدنا لهم باعا طويلا فى الفتوحات، بل إنهم كانوا يتوجهون أمراء إلى بلدان لم تفتح بعد فيعملون على فتحها ومن ثم تنظيمها كأمراء الشام أبى عبيدة، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة، وأمراء العراق كالمثنى بن حارثة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم وغيرهم[2]، وقد كان الولاة فى عهد الخلفاء الراشدين مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحى العدو، ولم يمنعهم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أهم أعمال الولاة فى دعم حركة الجهاد والتى من أهمها:

- إرسال المتطوعين إلى الجهاد.
- الدفاع عن الولاية ضد الأعداء: فقد قال عمر: ولكم علىَّ أن أسد ثغوركم.
- تحصين البلاد: فقد أمر الفاروق ببناء حصون لمن نزل الجيزة فى مصر من قبائل الفتح، خوفا عليهم من الإغارات المفاجئة[3].
- تتبع أخبار الأعداء: فقد اشتهر عن أبى عبيدة رضى الله عنه متابعته الدقيقة لتجمعات الروم فى بلاد الشام، فكان يقوم ببعض العمليات الانسحابية التمويهية بناء على هذه الأخبار[4].
- إمداد الأمصار بالخيل: وضع عمر رضى الله عنه سياسة عامة فى الدولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد فى الأمصار الإسلامية حسب حاجتها، فأقطع أناسا من البصرة أراضى كى يعملوا فيها على إنتاج الخيل وتربيتها[5]، كما أعطى عمر أناسا من المسلمين فى دمشق أرضا للعناية بالخيل فزرعوها فانتزعها منهم وأغرمهم لمخالفتهم الهدف من إعطائهم الأراضى وهو المساعدة فى إنتاج الخيل، وقد كان لعمر أربعة آلاف فرس فى

---

(١) الولاية على البلدان (٢ / ٧١).

(٢) المصدر نفسه (٢ / ٧٢).

(٣) المصدر نفسه (١ / ٧٧).

(٤) الفتوح لابن أعثم ص (٢١٥).

(٥) الولاية على البلدان (٢ / ٧٤).

الكوفة وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلى فى نفر من أهل الكوفة يصنع سوابقها ويجريها فى كل عام، وبالبصرة نحو منها، وأيضا فى كل مصر من الأمصار الثمانية عدد قريب من العدد السابق[١] وكانت هذه الخيول مجهزة للدفاع الفورى عن الدولة الإسلامية[٢].

- تعليم الغلمان وإعدادهم للجهاد:

فقد كان عمر رضى الله عنه يكتب إلى أهل الأمصار يأمرهم بتعليم أولادهم الفروسية والسباحة والرمى، وقد أصيب أحد الغلمان أثناء التعليم فى الشام ومات، فكتبوا إلى عمر فى ذلك فلم يثنه عن أمره بتعليم الأولاد الرمى[٣].

- متابعة دواوين الجند:

اهتم الفاروق رضى الله عنه اهتماما خاصا بدواوين الأمصار نظرا لاعتقاده أن أهل الأمصار أحوج الناس للضبط خصوصا القريبة من الأعداء وهى الأمصار التى تحتاج إلى الجنود باستمرار[٤]، وقد كان الولاة على البلدان مسئولين مباشرة عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظفين الآخرين الذين يتولون مهمتها، ولكن باعتبار أن هؤلاء الولاة هم أمراء الحرب فقد كانت مسئوليتهم عن الدواوين فى بلدانهم كمسئولية الخليفة باعتبارهم نوابًا[٥].

- تنفيذ المعاهدات:

وقد جرت بعض المعاهدات بين أبى عبيدة بن الجراح وبعض مدن الشام، وكذلك الحال بالنسبة لأمراء العراق كسعد بن أبى وقاص وأبى موسى الأشعرى وغيرهم من الولاة، وقد كان الولاة إضافة إلى ذلك يحرصون على حماية حقوق الذميين والمعاهدات الشخصية والعامة، وينفذون المعاهدات انطلاقا من الأوامر الشرعية برعاية العهد[٦]،

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/ ٧٤).

(٣) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص (٤٨٦).

(٤) النظم الإسلامية، صبحى الصالح ص (٤٨٨، ٤٩١).

(٥، ٦) الولاية على البلدان (٢/ ٧٧).

وقد أوصى الفاروق بأهل الذمة فقال: أوصيكم بذمة الله وذمة رسوله خيرا، أن يقاتل من وراءهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[1].

٤ - بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس:

فقد قال عمر: إن سلمنى الله لأدعن أرامل العراق وهن لا يحتجن إلى أحد بعدى، ونحن لا ننسى موقف عمر عام الرمادة، حين حل الجوع بالناس، فإنه وضع جميع إمكانيات الدولة لحل الأزمة وإشباع البطون الجائعة، فقد روى البيهقى فى سننه أن عمر أنفق على أهل الرمادة حتى وقع المطر، فترحلوا، فخرج إليهم عمر راكبا فرسا، فنظر إليهم وهم يترحلون بظعائنهم، فدمعت عيناه، فقال رجل من بنى محارب بن خصفة: أشهد أنها انحسرت عنك، ولست بابن أمة، يمتدح عمر، فقال له عمر: ويلك، ذلك لو أنفقت من مالى أو من مال الخطاب، إنما أنفقت من مال الله[2]، وقد قال رضى الله عنه: ولكم علىَّ ألا أجتبى شيئا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علىَّ إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه، ولكم على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله[3].

وقد أخذ توزيع الأعطيات فى عهدعمر شكلا دوريا منتظما، ولم يكن ذلك خاصا بسكان البلدان، بل إن القبائل فى البادية شملتها الأعطيات، فقد كان عمر بن الخطاب يدور فى القبائل القريبة من المدينة ويوزع عليهم أعطياتهم بنفسه، وكان يكتب إلى بعض ولاته أن أعط الناس أعطياتهم وأرزاقهم، فكتب إليه عمر أنه فيئهم الذى أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا آل عمر أقسمه بينهم[4]، ولم يكتف عمر بتأمين الأموال للناس بل إنه عمل على تأمين الطعام، ففى إحدى زياراته للشام قام إليه بلال بن رباح فقال: يا أمير المؤمنين إن أمراء أجنادك بالشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقى وما يجد ذلك عامة المسلمين، فقال لهم عمر رضى الله عنه: ما يقول بلال؟ فقال له يزيد ابن أبى سفيان: يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص وإنا نصيب هذا الذى ذكر بلال

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص (١٣٣).

(٢) سنن البيهقى (٦/٣٥٧) موسوعة فقه عمر ص (١٣٥).

(٣) موسوعة فقه عمر ص (١٣٧).

(٤) الولاية على البلدان (٢/٧٧).

هنا بمثل ما كنا نقوت عيالاتنا بالحجاز، فقال عمر رضى الله عنه: لا والله لا أبرح حتى تضمنوا لى أرزاق المسلمين فى كل شهر، ثم قال: انظروا كم يكفى الرجل ما يشتهيه؟ قالوا: جريبان مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال فضمنوا له ذلك، ثم قال: يا معشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم فإن وفى لكم أمراؤكم بهذا الذى فرضت لكم عليهم، وأعطوكموه فى كل شهر، فذلك أحب، وإن هم لم يفعلوا فأعلمونى حتى أعزلهم وأولى غيرهم(١)، وقد كان عمر يحرص على توفير الطعام فى البلدان ويتابع الأسواق ويمنع الاحتكار، وكذلك كان ولاته يقومون بمهمتهم فى مراقبة الأسواق، كما كان يأمر التجار بالمسير فى الآفاق والجلب على المسلمين وإغناء أسواقهم(٢)، ولم يكتف الفاروق وولاته بتأمين الطعام ومراقبة الأسواق فقط، بل إن السكن وتوزيعه كان من المهام الموكلة لأمراء البلدان، فعند إنشاء الأمصار وتخطيطها وزعت الأراضى على الناس لسكناها فى الكوفة والبصرة(٣) والفسطاط، كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت فى المدن المفتوحة كحمص ودمشق والإسكندرية وغيرها(٤).

٥ - تعيين العمال والموظفين:

كان تعيين العمال والموظفين فى الوظائف التابعة للولاية فى كثير من الأحايين من مهام الوالى حيث إن الولايات فى الغالب تتكون من بلد رئيسى إضافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للولاية، وهى بحاجة إلى تنظيم أمورها، فكان الولاة يعينون من مثلهم عمالا وموظفين فى تلك المناطق، سواء كانوا فى مستوى أمراء، أو عمال خراج، وفى الغالب فإن هذا التعيين يتم بالاتفاق بين الخليفة والوالى(٥).

٦ - رعاية أهل الذمة:

كانت رعاية أهل الذمة واحترام عهودهم والقيام بحقوقهم الشرعية، ومطالبتهم بما

---

(١) فتوح الشام للأزدى ص (٢٥٧)، الولاية على البلدان (٢/٧٨).

(٢) تاريخ المدينة (٢/٧٤٩).

(٣) الولاية على البلدان (٢/٧٩).

(٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص (١٤٣ - ٢٢٤).

(٥) الولاية على البلدان (٢/٧٩).

عليهم للمسلمين من واجبات، وتتبع أحوالهم، وأخذ حقوقهم ممن يظلمهم انطلاقا من الأوامر الشرعية فى هذا الجانب، من واجبات الوالى، وقد كان الخلفاء يشترطون على الذميين فى كثير من الأحيان شروطا معينة قبل مصالحتهم، وبالتالى يوفون لهم بحقوقهم ويطالبون بما عليهم من شروط(١).

٧ - مشاورة أهل الرأى فى ولايته وإكرام وجوه الناس:

شدد عمر على الولاة فى استشارة أهل الرأى فى بلادهم، وكان الولاة يطبقون ذلك ويعقدون مجالس للناس لأخذ آرائهم، وكان يأمر ولاته باستمرار بمشاورة أهل الرأى(٢)، وطلب من ولاته إنزال الناس منازلهم، فقد كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى: بلغنى أنك تأذن للناس جما غفيرا، فإذا جاءك كتابى هذا فإذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فأذا أخذوا مجالسهم فاذن للعامة، وكتب إليه أيضا: لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرموا وجوه الناس، فإنه بحسب المسلم الضعيف أن ينتصف فى الحكم والقسمة (٣).

٨- النظر إلى حاجة الولاية العمرانية:

فقد قام سعد بن أبى وقاص بحفر نهر فى ولايته بناء على طلب بعض كبار الفرس لصالح المزارعين فى المنطقة(٤)، كما كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى يأمره بحفر نهر لأهل البصرة، وقام أبو موسى بحفر نهر طوله أربع فراسخ حتى تمكن من جلب المياه لسكان البصرة(٥)، كما اعتنى ولاة عمر رضى الله عنه عند تأسيسهم للأمصار المشهورة، الكوفة، والبصرة والفسطاط بتخطيط الشوارع وتوزيع الأراضى وبناء المساجد وتأمين المياه، وغير ذلك من المصالح العامة لهذه المدن، كما اهتم الولاة بتوطين السكان فى المناطق غير المرغوب فيها، لقربها من العدو أو غير ذلك من الأسباب فقد قدموا لهم الإغراءات وأقطعوهم الأراضى تشجيعا لهم على البقاء فيها، وقد فعل ذلك عمر وعثمان فى إنطاكية وفى بعض بلاد الجزيرة.

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/ ٨٠).

(٣) نصيحة الملوك للماوردى ص (٢٠٧)، موسوعة فقه عمر ص (١٣٤).

(٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص (٢٧٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٨٧).

(٥) فتوح البلدان للبلاذرى ص (٣٥١، ٣٥٢).

٩- مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:

كان الوفد إذا قدموا على عمر رضى الله عنه سألهم عن أميرهم فيقولون خيرا، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف، هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخلصة منها (لا، عزله)(١) وكان عمر يقوم بعزل العامل إذا بلغه أنه لا يعود المريض ولا يدخل عليه الضعيف(٢)، كما حرص عمر بن الخطاب على أن يظهر عماله بالمظهر المتواضع أمام الناس حتى يشعر الناس بأن ولاتهم منهم ولا يتميزون عنهم، فكان عمر يشترط على عماله مركبا وملبسا مماثلا للناس ، وينهاهم عن اتخاذ الأبواب والحجاب(٣).

١٠- عدم التفريق بين العربى وغيره:

يجب على الولاة أن يقوموا بالمساواة بين الناس وأن لا يفرقوا بين العربى و غيره من المسلمين، فقد قدم قوم على عامل لعمر بن الخطاب، فأعطى العرب وترك الموالى، فكتب إليه عمر: أما بعد: فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وفى رواية،كتب إليه: ألا سويت بينهم(٤).

كما أن هناك العديد من الواجبات الأخلاقية الأخرى التى أمر الإسلام بالتزامها مثل (الوفاء بالعهد وإخلاص المرء فى عمله، ومراقبة الله سبحانه وتعالى فى كل ما يعمل، واستعداده للتعاون مع سائر الجماعة فى كل أعمال البر والتقوى، ووجوب النصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن هذا ولا شك يؤدى إلى إصلاح حال الجماعة(٥)، وكان على الوالى، فضلا عن الالتزام بهذه المعانى، نشرها بين الناس فى ولايته وذلك من خلال خطبه وكتبه ومواعظه وتصرفاته، وقد كان الولاة فى عصر الراشدين - بصفة إجمالية - نموذجا صالحا لهذه الأخلاقيات والواجبات، سواء فى أشخاصهم وخصوصياتهم أم فى سلوكهم العام مع الرعية(٦).

(١، ٢، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ٨٢).

(٤) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص (٥٢٣).

(٥) النظريات السياسية الإسلامية محمد ضياء الريس ص (٣٠٧، ٣٠٨).

(٦) الولاية على البلدان (٢/ ٨٥).

خامساً: الترجمة فى الولايات وأوقات العمل عند الولاة:

١- الترجمة فى الولايات:

إن عملية الترجمة تعتبر من الوظائف المساعدة لولاة البلدان فى عصر الخلفاء الراشدين، والحاجة ماسة إليها، فى كثير من الأحيان، وقد طلب عمر من ولاته فى العراق أن يبعثوا إليه فى المدينة بدهاقين من فارس ليتفاهم معهم حول قضايا الخراج، فبعثوا إليه بالدهاقين وبترجمان معهم(١)، وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة أنه كان يجيد شيئا من اللغة الفارسية وقام بالترجمة بين عمر والهرمزان فى المدينة(٢).

إن معرفة الترجمة أمر معروف فى الدولة الإسلامية عموما فى عصر الخلفاء الراشدين وقبل ذلك ، وإذا علمنا أن دواوين الخراج كانت بغير اللغة العربية، فإننا ندرك مدى الحاجة إلى وجود مترجمين فى الولايات يتولون الترجمة فى قضايا الخراج وغيرها، خصوصا أن العمال الرئيسيين على الخراج كانوا بالدرجة الأولى من العجم، كما أن انتشار الموالى والداخلين الجدد فى الإسلام فى البلدان الإسلامية المختلفة جعل الحاجة إلى الترجمة مهمة جدا فى كثير من الأمور المتصلة بالقضاء وغيره، كما أن المفاوضات بين القواد الفاتحين وهم فى الغالب من الولاة وبين أهل البلاد المفتوحة يحتاج إلى وجود المترجمين(٣).

٢- أوقات عمل الولاة:

لم يكن هناك تنظيم دقيق لوقت العمل فى عهد الفاروق، فقد كان الخليفة والولاة يعملون فى جميع الأوقات، وليس عليهم حجاب، حتى إن بعضهم يقوم بالتجول ليلا، وقدوتهم فى ذلك عمر بن الخطاب الذى اشتهر بالمشى ليلا وتفقد المدينة، وقد كان الناس يدخلون على الولاة فى مختلف الأوقات ويقضون حاجاتهم دون أن يجد الناس من يمنعهم من الدخول على الولاة بحجة أن ذلك الوقت ليس وقت عمل، وقد اشتهر

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (٤٠، ٤١)، الولاية على البلدان (٢/ ١٠٥).

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ١٠٥).

(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٠٤).

الولاة بحرصهم على إنجاز الأعمال أولا بأول وعدم تأخيرها، وقد كتب عمر بن الخطاب في هذا المجال إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قائلاً: لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال، فتضيع ، وأن للناس لنفرة عن سلطانهم أعوذ بالله أن تدركنى وإياكم وضغائن محمولة ودنيا مؤثرة وأهواء متبعة[1].

****

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (١٢٩).

المبحث الثالث

متابعة الولاة ومحاسبة عمر لهم

أولاً: متابعة الولاة:

لم يكن عمر يرضى بأن يهتم بحسن اختيار عماله، بل كان يبذل أقصى الجهد لمتابعتهم بعد أن يتولوا أعمالهم ليطمئن على حسن سيرتهم ومخافة أن تنحرف بهم نفوسهم، وكان شعاره لهم: خيرٌ لي أن أعزل كل يوم واليًا من أن أبقي ظالمًا ساعة نهار(١)، وقال: أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغني مظلمته فلم أغيرها، فأنا ظلمته (٢)، وقال يومًا لمن حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما عليّ؟ فقالوا: نعم. قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعَمِل بما أمرته أم لا (٣). وقد سار رضي الله عنه بحزم في رقابته الإدارية لعماله وتابعهم بدقة، وكانت طريقة عمر في الإدارة إطلاق الحرية للعامل في الشئون المحلية وتقييده في المسائل العامة ومراقبته في سلوكه وتصرفاته، وكان له جهاز سري مربوط به لمراقبة أحوال الولاة والرعية، وقد بينت لنا المصادر التاريخية أن ما يشبه اليوم (المخابرات) كان موجوداً عند عمر فقد كان علمه بمن نأى عنه من عماله بمن بات معه في مهاد واحد، وعلى وساد واحد، فلم يكن في قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحي عامل أو أمير جيش إلا وعليه عين لا يفارقه، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممس ومصبح، وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عماله حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الناس إليه وأخصّهم (٤)، وكانت وسائل عمر في متابعته لعماله متعددة منها:

١- طلب من الولاة دخول المدينة نهاراً:

كان رضي الله عنه يطلب من ولاته - القادمين إلى المدينة - أن يدخلوها نهاراً، ولا يدخلوها ليلاً حتى يظهر ما يكون قد جاءوا به من أموال ومغانم فيسهل السؤال والحساب(٥).

---

(١) النظم الإسلامية: صبحي الصالح ص (٨٩)، الإدارة الإسلامية (٢١٥).

(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (٥٦)، الإدارة الإسلامية (٢١٥).

(٣) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص (٢١٥).

(٤) التاج في أخلاق الملوك ص (١٦٨).

(٥) فن الحكم ص (١٧٤).

٢- طلب الوفود من الولاة:

كان عمر رضى الله عنه يطلب من الولاة أن يرسلوا وفداً من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، عن الخراج المفروض عليهم ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها، ومع خراج البصرة مثلهم، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيب، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد(١)، وكان هذا الإجراء كفيلا بمنع الولاة من ظلم الناس إذ لو حدث هذا لرفعه هؤلاء الموفدون إلى أمير المؤمنين وأخبروه به، كما أن عمر فى الغالب كان يقوم بمناقشة هؤلاء الموفدين وسؤالهم عن بلادهم وعن ولاتهم وسلوكهم معهم (٢).

٣- رسائل البريد:

كان عمر رضى الله عنه يرسل البريد إلى الولاة فى الأمصار فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن ينادى فى الناس من الذى يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحملها إليه دون تدخل من والى البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئاً من هذه الرسائل، وبالتالى يكون المجال مفتوحاً أمام الناس لرفع أى شكوى أو مظلمة إلى عمر نفسه دون أن يعلم الوالى أو رجاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل إلى عمر ينثر ما معه من صحف ويقرأها عمر ويرى ما فيها (٣).

٤- المفتش العام (محمد بن مسلمة):

كان محمد بن مسلمة الأنصارى يستعين به الفاروق فى متابعة الولاة ومحاسبتهم، والتأكد من الشكاوى التى تأتى ضدهم، فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتش العام فى دولة الخلافة، فكان يتحرى على حقائق أداء الولاة لأعمالهم، ومحاسبة المقصرين منهم، فقد أرسله عمر لمراقبة ومحاسبة كبار الولاة (٤)، والتحقيق فى الشكايات ومقابلة الناس والسماع منهم ونقل آرائهم عن ولاتهم إلى عمر مباشرة، وكان مع محمد بن مسلمة أعوان.

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص (١٢٤)، الولاية على البلدان (١/١٥٧).

(٢) الولاية على البلدان (١/١٥٧).

(٣) تاريخ المدينة (٢/٧٦١).

(٤) الأنصار فى العصر الراشدى ص (١٢٣ - ١٢٦).

٥- موسم الحج:

كان موسم الحج فرصة لعمر ليستقى أخبار رعيته وولاته، فجعله موسما للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء فى شتى الأنحاء؛ فيجتمع فيه أصحاب الشكايات والمظالم، ويفد فيه الرقباء الذين كان عمر يبثهم فى أرجاء دولته لمراقبة العمال والولاة، ويأتى العمال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم، فكان موسيم الحج «جمعية عمومية» كأرقى ما تكون الجمعيات العمومية فى عصر من العصور(١)، وكان عمر يلخص فى موسم الحج واجبات عماله أمام الرعية ثم يقول: فمن فعل به غير ذلك فليقم فما قام من أهل الموسم - آنذاك - أحد إلا رجل واحد - مما يدل على عدالة هؤلاء الولاة ورضا الرعية عنهم - فقال ذلك الرجل: إن عاملك فلانا ضربنى مائة سوط؛ فسأل عمر العامل فلم يجد عنده جوابًا، فقال للرجل: قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر، ويكون سنة يأخذ بها بعدك، فقال عمر: أنا لا أقيد - أى اقتص - وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه؟ فقال عمرو: فدعنا فلنرضه، فقال: دونكم فأرضوه، فافتدى العامل من الرجل بمائتى دينار كل سوط بدينارين(٢).

٦- جولة تفتيشية على الأقاليم:

كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيًا لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية، والاطمئنان على أمور الدولة المترامية، وقال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى، أما عمالهم فلا يدفعونها إلىَّ، وأما هم فلا يصلون إلى فأسير إلى الشام فاقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فاقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فاقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، ثم والله لنعم الحول هذا(٣)، وقد طبق عمر شيئًا من هذا خصوصًا فى ولاية الشام حيث سار إليها عدة مرات وتفقد أحوالها ودخل بيوت ولاتها وأمرائها(٤)، ليعرف أحوالهم عن كثب فقد دخل دار أبى عبيدة وشاهد حالته وتقشفه ودار بينه

---

(١) عبقرية عمر للعقاد ص (٨٢)، الدولة الإسلامية د. حمدى شاهين ص (١٣٨).

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٢٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ١٨)، الولاية على البلدان (١/ ١٦١).

(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٦١).

وبين امرأة أبى عبيدة حوار شديد ألقت فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشف، كما زار دار خالد بن الوليد ولم يجد عنده شيئًا يلفت النظر سوى أسلحته التى كان منشغلاً بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة إذ يصحبه رجل فيطرق الباب على الوالى فيتكلم الرجل ويطلب الأذن بالدخول له ولمن معه دون أن يعلموا أنه عمر وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والاطلاع على ما فيها من أثاث(١)، وقد سمع عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبى سفيان ينوع فى طعامه، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف فى الطعام (٢)، ولم يكتف عمر بالمراقبة عن طريق هذه الزيارات بل عمد إلى طريقة أخرى وهى إرسال كميات من الأموال إلى الولاة وإرسال من يراقبهم حتى يعرف كيف تصرفوا فيها، فأرسل إلى أبى عبيدة بخمسمائة دينار فعمد إليها أبو عبيدة فقسمها كلها فكانت امرأته تقول: والله لقد كان ضرر دخول الدنانير علينا أكثر من نفعها، ثم إن أبا عبيدة عمد إلى خلق ثوب كنا نصلى فيه فيشققه، ثم جعل يصبر فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين، فقسمها عليهم حتى فنيت (٣)، وعمل عمر الشىء نفسه مع ولاة آخرين فى سفرته تلك إلى الشام، ولم يكتف عمر بمراقبته للعمال أثناء سفره، بل كان يستقدمهم إلى المدينة ثم يوكل من يراقبهم فى أكلهم وشربهم، ولباسهم، ويفعل ذلك بنفسه أيضاً (٤).

٧- الأرشيف أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة:

كان عمر رضى الله عنه حريصا كل الحرص على حفظ الأوراق الخاصة بالولايات وبالخلافة عموما، وكان أكثر حرصه على حفظ المعاهدات التى يجريها الولاة مع أهل البلاد المفتوحة منعا لظلم أحد، فقد ورد أنه كان هناك تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده، ويمكننا أن نطلق على هذا التابوت (الأرشيف) أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة، ولعل الولاة أيضًا كانوا يحتفظون بأوراقهم ومكاتباتهم للعودة إليها عند الحاجة وحتى لا تلتبس عليهم الأمور(٥).

---

(١) تاريخ المدينة (٣/٨٣٧).

(٢) الولاية على البلدان (١/١٦٢).

(٣) تاريخ المدينة (٣/٨٣٧).

(٤) الولاية على البلدان (١/١٦٢).

(٥) المصدر نفسه (١/١٦٣).

ثانيًا: شكاوى من الرعية فى الولاة:

كان عمر رضى الله عنه يحقق بنفسه فى شكاوى الرعية ضد ولاتهم وكان يحرص على استيضاح الأمر، والتحقيق الدقيق واستشارة أصحاب الرأى والشورى الذين كانوا من حوله، ثم كانت تأتى أوامره فى تنفيذ الجزاء والعقوبة على من يستحق سواء أكان عاملاً أم من الرعية[1]، وهذه بعض الشكاوى ضد الولاة وكيف تعامل عمر معها رضى الله عنه:

١- شكاوى أهل الكوفة فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه:

اجتمع نفر من أهل الكوفة بزعامة الجراح بن سنان الأسدى فشكوا أميرهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر، وذلك فى حال اجتماع المجوس فى نهاوند لغزو المسلمين، فلم يشغلهم ما داهم المسلمين فى ذلك، ولقد كان سعد عادلاً رحيمًا بالرعية قويًا حازمًا على أهل الباطل والشقاق، عطوفًا على أهل الحق والطاعة، ومع ذلك شغب عليه هولاء القوم ممن لا يطيقون حكم الحق ويريدون أن يحققوا شيئًا من أهوائهم، وقد وقتوا لشكواهم وقتًا رأوا أنه أدعى لسماع أمير المؤمنين منهم حيث كان المسلمون مقبلين على معركة مصيرية تستدعى اتفاق كلمة المسلمين وتضافر جهودهم فى مواجهتها، وحيث كانوا يعلمون اهتمام عمر الشديد باجتماع كلمة المسلمين دائمًا، وخاصة فى مثل تلك الظروف، فرجوا أن يفوزوا ببغيتهم، وقد استجاب أمير المؤمنين لطلبهم فى التحقيق فى أمر شكواهم مع علمه بأنهم أهل هوى وشر، ولم يكتمهم اعتقاده فيهم، بل صرح لهم بذلك وبين لهم أن اعتقاده بظلمهم لواليهم وتزويرهم الحقائق لا يمنعه من التحقيق فى أمرهم، واستدل على سوء مقصدهم بتوقيتهم السيئ حيث قال لهم: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الأمر وقد استعد لكم من استعدوا.. وايم الله لا يمنعنى ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم[2]، فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للأعاجم والأعاجم فى الاجتماع، وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذى يقتص آثار من شكى زمان عمر، فقدم محمد على سعد ليطوف به فى أهل الكوفة، والبعوث تضرب على

(١) الإدارة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب (٢٢٣).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/١٠٣).

أهل الأمصار إلى نهاوند، فطوّف به على مساجد أهل الكوفة، لا يتعرض للمسألة عنه في السر، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك [1].

وفي هذا بيان لمنهج الصحابة رضي الله عنهم في التحقيق في قضايا الخلاف التي تجرى بين المسئولين ومن تحت ولايتهم، فالتحقيق يتم في العلن، وذلك بحضور المسئول والذين هو مسئول عنهم، وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا: لا نعلم إلا خيراً ولا نشتهي به بدلاً، ولا نقول فيه ولا نعين عليه، إلا من مالأ الجراح بن سنان وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً، ولا يسوغ لهم، ويتعمدون ترك الثناء حتى انتهوا إلى بني عبس. فقال محمد : أنشد بالله رجلا يعلم حقًا إلا قال، قال أسامة بن قتادة: اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية، فقال سعد : اللهم إن كان قالها كذبًا ورئاء وسمعة فأعم بصره، وأكثر عياله، وعرضه لمضلات الفتن، فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يحبسها، فإذا عثر عليه قال: دعوة سعد الرجل المبارك. قال: ثم أقبل – يعني سعد – على الدعاء على النفر، فقال: اللهم إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً وكذبًا فاجهد بلاءهم، فجهد بلاؤهم، فقطع الجراح بالسيوف يوم ثاور الحسن بن علي ليغتاله بساباط، وشُدِخ قبيصة بالحجارة، وقتل أربد بالوجء – يعني الضرب – وبنعال السيوف – يعني بأعقابها.

هذا وإن في هذا الخبر نموذجا من معية الله تعالى لأوليائه المتقين، حيث استجاب الله تعالى دعوة سعد على من ظلموه فأصيبوا جميعاً بما دعا عليهم، وإن في استجابة الله تعالى دعاء سعد وأمثاله لونا من العناية الإلهية بأولياء الله المتقين، فكم خاف المبطلون من هذا السلاح الخفي الذي لا يملكون بكل وسائلهم المادية مقاومته ولا الحد منه، وكون هؤلاء الذين دعا عليهم سعد ختم لهم بالخاتمة السيئة دليل على تمكن الهوى والشر من نفوسهم حتى أدى بهم ذلك إلى المصير السيئ، وقد دافع سعد عن نفسه فقال: إني لأول رجل أهرق دما من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله أبويه، وما جمعهما لأحد قبلي – يعني حينما قال له يوم أحد : ارم فداك أبي وأمي – ولقد رأيتني خمس الإسلام، وبنو أسد تزعم أني لا أحسن أن أصلي وأن الصيد يلهيني، وخرج محمد بن مسلمة به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه، فأخبره الخبر، فقال: يا سعد ويحك كيف تصلي؟ قال: أطيل الأوليين وأحذف الأخريين، فقال: هكذا الظن بك،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٣).

ثم قال عمر رضى الله عنه: لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيّنًا، ثم قال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟ فقال: عبدالله بن عبدالله بن عتبان فأقره واستعمله[1]، وقول عمر رضى الله عنه: لولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا يعنى قد اتضح أمرهم، وأنهم ظالمون جاهلون، وظهرت براءة سعد مما نسبوه إليه، ولكن الاحتياط لأمر الأمة يقتضى درء الفتن وإماتتها وهى فى مهدها قبل أن تستفحل، فتسبب الشقاق والفرقة وربما القتال، وإذا كان المسئول المدعى عليه بريئًا مما نسب إليه، فإن ذلك لا يضره بشىء، وقد برئت ساحته مما نسب إليه من التهمة، وقد كانوا يفهمون الولاية مغرمًا لا مغنمًا، وتكليفًا يرجون به ثواب الله تعالى، فالولاية على أمر من أمور المسلمين نوع من الأعمال الصالحة لمن اتقى الله تعالى وأراد رضوانه والدار الآخرة، فإذا تحول هذا العمل إلى مصدر للفتنة فإن الحكمة تقتضى عدم الاستمرار فيه، كما هو الحال فى هذه الواقعة، ولكل حادث حديث وهذا هو ما أقدم عليه عمر حينما أعفى سعداً من العمل، وكلف نائبه الذى هو موضع ثقة سعد[2].

هذا وقد استبقى عمر سعدا رضى الله عنهما فى المدينة وأقر من استخلفه سعد على الكوفة بعده، وصار سعد من مستشارى عمر فى المدينة[3]، ثم جعله من الستة المرشحين للخلافة حين طعن ثم أوصى الخليفة من بعده بأن يستعمل سعدا «فإنى لم أعزله عن سوء، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك»[4].

٢- شكاوى ضد عمرو بن العاص والى مصر:

كانت مراقبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن العاص صارمة وحازمة وكان الخليفة الفاروق يتدخل فى شئون الولاية المختلفة وحتى عندما اتخذ عمرو بن العاص منبراً كتب إليه: أما بعد فقد بلغنى أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون قائمًا والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك إلا ما كسرته[5]، وكان عمرو بن العاص يخشى مراقبة عمر بن الخطاب ويعلم مدى حرصه على إقامة

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ١٠٤).

(٢) التاريخ الإسلامى للحميدى (١١/ ٢٢٢).

(٣) دور الحجاز فى الحياة السياسية ص (٢٥٧).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٢٥).

(٥) فتوح مصر وأخبارها ص (٩٢).

العدل بين الناس، وعلى إقامة الحدود الشرعية، فكان يبذل جهده حتى لا يصل إلى عمر من الأخبار إلا ما يسره، ومن ذلك أن عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب ورجلاً آخر شربا شرابا دون أن يعلما أنه مسكر فسكرا، ثم إنهما جاءا إلى عمرو بن العاص يطلبان منه أن يقيم عليهما الحد فزجرهما عمرو وطردهما، فقال له عبدالرحمن: إن لم تفعل أخبرت أبى. قال عمرو: فعلمت أنى إن لم أقم عليهما الحد غضب عمر وعزلنى، ثم إن عمرو جلدهما أمام الناس وحلق رأسيهما داخل بيته، وكان الأصل العقاب بالحلق مع الجلد فى وقت واحد أمام الناس، فجاءه كتاب من عمر يعنفه على عدم حلقه أمام الناس، وكان فيه: تضرب عبدالرحمن فى بيتك وتحلق رأسه فى بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفنى، إنما عبدالرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق يجب لله عليه(١).

وقد وجهت ضد عمرو بن العاص بعض الشكاوى أثناء ولايته بعضها من جنوده المسلمين، وبعضها من أهل البلاد من الأقباط، مما دعا عمر رضى الله عنه إلى استدعاء عمرو بن العاص عدة مرات، لمعاتبته بل وأحيانا لمعاقبته على ما بدر منه، ومن ذلك ما تقدم به أحد المصريين ضد ابن لعمرو بن العاص ضربه بالسوط، مما جعل عمر بن الخطاب يستدعى عمرو وابنه ثم يأمر المصرى بالقصاص من ابن عمرو بن العاص ويقول له: لو ضربت أباه عمرو لما حلنا بينك وبين ذلك، والتفت عمر إلى عمرو بن العاص وقال قولته المشهورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا(٢)، وكذلك يدخل فى هذا الباب ما تقدم به أحد الجنود من أن عمرو بن العاص اتهمه بالنفاق وكتب معه عمر إلى عمرو بن العاص أمراً بأن يجلس عمرو أمام الناس فيجلده إذا ثبت صدق ما ادعاه بشهادة شهود، وقد ثبت بالشهادة أن عمرو رماه بالنفاق، فحاول بعض الناس أن يمنع الرجل من ضرب عمرو وأن يدفع له الأرض مقابل الضرب، ولكنه رفض ذلك، وعندما قام على رأس عمرو ليضربه سأله: هل يمنعنى أحد من ضربك؟ فقال عمرو: لا.. فامض لما أمرت به، قال: فإنى قد عفوت عنك (٣).

---

(١) تاريخ المدينة (٣/٨٤١).

(٢) الولاية على البلدان (١/٨١).

(٣) تاريخ المدينة (٣/٨٠٧، ٨٠٨) فى إسناده انقطاع.

٣- شكاوى ضد أبى موسى الأشعرى والى البصرة:

عن جرير بن عبد الله البجلى أن رجلا كان مع أبى موسى الأشعرى، وكان ذا صوت ونكاية فى العدو، فغنموا مغنما فأعطاه أبو موسى بعض سهمه، فأبى أن يقبله إلا جميعا، فجلده أبو موسى عشرين سوطا وحلقه، فجمع الرجل شعره ثم ترحل إلى عمر ابن الخطاب حتى قدم عليه، فدخل على عمر بن الخطاب، قال جرير: وأنا أقرب الناس من عمر، فأدخل يده فاستخرج شعره ثم ضرب به صدر عمر ثم قال: أما والله لولا النار، فقال عمر: صدق والله لولا النار، فقال: يا أمير المؤمنين إنى كنت ذا صوت ونكاية، فأخبره بأمره، وقال: ضربنى أبو موسى عشرين سوطا، وحلق رأسى، وهو يرى أنه لا يقتص منه، فقال عمر رضى الله عنه: لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا، فأحب إلىّ من جميع ما أفاء الله علينا، فكتب عمر إلى أبى موسى: السلام عليك أما بعد فإن فلانا أخبرنى بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك فى ملأ من الناس، فعزمت عليك لما قعدت له فى ملأ من الناس، حتى يقتص منك، وإن كنت فعلت ذلك فى خلاء من الناس، فاقعد له فى خلاء من الناس، حتى يقتص منك، فقدم الرجل، فقال له الناس: اعف عنه، فقال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد له أبو موسى ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنى قد عفوت عنه(١).

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: كنا مع عمر فى مسير فأبصر رجلا يسرع فى سيره، فقال: إن هذا الرجل يريدنا، فأناخ ثم ذهب لحاجته، فجاء الرجل فبكى وبكى عمر -رضى الله عنه - وقال: ما شأنك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنى شربت الخمر، فضربنى أبو موسى وسود وجهى، وطاف بى، ونهى الناس أن يجالسونى، فهممت أن آخذ سيفى فأضرب به أبا موسى، أو آتيك فتحولنى إلى بلد لا أعرف فيه، أو ألحق بأرض الشرك، فبكى عمر - رضى الله عنه - وقال: ما يسرنى أنك لحقت بأرض الشرك وأن لى كذا وكذا، وقال: إن كنت ممن شرب الخمر، فلقد شرب الناس الخمر فى الجاهلية، ثم كتب إلى أبى موسى: إن فلانا أتانى فذكر كذا وكذا، فإذا أتاك كتابى هذا فأمر الناس أن يجالسوه وأن يخالطوه، وإن تاب فاقبل شهادته، وكساه وأمر له بمائتى درهم(٢)، وجاء فى رواية: إن فلانا بن فلان التميمى أخبرنى بكذا وكذا، وايم الله لئن عدت لأسودن

---

(١) محض الصواب (٢/٤٦٧) إسناده حسن.

(٢) المصدر نفسه (٢/٥٥٢) إسناده حسن.

وجـهك وليطاف بك في الناس، فـإن أردت أن تعلم أحق مـا أقـول فـعـد وأمـر الناس فليؤاكلوه وليجالسوه، وإن تاب فاقبلوا شهادته، وكساه عمر رضى الله عنه حلة وحمله، وأعطاه مائتى درهم[١]، وهذه القصة فيها حرص الفاروق على ألا يتعدى أحد من عماله العقوبات الشرعية عند معاقبة العاصين[٢].

٤- شكاوى أهل حمص ضد سعيد بن عامر :

قال خالد بن معدان : استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر الجمحى، فلما قدم عمر حمص قال : يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص الكوفة الصغرى لشكايتهم العمال، قالوا : نشكوه أربعا، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال : أعظم بها، وماذا؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل، قال : وعظيمة، وماذا؟ قالوا : وله يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال : عظيمة، وماذا؟ قالوا : يغنظ الغنظة بين الأيام (أى يغمى عليه ويغيب عن حسه) فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لا تفيل رأيى فيه اليوم، وافتتح المحاكمة فقال لهم أمامه : ما تشكون منه؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال : ما تقول؟ قال : والله إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلى خادم، فأعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، فقال : ما تشكون منه؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل، قال : ما تقول؟ قال : إن كنت لأكره ذكره، إنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل، قال : وما تشكون منه؟ قالوا : إن له يوما فى الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال : ما تقول؟ قال : ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم آخر النهار، قال : ما تشكون منه، قالوا : يغط الغنطة بين الأيام، قال : ما تقول؟ قال : شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا : أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمدا ﷺ يشتاك شوكة ثم نادى يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبدا فتصيبنى تلك الغنطة. فقال عمر : الحمد لله الذى لم يفيل فراستى، فبعث إليه بألف دينار وقال : استعن بها على أمرك، ففرقها[٣].

---

(١) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (١٣٤) إسناده حسن.

(٢) المصدر نفسه ص (١٣٣).

(٣) حلية الأولياء (١ / ٢٤٥)، اخبار عمر ص (١٥٢).

٥- عزل من استهزأ بأحد أفراد الرعية:

قال قيس بن أبى حازم رحمه الله: استعمل عمر - رضى الله عنه - رجلا من الأنصار فنزل بعظيم أهل الحيرة عمرو بن حيان بن بقيلة، فأمال عليه بالطعام والشراب ما دعا به، فاحتبس الهزل[١]، فدعا الرجل فمسح بلحيته، فركب إلى عمر - رضى الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين، قد خدمت كسرى وقيصر فما أتى إلىَّ ما أتى فى ملكك، قال: وما ذاك؟ قال: نزل بى عاملك فلان فأملنا عليه بالطعام والشراب، ما دعا به فاحتبس الهزل فدعانى فمسح بلحيتى، فأرسل إليه عمر - رضى الله عنه - فقال: هيه؟! أمال عليك بالطعام والشراب ما دعوت به، ثم مسحت بلحيته؟ والله لولا أن تكون سنة ما تركت فى لحيتك طاقة إلا نتفتها، ولكن اذهب فوالله لا تلى لى عملا أبدا[٢].

ثالثًا: العقوبات التى نزلت بالولاة فى عهد عمر رضى الله عنه:

نتيجة لمراقبة الفاروق لولاته لاحظ وجود بعض الأخطاء التى وقع فيها الولاة، فقام بتأديبهم ومعاقبتهم على هذه الأخطاء التى وقعوا فيها وقد اختلفت طرق تأديب الولاة حسب اختلاف الأحداث وحسب ما يراه الخليفة ومن أهم أساليب الولاة:

١- القود من الأمراء والاقتصاص منهم لو أخطأوا:

وقد كان عمر يقول: ألا وإنى لم أرسل عمالى ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىَّ فوالذى نفسى بيده إذن لأقصنه[٣]، ولم يكتف عمر بالبيانات الرسمية التى تهدد الولاة وتمنعهم من الاعتداء على الناس بل إنه طبق ذلك عمليا، كما مر معنا فيمن اشتكى من أبى موسى الأشعرى، واشتكى من عمرو بن العاص رضى الله عنهم[٤].

٢- عزل الوالى نتيجة وقوعه فى الخطأ:

وقد قام الفاروق رضى الله عنه بعزل الولاة نتيجة وقوعهم فى أخطاء لا يرتضيها، فقد عزل رضى الله عنه أحد الأمراء نتيجة تدخله فيما لا يعنيه فى شئون أجناده حيث بعثه

---

(١) أى أكثر من الهزل.

(٢) تاريخ المدينة (٣/٨١٣) خبر صحيح، الفاروق الحاكم العادل ص(١١).

(٣) الولاية على البلدان (٢/١٢٧)، الأموال لأبى سلام ص (٦٣، ٦٤).

(٤) الولاية على البلدان (٢/١٢٦، ١٢٧).

على جيش، فلما نزل بهم قال: عزمت عليكم لما أخبرتمونى بكل ذنب أذنبتموه فجعلوا يعترفون بذنوبهم فبلغ ذلك عمر فقال: ما له لا أم له، يعمد إلى ستر ستره الله فيهتكه؟ والله لا يعمل لى أبدا[1]، كما غضب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره وهو يتمثل فيها بالخمر فعزله[2].

٣- إتلاف شيء من مساكن الولاة:

وهو ما يقع فيه المخالفة، فقد كان عمر رضى الله عنه يحرص على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب، وبدون حجاب، فلما بلغه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قد وضع بابا لداره بعث إليه محمد بن مسلمة وأمره بإحراق ذلك الباب[3]، وكان سبب ذلك الباب قرب الأسواق من داره، وكانت الأصوات مرتفعة بالسوق تؤذى سعدا، فوضع بابا يحجز عنه أصوات الناس بالسوق، وبلغ ذلك أسماع عمر عن دار سعد وبابه، وأن الناس يسمونه قصر سعد، فدعا محمد بن مسلمة وأرسله إلى الكوفة، وقال: اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه، ثم ارجع عودك على بدئك، فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطبا ثم أتى به القصر، فأحرق الباب[4].

وروى ابن شبة: أن عمر استعمل مجاشع بن مسعود على عمل فبلغه أن امرأته تجدد بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود سلام عليك، أما بعد، فقد بلغنى أن الخضيراء تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابى هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها، قال: فأتاه الكتاب والقوم عنده جلوس فنظر فى الكتاب، فعرف القوم أنه قد أتاه بشيء يكرهه، فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم: انهضوا فنهضوا، والله ما يدرون إلى ما ينهضهم، فانطلق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر فى وجهه، فقالت له: مالك؟ فقال: إليك عنى قد أرمقتنى[5]، فذهبت المرأة، وقال للقوم: ادخلوا، فدخل القوم، فقال: فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال: فهتكوا جميعا حتى ألقوها إلى الأرض والكتاب فى يده لم يضعه بعد. وفى أثناء زيارة عمر إلى الشام دعاه يزيد بن أبى سفيان

---

(١) تاريخ المدينة (٣/٨١٨).

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص(١٠٥).

(٣) فتوح البلدان ص(٧٧)، نهاية الأرب (١٩/٨).

(٤) الإدارة الإسلامية مجدلاوى ص(٢١٦).

(٥) أرمقتنى: أوجعتنى وأغضبتنى، لسان العرب (٧/١٦١).

إلى الطعام، فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض الستائر، فأخذ عمر يقطعها ويقول: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوما من الناس لسترهم من الحر والبرد(١).

٤- التأديب بالضرب:

فقد استعمله عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث اشتهر عنه حمل الدرة، وضربه بها وقد ضرب بعض الولاة، بسبب حوادث اقترفوها، ففى أثناء زيارة عمر إلى الشام دخل على بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الزائد، فغضب عمر وأخذ يضربهم بالدرة(٢)، وفى أثناء زيارة عمر إلى الشام لقيه الأمراء، فكان أول من لقيه يزيد بن أبى سفيان، وأبا عبيدة، ثم خالد على الخيول، عليهم ثياب فاخرة لا تليق بالمجاهدين فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم، إياى تستقبلون فى هذا الزى، وإنما شبعتم مذ سنتين وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنها يلاقة وإن علينا السلاح، قال: فنعم إذن(٣).

٥- خفض الرتبة من وال إلى راعى غنم:

وقد استعملها عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أحد ولاته، روى ابن شبة: أن عمر رضى الله عنه استعمل عياض بن غنم على الشام فبلغه أنه اتخذ حماماً واتخذ نوّاباً(٤)، فكتب إليه أن يقدم عليه، فقدم، فحجبه ثلاثاً، ثم أذن له ودعا بجبة صوف، فقال: البس هذه، وأعطاه كنف الراعى وثلاثمائة شاة وقال: انعق بها، فنعق بها فلما جازه هنيهة، قال: أقبل، فأقبل يسعى حتى أتاه، فقال: اصنع بكذا وكذا، اذهب فذهب، حتى إذا تباعد ناداه: يا عياض أقبل فلم يزل يردده حتى عرّقه فى جبينه، قال: أوردها على يوم كذا وكذا، فأوردها لذلك اليوم، فخرج عمر رضى الله عنه فقال: انزع عليها فاستقى حتى ملأ الحوض فسقاها، ثم قال: انعق بها، فإذا كان يوم كذا فأوردها فلم يزل يعمل به حتى مضى شهران أو ثلاثة، ثم دعاه فقال: هيه اتخذت نواباً واتخذت حماما أتعود؟ قال: لا، قال: ارجع إلى عملك(٥)، وقد كانت نتيجة هذه العقوبة

---

(١) تاريخ المدينة (٣/٨٣٢)، الولاية على البلدان (٢/١٢٨).

(٢) تاريخ المدينة (٣/٨٣٤).

(٣) الولاية على البلدان (٢/١٢٩).

(٤) نوابًا: اى جماعة من الناس يختصون بالزيارة والمسامرة دون غيرهم.

(٥) تاريخ المدينة (٣/٨١٧، ٨١٨) الولاية على البلدان (٢/١٣٠).

التأديبية أن أصبح عياض بعد ذلك من أفضل عمال عمر رضى الله عنه(١).

٦- مقاسمة الولاة أموالهم:

وكان تطبيق هذا النظام أمرًا احتياطيًا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حيث شعر عمر بنمو الأموال لدى بعض الولاة فخشى أن يكون الولاة قد اكتسبوا شيئًا من هذه الأموال بسبب ولايتهم(٢)، وقد علق ابن تيمية على فعل عمر هذا فقال: وكذلك محاباة الولاة فى المعاملة من المبايعة، والمؤاجرة والمضاربة، والمساقاة والمزارعة، ونحو ذلك هو من نوع الهدية، ولهذا شاطر عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من عماله من كان له فضل ودين، لا يتهم بخيانة وإنما شاطرهم لما كانوا خصوا به لأجل الولاية من محاباة وغيرها، وكان الأمر يقتضى ذلك، لأنه كان إمام عدل، يقسم بالسوية(٣)، وقد قام عمر رضى الله عنه بمشاطرة أموال عماله منهم، سعد بن أبى وقاص، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص رضى الله عنهم، وكان رضى الله عنه يكتب أموال عماله، إذ ولاهم ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم(٤)، وقد قام أيضا بمشاطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم، إذا ما رأى مبررا لذلك، فقد أخذ من أبى بكرة نصف ماله، فاعترض أبو بكرة قائلا: إنى لم آل لك عملا؟ فقال عمر: ولكن أخاك على بيت المال وعشور الأبلة، فهو يقرضك المال تتجر به(٥).

٧- التوبيخ الشفوى والكتابى:

وقد قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على معاتبة الأمراء على تصرفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث إنه عاتب عمرو بن العاص مرات، كما عاتب عياض بن غنم، وخالد بن الوليد وأبا موسى الأشعرى وغيرهم من الأمراء(٦). وأما المعاتبة الكتابية فى خلافة عمر فهى كثيرة، منها: أنه كتب إلى أحد الولاة، وكان قدم عليه قوم فأعطى العرب وترك الموالى: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسلام(٧).

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٠).

(٣) الفتاوى (٢٨/ ١٥٧).

(٤) فتوح البلدان ص(٢٢٠، ٢٢١)، الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٥) شهيد المحراب ص(٢٥٠).

(٦) الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٧) فتوح البلدان ص(٤٤٣).

ومن هذا كله نجد أن الولاة لم يكونوا بمنأى عن المحاسبة والتأديب بصور مختلفة، ولم تشهد البشرية مثيلا لها فى عدلها وجرأتها، مما جعل هذا العصر الراشدى بحق نموذجا رفيعا للحضارة الإسلامية بعد عصر الرسالة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام(١). هذا وقد كانت حرية النقاش وبحث المشاكل بين الخليفة، وولاته مكفولة إلى أقصى ما يمكن تصوره من حرية النقاش، لا يرهب الوالى سلطان الخليفة وهذا مثال على ذلك: عندما قدم عمر على الشام تلقاه معاوية فى موكب عظيم فلما رأى معاوية عمر نزل من على صهوة جواده، ومشى إليه، وقال: السلام على أمير المؤمنين، فمضى عمر، ولم يرد عليه سلامه، ومعاوية يسرع خلف جمل عمر وكان معاوية سمينا، فلهث. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، أتعبت الرجل، فلو كلمته، فالتفت إليه عمر وقال: يا معاوية، أأنت صاحب الموكب الذى أرى. فقال: نعم يا أمير المؤمنين. قال عمر: مع شدة احتجابك ووقوف ذوى الحاجات ببابك؟ قال معاوية: نعم يا أمير المؤمنين. قال: لم ويحك؟ قال معاوية: لأننا ببلاد كثر بها جواسيس العدو، فإن لم نتخذ العدة والعدد، استخف بنا، وهجم علينا! وأما الحجاب، فإننا نخاف من الابتذال وجرأة الرعية. وأنا بعد عاملك، إن استوقفتنى وقفت، وإن نهيتنى انتهيت يا أمير المؤمنين. قال عمر: ما سألتك عن شىء إلا خرجت منه، إن كنت صادقا فإنه رأى لبيب، وإن كنت كاذبا فإنها خدعة أريب، لا آمرك ولا أنهاك، وانصرف عنه(٢).

ورغم شدة عمر على ولاته ودقته فى محاسبتهم وإقدامه على عزل من تحوم حوله شبهة أو تثور فى حقه شكاية ذات أثر، فإن رابطة قوية من الحب والولاء كانت تربطه بولاته الذين كانوا يثقون ثقة مطلقة فى إخلاص خليفتهم وسلامة مقاصده وسياسته وتجرده وعدله، لقد كان عمر إذا غابت عنه أخبار بعض قادته فى ساحات الجهاد يكاد يقتله القلق ويستبد به الخوف والشفقة عليهم، وكان فى بعض الحروب الكبرى يخرج بنفسه يتنطس الأخبار، ويتحسس الأنباء عله يطمئن عليهم، وفى حالات أخرى كان يلتقى بهم فنجد أمارات الحب العميق بينهم، فلما سار عمر لفتح بيت المقدس وانتهى إلى الجابية لقيه قائداه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة فوافقا عمر راكبا، فقبلا ركبتيه، وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما(٣).

---

(١) الولاية على البلدان (٢ / ١٣٣).

(٢) الفاروق عمر بن الخطاب للشرقاوى ص (٢٨٧).

(٣) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين (١٥١).

رابعًا: قصة عزل خالد بن الوليد رضى الله عنه:

وجد أعداء الإسلام فى سعة خيالهم وشدة حقدهم مجالا واسعا لتصيد الروايات التى تظهر صحابة رسول الله فى مظهر مشين، فإذا لم يجدوا شفاء نفوسهم، اختلقوا ما ظنوه يجوز على عقول القارئين، لكى يصبح أساسا ثابتا لما يتناقله الرواة وتسطره كتب المؤلفين. وقد تعرض كل من عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضى الله عنهما لمفتريات أعداء الإسلام الذين حاولوا تشويه صفحات تاريخهما المجيد، ووقفوا كثيرا عند أسباب عزل عمر لخالد بن الوليد رضى الله عنهما وألصقوا التهم الباطلة بالرجلين العظيمين، وأتوا بروايات لا تقوم على أساس عند المناقشة، ولا تقوم على البرهان أمام التحقيق العلمى النزيه(١). وإليك قصة عزل خالد بن الوليد على حقيقتها بدون لف أو تزوير للحقائق، فقد مر عزل خالد بن الوليد بمرحلتين، وكان لهذا العزل أسباب موضوعية.

١- العزل الأول:

عزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه خالد بن الوليد فى المرة الأولى عن القيادة العامة وإمارة الأمراء بالشام، وكانت هذه المرة فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة غداة تولى عمر الخلافة بعد وفاة أبى بكر الصديق، وسبب هذا العزل اختلاف منهج الصديق عن الفاروق فى التعامل مع الأمراء والولاة، فالصديق كان من سنته مع عماله وأمراء عمله أن يترك لهم حرية التصرف كاملة فى حدود النظام العام للدولة مشروطا ذلك بتحقيق العدل كاملا بين الأفراد والجماعات، ثم لا يبالى أن يكون لواء العدل منشورا بيده أو بيد عماله وولاته، فللوالى حق يستمده من سلطان الخلافة فى تدبير أمر ولايته دون رجوع فى الجزئيات إلى أمر الخليفة، وكان أبو بكر لا يرى أن يكسر على الولاة سلطانهم فى مال أو غيره ما دام العدل قائما فى رعيتهم(٢)، وكان الفاروق قد أشار على الصديق بأن يكتب لخالد رضى الله عنهم جميعا: أن لا يعطى شاة ولا بعيرا إلا بأمره، فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك، فكتب إليه خالد: إما أن تدعنى وعملى وإلا فشأنك وعملك، فأشار عليه بعزله(٣)، ولكن الصديق أقر خالدا على عمله(٤)، ولما تولى الفاروق الخلافة، كان يرى

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم شعوط ص(١٢٣).

(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص(٣٢١-٣٣١).

(٣) البداية والنهاية (٧/١١٥).

(٤) التاريخ الإسلامى (١١/١٤٦).

أنه يجب على الخليفة أن يحدد لأمرائه وولاته طريقة سيرهم فى حكم ولاياتهم ويحتم عليهم أن يردوا إليه ما يحدث حتى يكون هو الذى ينظر فيه ثم يأمرهم بأمره، وعليهم التنفيذ، لأنه يرى أن الخليفة مسئول عن عمله وعن عمل ولاته فى الرعية مسئولية لا يرفعها عنه أنه اجتهد فى اختيار الوالى. فلما تولى الخلافة خطب الناس، فقال: إن الله ابتلاكم بى، وابتلانى بكم، وأبقانى بعد صاحبى فوالله لا يحضرنى شىء من أمركم فيليه أحد دونى، ولا يتغيب عنى فآلوا فيه عن الجزء والأمانة، ولئن أحسن الولاة لأحسنن إليهم، ولئن أساءوا لأنكلن بهم(١)، وكان يقول: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علىَّ؟ قالوا: نعم. قال: لا، حتى أنظر فى عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟(٢)، فعندما تولى الفاروق الخلافة أراد أن يعدل بولاة أبى بكر رضى الله عنه إلى منهجه وسيرته، فرضى بعضهم وأبى آخرون وكان ممن أبى عليه ذلك خالد بن الوليد(٣)، فعن مالك بن أنس، أن عمر لما ولى الخلافة كتب إلى خالد ألا تعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمرى، فكتب إليه خالد: إما أن تدعنى وعملى، وإلا فشأنك بعملك، فقال عمر: ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبى بكر بأمر فلم أنفذه، فعزله(٤)، ثم كان يدعوه إلى العمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما شاء فيأبى عليه(٥).

فعزل عمر خالداً من وجهة سياسة الحكم، وحق الحاكم فى تصريف شئون الدولة ومسئوليته عنها، وطبيعى أن يقع كل يوم مثله فى الحياة، ولا يبدو فيه شىء غريب يحتاج إلى بيان أسباب تتجاذبها روايات وآراء، وميول وأهواء ونزعات، فعمر بن الخطاب خليفة المسلمين فى عصر، كان الناس فيه ناساً لا يزالون يستروحون روح النبوة، له من الحقوق الأولية أن يختار من الولاة والقادة من ينسجم معه فى سياسته ومذهبه فى الحكم، ليعمل فى سلطانه ما دامت الأمة غنية بالكفايات الراجحة، فليس لعامل ولا قائد أن يتأبد فى منصبه، ولاسيما إذا اختلفت مناهج السياسة بين الحاكم والولاة ما كان هناك من يغنى غناءه ويجزى عنه، وقد أثبت الواقع التاريخى أن عمر رضى الله عنه كان موفقا أتم التوفيق وقد نجح فى سياسته هذه نجاحا منقطع النظير، فعزل وولى، فلم

---

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص(٣٣١).

(٢، ٣) المصدر نفسه ص(٣٣٢).

(٤) البداية والنهاية (١١٥/٧).

(٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٣٢..

يكن من ولاه أقل كفاية ممن عزله، ومرد ذلك لروح التربية الإسلامية التى قامت على أن تضمن دائما للأمة رصيدا مذخورا من البطولة والكفاية السياسية الفاضلة(١). وقد استقبل خالد هذا العزل بدون اعتراض، وظل رضى الله عنه تحت قيادة أبى عبيدة رضى الله عنه حتى فتح الله عليه قنسرين فولاه أبو عبيدة عليها، وكتب إلى أمير المؤمنين يصف له الفتح وبلاء خالد فيه فقال عمر قولته المشهورة: أمر خالد نفسه، رحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال منى(٢)، ويعنى عمر بمقولته هذه أن خالدا فيما أتى به من أفانين الشجاعة وضروب البطولة قد وضع نفسه فى موضعها الذى ألفته فى المواقع الخطيرة من الإقدام والمخاطرة، وكأنما يعنى عمر بذلك أن استمساك أبى بكر بخالد وعدم موافقته على عزله برغم الإلحاح عليه إنما كان عن يقين فى مقدرة خالد وعبقريته العسكرية التى لا يغنى غناءه فيها إلا أحاد الأفذاذ من أبطال الأمم(٣).

هذا وقد عمل خالد تحت إمرة أبى عبيدة نحوا من أربع سنوات فلم يعرف عنه أنه اختلف عليه مرة واحدة، ولا ينكر فضل أبى عبيدة وسمو أخلاقه فى تحقيق وقع الحادث على خالد، فقد كان لحفاوته به وعرفانه لقدره، وملازمته صحبته والأخذ بمشورته وإعظامه لآرائه وتقديمه فى الوقائع التى حدثت بعد إمارته الجديدة، أحسن الأثر فى صفاء قلبه، صفاءً جعله يصنع البطولات العسكرية النادرة وعمله فى فتح دمشق وقنسرين وفحل شاهد صدق على روحه السامية التى قابل بها حادث العزل، وكان فى حاليه سيف الله خالد بن الوليد(٤)، ويحفظ لنا التاريخ ما قاله أبو عبيدة فى مواساة خالد عند عزله: .. وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن أخوان وقوام بأمر الله عز وجل، وما يضير الرجل أن يلى عليه أخوه فى دينه ودنياه، بل يعلم الوالى أنه يكاد يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما فى الخطيئة لما تعرض من الهلكة إلا من عصم الله عز وجل، وقليل ما هم(٥). وعندما طلب أبو عبيدة من خالد أن ينفذ مهمة قتالية تحت إمرته، أجابه خالد قائلا: أنا لها إن شاء الله تعالى وما كنت أنتظر إلا أن تأمرنى، فقال أبو عبيدة: استحييت منك يا أبا سليمان.

---

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص(٣٣٢، ٣٣٣).

(٢، ٣) المصدر نفسه ص(٣٢١).

(٤) المصدر نفسه ص(٣٤٦).

(٥) المصدر نفسه ص(٣٢٣).

فقال خالد : والله لو أمر على طفل صغير لأطيعن له، فكيف أخالفك وأنت أقدم منى إيمانا وأسبق إسلاما، سبقت بإسلامك مع السابقين، وأسرعت بإيمانك مع المسارعين، وسماك رسول الله ﷺ بالأمين، فكيف ألحقك وأنال درجتك، والآن أشهدك أنى قد جعلت نفسى حبسا فى سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا، ولا وليت إمارة بعدها أبدا. ولم يكتف خالد بذلك فحسب بل اتبع قوله بالفعل وقام على الفور بتنفيذ المهمة المطلوبة منه[١].

ويظهر بوضوح من قول خالد وتصرفه هذا، أن الوازع الدينى والأخلاقى كان مهيمنا على تصرفات خالد وأبى عبيدة رضى الله عنهما وقد بقى خالد محافظا على مبدأ طاعة الخليفة والوالى بالرغم من أن حالته الشخصية قد تغيرت من حاكم إلى محكوم بسبب عزله عن قيادة الجيوش[٢].

إن عزل خالد فى هذه المرة (الأولى)، لم يكن عن شك من الخليفة، ولا عن ضغائن جاهلية، ولا عن اتهامه بانتهاك حرمات الشريعة، ولا عن طعن فى تقوى وعدل خالد، ولكن كان هناك منهجان لرجلين عظيمين، وشخصيتين قويتين كان يرى كل منهما ضرورة تطبيق منهجه، فإذا كان لابد لأحدهما أن يتنحى فلابد أن يتنحى أمير الجيوش لأمير المومنين، من غير عناد ولا حقد وضغينة[٣].

إن من توفيق الله للفاروق تولية أبى عبيدة رضى الله عنه لجيوش الشام، فذلك الميدان بعد معركة اليرموك كان يحتاج إلى المسالمة واستلال الأحقاد، وتضميد الجراح وتقريب القلوب، فأبو عبيدة رضى الله عنه يسرع إلى المسالمة إذا فتحت أبوابها ولا يبطئ عن الحرب إذا وجبت عليه أسبابها، فإن كانت بالمسالمة جدوى فذاك وإلا فالاستعداد للقتال على أهبته، وقد كان أبناء الأمصار الشامية يتسامعون بحلم أبى عبيدة فيقبلون على التسليم إليه، ويؤثرون خطابهم له على غيره، فولاية أبى عبيدة سنة عمرية وكانت ولايته للشام فى تلك المرحلة أصلح الولايات لها[٤].

٢- العزل الثانى :

وفى (قنسرين) جاء العزل الثانى لخالد، وذلك فى السنة السابعة عشرة[٥]، فقد بلغ

(١، ٢) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين (٨٤).

(٣) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص(١٣٢).

(٤) عبقرية خالد للعقاد ص (١٥٤، ١٥٥، ١٥٦).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤١).

أمير المؤمنين أن خالداً وعياض بن غنم أدربا فى بلاد الروم وتوغلا فى دروبهما ورجعا بغنائم عظيمة، وأن رجالا من أهل الآفاق قصدوا خالداً لمعروفه، منهم الأشعث بن قيس الكندى فأجازه خالد بعشرة آلاف، وكان عمر لا يخفى عليه شيء فى عمله[١]، فكتب عمر إلى قائده العام أبى عبيدة يأمره بالتحقيق مع خالد فى مصدر المال الذى أجاز منه الأشعث تلك الإجازة الغامرة، وعزله عن العمل فى الجيش إطلاقا واستقدمه المدينة، وتم استجواب خالد، وقد تم استجواب خالد بحضور أبى عبيدة وترك بريد الخلافة يتولى التحقيق وترك إلى مولى أبى بكر يقوم بالتنفيذ، وانتهى الأمر ببراءة خالد أن يكون مد يده إلى غنائم المسلمين فأجاز منها بعشرة آلاف[٢] ولما علم خالد بعزله ودع أهل الشام، فكان أقصى ما سمحت به نفسه من إظهار أسفه على هذا العزل الذى فرق بين القائد وجنوده أن قال للناس: إن أمير المؤمنين استعملنى على الشام حتى إذا كانت بثنية[٣]، وعسلا عزلنى فقام إليه رجل فقال: اصبر أيها الأمير، فإنها الفتنة، فقال خالد: أما وابن الخطاب حى فلا[٤]، وهذا لون من الإيمان القاهر الغلاب، لم يرزقه إلا المصطفون من أخصاء أصحاب محمد ﷺ، فأية قوة روحية سيطرت على أعصاب خالد فى الموقف الخطير؟ وأى إلهام ألقى على لسان خالد ذلك الرد الهادئ الحكيم[٥].

سكن الناس وهدأت نفوسهم بعد أن سمعوا كلمة خالد فى توطيد قواعد الخلافة العمرية، وعرفوا أن قائدهم المعزول ليس من طراز الرجال الذين يبنون عروش عظمتهم على أشلاء الفتن والثورات الهدامة، وإنما هو من أولئك الرجال الذين خلقوا للبناء والتشييد، فإن أرادتهم الحياة على هدم ما بنوا تساموا بأنفسهم أن يذلها الغرور المفتون[٦].

ورحل خالد إلى المدينة فقدمها حتى لقى أمير المؤمنين، فقال عمر متمثلا:

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع ... وما يصنع الأقوام فالله يصنع[٧]

وقال خالد لعمر: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك فى أمرى غير مُجمل يا

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٢).

(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص ٣٢٤.

(٣) البثنية قيل المراد: حنطة منسوبة إلى بلد بالشام وقيل: الناعمة من الرملة اللينة.

(٤) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٧، الكامل فى التاريخ (٢/ ١٥٦).

(٥، ٦) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٧.

(٧) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٣).

عمر، فقال عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسهمان، ما زاد على الستين ألفًا فلك، فقوم عمر عروضه فخرجت إليه عشرون ألفًا، فأدخلها بيت المال. ثم قال: يا خالد، والله إنك على لكريم، وإنك إلى لحبيب، ولن تعاتبنى بعد اليوم على شيء[1]، وكتب عمر إلى الأمصار: إنى لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة[2].

٣- مجمل أسباب العزل وبعض الفوائد:

ومن خلال سيرة الفاروق يمكننا أن نجمل أسباب عزل خالد رضى الله عنه فى الأمور التالية:

- حماية التوحيد: ففى قول عمر رضى الله عنه: ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، يظهر خشية عمر من فتنة الناس بخالد وظنهم أن النصر يسير فى ركاب خالد؛ فيضعف اليقين بأن النصر من عند الله، سواء، كان خالد على رأس الجيوش أم لا، وهذا الوازع يتفق مع حرص عمر على صبغ إدارته للدولة العقائدية الخالصة، بخاصة وهى تحارب أعداءها حربا ضروسا متطاولة باسم العقيدة وقوتها، وقد يقود الافتتان بقائد كبير مثل خالد خالدا نفسه إلى الافتتان بالرعية، وأن يرى نفسه يوما فى مركز قوة لا يرتقى إليها أحد، بخاصة أنه عبقرية حرب ومنفق أموال، فيجر ذلك عليه وعلى الدولة أمر خسر، وهو إن كان احتمالا بعيدا فى ظل ارتباط الناس بخليفتهم عمر وإعجابهم به، وفى ظل انضباط خالد العسكرى وتقواه، فقد يحدث يوما ما بعد عمر، ومع قائد كخالد، مما يستدعى التأصيل لها فى ذلك العصر ومع أمثال هؤلاء الرجال[3]، والخوف فى هذا الأمر من القائد الكفء أعظم من الخوف من قائد صغير لم يبل أحسن البلاء ولم تتساير بذكره الأنباء[4].

وقد أشار شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله إلى تخوف عمر فقال فى عمريته فى الديوان:

(١، ٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٣).

(٣) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، حمدى شاهين ص(١٤٩).

(٤) عبقرية عمر ص(١٥٨).

وقـيل خـالفت يا فـاروق صـاحـبنا فـيـه وقـد كـان أعطى القـوس باريهـا
فـقـال خـفت افـتـتـان المسلمـين به وفـتنة النفس أعـيت من يداويهـا[١]

- اختلاف النظر فى صرف المال:

كـان عـمـر يرى أن فـترة تأليف القلوب، وإغراء ضـعـفـاء العـقـيـدة بـالمال والعطاء، قد انتهت، وصار الإسلام فى غير حاجة إلى هؤلاء، وأنه يجب أن يوكل الناس إلى إيمانهم وضمائرهم، حتى تؤدى التربية الإسلامية رسالتها فى تخريج نماذج كاملة، لمدى تغلغل الإيمان فى القلوب، بينما يرى خالد أن ممن معه من ذوى البأس والمجاهدين فى ميدانه من لم تخلص نيتهم لمحض ثواب الله، وأن أمثال هؤلاء فى حاجة إلى من يقوى عزيمتهم، ويثير حماستهم من هذا المال[٢]، كما أن عمر كان يرى أن ضعفة المهاجرين أحق بالمال من غيرهم، فعندما اعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد قال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس[٣]، و لا شك أن عمر وخالدا مجتهدان فيما ذهبا إليه ولكن عمر أدرك أمورا لم يدركها خالد رضى الله عنهما[٤].

- اختلاف منهج عمر عن منهج خالد فى السياسة العامة:

فقد كان عمر يصر على أن يستأذن الولاة منه فى كل صغيرة وكبيرة، بينما يرى خالد أن من حقه أن يُعطى الحرية كاملة من غير الرجوع لأحد فى الميدان الجهادى وتطلق يده فى كل التصرفات إيمانا منه بأن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب[٥].

ولعل من الأسباب أيضا، إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات حتى تتوافر فى المسلمين نماذج كثيرة من أمثال خالد والمثنى وعمرو بن العاص، ثم ليدرك الناس أن النصر ليس رهنا برجل واحد[٦]، مهما كان هذا الرجل.

- موقف المجتمع الإسلامى من قرار العزل:

تلقى المجتمع الإسلامى قرار العزل بالتسليم لحق الخليفة فى التولية والعزل، فلم يخرج

---

(١) حروب الإسلام فى الشام، باشميل ص(٥٦٦).

(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص(١٣٤).

(٣) البداية والنهاية (٧/١١٥).

(٤) التاريخ الإسلامى (١١/١٤٧).

(٥) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوى ص(١٩٦).

(٦) أخطاء يجب أن تمحى من التاريخ ص(١٣٤).

أحد عن مقتضى النظام والطاعة والإقرار للخلافة بحقها فى التولية والعزل، وقد روى أن عمر خرج فى جوف الليل فلقى علقمة بن علاثة الكلابى، وكان عمر يشبه خالدا إلى حد عجيب، فحسبه علقمة خالدا، فقال: يا خالد عزلك هذا الرجل، لقد أبى إلا شحا حتى لقد جئت إليه وابن عم لى نسأله شيئا، فأما إذا فعل فلن أسأله شيئًا، فقال له عمر يستدرجه ليعلم ما يخفيه: هيه! فما عندك؟ قال: هم قوم لهم علينا حق فنؤدى لهم حقهم، وأجرنا على الله، فلما أصبحوا قال عمر لخالد وعلقمة مشاهد لهما: ماذا قال لك علقمة منذ الليلة؟ قال خالد: والله ما قال شيئًا، قال عمر: وتحلف أيضا؟ فاستثار ذلك علقمة وهو يظن أنه ما كلم البارحة إلا خالدا، فظل يقول: مه يا خالد؛ فأجاز عمر علقمة وقضى حاجته، وقال: لأن يكون من ورائى على مثل رأيك يعنى حرصه على الطاعة لولى الأمر وإن خالفه أحب إلى من كذا وكذا[١]، وهذا وقد جاء اعتراض من أبى عمرو بن حفص بن المغيرة ابن عم خالد بن الوليد بالجابية، فعندما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس: وإنى أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إنى أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمرت أبا عبيدة بن الجراح. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله ﷺ وغمدت سيفا سله رسول الله ﷺ، ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم. فقال عمر ابن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب فى ابن عمك[٢]، وهكذا اتسع صدر الفاروق لابن عم خالد بن الوليد، وهو يذب عن خالد حتى وصل دفاعه إلى دعوى اتهامه للفاروق بالحسد، ومع ذلك ظل الفاروق حليما[٣].

٤- وفاة خالد بن الوليد وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت:

دخل أبو الدرداء على خالد فى مرض موته، فقال له خالد: يا أبا الدرداء، لئن مات عمر، لترين أمورا تنكرها. فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرى ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه فى نفسى فى أمور، لما تدبرتها فى مرضى هذا وحضرنى من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه فى نفسى حين بعث من

---

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص(١٥١).

(٢) النسائى (٨٢٨٣) خبر صحيح فى سننه الكبرى، محض الصواب (٢/٤٩٦) إسناده صحيح.

(٣) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص(٢١٩).

يقاسمني مالي، حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة، وممن شهد بدرا، وكان يغلظ عليَّ، وكانت غلظته على غيري نحوا من غلظته عليَّ، وكنت أدل عليه بقرابته، فرأيته لا يبالي قريبا، ولا لوم لائم في غير الله، فذلك الذي ذهب عني ما كنت أجد عليه، وكان يكثر علي عنده، وما كان ذلك إلا على النظر: فقد كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهدا وكان غائبا، فكنت أعطي على ذلك، فخالفه ذلك في أمري[1]، ولما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال: ما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، بتها وأنا متترس والسماء تنهل عليَّ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء، لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي[2]، وأوصى خالد أن يقوم عمر على وصيته وقد جاء فيها: وقد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب، فبكى عمر رضي الله عنه فقال له طلحة بن عبيد الله: إنك وإياه كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي[3]

فبد حزن عليه الفاروق حزنا شديدا، وبكته بنات عمه، فقيل لعمر أن ينهاهن، فقال: دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة، على مثل أبي سليمان تبكي البواكي[4].

وقال عنه: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق، وليته بقي ما بقي في الحمى حجر، كان والله سدادا لنحور العدو، ميمون النقيبة[5]، وعندما دخل على الفاروق هشام بن البختري في ناس من بني مخزوم، وكان هشام شاعرا، فقال له عمر: أنشدني ما قلت في خالد، فلما أنشده قال له: قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله، إن كان ليحب

---

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون (٣٤٩)، الخلافة والخلفاء ص(١٩٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٢)، الطريق إلى المدائن ص (٣٦٧).

(٣) الفاروق عمر ص(٢٨٧).

(٤) الطريق إلى المدائن ص(٣٦٦).

(٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص(٣٤٨).

أن يذل الشرك وأهله، وإن كان الشامت به لمتعرضا لمقت الله ثم تمثل بقول الشاعر:

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تهيأ لأخرى مثلها فكان قد

فما عيش من قد عاش بعدى بنافعى ولا موت من قد مات بعدى بمخلدى

ثم قال: رحم الله أبا سليمان، ما عند الله خير له مما كان فيه، ولقد مات فقيدا وعاش حميدا[1]، ولقد رأيت الدهر ليس بقائل[2] هذا، وقد توفى ودفن بحمص ببلاد الشام عام ٢١هـ[3]، رحمه الله رحمة واسعة وأعلى ذكره فى المصلحين.

****

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق (٥/١١٦).

(٢) ليس بقائل: أى ليس بتارك أحدا يخلد فى هذه الدنيا، فهو من الإقالة فى المعنى، صادق عرجون ص(٣٤٨).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ١٣٠)، القيادة العسكرية ص(٥٨٩).

الفصل السادس

فتوحات العراق والمشرق في عهد عمر رضى الله عنه

المبحث الأول

المرحلة الثانية من فتوحات العراق والمشرق

تمثل الفتوحات في عهد الصديق رضى الله عنه في العراق بقيادة خالد بن الوليد، المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية التى انطلقت نحو المشرق، وقد تم تفصيلها في كتابى: أبو بكر الصديق رضى الله عنه شخصيته وعصره، وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه استكملت الخطة على مراحل هذه إحداها:

أولا: تأمير أبى عُبيد الثقفى على حرب العراق:

لما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق وحرضهم ورغبهم في الثواب على ذلك، فلم يقم أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم، ثم ندبهم في اليوم الثانى والثالث فلم يقم أحد، وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدى خالد من معظم أرض العراق، وما لهم هناك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد، فلم يقم أحد في اليوم الثالث، فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى ثم تتابع الناس في الإجابة[١]، وكان سليط بن قيس الأنصارى قد استجاب لنداء عمر بعد أبى عبيد الثقفى وقال: يا أمير المؤمنين إنما كان عن هؤلاء الفرس إلى وقتنا هذا شقشقة من شقاشق الشيطان، ألا وإنى قد وهبت نفسى لله أنا ومن أجابنى من بنى عمى ومن اتبعنى[٢]، فكان لكلام سليط هذا أثر قوى في تشجيع الناس ورفع معنوياتهم وزيادة رغبتهم في جهاد الفرس، وطالبوا الخليفة أن يولى عليهم رجلاً من المهاجرين أو الأنصار، فقال عمر: والله ما أجد لها أحق من الذين ندب الناس بدءاً، ولولا أن سليطًا عجولٌ في الحرب لأمرته عليكم ولكن أبو عبيد هو الأمير وسليط هو الوزير، فقال الناس: سمعًا وطاعة[٣]، وجاء

(١) البداية والنهاية (٧/٢٦).

(٢) الفتوح ابن أعثم (١/١٦٤) الأنصار في العصر الراشدى ص (٢١٦).

(٣) الأنصار في العصر الراشدى ص (٢١٦).

في رواية: وأمَّر على الجميع أبا عبيد ولم يكن صحابيًا، فقيل لعمر: هل أمرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أومر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذى استجاب قبلكم. ثم دعاه فوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرًا، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب[1]، وقد جاء فى وصايا عمر رضى الله عنه لأبى عبيد الثقفى ما يأتى: «اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم فى الأمر، ولا تجتهد مسرعًا، بل اتئد، فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث[2]، الذى يعرف الفرصة، ولا يمنعنى أن أؤمر سليطًا إلا سرعته إلى الحرب، والسرعة إلى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمَّرته[3]، ثم قال: إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية، تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعملوه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون؟ واحرز لسانك، ولا تفشين سرك، فإن صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكره، وإذا لم يضبطه كان بمضيعة[4]. ثم أمر المثنى بن حارثة أن يتقدم إلى أن يلحقه الجيش وأمره أن يستنفر[5]. من حسنت توبته من المرتدين، فسار مسرعًا حتى وصل الحيرة، وكان عمر رضى الله عنه يتابع جبهات العراق والفرس والشام ويمد الجيوش بالإمدادات ويرسل لهم التعليمات، والأوامر، ويضع الخطط للمعارك ويشرف بنفسه على تنفيذها.

سار المسلمون إلى أرض العراق وهم سبعة آلاف رجل، وكتب عمر إلى أبى عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة، وأرسل عمر، جرير بن عبد الله البجلى فى أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين فى ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى، بعدما قتلوا التى كانت قبلها أزرميدخت، وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له: رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك، وكان رستم هذا منجمًا

(١) البداية والنهاية (٧/٢٦).

(٢) المكيث: الرزين المتأنى.

(٣) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ص (٦٥)، الجبرية: التكبر.

(٤) المصدر نفسه ص (٦٥).

(٥) أن يستنفر: أن يطلب الإسراع فى الخروج لقتال العدو.

يعرف النجوم وعِلْمها جيداً فقيل له: ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف[1].

ثانيًا: وقعة النمارق، ومعركة السقاطية بكسكر ومعركة باروسما:

١ - وقعة النمارق ١٣ هـ:

وقد كانت هذه المعركة عقب وصول أبى عبيد وتولّيه قيادة الجيوش من العراق، وكأنما أراد منها الفرس أن يرهبوا أبا عبيد، أول من انتدب، حتى يقهروا فى نفسه إرادة الظفر ورغبة النصر، فأعدوا لها القوى الداخلية، وعبأوا الجند، ولقوا فيها المسلمين من خلفهم ومن بين أيديهم ومن أمامهم، وكتبوا إلى دهاقين السودان أن يثوروا بالمسلمين، ودسّوا فى كل رستاق رجلاً ليثور بأهله، فبعثوا جابان إلى الببهقباذ الأسفل، ونَرْسِى إلى كسكر، وجنداً ليواقعوا المثنى.. وبلغ المثنى ذلك، فضم إليه مسالحه وحَذِر وخرج الدهاقين وتوالوْا على الخروج، وثار أهل الرساتيق وتتابعوا على الثورة، ونزل أبو عبيد والمثنى بخفّان، وتعبّى ثم كان اللقاء فى النمارق.. وكان قتالاً شديداً هزم الله فيه أهل فارس وأُسر جابان القائد ومردانْشاه، وكان على المُجَنَّبة، وكانا معًا هما اللذين توليا أمر الثورة[2]، وكان الذى أسر جابان مطر بن فضة التميمى وهو لا يعرفه، فخدعه جابان حتى تفلّت منه بشىء فخلّى عنه، فأخذه المسلمون فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه قائد الفرس وأشاروا عليه بقتله فقال: إنى أخاف الله أن أقتله وقد أمنه رجل مسلم، والمسلمون فى التواد والتناصر كالجسد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم، فقالوا: إنه الملك يعنى القائد قال: وإن كان، لا أغدر، فتركه[3].

● وهذا الموقف من أبى عبيد الثقفى يعتبر مثالا على سماحة المسلمين ووفائهم بالعهود وإن أبرمها بعض أفرادها، ولا شك أن هذه الأخلاق العالية كان لها أثر كبير فى اجتذاب الناس إلى الدخول فى الإسلام، فحينما يتسامع الناس أن المسلمين أطلقوا أحد قادة الفرس الذين كانوا أسرع الناس فى عدائهم لمجرد أنه اتفق مع أحد المسلمين على الفداء، فإنهم ينجذبون إلى هذا الدين الذى أخرج هؤلاء الرجال.

● ولا ننسى موقف المثنى بن حارثة الرائع حيث سلّم الإمارة لأبى عبيد مع أنه يقدم

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧).

(٢) حركة الفتح الإسلامى، شكرى فيصل ص (٧٢).

(٣) الكامل فى التاريخ (٢/ ٨٧).

العراق لأول مرة، لأن أمير المؤمنين أمَّره عليه، فكان نعم القائد ونعم الجندى، وهذه من سجايا المثنى، فقد فعل ذلك مع خالد بن الوليد من قبل ولم يختلف عطاؤه للإسلام فى حالى القيادة والجندية، وهكذا يكون عظماء الرجال(١).

٢- معركة السّقّاطية بكَسْكَر:

ثم ركب أبو عبيد فى آثار من انهزم وقد لجأوا إلى مدينة كَسْكَر(٢)، وهى لابن خالة كسرى واسمه نَرْسى، فوازرهم نرسى على قتال أبى عبيد، فلقيهم أبو عبيد فى السقاطية(٣)، فقهرهم، وغنم منهم شيئًا كثيراً وأطعمات كثيرة جداً(٤)، وهرب نرسى وغلب المسلمون على عسكره وأرضه، ووجدوا فى خزائنه شيئًا عظيما، ولم يكونوا بشيء أفرح منهم بشجر النّرسيان، لأن (نَرْسى) كان يحميه ويمالئه عليهم ملوكهم فاقتسموه، فجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسه إلى عمر، وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا إنعام الله وإفضاله(٥).

وفى هذا الخبر إشارة إلى نوع من الأخلاق الرفيعة لدى المسلمين، حيث رفعوا من شأن الفلاحين المحرومين فأطعموهم من طعام ملوكهم، الذى كان محرمًا عليهم، فكأنهم بهذا يقولون لهم: تعالوا إلى هذا الدين العظيم الذى يرفع من شأنكم ويرد عليكم كرامتكم الإنسانية(٦).

وأقام أبو عبيد بكسكر وبعث قوات لمطاردة الفرس، وتأديب أهل القرى المجاورة الذين نقضوا العهد ومالأوا الفرس، ورجحت كفة المسلمين فى المنطقة، بعد هذا الانتصار جاء بعض الولاة يطلبون الصلح، وقدّم واليان منهم طعامًا خاصًا لأبى عبيد من فاخر أطعمتهم فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها، وقِرىً لك، قال: أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟ قالوا: لم يتيسر ونحن فاعلون، فقال أبو عبيد: فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند، وهابوا وخافوا على أنفسهم، فقال أبو عبيد: ألم أعلمكم أنى لست آكلاً إلا ما يسع من

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٣٤).

(٢) كسكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى، كورة بين الكوفة والبصرة.

(٣) السقاطية: ناحية كسكر من أرض واسط.

(٤، ٥) تاريخ الطبى (٤/٢٧٢).

(٦) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٣٥).

معى مّمن أُصبتم بهم، قالوا: لم يبق أحد إلا وقد أُتِيَ بشبعه من هذا فى رحالهم وأفضل، فلما علم قبل منهم، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافًا عليه يدعوهم إلى الطعام، وقد أصابوا من نُزُل فارس ولم يروا أنهم أتوا أبا عبيد بشىء فظّنوا أنهم يُدعون إلى مثل ما كانوا يُدعون إليه من غليظ عيش أبى عبيد، وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك، فقالوا له: قل للأمير، إنّا لا نشتهى شيئًا مع شىء أتتنا به الدهاقين، فأرسل إليهم: إنه طعام كثير من أطعمة الأعاجم، لتنظروا أين هو مما أتيتم به(١).

وهكذا أكل هذا الأمير الكريم المتواضع، بعد ما ردّ طعام الأعاجم مرتين، لما علم فى الثالثة أنهم أطعموا جميع الجند مثلما أطعموه وأفضل، ومع هذا لم يرض أن يأكل وحده حتى دعا أضيافه وألح عليهم، حتى بعد أن علم أنهم أصابوا من طعام الفرس، وعدّد لهم أصناف هذا الطعام ليرغبهم فى مشاركته، وهذا لون من الكرم الرفيع، والكرم من أهم عناصر الزعامة، وإن هذه المواقف ترشدنا إلى مقدار ما بلغ إليه الصحابة رضى الله عنهم والتابعون لهم بإحسان من الرقى الأخلاقى والتقدم الحضارى(٢).

٣ - معركة باروسما سنة ١٣ هـ:

ثم التقوا بمكان بين كسكر والسقاطية يقال له: باروسما، وعلى ميمنة نرسى وميسرته ابنا خاله، بندويه وبيرويه، وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالينوس، فلما بلغ أبا عبيد ذلك أعجل نرسى بالقتال قبل وصولهم، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الفرس وهرب نرسى، فبعث أبو عبيد، المثنى بن حارثة وسرايا أخر إلى متاخم تلك الناحية كنهر جور ونحوها، ففتحها صلحا وقهرا، وضربوا الجزية والخراج وغنموا الأموال الجزيلة، ولله الحمد، وكسروا الجالينوس الذى جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وفر هاربا إلى قومه حقيرا ذليلا(٣).

وهكذا تم القضاء على ثلاثة جيوش للفرس فى مدة وجيزة، وكان بإمكان الفرس أن يوحدوا هذه الجيوش وأن يأتوا المسلمين من أمامهم وخلفهم وعن يمينهم وشمالهم، لكثرة عددهم، ولكن الله أعمى بصائرهم وكانوا لشدة خوفهم من المسلمين يتمنى كل قائد أن يكفيه الآخر مهمة المواجهة وإضعاف المسلمين ليظفر بالنصر عليهم بعد ذلك،

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٣٦).

(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية د. محمد صامل السلمى ص (٨٩).

وقد أفاد المسلمين سرعة تحركهم وبطء حركة جيوش الأعداء(١).

ثالثًا: وقعة جسر أبي عبيد ١٣ هـ:

لما رجع الجالينوس هاربًا مما لقي من المسلمين تذامرت الفرس بينهم واجتمعوا على رستم فأرسل جيشًا كثيفًا عليهم ذا الحاجب بهمن جاذويه، وأعطاه راية كسرى وتسمى دِرَفْش كابيان (الراية العظمى) وكانت الفرس تتيمَّن بها، وكانت من جلود النمور وعرضها ثماني أذرع في طول اثنتي عشر ذراعًا، فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر، فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد: مرهم فليعبروا هم إلينا، فقال: ما هم بأجرأ على الموت منا، ثم اقتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله، والمسلمون في نحو عشرة آلاف، وقد جاءت الفرس معهم بأفْيِلَة كثيرة عليها الجلاجل لتذعر خيول المسلمين، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التي عليها ولا يثبت منها إلا القليل على قَسْر، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفِيلة، ورشقتهم الفرس بالنبل فنالوا منهم خلقا كثيراً، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف(٢)، وقد جفلت خيول المسلمين من أصوات الأجراس المعلقة بالفيلة، وصار المسلمون لا يستطيعون الوصول إليهم والفيلة تجوس خلالهم، فترجل أبو عبيد وترجل الناس معه، وتصافحوا معهم بالسيوف، وفقد المسلمون خيلهم فأصبحوا رجَّالة يقاومون سلاح الفيلة والفرسان والمشاة من الفرس، إلى جانب الرماة الذين أضرُّوا بالمسلمين وهم يدفعون بخيولهم نحوهم فلا تندفع، فكان موقفًا صعبًا أظهر المسلمون فيه من البسالة والتضحية ما يندر أن يوجد له مثيل في التاريخ، وصمدوا للفرس رغم تفوقهم عليهم في كل وسائل القتال، وكانت الفيلة أشد سلاح واجهه المسلمون فقد كانت تهدُّ صفوفهم، فناداهم أبو عبيد بأن يجتمعوا على الفيلة ويقطعوا أحزمتها ويقلبوا عنها أهلها، وبدأ هو بالفيل الأبيض فتعلق بحزامه وقطعه ووقع الذين عليهم، وفعل المسلمون مثل ذلك، فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه، ولكن الفيلة استمرت في الهجوم لأنها كانت مدربة، فرأى أبو عبيد أن يتخلص منها، فسأل عن مقاتلها، فقيل له: إنها إذا قطعت مشافرها تموت، فهجم على

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/٣٣٧).

(٢) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٩٠).

الفيل الأبيض، ونفح خرطومه بالسيف فاتقاه الفيل بيده وأطاح به ثم داسه بأقدامه، وأخذ الراية أخوه الحكم بن مسعود فقاتل الفيل حتى أزاحه عن أبى عبيد ولكن وقع له ما وقع لأبى عبيد، فقد أراد الحكم قتله، فألقاه بيده، ثم داسه بأقدامه، وانتقلت راية المسلمين إلى الذين سماهم أبو عبيد، ومنهم أبناؤه الثلاثة وهب ومالك وجبر، إلى أن قتلوا جميعا فانتقلت القيادة للمثنى بن حارثة مع آخر النهار، وكان بعض المسلمين قد عبروا الجسر منسحبين، واستمر الانسحاب من الميدان، فلما رأى ذلك عبدالله بن مرثد الثقفى بادر وقطع الجسر، وقال: موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا، وحاول منع الناس من العبور فأتوا به إلى المثنى فضربه من شدة غضبه من صنيعه وقال: ما حملك على الذى صنعت؟ قال: ليقاتلوا، وقد كان اجتهاده فى غير موضعه لأن قطع الجسر أدى إلى وقوع بعض المسلمين فى النهر وغرقوا بسبب شدة الضغط من الفرس، فكانت الفكرة المناسبة أن يحافظ المسلمون على بقيتهم بالانسحاب إن استطاعوا ذلك، وهذا هو ما قام به المثنى حيث أمر بعقد الجسر ووقف هو ومن معه من أبطال المسلمين فحموا ظهور المسلمين حتى عبروا وقال المثنى: أيها الناس إنا دونكم فاعبروا على هينتكم - يعنى على مهلكم - ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرقوا أنفسكم، وكان المثنى ومن معه من الأبطال من أمثال عاصم بن عمرو والكلج الضبى هم آخر من عبر، وقد كان بهمن جاذويه حاول أن يجهز على بقية المسلمين ولكنه لم يستطع وفوت عليه هذه الفرصة المثنى حينما تولى قيادة هذا الانسحاب المنظم، ولا شك أن هؤلاء الأبطال الذى حموا ظهور المسلمين حتى انسحبوا قد بذلوا جهودا جبارة فى الصمود أمام الأعداء لقد انسحب خمسة آلاف من المسلمين وخلفوا وراءهم أربعة آلاف من الشهداء منهم عدد كبيز من الصحابة رضى الله عنهم خاصة الذين رافقوا أبا عبيد من المدينة، وقد عاد ألفان ممن انسحبوا إلى المدينة وغيرها ولم يبق مع المثنى غير ثلاثة آلاف، أما الفرس فقد قتل منهم ستة آلاف بالرغم من الوضع السيىء الذى كان فيه المسلمون مما يدل على بسالتهم وقوة احتمالهم[١].

أهم الدروس والعبر والفوائد من معركة جسر أبى عبيد:

أ - رؤية صادقة:

كانت دومة امرأة أبى عبيد قد رأت رؤيا أن رجلا نزل من السماء بإناء فيه شراب

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٧٩)، التاريخ الإسلامى (١٠/ ٢٤١).

فشرب أبو عبيد وابنه جبر فى ناس من أهله فأخبرت بها أبا عبيد فقال: هذه الشهادة، وعهد أبو عبيد إلى الناس فقال: إن قتلت فعلى الناس فلان حتى عد سبعة من ثقيف من أقاربه الذين ذكرتهم امرأته فى الرؤيا، فإن قتل آخرهم فالقيادة للمثنى به حارثة[1].

ب - غلطتان سببتا الهزيمة:

● مخالفة أبى عبيد لمن معه من أركان الجيش ووجوهه، لقد نهوه عن العبور فلم ينته، واستقل برأيه، لقد عبر أبو عبيد الجسر بشجاعة وإقدام وحب للشهادة، لكنه لم يحسب للمعركة حسابها الكامل، ولم يدرس أرض المعركة بشكل كاف[2]، ولقد أفلت من يد أبى عبيد عنصر الأمن بانحصاره فى مكان ضيق المخرج وكأنه وضع جيشه فى مصيدة دون عذر مقبول، وأفلت من يده عنصر التعاون بين الأسلحة المختلفة بخروج سلاح الفرسان من المعركة، فصارت قواته مشاة دون فرسان وكان عليهم أن يواجهوا مشاة الفرس وفرسانهم وأفيالهم، وفقدت المعركة كفاءة القيادة حتى تولاها المثنى أخيرا بعد سبعة سبقوه، وكما فقد ذلك فقد أيضا عنصر الحشد بسبب ضيق المكان إذ لا فائدة من أعداد الجند إذا لم تسعفها طوبوغرافية الأرض، كما أنه فقد حسن اختيار الهدف وما يتفرع عنه من اختيار الأرض واختيار طريق الوصول إليه وطريق ضربه وما إلى ذلك، فوته على نفسه، بل أتاح لعدوه أن يفرضه عليه[3].

● والذى زاد غلطة أبى عبيد فداحة، غلطة زادت الغلطة الأولى أثرا وخسارة وفاجعة، إنها غلطة عبدالله بن مرثد الثقفى عندما قطع الجسر، كى لا يرتد أحد من المسلمين ولولا الله ثم ثبات المثنى بن حارثة ومن معه لهلك المسلمون عن آخرهم[4].

جـ - قيمة القيادة الميدانية:

إن معركة الجسر أثبتت أهمية القيادة الميدانية المتمثلة فى المثنى وأركان قيادته الذين معه، فعندما تنزل المحن بالجيوش يخرج القادة الذين يستطيعون أن يخرجوا بجيوشهم من تلك المحن[5]، فقد تولى المثنى مع مساعديه من الأبطال حماية الجيش الإسلامى، فكان

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٧٧).

(٢) عوامل النصر والهزيمة ص (٥٥).

(٣) الطريق إلى المدائن ص (٤١٤).

(٤) عوامل النصر والهزيمة ص (٥٥).

(٥) الطريق إلى المدائن ص (٤١٤).

آخر من عبر الجسر، وهذ لون رفيع من ألوان التضحية والفداء[1].

د - المثنى يقوم برفع الروح المعنوية لجيشه:

انسحب المثنى بأربعة آلاف جندى من أصل عشرة آلاف وقام بمطاردته قائدان فارسيان هما: (جابان) و(مردنشاه) باتجاه أليس (السماواة)، وجرهما المثنى وراءه مسافة حتى توغلا ولم يشأ أن يبدأ حملة مضادة إلا بعد مرحلة من الانسحاب وعند بلوغه السماواة شن هجوماً صاعقًا بالخيالة التى قادها بنفسه، فانزل بهما هزيمة عجيبة، ويبدو أن هول المفاجاة وعدم تصورهما أن إنسانًا قد أبيد معظم جيشه، يمكن أن يكون له مثل هذا العزم الذى يفل الحديد، ومن شدة ذهول القطعات الفارسية أنزلت بها خسائر كبيرة بحيث تمكن المثنى من أسر القائدين جابان ومردنشاه وأعدمهما المثنى، فكان لهذا النصر أثر كبير فى تقوية معنويات البقية الباقية من الجيش، ورفعت الموقعة معنويات سكان المنطقة، ورفعت قيمة المثنى فى نظر جنوده والقبائل المجاورة[2].

هـ - كلما وقع المسلمون الصادقون فى مأزق حرج قيض الله لهم الأسباب التى تخرجهم من ذلك الحرج:

بقى المثنى فى العراق فى عدد قليل لا يكفى حتى للاحتفاظ بالممالك التى استولى عليها المسلمون، ولقد كان بإمكان الفرس أن يلاحقوا بقية الجيش الإسلامى حتى يخرجوهم من العراق، وسيجدون ممن بقى على الولاء لهم من العرب من يتولى مطاردتهم فى الصحراء، ولكن الله تعالى مع هذه الفئة المؤمنة ومع المؤمنين فى كل مكان، فكلما وقع المسلمون الصادقون فى مأزق حرج قيض الله لهم الأسباب للخروج منه، فقد قيض المولى عز وجل أمرا صدهم عن المسلمين حيث انقسموا إلى قسمين، قسم مع رستم وقسم مع فيرزان، وأتى الخبر إلى قائد الفرس بهمن جاذويه، فأسرع بالعودة إلى المدائن، وكان ممن ينظر إليه فى أمور سياستهم، وهكذا كفى الله المؤمنين القتال وأنقذهم من هذا المأزق الحرج وأخذوا فرصة كافية لتلقِّى الجيوش القادمة من دار الخلافة حتى تقوَّوا وتكون لديهم جيش كبير[3].

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٠ / ٣٤٣).

(٢) الحرب النفسية د. أحمد نوفل (٢/ ١٦٧).

(٣) التاريخ الإسلامى (١٠ / ٣٤٥، ٣٤٦).

و - موقف عمر رضى الله عنه عندما تلقى خبر الهزيمة:

بعث المثنى بن حارثة بأخبار المعركة إلى الخليفة عمر رضى الله عنه مع عبدالله بن زيد الأنصارى، فقدم على عمر وهو على المنبر فقال: ما عندك يا عبدالله بن زيد؟ قال: أتاك الخبر يا أمير المؤمنين، فلما انتهى إليه أخبره خبر الناس سرا(١)، فما سمع لرجل حضر أمرا تحدث عنه أثبت خبرا منه(٢)، وقد تأثر عمر ومن حوله من الصحابة لمصاب الجيش الإسلامى فى هذه المعركة وقال: اللهم كل مسلم فى حل منى، أنا فئة كل مسلم، من لقى العدو ففظع بشىء من أمره فأنا له فئة، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إلىَّ لكنت له فئة(٣).

وهذا الموقف يدل على أن عمر وهو الرجل القوى الحازم يلين ويواسى فى مقام الرحمة والعطف(٤).

رابعًا: وقعة البويب ١٣ هـ:

قام الفاروق بحشد الناس واستنفارهم، وبذلك أرسل الإمدادات إلى جيش الإسلام فى العراق فكان منهم جرير بن عبدالله البجلى فى قومه، وحنظلة بن الربيع، وأرسل هلال بن علقمة مع طائفة الرباب ومجموعة من قبائل خثعم بقيادة عبدالله بن ذى السهمين فأرسلهما أيضا إلى العراق لمد جند الإسلام، وجاء كل من عمر بن ربعى بن حنظلة فى قومه وربعى بن عامر بن خالد إلى الخليفة فأمد بهم كذلك جند العراق، وهكذا أخذت أرتال الدعم والإمداد تسير نحو العراق بدون انقطاع، وفى الوقت ذاته أرسل المثنى بن حارثة الشيبانى إلى من فى العراق من أمراء المسلمين يستحثهم فبعثوا إليه بالإمداد حتى كثر جيشه(٥).

ولما علم قادة الفرس باجتماع جيش كبير عند المثنى بعثوا مهران الهمذانى بجيش من الفرسان لمواجهة جيش المثنى، ولما علم المثنى بذلك كتب إلى من يصل إليه من الإمداد أن يوافوه بالبويب، وعلى رأس هؤلاء جرير بن عبدالله حيث كتب إليه المثنى يقول: إنا

---

(١) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢١٧).

(٢) المصدر نفسه ص (٢١٨).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٧٩).

(٤) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٤٧).

(٥) العمليات التعرضية الدفاعية، نهاد عباس ص (١١٥).

جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا، فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب، فاجتمعوا بالبويب وليس بينهم وبين جيش الفرس إلا النهر، فأقام المثنى حتى كتب له مهران: إما أن تعبروا إلينا أو أن نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا، فعبر مهران بجيشه، وكان ذلك في شهر رمضان من العام الثالث عشر للهجرة، فقام المثنى خطيبا وقال للمسلمين: إنكم صوام والصوم مَرَقّة ومضعفة وإني أرى من الرأى أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم، قالوا: نعم فأفطروا، وكان المثنى قد عبأ جيشه وسار فيهم يحثهم على القتال، ويقول لأهل كل راية: إني لأرجو أن لا تؤتى العرب من قبلكم، والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم. قال الرواة: وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلط الناس في المكروه والمحبوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولا ولا عملا(١).

وهذا دليل على حسن قيادته وسعة حكمته، حتى أصبح أفراد الجيش مطيعين له عن حب وقناعة، ولما رضي المثنى عن استعداد جيشه قال: إني مكبر ثلاثا فتهيأوا ثم احملوا مع الرابعة، فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكبيرة، وليس من عادة الفرس هذا الاندفاع، ولكن لعل ما حصلوا عليه في معركة الجسر من إصابة المسلمين خفف مما وقر في نفوسهم من هيبة المسلمين والرعب منهم، وهكذا بدأ الفرس بالهجوم وقد صمد لهم المسلمون واستمروا معهم في صراع شديد، والمثنى إلى جانب اشتراكه في القتال يراقب جيشه بدقة حتى إنه رأى خللا في بعض صفوفه فأرسل إليهم رجلا وقال: إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لاتفضحوا المسلمين اليوم، فقالوا: نعم واعتدلوا(٢)، فلما طال القتال واشتد، قال المثنى لأنس بن هلال: يا أنس إذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي، وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك فأجابه، ثم حمل المثنى على مهران، فأزاله حتى أدخله في ميمنته واستمر المثنى يضغط على عدوه، فخالطوهم، واجتمع القلبان، وارتفع الغبار، والمجنبات تقتتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم لا المشركون ولا المسلمون، وقال مسعود بن حارثة قائد مشاة المسلمين لجنده: إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، الزموا مصافكم وأغنوا غناء من يليكم(٣)، وأصيب مسعود وقواد من

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٨٧).

(٢، ٣) المصدر نفسه (٤/ ٢٨٨).

المسلمين، ورأى مسعود تضعضع من معه لإصابته وهو ضعيف قد ثقل من الجراح فقال: يا معسكر بكر بن وائل ارفعوا راياتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرعى، ويدرك المثنى مصرع أخيه فيخاطب الناس بقوله: يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخى فإن مصارع خياركم هكذا، وقاتل أنس بن هلال النميرى حتى أصيب فحمله المثنى وحمل أخاه مسعودا وضمهما إليه، والقتال محتدم على طوال الجبهة، ولكن القلب بدأ ينبعج فى غير صالح الفرس، وأوجع قلب المسلمين فى قلب المجوس، وقد دق فيه المثنى إسفينه، وكان فيمن تقدم فى القلب جرير بن عبدالله ومعه بجير وابن الهوبر والمنذر بن حسان فيمن معهما من ضبة، وقاتل قرط بن جماح العبدى حتى تكسرت فى يده رماح وتكسرت أسياف، وقتل شهر براز من دهاقين الفرس وقائد فرسانهم فى المعركة، واستمر القتال حتى أفنى المسلمون قلب المشركين وأوغلوا فيه[1]، ووقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسفر الغبار، وقد فنى قلب المشركين وقتل قائدهم مهران والمجنبات قد هز بعضها بعضا، فلما رآه المسلمون وقد أزال القلب وأفنى أهله قويت مجنباتهم على المشركين، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم، وجعل المثنى والمسلمون فى القلب يدعون لهم بالنصر، وأرسل إليهم من يقول لهم: عاداتكم فى أمثالكم، انصروا الله ينصركم، حتى هزموا القوم، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم وقطعه، وأخذ الأعاجم، فافترقوا بشاطىء الفرات، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم، ثم جعلوا جثثهم أكواما من كثرتها، حتى ذكر بعض الرواة أن قتلاهم بلغوا مائة ألف[2].

١ - مؤتمر حربى بعد المعركة:

سكن القتال ونظر المثنى والمسلمون إلى عشرات الألوف من الجثث وقد غطت الأرض دماؤها وأشلاؤها، ثم جلس مع الجيش يحدثهم ويحدثونه ويسألهم عما فعلوا، وكلما جاء رجل قال له المثنى: أخبرنى عنك فيروون له أحاديث تصور لقطات من المعركة وقد قال المثنى: قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشد على من ألف من العجم، إن الله أذهب مصدوقتهم، ووهن كيدهم، فلا يروعنكم زهاء ترونه - يعنى هيئتهم - ولا سواد - يعنى كثرتهم - ولا قسى فج - يعنى قد باتت أوتارها - ولا ينال طوال إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت[3].

---

(١) الطريق إلى المدائن ص (٤٣٣، ٤٣٤)، الطبرى (٤/ ٢٨٩).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٤٩)، تاريخ الطبرى (٤/ ٢٨٩).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩٠).

وإن هذا القول فى ذلك الوقت مناسب تماما، حيث عرض المثنى خبرته الجيدة فى حربه مع الفرس، فى الوقت الذى دخل فى حروب العراق أعداد كبيرة من المسلمين، يشاركون فى حرب الفرس لأول مرة، فجمع المثنى لهم بذلك بين المشاهدة فى معركة من المعارك وبين وصف تجاربه فى كل المعارك التى خاضها معهم قبل ذلك[١].

٢ - ندم المثنى فى قطعه خط الرجعة على الفرس:

وقد ندم المثنى على قطعة خط الرجعة على الفرس، وأخذه بالجسر من خلفهم فقال: لقد عجزت عجزة وقى الله شرها لمسابقتى إياها إلى الجسر، وقطعه حتى أحرجهم فإنى عائد، فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس، فإنها كانت منى زلة لا ينبغى إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع[٢]، فقد أبان المثنى فى آخر هذا الكلام وجه الخطأ فى هذه الخطة حيث قد لاحظ ببصيرته الحربية النافذة أن فى منع الأعداء من الفرار إلجاء لهم إلى الاستماتة فى القتال دفاعا عن أنفسهم، فإنه حينما يشعر الإنسان بأنه مقتول يبذل كل طاقته فى الدفاع عن نفسه، وهذا يكلف الجيش المقابل جهودا ضخمة فى محاولة القضاء عليه، ولكن الله تعالى وقى المسلمين شر هذه الخطة كما ذكر المثنى حيث ثبت المسلمين فكانت قوتهم أعلى بكثير من احتمال الأعداء وطاقتهم، وألقى الله تعالى الرعب فى قلوب الأعداء حتى فقدوا الطاقة والمقدرة على الدفاع عن النفس[٣]، وإن فى اعتراف المثنى بهذا الخطأ، وهو الرجل الذى بلغ فى هذه المعركة أوج النصر والشهرة لدليلا على قوة إيمانه، وتجرده من حظ النفس، وإيثاره مصلحة الجماعة وهكذا يكون العظماء[٤].

٣ - علم النفس العسكرى عند المثنى:

إلى جانب ما ظهر لنا من عبقريات المثنى، فقد شملت عبقريته عمقا آخر يتصل بالحرب، وهو علم النفس العسكرى، والتعامل مع إخوان الجهاد وزملاء السلاح، إنا لنجد روحا من المحبة فياضة تربط المثنى بمن معه، تشير إلى جانب عاطفى نحوهم، ويبرز هذا فى أحاديثه لهم وفى كلامهم عنه، نرى هذا فى طوافه بفرسه الشموس على راياتهم راية راية، يحمسهم ويعطيهم توجيهاته، ويحرك مشاعرهم بأحسن ما فيهم ويقول لهم:

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٥٢).
(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩١).
(٣) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٥٠).
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٥).

والله ما يسرني اليوم لنفسى شيء إلا وهو يسرني لعامتكم[1]، فيجيبونه بمثل ذلك، يقول الرواة: فلم يستطيع أحد أن يعيب له قولا ولا عملا[2]. وعندما رأى صفوف العجم تهجم وقد علت صيحاتهم، يدرك ما لهذا من أثر في قتال الالتحام، لا سيما وذكرى معركة جسر أبي عبيد ماثلة في الأذهان، فقال كلمة هادئة تساعد على الثبات وتدخل على النفوس لتبطل أثر تلك الهيعات، فقال في هدوء يدعو إلى الإعجاب: إن الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت وائتمروا همسا[3]، وعندما أصيب أخوه مسعود إصابة قاتلة قال مقالة تستحق أن تكتب بماء الذهب، وبحروف من نور: يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخي، فإن مصارع خياركم هكذا[4]، ولا يقل عن هذا قول أخيه نفسه وهو يجود بالنفس مستبشرا بالشهادة: ارفعوا راياتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرعى، وعندما قام المثنى بالصلاة على أخيه وبعض الشهداء قال: والله إنه ليهون على وجدى أن شهدوا البويب، أقدموا وصبروا، ولم يجزعوا، ولم ينكلوا، وإن كان فى الشهادة كفارة لتجوز الذنوب[5]. وكما كان المثنى محبا لجنده عطوفا عليهم، متفقدا لجميع أحوالهم، فقد كان فى نفس الوقت حازما حاسما، آخذا بما يطلق عليه العسكريون المحدثون (الضبط والربط)[6]، فعندما أبصر رجلا فى الصف يستوفز[7] ويستنتل[8]، من الصف فقال المثنى: ما بال هذا؟ قالوا: هو ممن فر من الزحف يوم الجسر، وهو يريد أن يستقتل، فقرعه بالرمح، وقال: لا أبا لك، الزم موقفك، فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ولا تستقتل، قال: إنى بذلك لجدير، فاستقر ولزم الصف[9]، وكما كان المثنى متعاطفا مع جيشه، فلقد كان الشعور متبادلا تماما، ونرى ذلك جليا فى شعر المعركة الذى جرى على ألسنة جنودها فهذا الأعور الشنى يقول:

هاجت لأعور دار الحى أحزانا   واستبدلت بعد عبدالقيس خفانا

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٧٨)، الطريق إلى المدائن ص (٤٤٦).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٨٧).

(٣، ٤) الطريق إلى المدائن ص (٤٤٦).

(٥) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩١).

(٦) الطريق إلى المدائن ص (٤٤٧).

(٧) استوفز: تهيأ.

(٨) يستنتل: يتقدم.

(٩) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٨٣).

وقد أرانا بها والشمل مجتمع	إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا
أزمان سار المثنى بالخيول لهم	فقتل الزحف من فرس وجيلانا[١]
سما لمهران والجيش الذى معه	حتى أبادهم مثنى ووحدانا
ما أن رأينا أميرا بالعراق مضى	مثل المثنى الذى من آل شيبانا
إن المثنى الأمير القرم لا كذب	فى الحرب أشجع من ليث بخفانا[٢]

فصاحب هذه الأبيات يفضل المثنى صراحة على خالد بن الوليد وعلى أبى عبيد الثقفى، ولقد كان الأعور من عبد قيس فهو لم يكن من بنى شيبان ولا من بكر بن وائل حتى يقال إنه متعصب لقومه[٣].

إن المثنى بن حارثة كان قائدا عميقا فى علم النفس العسكرى، قبل أن يخط أى أستاذ متخصص حرفا فى هذا العلم بقرون[٤].

٤ - موقف لنساء المجاهدين:

إن من المواقف التى ينبغى الإشارة إليها، ما كان من نساء المسلمين، لما أرسل إليهم قادة المسلمين بعض ما أصابوا من الطعام، وقد أرسلوه مع أحد زعماء النصارى من العرب وهو عمرو بن عبدالمسيح بن بقيلة فى رجال معه، فلما رأتهم النساء تصايحن وحسبنها غارة فقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد، فقال عمرو بن عبدالمسيح: هكذا ينبغى لنساء هذا الجيش، وبشروهن بالفتح[٥].

وإن هذا الموقف ليدل على حسن التربية الإسلامية، وإبراز شخصية المسلم حتى لدى النساء، فإنهن قد تدربن على حماية الموقف فيما إذا خلا من الرجال، هذا وقد أطلق هذا النصر الحاسم يد المسلمين فى العراق فيما بين النهرين، وأرسل المثنى قواده يخضعون البلاد لسلطان المسلمين،ويتقوون بما يفىء الله عليهم من الغنائم على جهاد عدوهم[٦].

---

(١) جيلان: اسم لبلاد كثيرة وراء طبرستان.

(٢) الطريق إلى المدائن ص (٤٤٠)، وبعضها تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩٣).

(٣) الطريق إلى المدائن ص (٤٤٧).

(٤) المصدر نفسه ص (٤٤٨).

(٥) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٥٢)، تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩٢).

(٦) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٥٢).

٥ - مطاردة فلول المنهزمين :

لم يقعد إغراء النصر بالمثنى عن غايته، فقد ندب الناس إثر المعركة وراء الجيش المنهزم، وسألهم أن يتبعوهم إلى السيب، فخرج المسلمون خلف فلول المنهزمين، وكان من ضمنهم من جحضر معركة جسر أبى عبيد، فأصابوا غنمًا كثيراً وأغاروا حتى بلغوا ساباط، ثم انكفأوا راجعين إلى المثنى، وتبدو قيمة معركة البويب، لا فى استصلاح الأثر النفسى الذى كان بعد هزيمة الجسر، بل إن المسلمين أضحوا قادرين على السواد كله، فقد كانوا يحاربون من قبل لا يجتازون الفرات ثم حاربوا فيما بين الفرات ودجلة، أما بعد البويب فقد استمكنوا من كل هذه المنطقة التى تمتد بين الفرات ودجلة، فمخروها لا يخافون كيداً ولا يلقون فيها مانعًا(١)، وكانت غزوة البويب نظير اليرموك بالشام(٢).

خامسًا : عمليات الأسواق :

استقام الأمر للمسلمين بعد معركة البويب، وانقاد لهم السواد وأخذ المثنى يجول هنا وهناك؛ وزّع القواد وأذكى المسالح، وأغار على تجمعات الفرس والعرب وكان من هذه الغارات غارته على الخنافس، وهى سوق يتوافى إليها الناس، ويجتمع بها ربيعة ومضر يخفرونهم، فأغار عليها وانتسف السوق وما فيها وسلب الخضراء(٣)، ثم سار مسرعا حتى طرق دهاقين الأنبار فى أول النهار من نفس اليوم وهو يقول :

صبحنا بالخنافس جمع بكر ... وحيا من قضاعة غير مِيلِ

بفتيان الوغى من كل حىٍّ ... تبارى فى الحوادث كل جيل

أبحنا دارهم والخيل تُرْدى ... بكل سَميْدَعٍ سامى التليل

نسفنا سوقهم والخيل رود ... من التطواف والشر البخيل(٤)

واستعان بدهاقى الأنبار وأخذ منهم أدلاء ورتب خطة لكسح سوق بغداد، وعبر دجلة وطلع على بغداد وسوقها مع أول ضوء النهار، فوضع فيهم السيف وقتل منهم وأخذ أصحابه ما شاءوا، وكان أمر المثنى لهم : لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ولا تأخذوا

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٢٩٣).

(٢) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية خلافة عمر ص (٩٣).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/٢٩٦).

(٤) المراد من البيت أنهم شنوا الغارة على مهل.

من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته[١]، وهرب أهل الأسواق وملأ المسلمون أيديهم من الذهب والفضة والحُرُّ من كل شيء، ثم كروا راجعين حتى إذا كانوا بنهر السبلحين[٢]، على حوالى خمسة وثلاثين كيلو متراً من بغداد نزل وقال: أيها الناس انزلوا وقَضُّوا أوطاركم وتأهبوا للسير واحمدوا الله وسلوه العافية ثم انكشفوا قبيضاً[٣]، ففعلوا، لقد قطعوا نحواً من ستين كيلو متراً على ظهور الخيل تخللها غارة، كل ذلك فى مرحلة واحدة منذ قاموا فى آخر الليل إلى بغداد حتى عادوا، ورأى المثنى أنهم فى حاجة إلى استراحة وكذلك خيلهم وكان المسلمون يدركون عمق ما أوغلوا، وبينما المثنى يمر بينهم إذ سمع همساً، قال قائل منهم: ما أسرع القوم فى طلبنا، فقال المثنى: تناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا بالإثم والعدوان.. انظروا فى الأمور وقدروها (احسبوها) ثم تكلموا.. إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد، ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم، إن للغارات روعات تنتشر عليها يوماً إلى الليل، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم وأنتم على الجياد الغراب (الخيل الأصلية) وهم على المقاريف[٤] البطاء حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين، التماس الأجر، ورجاء النصر، فثقوا بالله وأحسنوا به الظن، فقد نصركم الله فى مواطن كثيرة وهم أعدُّ منكم (أكثر عدداً) وسأخبركم عنى وعن انكماشى[٥] والذى أريد بذلك، إن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر أوصانا أن نقلل العُرجة (الإقامة) ونسرع الكرة فى الغارات، ونسرع فى غير ذلك الأوبة (الإياب)[٦].

هذا فهم المثنى للحروب والقتال، فقد كان يتحرك على حساب محسوب وتخطيط مرسوم وإيمان عميق، فكل معركة تضيف إليه دراية وتجربة وعلماً ومعرفة، وهى تكشف لنا عن عبقرية الصديق الحربية النادرة التى تتلمذ المثنى عليها أفاد منها رغم أنه لم يلقه إلا أقل من القليل[٧].

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩٦).
(٢) قال أحمد كمال: أعتقد نهر صرصر، الطريق إلى المدائن ص (٢٥٥).
(٣) القبيض: الإسراع.
(٤) المقرف: الذى دخل فى الفساد والعيث.
(٥) الانكماش: الجد فى الأمر والسرعة فى طلبه.
(٦) الطريق إلى المدائن ص (٤٥٧).
(٧) حركة الفتح الإسلامى، شكرى فيصل ص ٧٨، تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩٩).

نهض المثنى وأمرهم بالركوب، وأقبل بهم ومعهم أدلاؤهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار حتى انتهى بهم إلى الأنبار، فاستقبلهم الدهاقين بالإكرام واستبشروا بسلامته، وكان وعدهم الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبون وقال أحدهم:

وللمثنى بالعَال معركة ... شاهدها من قبيلة بَشَرُ

كتيبة أفزعت بوقعتها ... كسرى وكاد الإيوان ينفطر

وشُجِّع المسلمون إذا حَذروا ... وفى صروف التجارب العِبَرُ

سَهَّل نهج السيل فاقتفروا ... آثاره والأمور تقتفر[1]

ووسع المثنى غارته على شمال العرق حتى شمل من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه، فأرسل غارته على الكباث وكان أهله كلهم من بنى تغلب، فأخلوه وارفضّوا عنه، وتبعهم المسلمون يركبون آثارهم، وأدركوا أخرياتهم، وقتلوا وأكثروا، وأرسل غارة على أحياء من تغلب والنمر بصفين[2].

وكان المثنى بن حارثة سيد هذه الغارات كلها بعد البويب، وكان على مقدمته حذيفة بن محصن الغلفانى وعلى مجنبّته النعمان بن عوف بن النعمان ومطر الشيبانيان وقد حدث فى إحدى غارات المثنى أن أدركت قواته مجموعة من الأعداء بتكريت يخوضون الماء، فأصابوا ما شاءوا من النعم، حتى أصاب الرجل خمساً من النعم، وخمساً من السبى، وخمس المال، وجاد به حتى ينزل على الناس بالأنبار، وعاد المثنى إلى الأنبار فبعث فرات بن حيان وعتيبة بن النهاس إلى صفين وأمرهم بالغارة على أحياء العرب من تغلب والنمر، ثم استخلف على الأنبار – والتى اتخذها قاعدة متقدمة – عمرو بن أبى سُلمى الهُجيمى واتبعهما. فلما اقتربوا من صفين افترق المثنى عن فرات وعتيبة، وفر أهل صفين فعبروا الفرات إلى الجزيرة وتحصنوا بها، وكانوا من قبائل النمر وتغلب متساندين فاتبعهم فرات وعتيبة حتى رموا بطائفة منهم فى الماء، فكانوا ينادونهم (الغرق الغرق) وكان عتيبة وفرات يحضان الناس ويحرضانهم ويقولان (تغريق بتحريق) يذكرانهم يوما من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوما من بكر بن وائل فى غيضة من الغياض، ثم رجعوا إلى المثنى وقد أغرقوهم فى الفرات، وبلغ خبر ذلك إلى عمر بالمدينة، فقد

---

(١) الطريق إلى المدائن ص (٤٥٧).

(٢) حركة الفتح الإسلامى، شكرى فيصل ص (٧٨)، تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩٩).

كانت له عيون فى كل جيش تكتب له، فطلب فرات بن حيان وعتيبة إلى المدينة وأجرى معهما تحقيقا فى هذا، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مثل ولم يفعلاه على وجه طلب ثأر الجاهلية، فاستحلفهما فحلفا أنهما ما أرادا بذلك إلا المثل وإعزاز الإسلام، فصدقهما عمر وردهما إلى العراق فرجعا إليه مع حملة سعد بن أبى وقاص[١]، فقد كان الفاروق حريصا على صيانة أخلاق الرعية وحياطتها من تسرب الفساد إليها[٢].

لقد استغل المثنى النصر الرائع الذى أحرزه المسلمون يوم البويب، وشن غارات منظمة على أسواق شمال العراق فطبق مبدأ مطاردة الأعداء، وقد استطاع بعد توفيق الله ثم بما أعطاه الله من صفات القائد العسكرى، أن ينفذه فى قوة وعمق بلغ حوالى أربعمائة كيلو مترا أو يزيد شمالا، خلاف ما تبحبحوا به شرقا وجنوبا وغربا على امتداد ذلك الخط[٣]، وقد طبق المثنى استراتيجية وتكتيكات الحرب الخاطفة فى عملياته تلك، ولا شك أن هذه العمليات قد وجهت إلى السلطة الفارسية الحاكمة فى المدائن أكبر إهانة أمام شعبها، وأضعفت الثقة فى قدرتها على القيام بالدفاع ضد هجمات قوم كان الفرس حتى وقتها ينظرون إليهم نظرة ملؤها الإهانة والازدراء[٤].

سادساً: رد فعل الفرس:

لم تكن أحداث كالتى وقعت لتمر، دون أن يكون لها رد فعل فى الدوائر الحاكمة فى فارس، واجتمع ساداتهم وقالوا لرستم ولفيرزان: أين يذهب بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم، والله ما جر هذا الوهن علينا غيركم يا معشر القواد، لقد فرقتم بين أهل فارس، وثبطتموهم عن عدوهم، إنه لم يبلغ من خطركما أن يقركما فارس على هذا الرأى وأن تعرضاها للهلكة، ما تنظرون والله إلا أن ينزل بنا ونهلك، ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت، والله لولا أن فى قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم[٥].

---

(١) الطريق إلى المدائن ص (٤٥٨)، تاريخ الطبرى (٤ / ٣٠٠).

(٢) الخلفاء الراشدون للنجار ص (١٣٢).

(٣) الطريق إلى المدائن (٤٦١).

(٤) المصدر نفسه ص (٤٦٧).

(٥) تاريخ الطبرى (٤ / ٣٠٠).

وبعد ذلك ذهب رستم وفيرزان إلى بوران فقالا لها: اكتبى إلى نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى، وسراريهم، ففعلت وأخرجت لهم ذلك فى كتاب، فأرسلوا فى طلبهن فأتوا بهن جميعا فسلموهن إلى رجال يعذبونهن ويستدلونهن على ذكَر من أبناء كسرى، فلم يوجد عندهن منهم أحد، ولكن إحداهن ذكرت أنه لم يبق إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهر يار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا، فأرسلوا إليها وأخذوها به يطلبونه منها، وكانت حين جمعهن عمه شيرويه فى القصر الأبيض وقتل ذكور آل كسرى هم وإخوته السبعة عشر حتى لا ينافسه أحد على عرش فارس، قد هربته وأخفته عند أخواله فى إصطخر، وكان شيرويه قد قتل فيمن قتل أخاه شهريار بن كسرى برويز من زوجته المفضلة شيرين وهو والد يزدجرد هذا، فضغطوا على أم يزدجرد فدلتهم عليه، فأرسلوا إليه فجاءوا به باعتباره الذكر الوحيد الباقى من بنى ساسان، فملكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، واجتمعوا عليه واطمأن جميع الفرس لذلك فتباروا فى طاعته ومعونته، ورأوا فى ذلك مخرجا مما كانوا فيه[1] وبدأ يزدجرد الثالث يزاول سلطاته بمعونة رستم وفيرزان، فجدد المسالح والثغور التى كانت لكسرى، وخصص جنداً لكل مسلحة فسمى جند الحيرة والأنبار وجند الأبلة[2].

سابعًا: توجيهات الفاروق للمثنى:

بلغت المثنى أخبار تحركات يزدجرد الثالث، وكانت عيونه تأتيه بتفاصيلها، فكتب بها وبما يتوقع من هجوم مضاد قوى إلى عمر رضى الله عنه، وصدق تقدير المثنى، فلم يصل كتابه إلى عمر حتى كفر أهل السواد وانتقضوا وتنكروا للمسلمين، من كان له منهم عهد ومن لم يكن له، وعاجلهم الفرس، فزاحفوهم مع ثورة أهل الذمة، فلما رأى المثنى ذلك كان يدرك أنه أحرز من التقدم والاكتساح أكثر مما تسمح قوته بالاحتفاظ به، ومن شأن هذا ألا يدوم فخرج فى حاميته حتى نزل بذى قار وتنزل الناس بالطف فى عسكر واحد، وكان عمر رضى الله عنه أكثر حذرا فجاءهم كتابه: أما بعد، فاخرجوا من بين ظهرانى الأعاجم وتنحوا إلى البر وتفرقوا فى المياه التى تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تدعوا فى ربيعة أحدا، ولا مضر ولا حلفائهم أحدا من أهل النجدات، ولا فارسا إلا اجتلبتموه، فإن جاء طائعا وإلا حشرتموه، احملوا العرب على

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٠١) الطريق إلى المدائن ص (٤٦٧).

(٢) الطريق إلى المدائن ص (٤٦٨).

الجد إذ جد العجم، فلتلقوا جدهم بجدكم وأقم منهم قريبا على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمرى[1] ،ونزل المثنى بذى قار ووزع المسلمين بالجل وشراف إلى غُضى[2]، وفرق القوات فى المياه من أول صحراء العراق إلى آخرها، من غضى إلى القطقطانة مسالح ينظر بعضهم إلى بعض ويغيث بعضهم بعضا إن حدث شيء، فى حالة ترقب وانتظار لحشد جديد، بينما عادت مسالح كسرى وثغوره واستقر أمر فارس وهم متهيبون مشفقون والمسلمون متدفقون فى ضراوة كالأسد ينازع فريسته ثم يعاود الكر، وأمراؤه يكفكفونهم عملا بكتاب عمر وانتظارا للمدد، كان ذلك فى أواخر ذى القعدة ١٣ هـ يناير ٦٣٥م[3]، وقال عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب، ثم كان أول ما عمل أن كتب إلى عماله على الكور والقبائل، وذلك فى ذى الحجة مع مخرج الحجاج إلى الحج، فجاءته أوائل القبائل التى طرقها على مكة والمدينة ومن كان على طريق العراق وهو إلى المدينة أقرب، توافوا إليه بالمدينة مع رجوع الحج وأخبروه عمن وراءهم أنهم يجدون أثرهم، أما من كان إلى العراق أقرب فقد لحقوا بالمثنى، فلم يدع عمر رئيسا ولا ذا رأى ولا ذا شرف ولا ذا سطوة ولا خطيبا ولا شاعرا إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغررهم[4].

****

---

(١) تاريخ الطبرى (٤ / ٣٠١).

(٢) جبال تجاه البصرة.

(٣) الطريق إلى المدائن (٤٧٠).

(٤) المصدر نفسه ص (٤٧١).

المبحث الثانى

معركة القادسية

لما علم الفاروق أن الفرس يعدون العدة ويتجمعون لاستئصال القوة القليلة من المسلمين المتبقية فى العراق أمر بالتجنيد الإجبارى؛ ذلك أن الحالة تقتضى ذلك، ولذلك أمر المثنى أن ينظر فيما حوله من القبائل ممن يصلح للقتال ويقدر عليه فيأتى به طائعاً أو غير طائع، وهذا هو التجنيد الإجبارى الذى رآه عمر وكان أول من عمل به فى الإسلام، وبهذا يسقط ما قاله محمد فرج: صاحب كتاب (العسكرية الإسلامية) من أن التجنيد الإجبارى ظهر فى الدولة الأموية، فها هو عمر الفاروق قد أمر به ونفذ الأمر، فما وصل كتاب أمير المؤمنين للمثنى إلا وبدأ بتنفيذ ما فيه على الفور وطبق الخطة التى رسمها له فى تحركاته، وأرسل الفاروق إلى عماله أن لا يدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا أرسلوه إليه ، يأمرهم بالتجنيد الإجبارى ويطلب منهم أن يرسلوا المجندين الجدد إليه ليرسلهم إلى العراق(١)، لقد تغير الموقف فى بلاد فارس مع مجىء يزدجرد للحكم فقد تغير موقف الفرس كالتالى:

- استقرار داخلى تمثل فى تنصيب يزدجرد واجتماعهم عليه، واطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء فى طاعته ومعونته.
- تجنيد عام شمل كل ما استطاع الفرس أن يجندوه، وتوزيع الفرق فى كل أنحاء الأراضى التى فتحها المسلمون.
- وأخيراً إثارة السكان وتأليبهم على المسلمين، حتى نقضوا عهدهم وكفروا بذمتهم وثاروا بهم(٢).

وتغير موقف المسلمين وأصبح كالتالى:

- الانسحاب: خروج المثنى والقواد الآخرين على حاميتهم من الأرض التي فتحوها من بين ظهرانى العجم.

---

(١) إتمام الوفاء ص(٧٠).

(٢) حركة الفتح الإسلامى ص(٨٠).

● التراجع: والتفرق فى المياه التي تلى الأعاجم علي حدود الأرض العربية والأرض الفارسية، وقد نزل المثنى فى ذى قار، ونزل الناس الطَّف؟ فشكلوا فى العراق مسالح ينظر بعضهم إلى بعض ويغيث بعضهم بعضًا عند الحاجة.

● مقابلة التجنيد الإجبارى عند الفرس بالتجنيد الإجبارى لدى المسلمين(١).

أولاً: تأمير سعد بن أبى وقاص على العراق:

وهذه المرحلة الثالثة فى فتوحات العراق تبدأ بتأمير سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه على الجهاد فى العراق سنة ١٤هـ فقد استهلت هذه السنة الرابعة عشرة وعمر رضى الله عنه يحث الناس ويحرضهم على جهاد الفرس، وركب رضى الله عنه أول يوم من المحرم فى هذه السنة فى الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صِرَار(٢)، فعسكر به عازمًا على غزو العراق بنفسه، واستخلف على المدينة عليًا بن أبى طالب، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة، ثم عقد مجلسًا لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ونودى: الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى على فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه قال له: إنى أخشى إن كُسرتَ أن يضْعف المسلمون فى سائر أقطار الأرض، وإنى أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة فاستصوب عمر والناس عند ذلك رأى ابن عوف. فقال عمر: فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟ فقال: قد وجدته قال: ومن هو؟ قال: الأسد فى براثنه، سعد بن مالك الزهرى فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد، فأمّره على العراق(٣).

١- وصية من عمر لسعد رضى الله عنهما:

لما قدم سعد إلى المدينة أمّره عمر رضى الله عنهما على حرب العراق وقال له: يا سعد بنى وُهَيب لا يغرنّك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ، وصاحب رسول الله ﷺ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيىء بالحسن، فإن الله تعالى ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء، الله ربهم، وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذى رأيت النبى ﷺ

---

(١) حركة الفتح الإسلامى ص(٨٠).

(٢) صرار: موضع على ثلاثة أميال عن المدينة، معجم البلدان (٣/٣٩٨).

(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص(٩٦).

عليه منذ بُعث إلى أن فارقنا فالزمْه فإنه الأمر، هذه عظتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين(١).

وإنها لموعظة بليغة من خليفة راشد عظيم، فقد أدرك عمر رضى الله عنه جانب الضعف الذى يمكن أن يؤتى سعد من قبله وهو أن يُدلى بقرابته من النبى ﷺ فيحمله ذلك على شيء من الترفع على المسلمين، بالمبدأ الإسلامى العام الذى يعتبر مقياساً لكرامة المسلم فى هذه الحياة حيث قال: الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة. فقوله: يتفاضلون بالعافية: يعنى بالشفاء من أمراض النفوس فكأنه يقول: يتفاضلون بالبعد عن المعاصى، والإقبال على طاعة الله تعالى وهذه هى التقوى التى جعلها الله سبحانه ميزانًا للكرامة بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وهو ميزان عادل رحيم بإمكان كل مسلم بلوغه إذا جَدَّ فى طلب رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية، ثم ذكره عمر فى آخر الموعظة بلزوم الأمر الذى كان عليه رسول الله ﷺ، وهذا يشمل الالتزام بالدين كله وتطبيقه على الناس(٢).

٢- وصية أخرى:

ثم إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أوصى سعد بن أبى وقاص مرة أخرى لما أراد أن يبعثه بقوله: إنى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى، فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق، فعوّد نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتادا، فعتاد الخير الصبر، فالصبر على ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين: فى طاعته، واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً، منها السر، ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس، فلا تزهد فى التحبب، فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبداً حبَّبه، وإذا أبغض عبداً بغّضه، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس، ممن يشرع معك فى أمرك(٣)، وفى هذا النص عبر نافعة منها:

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٣٠٦).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٦٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/٣٠٦، ٣٠٧).

- إن لزوم الحق يخلص المسلم من الشدائد، وذلك أن من لزم الحق كان مع الله تعالى ومن كان مع الله تعالى، كان الله معه جل وعلا بنصره وتأييده، وإن هذا الشعور ليعطى المسلم دفعات قوية نحو مضاعفة العمل ومواجهة الصعاب والمآزق، إضافة إلى الطمأنينة النفسية التى يتمتع بها من لزوم الحق قولاً وعملاً، بخلاف من حاد عن طريق الحق فإنه يشعر بالقلق والآلام المتعددة التى منها تأنيب الضمير، والخوف من محاسبة الناس والدخول فى مجاهيل المستقبل التى تترتب على الانحراف.

- وذكر عمر رضى الله عنه أن عدة الخير الصبر، وذلك أن طريق الخير ليس مفروشًا بالخمائل، بل هو طريق شاق شائك، يتطلب عبوره جهاداً طويلاً، فلابد لسالكه من الاعتداد بالصبر وإلا انقطع فى أثناء الطريق.

- وذكر أن خشية الله تعالى تكون فى طاعته واجتناب معصيته، ثم بيَّن الدافع الأكبر الذى يدفع إلى طاعته، ألا وهو بغض الدنيا وحب الآخرة، والدافع الأكبر الذى يدفع إلى معصيته، وهو حب الدنيا وبغض الآخرة.

- ثم ذكر أن للقلوب حقائق منها العلانية، ومثل لها بالمعاملة مع الناس بالحق فى حالى الغضب والرضا، وأن لا يحمل الإنسان ثناء الناس عليه على مداراتهم فى النكول عن تطبيق الحق، ولا يحمله ذمهم إياه على ظلمهم ومجانبة الحق معهم.

- وذكر من حقائق القلوب السر، وجعل علامته ظهور الحكمة من قلب المسلم على لسانه، وأن يكون محبوبا بين إخوانه المسلمين، فإن محبة الله تعالى لعبده مترتبة على محبة المسلمين له، لأن الله تعالى إذا أحب عبداً حببه لعباده(١)، فإذا كان سعد بن أبى وقاص المشهود له بالجنة بحاجة إلى هذه الوصية، فكيف بنا وأمثالنا ونحن ينقصنا الكثير من فهم الإسلام وتطبيقه(٢).

٣- خطبة لعمر رضى الله عنه:

وسار سعد إلى العراق ومعه أربعة آلاف مجاهد، وقيل: فى ستة آلاف، وشيعهم عمر من صرار إلى الأعوص(٣)، ثم قام فى الناس خطيبًا فقال: إن الله تعالى إنما ضرب لكم

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٦٤).

(٢) المصدر نفسه (١٠/٣٦٥).

(٣) الأعوص: على طريق العراق وهو واد يصب فى صدر قناة من الشمال وفيه مطار المدينة اليوم.

الأمثال، وصرف لكم القول ليحيى به القلوب، فإن القلوب ميِّتة فى صدورها حتى يحييها الله، من علم شيئًا فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابا، ويسر لكل باب مفتاحًا، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له، بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع فى ذلك أحداً، واكتف بما يكفيك من الكفاف، فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء، إنى بينكم وبين الله وليس بينى وبينه أحد، وإن الله قد ألزمنى دفع الدعاء عنه، فأنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع(١).

٤- وصول سعد إلى العراق ووفاة المثنى:

سار سعد بجيشه حتي نزل بمكان يقال «زرود»(٢)، من بلاد نجد وأمده أمير المؤمنين بأربعة آلاف، واستطاع سعد أن يحشد سبعة آلاف آخرين من بلاد نجد، وكان المثنى بن حارثة الشيبانى ينتظره فى العراق ومعه اثنا عشر ألفا.

وأقام سعد بزرود استعدادا للمعركة الفاصلة مع الفرس، وانتظاراً لأمر أمير المؤمنين عمر رضى الله عنهم أجمعين، وقد كان عمر عظيم الاهتمام بهذه المعركة، لم يدع رئيساً ولا ذا رأى ولا ذا شرف ولا ذا سلطة ولا خطيبا ولا شاعراً إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغررهم(٣)، وبينما كان سعد مقيماً بجيشه فى زرود مرض المثنى مرضا خطيراً، يقول الرواة: إن الجراحة التى جرحها يوم الجسر انتقضت عليه، واستشعر دنو أجله واشتد وجعه واستخلف على من معه بشير بن الخصاصية، وطلب المثنى أخاه المعنى وأفضى إليه بوصيته وأمره أن يعجل به إلى سعد، ثم أسلم المثنى الروح إلى بارئها، فانطفأ السراج المضيء وأفلت هذه الشمس المشرقة التى ملأت فتوح العراق نوراً ودفئًا(٤)، وقد جاء فى وصيته لسعد: أن لا يقاتل عدوه وعدوهم – يعنى المسلمين – إذا استجمع أمرهم وملؤهم فى عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٠٨).

(٢) زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من العراق.

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٣١٠).

(٤) القادسية، أحمد عادل كمال ص٢٩.

حجر من أرض العرب، وأدنى مردة من أرض العجم، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم، وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة، ثم يكونون أعلم بسبيلهم، وأجرأ على أرضهم، إلى أن يرد الله الكرة عليهم(١)، فما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة للخليفة أبى بكر رضى الله عنهما، كلاهما ترك الدنيا وهو يفكر للمسلمين فى هذه الفتوح ويوصى لها، توفى أبو بكر وهو يوصى خليفته عمر بندب الناس وبعثهم لفتح العراق، وتوفى المثنى وهو يورث القائد الجديد لحرب العراق سعد بن أبى وقاص تجاربه الحربية ضد الفرس، فهو يجود بنفسه وهو يفكر ويدبر ويوصى سعداً(٢)، ولما انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترحم عليه، وأمر المعنى بن حارثة على عمله، وأوصى بأهل بيته خيراً(٣).

ومما يلفت النظر فى هذا الخبر أن المثنى قد أوصى بزوجته سلمى بنت خصفة التيمية إلى سعد بن أبى وقاص، وحملها معه المعنى، ثم خطبها سعد بعد انتهاء عدتها وتزوجها، فهل أراد المثنى أن يبر زوجته بعد رحيله بضمها إلى بطل عظيم من أبطال الإسلام شهد له رسول الله بالجنة؟ إنه نوع من الوفاء نادر المثال، أم أنها كانت ذكية وعاقلة وقد تكون لديها خبرة من حروب زوجها، فأراد أن ينتفع المسلمون بها؟ كل ذلك محتمل، وهو غيض من فيض مما تحلى به ذلك الجيل الراشد من الفضائل وعظائم الأمور(٤)، ومما ينبغى الإشادة به والإشارة إليه، موقف قام به المعنى قبل إبلاغ هذه الوصية، وذلك أنه علم بأن أحد أمراء الفرس وهو الآزاذمرد بعث قابوس بن المنذر إلى القادسية وقال له: ادع العرب فأنت على من أجابك وكن كما كان آباؤك - يعنى المناذرة الذين كانوا ولاة الفرس - فنزل القادسية وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيداً، فلما انتهى إلى المعنَّى خبره، أَسْرَى المعنى من «ذى قار» حتى بيته، فأنامه ومن معه، ثم رجع إلى ذى قار(٥).

٥- مسيرة سعد إلى العراق ووصية عمر رضى الله عنهما:

جاء الأمر من عمر أمير المؤمنين إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما بالرحيل من «زرود» إلى العراق استعداداً لخوض المعركة الفاصلة مع الفرس وأوصاه بالوصية التالية:

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٣١٣).
(٢) القادسية أحمد عادل كمال ص٣٠.
(٣) تاريخ الطبرى (٤/٣١٣).
(٤) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٧٠، ٣٧١).
(٥) تاريخ الطبرى (٤/٣١٣).

أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله عز وجل أفضل العدة على العدو، وأقوى العدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإذا استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة، وإنا لا ننصر عليهم بفضلنا ولم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منا ولن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم، وترفق بالمسلمين فى مسيرهم، ولا تجشّمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصّر بهم عن منزل يُرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم، جامّ الأنفس والكراع(١)، وأقم بمن معك كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة، يجمعون فيها أنفسهم، ويَرُمُّون أسلحتهم وأمتعتهم، ونحِّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا ترزأ أحداً من أهلها شيئاً فإن لهم حرمةً وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فوفوا لهم، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وإذا وطئت أدنى أرض العدو فَأَذْكِ العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق فى بعض، والغاش عين عليك وليس عينا لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع، وتبثّ السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم،وانتق الطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدوا كان أول من تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد، والصبر على الجلاد، ولا تخص أحداً بهوى فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك، ولا تبعث طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه صنيعة ونكاية، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك

---

(١) يعنى: الخيول.

مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوك كصنيعته بك ثم أذك حراسك على عسكرك، وتحفظ من البيات جهدك، ولا تؤتى بأسير ليس له عهد إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدوك وعدو الله، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان(١).

فهذا خطاب عظيم يشتمل علي وصايا نافعة، يوضح لنا جانبًا مهمًا من عظمة عمر رضى الله عنه وهو خبرته العالية فى التخطيط الحربى، وقد كان التوفيق الإلهى واضحًا فى كل توجيهاته ووصاياه(٢)، ويمكننا أن نستخلص بعض المبادئ الهامة التى اشتملت عليها تلك الوصية منها:

- أمر الجيش بطاعة الله وتقواه فى كل الأحوال، باعتبار أن هذا هو السلاح الأول، والتنبيه أن العدو الأول هو الذنوب، ثم المحاربون الكفار، ولفت النظر إلى أن ثمة رقابة دقيقة ودائمة، من الملائكة على أفراد الجيش الإسلامى، والإشارة إلى ضرورة الاستحياء من المعاصى، إذ لا يعقل أن يعصى المرء وهو فى ساحة الجهاد فى سبيل الله، والتأكيد على أنه من المجافى للصواب، اتخاذ سلوكيات العدو معياراً لتبرير سلوكيات الجيش الإسلامى واستحضار الحاجة الدائمة إلى معونة الله.

- أما المبدأ الثانى الذى أكدت عليه ر سالة عمر إلى سعد فهو: رعاية الطرف الأول فى العلاقة محل البحث ضد أى خطر، وتأكيد حرمة قرى أهل الصلح وتلمس أسباب تامينها، وتأمين الصورة الإسلامية من أية آثار عكسية تؤثر على نجاح عملية الاتصال بين المسلمين وغير المسلمين، من جراء سلوكيات غير مستقيمة من جانب بعض العناصر الإسلامية، وسعيًا لتحقيق متطلبات هذا المبدأ، أمر عمر أميره بمراعاة أسباب الحفاظ على معنويات الجيش، وإيصاله إلى أرض العدو، وهو قادر على المواجهة، فقال: ترفق بالمسلمين فى سيرهم.. إلى أن قال: يكون ذلك لهم راحة يجمعون بها أنفسهم ويصلحون أسلحتهم، وأمتعتهم، وبعد التأكيد على أسباب صيانة وسلامة الأنفس والعتاد الحربى الإسلامى، نبه عمر إلى أن الوقاية خير من العلاج، وأن من أهم أسلحة الجيش الظهور بسلوكيات إسلامية، يوافق فيها القول العمل، فأمر عمر - كإجراء

---

(١) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص(١١٩، ١٢٠).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٧٤).

إحتياطى - بإبعاد منازل الجيش عن قرى الصلح درءًا لإمكانية وقوع أية تجاوزات، تعود بالسلب على العلاقة المراد إقامتها، وعدم السماح إلا لأهل الثقة بدخول قرى الصلح، والتأكيد على حرمة أهل الصلح ولزوم الوفاء لهم.

- ونصت رسالة عمر علي مبدأ ثالث وهو: التنوع فى أسلوب المعاملة حسب نوعية شريك الدور، والرفق بأهل الصلح، وعدم تحميلهم فوق طاقتهم، فلقد طلب عمر من أميره، ألا يظلم أهل الصلح بغية النصر على أهل الحرب، وأن يستعين بمن يثق به من أهل المناطق الجارية فتحها، علي أن تكون دواعى الثقة المطلقة بمعنى: التحرز فيها كيلا يؤتى من قبيل الإفراط فى حسن الظن.

- أما المبدأ الرابع: فهو ضرورة جمع معلومات كافية عن العدو، فلقد نبه عمر إلى ضرورة إسناد أمر جمع المعلومات إلى طلائع استطلاع من أفضل عناصر الجيش مع تسليحها بأفضل ما بحوزة الجيش من أسلحة، ذلك أن العدو قد يكشف بعضها فيكرهها على الدخول فى قتال، ويجب بالتالى أن تكون من القوة بحيث تحدث الأثر النفسى المطلوب فى العدو بإشعاره بقوة الجيش، وبتلمس أسباب الكف عن استخدام القوة.

- أما المبدأ الخامس، والأخير، فى رسالة عمر، فهو: وضعه الرجل المناسب فى المكان المناسب، واعتبار أن الغرض من جمع المعلومات عن العدو ليس التمكن من محاربته، بقدر ما هو التحرز من استكراه الطرف الثانى للمسلمين على القتال، ولذا يجب علي المسلمين الكف بعد الأخذ بالأسباب، والتأهب ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً مع أخذ الحيطة والحذر البالغين(١).

٦- الاستعانة بمن تاب من المرتدين:

إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لم يستعن فى حروب الردة ولا فى حركة الفتوحات بمرتد، وأما عمر رضى الله عنه فقد استنفرهم بعد أن تابوا وصلح حالهم، وأخذوا قسطًا من التربية الإسلامية إلا أنه لم يول منهم أحداً(٢)، وقد جاء فى رواية أنه قال لسعد بن أبى وقاص فى شأن طليحة بن خويلد الأسدى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى: استعن بهما ولا تولينهما على مائة(٣)، فنستفيد من سنة الخليفتين الراشدين أبى بكر وعمر

(١) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام ص(٤٢٩).

(٢، ٣) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٧٥).

اللذين قال عنهما رسول الله ﷺ «اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر»(١) نستفيد من سنتهما هذه أن من ارتد عن الإسلام ثم تاب ورجع إليه فإن توبته مقبولة ويكون معصوم الدم والمال، وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، غير أنه لا يُولَّى شيئًا من أمور المسلمين المهمة وخاصة الأعمال القيادية، وذلك لاحتمال أن تكون توبته نفاقًا، وإذا كانت كذلك وتولى قيادة المسلمين، فإنه يفسد فى الأرض، ويقلب موازين الحياة، فيقرب أمثاله من المنافقين ويبعد المؤمنين الصادقين، ويحول المجتمع الإسلامى إلى مجتمع تسوده مظاهر الجاهلية، فكانت هذه السنة الراشدة من الخليفتين الراشدين لحماية المجتمع الإسلامى من تسلل المفسدين إلى قيادته وتوجيهه، ولعل من حكم هذه السنة أيضًا ملاحظة عقوبة المرتدين بنقيض قصدهم، فالذين يرتدون من أجل الحصول على الزعامات والقيادات، إذا أظهروا التوبة، وعادوا إلى الإسلام يحرمون من هذه القيادات عقوبة لهم، وردعًا لكل من تسول له نفسه أن يخرج عن الخط الإسلامى، ويبحث عن الزعامة فى معاداة الإسلام وموالاة أعدائه(٢).

٧- كتاب من أمير المؤمنين إلى سعد بن أبى وقاص:

وصل إلى سعد بن أبى وقاص كتاب من أمير المؤمنين وهو نازل فى شراف على حدود العراق يأمره فيه بالمسير نحو فارس وقد جاء فى هذا الكتاب: أما بعد فسر من شراف نحو فارس، بمن معك من المسلمين، وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله، واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة، وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع – وإن كان سهلاً – كؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه(٣)، إلا أن توافقوا غيضا من فيض، وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدأوهم الشَّدَّ والضرب، وإياكم والمناظرة – لجموعهم – يعني الانتظار بعد المواجهة – ولا يخدعنكم فإنهم خدعة مكرة، أمرهم غير أمركم، إلا أن تجادُّوهم – يعنى تأخذوهم بالجد – وإذا انتهيت إلى القادسية(٤)، فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر(٥)، على حافات الحجر وحافات المدر، والجراع بينهما(٦)، ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إن أحسوك انغضتهم

---

(١) سنن الترمذى المناقب باب ٥٢ حديث رقم (٣٧٤٢).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٧٦).

(٣) الدأداء: الفضاء وما اتسع من الأودية.

(٤) القادسية: باب فارس فى الجاهلية.

(٥) الحجر أو المدر: يعنى الصحراء والقرى العامرة.

(٦) الجراع بينهما: يعنى الأرض السهلة.

رموك بجمعهم، الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدِّهم، فإن أنتم صبرتم لعدوكم، واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن، وبها أجهل، حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة(١) وهذه الوصية فى اختيار المكان الذى يستقر فيه الجيش تشبه وصية المثنى لسعد حيث اتفق رأى عمر والمثنى فى اختيار المكان، وكانت تلك الوصية من المثنى نتيجة خبرة أكثر من ثلاث سنوات فى حرب الفرس، وهذا دليل على براعة عمر رضى الله عنه فى التخطيط الحربى، مع أنه لم تطأ قدماه أرض العراق رضى الله عنهم أجمعين، وتتضمن هذه الوصية إبقاء الجيش بعيداً عن متناول الأعداء، ثم رميهم بالسرايا التى تنغص عليهم حياتهم وتثير عليهم أتباعهم حتى يضطر المسلمون إلى منازلتهم فى المكان الذى تم اختياره(٢).

٨- من أسباب النصر المعنوية فى رأى عمر رضى الله عنه:

كتب عمر رضى الله عنه إلى سعد يذكره بأسباب النصر المعنوية، وهى التى تأتى فى المقام الأول، وقد جاء فى كتابه: أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما، والصبر الصبر، فإن المعونة تأتى من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» واكتب إلىَّ أين بلغ جمعكم، ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم؟ فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمى بما هجمتم عليه، والذى استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى انظر إليها، واجعلنى من أمركم على الجلية وخف الله وارجه، ولا تُدلَّ بشىء، واعلم أن الله قد وعدكم، وتوكل لهذا الأمر بما لا خُلف له، فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم(٣).

ففى هذا الكتاب يوصى عمر رضى الله عنه بتعاهد القلوب، فإن القلب هو المحرك

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٣١٤).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/٣٧٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/٣١٥).

لجميع أعضاء الجسم والحاكم عليها، فإذا صلح صلح الجسم كله، ثم يوصيه بموعظة جنده وتذكيرهم بالإخلاص لله تعالى واحتساب الأجر عنده، ويبين أن نصر الله مترتب على ذلك، ويحذره من التفريط فى المسئولية التى تحملها وما يستقبله من الفتوح، ويذكرهم بوجوب ارتباطهم بالله تعالى وأن قوتهم من قوته ويوصى قائد المسلمين بأن يكون بين مقام الخوف من الله تعالى والرجاء لما عنده، وهو مقام عظيم من مقامات التوحيد وينهاه عن الإدلال على الله بشيء من العمل أو ثناء الناس، ويذكره بما سبق من وعد الله تعالى بانتصار الإسلام وزوال ممالك الكفر، ويحذره من التهاون فى تحقيق شيء من أسباب النصر، فيتخلف النصر عنهم ليتم على يد غيرهم ممن يختارهم الله تعالى[1].

٩- سعد رضى الله عنه يصف موقع القادسية لعمر رضى الله عنه ورد عمر عليه:

كتب سعد إلى عمر رضى الله عنهما: يصف له البلدان التى يتوقع أن تكون ميدانًا للمعركة الفاصلة، إلى أن قال: وأن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلى إلبٌ لأهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا، وإن الذى أعدوا لمصادمتنا رستم فى أمثال له منهم، فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا، ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم، وأمر الله بعد ماض، وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا، فنسأل الله خير القضاء وخير القدر فى عافية[2]، فكتب إليه عمر: قد جاءنى كتابك وفهمته، فأقم بمكانك حتي ينغض الله لك عدوك، واعلم أن لها ما بعدها، فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله[3]. ومن خلال رسالة عمر يتبين أنه اتخذ القرار المناسب وهو:

- أن يثبت سعد فى مواقعه فلا يبارحها.

- أن لا يبادر العدو بالقتال بل يترك له أمر هذه المبادرة.

- أن يعمد إلى استثمار النصر ويطارد العدو حتي المدائن، فيفتحها عليه[4]، ومع الأخذ بالأسباب المادية التى لا بد منها فى إحراز النصر لم يترك الفاروق الجوانب المعنوية وشن حرب نفسية على الخصوم فى عقر دراهم، وعز ملكهم، وقوة سطوتهم، فأرسل إلى سعد: إنى ألقى فى روعى: أنكم إذا لقيتم العدو غلبتموهم، فمتى لاعب أحد منكم

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٧٨، ٣٧٩).

(٢، ٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٨).

(٤) الفن العسكرى الإسلامى ص(٢٥٣).

أحداً من العجم بأمان وإشارة أو لسان كان عندهم أمانًا، فأجروا له ذلك مجرى الأمان وإياكم والضحك، والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخطأ بالغدر هلكة، وفيها وهنكم وقوة عدوكم[1].

لقد كان عمر رضى الله عنه يعيش مع الجيش الإسلامى بكل مشاعره وأحاسيسه، ولقد تكاثفت عليه الهموم حتى أصبح لا يهنأ بعيش، ولا يقر له قرار حتى يسمع أخبارهم، وإن فى مثل هذا الإلهام من الله تعالى تخفيفًا من هذا العبء الكبير الذى تحمله عمر وتثبيتًا للمسلمين وتقوية لقلوبهم، ونلاحظ أن الفاروق رضى الله عنه ذكر المسلمين بشىء من عوامل النصر المعنوية حيث حثهم على الالتزام بشرف الكلمة والصدق فى القول والوفاء بالعهود، ولو كان من التزم بذلك أحد أفراد المسلمين، أو كان هناك خطأ فى الفهم فلم يقصد المسلم الأمان وفهمه العدو أمانًا[2].

ثانيًا: الفاروق يطلب من سعد أن يرسل وفدًا لمناظرة ملك الفرس:

وقال عمر لسعد فى رسائله: لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينًا لهم وفلجا[3] عليهم، وطلب الفاروق من سعد أن يكتب له كل يوم[4]، وشرع فى جمع رجال من أهل النظر والرأى والجلد، فكان الذين وقع عليهم الاختيار من أهل الاجتهاد والآراء والأحساب:

١- النعمان بن مُقرِّن المزنى.

٢- بُسر بن أبى رُهم الجهنى.

٣- حملة بن جُوّيه الكنانى.

٤- حنظلة بن الربيع التميمى.

٥- فرات بن حيان العجلى.

٦- عدى بن سهيل.

٧- المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب[5].

---

(١) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ص(٧٣).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٨١).

(٣) فلجًا: فوزاً ونصراً.

(٤) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٣٨).

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب لحسنى محمد إبراهيم.

واختار سعد نفراً عليهم مهابة ولهم منظر لأجسامهم ولهم آراء نافذة.

١- عطارد بن حاجب التميمى.

٢- الأشعث بن قيس الكندى.

٣- الحارث بن حسان الذهلى.

٤- عاصم بن عمرو التميمى.

٥- عمرو بن معدى كرب الزبيدى.

٦- المغيرة بن شعبة الثقفى.

٧- المعنَّى بن حارثة الشيبانى(١).

فهم أربعة عشر داعية بعثهم سعد دعاة إلى ملك الفرس بأمر عمر رضى الله عنه، وهم من سادات القوم كما أرادهم عمر رضى الله عنه، كى يستطيعوا دعوة يزدجرد بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، ولعل الله يهديه هو وجنده للإيمان وتحقن دماء الطرفين. لقد كان هذا الوفد المنتقى على درجة عالية من الكفاية والقدرة لما أوفد له، فبالإضافة إلى ما يتمتعون به من جسامة وقوة ومهابة وحسن رأى، فلهم أيضاً سبق معرفة بالفرس، فقد كان منهم من عاركهم وعركهم ومارس معهم الحروب فى حملات سابقة، ومنهم من وفد فى الجاهلية على ملوك الفرس، ومنهم من يعرف اللغة الفارسية، فكأن سعد اختارهم لهذه الوفادة بعد أن اجتاز كل منهم كشفًا فنيًا من حيث كفاءته وحسن رأيه، وكشفًا طبيًا من حيث قوته وضعفه، وكشف هيئة من حيث لياقته وجسامته(٢). لقد كان الوفد يتمتع بميزتى الرغبة والرهبة التى تتوفر فى جسامتهم ومهابتهم وجلدهم وشدة ذكائهم(٣).

وتحرك هذا الوفد الميمون بقيادة النعمان بن مقرن، فوصلوا المدائن وأدخلوا على ملك الفرس يزدجرد، فسألهم بواسطة ترجمانه: ما جاء بكم ودعاكم إلى غزونا والولوغ ببلادنا؟ أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟

---

(١) انظر: الكامل فى التاريخ (٢/١٠١).

(٢) انظر: القادسية لأحمد عادل كمال بتصرف ص(٧٠).

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ص (٢٤١).

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه، إن شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته، فقالوا: بل تكلم، فقال (إن الله رحمنا، فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خيرى الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة، وتباعد عنه منها فرقة، ثم أمر أن نبتدئ بمن خالفه من العرب، فبدأنا بهم، فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط[1]، وطائع فازداد، فتعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبتدئ بمن جاورنا من الأمم، فندعوهم إلى الإنصاف. فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسَّن الحسن، وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه: الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم).

فقال ملك الفرس يزدجرد: إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم، فقد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفوننا أمركم، ولا تطمعون أن تقوموا لفارس، فإن كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد[2]، فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم وملَّكنا عليكم ملكًا يرفُق بكم.

فقام المغيرة بن زرارة، فقال: أما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد وذكر من سوء عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبى ﷺ.. مثل مقالة النعمان.. ثم قال: «اختر إما الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، أو السيف، وإلا فنج نفسك بالإسلام».

فقال يزدجرد: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شىء لكم عندى، ثم استدعى بوقر[3] من تراب، وقال لقومه: احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، فقام عاصم بن عمرو وقال: أنا أشرفهم وأخذ التراب فحمله وخرج إلى راحلته فركبها، ولما وصل إلى سعد قال له: (أبشر، فوالله لقد أعطانا الله أقاليد[4] ملكهم)[5].

---

(١) اغتبط: فرح بالنعمة.

(٢) الجهد: الضيق والشدة.

(٣) الوقر: الحمل الثقيل.

(٤) أقاليد: جمع إقليد: المفتاح.

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٤٣).

ثم إن رستم خرج بجيشه الهائل، مائة ألف أو يزيدون، من ساباط، فلما مر على كوثى - قرية بين المدائن وبابل - لقيه رجل من العرب فقال له رستم: ما جاء بكم، وماذا تطلبون منا؟ قال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا، قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلك؟ قال: من قتل منا دخل الجنة، ومن بقى أنجزه الله وعده، فنحن على يقين، قال رستم: قد وُضعنا إذا فى أيديكم؟: قال العربى: أعمالكم وضعتكم، فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك ما ترى حولك، فإنك لست تجادل(١) الإنس وإنما تجادل القدر!

فغضب منه رستم وقتله، فلما مرّ بجيشه على البرس - قرية بين الكوفة والحلة - غصبوا أبناء أهله وأموالهم، وشربوا الخمور، ووقعوا على النساء! فشكى أهل البرس إلى رستم فقال لقومه: «والله لقد صدق العربى! والله ما أسلمنا إلا أعمالنا، والله إن العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم»(٢).

ولما علم سعد أمير جيش المسلمين خبر رستم، أرسل عمرو بن معد يكرب الزبيدى، وطليحة بن خوليد الأسدى يستكشفان خبر الجيش مع عشرة رجال، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى رأوا سرح العدو منتشراً على الطفوف(٣)، فرجعوا إلا طليحة، فإنه ظل سائراً حتي دخل جيش العدو وعلم ما فيه، فرجع إلى سعد وأخبره خبره، وكان طليحة هذا من يعماء الردة.

وقد سمح الفاروق لمن ارتد وتاب من العرب بالاشتراك فى الجهاد وكان الصديق رضى الله عنه يمنع ذلك، وكان الفاروق يمنع من خرج من زعماء أهل الردة بعد توبته إلى الجهاد أن يتولى إمارة ولم يول منهم أحداً، وحرص علي أن يتربوا على معانى الإيمان والتقوى وأتاح لهم فرصة ثمينة ليعبروا فيها عن صدق إيمانهم وتقواهم، وكان لطليحة الأسدى وعمرو الزبيدى مواقف مشهودة فى حروب العراق والفرس.

ثالثًا: سعد بن أبى وقاص يرسل وفودًا لدعوة رستم:

وسار رستم بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق - جسر القادسية - أمام عسكر المسلمين، يحول بينهم النهر، ومع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلاً، ولما نزل أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه.

---

(١) تجادل: تخاصم.

(٢) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ص(٥٧).

(٣) الطفوف: جمع طف. والطف: الجانب أو ما أشرف من أرض العرب على الشاطئ.

فارسل إليه ربعيٌّ بن عامر فجاءه وقد جلس على سرير من ذهب، وبُسُط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب! فأقبل ربعيٌّ علي فرسه، وسيفه فى خِرْقة(١)، ورمحه مشدود بعصب(٢)، فلما انتهى إلى البساط وطاه بفرسه، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما، وجعل الحبل فيهما، ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها، فأشاروا عليه بوضع سلاحه؛ فقال: لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم، وإنما دعوتمونى، ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويُقارب خطوه حتى أفسد ما مرّ عليه من البُسط، ثم دنا من رستم، وجلس على الأرض، وركز رمحه على البساط، وقال: إنّا لا نقعد على زينتكم. فقال له رستم: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسل لنا رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة، أو الظفر(٣).

فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ فقال: نعم، وإنَّ مما سَنَّ لنا رسول الله ﷺ ألا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثًا، فانظر فى أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: الإسلام وندعُك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكفّ عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة(٤) فى اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا، وأنا كفيل عن أصحابى.

فقال رستم: أسيِّدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض، يجيز أدناهم على أعلاهم ثم انصرف.

فخلا رستم بأصحابه، وقال: رأيتم كلامًا قط مثل كلام هذا الرجل؟ فأروه الاستخفاف بشأنه.

فقال رستم: ويلكم وإنما أنظر إلى الرأى والكلام والسيرة، والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب.

---

(١) الخرقة: القطعة من الثوب الممزق.

(٢) العصاب: ما يشد به من خرقة أو منديل.

(٣) الكامل فى التاريخ (٢/١٠٦).

(٤) المنابذة: نابذ الحرب: جاهر بها.

فلما كان اليوم الثانى من نزوله، أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا هذا الرجل. فأرسل إليه حذيفة بن محصن الغلفانى، فلم يختلف عن ربعى فى العمل والإجابة، ولا غرابة، فهما مستقيان من إناء واحد، وهو دين الإسلام.

فقال له رستم: ما قعد بالأول عنا؟ قال: (أميرنا يعدل بيننا فى الشدة والرخاء، وهذه نوبتى). فقال رستم: والمواعدة إلى متى؟ قال: إلى ثلاث، من أمس.

وفى اليوم الثالث أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً. فأرسل إليه المغيرة بن شعبة فتوجه إليه، ولما كان بحضرته جلس معه على سريره، فأقبلت إليه الأعوان يجذبونه! فقال لهم: قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قومًا أسفه منكم، إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضًا، إلا أن يكون محاربًا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم، وإنى لم آتكم ولكنكم دعوتمونى، اليوم علمت أنكم مغلوبون، وأن ملكًا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول.

فقالت السوقة: صدق والله العربى، وقالت الدهاقين – زعماء الفلاحين –: لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه، قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون أمر هذه الأمة. ثم تكلم رستم بكلام صغر فيه شأن العرب، وضخم أمر الفرس، وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش[١].

فقال المغيرة: أما الذى وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف، فنعرفه ولا ننكره، والدنيا دول، والشدة بعدها الرخاء، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً على ما أوتيتم، وقد أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، وإن الله بعث فينا رسولاً، ثم ذكر مثل ما تقدم، وختم كلامه بالتخيير بين الإسلام أو الجزية أو المنابذة[٢] ثم رجع.

فخلا رستم بأهل فارس، وقال: أين هؤلاء منكم؟ ألم يأتكم الأولان فجسراكم[٣] واستخرجاكم[٤]، ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا، وسلكوا طريقًا واحدًا، ولزموا أمرًا واحدًا، هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن بلغ من أدبهم وصونهم

(١، ٢) انظر الكامل فى التاريخ (٢/ ١٠٨).

(٣) جسر: معنى ونفذ.

(٤) استخرجاكم: استنبط.

لسرهم أن لا يختلفوا، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم، لئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء، فلجوا(١).

رابعًا: الاستعداد للمعركة:

لم ينتفع الفرس بدعوة الوفود، وتمادوا فى غيهم ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً، فأجمع الفرس على القتال، واستعد المسلمون لذلك وعبر الفرس نهر العتيق وعين رستم جيشه العرمرم على الشكل التالى:

– فى القلب: ذو الحاجب (ومعه ١٨ فيلا) عليها الصناديق والرجال.

– فى الميمنة مما يلى القلب: الجالينوس.

– فى الميمنة: الهرمزان (ومعه ٧، أو ٨ أفيال) عليها الصناديق والرجال.

– فى الميسرة مما يلى القلب: البيرزان.

– فى الميسرة: مهران (ومعه ٧ أو ٨ أفيال) عليها الصناديق والرجال، وأرسل رستم فرقة من خيالته إلى القنطرة لتمنع المسلمين من عبورها نحو جيشه، فأصبحت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين، وكان ترتيب الصفوف على الشكل التالى:

– الخيالة فى الصفوف الأولى، يليها الفيلة، ثم المشاة، ونصب لرستم مظلة كبيرة استظل بها على سريره وجلس يراقب سير المعركة(٢)، وكان المسلمون على أهبة الاستعداد وعلي أحسن تعبئة للقتال، فقد عبأ سعد بن أبى وقاص جيشه مبكرًا، وأمر الأمراء، وعرف على كل عشرة عريفًا، وجعل على الرايات رجالاً من أهل السابقة أيضاً، ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع، وقد وصل القادسية على تعبئة، وقد عبأ جيشه على الشكل التالى:

١– على المقدمة: زهرة بن الحوية.

٢– وعلى الميمنة: عبد الله بن المعتم.

٣– وعلى الميسرة: شرحبيل بن السمط الكندى، وخليفته خالد بن عرفطة.

---

(١) لجوا: اختلطت أصواتهم.

(٢) الفن العسكرى الإسلامى ص (٢٥٥).

٤- وعلى الساقة: عاصم بن عمرو.

٥- وعلى الطلائع: سواد بن مالك.

٦- وعلى المجردة: سلمان بن ربيعة الباهلى.

٧- وعلى الرجالة: حمال بن مالك الأسدى.

٨- وعلى الركبان: عبد الله بن ذى السهمين الحنفى.

٩- وعلى القضاء بينهم: عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى.

١٠- وكاتب الجيش: زياد بن أبى سفيان.

١١- ورائده وداعيه: سلمان الفارسى وكل ذلك بأمر من عمر(١).

هذا وقد خطب سعد بن أبى وقاص فى الناس وتلا قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وأمر القراء أن يشرعوا فى سورة الأنفال، فقرئت ولما أتموا قراءتها هشت(٢) قلوب الناس وعيونهم، ونزلت السكينة وصلى الناس الظهر، وأمر سعد جيشه أن يزحفوا بعد التكبيرة الرابعة وأن يقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله واستمرت المعركة أربعة أيام.

وقد كان سعد رضى الله عنه مريضًا بعرق النسا، وبه دمامل لا يتسطيع الركوب ولا الجلوس فكان مكبًا على صدره وتحته وسادة ويشرف على الميدان من قصر قديس الذى كان فى القادسية، وقد أناب عنه فى تبليغ أوامره خالد بن عرفطة، وقد أمر بأن ينادى فى الجيش: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد فى أمر الله، أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد(٣).

وقبل بدء القتال حصل اختلاف على خالد بن عرفطة نائب سعد فقال سعد: احملونى وأشرفوا بى على الناس، فارتقوا به، فأكبّ مُطّلعا عليهم والصف فى أصل حائط قصر قديس يأمر خالداً فيأمر خالد الناس، وكان ممن شغب عليه بعض وجوه الناس فهمّ بهم سعد وشتمهم، وقال: أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالاً لغيركم، فحبسهم، ومنهم أبو محجن الثقفى وقيدهم فى القصر، وقال جرير بن عبد الله

---

(١) الفن العسكرى الإسلامى ص (٢٥٥).

(٢) هشت: انشرحت صدورهم.

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٥٦).

مؤيداً طاعة الأمير: أما أنى بايعت رسول الله ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الأمر وإن كان عبداً حبشيا. وقال سعد: والله لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلا سُنَّت به سنة يؤخذ بها من بعدى(١)، وقد قام فيهم سعد بن أبى وقاص بعد هذه الحادثة خطيباً، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن الله هو الحق لا شريك له فى الملك، وليس لقوله خلف، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] إن هذا ميراثكم وموعود ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها، وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعزٌّ من وراءكم، فإن تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرّب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم(٢).

وكتب سعد إلى الرايات: إنى قد استخلفت فيكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعنى أن أكون مكانه إلا وجعى الذى يعودنى وما بى من الحبوب(٣)، فإنى مكب على وجهى وشخصى لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمرى ويعمل برأيى، فقرئ علي الناس فزادهم خيراً، وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة، وأجمعوا علي عذر سعد والرضا بما صنع(٤)، وقد بقى سعد بن أبى وقاص فوق القصر وأصبح مشرفًا على ساحة المعركة ولم يكن القصر محصناً، وهذا يدل على شجاعة سعد رضى الله عنه، فعن عثمان بن رجاء السعدى قال: كان سعد بن مالك أجرأ الناس وأشجعهم، إنه نزل قصراً غير حصين بين الصفين، فأشرف منه على الناس ولو أعراه الصف فواق ناقة أخذ برمته(٥)، فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام ولا أقلقه(٦).

- **فزع رستم من الآذان:**

لما نزل رستم النجف بعث منها عينا إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادسية

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٥٦).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٥٧).
(٣) الحبوب: الدمامل.
(٥) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٥٨).
(٥) يعنى لو انحسر عنه صف المسلمين وانكشف العدو مقدار حلب ناقة لأخذه الأعداء.
(٦) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٤٧).

كبعض من ند منهم، فرآهم يستاكون عند كل صلاة ثم يصلون، فيفترقون إلى موقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم، حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئًا إلا أن يمصوا عيدانا لهم حين يمسون وحين ينامون وقبيل أن يصبحوا، فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق[1] وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة فرآهم يتحشحشون (يتهيأون للنهوض)، فنادى فى أهل فارس أن يركبوا، فقيل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودى فيهم فتحشحشوا[2] لكم، قال عينه ذلك: إنما تحشحشهم هذا للصلاة، فقال بالفارسية وهذا تفسيره بالعربية: أتانى صوت عند الغداة، وإنما هو عمر الذى يكلم الكلاب فيعلمهم العقل[3]، فلما عبروا تواقفوا، وأذن مؤذن سعد للصلاة يعني صلاة الظهر فصلى سعد، وقال رستم: أكل عمر كبدى[4].

- رفع الروح المعنوية بين أفراد الجيش الإسلامى:

جمع سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وجهاء المسلمين وقادته فى بداية اليوم الأول من المعركة وقال لهم: انطلقوا فقوموا فى الناس بما يحق عليكم، ويحق لهم عند مواطن البأس، فإنكم من العرب بالمكان الذى أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم، وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا فى الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال، فساروا فيهم[5].

- فقال قيس بن هبيرة الأسدى: أيها الناس احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدكم، واذكروا آلاء الله، وارغبوا إليه فى عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء، والأرض القفر، والظراب الخُشن والفلوات التى لا تقطعها الأدلة.

- وقال غالب بن عبد الله الليثى: أيها الناس احمدوا الله على ما أبلاكم وسلوه يزدكم، وادعوه يجبكم، يا معشر معدّ، ما علتكم اليوم وأنتم فى حصونكم - يعنى الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعنى السيوف -؟ اذكروا حديث الناس فى غد، فإنه بكم غدا يُبدأ عنده، وبمن بعدكم يُثنَّى.

---

(١) تاريخ البطبرى (٤/٣٥٨).

(٢) التحشيش: التحرك للنهوض.

(٣، ٤) تاريخ الطبرى (٤/٣٥٨).

(٥) المصدر نفسه (٤/٣٥٩).

– وقال ابن الهذيل الأسدى: يا معشر معد، اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كالأسود الأجَم، وتربَّدوا لهم تربُّد النمور وادَّرعوا العجاج، وثقوا بالله، وغُضّوا الأبصار، فإذا كلَّت السيوف فإنها مأمورة، فارسلوا عليهم الجنادل، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه.

– وقال بُسر بن أبى رهم الجهنى: احمدوا الله وصدّقوا قولكم بفعل، فقد حمدتم الله على ما هداكم له، ووحدتموه ولا إله غيره، وكبرتموه، وآمنتم بنبيه ورسله، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، و لا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا، فإنها تأتى من تهاون بها، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم، انصروا الله ينصركم.

– وقال عاصم بن عمرو: يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به شيئًا على العرب غداً.

– وقال ربيع بن البلاد السعدى: يا معاشر العرب قاتلوا للدين والدنيا ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]. وإن عظَّم الشيطان عليكم الأمر، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل(١).

– وقال ربعي بن عامر: إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفى الصبر الراحة، فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوها الجزع فتعتادوه. وقد قام كلهم بنحو من هذا الكلام، وتواثق الناس وتعاهدوا، واهتاجوا لكل ما كان ينبغى لهم(٢).

١- يوم أرماث:

يطلق يوم أرماث على اليوم الأول من أيام القادسية، وقد وجه سعد رضى الله عنه بيانه إلى الجيش قائلاً: الزموا مواقفكم، لا تحركوا شيئًا حتى تصلُّوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإنى مكّبر تكبيرة فكبروا واستعدوا، و اعملوا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم، واعملوا أنما أعطيتموه تأييداً لكم، ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا، ولتستتم عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشِّط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله(٣).

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٥٩).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٦٠).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ٣٦١).

ولـمَّا صلَّى سعد الظهر أمر الغلام الذى كان ألزمه عمر إياه وكان من القراء أن يقرأ سورة الجهاد (يعنى الأنفال) فقرأ على الكتيبة التى تليه سورة الجهاد، فقرئت فى كل كتيبة، فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها[١]، ولما فرغ القراء كبر سعد، فكبَّر الذين يلونه بتكبيرة، وكبر بعض الناس بتكبير بعض، فتحشحش الناس (يعنى تحركوا) ثم ثنَّى فاستتمَّ الناس، ثم ثلَّث فبرز أهلُ النجدات فأنشبوا القتال، وخرج من أهل فارس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب[٢]، وكان لأبطال المسلمين من أمثال غالب بن عبد الله الأسدى، وعاصم بن عمرو التميمى، وعمرو بن معدي كرب الزبيدى وطليحة بن خويلد الأسدى أثر ظاهر فى النكاية بالعدو حيث قتلوا وأسروا عدداً من أبطالهم، ولم يقتل من المسلمين أحد فيما ذكر أثناء المبارزة، والمبارزة فن عسير من فنون الحرب لا يتقنه إلا الأبطال من الرجال، وهى ترفع من شأن المنتصرين وتزيد من حماسهم، وتخفض من شأن المنهزمين وتحط من معنوياتهم، والمسلمون الأوائل متفوقون فى هذا الفن على غيرهم دائمًا، ولذلك هم المستفيدون من المبارزة[٣]، وبينما الناس ينتظرون التكبيرة الرابعة إذ قام صاحب رجالة بنى نهد قيس بن حذيم بن جرثومة، فقال: يا بنى نهد انهدوا إنما سميتم نهدا لتفعلوا، فبعث إليه خالد بن عرفطة: والله لتكفن أو لأوَلِّيَن عملَكَ غيرك، فكفّ[٤].

- رستم يأمر جانبًا من قواته بالهجوم:

ولما رأى رستم تفوق المسلمين فى مجالى المبارزة والمطاردة لم يمهلهم حتى يكملوا خطة قائدهم فى المزيد من حرب المطاردة والمبارزة، بل أمر جانبًا من قواته بأن تهجم هجومًا عامًا على جانب جيش المسلمين الذى فيه قبيلة بجيلة ومن لف معهم، وكان الهجوم لافتا للنظر، لأن الفرس وجهوا ما يقرب من نصف الجيش إلى قطاع لا يمثل إلا نسبة قليلة من الجيش الإسلامى، وهذا يدل على محاولتهم المستميتة لقطع حرب المبارزة والمطاردة التى فشلوا فيها، وهكذا هجم الفرس على أحد جناحى جيش المسلمين بثلاثة عشر فيلا، وكل فيل يصحبه حسب تنظيم جيشهم أربعة آلاف

(١، ٢) تاريخ الطبرى (٤ / ٣٦٢).

(٣) التاريخ الإسلامى (١٠ / ٤٤٥).

(٤) تاريخ الطبرى (٤ / ٣٦٣).

مقاتل من المشاة والفرسان، ففرقت الفيلة بين كتائب المسلمين وكان الهجوم مركزاً على بجيلة ومن حولهم وثبت المشاة من أهل المواقف لهجوم الفرس.

أ- سعد يأمر بنى أسد بالذب عن بجيلة:

أبصر سعد رضى الله عنه الموقف الذى وقعت فيه بجيلة، فأرسل إلى بنى أسد يقول لهم: ذببوا عن بجيلة ومن لافها من الناس، فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك، وغالب بن عبد الله والربِّيل بن عمرو فى كتائبهم، يقول المعرور بن سويد وشقيق: فشدوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم، فأخرت وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه، فما لبث طليحة أن قتله، ولما رأت فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة أسد رموهم بحدهم وبدر المسلمين الشدة عليهم ذو الحاجب والجالينوس وهما قائدان من قادة الفرس، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة، وقد ثبتوا لهم، وقد كبر سعد الرابعة، فزحف إليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد، وحملت الفيلة من الميمنة والميسرة على خيول المسلمين، فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد، وتلح فرسانهم على المشاة ليدفعوا بالخيل لتقدم على الفيلة.

ب- سعد يطلب من بنى تميم حيلة للفيلة:

أرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميمى فقال: يا معشر تميم ألستم أصحاب الإبل والخيل؟ أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة؟ قالوا: بلى والله، ثم نادى فى رجال من قومه رماة، وآخرين لهم ثقافة - يعنى حذق وحركة - فقال لهم: يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال: يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها - يعنى أحزمتها - لتسقط توابيتها التى تحمل المقاتلين وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها - يعنى ما يعلق بها - فقطعوا وضنها وارتفع عواء الفيلة فما بقى لهم يومئذ فيل إلا أعرى، وقتل أصحابها، وتقابل الناس ونفس عن أسد، وردوا فارس عنهم إلى مواقفهم فاقتتلوا حتى غربت الشمس، ثم حتى ذهبت هدأة من الليل، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء، وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة، وكانوا ردءا للناس، وكان عاصم يُعنى وبنو تميم عادية الناس وحاميتهم وهذا يومها الأول وهو يوم أرماث(١).

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٦٥).

جـ- موقف بطولي لطليحة بن خويلد:

كان لأمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه تأثير على بني أسد، فقد قال طليحة بن خويلد يومئذ: يا عشيرتاه إن المنوه باسمه، الموثوق به، وإن هذا لو علم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم، ابتدئوهم الشدة، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة، فإنما سميتم أسدا لتفعلوا فعله، شدوا ولا تصدوا، وكرُّوا ولا تفرُّوا، لله در ربيعة أى فرى يفرون، وأى قرن يغنون، هل يوصل إلى مواقفهم، فاغنوا عن مواقفكم أعانكم الله، شدوا عليهم باسم الله[١]، وقد كان لهذا الكلام مفعول عجيب في نفوس قومه حيث تحولوا إلى طاقات فعالة، وتحملوا وحدهم رحى المعركة إلى أن ساندهم بنو تميم، وقدموا في هذا اليوم خمسمائة شهيد[٢]، وقد تأثرت القبائل من بطولة بني أسد فقال الأشعث بن قيس الكندى: يا معشر كندة لله در بني أسد أى فرى يفرون وأى هذ يهذون عن موقفهم، فتحول موقف كنده من الدفاع إلى الهجوم فأزالوا من أمامهم من المجوس وردوهم إلى الوراء[٣].

د- ما قيل من شعر في ذلك اليوم:

قال عمرو بن شأس الأسدى:

لقد علمت بنو أسد بانا ... أولوا الأحلام إذ ذكروا الحلوما[٤]

وأنا النازلون بكل ثغر ... ولو لم نلفه[٥] إلا هشيما

ترى فينا الجياد مسومات ... مع الأبطال يعلكن الشكيما

ترى فينا الجياد مجلجات ... تنهنه عن فوارسها الخصوما[٦]

يجمع مثل سلم مكفهر ... تشبههم إذا اجتمعوا قروما[٧]

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٣٦٤).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/٤٤٩).

(٣) القادسية، احمد عادل كمال ص ١٣٩ تاريخ الطبرى (٤/٣٦٤).

(٤) الحلوم: العقول.

(٥) نلفه: نجده أو نتركه، فهى من الأضداد.

(٦) مجلجات: هاجمات.

(٧) سلم مكفهر: سلم ساخن، كناية عن الاستعداد للمعركة، القروم: اللحم المكوم.

بمثلهم تلاقى يوم هيج إذا لاقيت بأسا أو خصوما
نفينا فارسًا عما أرادت وكانت لا تحاول أن تريما

هـ- مستشفى الحرب:

كان موقع مستشفى الحرب فى العذيب حيث تقيم نساء المجاهدين الصابرات المحتسبات، فيتلقين الجرحى. ويتولين علاجهم وتمريضهم إلى أن يتم قضاء الله فيهم، ومع ذلك فإن لهن مهمة أعجب من ذلك يشترك معهن فيها الصبيان، ألا وهى حفر قبور الشهداء، ولئن كان تطبيب الجرحى وتمريضهم من المهمات القريبة المنال للنساء، فإن حفر الأرض من المهمات الخشنة، ولكن الرجال كانوا مشغولين بالجهاد، فلتقم النساء بمهمتهم عند الضرورة، وهن أهل لذلك لما يتصفن به من الإيمان والصبر(١)، وقد تم نقل الشهداء إلى وادى مشرف بين العذيب وعين الشمس فى جانبيه جميعًا(٢)، وكان التحاجز بين المسلمين وأعدائهم تلك الليلة فرصة لزيارة بعض المجاهدين لأهلهم فى العذيب(٣).

و- الخنساء بنت عمرو تحرض بنيها على القتال ليلة الهدأة:

فى مضارب نساء المسلمين بالعذيب جلست الخنساء بنت عمرو شاعرة بنى سليم المخضرمة ومعها بنوها، أربعة رجال تعظهم وتحرضهم على القتال فقالت: إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ٢٠٠]. فإن أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وحللت - تفجرت - نار على أرواقها - جوانبها - فتيمموا وطيسها - وسطها - وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها - جيشها - تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة، فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء الصبح باكروا مراكزهم(٤).

(١) التاريخ الإسلامى (١٠/٤٥١).
(٢، ٣) المصدر نفسه (١٠/٤٥٢).
(٤) الاستيعاب رقم (٢٨٧) نساء القادسية ص(١٤٦، ١٤٧).

ز- امرأة من النخع تشجع بنيها على القتال:

كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القتال ذلك اليوم، فلما بدأ الصباح ينبلج قالت لهم: إنكم أسلمتم فلم تبدلوا، وهاجرتم فلم تثربوا[١]، ولم تَنْبُ[٢] بكم البلاد تقحمكم السنة[٣]، ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدى أهل فارس، والله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره، فانصرفوا عنها مسرعين يشتدون، فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهى تقول: اللهم ادفع عن بنيّ، فرجعوا إليها بعد ذلك وقد أحسنوا القتال ما جرح منهم رجل جرحًا[٤].

فهذا حال بعض النساء العجائز فى اليوم الأول من القادسية.

٢- يوم أغواث:

كان يوم أغواث هو اليوم الثانى من أيام القادسية، وفى ليلة هذا اليوم قدمت طليعة جيش الشام يقودهم القعقاع بن عمرو التميمى، وقد كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه قد أمر أمير الشام، أبا عبيدة بإعادة جيش خالد بن الوليد إلى العراق مددًا للمسلمين فى القادسية، فأعادهم وأبقى خالدًا عنده لحاجته إليه، وولّى على هذا الجيش هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ابن أخى سعد، وكان هذا الجيش تسعة آلاف حين قدم من العراق إلى الشام بقيادة خالد بن الوليد، وعاد منهم إلى العراق ستة آلاف، وقد ولّى هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو على المقدمة وعددهم ألف مجاهد[٥].

أ- مواقف بطولية للقعقاع بن عمرو:

أسرع القعقاع بمقدمته حتى قدم بهم على جيش القادسية صبيحة يوم أغواث، وكان أثناء قدومه قد فكر بعمل يرفع به من معنوية المسلمين فقسم جيشه إلى مائة قسم، كل قسم مكون من عشرة، وأمرهم بأن يقدموا اتباعًا كلما غاب منهم عشرة عن مدى إدراك البصر سرحوا خلفهم عشرة، فقدم هو فى العشرة الأوائل وصاروا يقدمون تباعًا كلما

(١) يعنى لم تكن هجرتكم إلى يثرب.
(٢) لم تنب بكم البلاد: لم تلفظكم.
(٣) السنة: القحط والجوع.
(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٦٦).
(٥) المصدر نفسه (٤/ ٣٦٧)، التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٦٧).

سرح القعقاع بصره فى الأفق فأبصر طائفة منهم كبر فكبر المسلمون، ونشطوا فى قتال أعدائهم، وهذه خطة حربية ناجحة لرفع معنوية المقاتلين، فإن وصول ألف لا يعنى مدداً كبيراً لجيش يبلغ ثلاثين ألفا، ولكن هذا الابتكار الذى هدى الله القعقاع إليه قد عوض نقص هذا المدد بما قوى به عزيمة المسلمين، وقد بشرهم بقدوم الجنود بقوله: يا أيها الناس إنى قد جئتكم فى قوم، والله أن لو كانوا بمكانكم ثم أحسُّوكم حسدوكم حُظوتها وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما أصنع، فتقدم ثم نادى: من يبارز؟ فقالوا فيه بقول أبى بكر: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا، وسكنوا إليه، فخرج إليه ذو الحاجب(١)، فقال له القعقاع: من أنت(٢)؟ فقال: أنا بهمن جاذويه. وهنا تذكر القعقاع مصيبة المسلمين الكبرى يوم الجسر على يد هذا القائد فأخذته حميته الإسلامية فنادى وقال: يا لثارات أبى عبيد وسليط وأصحاب الجسر، ولابد أن هذا القائد الفارسى بالرغم مما اشتهر به من الشجاعة قد انخلع قلبه من هذا النداء، فلقد قال أبو بكر رضى الله عنه عن القعقاع: لصوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل(٣)، فكيف سيثبت له رجل واحد مهما كان فى الشجاعة وثبات القلب؟ ولذلك لم يمهله القعقاع أن أوقعه أمام جنده قتيلاً، فكان لقتله بهذه الصورة أثر كبير فى زعزعة الفرس ورفع معنوية المسلمين لأنه كان قائداً لعشرين ألف مقاتل من الفرس. ثم نادى القعقاع مرة أخرى من يبارز؟ فخرج إليه رجلان أحدهم البيرزان والآخر البندوان، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث أخو بنى تيم اللات، فبارز القعقاع بيرزان(٤)، فقتله القعقاع وبارز ابن ظبيان بندوان وهو من أبطال الفرس فقتله ابن ظبيان، وهكذا قضى القعقاع، فى أول النهار على قائدين من قادة الفرس الخمسة، ولا شك أن ذلك أوقع الفرس فى الحيرة والاضطراب، وساهم ذلك فى تدمير معنويات أفراد الجيش الفارسى، والتحم الفرسان من الفريقين، وجعل القعقاع يقول: يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فإنه يحصد بها فتواصى الناس بها، وأسرعوا إليهم بذلك فاجتلدوا بها حتى المساء، وذكر الرواة أن القعقاع حمل يومئذ ثلاثين حملة، كلما طلعت قطعة حمل حملة، وأصاب فيها وجعل يقول:

(١) قائد كبير من قادة الفرس وأبطالهم وهو الذى أصاب المسلمين يوم الجسر.

(٢) سأل القعقاع جاذويه: لأنه كان لا يعرفه، لأن القعقاع يوم الجسر كان فى الشام.

(٣) التاريخ الإسلامى (١٠/٤٥٥).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/٣٦٨).

أزعجهم عمداً بها إزعاجا أطعن طعنا صائبًا ثجاحا

أرجو به من جنة أفواجا

وكان آخر من قتل بزر جمهر الهمذانى وقال فى ذلك القعقاع:

حَبَوْتُهُ جيَّاشة بالنفس هدَّارة مثل شُعاع الشمس

فى يوم أغواثٍ فليل الفُرس أنخُسُ فى القوم أشدَّ النخس

حتى تفيض معشرى ونفسى

ب- علباء بن جحش العجلى.. انتثرت أمعاؤه فى المعركة:

وبرز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى من يبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلى فنفحه[١] علباء فى صدره وشق رئته ونفحه الاخر فأصابه فى بطنه وانتثرت أمعاؤه وسقطا معًا إلى الأرض، أما المجوسى فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأت له، ومر به رجل من المسلمين فقال له علباء: يا هذا أعنى على بطنى، فأدخل له أمعاءه فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف العجم دون أن يتلفت إلى المسلمين وراءه فأدركه الموت على ثلاثين ذراعًا من مصرعه وهو يقول:

أرجو بها من ربنا ثوابا قد كنت ممن أحسن الضرابا

جـ- الأعرف بن الأعلم العقيلى:

خرج رجل من أهل فارس ينادى من يبارز؟ فبرز له الأعرف بن الأعلم العقيلى فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه، وندر سلاحه عنه فأخذوه، فغبَّر فى وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه[٢].

د- مواقف فدائية لأبناء الخنساء الأربعة:

كان لأبناء الخنساء الأربعة مواقف فدائية فى ذلك اليوم، فقد اندفعوا إلى القتال بحماس، وقال كل واحد منهم شعراً حماسيًا يقوى به نفسه وإخوانه فقال أولهم:

يا إخوتى إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

مقالة ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة

---

(١) النفح الضرب إلى خارج اليمين.

(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٧٠).

وإنما تلقون عند الصائحة | من آل ساسان الكلاب النابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة | وأنتم بين حياة وحياة صالحة

وتقدم فقاتل حتى قُتل، فحمل الثانى وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلد | والنظر الأوفق والرأى السَّدد
قد أمرتنا بالسداد والرّشد | نصيحة منها وبراً بالولد
فباكروا الحرب حماة فى العدد | إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد | فى جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد، وحمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصى العجوز حرفًا | قد أمرتنا حدبًا وعطفًا
نصحًا وبرًا صادقًا ولطفًا | فبادروا الحرب الضروس زحفًا
حتى تلفوا آل كسرى لفا | أو يكشفوكم عن حماكم كشفًا
إنا نرى التقصير عنكم ضعفًا | والقتل فيكم نجدة وزُلفى

وقاتل حتى استشهد، وحمل الرابع وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخْرَمِ | ولا لعمرو ذى السناء الأقدم
إن لم أرِدْ فى الجيش جيش الأعجم | ماض على الهول خضمّ خضرم
إما لفوز عاجل ومغنم | أو لوفاة فى السبيل الأكرم

فقاتل حتى استشهد(١)، وبلغ الخنساء خبر بنيها الأربعة، فقالت: الحمد لله الذى شرّفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته(٢).

هـ- مكيدة قعقاعية بالغة التأثير على الفرس:

فى هذا اليوم أغواث قام القعقاع بن عمرو وبنو عمه من تميم بمكيدة قعقاعية بالغة التأثير على الفرس، وذلك أنه لما علم بما فعلته الفيلة فى اليوم الأول بخيول المسلمين قام

---

(١) القادسية، أحمد عادل كمال ص (١٥٤).
(٢) الخنساء أم الشهداء، عبد المنعم الهاشمى ص(٩٨).

هو وقومه بتوفيق من الله تعالى، بتهيئة الإبل لتظهر فى مظهر مخيف يُنَفِّر الخيول، فألبسوها وجلَّلوها ووضعوا لها البراقع فى وجوهها، وحملوا عليها المشاة وأحاطوها بالخيول لحمايتها، وهجموا بها على خيول الفرس، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلوا بالمسلمين يوم أرماث، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيول المسلمين، فلما رأى ذلك الناس استنُّوا بهم، فلقى الفرس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقى المسلمون من الفيلة يوم أرماث(١)، وهكذا نجد أن المسلمين الأوائل يتفوقون على أعدائهم فى الابتكار الحربى، فالفرس أنهكوا المسلمين فى اليوم الأول بسبب استخدام الفيلة، وما دام المسلمون لا يملكون الفيلة فليخترعوا مما يملكون من الإبل ما يكيدون به الأعداء، فكانت هذه الحيلة الحربية الممتازة التى أخافت خيول الأعداء فنفرت بمن عليها من الفرسان، وهكذا يجب أن يكون المسلمون متفوقين فى مجال الإعداد المادى بعد تفوقهم فى الإعداد الروحى.

و- أبو محجن الثقفى فى قلب المعركة:

استمر القتال يوم أغواث إلى منتصف الليل، وسميت تلك الليلة ليلة السواد، ثم وقف القتال بعد أن تحاجز الفريقان وكان لوقف القتال منفعة كبيرة للمسلمين، حيث كانوا ينقلون شهداءهم إلى مقر دفنهم فى وادى مُشرِّق وينقلون الجرحى إلى العُذَيب حيث تقوم النساء بتمريضهم، ولقد شارك فى القتال فى هذه الليلة لأول مرة أبو محجن الثقفى(٢)، وكان أبو محجن قد حُبس وقُيِّد، فهو فى القصر، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله، فزبره وردَّه، فنزل فأتى سلْمى بنت خَصَفة، فقال: يا سلمى يا بنت آل خَصفة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلّين عنِّى وتُعيريننى البلقاء، فلله علىّ إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قَيْدى، فقالت: وما أنا وذاك! فرجع يرسف فى قيوده ويقول:

كفى حزنًا أن تَرْدِىَ الخيلُ بالقنا(٣) وأُترك مشدودًا علىَّ وثاقيا

إذا قُمتُ عنَّانى الحديدُ وأُغلقت مصارع دونى قد تُصمُّ المُناديا

(١، ٢) التاريخ الإسلامى (١٠/٤٦).

(٣) القنا: الرمح.

وقـد كنت ذا مـال كـثـيـر وإخـوة　　فـقـد تركـونى واحـداً لا أخـا ليـا

ولله عـهـدٌ لا أخـيسُ بعـهـده　　لئن فُـرجَتْ ألاَّ أزور الحـوانيـا

فقالت سَلْمى: إنى استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته وقالت: أمَّا الفَرَس فلا أعيرها، ورجعت إلى بيتها، فاقتادها، فأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها، ثم دبَّ عليها، حتى إذا كان بحيال الميمنة كبَّر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصّفَّين، فقالوا: بسرجها، وقال سعيد والقاسم عُرْيًا، ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبَّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصّفَّين برمحه وسلاحه، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فندر أمام الناس، فحمل على القوم يلعب بين الصّفين برمحه وسلاحه، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفًا منكرًا وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النَّهار، فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس مُكِبٌّ من فوق القصر: والله لولا محبس أبى مِحْجَن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء، وتعددت الأقوال فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس، وتراجع المسلمون، وأقبل أبو محْجن حتى دخل من حيث خرج، وعاد رجليه فى قيديه وقال:

لقـد علمت ثقـيف غـيـر فـخـر　　بأنا نحن أكـرَمُـهم سُـيُـوفًـا

وأكـثَـرُهُم دروعًـا سـابغـات　　وأصـبـرهم إذا كَـرهوا الوُقـوفـا

وأنّـا وفـدُهـم فـى كـل يـوم　　فـإن عَـمـيُـوا فـسل بهمُ عَـريفًـا

وليلة قـادس لـم يشـعـروا بى　　ولـم أشـعـر بمخـرجى الزُّحُـوفـا

فـإن أُحـبس فـذلكُمُ بلائى　　وإن أترك أذيقُـهُـمُ الحُـتـوفـا

فقالت له سلمى: يا أبا محْجَن، فى أى شيء حبسك هذا الرجل؟ قال: أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لسانى، يبعثه على شفتى أحيانًا، فيساء لذلك ثنائى، ولذلك حبسنى قلت:

إذا متُّ فـادْفنِّى إلى أصل كَـرْمَـة　　تُرَوِّى عظامى بعـد مـوتى عُـرُوقـهـا

ولا تـدفنِّى بـالـفـلاة فـإننـى　　أخـاف إذا مـا مت ألا أذوقـهـا

وتُروى بخمر الحُصِّ لَحدى فإنني	أسيرُ لها من بعد ما قد أسوقُها

فلما أصبحت سلمى أخبرت سعد بن أبي وقاص عن خبرها وخبر أبي محجن، فدعا به فأطلقه، وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبداً[١].

ز- خطة قعقاعية في النصف الأخير من ليلة السواد:

من أبرز ما جرى من نصف ليلة السواد الأخير أن القعقاع بن عمرو اغتنم الفرصة في التخطيط لخطة يرفع بها من معنويات المسلمين في يومهم القادم، فلقد أمر أتباعه بأن يتسللوا سراً ثم يقدمون في النهار تباعًا على فرق كل فرقة مائة مقاتل، وقال لهم: إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة، كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة، فإن جاء هاشم فذاك، وإلا جددتم للناس رجاء وجِدًّا، فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نواصيها كبر وكبر الناس وقالوا: جاء المدد، وقد تأسى به أخوه عاصم بن عمرو فأمر قومه أن يصنعوا مثل ذلك فأقبلوا من جهة (خفَّان)، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم بن عتبة في سبعمائة من جيش الشام، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه، فعبأ أصحابه سبعين سبعين، فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه[٢]، وهنا يلاحظ الباحث تواضع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فلقد قبل الأخذ بالرأي الأمثل في التخطيط الحربي، فصنع بتفريق جيشه كما صنع القعقاع بن عمرو، ولم يمنعه اعتبار النفس والمنصب من أن يأخذ برأي قائد من قواده، بل كان رجلاً من الرجال الذين تخرجوا في مدرسة التربية النبوية، فأصبحوا يُلغون ذواتهم ومصالحهم الخاصة في سبيل مصلحة الإسلام ومصلحة المسلمين العامة، وهذا من أهم أسباب نجاحهم في إقامة الدولة الإسلامية الكبرى، والقضاء على قوى العالم آنذاك[٣].

٣- يوم عماس:

هذا اليوم الثالث، يوم عماس، فقد قدم الفرس فيه فيلتهم بتخطيط جديد تلافوا به ما كان في اليوم الأول من قطع حبالهم، فجعلوا مع كل فيل رجالاً يحمونه ومع الرجال فرسان يحمونهم، وظل المسلمون يقاتلون الفيلة ومن فوقها وحولها، ولقوا منها عنتًا

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٧٤).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٧٥).
(٣) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٦٦).

شديداً، ولما رأى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ما يلاقى المسلمون منها أرسل إلى مسلمى الفرس الذين كانوا مع جيش المسلمين سألهم عن الفيلة : هل لها مقاتل؟ فقالوا : نعم المشافر والعيون لا ينتفع بها بعدها، فأرسل إلى القعقاع وعاصم بنى عمرو وقال لهما : أكفيانى الفيل الأبيض وكانت كلها آلفة له وكان بإزائهما، وأرسل إلى حمَّال بن مالك والرِّبِّيل بن عمرو الأسديين فقال : اكفيانى الفيل الأجرب، وكانت آلفة له كلها وكان بإزائهما، فأخذ القعقاع وعاصم رمحيهما ودبَّا إليه فى كتيبة من الفرسان والرجال، فقالا لمن معهما : اكتنفوه لتحيروه فأصبح الفيل ينظر يمنة ويسرة متحيراً ممن حوله، ودنا منه القعقاع وعاصم فحملا عليه وهو متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معا فى عينى الفيل الأبيض، ونفض رأسه فطرح سائسه، ودلَّى مشفره، فنفحه القعقاع بسيفه فرمى به، ووقع لجنبه فقتلوا من كان عليه. وحمل حمَّال بن مالك وقال للربيل بن عمرو : اختر إما أن تضرب المشفر، وأطعن فى عينه أو تطعن فى عينه وأضرب مشفره، فاختار الضرب، فحمل عليه حمال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه لا يخاف سائسه إلا على بطانه، ـوذلك لأن المسلمين قطعوا ذلك منها فى اليوم الأول فانفرد به أولئك فطعنه حمَّال فى عينه فأقعى على خلفه، ثم استوى، ونفحه الربيل بن عمرو فأبان مشفره، وبصُر به سائسه فضرب جبينه وأنفه بحديدة كانت معه وأفلت منها الربيل وحمال، وصاح الفيلان صياح الخنزير، وكانت الفيلة تابعة لهما فرجعت على الفرس، ورجعت معها الفيلة تطأ جيش الفرس حتى قطعت نهر العتيق وولَّت نحو المدائن وهلك من كان عليها[1]. ولما خلا الميدان من الفيلة زحف الناس بعضهم على بعض واشتد القتال بينهم، وكان لدى الفرس جيش احتياطى من أهل النجدات والبأس، فكلما وقع خلل فى جيشهم، أبلغوا (يزدجرد) فأرسل لهم من هؤلاء وقد انتهى ذلك اليوم والمسلمون وأعداؤهم على السواء[2].

أ- بطولة عمرو بن معدى كرب :

قال عمرو بن معدى كرب : إنى حامل على الفيل ومن حوله ـ لفيل بإزائهم ـ فلا تدعونى أكثر من جزر جزور (يعنى نحر الناقة) فإن تأخرتم عنى فقدتم أبا ثور، فأنَّى لكم مثل أبى ثور، فإنى أدركتمونى وجدتمونى وفى يدى السيف، فحمل فما انثنى حتى

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٠ / ٤٦٨).

(٢) تاريخ الطبرى (٤ / ٣٧٦).

ضرب فيهم، وستره الغبار، فقال أصحابه: ما تنظرون؟ ما أنتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم، فحملوا حملة فأفرج المشركون عنه بعدما صرعوه وطعنوه، وإن سيفه لفى يده يضاربهم وقد طعن فرسه، فلما رأى أصحابه وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرس من أهل فارس، فحركه الفارسى فاضطرب الفرس فالتفت الفارسى إلى عمرو، فهمّ به وأبصره المسلمون، فغشوه، فنزل عنه الفارسى، وحاضر - يعنى أسرع إلى أصحابه - فقال عمرو: أمكنونى من لجامه، فأمكنوه منه فركبه(١).

ب- طليحة بن خويلد الأسدى:

استمر القتال فى اليوم الثالث إلى الليل، ثم حجز بينهم صوت طليحة بن خويلد الأسدى، وكان قد التف وراء جيش الفرس، ففزع لذلك الفرس، وتعجب المسلمون، فكف بعضهم عن بعض للنظر فى ذلك، وكان سعد رضى الله عنه قد بعثه مع أناس لحراسة مكان يحتمل منه الخطر على المسلمين فتجاوز مهمته، ودار من خلف الفرس وكبر ثلاث تكبيرات(٢)، ولقد أفادت حركته هذه حيث توقفت الحرب وكان هناك فرصة لإعادة الصفوف والاستعداد لقتال الليل.

جـ- قيس بن المكشوح:

لما قدم من الشام مع هاشم بن عتبة، قام فيمن يليه، فقال لهم: يا معاشر العرب، إن الله قد منَّ عليكم بالإسلام وأكرمكم بمحمد ﷺ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدُو بعضكم على بعض عَدْو الأسد، ويختطف بعضكم بعضا اختطاف الذئاب، فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام وانتشال(٣) القصور الحمر والحصون الحمر(٤).

د- ما قيل من شعر فى ذلك اليوم:

قال القعقاع بن عمرو:

حضَّض قومى مضرحيٌّ بن يعمرٍ فلله قومى حين هزُّوا العواليا

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٧٨).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٨٢).

(٣) انتشال: استخراج، انتزاع.

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٧٨).

ومـا خـام عنهـا يوم سـارت جـمـوعنا	لأهـل قُـــدَيس يـمـنعـــون المواليـــا
فــرن كنـت قـــاتلت العـــدو فللتـــه	فــإنى لألقى فى الحــروب الدواهيـــا
فُـيــولا أراها كــالبـيــوت مــغـيــرة	أســمِّل أعــيـــانا لـهـــا ومــآقـيـــا[1]

وقال آخر:

أنا ابن حـــرب ومـــعى مِــخـــراقى	أضــــــربهُم بصـــــــارم رقــــــراق
إذ كــــــره الموت أبو إســــــحـــــاق	وجــــاشـت النـفس عـلـى التـــراقى

هـ- ليلة الهرير:

بدأ القتال ليلة الهرير فى اليوم الرابع، وقد غير الفرس هذه الليلة طريقتهم فى القتال، فقد أدرك رستم أن جيشه لا يصل إلى مستوى فرسان المسلمين فى المطاردة ولا يقاربهم، فعزم على أن يكون القتال زحفًا بجميع الجيش حتى يتفادى الانتكاسات السابقة التى تسببت فى تحطيم معنويات جيشه، فلم يخرج أحد من الفرس للمبارزة والمطاردة بعدما انبعث لذلك أبطال المسلمين، وجعل رستم جيشه ثلاثة عشر صفًا فى القلب والمجنبتين وبدأ القعقاع بن عمرو القتال وتبعه أهل النجدة والشجاعة قبل أن يكبر سعد، فسمح لهم بذلك واستغفر لهم، فلما كبر ثلاثًا زحف القادة وسائر الجيش، وكانوا ثلاثة صفوف صفًا فيه الرماة وصفًا فيه الفرسان وصفًا فيه المشاة، وكان القتال فى تلك الليلة عنيفًا، وقد اجتلدوا من أول الليل حتى الصباح لا ينطقون، كلامهم الهرير، فسميت ليلة الهرير، وقد أوصى المسلمون بعضهم بعضا على بذل الجهد فى القتال لما يتوقعونه من عنف الصراع، ومما روى من الأقوال فى ذلك[2] ما قاله كل من:

دريد بن كعب النخعى قال لقومه: إن المسلمين تهيأوا للمزاحفة فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد، فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه، نافسوهم فى الشهادة وطيبوا بالموت نفسًا، فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة، وإلا فالآخرة ما أردتم.

وقال الأشعث بن قيس: يا معشر العرب إنه لا ينبغى أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٨١).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٧٢).

الموت ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا، تنافسوا الأزواج والأولاد، ولا تجزعوا من القتل فإنه أماني الكرام ومنايا الشهداء[١].

وقال حميضة بن النعمان البارقي: كان بإزاء قبيلة (جعفي) ليلة الهرير كتيبة من كتائب العجم عليهم السلاح التام، فازدلفوا لهم فجالدوهم بالسيوف، فرأوا أن السيوف لا تعمل مع الحديد فارتدعوا، فقال لهم حميضة بن النعمان البارقي: مالكم؟ قالوا: لا يجوز فيهم السلاح، قال: كما أنتم حتى أريكم، انظروا، فحمل على رجل منهم فاستدار خلفه فدق ظهره بالرمح ثم التفت إلى أصحابه فقال: ما أراهم إلا يموتون دونكم، فحملوا عليهم وأزالوهم إلى صفهم[٢].

وكان بإزاء قبيلة كندة، تُرك الطبري (أحد قادة الفرس) فقال الأشعث بن قيس الكندي: يا قوم ازحفوا لهم، فزحف لهم في سبعمائة فأزالهم وقتل قائدهم تُرك، وكان القتال في تلك الليلة شديداً متواصلاً، وقام زعماء القبائل يحثون قبائلهم على الثبات والصبر، ومما يبين عنف القتال في تلك الليلة، ما أخرجه الطبري عن أنس بن الحليس قال: شهدت ليلة الهرير، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح، أُفرغ عليهم الصبر إفراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد، وأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان نصف الليل الباقي سمع القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحن قتلنا معشرا وزائدا ... أربعة وخمسة وواحدا

نُحسبُ فوق اللِّبد الأساودا[٣] ... حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربي واحترزت عامدا[٤]

فاستدل سعد بذلك على الفتح، وهكذا بات سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يدعو الله تعالى تلك الليلة ويستنزل نصره، ومما ينبغي الإشارة إليه أن سعدا كان مستجاب الدعوة[٥].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٤).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٨٦).

(٣) اللّبد سرج الفرس، والأساود الحيات.

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٦).

(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ٤٧٤).

٤- يوم القادسية:

أصبح المسلمون فى اليوم الرابع وهم يقاتلون، فسار القعقاع بن عمرو فى الناس فقال: إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر، فآثروا الصبر على الجزع، فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح، ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال، فقام قيس بن عبد يغوث والأشعث بن قيس، وعمرو بن معدى كرب وابن ذى السهمين الخشعمى وابن ذى البردين الهلالى، فقالوا: لا يكونن هؤلاء (يعنى أهل فارس) أجرأ على الموت منكم، ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا، وقام فى ربيعة رجال فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى، فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم(١)، وهكذا يضيف القعقاع بن عمرو مأثرة جديدة فى مآثره الكثيرة؛ فقد جمع الله له بين الشجاعة النادرة، والرأى السديد وقوة الإيمان، فسخر ذلك كله لنصرة الإسلام والمسلمين، وكان قدومه فى هذه المعركة فتحًا للمسلمين، لقد أدرك القعقاع أن الأعداء قد نفد صبرهم بعد قتال استمر يومًا وليلة دون انقطاع، وقبل ذلك لمدة يومين مع راحة قليلة، وعرف بثاقب فكره وطول تجربته - بعد توفيق الله له - أن عاقبة المعركة مع من صبر بعد هذا الإجهاد الطويل(٢)، واستطاع القعقاع ومن معه من الأبطال أن يفتحوا ثغرة عميقة فى قلب الجيش الفارسى حتى وصلوا قريبًا من رستم مع الظهيرة، وهنا تنزل نصر الله تعالى، وأمد أولياءه بجنود من عنده فهبّت ريح عاصف وهى الدَّبور، فاقتلعت طيارة رستم عن سريره، وألقتها فى نهر العتيق، ومال الغبار على الفرس فعاقهم عن الدفاع(٣).

أ- مقتل رستم قائد الفرس:

وتقدم القعقاع ومن معه حتى عثروا على سرير رستم وهم لا يرونه من الغبار، وكان رستم قد تركه واستظل ببغل من البغال المحملة، وضرب هلال بن عُلَّفة أحد عدلى البغل فوقع على رستم وهو لا يشعر به فأزال من ظهره فقارا، وهرب رستم نحو نهر العتيق لينجو بنفسه، ولكن هلالا أدركه فأمسك برجله وسحبه ثم قتله، وصعد السرير ثم

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٨٧).

(٢،٣) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٧٥، ٤٧٦).

نادى: قتلت رستم ورب الكعبة، إلىَّ، فأطافوا به وما يرون السرير وكبروا وتنادوا، وانهزم قلب الفرس، أما بقية قادة المسلمين فإنهم تقدموا أيضًا فيمن يقابلهم وتقهقر الفرس أمامهم، ولما علم الجالينوس بمقتل رستم قام على الردم المقام على النهر ونادى أهل فارس إلى العبور فراراً من القتل فعبروا، أما المقترنون بالسلاسل وعددهم ثلاثون ألفًا فإنهم تهافتوا فى نهر العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم، فما أفلت منهم أحد[1].

ب- نهاية المعركة:

انتهت المعركة بتوفيق الله تعالى، ثم بجهود أبطال المسلمين وحكمة قائدهم سعد بن أبى وقاص، وكانت معركة عنيفة قاسية ثبت فيها الأعداء للمسلمين ثلاثة أيام حتى هزمهم الله فى اليوم الرابع، بينما كان المسلمون يهزمون أعداءهم غالبًا فى يوم واحد، وكان من أسباب هذا الثبات أن الفرس كانوا يعتبرون هذه المعركة معركة مصير، فإما أن تبقى دولتهم مع الانتصار، وإما أن تزول دولتهم مع الهزيمة والاندحار ولا تقوم لهم قائمة، كما أن من أسباب ثباتهم وجود أكبر قادتهم رستم، على رأس القيادة، وهو قائد له تاريخ حافل بالانتصارات على أعدائه، إضافة إلى تفوق الفرس فى العُدد والعَدد، حيث كان عدد الفرس عشرين ومائة ألف من المقاتلين من غير الأتباع، مع من كان يبعثهم يزدجرد مددا كل يوم، بينما كان عدد المسلمين بضعة وثلاثين ألفا[2]، ومع هذا كله انتصر المسلمون عليهم بعد أن قدموا ثمانية آلاف وخمسمائة من الشهداء[3]، وهذا العدد من الشهداء هو أكبر عدد قدمه المسلمون فى معاركهم فى الفتوح الإسلامية الأولى، وكونهم قدموا هذا العدد من الشهداء دليل على عنف المعركة وعلى استبسال المسلمين وتعرضهم للشهادة رضى الله عنهم أجمعين[4].

جـ- مطاردة فلول المنهزمين:

أمر سعد رضى الله عنه بمطاردة فلول المنهزمين فوكل القعقاع بن عمرو وشرحبيل بن السمط الكندى بمطاردة المنهزمين يمينًا وشمالاً دون نهر العتيق، وأمر زهرة بن الحوية بمطاردة الذين عبروا النهر مع قادتهم، وكان الفرس قد بثقوا النهر فى الردم حتى لا

(١، ٢، ٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٨٨).

(٤) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٧٨، ٤٧٩).

يستطيع المسلمون متابعتهم، فاستطاع زهرة وثلاثمائة فارس أن يتجاوزوا بخيولهم وأمر من لم يستطع بموافاتهم من طريق القنطرة، وكان أبعد قليلاً، ثم أدركوا القوم وكان الجالينوس وهو أحد قادتهم الكبار يسير في ساقة القوم يحميهم، فأدركه زهرة فنازله فاختلفا ضربتين فقتله زهرة وأخذ سلبه، وطاردوا الفرس وقتلوا منهم، ثم أمسوا في القادسية مع المسلمين[١].

د - بشائر النصر تصل إلى عمر رضى الله عنه:

وكتب سعد إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنهما يخبره بالفتح مع سعد بن عُمَيلة الفزارى وجاء فى كتابه: أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كانوا قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعُدَّة لم ير الراؤون مثل زهائها (يعنى مقدارها) فلم ينفعهم الله بذلك، بل سَلَبَهموه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام، وفى الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ وفلان وفلان، ورجال من المسلمين لا نعلمهم، الله بهم عالم، كانوا يُدوُّون بالقرآن إذا جنَّ عليهم الليل دويَّ النحل، وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود، ولم يفضُل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم[٢]، وفى هذه الرسالة دروس وعبر منها:

- ما تحلى به سعد رضى الله عنه من توحيد الله تعالى وتعظيمه والبراءة من حول النفوس وقوتها، فالنصر على الأعداء إنما هو من الله تعالى وحده وليس بقوة المسلمين، بالرغم مما بذلوه من الجهاد المضنى والتضحية العالية.

- وقوة الأعداء الضخمة، ليس بقاؤها أو سلبها للبشر، بل ذلك كله لله تعالى، فهو الذى حرم الأعداء من الانتفاع بقوتهم، وهو الذى منحها للمسلمين، وإنما البشر مجرد وسائط يجرى الله النفع والضرر على أيديهم، وهو وحده الذى يستطيع دفع الضرر وجلب المنفعة سبحانه وتعالى، وهكذا فهم سعد رضى الله عنه معنى التوحيد، وحققه مع جنوده فى حياته.

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٨٩).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٠٨).

● ونلاحظ سعداً فى رسالته يصف الصحابة رضى الله عنهم ومن معهم من التابعين بالتفوق فى العبادة والشجاعة، فهم عباد فى الليل، لهم أصوات مدوية بالقرآن كأصوات النحل لا تكل ولا تمل، وفرسان فى النهار، لا تصل الأسود الضارية إلى مستواهم فى الإقدام والثبات[1]، وكان عمر رضى الله عنه يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حيث يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله ومنزله، فلما لقى البشير سأله: من أين؟ فأخبره، قال: يا عبد الله حدثنى قال: هزم الله العدو، وعمر يخب معه – يعنى يسرع – ويستخبره، والآخر على ناقته ولا يعرفه، حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين فقال: فهلا أخبرتنى رحمك الله أنك أمير المؤمنين، وجعل عمر يقول: لا عليك يا أخى[2]. وفى هذا الخبر دروس وعبر منها:

– الاهتمام الكبير من عمر رضى الله عنه الذى دفعه إلى أن يخرج إلى البرية كل يوم لعله يجد الركبان القادمين من العراق فيسألهم عن خبر المسلمين مع أعدائهم، وقد كان بإمكانه أن يوكل بهذه المهمة غيره ممن يأتيه بالخبر ولكن الهم الكبير الذى كان يحمله للمسلمين لا يتيح له أن يفعل ذلك، وهنا منتهى الرحمة والشعور بالمسئولية.

– التواضع الجم من عمر رضى الله عنه، فقد ظل يسير ماشيًا مع الراكب، ويطلب منه خبر المعركة، وذلك الرسول لا يريد أن يخبره بالتفاصيل حتى يصل إلى أمير المؤمنين، ولا يدرى أنه الذى يخاطبه ويعدو معه، حتى عرف ذلك من الناس فى المدينة، وهذه أخلاق رفيعة يحق للمسلمين أن يفاخروا بها العالم فى تاريخهم الطويل، وأن يستدلوا بها على عظمة هذا الدين الذى أنجب رجالا مثل عمر فى عدله ورحمته وحزمه وتواضعه[3].

خامسًا: دروس وعبر وفوائد:

١- تاريخ المعركة وأثرها فى حركة الفتوحات:

اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ المعركة، وللأستاذ أحمد عادل كمال تحقيق جيد توصل فيه إلى أنها فى شهر شعبان من العام الخامس عشر[4]، وهذا القول أميل إليه، ولا

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٨١).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٠٨).

(٣) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٨٣).

(٤) القادسية ٢٦٦، التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٨٨).

شك أن القادسية تقع على قمة قائمة المعارك الحاسمة فى تاريخ العالم، فهى تبين أنواعًا من التمكين الربانى لأهل الإيمان الصحيح، فقد انفتحت على آثارها أبواب العراق، ومن وراء العراق فارس كلها، وهى التى من عندها استطرد نصر المسلمين، فاستطرد معه السقوط الساسانى من الناحيتين الحربية والسياسية، والسقوط المجوسى من الناحية الدينية العقائدية، ومن هنا انساح دين الإسلام فى بلاد فارس وما وراءها، ففى القادسية كسر المسلمون شوكة المجوس كسرة لم ينجبر شأنهم بعدها أبدا، وبهذا استحقت القادسية مكانها على قمة المعارك الحاسمة فى تاريخ البشر(١).

٢- خطبة عمرية بعد فتح القادسية:

لما أتى عمر رضى الله عنه خبر الفتح قام فى الناس فقرأ عليهم الفتح، وقال: إنى حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك منا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف، ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ولست معلِّمكم إلا بالعمل، إنى والله ما أنا بملك فأستعبدكم، وإنما أنا عبد الله عُرض علىَّ الأمانة، فإن أبيتها (يعنى أعففت نفسى من أموال الرعية) ورددتها عليكم، واتبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم وترووا سعدت، وإن أنا حملتها واستتبعتها إلى بيتى شقيت، ففرحت قليلاً وحزنت طويلاً، وبقيت لا أقال ولا أردُّ فأَستعتب(٢).

٣- الوفاء عند المسلمين، والعدل لا رخصة فيه:

كتب سعد رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين رضى الله عنهما كتابًا آخر، يطلب فيه أمره فى أهل الذمة من عرب العراق الذين نقضوا عهدهم فى حال ضعف المسلمين، فقام عمر رضى الله عنه فى الناس فقال: إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع ويلزم السبيل النَّهجَ ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة أصاب أمره وظفر بحظه، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا

---

(١) الطريق إلى المدائن ص(٤٧٣، ٤٧٤).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٠٩).

﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم، وجلا أهله، وأتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استُكره وحُشر وفيمن لم يدَّع ذلك ولم يُقم وجلا، وفيمن أقام ولم يدع شيئًا ولم يجلُ، وفيمن استسلم؟ فاجتمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبه إلا خيرا، وأن من ادعى فصُدِّق أو وَفى فبمنزلتهم، وإن كُذِّب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم، وأن يُجعل أمر من جلا إليهم فإن شاءوا وادعوهم وكانوا لهم ذمة، وإن شاءوا تموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال، وأن يخيروا من أقام واستسلم الجزاء أو الجلاء وكذلك الفلاحين(١).

وفى هذه الخطبة دروس وعبر منها:

- تطبيق عمر رضى الله عنه مبدأ الشورى حيث كان يستشير أهل الرأى فى كل أموره المهمة، بالرغم مما عرف عنه من غزارة العلم وسداد الرأى، وإن هذا السلوك الرفيع كان من أسباب نجاحه الكبير فى سياسة الأمة.

- الاستفادة من هذه المقدمة التى قدمها عمر رضى الله عنه بين يدى استشارته حيث ذكر الصحابة رضى الله عنهم بلزوم التجرد من الهوى وإخلاص النية لله عز وجل، والاستقامة على المنهج القويم الذى سنه رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك عصم من الذل فى الحكم وأصاب الحق وظفر بثواب الله تعالى(٢)، وقد لخص عمر رضى الله عنه هذه المشورة بخطاب وجهه إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه جاء فيه: أما بعد فإن الله جل وعلا أنزل فى كل شىء رخصة فى بعض الحالات إلا فى أمرين: العدل فى السيرة والذكر، فأما الذكر فلا رخصة فيه فى حالة، ولم يرض منه إلا بالكثير، وأما العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد، ولا فى شدة ولا رخاء، والعدل - وإن رئى لينا - فهو أقوى وأطفأ للجور، وأقمع للباطل من الجور، وإن رئى شديداً فهو أنكش للفكر، فمن تم على عهده من أهل السواد - يعنى عرب العراق - ولم يعن عليكم بشىء فلهم الذمة وعليهم الجزية، وأما من ادعى أنه

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٤١٠).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٨٥).

استكره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب فى الأرض فلا تصدقوهم بذلك إلا أن تشاءوا، وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، وأبلغوهم مأمنهم[1]، وفى هذا الرد دروس وعبر منها:

أن العدل فى الحكم هو الدعامة الكبرى لبقاء حكم الإسلام وسيادته، وانتشار الأمن والرخاء فى بلاد المسلمين، هذا فى الدنيا وأما فى الآخرة فلا مفر من العقاب للظالمين، لأن حقوق الله تعالى قد يغفرها لعبده ويتجاوز عنه، أما حقوق الناس فإن الله تعالى يوقف الظالمين والمظلومين يوم القيامة فيقتص بعضهم من بعض، وأما ذكر الله تعالى فلا بد أن يسود حياة المسلم فى قلبه ولسانه وجوارحه، فيكون تفكيره خالصًا لله تعالى، ومنطقه فيما يرضيه وعمله من أجله، ويكون همه الأكبر إقامة ذكر الله جل وعلا فى الأرض قولاً وعملاً واعتقاداً، فإذا كان كذلك عصمه الله سبحانه من فتنة الشبهات والشهوات، وقد أخذ سعد ومن معه من المسلمين بتوجيهات أمير المؤمنين، فعرضوا على من حولهم ممن جلا عن بلاده أن يرجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية، وهكذا نجد أمامنا نموذجًا من نماذج الرحمة وتأليف القلوب، وقد أثرت هذه المعاملة الكريمة وحببت المسلمين والإسلام لهؤلاء الناكثين فدخلوا بعد ذلك على مراحل فى الإسلام وصاروا من أتباعه المخلصين[2].

٤ - عمر يرد الخمس فى القادسية على المقاتلين وحسن مكافأته للبارزين:

أمر عمر رضى الله عنه فى القادسية برد الخمس على المقاتلين، ونفذ سعد أمر الخليفة، وكان اجتهاد عمر هنا بارعًا كبراعة اجتهاده فى ترك أراضى السواد بيد أصحابها، فقد رأى تمشيًا مع المصلحة العليا للدولة أن يوزع الخمس على المجاهدين تشجيعًا لهم وتوسعة عليهم واعترافًا بجهودهم[3]، وقد أرسل عمر إلى سعد أربعة أسياف، وأربعة أفراس يعطيها مكافأة لمن انتهى إليه البلاء فى حرب العراق، فقلد الأسياف الأربعة؛ ثلاثة من بنى أسد وهم: حمَّال بن مالك، والربيل بن عمرو بن ربيعة الواليين، وطليحة بن خويلد، والرابع لعاصم بن عمرو التميمى، وأعطى الأفراس: واحدا للقعقاع بن عمرو التميمى، والثلاثة لليربوعيين مكافأة لهم على واقعة عشية أغواث[4]، وهذه من

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٤١٠).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٠/ ٤٨٧).

(٣) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة المجتهد للعمرانى ص (١٦٣).

(٤) خلافة الصديق والفاروق للثعالبى ص (٢٥٣).

الوسائل العمرية في تفجير طاقات المجاهدين، وتحفيز همم المسلمين نحو المعالي والأهداف السامية والمقاصد النبيلة.

٥ - عمر يرد اعتبار زهرة بن الحوية:

عاد زهرة من مطاردته لفلول الفرس، وبعد أن قتل جالينوس أحد قادة الفرس، فأخذ زهرة سلبه وتدرع بما كان على جالينوس فعرفه الأسرى الذين كانوا عند سعد وقالوا: هذا سلب جالينوس. فقال له سعد: هل أعانك عليه أحد؟ قال: نعم. قال: من؟ قال: الله. وكان زهرة يومئذ شاباً له ذؤابة وقد سود في الجاهلية وحسن بلاؤه في الإسلام، وغضب سعد أن تسرع زهرة فلبس ما كان على جالينوس واستكثره عليه فنزعه عليه وقال: ألا انتظرت إذني؟[١]. ووصل الخبر إلى عمر، فأرسل إلى سعد: تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي، تكسر قرنه، وتفسد قلبه؛ امض له سلبه، وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسمائة، وإني قد نفلت كل من قتل رجلاً سلبه، فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً[٢].

وبهذا ردّ عمر إلى زهرة اعتباره[٣].

٦ - استشهاد المؤذن وتنافس المسلمين على الأذان:

في نهاية معركة القادسية حدث أمر عجيب، يدل على مقدار اهتمام المسلمين الأوائل بأمور دينهم وما يقربهم إلى الله تعالى، فقد قتل مؤذن المسلمين في ذلك اليوم وحضر وقت الصلاة، فتنافس المسلمون على الأذان حتى كادوا أن يقتتلوا بالسيوف، فأقرع بينهم سعد، فخرج سهم رجل فأذن[٤]، وإن التنافس على هذا العمل الصالح ليدل على قوة الإيمان، فإن الأذان ليس من ورائه مكاسب دنيوية ولا جاه ولا شهرة، وإنما دفعهم إلى التنافس عليه تذكر ما أعده الله تعالى للمؤذنين يوم القيامة من أجر عظيم، وإن قوماً تنافسوا على الأذان سيتنافسون بطريق الأولى على ما هو أعظم من ذلك، وهذا من أسرار نجاحهم في الجهاد في سبيل الله تعالى والدعوة إلى الإسلام[٥].

(١، ٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩١).

(٣) القادسية ص (٢٠٤).

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٠).

(٥) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٨٠).

٧ - التكتيك العسكرى الإسلامى فى المعركة:

كانت القادسية نموذجًا مميزًا من نماذج التكتيك العسكرى الإسلامى، حيث برع المسلمون فيها بإتقان المناورة التكتيكية التى تتلاءم مع كل حالة قتالية من حالات المعركة، فقد ظهر على مسرح الأحداث قدرة الفاروق على التعبئة العامة، أو التجنيد الإلزامى والحشد الأقصى للوسائل، إذ حشد الخليفة لهذه المعركة أقصى ما يمكن حشده من الرجال، كما حشد لها الفئة المختارة من رجال المسلمين، فقد كتب إلى سعد أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممن له رأى ونجدة، فاجتمع لسعد فى هذه المعركة بضعة وسبعون ممن حضروا بدراً، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن صحبوا النبى ﷺ بعد بيعة الرضوان، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة، وسبعمائة من أبناء الصحابة، ثم إنه لم يدع رئيسًا، ولا ذا رأى، ولا ذا شرف، ولا خطيبًا، ولا شاعراً، إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغُررهم، وهذا هو الحشد الأقصى للوسائل المادية والمعنوية للمعركة، ونجد أن فى التعبئة لهذه المعركة ، تجديداً لم نعهده عند المسلمين من قبل، إذ لم ينتظر سعد فى (صرار) حتى يكتمل جيشه ثم ينطلق به إلى العراق، بل انطلق فى أربعة آلاف ووصل إلى مكان المعركة بالقادسية فى سبعة عشر ألفًا، وهذه طريقة مبتكرة فى تعبئة الجيوش لم يعتمدها المسلمون قبل عمر، وحدد الخليفة فى رسائله إلى كل من المثنى وسعد مكان المعركة الحاسمة، وهو القادسية، وكان الفاروق أول قائد مسلم يعتمد (الرسالة الخارطة) فى دراسته لأرض المعركة وبيئتها، إذ طلب من سعد أن يصف له فى رسالة مفصلة، منازل المسلمين - أى مواقعهم - كأنه ينظر إليها، وأن يجعله من أمرهم - أى المسلمين على جلية، فكتب إليه سعد رسالة يشرح له فيها بالتفصيل، جغرافية القادسية (بين الخندق والعتيق) وما يقع على يمينها ويسارها، ثم يشرح له أوضاع البيئة التى تحيط بأرض المعركة، فينبئه أن أهلها معادون للمسلمين، ويتخذ الخليفة بناءً على ذلك، قراره التكتيكى والاستراتيجى[١].

واستخدم المسلمون أسلوب الغارات التموينية ،واستنزاف العدو منذ وصولهم إلى أرض العدو وتمركزهم فيها، وقد أفادت تلك الغارات التموينية فى سد احتياجات الجيش من المؤن، فكان يوم الأباقر، ويوم الحيتان، وغيرها من الأيام والغارات، وقد اتخذت هذه الغارات بالإضافة إلى وجهها التموينى، وجهًا آخر مهمًا، هو استنزاف

(١) الفن العسكرى الإسلامى ص (٤٧١، ٤٧٢).

طاقات العدو وقدرة الأهالى على حمل آثار الحرب ومعاناتها، واستعمل المسلمون أسلوب الكمائن فى مناوشتهم مع الفرس قبل القادسية، وفى استنزافهم لطاقات العدو ومعنوياتهم، فقد كمن بكير بن عبد الله الليثى بفرقة من خيالة المسلمين، فى أجمة من النخيل، وعلى الطريق إلى (الصنين) لقافلة تضم أخت أزاد مرد بن أزاذبه مرزبان الحيرة، وهى تزف إلى صاحب (الصنين) من أشراف العجم، وما أن وصلت القافلة إلى مكان الكمين حتى انقض المسلمون عليها، فقصم بكير صلب (شيرزاد بن أزاذبه) أخى العروس، وكان على رأس الخيل التى تتقدم القافلة ونفرت الخيل تعدو بمن على ظهورها من رجال، وأخذ المسلمون الأثقال وابنة أزاذبه فى ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع وما معهما لا يدرى قيمته[1].

واستعمل المسلمون فى هذه المعركة أسلوب التكتيك المتغير وفقًا لكل حالة من حالات القتال، وظرف من ظروفه، فبينما نراهم فى اليوم الأول من المعركة يحتالون على الفيلة المهاجمة، فيقطعون وضنها بعد أن يرموها بنبالهم، فتفر من ميدان القتال ريثما يصل إليهم المدد القادم من الشام، كما يعمدون إلى إيصال هذا المدد إلى ساحة القتال تباعًا وزمرة زمرة بغية إيهام العدو بكثرته، ثم يعمدون إلى حيلة تكتيكية بارعة، وذلك بأن يجللوا إبلهم ويبرقعوها تشبهًا بالفيلة، ثم يطلقوها فى صفوف العدو فتجفل خيلهم، وتولى هاربة لا تلوى على شيء، ويعمد المسلمون فى اليوم الثالث إلى مواجهة فيلة الفرس المحمية بخيالتهم، ومشاتهم، بأن يهاجموا أكبرها وأضخمها فيفقأوا عيونها، ويقطعوا مشافرها، فتفر الفيلة هاربة، ويتساوى الفرس والمسلمون فى ساحة القتال، بعد أن يخسر الفرس فيلتهم، أى مدرعاتهم، ولما رأى المسلمون أن أمد القتال يمكن أن يطول قرروا الهجوم العام فعبأوا صفوفهم وزحفوا زحفة واحدة، وما أن تخلت صفوف العدو وانكشف قلبه، حتى كان رستم قائد جيش العدو هدفهم، وما أن قضى على رستم حتى انهزم جيش الفرس هزيمة ساحقة.

وهكذا نرى أن الأسلوب الذى اتبعه المسلمون فى هذه المعركة، لم يتقيد بالأساليب التقليدية التى كانت متبعة فى القتال، بل إنه لبس لكل حالة لبوسها، فانتقل من الأساليب البدائية (المبارزة) إلى الحيل التكتيكية (الإبل المبرقعة وقطع وضن الفيلة وفقء عيونها وقطع مشافرها) إلى القتال الكلاسيكى التقليدى (الهجوم العام واستهداف

---

(١) الفن العسكرى ص (٢٧٣).

القائد) وتميزت هذه المعركة بالتعبئة ذات الطابع القبلى، وميزة هذا الأسلوب أنه يوجد بين القبائل تنافسًا فريداً فى الحماسة والاندفاع فى القتال[١]. هذه بعض الأساليب العسكرية الإسلامى التى مارسها المجاهدون فى القادسية.

٨- ما قيل من الشعر فى القادسية:

ومما قاله قيس بن المكشوح المرادى يتحدث عن فروسيته، مفتخرا لما كان منه ومن المجاهدين الآخرين فى مناهضة قادة الفرس فيقول:

جلبت الخيل من صنعاء تردى	بكل مدجج كالليث سامى[٢]
إلى وادى القرى فديار كلب	إلى اليرموك فالبلد الشامى
وجئنا القادسية بعد شهر	مسومة دوابرها دوامى
فناهضنا هنالك جمع كسرى	وأبناء المرازبة الكرام[٣]
فلما أن رأيت الخيل جالت	قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فهوى صريعًا	بسيف لا أفل ولا كهام[٤]
وقد أبلى الإله هناك خيراً	وفعل الخير عند الله نامى[٥]

وقال بشر بن ربيع الخثعمى فى القادسية:

تذكر -هداك الله- وقع سيوفنا	باب قديس والمكر عسير
عشية ود القوم لو أن بعضهم	يعار جناحى طائر فيطير
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة	دلفنا لأخرى كالجبال تسير
ترى القوم فيها واجمين كأنهم	جمال بأجمال لهن زفير[٦]

---

(١) الفن العسكرى الإسلامى ص (٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) تردى الخيل: ترجم الأرض بحوافرها.

(٣) المرازبة: رؤساء الفرس.

(٤) أفل: مثلم، كهام: كليل لا يقطع.

(٥) الأدب الإسلامى، د. نايف معروف ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٦) واجم: من الوجوم وهو السكوت مع كظم الغيظ، الأدب الإسلامى ص ٢١٥.

وقال بعض الشعراء:

وحيّتكَ عنى عصبة نخعية ... حسان الوجوه آمنوا بمحمد

أقاموا لكسرى يضربون جنودَهُ ... بكلّ رقيق الشفرتين مهنّدِ

إذا ثوّب الداعى أناخوا بكلكل ... من الموت مسوّد الغياطيل[1] أجرد

وقال بعض الشعراء:

وجدنا الأكرمين بنى تميم ... غداة الروع أكثرهم رجالاً

هُمُوا ساروا بأرعن مكفهّرٍ[2] ... إلى لجب يرونهم رعالا[3]

بحور للأكاسر من رجال ... كأسد الغاب تحسبهم جبالا

تركن لهم بقادس عز فخر ... وبالخيفين أيامًا طِوالا

مقطعة أكفهم وسوق ... بمرد حيث قابلت الرجالا[4]

ومما قاله النابغة الجعدى وهو يصور بشعره ما دار بينه وبين امرأته، وقد جزعت بسبب ذهابه فى فتوح فارس، فقال:

باتت تذكرنى بالله قاعدة ... والدمع ينهل من شأنيها سبلا

يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى ... كرها، وهل أمنعن الله ما بذلا

فإن رجعت فرب الناس أرجعنى ... وإن لحقت بربى فابتغى بدلا

ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرنى ... أو ضارعًا من ضنى لم يستطع حولا[5]

سادسًا: فتح المدائن:

أقام سعد بالقادسية شهرين ينتظر أمر عمر، حتى جاءه بالتوجه لفتح المدائن، وتخليف النساء والعيال بالعتيق مع جند كثيف يحوطهم، وعهد إليه أن يشركهم فى

---

(١) الغيطل: النسور.

(٢) ارعن مكفهر: ظلمة الليل الشديدة.

(٣) رعالاً: النعامة.

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٤٨).

(٥) الضارع: النحيل الهزيل، الأدب الإسلامى ص (٢١٤).

كل مغنم ما دموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم، ففعل وسار بالجيش لأيام بقين من شوال، وكان فل المنهزمين لحق ببابل، وفيهم بقايا الرؤساء مصممين على المدافعة، وبدأت مدن وقرى الفرس تسقط واحدة بعد واحدة، ففتح المسلمون البرس، ثم بابل، بعد أن عبروا نهر الفرات ثم كوثى ثم ساباط بعضها عنوة والبعض الآخر صلحًا[١].

واستمرت حملات المسلمين المنظمة حتى وصلوا إلى المدائن، وأمر عمر سعداً بأن يحسن إلى الفلاحين وأن يوفى لهم عهودهم، ودخلت جموع هائلة من الفلاحين فى ذمة المسلمين، وتأثر الفلاحون بأخلاق جيش المسلمين، وبعدلهم ومساواتهم المنبثقة من دينهم العظيم، فأميرهم كأصغر الرعية أمام الحق الأكبر، ولا ظلم، ولا فساد فى الأرض، خفت عنهم وطأة الكبرياء والعبودية التى كانوا يسامونها فصاروا عباداً لله وحده، وقد توجه سعد نحو المدائن بعد أمر أمير المؤمنين، فبعث مقدمة الجيش بقيادة زهرة بن الحوية، وأتبعه بعبد الله بن المعتم فى طائفة من الجيش، ثم بشرحبيل بن السمط فى طائفة أخرى، ثم بهاشم بن عتبة بن أبى وقاص، وقد جعله على خلافته بدلاً من خالد ابن عرفطة، ثم لحق سعد بهم ببقية الجيش وقد جعل على المؤخرة خالد بن عرفطة[٢]، وقد توجه زهرة قائد المقدمات إلى المدائن، والمدائن هى عاصمة دولة الفرس، وتقع شرق نهر دجلة وغربه، فالجزء الذى يقع غربه يسمى «بهر سير» والذى يقع شرقه يسمى «أسبانير» و«طيسفون» وقد وصل زهرة إلى بهرسير وبدأ حصار المدينة، ثم سار سعد بن أبى وقاص بالجيش الإسلامى ومعه قائد قواته ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص إلى المدائن الغربية «بهر سير» وفيها ملك الفرس (يزدجرد)، فحاصرها المسلمون شهرين، وكان الفرس يخرجون أحياناً لقتال المسلمين، ولكنهم لا يثبتون لهم، وقد أصيب زهرة ابن الحوية بسهم، وذلك أنه كان عليه درع مفصومة، فقيل له: لو أمرت بهذا الفصم فسرد (حتى لا تبقى فيها فتحة تصل منها السهام) فقال: ولم؟ قالوا: نخاف عليك منه، قال: إنى لكريم على الله إن ترك سهم فارس الجند كله ثم أتانى من هذا الفصم حتى يثبت فىّ وكان كريمًا على الله كما أمل، فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ بسهم، فثبت فيه من ذلك الفصم، فقال بعضهم: انزعوها منه، فقال: دعونى فإن نفسى معى مادامت فى، لعلى أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة، فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار من أهل اصطخر فقتله[٣].

---

(١) إتمام الوفاء ص (٨٢).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١/ ١٥٥).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٥٤).

وقد بقى المسلمون فى حصار بهرسير شهرين، استعملوا خلالها المجانيق، وقد صنع لهم الفرس الموالون لهم عشرين منجنيقًا شغلوا بها الفرس، أخافوهم[1] وفى هذا دلالة على أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا لا يهملون تحصيل أسباب النصر المادية إذا قدروا عليها، وأنهم كانوا على ذكر تام لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]، إلى جانب تفوقهم فى أسباب النصر المعنوية التى انفردوا بأهمها وأبرزها وهو الاعتماد على الله وذكره ودعاؤه[2].

١ - معية الله تعالى لأوليائه المؤمنين بالنصر والتأييد:

عن أنس بن الحليس قال: بينما نحن محاصرون بهرسير بعد زحفهم وهزيمتهم أشرف علينا رسولٌ فقال: إن الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجَبَلُنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم! فبدر الناس أبو مُفَزِّر الأسود بن قطبة، وقد أنطقه الله بما لا يدرى ما هو ولا نحن، فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن - يعنى يعبرون النهر إلى شرق المدائن - فقلنا: يا أبا مفزر ما قلت له؟ قال: لا والذى بعث محمداً بالحق ما أدرى ما هو إلا أن على سكينة، وأنا أرجو أن أكون أُنطقتُ بالذى هو خير، وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد فجاءنا فقال: يا أبا مفزر ما قلت؟ فوالله إنهم لَهرَّاب فحدثه بمثل حديثه إيانا، فنادى الناس ثم نهد بهم، وإن مجانيقنا لتخطر عليهم، فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان فأمناه، فقال: إن بقى فيها أحد، فما يمنعكم؟ (يعنى لم يبق فيها أحد) فتسورها الرجال وافتتحناها فما وجدنا فيها شيئًا ولا أحدا، إلا أسارى أسرناهم خارجًا منها، فسألناهم وذلك الرجل: لأى شيء هربوا؟ فقالوا: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريذين بأُترجِّ كوثى، فقال الملك: واويله ألا إن الملائكة تكلَّم على ألسنتهم، ترد علينا وتجيب عن العرب، والله لئن لم يكن كذلك ما هذا إلا شيء ألقى على فيَّ هذا الرجل لننتهى، فأرزوا إلى المدينة القصوى[3].

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٤٥٣).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١/١٦٣).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/٤٥٥).

٢ - الآيات التى قرأها سعد لما نزل مظلم ساباط :

نزل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى (مظلم ساباط)، بعد أن قدم هاشماً ومن معه نحو بهرسير وهى الجزء الغربى من المدائن، ولما نزل سعد ذلك المكان قرأ قول الله تعالى : ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم : ٤٤]. وإنما تلا هذه الآية لأن فى ذلك المكان كتائب لكسرى تُدعى بوران، وكانوا يحلفون بالله كل يوم، لا يزول ملك فارس ما عشنا[١]، وقد هزمهم وفرقهم زهرة بن الحوية قبل استشهاده[٢].

ولما دخل المسلمون «بهرسير» وذلك فى جوف الليل لاح لهم الأبيض وهو قصر الأكاسرة فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعد الله ورسوله، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا[٣].

٣ - مشورة بين سعد وجنوده فى عبور النهر :

ولما علم سعد أن كسرى قد عبر بالسفن إلى المدائن الشرقية وضم السفن كلها إليه وقع فى حيرة من أمره، فالعدو أمامهم وليس بينهم إلا النهر ولا سبيل إلى عبوره لعدم توافر السفن، وهو يخشى أن يرتحل عدوه فيصعب القضاء عليه، وقد أتى سعداً بعض أهل فارس فدلوه على مخاضة يمكن اجتيازها مع المخاطرة، فأبى سعد وتردد عن ذلك، ثم فاجأهم النهر بمد عظيم حتى اسود ماء النهر وقذف بالزَّبد من سرعة جريانه، وفى أثناء ذلك رأى سعد رؤيا صالحة مفادها أن خيول المسلمين قد عبرت النهر، فعزم لتأويل رؤياه على العبور، وجمع الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا فيُنَاوشونكم فى سفنهم، وليس وراءكم شىء تخافون أن تؤتوا منه، قد كفاكموهم أهل الأيام[٤]، وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم[٥]، وقد رأيت من الرأى أن تبادروا جهاد عدوكم

---

(١) تاريخ الطبرى (٤ / ٤٥١). والتاريخ الإسلامى (١١ / ١٦٠).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١ / ١٦٠).

(٣) تاريخ الطبرى (٤ / ٤٥١).

(٤) يعنى المجاهدين السابقين.

(٥) يعنى مادتهم التى يدافعون عنها.

بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعًا: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل[١]، وفي هذا الخبر دروس وعبر وفوائد منها:

- تذكُّر معية الله جل وعلا لأوليائه المؤمنين بالنصر والتأييد، فهذه الرؤيا الصادقة التى رآها سعد رضى الله عنه من الله جل وعلا لتثبيت قلبه ليقدم على هذا الأمر المجهول العاقبة.

- أن الله تعالى يُجرى الأمور لصالح المؤمنين، فالنهر جرى بكثافة مفاجئة على غير المعتاد، وظاهر هذا أنه لصالح الفرس، حيث إنه سيمنع أى محاولة لعبور المسلمين، ولكن حقيقته أنه لصالح المسلمين، حيث أعطى ذلك الكفار طمأنينة فلم يستعدوا لقدوم المسلمين المفاجىء لهم، ولم يستطيعوا أن يحملوا معهم كل ما يريدون حمله فى حال الفرار.

- أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتفاءلون خيرًا بالرؤيا من الرجل الصالح، ويعتبرونها مُرجِّحًا للإقدام على العمل، وكانوا رضى الله عنهم يحسنون الظن بالله تعالى، ويعتبرون أن رؤى الخير تثبيت وتأييد منه تعالى.

- أن قادة المسلمين فى ذلك العهد الراشدى كانوا يتصفون غالبًا بالحزم واغتنام الفرص لاستنفاد طاقة الجنود وهم فى حماسهم وقوة إيمانهم، فهذا سعد رضى الله عنه يأمر جيشه بأن يعبروا إلى الأعداء بسلاح الإخلاص والتقوى، وقد كان مطمئنًا إلى مستوى جيشه الإيمانى فأقدم على ما أقدم عليه مستعينًا بعد الله تعالى بذلك المستوى الرفيع.

- اتصاف الصحابة رضى الله عنهم ومن معهم من التابعين بالطاعة التامة لقادتهم، وكانوا يعتبرون هذه الطاعة واجبًا شرعيًا وعملاً صالحًا يتقربون به إلى الله تعالى[٢].

٤ - عبور النهر وفتح المدائن:

ندب سعد الناس إلى العبور وقال: من يبدأ ويحمى لنا الفِراض[٣] حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو التميمى، وكان من أصحاب البأس والقوة، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات، فأمر عليهم سعد

(١) التاريخ الإسلامى (١١/ ١٦٥).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١/ ١٦٦، ١٦٧).

(٣) يعنى ساحل البحر الشرقى.

عاصمًا فسار فيهم حتى وقف على شاطىء دجلة وقال: من ينتدب معى لنحمى الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون من أصحاب البأس والنجدة، ثم اقتحموا دجلة، واقتحم بقية الستمائة على إثرهم، وهكذا تكونت من جيش المسلمين فرقة من الفدائيين عددهم ستمائة وقد سميت كتيبة الأهوال، واستخلص عاصم منهم ستين تحت قيادته ليكونوا مقدمة لهذه الفرقة، وهذا تخطيط محكم من سعد أولاً: ثم من عاصم، وذلك أن مواجهة الأهوال والمغامرات لا تكون بالعدد الكبير، وإنما تكون بأصحاب البأس الشديد والقدرة القتالية العالية، وإن كانوا قلائل، وذلك أنه إذا انضم لهذه الفرقة من هم أقل كفاءة وشجاعة ثم ارتدوا عند هجوم الأعداء يسببون انهزام الفرقة كلها[1].

وقد اقتحم عاصم النهر بالستين على الخيول، وقد ذُكر من طليعتهم الذين سبقوا إلى الشاطىء الآخر أصمُّ بنى ولادً التيمى، والكَلَج الضبِّنى، وأبو مفزِّر الأسود بن قطبة، وشرحبيل بن السِّمط الكندى، وحجل العجلى، ومالك بن كعب الهمدانى، وغلام من بنى الحارث بن كعب، فلما رآهم الأعاجم أعدُّوا لهم فرسانًا فالتقوا بهم فى النهر قرب الشاطىء الشرقى، فقال عاصم: الرماح الرماح، أشرعوها وتوخَّوا العيون، فالتقوا فاطَّعنوا وتوخى المسلمون عيونهم، فولُّوا نحو الشاطىء و المسلمون ينخسون خيولهم بالرماح لتسرع فى الهروب، فصارت تسرع وأصحابها لا يملكون منعها، ولحق بهم المسلمون فقتلوا عامتهم، ونجا من نجا منهم عورانًا، ولحق بقية الستمائة بإخوانهم فاستولوا على الشاطىء الشرقى[2].

٥ - المسلمون يقتحمون النهر:

لما رأى سعد عاصمًا على الفراض قد منعها، أذن للناس فى الاقتحام وقال: قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وتلاحق معظم الجند فركبوا اللجة، وإن دجلة لترمى بالزَّبد، وإنها لمُسْوَدة، وإن الناس ليتحدثون فى عومهم وقد اقتربوا ما يكترثون كما يتحدثون فى مسيرهم على الأرض[3]، وكان الذى يساير سعداً فى الماء سلمان الفارسى فعامت بهم الخيل، وسعد

(١) التاريخ الإسلامى (١١/ ١٦٧، ١٦٨).
(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٥٦، ٤٥٧).
(٣) التاريخ الإسلامى (١١/ ١٦٩).

يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه إن لم يكن فى الجيش بَغْى أو ذنوب تغلب الحسنات[1]، فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر، أما والذى نفس سلمان بيده ليخرُجُن منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا[2]، وقول سلمان رضى الله عنه: الإسلام جديد، يعنى لا يزال حيًا وأتباعه أقوياء الإيمان معتزون به، وقد جعلوه قضيتهم التى من أجلها يحيون ومن أجلها يموتون، وإليها يدعون وعنها يدافعون، أما حينما يتقادم العهد فإنه تأتى أجيال ترث هذا الدين وراثة لا اختيارًا، ولا تجعله القضية التى تأخذ على أفرادها مشاعرهم واهتماماتهم، بل يجعلون همهم الأكبر هو العلو فى الدنيا والتمتع بمتاعها، ويصبح الدين أمرًا ثانويًا فى قاموس حياتهم، فعند ذلك يخرجون منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا[3].

هذا وقد تم عبور المسلمين جميعًا سالمين لم يصب أحد منهم بأذى، ولم يقع منهم فى النهر إلا رجل من بارق يدعى «غرقدة» زال عن ظهر فرس شقراء، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذ بيده فجرَّه حتى عبر، فقال البارقى – وكان من أشد الناس –: أعجزت الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع، وكان للقعقاع فيهم خؤولة[4]، لقد دهش الفرس من عبور المسلمين، وهرب يزدجرد قاصداً حلوان، ودخل المسلمون من غير معارض، ونزل سعد القصر الأبيض واتخذه مصلى وقرأ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[الدخان: ٢٥–٢٨]، وصلى ثمان ركعات، صلاة الفتح، وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم كتيبة الخرساء[5]، وكان الذى يقود كتيبة الأهوال، عاصم بن عمرو التميمى، وأما الكتيبة الخرساء فكان يقودها القعقاع بن عمرو[6].

٦ – مواقف من أمانة المسلمين:

أ – أحمد الله وأرضى بثوابه: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بِحُقٍّ معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذى معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما

(١،٢) تاريخ الطبرى (٤/٤٥٩).

(٣) التاريخ الإسلامى (١١/١٧٣، ١٧٤).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/٤٥٩).

(٥) البداية والنهاية (٧/٦٧).

(٦) إتمام الوفاء ص (٨٥).

يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدونى: ولا غيركم ليقرِّظونى، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس(١).

ب - قال عصمة بن الحارث الضبى: خرجت فيمن خرج يطلب، فأخذت طريقًا مسلوكًا وإذا عليه حمَّار، فلما رآنى حثَّه فلحق بآخر قدامه، فمالا وحثَّا حماريهما، فانتهيا إلى جدول قد كُسر جسره فثبتا حتى أتيتهما، ثم تفرقا، ورمانى أحدهما فألظظت به (يعنى تبعته) فقتلته وأفلت الآخر، ورجعت إلى الحمارين، فأتيت بهما صاحب الأقباض، فنظر فيما على أحدهما، فإذا سَفَطان فى أحدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة على ثفره(٢) ولبَبَه الياقوت والزُّمرد منظوم على الفضة ولجام كذلك، وفارس من فضة مكلل بالجواهر، وإذا فى الآخر ناقة من فضة عليها شليل(٣) من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب، وكل ذلك منظوم بالياقوت، وإذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر، كان كسرى يضعها إلى إسطوانتى التاج(٤).

جـ - خبر القعقاع بن عمرو:

لحق القعقاع بفارسى يحمى الناس فاقتتلا فقتله، وإذا معه غلافان وعيبتان، وإذا فى أحد الغلافين خمسة أسياف وفى الآخر ستة، وهى من أسياف الملوك من الفرس ومن الملوك الذين جرت بينهم وبين الفرس حروب، وفيها سيف كسرى وسيف هرقل، وإذا فى العيبتين أدراع من أدراع الملوك ، وفيها درع كسرى ودرع هرقل، فجاء بها إلى سعد، فقال: اختر أحد هذه الأسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام، وأما سائرها فنفلها كتيبة الخرساء التى هى بقيادة القعقاع، إلا سيف كسرى والنعمان، فقد رأى أن يبعثهما إلى أمير المؤمنين لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما(٥).

د- ثناء الصحابة على أفراد الجيش:

أثنى أكابر الصحابة رضى الله عنهم على ذلك الجيش، ومن ذلك قول سعد بن أبى

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٤٦٨).

(٢) هو السير الذى فى مؤخرة السرج.

(٣) هو ما يوضع على عجز البعير.

(٤) تاريخ الطبرى (٤/٤٦٨).

(٥) المصدر نفسه (٤/٤٦٧).

وقـاص: والله إن الجـيش لذو أمـانة، ولولا مـا سـبق لأهل بدر لقلت على فـضل أهل بدر[1]، وقـال جـابر بن عـبـد الله: والله الذى لا إله إلا هو مـا اطلعنا على أحـد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهـمنا ثلاثة نفر فما رأينا كالذى هجمنا عليه من أمانتهـم وزهدهـم: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح، وأكبر من ذلك ثناء أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لما رأى خمس تلك الغنائم وكان معها سيف كسرى ومنطقته وزبرجده فقال: إن قومًا أدوا هذا لذوو أمانة، فقال على رضى الله عنه: إنك عففت فعفت الرعية ولو رتعت لرتعت[2].

هـ- موقف عمر رضى الله عنه من نوادر الغنائم:

بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى، وسيفه، ومنطقته، وسواريه، وسراويله، وقميصه، وتاجه وخفيه، وقد كانت غالية الثمن كالحرير والذهب والجواهر، فنظر عمر فى وجوه القوم، وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن خثعم، فقال: يا سراقة قم فالبس، قال سراقة: فطمعت فيه، فقمت فلبست، فقال: أدبر فأدبرت، ثم قال: أقبل فأقبلت، ثم قال: بخ بخ أعرابى من مدلج عليه قباء كسرى، وسراويله، وسيفه، ومنطقته، وتاجه، وخفاه، ربِّ يوم يا سراقة بن مالك لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفًا لك ولقومك، انزع، فنزعت فقال: اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك وكان أحب إليك منى وأكرم عليك منى، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى وأكرم عليك منىَ وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى، ثم بكى حتى رحمه من كان عنده، ثم قال لعبد الرحمن بن عوف: أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسى[3].

سابعًا: موقعة جلولاء:

اجتمع الفرس على مفترق الطرق إلى مدائنهم فى جلولاء فتذامروا وقالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبدًا، وهذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم، فإذا كانت لنا فهو الذى نريدَ وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذى علينا وأبلينا عذرًا، واجتمعوا على قيادة مهران الرازى، وحفروا خندقًا حول مدينتهم وأحاطوا به الحسك

---

(١) التاريخ الإسلامى (١١/١٨١)، تاريخ الطبرى (٤/٤٦٨).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/٤٦٨).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/٤٧٢)، البداية والنهاية (٧/٦٨).

من الخشب إلا الطرق التى يعبرون منها. وقد كتب سعد بن أبى وقاص إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد يأمره ببعث هاشم بن عتبة بن أبى وقاص إلى جلولاء فى اثنى عشر ألفًا، وأن يجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو التيمى، وعلى ميمنته مسعر ابن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة، وعلى ساقته عمرو بن مرة الجهنى، وسار إليهم هاشم بجيشه فحاصرهم، وطاولهم أهل فارس فكانوا لا يخرجون لهم إلا إذا أرادوا، وزاحفهم المسلمون ثمانين زحفًا، كل ذلك يعطى الله المسلمين عليهم الظفر، وغلبوا المشركين على حسك الخشب التى اتخذوها لإعاقة المسلمين فاتخذ الأعداء حسك الحديد، وجعل هاشم يقوم فى الناس ويقول: إن هذا المنزل منزل له ما بعده، وجعل سعد يمده بالفرسان، حتى إذا طال الأمر وضاق الأعداء من صبر المسلمين اهتموا بهم فخرجوا لقتالهم فقال: ابلوا الله بلاء حسنًا يتم لكم عليه الأجر والمغنم، واعملوا لله، فالتقوا فاقتتلوا، وبعث لله عليهم ريحًا أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهافت فرسانهم فى الخندق فلم يجدوا بدًا من أن يردموا الخندق مما يليهم لتصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم(١)، فلما بلغ المسلمين ما قام به الأعداء من ردم الخندق قالوا: أننهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه؟ فلما نهض المسلمون لقتالهم، خرجوا فرموا حول الخندق مما يلى المسلمين بحسك الحديد لكيلا تقدم عليهم الخيل، وتركوا مكانًا يخرجون منه على المسلمين، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير، وهى من ليالى القادسية إلا أنه كان أقصر وأعجل، وانتهى القعقاع بن عمرو فى الوجه الذى زاحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به وأمر مناديا فنادى: يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فاقبلوا إليه ولا يمنعنكم من بينكم وبينه من دخوله – وإنما أمر بذلك ليقوى المسلمين به – فحمل المسلمون وهم لا يشكون فى أن هاشمًا فيه، فلم يقم لحملتهم شىء حتى انتهوا إلى باب الخندق فإذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أخذ به وأخذ المشركون فى هزيمة يمنة ويسرة عن المجال الذى بحيال خندقهم، فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فعقرت دوابهم – يعنى بسبب حسك الحديد التى أعدوها للمسلمين – وعادوا رجالة، وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يعد، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم، فهو جلولاء الوقيعة(٢).

(١، ٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٧٥).

أ - إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا:

وبعث سعد بن أبى وقاص زياد بن أبيه بالحسابات المالية إلى أمير المؤمنين، وكان زياد هو الذى يكتب للناس ويدونهم، فلما قدم على عمر كلمه فيما جاء له ووصف له فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل الذى كلمتنى به؟ فقال: والله ما على الأرض شخص أهيب فى صدرى منك كيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام فى الناس بما أصابوا وبما صنعوا، وبما يستأذنون فيه من الانسياح فى البلاد، فقال عمر: هذا الخطيب المصقع، فقال زياد: إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا(١).

ب - موقف عمر من غنائم جلولاء:

انتهت معركة جلولاء بانتصار المسلمين، وقد غنموا فيها مغانم عظيمة أرسلوا بأخماسها إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقال حين رآه: والله لا يُجنّه سقف بيت حتى أقسمه، فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه فى صحن المسجد، فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عن جلابيبه - وهى الأنطاع - فلما نظر إلى ياقوته، وزبرجده وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر! فقال عمر: والله ما ذاك يبكينى، والله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا أُلقى بأسهم بينهم(٢)، وهذا لون من حساسية الإيمان المرهفة، حيث يدرك المؤمن الراسخ من نتائج الأمور المستقبلية ما لا يخطر على بال غيره، فيحمله الإشفاق على المؤمنين من أن يكدر صفو علاقاتهم الإيمانية شائبة من شوائب الدنيا التى تباعد بين القلوب، يحمله ذلك على التأثر العميق الذى يصل إلى تحدر دموعه أمام الناس، وإنه لعجيب أن تهطل الدموع من عينى رجل بلغ من القوة حداً يخشاه أهل الأرض قاطبةً مسلمهم وكافرهم ومنافقهم، ولكنها الرحمة التى حلّى بها الله جل وعلا قلوب المؤمنين، فأصبحوا كما وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٧٩).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٨٠).

ثامنًا: فتح رامهرمز:

كان الفرس قد بدأوا بالتجمع مرة أخرى بتحريض من ملكهم يزدجرد، فاجتمعوا فى رامهرمز بقيادة الهرمزان، وقد كان سعد بن أبى وقاص أخبر أمير المؤمنين بخبر اجتماعهم فأمره بأن يجهز إليهم جيشًا من أهل الكوفة بقيادة النعمان بن مقرن، وأمر أبا موسى الأشعرى بأن يجهز جيشًا من البصرة بقيادة سهل بن عدى، وإذا اجتمع الجيشان فعليهم جميعًا أبو سبرة بن أبى رهم، وكل من أتاه فهو مدد له، وخرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة، ثم سار نحو «الهرمزان» والهرمزان يومئذ برامهرمز - ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدَّة ورجا أن يقتطعه، وقد طمع الهرمزان فى نصر أهل فارس، وقد أقبلوا نحوه، ونزلت أوائل أمدادهم بتستر، فالتقى النعمان والهرمزان بأربك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إن الله عز وجل هزم الهرمزان للنعمان، وأخلى رامهرمز ولحق بتستر، وأما سهل بن عدى فإنه سار بأهل البصرة يريد رامهرمز، فأتتهم المعركة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر بأن الهرمزان قد لحق بتستر، فمالوا إلى تستر، ومال إليها النعمان بأهل الكوفة(١).

تاسعًا: فتح تستر:

وصل جيش النعمان بن مقرن وجيش سهل بن عدى إلى تستر، واجتمعا تحت قيادة أبى سبرة بن أبى رهم، وقد استمد أبو سبرة أمير المؤمنين فأمدهم بأبى موسى الأشعرى فأصبح قائد جيش البصرة، وظل أبو سبرة قائد الجيش كله، وقد بقى المسلمون فى حصار تستر عدة شهور قابلوا فيها جيش الأعداء فى ثمانين معركة، وظهرت بطولة الأبطال بالمبارزة فاشتهر منهم عدد بقتل مائة مبارز سوى من قتلوا فى أثناء المعارك، وقد ذكر منهم: البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وكعب بن سور وأبو تميمة وهم من أهل البصرة وفى الكوفيين مثل ذلك ذكر منهم حبيب بن قرة، وربعى بن عامر، وعامر بن عبد الله الأسود(٢).

ولما كان آخر لقاء بين المسلمين وأعدائهم، واشتد القتال نادى المسلمون البراء بن مالك وقالوا: يا براء، أقسم على ربك ليهزمنَّهم لنا، فقال: اللهمَّ اهزمهم لنا،

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٦١، ٦٢).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١/٢٠٢).

واستشهدنى، وقد باشر المسلمون القتال وهزموا أعداءهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم، وأنه لما ضاق الأمر على الفرس واشتد عليهم الحصار اتصل اثنان منهم فى جهتين مختلفتين بالمسلمين وأخبراهم بأن فتح المدينة يكون من مخرج الماء، وقد وصل الخبر إلى النعمان بن مُقرن، فندب أصحابه إلى ذلك المكان، ووصل الخبر إلى أبو موسى الأشعرى فندب أصحابه كذلك، فالتقى الأبطال من أهل الكوفة والبصرة فى ذلك المكان ليلاً، ودخلوا منه بساحة إلى المدينة فكبَّروا وكبر من وقفوا فى الخارج، وفتحوا الأبواب، فأبادوا من حولها بعد شىء من المقاومة[١]، وقد استشهد فى هذه المعركة البراء بن مالك ومجزأة بن ثور، حيث رماهما الهرمزان، وكان استشهادهما بعد انتصار المسلمين فى المعركة، ولجأ الهرمزان قائد الفرس إلى القلعة، وأطاف به المسلمون الذين دخلوا من مخرج الماء، فلما عاينوه وأقبلوا قِبلَه قال لهم: ما شئتم، قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم، ومعى فى جعبتى مائة نشَّابة، ووالله ما تصلون إلىَّ ما دام معى نشابة، وما يقع لى سهم، وما خير إسارى إذا أصبت منكم مائة بين قتيل وجريح، قالوا: فتريد ماذا؟ قال: أن أضع يدى فى أيديكم على حكم عمر يصنع بى ما شاء، قالوا: فلك ذلك، فرمى بقوسه وأمكنهم من نفسه، فشدوا وثاقه وأرصدوه - أى راقبوه - ليبعثوا إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، ثم تسلموا ما فى البلد من الأموال والحواصل، فاقتسموا أربعة أخماسه، فنال كل فارس ثلاثة آلاف، وكل راجل ألف درهم[٢] وفى غزوة تستر دروس وعبر منها:

١- ما يسرنى بتلك الصلاة الدنيا وما عليها:

قال أنس بن مالك أخو البراء: شهدت مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبى موسى ففتح الله لنا، قال أنس بن مالك الأنصارى: ما يسرنى بتلك الصلاة الدنيا وما عليها[٣].

٢- وسام من أوسمة الشرف ناله البراء بن مالك:

علق النبى ﷺ على صدر البراء بن مالك وسامًا عظيمًا من أوسمة الشرف وذلك

---

(١) التاريخ الإسلامى (١١/ ٢٠٤).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٣، ٦٤).

(٣) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٢٣).

بقوله: «كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك»[1]، فقد كان البراء مستجاب الدعوة، وعرف الناس عنه ذلك بموجب هذا الحديث ولذلك طلبوا منه فى هذه المعركة أن يدعوا الله ليهزم عدوهم، ومع هذا الثناء العظيم من رسول الله ﷺ على البراء فإنه لم يبطر ولم يتكبر، بل ظل الرجل المتواضع الذى يقتحم الأهوال، ويأتى بأعظم النتائج، من غير أن تكون له إمرة أو قيادة، وإذا كان قد سأل الله تعالى النصر للمسلمين وهو عزٌ لهم وللإسلام فإنه لم يُغفل نفسه أن يسأل الله تعالى أغلى ما يتمناه المؤمن القوى الإيمان، حيث سأل الله تعالى الشهادة، وقد استجاب الله تعالى دعاءه فهزم الأعداء، ورزقه الشهادة فى ذلك اليوم[2].

٣ - خبر أمير المؤمنين عمر مع الهرمزان:

وأوفد أبو سَبرة بن أبى رُهم قائد المسلمين فى تلك المعارك وفداً إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، وأرسل معهم الهرمزان، حتى إذا دخلوا المدينة هيأوا الهرمزان فى هيئته، فألبسوه كسوته من الديباج الذى فيه الذهب، ووضعوا على رأسه تاجًا يُدعى الآذين مكلَّلاً بالياقوت وعليه حليته، كيما يراه عمر والمسلمون فى هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر فى منزله فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل لهم: جلس فى المسجد لوَفد قدموا عليه من الكوفة، فانطلقوا يطلبونه فى المسجد، فلم يروه، فلما انصرفوا مرُّوا بغلمان من أهل المدينة يلعبون، فقالوا لهم: ما تلدُّدكم[3]؟ أتريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم فى ميمنة المسجد، متوسداً برنسه - وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة فى برنس - فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام، فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه وليس فى المسجد نائم ولا يقظان غيره، والدرة فى يده معلقة فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال: أين حرسه وحُجَّابه عنه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان، قال: فينبغى له أن يكون نبياً، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسًا ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمله وتأمل ما عليه وقال: أعوذ بالله من النار؟

---

(١) سنن الترمذى، ك المناقب (٥/ ٦٥٠) رقم (٣٨٥٤).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١/ ٢٠٤).

(٣) يعنى: لماذا تلتفتون يمينًا وشمالاً.

وأستعين الله، وقال: الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدى نبيكم ﷺ، ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة. فقال الوفد: هذا ملك الأهواز فكلِّمه، فقال: لا، حتى لا يبقى عليه من حليته شىء فرُمى عنه بكل شىء عليه إلا شيئًا يستره، وألبسوه ثوبًا صفيقًا، فقال عمر: هيه يا هرمزان! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر إنا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلَّى بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا، ثم قال عمر: ما عذرك وما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك، قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء، فأُتى به فى قدح غليظ، فقال: لو متُّ عطشًا لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا، فأتىّ به فى إناء يرضاه، فجعلت يده ترجف، وقال: إنى أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه، فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لاحاجة لى فى الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال له عمر: إنى قاتلك، قال: قد أمنتنى، فقال: كذبت، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد أمنته، قال ويحك يا أنس أنا أؤَمِّن قاتل مجزأة والبراء، والله لتأتينَّ بمخرج أو لأعاقبنك، قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرنى، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك فاقبل على الهرمزان وقال: خدعتنى، والله لا أنخدع إلا لمسلم، فأسلم، ففرض له على ألفين، وأنزله المدينة(١).

عاشراً: فتح مدينة جُنْدَى سابور:

لما فرغ أبو سبرة بن أبى رهم من فتح بلاد السوس خرج فى جنده حتى نزل على «جندى سابور» وكان زرُّ بن عبد الله بن كليب محاصرهم، وأقاموا عليها يغادونهم ويراوحونهم القتال، فمازالوا مقيمين عليها حتى رُمى إليهم بالأمان من المسلمين، وكان فتحها وفتح نهاوند فى مقدار شهرين، فلم يفاجأ المسلمون إلا وأبوابها تفتح، ثم خرج السرح، وخرجت الأسواق، وانبثَّ أهلها، فأرسل المسلمون أن مالكم؟ قالوا: رميتم لنا بالأمان فقبلناه، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا، فقالوا: ما فعلنا، فقالوا: ما كذبنا فتساءل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبد يدعى مكنفًا كان أصله منها، هو الذى كتب

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٦٦).

لهم فقالوا: إنما هو عبد، فقالوا: لا نعرف حركم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدِّل فإن شئتم فاغدروا، فأمسكوا عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: إن الله تعالى عظم الوفاء فلا تكونوا أوفياء حتى تفوا، ما دمتم فى شك أجيزوهم ووفوا لهم، فوفوا لهم وانصرفوا(١)، وهذا مثال يدل على تفوق المسلمين الشاسع فى مجال مكارم الأخلاق على جميع أعدائهم من الكفار، ولا شك أن هذا التفوق الأخلاقى كان من الدوافع الأساسية لدخول الكفار فى الإسلام بتلك الكثافة والسرعة المذهلة(٢).

● **النعمان بن مقرن ومدينة كسكر:**

كان النعمان بن مقرن واليًا على كسكر، فكتب إلى عمر رضى الله عنه: مثلى ومثل كسكر كمثل رجل شاب وإلى جانبه مومسة تلون له وتعطر، فأنشدك الله لما عزلتنى عن كسكر، وبعثتنى إلى جيش من جيوش المسلمين، فكتب إليه عمر: أن ائت الناس بنهاوند، فأنت عليهم(٣).

****

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٧٢).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١/ ٢١٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ١٠٩).

المبحث الثالث

معركة نهاوند (فتح الفتوح) المرحلة الرابعة ٢١ هـ

كان المسلمون قد انتصروا على جيوش الفرس فى معارك عديدة متتالية، وأضحوا يطاردون فلول تلك الجيوش دون أن يتركوا لها فرصة لالتقاط أنفاسها، فمنذ انتصارهم الساحق فى معركة القادسية بالعراق حتى المعركة الحاسمة فى نهاوند، مرت أربع سنوات كان المسلمون ينتقلون خلالها من نصر إلى نصر، وكان تلك الجيوش تتابع تقدمها لكى تقضى على ما تبقى من فلول جيوش الإمبراطورية الهرمة، لولا أن أوامر الخليفة عمر رضى الله عنه كانت تقضى بالتوقف أمام جبال زغروس وعدم تجاوزها، وذلك بغية إعادة تنظيم الجيوش المنهكة من القتال المستمر، وتنظيم إدارة الأقاليم المفتوحة[١] ولقد أثارت الهزائم المتتالية التى ألحقها المسلمون بالفرس بعد القادسية خاصة حفيظتهم وحنقهم، ولم تكن كافية على ما يبدو للقضاء نهائيا على مقاومتهم، فكتب أمراؤهم وقادتهم إلى مليكهم (يزدجرد)، يستنهضونه للقتال من جديد، فعزم عليه، وأخذ يعد العدة للعودة إلى قتال المسلمين فيما تبقى له فى بلاده من معاقل ومعتصمات، فكتب إلى أهل الجبال من الباب إلى سجستان فخراسان أن يتحركوا للقاء المسلمين، وواعدهم جميعا نهاوند، وكان قد وقع عليها الاختيار كمركز أخير للمقاومة، وكميدان للمعركة الحاسمة، فهى مدينة منيعة تحيط بها الجبال من كل جانب، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر مسالك وعرة صعبة، وقد تحشد الفرس فى هذه المدينة، واجتمع ليزدجرد فيها مائة وخمسون ألف مقاتل: ثلاثون ألفا من الباب إلى حلوان، وستون ألفا من خراسان إلى حلوان، ومثلها من سجستان إلى حلوان، فجعل يزدجرد عليهم الفيرزان قائداً[٢].

كان سعد بن أبى وقاص فى الكوفة حين علم بخبر الحشود الفارسية، فكتب إلى الخليفة عمر ينبئه بذلك ويستأمره، شارحًا له الوضع من مختلف جوانبه، فجمع عمر فى المدينة أهل الرأى والمشورة من المسلمين واستشارهم فى الأمر ، ثم قرر بعدها إرسال جيش لقتال الفرس فى معقلهم الأخير «نهاوند»، وكان النعمان بن مقرن المزنى يومئذ عاملا على كسكر، وكان قد كتب إلى الخليفة كتابا يقول له فيه: (مثلى ومثل كسكر

---

(١) انظر: الفن العسكرى الإسلامى ص (٢٨٤).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٨٥).

كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فانشدك الله لما عزلتنى عن كسكر وبعثتنى إلى جيش من جيوش المسلمين»(١).

واستشار عمر مجلس شوراه وتقرر أن يتولى قيادة جيوش المسلمين فى نهاوند النعمان بن مقرن، ووضع الخليفة خطة لتعبئة جيش المسلمين على الشكل التالى:

- النعمان بن مقرن المزنى (والى كسكر) قائداً عاماً للجيش.
- حذيفة بن اليمان قائداً لفرقة تعبأ من أهل الكوفة.
- أبو موسى الأشعرى (والى البصرة) قائداً لفرقة تعبأ من أهل البصرة.
- عبدالله بن عمر (بن الخطاب): قائداً لفرقة تعبأ من المهاجرين والأنصار.
- سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة، وزر بن كليب، والأسود بن ربيعة، وسواهم من قادة المسلمين فى الأهواز وباقى بلاد فارس: احتياط ومشاغلة للأعداء.

وكتب عمر إلى الولاة والقادة بتعليماته، واستطاع الفاروق أن يحشد جيشا مقداره ثلاثين ألف مقاتل(٢). وتحرك جيش الإسلام بقيادة النعمان بن مقرن إلى نهاوند.

ووجدها محصنة تحصينا قويا، وحولهاخندق عميق، وأمام الخندق حسك شائك مربع الأضلاع، يثبت منه ضلع فى الأرض وتظل الأضلاع الثلاثة الباقية أو اثنان منها على الأقل فوق سطحها، لتعيق تقدم المهاجمين أو تؤذى خيالتهم بإحداث ثقوب فى حوافر جيادهم مما يمنعها من متابعة الجرى، أما جيش الفرس داخل سور المدينة فكان على تعبئة، وقد انضم إليه بنهاوند «كل من غاب عن القادسية»، وقد ركز الفيرزان رماته باتجاه محاور التقدم المحتملة للمسلمين كى يطالوا جندهم بنبالهم إذا ما حاولوا التقدم(٣).

لقد اصطدمت خيول المسلمين بالحسك الشائك ثم بالخندق فلم يستطيعوا اجتيازها، بينما تولى رماة الفرس رمى جند المسلمين الذى تمكنوا من الاقتراب من السور، واستمر الأمر كذلك لمدة يومين، ورأى النعمان أن يجمع أركان الجيش الإسلامى لتدارس الوضع معه، وخرجوا بنتيجة الاجتماع بالخطة التالية، وكان صاحبها طليحة بن

(١) تاريخ الطبرى (٥/١٠٩).
(٢) انظر: الفن العسكرى الإسلامى ص (٢٨٦).
(٣) المصدر نفسه (٢٨٨).

خويلد الأسدى:

١- تخرج خيول المسلمين فتنشب القتال مع الفرس، وتستفزهم حتى تخرجهم من أسوارهم.

٢- إذا خرجوا تقهقرت خيول المسلمين أمامهم يعتقدون تراجعها ضعفا ويطمعون بالنصر، فيلحقوا بها وهى تجرى أمامهم.

٣- تستدرج خيول المسلمين المتظاهرة بالهزيمة، الفرس إلى خارج أسوارهم ومواقعهم.

٤- يفاجئ المسلمون الذين يكونون قد كمنوا فى أماكن محددة ومموهة الفرس المتدفقين خلف خيول المسلمين، ويطبقون عليهم وهم بعيدون عن مراكزهم وخنادقهم وأسوارهم[١]. وشرع النعمان لتنفيذ هذه الخطة ووزع قواته فرقا على الشكل التالى:

- الفرقة الأولى: خيالة بقيادة القعقاع بن عمرو، ومهمتها تنفيذ عملية التضليل وفقا للخطة المرسومة آنفا، واقتحام أسوار العدو والاشتباك معه.

- الفرقة الثانية: مشاة بقيادته هو، ومهمتها التمركز فى مواقع ثابتة ومموهة بانتظار وصول الفرس إليها حيث تنشب القتال معها فى معركة جبهية.

- الفرقة الثالثة: خيالة، وهى القوة الضاربة فى الجيش، ومهمتها التمركز فى مواقع ثابتة ومموهة، ثم الهجوم على قوات العدو من الجانبين.

- وأمر النعمان المسلمين فى كمائنهم (أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم)[٢]، والتزم المسلمون بالأمر ينتظرون إشارة النعمان بالهجوم.

وشرع القعقاع فى تنفيذ الخطة ونجح نجاحا رائعا، وكانت مفاجأة الفرس مذهلة عندما وجدوا أنفسهم، فى آخر المطاف محاصرين بين قوات المسلمين التى شرعت سيوفهم فى حصد رقاب المشركين، ولاذ المشركون بالفرار ليتحصنوا بخندقهم وحصونهم إلا أنهم وقعوا فى خنادقهم وفى الحسك الشائك، واستمر المسلمون يطاردونهم ويعملون سيوفهم فى ظهورهم وأقفيتهم، حتى سقط من الفرس ألوف فى

---

(١) انظر: تاريخ الطبرى (٥/١١٣).

(٢) المصدر نفسه (٥/١١٤).

الخندق واستطاع القعقاع أن يطارد الفيرزان فلحقه وقضى عليه، ودخل المسلمون بعد هذه المعركة «نهاوند» ثم همذان، ثم انطلقوا بعد ذلك يستكملون فتح ما تبقى من بلاد فارس دون مقاومة تذكر، ولم يكن للفرس بعد نهاوند اجتماع، وملك المسلون بلادهم لذلك سميت معركة نهاوند بفتح الفتوح(١).

لقد ظهر فقه الفاروق فى معركة نهاوند فى عدة أمور منها:

١- التحشد ومنع العدو من التحشد، حيث لم يكتف الخليفة عمر (رضى الله عنه) بأن أمر عماله فى الكوفة والبصرة والمسلمين فى الجزيرة بالتحشد لقتال الفرس، بل أمر قادته فى الأهواز وباقى بلاد فارس أن يمنعوا العدو من التحشد، فكلف سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وزر بن كليب و الأسود بن ربيعة وسواهم أن يقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز وأن يمنعوا الفرس من الانضمام الى الجيش المتحشد فى نهاوند، وهكذا فقد أقام هؤلاء القادة فى تخوم أصبهان وفارس وقطعوا الإمداد عن نهاوند(٢).

٢- تعيين القادة إن مات قائد الجيوش:

كما فعل النبى ﷺ يوم مؤته (٨ هـ / ٦٢٩م) عندما أمر على المسلمين زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس، كذلك فعل عمر الفاروق يوم نهاوند عندما أمر النعمان على المسلمين فإن حدث بالنعمان حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن. وتميز النعمان بقيادته الرفيعة والتى ظهرت فى عدة أمور:

أ - الاستطلاع قبل السير للقتال:

كلف النعمان قبل السير بجيشه نحو نهاوند وكان على بُعد «بضعة وعشرين فرسخا» منها، كلا من طليحة بن خويلد الأسدى وعمرو بن أبى سلمى العنزى وعمرو ابن معد يكرب الزبيدى بالتقدم نحوها واستطلاع الطريق الموصلة إليها، ومعرفة ما إذا كان من عدو بينه وبينها، فسار الثلاثة مقدار يوم وليلة ثم عادوا ليبلغوا القائد العام أن ليس بينه وبين نهاوند شىء يكرهه ولا أحد، فكانت هذه البعثة أشبه بما يعرف فى عصرنا بالطليعة «أو المفرزة المتقدمة» التى تسبق أى جيش لاستطلاع الطريق له قبل

(١، ٢) انظر: الفن العسكرى الإسلامى ص (٢٩٤).

تقدمه، ومع ذلك أخذ النعمان كل الاحتياطات اللازمة عند تحركه بجيشه فسار «على تعبئة» كما يفترض أن يسير.

ب – عملية التضليل:

وكانت «عملية التضليل» التى نفذها المسلمون فى نهاوند، من أروع المناورات العسكرية التى يمكن أن ينفذها جيش فى التاريخ القديم والحديث، فعندما عجز المسلمون عن اقتحام أسوار المدينة المحصنة والمحمية بالخندق المحيط بها وبالحسك الشائك وبالرماة المهرة، وقدروا أن الحصار سوف يستمر طويلا دون جدوى، طالما أن لدى الفرس المحاصرين داخل أسوار المدينة من الذخائر والمؤن ما يكفيهم للمقاومة مدة طويلة، رأوا أن يعمدوا إلى الحيلة فى استدراج العدو وإخراجه من «جحوره» ومواقعه، لكى يقاتلوه خارج تلك الأسوار، فيكونون قد فرضوا عليه ميدان القتال الذى اختاروه بأنفسهم وقد تم ما قدره المسلمون تماما، فاستدرج العدو إلى مواقع حددها المسلمون للقتال حيث كمنوا له ثم نازلوه فى تلك المواقع جبهيا ومن كل جانب، ففوجئ، ثم ذعر، فأسقط فى يده، وانهزم وليس هناك من حيلة أخرى يمكن أن يلجأ إليها خصم لإحراج خصمه و إخراجه والتغلب عليه أفضل من هذه الحيلة[١].

ج – اختيار ساعة الهجوم:

وقد تكلمت كتب التاريخ عن صبر النعمان بن مقرن، وحنكته المتميزة المتناهية فى اختيار ساعة الهجوم، التى كان رسول الله ﷺ يحبها عند الزوال، وتفيؤ الأفياء وهبوب الرياح.

لقد نال النعمان بن مقرن الشهادة فى تلك المعركة الحاسمة، ووصل خبر النعمان إلى أمير المؤمنين فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» وبكى ونشج واشتد حزنه، وسأل عن الشهداء فسمى له أسماء لا يعرفها فقال: أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر[٢]؟.

ومما يستحق الذكر أن المسلمين عثروا فى غنائم نهاوند على سفطين[٣] مملوءين

---

(١) انظر: الفن العسكرى الإسلامى ص (٢٩٥، ٢٩٦).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١١٣/٧).

(٣) السفط: وعاء من قضبان الشجر.

جوهراً نفيسا من ذخائر كسرى فأرسلهما حذيفة أمير الجيش إلى عمر مع السائب بن الأقرع، فلما أوصلهما له قال: «ضعها فى بيت المال، والحق بجندك».

فركب راحلته ورجع فأرسل عمر وراءه رسولا يخب السير فى أثره حتى لحقه بالكوفة فأرجعه(١).

فلما رآه عمر قال: مالى وللسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التى خرجت فيها، فباتت الملائكة تسحبنى إلى السفطين يشتعلان نارا؟ يتوعدونى بالكى إن لم أقسمها فخذهما عنى وبعهما فى أرزاق المسلمين، فبيعا بسوق الكوفة.

فرضى الله عنك يا عمر، لقد سرت بسيرة نبيك فعززت وأعززت الإسلام والمسلمين، اللهم ألهمنا الاتباع واكفنا شر الابتداع(٢).

وبعد معركة نهاوند تسارع زعماء الفرس من همدان وطبرستان، وأصبهان وطلبوا الصلح وتم لهم ذلك على التوالى(٣).

****

(١) انظر: البداية والنهاية (٧/١١٤).
(٢) انظر: إتمام الوفاء ص (٩٨).
(٣) المصدر نفسه (٩٩، ١٠٠، ١٠١).

المبحث الرابع

الانسياح فى بلاد العجم «المرحلة الخامسة»

بعد انتصار المسلمين فى وقعة نهاوند لم يقم للفرس أمر، وانساح المسلمون فى بلاد العجم وأذن لهم عمر فى ذلك، فافتتح المسلمون بعد نهاوند مدينة جى - وهى مدينة أصبهان(١) - بعد قتال كثير وأمور طويلة، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبدالله بن عبدالله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفرا إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين، وفى سنة إحدى وعشرين افتتح أبو موسى قم وقاشان(٢)، وافتتح سهيل بن عدى مدينة كرمان.

أولاً: فتح همذان ثانية ٢٢هـ:

تقدم أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند فتحوا حلوان وهمذان، ثم إن أهل همذان نقضوا عهدهم الذى صالحهم عليه القعقاع بن عمرو، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همذان فسار حتى نزل على ثنية العسل، ثم تحدر على همذان، واستولى على بلادها وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها، فبينما هو فيها ومعه اثنا عشر ألفا من المسلمين إذ تكاتب الديلم، وأهل الرى وأهل أذربيجان، واجتمعوا على حرب نعيم ابن مقرن فى جمع كثير، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج الرواذ(٣)، فاقتتلوا قتالا شديدا، وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تك دونها، فقتلوا من المشركين جما غفيرا لا يحصون كثرة، وقُتل ملك الديلم وتمزق شملهم، وانهزموا بأجمعهم، بعد من قتل بالمعركة منهم، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم(٤) من المسلمين، وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فهمَّه ذلك واغتم له، فلم يفاجاه إلا البريد بالبشارة، فقال: أبشير؟ فقال: بل عروة، فلما ثنى عليه، أبشير؟ فطن فقال: بشير، فقال عمر: رسول نعيم وسماك بن عبيد؟ قال: رسول نعيم، قال: الخبر؟ قال: البشرى بالفتح والنصر وأخبره الخبر، فحمد الله وأمر بالكتاب فقرئ

---

(١) مدينة عظيمة من أعلام المدن فى بلاد فارس.

(٢) قم وقاشان: مدن فارسية يذكران جميعا.

(٣) واج الرواذ: موضع بين همذان وقزوين.

(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (١٦٠).

على الناس، فحمدوا الله ثم قدم سماك بن مخرمة وسماك بن عبيد وسماك بن خرشة في وفود الكوفة بالأخماس على عمر، فنسبهم، فانتسب له سماك وسماك وسماك، فقال: بارك الله فيكم، اللهم أسمك بهم الإسلام، وأيدهم بالإسلام(١).

ثانيًا: فتح الرى سنة ٢٢هـ:

استخلف نعيم بن مقرن على همذان يزيد بن قيس الهمذانى، وسار هو بالجيوش حتى لحق بالرى(٢)، فلقى هناك جمعًا كثيرًا من المشركين، فاقتتلوا عند سفح جبل الرى، فصبروا صبرًا عظيمًا ثم انهزموا، وقتل منهم نعيم بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب، وغنموا منهم غنيمة عظيمة، قريبا مما غنم المسلمون من المدائن، وصالح أبو الفرخان الملقب بالزينبى على الرى، وكتب له أمانا بذلك، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس ولله الحمد والمنة(٣).

ثالثًا: فتح قوميس وجرجان سنة ٢٢هـ:

ولما ورد البشير بفتح الرى وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قوميس(٤)، فسار إليها سويد، فلم يقم له شيء حتى أخذها سلما، وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح، ولما عسكر سويد بقوميس بعث إليه أهل بلدان شتى منها: جرجان(٥) وطبرستان(٦)، وغيرها يسألونه الصلح على الجزية، فصالح الجميع، وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح(٧).

رابعًا: فتح أذربيجان سنة ٢٢هـ:

لما افتتح نعيم بن مقرن همذان ثانية، ثم الرى، بعث بين يديه بكير بن عبدالله من همذان إلى أذربيجان(٨) و أردفه بسماك بن خرشة وذلك عن أمر عمر بن الخطاب وليس

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/١٣٤).

(٢) الرى: مدينة مشهورة تبعدعن قزوين سبعة وعشرين فرسخا.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/١٣٦، ١٣٧).

(٤) قوميس: تقع فى نهاية جبال طبرستان وهى بين الرى ونيسابور.

(٥) جرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان.

(٦) طبرستان: بلد واسع والغالب عليها الجبال اشتهرت بالعلماء والأدباء.

(٧) تهذيب البداية والنهاية ص (١٦١).

(٨) أذربيجان: إقليم واسع غالب عليه الجبال وتحدها بلاد الديلم.

بأبى دجانة[١] فلقى أسفندياذ بن الفرخزاذ بكيراً وأصحابه، قبل أن يقدم عليهم سماك فاقتتلوا فهزم الله المشركين وأسر بكير اسفندياذ، فقال له: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ فقال: بل الصلح. فقال: فأمسكنى عندك، فأمسكه ثم جعل يفتح أذربيجان بلدا بلدا، وعتبة بن فرقد فى مقابله فى الجانب الآخر من أذربيجان يفتحها بلدا بلدا، ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدم بكير إلى الباب، وجعل سماكا موضعه - نائبا لعتبة بن فرقد - وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وسلم إليه بكير اسفندياذ، وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاذ لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام، فلما بلغ ذلك اسفندياذ قال: الآن تم الصلح وطفئت الحرب، فصالحه وعادت أذربيجان سلما، وكتب بذلك عتبة وبكير إلى عمر، وبعثوا بالأخماس إليه، وكتب عتبة حين انتهت إليه إمرة أذربيجان كتاب أمان وصلح لأهلها[٢].

خامساً: فتح الباب سنة ٢٢هـ:

كتب عمر بن الخطاب كتابا بالإمرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو - الملقب بذى النور - فسار،كما أمر عمر وهو على تعبئته، فلما انتهى مقدم العساكر - و هو عبدالرحمن بن ربيعة إلى الملك الذى هناك عند الباب[٣] وهو شهر براز، ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذى قتل بنى إسرائيل وغزا الشام فى قديم الزمان، فكتب شهر براز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنه عبدالرحمن بن ربيعة فقدم عليه الملك، فأنهى إليه أن صغوه[٤] إلى المسلمين وأنه مناصح للمسلمين، فقال له: إن فوقى رجلا فاذهب إليه، فبعثه إلى سراقة بن عمرو أمير الجيش، فسأل من سراقة الأمان فكتب كتابا بذلك ثم بعث سراقة بكير بن عبدالله الليثى، وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللان، تفليسس، وموقان، فافتتح بكير موقان، وكتب لهم كتاب أمان، ومات فى غضون ذلك أمير المسلمين هناك سراقة ابن عمرو، واستخلف بعده عبدالرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أقره وأمره بغزو الترك[٥].

---

(١) الصحابى المشهور.

(٢) تاريخ الطبراى (٥/١٤١، ١٤٢).

(٣) الباب: مدينة عظيمة على بحر طبرستان وهو بحر الخزر.

(٤) صغوه: أى ميله.

(٥) تاريخ الطبرى (٥/١٤٥).

سادسًا: أول غزو الترك:

لما جاء كتاب عمر إلى عبدالرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك، سار حتى قطع الباب قاصدا لما أمره عمر، فقال له شهر براز: أين تريد؟ قال: أريد ملك الترك بلنجر، فقال له شهر براز: إنا لنرضى منهم بالموادعة، نحن من وراء الباب، فقال عبدالرحمن: إن الله بعث إلينا رسولاً ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ونحن لانزال منصورين، فقاتل الترك وسار فى بلاد بلنجر مائتى فرسخ وغزا مرات متعددة، ثم كانت له وقائع هائلة فى زمن عثمان رضى الله عنه(١).

سابعًا: غزو خراسان سنة ٢٢ هـ:

كان الأحنف بن قيس قد أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات فى بلاد العجم، ويضيقوا على كسرى يزدجرد، فإنه هو الذى يحث الفرس والجنود على قتال المسلمين، فأذن عمر بن الخطاب فى ذلك عن رأيه، وأر الأحنف وأمره بغزو بلاد خراسان، فركب الأحنف فى جيش كثيف إلى خراسان قاصدا حرب يزدجرد فدخل خراسان فافتتح هراة عنوة، واستخلف عليه صحار بن فلان العبدى، ثم سار إلى مرو الشهجان(٢) وفيها يزدجرد وبعث الأحنف بين يديه مطرف بن عبدالله بن الشخير إلى نيسابور(٣)، والحارث بن حسان إلى سرخس(٤) ولما اقترب الأحنف من مر الشاهجان، ترحل منها يزدجرد إلى مرو الروذ(٥)، فافتتح الأحنف مرو الشاهجان فنزلها، وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ إلى خاقان ملك الترك يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده، وكتب إلى ملك الصين يستعينه، وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو الشاهجان حارثة بن النعمان، وقد وفدت إلى الأحنف إمدادات من أهل الكوفة مع أربعة أمراء فلما بلغ ذلك يزدجرد ترحل إلى بلخ(٦)، فالتقى معه ببلخ فهزمه الله عز وجل وهرب هو ومن بقى معه من جيشه فعبر النهر، واستوثق ملك

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ١٤٢ - ١٤٧).

(٢) مرو الشاهجان: هى مدينة مرو العظمى، وهى قصبة خراسان.

(٣) نيسابور: مدينة مشهورة فى هذا الإقليم.

(٤) سرخس: مدينة بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق.

(٥) مرو الروذ: تقع على نهر عظيم ولكنها أصغر من مرو الأخرى.

(٦) بلخ: مدينة من أجمل مدن خراسان تقع بالقرب من نهر جيحون.

خراسان على يدى الأحنف بن قيس، واستخلف فى كل بلدة أميرا، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها، وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور إلى ما وراء النهر. وقال: احفظ ما بيدك من بلاد خراسان، ولما وصل رسول يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره، فلما عبر يزدجرد النهر ودخل فى بلادهما تعين عليهما إنجازه فى شرع الملوك، فسار معه خاقان، فوصل إلى بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ فتبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون الفا فسمع رجلا يقول لآخر: إن كان الأمير ذا رأى فإنه يقف دون هذا الجبل يجعله وراء ظهره، ويبقى هذا النهر خندقا حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة، فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا فى ذلك الموقف بعينه، وكان أمارة النصر والرشد وجاءت الأترك والفرس فى جمع عظيم هائل مزعج، فقام الأحنف فى الناس خطيبا فقال: إنكم قليل وعدوكم كثير فلا يهولنكم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فكان الترك يقاتلون بالنهار ولا يدرى الأحنف أين يذهبون فى الليل، فصار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو خاقان، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبلة فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز:

إن على كل رئيس حقا ... أن يخضب الصعدة أو تندقا

إن لها شيخا بها ملقى ... سيف أبى حفص الذى تبقى

ثم استلب التركى طوقه ووقف موضعه، فخرج آخر عليه طوق ومعه طبل فجعل يضرب بطبلة، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضا واستلبه طوقه ووقف موضعه، فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه، ثم أسرع الأحنف الرجوع الى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكلية، وكان من عادة الترك أنهم لا يخرجون حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأولى بطبلة ثم الثانى، ثم الثالث . فلما خرجت الترك فأتوا على فرسانهم مقتولين، تشاءم بذلك الملك خاقان وتطير، وقال لعسكره: قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله ، ما لنا فى قتال هؤلاء القوم من خير فانصرفوا

بنا فرجعوا إلى بلادهم[1] وقد قال المسلمين للأحنف: ما ترى فى اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. وقد أصاب الأحنف فى ذلك، فقد جاء فى الحديث: اتركوا الترك ما تركوكم[2]، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، ورجع كسرى خاسر الصفقة لم يشف له غليل، ولا حصل على خير، ولا انتصر كما كان فى زعمه، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه، وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه، وبقى مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٨٨].

وتحير فى أمره ماذا يصنع؟ وإلى أين يذهب؟ ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذى قد فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد، فجعل يخبره عن صفتهم، وكيف يركبون الخيل والإبل، وماذا يضعون؟ وكيف يصلون؟ فكتب معه إلى يزدجرد: إنه لم يمنعنى أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخر بالصين الجهالة بما يحق علىَّ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو جئت لنصرك أزالونى ما داموا على ما وصف لى رسولك فسالمهم وارض منهم بالمسالمة، فأقام كسرى وآل كسرى فى بعض البلاد مقهورين ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل فى إمارة عثمان[3]، ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة، ثم ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، فقام عمر على المنبر وقُرِئ الكتاب بين يديه، ثم قال عمر: إن الله بعث محمداً بالهدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فالحمد لله الذى أنجز وعده، ونصر جنده، ألا وإن الله قد أهلك مُلك المجوسية وفرق شملهم، فليس يملكون من بلادهم شبرا يضير بمسلم، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/١٩٥).

(٢) الطبرانى الكبير قال الألبانى: موضوع، سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٤٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/١٦٠).

وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فقوموا فى أمره على وجل،يوف لكم بعهده ويؤتكم وعده، ولا تغيروا فيستبدل قومًا غيركم، فإنى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم(١).

ثامنًا: فتح اصطخر سنة ٢٣هـ:

افتتح المسلمون اصطخر - للمرة الثانية - فى سنة ثلاث وعشرين وكان أهلها قد نقضوا العهد بعدما كان جند العلاء بن الحضرمى افتتحوها حين جاز فى البحر - فى أرض البحرين - والتقوا هم والفرس فى مكان يقال له طاوس ، ثم صالحه الهربذة على الجزية، وأن يضرب لهم الذمة، ثم إن شهرك خلع العهد، ونقض الذمة ونشط الفرس، فنقضوا العهد، فبعث إليهم عثمان بن أبى العاص، ابنه وأخاه الحكم، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين، وقتل الحكم بن أبى العاص شهرك(٢).

تاسعًا: فتح فساودارا بجرد سنة ٢٣هـ:

قصد سارية بن زُنيم فساودارا بجرد، فاجتمع له جموع من الفرس والأكراد عظيمة ودهم المسلمين منهم أمر عظيم ، رأى عمر فى تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم فى وقت من النهار، وأنهم فى صحراء، وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فنادى فى الغد الصلاة جامعة حتى إذا كانت الساعة التى رأى أنهم اجتمعوا فيها - خرج الى الناس وصعد المنبر - فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى، ثم قال: يا سارية الجبل، ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم. قال : ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوهم، وفتحوا البلد(٣).

عاشراً: فتح كرمان وسجستان سنة ٢٣هـ:

قام سهيل بن عدى فى سنة ٢٣ بفتح كرمان(٤)، وقيل فتحت على يدى عبدالله بن

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/١٦٢، ١٦٣).

(٢) المصدر نفسه (٥/١٦٦).

(٣) المصدر نفسه (٥/١٦٨، ١٦٩) وأخرجها اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٥٣٧) وحسن الشيخ الألبانى إسنادها فى حاشيته على مشكاة المصابيح (١٦٧٨/٣) رقم (٥٩٥٤)، انظر : تهذيب البداية والنهاية ص (١٧٠).

(٤) تهذيب البداية والنهاية ص (١٧١).

بديل بن ورقاء الخزاعى[١]، وذكر بعض المؤرخين فتح سجستان على يدى عاصم بن عمرو، بعد قتال شديد، وكانت ثغورها متسعة، وبلادها متنائية ما بين السد إلى نهر بلخ، وكانوا يقاتلون القندهار والترك من ثغورها وفروجها[٢].

الحادى عشر: فتح مُكران سنة ٢٣ هـ:

فى السنة ٢٣ هـ فتحت مكران على يدى الحكم بن عمرو، وأمده شهاب بن المخارق، ولحق به سهيل بن عدى، وعبدالله بن عبدالله بن عتبان واقتتلوا مع ملك السند، فهزم الله جموع السند وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدى، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال: يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل، وماؤها وشل[٣]، وتمرها دقل[٤]، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها فقال عمر: أسجاع أنت أمخبر؟ فقال: لا، بل مخبر، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو، أن لا يجوزون مكران، وليقصروا على ما دون النهر[٥].

الثانى عشر: غزو الأكراد:

ذكر ابن جرير بسنده عن سيف عن شيوخه: أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس، اجتمعوا فلقيهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ قريب من نهر تيرى[٦]، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف عن حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد، فتسلم الحرب وخنق عليهم، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة، كما هى عادته المستمرة وسنته المستقرة، فى عباده المؤمنين، وحزبه المفلحين من أتباع سيد المرسلين ثم خمست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس الى عمر رضى الله عنه[٧].

(١، ٢) تهذيب البداية والنهاية ص ١٧١.

(٣) الوشل: القليل.

(٤) الدقل: ردئ التمر.

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤).

(٦) بيروز ونهر تيرى بلدان من نواحى الأهواز.

(٧) تهذيب وترتيب البداية والنهاية ص ١٧٢.

وهكذا تم فتح العراق وبلاد إيران فى عهد عمر رضى الله عنه وأقام المسلمون المسالح فى شتى أرجائها متوقعين انتقاض الفرس في هذه الديار لقد كانت فتوح المشرق عنيفة اقتضت من المسلمين تضحيات جسيمة بسبب اختلاف الدم، فسكان إيران فرس لا تربطهم بالعرب لغة ولا جنس ولا ثقافة وكان الشعور القومى عند الإيرانيين يذكيه التاريخ الطويل والثقافة المتأصلة، كما أن القتال كان يدور فى صميم الوطن الإيرانى ويشترك رجال الدين المجوس فى تأليب السكان على المقاومة يضاف إلى ذلك بعد هذه المناطق عن مراكز الجيش فى البصرة والكوفة، وطبيعة الأرض الجبلية التى تمكن السكان من المقاومة، ولذلك فقد انتقضت معظم هذه المراكز، وأعيد فتحها فى عهد الفاروق أو فى خلافة عثمان رضى الله عنهما(١).

****

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص (٣٣٩، ٣٤٠).

المبحث الخامس
أهم الدروس والعبر والفوائد من فتوحات العراق والمشرق

أولاً: أثر الآيات والأحاديث فى نفوس المجاهدين:

كان للآيات والأحاديث التى تتحدث عن فضل الجهاد أثرها فى نفوس المجاهدين، فقد بين المولى عز وجل أن حركات المجاهدين كلها يثاب عليها قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

وقد أيقن المسلمون الأوائل أن الجهاد تجارة رابحة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٠ -١٣].

وقد تعلموا أن الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج فيه قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩- ٢٢]، اعتقدوا أن الجهاد فوز على كل حال قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]، وأن الشهيد لا تنقطع حياته بل هى حى قال تعالى:

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١] وكانوا يشعرون بسمو هدفهم الذين يقاتلون من أجله قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٤-٧٦].

وقد بيَّن الرسول ﷺ للمسلمين فضل الجهاد فألهبت تلك الأحاديث مشاعرهم وفجرت طاقاتهم، ومن هذه الأحاديث ما ورد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أى الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد بنفسه وماله»**(١)، وقد بيَّن رسول الله ﷺ درجات المجاهدين قال ﷺ: **«إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة»**(٢)، وقد وضح ﷺ فضل الشهداء وكرامتهم فقال: **«انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ولو ددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»**(٣) وقال ﷺ: **«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شىء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»**(٤)، وغير ذلك من الأحاديث، وقد تأثر المسلمون الأوائل ومن سار على نهجهم بهذه الآيات والأحاديث فكان كبار الصحابة رضى الله عنهم يغزون وقد شاخوا فيشفق عليهم الناس

---

(١) البخارى رقم (٢٧٨٦).

(٢) البخارى رقم (٢٧٩٠).

(٣) مسلم (١٤٩٧/٣).

(٤) البخارى رقم (٢٨١٧).

وينصحونهم بالقعود عن الغزو لأنهم معذورون فيجيبونهم أن سورة التوبة تأبى عليهم القعود ويخافون على أنفسهم من النفاق إذا ما تخلفوا عن الغزو (١).

ثانيًا: من ثمرات الجهاد فى سبيل الله:

كان الصحابة والتابعون بإحسان فى العهد الراشدى يرون أن الجهاد فى سبيل الله ضرورة من ضرورات بقاء الأمة الإسلامية فقاموا بهذه الفريضة فى فتوحات العراق وبلاد المشرق والشام ومصر والشمال الأفريقى، وترتب على قيامهم لهذه الفريضة ثمرات كثيرة منها: تأهيل الأمة الإسلامية لقيادة البشرية، القضاء على شوكة الكفار وإذلالهم وإنزال الرعب فى قلوبهم، ظهور صدق الدعوة للناس، الأمر الذى جعلهم يدخلون فى دين الله أفواجا فيزداد المسلمون بذلك عزا والكفار ذلا، وتوحدت صفوف المسلمين ضد أعدائهم وأسعدوا الناس بنور الإسلام وعدله ورحمته(٢).

ثالثًا: من سنن الله فى فتوحات العراق وبلاد المشرق:

يلاحظ الباحث فى دراسته لفتوحات العراق وبلاد المشرق بعض سنن الله فى المجتمعات والشعوب والدول ومن هذه السنن:

١- سنة الأخذ بالأسباب:

قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد طبق الفاروق رضى الله عنه فى عهده هذه الآية وأخذ بالأسباب المادية والمعنوية كما مر معنا.

٢- سنة التدافع:

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقد تحققت هذه السنة فى حركة الفتوحات عموما، وسنة التدافع من أهم سنن الله

---

(١) الجهاد فى سبيل الله للقادرى (١/١٤٥).

(٢) المصدر نفسه (٢/٤١١ - ٤٨٢).

تعالى فى كونه وخلقه وهى من أهم السنن المتعلقة بالتمكين للأمة الإسلامية، وقد استوعب المسلمون الأوائل هذه السنة وعملوا بها وعلموا أن الحق يحتاج إلى عزائم تنهض به وسواعد تمضى به، وقلوب تحنو عليه وأعصاب ترتبط به، إنه يحتاج إلى جهد بشرى لأن هذه سنة الله فى الحياة الدنيا وهى ماضية (١).

٣- سنة الابتلاء:

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقد وقع البلاء فى فتوحات العراق فى معركة جسر أبى عبيد على الخصوص حيث قتل الآلاف من المسلمين وهزم جيشهم ثم أعادوا صفوفهم وحققوا انتصارات عظيمة على الفرس وقد قال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ومن الملاحظ من خلال الآيات الكريمة أن تقرير سنة الابتلاء على الأمة الإسلامية جاء فى أقوى صورة من الجزم والتأكيد (٢)، وهذه سنة الله تعالى فى العقائد والدعوات لابد من بلاء، ولابد من أذى فى الأموال والأنفس ولابد من صبر ومقاومة واعتزام (٣).

٤- سنة الله فى الظلم والظالمين:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠-١٠٢]، وسنة الله مطردة فى هلاك الأمم الظالمة، وقد مارست الدولة الفارسية الظلم على رعاياها وتمردت على منهج الله فمضت فيها سنة الله وسلط الله عليها المسلمين فأزالوها من الوجود(٤).

---

(١) لقاء المؤمنين: عدنان النحوى (٢/١١٧).

(٢) التمكين للأمة الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم ص (٢٣٧).

(٣) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين للصلابى ص (٤٥٦).

(٤) السنن الإلهية فى الأمم والجماعات والأفراد ص (١١٩- ١٢١).

٥- سنة الله فى المترفين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[الإسراء: ١٦].

وجاء فى تفسيرها: وإذا دنا وقت هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها – أى متنعميها وجباريها وملوكها – ففسقوا فيها فحق عليها القول فأهلكناها، وإنما خص الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الجميع لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال وما وقع من سواهم إنما وقع باتباعهم وإغوائهم، فكان توجه الأمر إليهم آكد [١]، وقد مضت هذه السنة فى زعماء الفرس وأئمتهم.

٦- سنة الله فى الطغيان والطغاة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤]، والآية وعيد للعصاة مطلقًا وقيل وعيد للكفرة وقيل: وعيد للعصاة ووعيد لغيرهم[٢].

وفى تفسير القرطبى: أى يرصد كل إنسان حتى يجازيه به [٣].

وواضح من أقوال المفسرين فى الآيات التى ذكرناها فى الفقرة السابقة أن سنة الله فى الطغاة إنزال العقاب بهم فى الدنيا، فهى سنة ماضية لا تتخلف جرت على الطغاة السابقين وستجرى على الحاضرين والقادمين، فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله فى الدنيا كما لا يفلت أحد منهم من عقاب الآخرة [٤].

وسنة الله فى الطغاة وما ينزله الله بهم من عقاب فى الدنيا إنما يعتبر بها من يخشى الله جل جلاله ويخاف عقابه، ويعلم أن سنة الله قانون ثابت لا يحابى أحدا، قال تعالى فى بيان المعتبرين بسنته فى الطغاة بعد أن ذكر ما حل بفرعون من سوء العقاب: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[النازعات: ٢٥، ٢٦]، فهؤلاء الطغاة من زعماء الفرس مضت فيهم سنة الله.

---

(١) تفسير الالوسى (١٥/٤٢).

(٢) السنن الإلهية ص (١٩٣).

(٣) المصدر نفسه ص (١٩٣) نقلا عن القرطبى من تفسيره.

(٤) السنن الإلهية ص (١٩٤).

٧- سنة التدرج:

خضعت فتوح العراق وبلاد المشرق لسنة التدرج، فكانت المرحلة الأولى فى عهد الصديق حيث تم فتح الحيرة بقيادة خالد بن الوليد، وأما المرحلة الثانية فتبدأ من تولى أبى عبيد الثقفى قيادة جيوش العراق حتى معركة البويب، وأما المرحلة الثالثة فتبدأ منذ تأمير سعد بن أبى وقاص على الجهاد فى العراق إلى ما قبل وقعة نهاوند، وتبدأ المرحلة الرابعة من وقعة نهاوند. وأما المرحلة الخامسة فهى مرحلة الانسياح فى بلاد الأعاجم.

إن حركة الفتوحات يتعلم منها أبناء المسلمين أهمية مراعاة سنة التدرج فى العمل للتمكين لدين الله، ومنطلق هذه السنة أن الطريق طويل، ولذلك لابد من فهم واستيعاب هذه السنة بالنسبة للعاملين فى مجال الدعوة الإسلامية، فالتمكين لدين الله فى العراق وبلاد المشرق لم يتحقق بين عشية وضحاها ولكنه خضع بإرادة الله لهذه السنة.

٨- سنة تغيير النفوس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقد قام الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فى فتوحات العراق وبلاد المشرق بالعمل بهذه السنة الربانية مع الشعوب التى أرادت أن تدخل فى دين الله، فشرعوا فى تربية الناس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فغرسوا فى نفوسهم العقائد الصحيحة والأفكار السليمة والأخلاق الرفيعة.

٩- سنة الله فى الذنوب والسيئات:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

وقد أهلك الله تعالى أمة الفرس بسبب ذنوبهم التى اقترفوها والتى من أعظمها الكفر والشرك بالله، وفى هذه الآية حقيقة ثابتة وسنة مطردة: أن الذنوب تهلك أصحابها وأن الله تعالى هو الذى يهلك المذنبين بذنوبهم [١]، وقد سلط الله أمة الإسلام على الفرس

(١) السنن الإلهية ص (٢١٠).

عندما حققت شروط التمكين وعملت بسننه وأخذت بأسبابه.

رابعًا: الأحنف بن قيس يغير مجرى التاريخ:

كان عمر متمسكًا برأيه فى الاقتصار على ما فتح من فارس ومنع جيوشه من التوغل فى المشرق ولاسيما بعد أن انكسر الهرمزان وفتح المسلمون الأهواز.

فقال عمر: حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز، وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم، وقال لأهل الكوفة: وددت أن بينهم وبين الجبل جبلاً من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم.

وفاوض عمر الوفد فى هذا الأمر فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين أخبرك إنك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وأمرتنا بالاقتصار على ما فى أيدينا، وإن ملك فارس حى بين أظهرهم وإنهم لا يزالون يساحلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا - أى التقيا - حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئًا إلا بانبعاثهم وإن ملكهم هو الذى يبعثهم ولايزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وغرامته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربون جأشا(١).

فقال عمر للأحنف: صدقتنى والله وشرحت لى الأمر على حقه.

وأذن عمر بالانسياح فى بلاد فارس وانتهى فى ذلك إلى رأى الأحنف، وعرف فضله وصدقه، فساحوا فى تلك البلاد ودفع لواء خراسان إلى الأحنف، ووزع بقية الألوية إلى الأبطال من قادة المجاهدين، ورسم لهم خطة الحرب والتقدم، ثم جعل يمدهم بالجيوش من ورائهم (٢).

****

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٣٠).

(٢) مع الرعيل الأول، محب الدين الخطيب ص (١٤٦).

الفصل السابع

فتوحات الشام ومصر وليبيا

المبحث الأول

فتوحات الشام

كان أول خطاب وصل إلى الشام من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحمل نبأ وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وتولية أبى عبيدة على الشام وقد جاء فيه: أما بعد، فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ قد توفى فإنا لله وإنا إليه راجعون، ورحمة الله وبركاته على أبى بكر الصديق العامل بالحق، والآخذ بالعرف، اللين الستير الوادع، السهل القريب الحكيم، ونحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامة عند الله تعالى، وأرغب إلى الله فى العصمة بالتقى فى مرحمته، والعمل بطاعته ما أحيانا، والحلول فى جنته إذا توفانا، فإنه على كل شىء قدير، وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق، وقد وليتك جماعة المسلمين، فابثث سراياك فى نواحى أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام، وانظر فى ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين ولا يحملنك قولى هذا على أن تعرى عسكرك فيطمع فيك عدوك ولكن من استغنيت عنه فسيره، ومن احتجت إليه فى حصارك فاحتبسه، وليكن فيمن تحتبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه[1]، وعند وصول الكتاب دعا أبو عبيدة معاذ بن جبل، فأقرأه الكتاب، وقال حامل الرسالة: يا أبا عبيدة، إن عمر يقول لك: أخبرنى عن حال الناس، وعن خالد بن الوليد أى رجل هو؟ وأخبرنى عن يزيد بن أبى سفيان، وعن عمرو بن العاص، وكيف هما فى حالهما وهيئتهما ونصحهما للمسلمين، وأجاب أبو عبيدة رسول عمر وكتب أبو عبيدة ومعاذ ابن جبل كتاباً واحداً إلى عمر جاء فيه: .. من أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب، سلام عليكم، فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم، وإنك يا عمر، أصبحت وقد وليت أمر أمة محمد، أحمرها وأسودها، يقعد بين يديك العدو والصديق، والشريف والوضيع، والشديد والضعيف، ولكل عليك حق وحقه من العدل فانظر كيف تكون يا عمر، وإنا نذكرك

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ١٢٥).

يوما تبلى فيه السرائر، وتكشف فيه العورات، وتظهر فيه المخبات، وتعنو فيه الوجوه لملك قاهر، قهرهم بجبروته، والناس له داخرون، ينتظرون قضاءه، ويخافون عقابه، ويرجون رحمته، وإنه بلغنا أنه يكون فى هذه الأمة رجال إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله من ذلك، فلا ينزل كتابنا من قلبك بغير المنزلة التى أنزلناها من أنفسنا والسلام عليك ورحمة الله(١).

● حوار بين خالد وأبى عبيدة رضى الله عنهما:

علم خالد بأمر عزله فأقبل حتى دخل على أبى عبيدة فقال: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمنى وأنت تصلى خلفى والسلطان سلطانك؟ فقال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيرى، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضى ذلك كله، ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عز وجل، وما يضر الرجل أن يلى عليه أخوه، فى دينه ولا دنياه، بل يعلم الوالى أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما فى الخطيئة لما يعرض له من الهلكة، إلا من عصم الله عز وجل وقليل ما هم، ودفع أبو عبيدة كتاب عمر إلى خالد(٢).

● عمر رضى الله عنه يرد على رسالة أبى عبيدة ومعاذ رضى الله عنهما:

عندما وصل كتاب أبى عبيدة ومعاذ بواسطة شداد بن أوس بن ثابت بن أخى حسان ابن ثابت الأنصارى رد عمر رضى الله عنه على كتابهما وجاء فيه: .. فإنى أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنى أوصيكما بتقوى الله، فإنه رضاء ربكما، وحظ أنفسكما، وغنيمة الأكياس(٣) لأنفسهم عند تفريط العجزة، وقد بلغنى كتابكما تذكران أنكما عهدتمانى وأمر نفسى لى مهم، فما يدريكما، وهذه تزكية منكما لى، وتذكران أنى وليت أمر هذه الأمة، يقعد بين يدى الشريف والوضيع، والعدو والصديق، والقوى والضعيف، ولكل حصته من العدل، وتسألاننى كيف أنا عند ذلك، وإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وكتبتما تخوفانى يومًا هو آت، وذلك باختلاف الليل والنهار،

(١) فتوحات الشام ص (٩٩-١٠٢)، التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٧٤).

(٢) تاريخ دمشق (٢/ ١٢٦).

(٣) جمع كيس بتشديد الياء وكسرها وهو النبيه الفطن.

فإنهما يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، حتى يأتيا بيوم القيامة، يوم تُبلى السرائر، وتكشف العورات، وتعنو فيه الوجوه لعزة ملك قهرهم بجبروته، فالناس له داخرون، يخافون عقابه، وينتظرون قضاءه، ويرجون رحمته. وذكرتما أنه بلغكما أنه يكون فى هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية، أعداء السريرة، فليس هذا بزمان ذلك، فإن ذلك يكون فى آخر الزمان إذا كانت الرغبة والرهبة، رغبة الناس ورهبتهم، بعضهم إلى بعض. والله عز وجل قد ولانى أمركم، وإنى أسأل الله أن يعيننى عليه وأن يحرسنى عنه كما حرسنى عن غيره، وإنى امرؤ مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل، ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خُلُقى شيئًا إن شاء الله، وإنما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم إن عمر قد تغير منذ ولى، وإنى أعقل الحق من نفسى وأتقدم، وأبين لكم أمرى، فأيما رجل كانت له حاجة، أو ظُلم مظلمة، ليس بينى وبين أحد من المسلمين هوادة، وأنا حبيب إلىَّ صلاحكم عزيز علىَّ عتبكم، وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه، ومطلع على ما يضيرنى بنفسى إن شاء الله لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد ذلك إلا بالأمناء، وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم، إن شاء الله وأما سلطان الدنيا وإمارتها، فإن كل ما تريان يصير إلى زوال، وإنما نحن إخوان، فأينا أمَّ أخاه، أو كان عليه أميرًا لم يضره ذلك فى دينه ولا فى دنياه، بل لعل الوالى أن يكون أقربهما إلى الفتنة وأوقعهما بالخطيئة إلا من عصم الله، وقليل ما هم(١).

أولاً: فتح دمشق:

تمثل الفتوحات فى بلاد الشام فى عهد عمر بن الخطاب المرحلة الثانية من الفتوحات فى هذه الجبهة بعد الفتوح فى عهد الصديق، فبعد أن انتهت معركة اليرموك وانهزمت جموع الروم استخلف أبو عبيدة بن الجراح على اليرموك بشير بن كعب الحميرى، وأتاه الخبر أن المنهزمين من الروم اجتمعوا بفحل، وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص، فأصبح لا يدرى أبدمشق يبدأ أم بفحل فى بلاد الأردن، فكتب القائد أبو عبيدة بن الجراح إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأمره فأجابه: أما بعد، فابدأوا بدمشق فانهدوا لها، فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم فى نحورهم وأهل فلسطين وأهل حمص، فإن فتحها الله قبل

(١) فتوحات الشام ص (٩٩-١٠٢).

دمشق فذاك الذى نحب، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق، فلينزل فى دمشق من يمسك بها ودعوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل فإن تم فتحها، فانصرف أنت وخالد إلى حمص وأمير كل بلد على جند حتى يخرجوا من إمارته(١).

ومن خلال أوامر الفاروق نلاحظ: أنه حدد مسئولية قيادة العمليات، وبموجبه تم تطبيق مبدأ الاقتصاد بالجهد، فضلا عن المرونة فى التصرف إزاء الأهداف المطلوبة، كما يستنتج من هذه الأوامر أن الهدف الرئيس الأول هو دمشق مع توجيه قوة صغيرة لفحل، والهدف الرئيس الثانى هو فحل، لتوجيه الجيش كله لفتحها، والهدف الثالث مدينة حمص، واستنادا إلى هذه التوجيهات أرسل أبو عبيدة بن الجراح وحدات قتالية إلى فحل وعلى قيادتها: أبو الأعور السلمى عامر بن حتمة، وعمرو بن كليب، وعبد عمر بن يزيد ابن عامر، وعمارة بن الصعق بن كعب، وصفى بن علية بن شامل، وعمر بن الحبيب بن عمر، ولبدة بن عامر، وبشير بن عصمة، عمارة بن مخشن وهو القائد لهذه المجموعات، وتوجهت إلى فحل(٢)، وانطلق أبو عبيدة نحو دمشق، ولم يلق أية مقاومة ذات أهمية تذكر، إذ أن الروم قد اعتمدوا على أهل البلاد فى المنطقة قبل دمشق لإعاقة تقدم قوات المسلمين، إلا أن هؤلاء لم تكن لهم الحماسة والاستماتة للدفاع ويعود ذلك لسوء معاملة الروم لهم خاصة لأهل القرى الصغيرة(٣)، ووصلت قوات المسلمين إلى (غوطة دمشق) التى فيها قصور الروم ومنازلهم، وشاهدوها خالية لأن أهلها هجروها إلى دمشق، وأرسل هرقل قوة من حمص لإمداد دمشق، وكانت تقدر بـ(٥٠٠) خمسمائة مقاتل(٤)، وهى قوة قليلة مقارنة بما يتطلبه الموقف، إلا أن القوة الإسلامية التى وضعها أبو عبيدة بن الجراح شمال دمشق بقيادة (ذى الكلاع) تصدت لها، وجرى قتال عنيف بين الجانبين، انهزم فيه الروم(٥)، وناشد أهل دمشق هرقل الخلاص، فأرسل إليهم كتاباً يدعوهم إلى الثبات ويحرضهم على القتال والمقاومة، ويعدهم بالمدد، فتقوت عزائمهم وجعلهم ذلك يصمدون للحصار وحركات القوات الإسلامية(٦).

---

(١) الدعوة الإسلامية فى عهد أمير المؤمنين بن الخطاب ص (٢٧٦)، تهذيب وترتيب البداية والنهاية ص(٥٢).

(٢) العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين ص (١٨٢).

(٣) الهندسة العسكرية فى الفتوحات الإسلامية د. قصى عبد الرؤوف ص (١٨٨).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٠)، الهندسة العسكرية (١٨٨).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٠).

(٦) الهندسة العسكرية ص (١٨٨).

١ – قوات الطرفين:

● **القوات الرومية:**

– القائد العام، هرقل.

– أمير دمشق، نسطاس بن بسطورس.

– قائد قوات دمشق، باهان الذى اشترك باليرموك وهرب منها واسمه ورديان.

– القوات العمومية للقوات الرومية فى دمشق (٦٠٠٠٠) ستون ألف مقاتل، مع احتمال وصول تعزيزات إضافية من حمص (٢٠٠٠٠) عشرين ألف مقاتل لخط الدفاع و(٤٠٠٠٠) وأربعين ألف مقاتل للتعرض،فالروم أقاموا فى دمشق للاستفادة من الأبنية وحصونها وسورها وربما كانوا ينتظرون المدد ليقوموا بالتعرض.

– القوة الرومية فى (فحل) تتألف من حاميتها ومن فلول جيش اليرموك الذى أثرت على معنوياتهم معركتها وفشلهم وهروبهم منها، فهم فى فزع آخذ بنفوسهم.

● **قوات المسلمين:**

– القائد العام للقوات الإسلامية، عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

– قائد مسارح العمليات فى بلاد الشام، أبو عبيدة بن الجراح.

– بعث القائد أبو عبيدة بن الجراح بعشرة من قواده وفى مقدمتهم أبو الأعور السلمى مع حجم مناسب من القوات الإسلامية – لم تذكر المصادر تعداد هذه القوة– للسيطرة على طريق دمشق وحتى بيسان ومحلها معروف اليوم بخربة فحل[١].

– أرسل أبو عبيدة بن الجراح قوات بقيادة (علقمة بن حكيم ومسروق) كل واحد بمحل الآخر باتجاه فلسطين، فأمن محور الحركات من الغرب والجنوب[٢].

– أرسل أبو عبيدة بن الجراح قوة بقيادة (ذى الكلاع) إلى شمال دمشق ليرابط على الطريق الذى يربطها مع حمص لحماية هذا الاتجاه ومنع وصول التعزيزات الرومية إلى دمشق[٣].

(١، ٢) الهندسة العسكرية ص (١٨٩).

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤ / ٢٥٨)، الهندسة العسكرية ص (١٨٩).

- كان حجم القوات الإسلامية بعد اليرموك بحدود (٤٠٠٠٠) أربعين ألف مقاتل، وهذه القوات متماسكة التنظيم، وتمتاز بالروح المعنوية العالية بعد النصر فى اليرموك(١).

- بلغ حجم القوات الإسلامية التى ضربت الحصار على دمشق بحدود (٢٠٠٠٠) عشرين ألف مقاتل، وباقى القوات أرسلت إلى فحل لتثبيت الجبهة هناك وبالإمكان عند الضرورة سحبها من فحل لتعزز قوة الحصار(٢).

٢- وصف مدينة دمشق :

كانت دمشق مدينة عظيمة سميت باسم بانيها (دمشاق بن كنعان) وقد خضعت لحكم مصر، الأسرة الثامنة عشرة فهى أقدم المدن فى التاريخ وكانت مركز عبادة الأوثان، ولما دخلت المسيحية جعلت من معبدها الوثنى كنيسة لا يضاهيها بجمالها وجلالها إلا كنيسة إنطاكية وفى جنوب دمشق تقع أراضى البلقاء وشمالها الجولان، وهى أرض جبلية وأراضيها كلها زروع وغدران مياه، وهى مركز تجارى مهم يسكنها العرب، وكان المسلمون يعرفونها لأنهم يتاجرون معها، وقد كانت مدينة دمشق، مدينة محصنة، تمتاز بالمناعة، فلها سور يحيطها مبنى من الحجارة وارتفاعه ستة أمتار، وفيه أبواب منيعة، وعرض المبنى ثلاثة أمتار، وقد زاد هرقل من مناعته بعد الغزو الفارسى لها، والأبواب يحكم إغلاقها، ويحيط بالسور خندق عرضه ثلاثة أمتار، ونهر بردى يؤثر على الخندق بمياهه وطينه، فأصبحت دمشق قلعة حصينة ليس من السهل اقتحامها(٣)، وبذلك تظهر لنا الدفاعات الرومية ذات المتانة، والقوة، لحماية مدينة دمشق، إذ أن هذه الاستحكامات تعطينا الدلائل الآتية :

- لم تنشأ الدفاعات الميدانية حول دمشق على عجل، فهى دفاعات كانت مهيأة منذ مدة ليست بالقصيرة، لما لدمشق من أهمية استراتيجية، وخوف الروم من فقدانها واستيلاء الفرس عليها، وهذا يعنى أن الجهد الهندسى الميدانى الرومى قد عمل فى ترتيب وتنظيم هذه الدفاعات بحرية مطلقة وبموارد هندسية مناسبة غير مطلوبة باتجاهات أخرى فضلا عن تيسر الإمكانيات الهندسية لدى جيش الروم فى هذا المجال.

- برزت الإبداعات الهندسية الرومية من خلال الموانع حول مدينة دمشق، فقد

(١) اليرموك وتحرير ديار الشام، شاكر محمود رامز ص (١٠٣).
(٢) الهندسة العسكرية ص (١٨٩).
(٣) المصدر نفسه ص (١٩٠).

استفادت عناصر الهندسة العسكرية من طبيعة الأرض فى إنشاء هذه المنظومة، وعلى الأخص توظيف نهر بردى بما يخدم ملء الخندق الذى يحيط بالمدينة، فضلا عن الاستفادة الأخرى منه بجعله مانعا طبيعيا يعوق حركة القطعات المهاجمة على المدينة من اتجاهها الشمالى والشمال الشرقى.

– كانت ثقة القيادة الرومية بتحصينات مدينة دمشق كبيرة جداً، الأمر الذى جعلها تجمع قواتها هناك وتتخذ الدفاع الموضوعى فيها، ريثما تتمكن القوات الرومية فى حمص من جمع شتات أمرها والتعرض لجيش المسلمين، وهذا يعنى أن الدفاعات الهندسية الميدانية قد تدخلت فى إجبار القيادة الرومية على اتخاذ هذا الموقف الدفاعى، وبذلك أصبحت السبب المباشر فى صنع القرار، وهذا مهم جداً فى التعرف على مدى أهمية الهندسة العسكرية فى الميدان.

– وعلى عكسه أجبرت الدفاعات الهندسية الميدانية جيش المسلمين على عدم التعرض لمدينة دمشق واقتحامها، إذ وقفت منظومة الموانع الرومية عائقاً بوجههم فصارت خطة الجيش الإسلامى تقتضى فرض الحصار على المدينة.

– تقول المصادر التاريخية أن مدة حصار مدينة دمشق استمرت (٧٠) ليلة، وكان الحصار شديداً، استخدمت فيه أسلحة الحصار الثقيلة، كالمجانيق والدبابات[١].

٣ – سير المعركة:

سار أبو عبيدة بن الجراح قاصداً دمشق متخذا تشكيل المسير الآتى:

– القلب: خالد بن الوليد.

– المجنبات: عمرو بن العاص وأبو عبيدة.

– الخيل: عياض بن غنم.

– الرجالة: شرحبيل بن حسنة.

ولما كان لسور دمشق أبواب لا يمكن الخروج والدخول للبلدة إلا بواسطتها، فقد نظم المسلمون قوة الحصار على الشكل الآتى:

– قطاع الباب الشرقى بقيادة خالد بن الوليد.

---

(١) الهندسة العسكرية ص (١٩٠، ١٩١).

- قطاع باب الجابية بقيادة أبى عبيدة بن الجراح.
- قطاع باب توما بقيادة عمرو بن العاص.
- قطاع باب الفراديس بقيادة شرحبيل بن حسنة.
- قطاع الباب الصغير بقيادة يزيد بن أبى سفيان.

وقد ظن الروم بأن المسلمين لا يستطيعون أن يصمدوا أمام طول الحصار وخاصة فى أيام الشتاء، إلا أن المسلمين أصحاب العقيدة الراسخة والصبر الجميل، صمدوا أمام تغيرات الطقس، فقد عمل قادة المسلمين على إشغال الكنائس المتروكة بالغوطة والمنازل الخالية من أهلها ليرتاح فيها المجاهدون، على وفق أسلوب أسبوعى تتبادل قوات الجبهة التى على الأبواب، مع قوات من الخلف وبهذا التنظيم يستمر الحصار مهما طال الزمن[١].

ولم يقف المسلمون عند هذا الحد، وإنّما استمرت استطلاعاتهم الميدانية والهندسية، لمنظومة الموانع المعادية، وتمكن خالد بن الوليد من انتخاب منطقة عبور ملائمة فى هذه المنظومة، يمكن من خلالها اقتحام مدينة دمشق، فوقع الاختيار على أحسن مكان يحيط بدمشق وأكثره ماء وأشده مدخلاً[٢]، كما جهز حبالاً كهيئة السلالم توضع على الجدران لتساعد على تسلق الأسوار، وقد علم خالد بن الوليد أن بطريق دمشق قد رزق بولد وجمع الناس فى وليمة، فانشغل أفراد الروم بالأكل والشرب وأهملوا واجباتهم، ومن ضمنها مراقبة الجبهة والأبواب فلما أمسى ذلك اليوم نهض خالد بن الوليد هو ومن معه من جنده الذى قَدِم عليهم، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى وقالوا: إذا سمعتم تكبيرا على السور فارقوا إلينا واقصدوا الباب[٣]، وعبر خالد وجماعته الأولى الخندق المائى على عائمتين من القرب[٤]، ووصلوا السور، ورموا عليه الحبال التى هى بهيئة السلالم، فلما ثبت لهم وهقان[٥] تسلق فيها القعقاع ومذعور، ثم لم يدعوا أحبولة إلا أثبتاها، والأوهاق الشرف حتى إذا

---

(١) الهندسة العسكرية ص (١٩٢).
(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٢٥٩).
(٣) الهندسة العسكرية ص (١٩٢)، البداية والنهاية (٧/ ٢٠).
(٤) الهندسة العسكرية ص (١٩٢، ١٩٣).
(٥) الأوهاق: جمع وهق، الحبل فى طرفيه النشوطة.

ارتفعوا نظموا السلالم لتستفيد منها الجماعة الثانية، ثم انحدرت الجماعة الأولى من السور ونزلوا قرب الباب، فكثر الأفراد الذين مع خالد، فكبر أولا من أعلى السور، فتسلقت الجماعة الثانية السور وتقدموا نحو الباب، فاقتحموه بسيوفهم وهكذا دخلت على هذا النحو قوات المسلمين إلى مدينة دمشق(١).

● أهم الفوائد والدروس والعبر:

- هل كان الفتح صلحا أم عنوة؟

اختلف العلماء فى دمشق هل فتحت صلحا أو عنوة؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح، لأنهم شكوا فى المتقدم على الآخر، أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة؟ أو فتحت صلحا، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسرا؟ فلما شكوا فى ذلك جعلوها صلحا احتياطا، وقيل: بل جعل نصفها صلحا، ونصفها عنوة، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة فى الكنيسة العظمى التى كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا نصفها(٢). والله أعلم.

- تاريخ فتحها:

قال ابن كثير: وظاهر سياق سيف بن عمر، يقتضى أن فتح دمشق وقع فى سنة ثلاث عشرة، ولكن نصَّ سيف على ما نصّ عليه الجمهور من أنها وقعت فى نصف رجب سنة أربع عشرة(٣)، وقد ذكر خليفة بن خياط: أن أبا عبيدة حاصر الروم بدمشق فى رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح فى ذى القعدة(٤)، والمهم أن فتحها كان بعد معركة اليرموك(٥).

- تطبيقات لبعض مبادئ الحرب:

لم يخل فتح دمشق من تطبيقات مبادئ الحرب عند المسلمين فاشتملت على المباغتة، والمبادأة، وانتهاز الفرص وإبداعات القادة الميدانيين، وقد رأينا ما قام به خالد بن

---

(١) الهندسة العسكرية ص (١٩٢).

(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٥٦).

(٣) المصدر نفسه ص (٥٥).

(٤) تاريخ خليفة ص (١٢٦).

(٥) الهندسة العسكرية ص (١٩٣).

الوليد من استطلاع ومن انتخاب منطقة العبور الملائمة، كيف تغير الموقف، وانقلب من عملية حصار إلى عملية اقتحام، وإذا ما قارنّا بين ما فعله خالد بن الوليد باستخدامه الحبال على هيئة سلاليم والاستفادة منها بتسلقه على سور دمشق، وبين ما فعله الجيش المصرى فى حرب تشرين عام ١٩٧٣م على الجبهة المصرية عند عبوره خط بارليف الإسرائيلى واستخدامه الحبال على هيئة سلاليم أيضًا للوصول إلى المواضع الدفاعية المعادية، نجد أنه قد تم بالصيغة والأسلوب والأداة نفسها، والتى توضح لنا عبقرية المسلمين إبان الفتوحات الإسلامية، وما معاركنا الحديثة إلا امتداد لهذا الإبداع والعبقرية(١).

- **بعض ما قيل من الشعر فى فتح دمشق:**

قال القعقاع بن عمرو:

أقمنا على دارى سليمان أشهرا ... بخالد روما وقد حملنا بصارم(٢)

قصصنا إلى الباب الشرقى عنوة ... فدان لنا مستسلما كل قائم(٣)

أقول وقد دارت رحانا بدارهم ... أقيموا لهم حر الورى بالغلاصم(٤)

فلما زأدنا فى دمشق نحورهم ... وتدمر عضوا منهما بالأباهم(٥)

- **تمهيد الفتح بعد دمشق:**

بعد فتح دمشق أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى البقاع(٦)، ففتح بالسيف، وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون، وعلى الروم رجل يقال له (سنان) تحدر على المسلمين من عقبة بيروت، فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون عين ميسنون عين الشهداء، واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبى سفيان وبعث

---

(١) الهندسة العسكرية ص (١٩٥).

(٢) دارى سليمان: تدمر ودمشق - كانا دارين لسليمان بن داود.

(٣) المعنى: توجهنا إلى الباب الشرقى الذى يسار منه العراق وفتحناه عنوة.

(٤) الحديث موجه إلى نساء العدو: أقيموا لهم حر الورى بالغلاصم: اجعلوا لرجالكم المدارى به برأس حلوقهم لجبنهم أو خوفهم من الحرب.

(٥) زأدنا: أفزعنا.

(٦) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٥٨، ٥٩)، وانظر العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص(١٨٥).

يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر فى سرية ليمهدوا أمرها، وبعث أبا الزهراء القشيرى إلى البثنية وحوران فصالح أهلها، وافتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه، وغلب خالد على أرض البقاع، وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتابا.

ثانيًا: وقعة فحل:

تحركت القوات المكلفة بمهاجمة مدينة. (فحل) نحو الجنوب وعندما وصلت مشارفها كانت قوة جيش الروم تقارب المائة ألف، تسلل أكثرهم من حمص وانضمت إليهم القرى التى هزمت فى معارك سابقة عندما وصلت القوة المكلفة بمحاصرة فحل من جيش المسلمين بقيادة عمار بن مخشن جابهها جيش الروم بشق الترع من بحيرة طبرية وسلطوا مياهها على الأطيان المحيطة بفحل بقصد إعاقة جيش الإسلام وخاصة الفرسان، وهذا ما يستخدم فى وقتنا الحاضر ضد الدروع وبذلك أعاقوا حركة فرسان المسلمين، لقد جعل الرومان من هذه الأوحال خطا دفاعيا منيعا عن فحل رغم أنها تقع فى سهل منبسط، ولو كان هذا السهل يابسا لتمكن المسلمون بسهولة من اقتحام المدينة لأنهم أقدر الناس على مباشرة حرب الصحراء، وتوقف عمارة بن مخشن ووزع قواته لحصار فحل ولم يقتحمها، وذلك للفارق العددى الكبير فى القوة ولصعوبة التقدم وعدم التمكن من اجتياز هذا المانع المائى الذى عمله الرومان، واقتصر المسلمون على فرض الحصار على مدينة فحل التى يعتصم بها الروم إلى أن فرغ أبو عبيدة من فتح دمشق العاصمة وضم جيشه إلى جيش أبى الأعور السلمى وأعاد أبو عبيدة تنظيم قواته على النحو التالى:

- المقدمة بقيادة خالد بن الوليد.
- الميمنة بقيادة أبى عبيدة بن الجراح.
- الميسرة بقيادة عمرو بن العاص.
- الفرسان بقيادة ضرار بن الأزور.
- قيادة مجموعات المشاة عياض بن غنم.
- القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة وذلك لأن موقع المعركة هو فى حدود المنطقة التابعة له، وتسلم القيادة سرحبيل بن حسنة ثم نظم إقامة القوات وإمدادها ووضع مخططا لاستنفار القوات وبقاء القوة جاهزة باستمرار لمواجهة الطوارئ، وكان شرحبيل

لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة[١]، وطال حصار المسلمين لمدينة فحل وظن الروم أن باستطاعتهم تحقيق المباغتة والقيام بهجوم ليلى حاسم وعلى الروم سقلاب بن مخراق فهجموا على المسلمين فنهضوا عليهم نهضة رجل واحد لأنهم كانوا على أهبة دائمة، ودارت معركة حتى الصباح وذلك اليوم بكامله إلى الليل، فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل المانع الذى أعدوه للمسلمين ونتيجة للإجراءات الأمنية والاستعداد الذى قام به شرحبيل على قواته، حدثت الفوضى فى جيش الرومان المهاجم والتفرغ للهجوم المضاد الذى شنه المسلمون، فوقع الرومان لدى انهزامهم فى المانع المائى الذى صنعوه بأيديهم حول فحل فركب المسلمون أكتافهم ولم ينج منهم إلا الشريد، ولقد تمت تصفية القوة المحاصرة فى فحل وعندها توجه المسلمون نحو أهدافهم لمتابعة خطة العمليات الأساسية فتم توجيه:

- شرحبيل بن حسنة إلى الأردن.
- عمرو بن العاص إلى فلسطين.

انطلق أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد إلى حمص وعند وصولهما إلى مرج الروم دارت معركة طاحنة حتى غطت جثث الموتى السهل، وفى هذه المعركة تمكن المسلمون من تطبيق مبدأ مهم من مبادئ الحرب والعمليات التعرضية حيث اصطدمت مقدمة الروم بمقدمة المسلمين فعندما شعر (توذرا) باصطدام مقدمة جيشه بجيش المسلمين قام بحركة استدارة وانطلق فى اتجاه دمشق، وعلم المسلمون بالأمر ودرسوا الموقف فقرر أبو عبيدة توجيه قوة بقيادة خالد بن الوليد لمطاردة (توذرا) والانقضاض عليه من الخلف وأبو عبيدة يبقى فى مواجهة ومشاغلة جيش الروم فى الوقت نفسه استطاعت استخبارات المسلمين من معرفة حركة واتجاه تقدم توذرا فتقدم جيش يزيد بن أبى سفيان للقائه واشتبك معه، وما أن تم الاصطدام بين توذرا وجيش يزيد حتى باغت خالد بن الوليد الروم بضربهم من الخلف وتمت تصفية توذرا تصفية كاملة تقريبا[٢].

- **مما قاله القعقاع بن عمرو فى يوم فحل:**

وغداة فحل قد رأونى معلما والخيل تنحط والبلا أطوار

(١) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص (١٨٨).

(٢) المصدر نفسه ص (١٨٩).

مـا زالت الخـيل العـراب تدوسـهم ... في يوم فـحل والقنا مـوار[1]

حـتى رمين سـراتهم عن أسـرهم ... في ردة مـا بعـدها اسـتـمرار[2]

يوم الرداغ فـعند فـحل سـاعـة ... خـر الرمـاح عليـهم مـدار؟

ولقـد أبدنا في الرداغ جـمـوعـهم ... طرا ونحـوى تبـسم الأبصـار

وقال أيضا:

وغـداة فـحل قـد شـهـدنا مـأقطا ... ينسى الكمى سلاحـه في الدار[3]

مـا زلت أرمـيـهم بقـرحـة كـامل ... كـر المبـيح ريانة الأبسـار[4]

حـتى فـضـضنا جـمـعـهم بتـرس ... ينفى العـدو إذا سـمـا جـرار[5]

نحن الأولى جـسـوا العـراق بتـردس ... والشـام جـسـا في ذرى الأسـفـار[6]

ثالثًا: فتح بيسان وطبرية:

انصرف أبو عبيدة وخالد بمن معهما من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المومنين عمر بن الخطاب، واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص، فحاصر بيسان فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم صالحوه على مثل مـا صـالحت عليـه دمشق، وضـرب عليـهم الجزية، والخراج على أراضـيـهم، وكذلك فعل أبو الأعور السلمي بأهل طبرية سواء[7].

رابعًا: وقعة حمص سنة ١٥هـ:

واصل أبو عبيدة تتبعه للروم المنهزمين إلى حمص، ونزل حولها يحاصرها، ولحقه خالد بن الوليد، فحاصروها حصارا شديدا، وذلك في زمن البرد الشديد، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرف المسلمين عن المدينة شدة البرد، وصبر الصحابة صبرا عظيما بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع، وقد سقطت رجله وهي في الخف،

---

(١) موار: أى الرياح تموج فيهم.

(٢) الرداغ: الماء والطين والوحل الشديد.

(٣) المأقط: ضيق المواقع في الحرب.

(٤) ريانة: التمهل والبطء. المبيح: الأسد. الإبسار: من بسر: كلح وجهه وتذمر.

(٥) العمليات الدفاعية ص (١٩٢).

(٦) ذرى الأسفار: أعاليها وأصعبها.

(٧) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٦١).

والصحابة ليس فى أرجلهم شيء سوى النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا إصبع، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا: أنصالح والملك منا قريب؟ فيقال: إن الصحابة كبروا فى بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة ووقعت زلزلة تفطرت منها بعض الجدران، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا: ألا تنظرون إلى ما نزل بنا، وما نحن فيه؟ ألا تصالحون القوم عنا؟ قال: فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق، على نصف المنازل، وضرب الخراج على الأراضى، وأخذ الجزية على الرقاب، بحسب الغنى والفقر، وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبدالله بن مسعود وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشا كثيفا يكون بها مع جماعة من الأمراء منهم بلال، والمقداد، وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء[١] عن الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى، فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده[٢].

خامساً: وقعة قنسرين سنة ١٥ هـ:

بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين[٣]،فلما جاءها ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب، فقاتلهم خالد فيها قتالا شديدا وقتل منهم خلقا كثيرا،فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميناس، وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا، فقبل منهم خالد وكف عنهم، ثم خلص إلى البلد فتحصنوا فيه فقال لهم خالد: إنكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا، ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه، فلما بلغ عمر ما صنعه خالد فى هذه الموقعة قال:

يرحم الله أبا بكر،كان أعلم بالرجال منى،والله إنى لم أعزله عن ريبة ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه[٤].

سادساً: وقعة قيسارية سنة ١٥ هـ:

وفى هذه السنة أمر عمر معاوية بن أبى سفيان على قيسارية[٥] وكتب إليه: أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير، فسار إليها فحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما،

---

(١) أى نهر الفرات إلى الجزيرة.

(٢) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٦٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٢٧).

(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٦٣).

(٥) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٣١).

وصمم عليهم معاوية، واجتهد فى القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحو من ثمانين ألفا، وكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه (١)، هذا ويرى الدكتور عبدالرحمن الشجاع أن مدن الشام تساقطت تحت ضربات المجاهدين الواحدة تلو الأخرى، لأن الروم كانوا من الهزيمة بمكان لا تجعلهم يفكرون فى المقاومة فتساقطت مدن بيروت، وصيدا، ونابلس، واللد، وحلب، وإنطاكية، وكانت قيسارية آخر مدن الشام فتحا على يد معاوية ابن أبى سفيان وكان ذلك بعد فتح القدس (٢).

سابعًا: فتح القدس ١٦هـ:

كان على فلسطين قائد رومانى يدعى (الأرطبون) أى القائد الكبير الذى يلى الامبراطور ،وكان هذا أدهى الروم وأبعدهم غورا وأنكاهم فعلاً، وكان قد وضع بالرملة جندا عظيمًا، وبإيلياء جندا عظيمًا (٣)، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر رضى الله عنهما، يخبره بذلك ويستشيره ويستامره، فقال عمر كلمته الشهيرة: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج(٤) وكان يقصد بذلك أن كلا القائدين أدهى الرجال فى قومهما، وكانت معركة أجنادين الثانية (١٥هـ) التى انتصر فيها عمرو على الروم قد مهدت الطريق إلى فلسطين (٥)، وقد بدأت معركة القدس عمليًا، قبل معركة أجنادين الثانية (١٥هـ) ذلك أن أرطبون الروم كان قد وزع (جندا عظيمًا) له فى كل من إيلياء والرملة – كما سبق أن قدمنا – وبين الرملة وإيلياء أى القدس، ثمانية عشر ميلا، وذلك تحسبا لأى هجوم من قبل المسلمين، بقيادة عمرو بن العاص على المدينتين اللتين كانتا أهم مدن (كورة فلسطين) إذ كانت الرملة (قصبة فلسطين) وكانت إيلياء أكبر مدنها (٦)، وكان على الروم فى إيلياء حاكمها الأرطبون وهو الأرطبون نفسه الذى كان قد لجأ وفلول جيشه إليها بعد هزيمتهم فى أجنادين، وكان عليهم فى الرملة

---

(١) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٦٣، ٦٤).
(٢) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٣٥٥).
(٣) حروب القدس فى التاريخ الإسلامى والعربى د. ياسين سويد ص(٣٥).
(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٣١).
(٥) حروب القدس فى التاريخ الإسلامى والعربى ص(٣٥).(٦) المصدر نفسه ص (٣٥، ٣٦).
(٦) المصدر نفسه ص (٣٥، ٣٦).

التذارق (١)، وهذه أهم المراحل التى مر بها المسلمون عند فتحهم للقدس.

١- المشاغلة:

كانت خطة الخليفة عمر أن يشغل الروم عن عمرو فى فلسطين ريثما يتم الانتصار على حشودهم فى أجنادين، حتى يتفرغ المسلمون بعدها لفتح القدس وما تبقى من بلاد الشام، فأمر معاوية أن يتوجه بخيله إلى قيسارية ليشغل حاميتها عن عمرو ، وأما عمرو فكان قد اعتمد الخطة نفسها التى اعتمدها الخليفة، فأرسل كلاً من علقمة بن حكيم الفراسى، ومسروق بن فلان المكى على رأس قوة لمشاغلة حامية الروم فى إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء فشغلوهم عن عمرو (٢)، ثم أرسل أبا أيوب المالكى على رأس قوة أخرى لمشاغلة حاميتهم فى الرملة، وما إن وصلت الإمدادات إلى عمرو حتى أرسل محمد بن عمرو مع مدد لقواته المرابطة فى مواجهة حامية إيلياء، كما أرسل عمارة بن عمرو بن أمية الضمرى مع مدد لقواته المرابطة فى مواجهة حامية الرملة، أما هو فأقام فى أجنادين بانتظار المعركة الحاسمة مع الأرطبون، وفى هذه الأثناء كانت حامية إيلياء تصد المسلمين عن أسوارها، وكان القتال يستعر حول المدينة المقدسة بينما كان المسلمون والروم يحتشدون للقتال فى أجنادين وكانت معركة أجنادين عنيفة (٣)، إذ يقول الطبرى فيها: اقتتلوا - أى المسلمون والروم - قتالاً شديداً كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم (٤)، فقد نازل أرطبون العرب أرطبون الروم فى أجنادين فهزمه، وارتد أرطبون الروم وجنده ليحتموا بأسوار المدينة المقدسة فأفرج له المسلمون حتى دخلها(٥)، ويذكر الطبرى أن كلا من علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبى أيوب التحقوا بعمرو فى أجنادين، وسار عمرو بجيشه جميعًا نحو إيلياء لمحاصرتها (٦).

اجتمع المسلمون بقيادة عمرو بن العاص حول إيلياء، وضرب عمرو على المدينة حصاراً شديداً، وكانت المدينة حصينة ومنيعة، ويصف الواقدى أسوار المدينة بأنها كانت محصنة بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخرة، ويذكر أن

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٤٣٢).

(٢، ٣) حروب القدس ص(٣٦).

(٤، ٥) تاريخ الطبرى (٤/٤٣٣).

(٦) حروب القدس ص (٣٧).

القتال بدأ بعد ثلاثة أيام من الحصار، حيث تقدم المسلمون نحو أسوار المدينة فأمطرتهم حاميتها بوابل من السهام والنبال التى كان المسلمون يتلقونها (بدرقهم) وكان القتال يمتد من الصباح إلى غروب الشمس، واستمر على هذا المنوال عدة أيام حتى كان اليوم الحادى عشر إذ أقبل أبو عبيدة على المسلمين ومعه خالد وعبدالرحمن بن أبى بكر، ومعهم فرسان المسلمين وأبطال الموحدين (١) مما ألقى الجزع فى قلوب أهل إيلياء، واستمر الحصار أربعة أشهر ما من يوم إلا وجرى فيه قتال شديد، والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر (٢)، إلى أن يئس الروم من مقاومة حصار المسلمين لمدينتهم، فقرر بطريقهم (البطريق صفرونيوس) القيام بمحاولة أخيرة، وكتب إلى عمرو بن العاص، قائد جيش المسلمين رسالة يغريه فيها بفك الحصار نظراً لاستحالة احتلال المدينة (٣).

٣- الاستسلام:

كتب أرطبون الروم إلى عمرو بن العاص يقول له: إنك صديقى ونظيرى، أنت فى قومك مثلى فى قومى، والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين فارجع ولا تُغره فتلقى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة (٤)، فكتب إليه عمرو كتاباً يقول فيه: إنه (صاحب فتح هذه البلاد)، وأرسل الكتاب مع رسول وأمره أن ينقل إليه رد الأرطبون، فلما قرأ الأرطبون كتاب عمرو ضحك مما جاء فيه وقال: إن صاحب فتح بيت المقدس هو رجل اسمه «عمر»، ونقل الرسول إلى عمرو ما سمعه من الأرطبون فعرف عمرو أن الرجل الذى يعنيه الأرطبون هو الخليفة(٥)، فكتب إلى الخليفة يخبره بما جاء على لسان الأرطبون أنه لا يفتح المدينة إلا هو، ويستمده ويستشيره قائلاً: إنى أعالج حربًا كؤوداً صدوماً وبلاداً ادُّخرت لك، فرأيك (٦)، فخرج الخليفة - بعد الاستشارة - فى مدد من الجند إلى الشام بعد أن استخلف على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه ونزل بالجابية، فجاءه أهل إيلياء (فصالحوه على الجزية، وفتحوها له) (٧).

(١، ٢، ٣) حروب القدس ص(٣٨).

(٤، ٥، ٦) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٣٣).

(٧) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٣٤).

٤- اختلاف الروايات فيمن حاصر القدس والتحقيق فيها:

روى الطبرى أكثر من رواية فى حصار القدس وقد ذكرت أن الذى حاصرها هو عمرو ابن العاص وذكر رواية أخرى قال فيها: كان سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس، فطلبت أهلها منه أن يصالحهم على صلح مدن أهل الشام، وأن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه ذلك فسار عن المدينة بعد أن استخلف عليها (عليا)، وخرج (ممدا لهم) أى لعسكر الشام، ويروى ابن الأثير روايتين مماثلتين لروايتى الطبرى، بل متشابهتين فى النص إلى حد كبير [١]، وينسب الواقدى حصار القدس وما جرى خلاله من تشاور مع الخليفة عمر رضى الله عنه ومن تفاوض مع حاميتها الرومية إلى أبى عبيدة، فيذكر أن أبا عبيدة سرح إلى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألف مقاتل بقيادة سبعة قادة مع كل قائد خمسة آلاف، وهم: خالد بن الوليد، ويزيد ابن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة، والمرقال بن هاشم بن أبى وقاص، والمسيب ابن نجيه الفزارى، وقيس بن هبيرة المرادى، وعروة بن المهلل بن يزيد، سرحهم فى سبعة أيام كل يوم قائد، ثم لحق بهم بعد أن نشب القتال عدة أيام بينهم وبين حامية المدينة[٢]، ويستطرد الواقدى فيقول: إن أهل إيلياء جاءوا إلى أبى عبيدة يعرضون عليه دخول المدينة صلحا على أن يتم الصلح على يدى خليفة المسلمين عمر، ثم يذكر رواية مشابهة لتلك التى رواها كل من الطبرى وابن الأثير، ويضيف أن أبا عبيدة كتب إلى الخليفة يخبره بما جرى، فسار الخليفة إلى بيت المقدس ونزل عند أسوار المدينة فخرج إليه بطريقها وتعرف إليه وقال: هذا والله الذى نجد صفته ونعته فى كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه[٣]. ثم عاد إلى قومه يخبرهم فخرجوا مسرعين وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار، ففتحوا الباب، وخرجوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية [٤]، ونحن نستبعد رواية الواقدى هذه لاعتقادنا أنه بينما كان عمرو بن العاص يحاصر القدس، كان رفاقه من قادة المسلمين بعد اليرموك ودمشق وفحل، يجوبون أنحاء بلاد الشام غانمين منتصرين فيحتل أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد، حمص وحماة وقنسرين وحلب، ثم يسلك طريق الساحل الشامى جنوبا

(١) حروب القدس ص (٤٠).

(٢) فتوحات الشام (١/٢١٣-٢١٦).

(٣) المصدر نفسه (١/٢٢٥).

(٤) حروب القدس ص(٤٠).

فيستولى على إنطاكية واللاذقية وعرقة، ويحتل يزيد بن أبى سفيان الساحل جنوبا من بيروت إلى صيدا، وشمالا من عسقلان إلى صور (١)، ولكن البلاذرى يذكر فى رواية له أن عمرو بن العاص هو الذى حاصر القدس، بعد أن فتح رفح، وأن أبا عبيدة قدم عليه . . بعد أن فتح قنسرين ونواحيها وذلك فى سنة ١٦، وهو محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس (٢)، وأن أهل إيلياء طلبوا من أبى عبيدة (الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام) على أن يتولى العقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، وقد كتب أبو عبيدة إلى الخليفة بذلك، فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق، ثم صار إلى إيلياء، فأنفذ صلح أهلها وكتب به، وكان فتح إيلياء فى سنة ١٧هـ، ويضيف البلاذرى بعد ذلك، وقد روى فى فتح إيلياء وجه آخر (٣)، ومع أننا نرجح الرواية الأولى التى أوردها الطبرى وهى أن حصار القدس تم على يد عمرو بن العاص، وليس على يد أبى عبيدة، فنحن نرى أنه لم يكن صعبًا على أبى عبيدة أن يلتحق بالخليفة عمر فى الجابية للتشاور معه حول أمور الفتح باعتباره القائد العام لجيوش المسلمين فى الشام، وخصوصًا عندما نعلم أن أبا عبيدة كان ثانى من لقى بعد الخليفة يزيد حين وصوله إلى الجابية واستدعائه لسائر أمراء الأجناد فى الشام (٤) للتشاور، وأن أبا عبيدة حضر مع يزيد وشرحبيل وكبار قادة المسلمين فى الشام، عقد الصلح والأمان، وتسليم المدينة(٥). إلا أنه لم يشهد على هذا العقد كما شهد عليه كل من عمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن الوليد كما يستدل من نص المعاهدة نفسها وليس لدينا أى تفسير لذلك سوى أن أبا عبيدة لم يكن قائد الجيش الذى حاصر المدينة المستسلمة بل هو عمرو (٦).

٥- نص المعاهدة:

وفيما يلى نص المعاهدة كما أوردها الطبرى:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من

---

(١) حروب القدس ص (٤١).

(٢) فتوح البلدان (١/١٨٨، ١٨٩).

(٣) المصدر نفسه (١/١٨٩).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/٤٣١- ٤٣٦).

(٥) حروب القدس ص (٤١).

(٦) المصدر نفسه ص (٤٢).

الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان؛ فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة (١).

أهم الدروس والعبر والفوائد:

أ- موقف فدائى لواثلة بن الأسقع رضى الله عنه:

قال واثلة: فأسمع صرير باب الجابية - وهو واحد من أبواب دمشق - فمكثت فإذا بخيل عظيمة فأمهلتها، ثم حملت عليهم وكبرت فظنوا أنهم أحيط بهم، فانهزموا إلى البلد، وأسلموا عظيمهم - يعنى قائدهم - فدعسته بالرمح وألقيته عن برذونه، وضربت يدى على عنان البرذون وركضت، والتفوا فلما رأونى وحدى تبعونى فدعست فارساً بالرمح فقتلته، ثم دنا آخر فقتلته، ثم جئت خالد بن الوليد فأخبرته وإذا عنده عظيم من الروم يلتمس الأمان لأهل دمشق(٢).

ب- سفارة معاذ بن جبل إلى الروم قبيل (موقعة فحل):

بعد مناوشات بين المسلمين والروم، قبيل موقعة فحل أرسل الروم إلى المسلمين أن ابعثوا إلينا رجلاً نسأله عما تريدون وما تسألونه وما تدعون إليه ونخبره بما نريد. فأرسل

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٦، ٣٨٧)، التاريخ الإسلامى (١٠/ ٣١٩).

إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل الأنصارى مفاوضًا وسفيراً عن المسلمين، فاستعد الروم لاستقباله، وأظهروا أجمل ما عندهم من الزينة، وأنفذ ما عندهم من الأسلحة، وفرشوا الأرض بأثمن البسط والنمارق التي تكاد تخطف الأبصار، ليفتنوا معاذا عما جاء له أو يرهبوه ويفتوا فى عضده ففاجأهم بتعاليه عن زينتهم، ورفضه لكل أشكال المغريات وبشدة تواضعه وزهده، بل اغتنم ذلك الموقف لاستخدامه سلاحًا ضد الروم فأمسك بعنان فرسه، وأبى أن يعطيه لغلام من الروم، وأبى الجلوس على ما أعدوه لاستقباله، وقال لهم: لا أجلس على هذه النمارق التى استأثرتم بها على ضعفائكم، وجلس على الأرض.. وقال: إنما أنا عبد من عباد الله أجلس على بساط الله، ولا أستأثر بشيء من مال الله على إخوانى(١)، ودار بينهم حوار سألوه فيه عن الإسلام فأجابهم، وسألوه عن نبى الله عيسى عليه السلام فقرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] وأوضح لهم ما يريد منهم المسلمون، وقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقالوا له: إن سبب انتصار المسلمين على الفرس هو موت ملكهم، وإن ملك الروم حى وجنوده لا تحصى، فقال لهم: إن كان ملككم هرقل فإن ملكنا الله وأميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب الله وسنة نبينا أقررناه وإن غيَّر عزلناه، ولا يحتجب عنا ولا يتكبر ولا يستأثر علينا (٢)، وأما عن كثرتهم فقد قرأ عليهم قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ولما فشل الروم فى التأثير في معاذ أو النيل منه فيما أعدوه من بهارج وخيلاء، عادوا إلى الواقع يعرضون عليه الصلح، وأن يعطوا المسلمين البلقاء وما والاها فأعلمهم معاذ أنه ليس أمامهم إلا الإسلام أو الجزية، أو الحرب فغضبوا وقالوا: اذهب إلى أصحابك، إنا لنرجو أن نقرنكم فى الحبال. فقال معاذ: أما الحبال فلا، ولكن والله لتقتلننا عن آخرنا أو لنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون، ثم انصرف (٣)، وهكذا ظهر معاذ فى هذه السفارة شخصية سياسية عسكرية، وداعية إلى الإسلام يواجه حجج خصومه، ويوجه إليهم النقد اللاذع، مظهراً عيوبهم واستئثارهم على رعيتهم، ويذكرهم بتعاليم دينهم، ويدعوهم إلى الإسلام، أما تهويلهم وحربهم النفسية فيرد عليها بالواقع لا بالتهويل

(١، ٢، ٣) الاكتفاء للكلاعى (٣/١٩٤).

والتخويف، ثم يعود إلى قيادته التى أقرت كل ما قام به وما قاله للروم (١)، وقد كان المسلمون يدعون خصومهم للإسلام قبل القتال.

جـ- موقف لعبادة بن الصامت في فتح قيسارية:

كان عبادة بن الصامت على ميمنة جيش المسلمين فى حصار قيسارية، فقام رضى الله عنه بوعظ جنده ودعاهم إلى تفقد أنفسهم، والحيطة من المعاصى ثم قاد هجومًا قتل فيه كثيراً من الروم، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه فعاد إلى موقعه الذى انطلق منه، فحرض أصحابه على القتال، وأبدى لهم استغرابه الشديد لعدم تحقيق أهداف ذلك الهجوم فقال: يا أهل الإسلام إني كنت من أحدث النقباء سنًا وأبعدهم أجلاً وقد قضى الله أن أبقانى حتى قاتلت هذا العدو معكم.. والذى نفسى بيده ما حملت قط فى جماعة من المؤمنين على جماعة من المشركين، إلا خلوا لنا الساحة وأعطانا الله عليهم الظفر فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم؟ (٢) ثم بين لهم ما يخشاه منهم فقال: إنى والله لخائف عليكم خصلتين أن تكونوا قد غُللتم، أو لم تناصحوا الله فى حملتكم عليهم(٣)، وحث أصحابه على طلب الشهادة بصدق، وأعلمهم أنه سيكون فى مقدمتهم وأنه لن يعود إلى مكانه إلا أن يفتح الله عليه أو يرزقه الشهادة(٤)، فلما التحم المسلمون والروم ترجل عبادة عن جواده، وأخذ راجلاً فلما رآه عمير بن سعد الأنصارى نادى المسلمين يعلمهم بما فعل أميرهم ويدعوهم إلى الاقتداء به، فقاتلوا الروم حتى هزموهم (وأحجروهم فى حصنهم)(٥).

د- أم حكيم بنت الحارث بن هشام فى معركة مرج الصُّفر:

كانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبى جهل فقتل عنها فى معارك الشام(٦)، فاعتدت أربعة أشهر وعشرا، وكان يزيد بن أبى سفيان يخطبها، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها يعرض لها فى خطبتها، فخطب إلى خالد بن سعيد فتزوجها، فلما نزل المسلمون مرج صفر، وكان خالد قد شهد أجنادين وفِحل ومرج الصفر – أراد أن يعرّس بأم حكيم فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يفضى الله

(١) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٠٧).

(٢-٥) المصدر نفسه ص (٢٠٩).

(٦) قيل إنه استشهد باليرموك وقيل: أجنادين، وقيل: يوم فحل.

هذه الجموع، فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم، قالت: فدونك. فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر، فبها سميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها، فدعا أصحابه إلى طعام فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقُتل وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدت، وإن عليها أثر الخلوق فاقتتلوها أشد القتال على النهر، وصبر الفريقان جميعا، وأخذ السيوف بعضها بعضا، وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد معرسا بها (١).

هـ- قيصر ملك الروم يودع الشام:

في السنة الخامسة عشرة تقهقر هرقل بجنوده، وارتحل عن الشام إلى بلاد الروم (٢) وقيل في سنة ست عشرة (٣)، وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: عليك السلام يا سورية، تسليم مودع لم يقض منك وطرا وهو عائد؛ فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرها (٤)، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم فقالوا: إن بقاءنا ها هنا أنفع لك من رحيلنا معك، فتركهم؛ فلما وصل إلى شمشاط(٥) وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال: عليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده(٦)، ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه، وقد سأل رجلا ممن اتبعه، كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم. هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام يقضون على من حاربوه حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين (٧).

و- إن الله أعزكم بالإسلام:

لما قدم عمر رضي الله عنه الشام راكبًا على حماره ورجلاه من جانب قال له أبو

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٩).
(٢) الاستيعاب (٤/ ٤٨٦)، دور المرأة السياسي أسماء محمد ص (٣١٣).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٨).
(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص (٦٦).
(٥) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام.
(٦) مدينة على شط الفرات في طرف أرمينية بينها وبين الشام.
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٩).

عبيدة: يا أمير المؤمنين الآن يتلقاك عظماء الناس، فقال عمر رضى الله عنه: إن الله أعزكم بالإسلام، فمهما طلبتم العز فى غيره أذلكم (١).

ز- من خطبته بالجابية لما وصل الشام:

خطب عمر رضى الله عنه بالجابية فقال: إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا فقال: أحسنوا إلى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجىء قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يستحلف عليها، ويشهد على الشهادة قبل أن يستشهد، فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة ،فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان، ومن كان منكم تسره حسنته وتسوؤه سيئته فهو مؤمن (٢).

حـ- غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة:

لما قدم عمر الشام قال لأبى عبيدة رضى الله عنه: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندى؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علىَّ، قال: فدخل فلم ير شيئًا، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدا وصحفة وشنا (٣)، وأنت أمير أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة(٤)، فأخذ منها كسيرات فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك علىَّ يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلغك المقيل، قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة(٥). وعلق الذهبى على هذه الحادثة فقال: وهذا والله هو الزهد الخالص لا زهد من كان فقيراً معدمًا(٦)، وجاء فى رواية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قدم عمر رضى الله عنه الشام فتلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخى؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح، قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه فسأله ثم قال للناس: انصرفوا عنا فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير فى بيته إلا سيفه، وترسه، ورحله (٧).

---

(١) محض الصواب (٢/ ٥٩٠) إسناده صحيح.
(٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (١٧٧) حديث صحيح ورجاله ثقات.
(٣) اللبد: السرج، والشن: القربة القديمة.
(٤) الجونة: السلة.
(٥، ٦) سير أعلام النبلاء (١/ ١٧).
(٧) محض الصواب (٢/ ٥٨٩، ٥٩٠) إسناده صحيح إلى عروة.

ط- تعليق على نص معاهدة أهل بيت المقدس:

إن كتاب الصلح الذى أبرمه عمر رضى الله عنه يشهد شهادة حق بأن الإسلام دين تسامح وليس دين إكراه، وهو شاهد عدل بأن المسلمين عاملوا النصارى الموجودين فى القدس معاملة لم تخطر على بالهم. إن عمر وهو الفاتح كان يستطيع أن يفرض عليهم ما يشاء، وأن يجبرهم على ما يريد، ولكنه لم يفعل لأنه كان يمثل الإسلام، والإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه ولا يقبل من أحد إيماناً إلا عن طواعية وإذعان، إن الإيمان ليس شيئًا يجبر عليه الناس لأنه من عمل القلوب، والقلوب لا يعلم مخبآتها إلا الله سبحانه فقد يريك الإنسان أنه مؤمن وليس كذلك وتكون مضرته لأهل الإيمان أكثر ممن يجاهرون بالكفر والإلحاد، ولهذا آثر المسلمون أن يعطوا الناس حرية العبادة، ويؤمنون على كل عزيز لديهم على أن يعيشوا فى كنف المسلمين، ويؤدوا الجزية مقابل حمايتهم والذود عنهم، وفى ظلال الحياة الهادئة الوديعة وفى رحاب الصلات والجوار، وفى كنف المسلمين وعدالتهم سيرى غير المسلمين عن قرب جمال الإسلام وسماحته وإنصافه وعدالته، وسيرون فيه الحقائق التى قد عميت عليهم لبعدهم عنه، وعندئذ يدخلون فى دين الله أفواجًا كما حدث فى كل البلاد التى فتحها المسلمون، وأعطوا أهلها مثل هذا الأمان[١].

ى- عمر رضى الله عنه يصلى فى المسجد الأقصى:

قال أبو سلمة: حدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلى؟ فقال: إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس[٢]، وقال ابن تيمية: المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد.. وقد صار بعض الناس يسمى الأقصى المصلى الذى بناه عمر بن الخطاب فى مقدمه، والصلاة فى هذا المصلى الذى بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة فى سائر المسجد، فإن عمر ابن الخطاب لما فتح بيت المقدس، وكان على الصخرة زبالة عظيمة لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها، مقابلة لليهود الذين يصلون إليها، فأمر عمر بإزالة

(١) جولة فى عصر الخلفاء الراشدين: محمد سيد الوكيل ص (٢٠٠، ٢٠١).

(٢) البداية والنهاية (٧/٥٧) هذا إسناد جيد.

النجاسة عنها، وقال لكعب: أين ترى أن نبنى مصلى للمسلمين؛ فقال: خلف الصخرة، فقال: يا ابن اليهودية، خالطت اليهودية بل أبنيه أمامها فإن لنا صدور المساجد(١).

وهذا موقف آخر جليل وعظيم من مواقف أمير المؤمنين التى لا تحصى والتى برهن فيها عمليا على أن الإسلام يحترم جميع الأديان السماوية ويجعل كل المقدسات محترمة ولا يختصر شيئًا منها، إن هذه الصخرة التى أزال عنها عمر التراب والأوساخ بيده وحملها فى قبائه لينفيها عنها هى قبلة اليهود والصخرة المعظمة عندهم التى كلم الله عليها يعقوب عليه السلام كما يعتقدون، فكما كان موقف عمر من النصارى رائعًا وجليلاً حين منحهم حرية الاعتقاد وأمنهم على صلبانهم وكنائسهم لم يضن على اليهود مع ما ارتكبوه فى حق المسلمين من الجرائم بمثل هذا الموقف الرائع الجليل حيث رفع التراب عن الصخرة، وأظهر عنايته بها وحرصه على احترامها(٢).

محاولة الرومان احتلال حمص من جديد:

قدمت عيون أبى عبيدة فأخبروه بجمع الروم وخطاب هرقل فيهم وسيرهم إليه، ورأى أبو عبيدة ألا يكتم جنوده الخبر، فدعا رؤوس المسلمين وذوى الهيئة والصلاح منهم ليستشيرهم ويسمع رأى جماعتهم(٣)، فكان رأى معاذ بن جبل الأنصارى عدم الانسحاب وقال: هل يلتمس الروم من عدوهم أمرًا أضر لهم مما تريدون بأنفسكم تخلون لهم عن أرض قد فتحها الله عليكم، وقتل فيها صناديدهم وأهلك جنودهم.. أما والله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منها لتُكايدنَّ من ذلك مشقة، فقال أبو عبيدة: صدق والله وبر(٤)، ولكن الأحداث سارت على غير هذا الاتجاه، فأعاد المسلمون ما جبوه من أهل حمص فقد أمر أبو عبيدة حبيب بن مسلمة وقال له: اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد، ما كنا أخذنا منهم، فإنه لا ينبغى لنا إذ لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئًا، وقال لهم: نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح لا نرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنا كرهنا أن نأخذ بأموالكم ولا نمنع بلادكم، ولكنا نتنحى إلى بعض الأراضى ونبعث إلى إخواننا فيقدموا علينا ثم نلقى

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (٢/٥٧، ٥٨).

(٢) جولة فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٠٣، ٢٠٤).

(٣) الطريق إلى دمشق ص(٤٠٨، ٤٠٩).

(٤) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢٠٧).

عدونا فنقاتلهم، فإن أظفرنا الله بهم وفّينا لكم بعهدكم إلا أن لا تطلبوا ذلك، وأصبح الصباح فامر أبو عبيدة برحيل جيش المسلمين إلى دمشق، واستدعى حبيب بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذ منهم الجزية فرد عليهم مالهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة، وأخذ أهل حمص يقولون: ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا بل غصبونا وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا، لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم (١).

وأرسل أبو عبيدة سفيان بن عوف إلى عمر ليلة غدا من حمص إلى دمشق، وقال: ائت أمير المؤمنين فابلغه عنى السلام، وأخبره بما قد رأيت وعاينت وبما قد جاءتنا به العيون، وبما استقر عندك من كثرة العدو، وبالذى رأى المسلمون من التنحى عنهم، وكتب معه: أما بعد، فإن عيونى قدمت علىَّ من أرض عدونا، من القرية التى فيها ملك الروم فحدثونى بأن الروم قد توجهوا إلينا وجمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه لأمة قط كانت قبلنا، وقد دعوت المسلمين وأخبرتهم الخبر واستشرتهم فى الرأى، فأجمع رأيهم على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك، وقد بعثت إليك رجلا عنده علم ما قبلنا فسله عما بدا لك، فإنه بذلك عليم وهو عندنا أمين، ونستعين بالله العزيز العليم وهو حسبنا ونعم الوكيل (٢).

الخطة الحربية البديعة التى رسمها عمر رضى الله عنه لنجدة أبى عبيدة رضى الله عنه:

لما بلغ الخبر عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو، وسرحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وكان عمر قد أعد خيولاً احتياطية فى كل بلد استعداداً للحروب المفاجئة، فكان فى الكوفة أربعة آلاف فرس، فجهز سعد عليها الجيش الذى أرسله إلى الشام، وكتب عمر أيضًا إلى سعد: أن سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة فى الجند، وليأت (الرقة) فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وإن أهل (قرقيسياء) لهم سلف، وسر عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى (نصيبين) فإن أهل

---

(١) الطريق إلى الشام ص (٤١٠، ٤١١).

(٢) المصدر نفسه ص (٤١١)، وتاريخ الطبرى (٤/٢٣، ٢٥).

قرقيسياء لهم سلف ثم لينفضا[١] حران والرها، وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وسرح عياضًا، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعًا إلى عياض بن غنم، فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الذى أتاهم فيه الكتاب نحو حمص، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريقهم نحو الأهداف التى وجهوا إليها، وخرج أمير المؤمنين عمر من المدينة مغيثًا لأبى عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية، وعلم أهل الجزيرة الذين اشتركوا مع الروم فى حصار أهل حمص بخروج الجيوش من العراق، ولا يدرون هل مقصدهم حمص أم بلادهم فى الجزيرة، فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم، وتركوا الروم يواجهون المعركة وحدهم، ولما رأى أبو عبيدة أن أنصار الروم من أهل الجزيرة قد انفضوا عنهم، استشار خالداً فى الخروج إليهم وقتالهم فأشار عليه بذلك، فخرجوا إليهم وقاتلوهم وفتح الله عليهم، وقدم القعقاع بن عمرو ومن معه من أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام من المعركة وقدم أمير المؤمنين بالجابية، فكتبوا إليه بالفتح وبقدوم المدد عليهم بعد ثلاثة أيام من الفتح وبالحكم فى ذلك، فكتب إليهم أن شركوهم فإنهم قد نفروا لكم وقد تفرق لهم عدوكم[٢]، وقال: جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار[٣].

حينما نتأمل هذه الخطة الحربية البديعة التى رسمها عمر رضى الله عنه لإرباك الأعداء وتفريقهم نرى عبقرية الفاروق العسكرية، فقد أمر ببعث جيش سريع من الكوفة إلى حمص ليقوم بعملية الإنقاذ وخرج هو بجيش من المدينة، وهذا كله يبدو أمراً معتاداً، ولكن الأمر الذى يثير الإعجاب هو ما قام به من الأمر ببعث الجيوش إلى بلاد المحاربين ليضطرهم إلى ترك ميدان القتال والتفرق إلى بلادهم لحمايتها، وقد نجحت هذه الخطة حيث تفرقوا، فهان على المسلمين القضاء على الروم[٤].

● فتح الجزيرة ١٧ هـ:

تقدم لنا أن الروم وأهل بلاد الجزيرة أغاروا على مدينة حمص وحصروا فيها أبا عبيدة رضى الله عنه والمسلمين وأن عمر رضى الله عنه أرسل إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله

(١) نفض البلد: طهرها من اللصوص والأعداء.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٤، ٢٥).

(٣) المصدر السابق (٥/ ٢٥).

(٤) التاريخ الإسلامى (١١/ ١٣٧).

عنه يأمره بإمَداد أهل حمص بجيش يخرج من الكوفة إلى حمص، وجيوش تخرج إلى الجزيرة وقد أرسل سعد جيشًا من الكوفة بقيادة القعقاع بن عمرو التميمى، وأرسل جيوشًا إلى الجزيرة وكلها تحت قيادة عياض بن غنم رضى الله عنه، فخرجت هذه الجيوش إلى الجزيرة فسلك سهيل بن عدى وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة فحاصرهم، فنظروا إلى أنفسهم بين قوتين للمسلمين فى العراق والشام فصالحوهم، وسلك عبد الله ابن عبد الله بن عتبان طريق دجلة حتى انتهى إلى نصيبين فلقيه أهلها بالصلح كما صنع أهل الرقة، ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلا وعبد الله إليه وسار بالناس إلى حران فأخذ ما دونها، فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم، ثم سرح عبد الله وسهيلا إلى الرها فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية، وهكذا فتحت الجزيرة كلها على سعتها صلحًا، فكانت أسهل البلدان أمرًا[1].

****

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٦ – ٣٠).

المبحث الثانى
فتوحات مصر وليبيا

كانت دوافع فتح مصر عند المسلمين قوية، فهناك العقيدة التى يريدون التمكين لها فى كل مكان، ومصر تتصل بفلسطين، فمن الطبيعى بعد فتح فلسطين أن يتجه المسلمون إلى مصر، وقد قسم المسلمون الإمبراطورية البيزنطية إلى قسمين لا يصل بينهما سوى البحر وذلك باستيلائهم على الشام، وفى مصر وشمال أفريقية جيوش ومسالح رومية، ولبيزنطة أسطول قوى فى البحر، ولن يأمن المسلمون فى الشام ومصر تحت النفوذ الرومانى، ومصر غنية، وهى مصدر لتموين القسطنطينية فإذا فتحها المسلمون ضعف نفوذ بيزنطية كثيراً، وأمن المسلمون في الشام والحجاز حيث يسهل اتصال الروم بالحجاز عن طريق مصر[1]، ومن العوامل أيضاً أن (القبط) أنفسهم يعانون من اضطهاد الروم، وأن هؤلاء لا يعيشون فى مصر إلا بمثابة حاميات عسكرية، فلماذا لا تنتهز هذه الفرصة خاصة أن عدل المسلمين لابد أن يكون قد سبقهم إلى مصر[2]، أما الحامية نفسها فإن الرعب[3] لابد أن يكون قد تملكها حينما رأت ملكها هرقل يترك بلاد الشام لتصير جزءاً من الدولة الإسلامية، كل هذا كان يدركه عمرو بن العاص وخلص إلى نتيجة وهى: أن الروم فى مصر سيكونون عاجزين عن الوقوف فى وجه المسلمين بينما لو تركت مصر دون فتح فستظل مصدر تهديد لهم، وهذا ما صرح به عمرو بن العاص نفسه[4]، وبالرغم من تعدد الروايات حول أول من فكر فى فتح مصر: عمرو بن العاص أم الخليفة نفسه دون تدخل من عمرو، أم أن الخليفة وافق تحت إلحاح عمرو[5]، بالرغم من ذلك الاختلاف فإن العوامل السابقة كلها تنفى أن تكون خطة فتح مصر هى مجرد خاطرة من عمرو وأن الخليفة غير راضٍ عن ذلك، أو أنهم لم يكن لديهم التصور الكامل عن مصر وأرضها وحجم قوة أعدائهم فيها. وقد جاءت الروايات

---

(١) عصر الخلافة الراشدة للعمرى ص (٣٤٨).

(٢) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٣٥٧).

(٣) فتوح الشام للأزدى ص (١١٨).

(٤) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٣٥٧).

(٥) النجوم الزاهرة (١/ ٤ – ٧).

التاريخية تؤيد ما ذهبت إليه فقد بين ابن عبد الحكم: أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بعد فتح الشام أن أندب الناس إلى المسير معك إلى مصر، فمن خف معك فسر به[١]، وجاء فى الطبرى: .. أقام عمر بإيلياء بعدما صالح أهلها ودخلها أيامًا، فأمضى عمرو بن العاص إلى مصر، وأمره عليها، إن فتح الله عليه، وبعث فى إثره الزبير ابن العوام مددًا له، ويؤكد هذا تلك الإمدادات التى أرسلها عمر إلى مصر ووصل عددها إلى اثنى عشر ألفًا، وكذلك أمره بفتح الإسكندرية دون خلاف فى ذلك[٢]، فهل من الممكن أن يتوغل عمرو فى مصر دون رضا من الخلافة؟ ونحت نعرف المسلمين قادة وجنودًا كانوا غاية فى السمع والطاعة والالتزام، ومن ثم نكرر أن فتح مصر لم يكن إلا استجابة لخطة مرسومة سلفًا عند الخليفة وقواده، ولم تكن استجابة لرغبة عابرة[٣].

أولاً: مسير الفتح الإسلامى لمصر:

يعتبر فتح مصر المرحلة الثالثة من الفتوحات بالنسبة لمحور الدولة البيزنطية، ولقد كانت مسيرة عمرو من فلسطين إلى مصر محاذيًا البحر فسار من رفح إلى العريش إلى الفرما، واستمر فتحه للقاهرة فالإسكندرية، وهذا يدلنا على موهبة عمرو العسكرية حيث سار فى هذا الخط ربما لأنه لم يكن للروم ثقل عسكرى فى هذا الخط كما كان فى بلاد الشام، وربما لأن الدرب كان معروفًا لعمرو بن العاص، فكان تسلسل الفتح كما هو مرتب فيما يلى مع بيان أوجه الاختلاف والاضطراب حيث لم يخل سير الفتح من اختلاف كما حدث فى فتح بلاد الشام[٤].

١ - فتح الفرما:

تقدم عمر غربًا ولم يلاق جيشًا رومانيًا إلا فى (الفرما) أما قبل ذلك فقد قابله المصريون بالترحاب والتهليل، فكان أول موضع قوتل فيه كان فى (الفرما) فقد تحصن الروم فى المدينة لمواجهة المسلمين، واثقين من قدراتهم على الذود عنها، ورد المسلمين بعد أن علموا أن المسلمين الذين جاءوا مع عمرو قلة فى العدد والعدة وليس معهم عدة للحصار، عرف عمرو عدد الروم، واستعداداتهم وأنهم يزيدون على جنده أضعافًا،

---

(١) فتوح مصر ص (٥٧).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/٨٤ - ٩٣).

(٣) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٣٥٧، ٣٥٨).

(٤) عمرو بن العاص القائد والسياسى، د. عبد الرحيم محمد ص (٧٩).

فكانت خطته فى الاستيلاء على الفرما هى المهاجمة وفتح الأبواب أو الصبر عليها إلى أن يضطر الجوع أهلها فينزلوا إليها، واشتد حصار المسلمين للمدينة واشتد عناد الروم ودام الحصار شهوراً، وكانت بعض القوات الرومانية تنزل إلى المسلمين بين الحين والآخر لقتالهم فيجهز عليهم المسلمون، وكان عمرو يشد أزر المسلمين بكلماته القوية، فمن قوله لهم: يا أهل الإسلام والإيمان، يا حملة القرآن، يا أصحاب محمد ﷺ اصبروا صبر الرجال واثبتوا باقدامكم، ولا تزايلوا صفوفكم، واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله ولا تحدثوا حدثًا حتى آمركم[1]، وذات يوم خرجت فرقة من الرومان من القرية إلى المسلمين ليقاتلوهم، وكانت الغلبة للمسلمين والدائرة على الروم فلاذوا بالفرار إلى القرية، وتبعهم المسلمون، وكانوا أسرع منهم، فملكوا الباب قبل أن يقتحمه الرومان، وكان أول من اقتحم المدينة من المسلمين هو (أسميقع) فكان الفتح المبين، ومما هو جدير بالذكر أن أقباط مصر الذين كانوا بالقرى عاونوا المسلمين ودلوهم على مناطق الضعف وتلقوا المسلمين فى (أتميدة) بالترحاب، وبعد تمام احتلال الفرما قام المسلمون بهدم أسوارها وحصونها حتى لا يستفيد منها الروم لو رجعوا إليها لا قدر الله، ثم خطب عمرو فى الجيش قائلاً: أيها الناس، حمداً لله الذى جعل لجيش المسلمين الغلبة والظفر، والله عظيم حمى بالإسلام ظهورنا، وتكفل به طريق رجوعنا، ولكن إياكم أن تظنوا أن كل ما نرغب فيه قد تحقق، وأن تخدعوا بهذا النصر، فلا يزال الطريق أمامنا وعرا شاقًا والمهمة التى وكلها لنا أمير المؤمنين بعيدة المنال، وعليكم بالصبر والطاعة لرؤسائكم، فسيعلم القوم هنا أننا جنود السلام، لا نبغى فساداً فى الأرض بل نصلحها وكونوا خير قدوة للرسول ﷺ[2].

اطمأن عمرو إلى أن المدينة لم تعد صالحة لحماية جيش يأوى إليها، وتفقد جيشه وما فقده فى المعركة، وتألم لفقد رجال كانوا حريصين على فتح مصر فعاجلتهم المنية، وخشى أن استمرت المعارك على هذا النحو مع وقوع الخسائر فى الجيش القليل العدد ألا يستطيع مواصلة الزحف، ولا يتمكن من بلوغ الغاية ولكن الله تعالى قد عوضه عمن فقده فانضم إلى جيشه كثير من رجال القبائل العربية من راشدة ولخم وكانوا يقيمون

---

(١) فتوح مصر، صبحى ندا ص (١٩، ٢٠).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٠).

بجبل الحلال[١]، ومضى عمرو بجيشه لا يلقى شيئًا من المقاومة متجهًا غربًا حتى وصل القواصر (القصاصين) ومن هناك اتجه نحو الجنوب حتى أصبح فى وادى الطمبلان بالقرب من التل الكبير ثم اتجه إلى الجنوب حتى نزل بلبيس. قال صاحب النجوم الزاهرة: فتقدم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس[٢].

٢ - فتح بلبيس:

وعند بلبيس برز الروم فى قوة كبيرة قاصدين صدّ عمرو عن التوجه نحو حصن نابليون وأرادوا منازلة المسلمين، فقال لهم عمرو رضى الله عنه: لا تعجلونا حتى نعذر إليكم وليبرز إلىّ أبو مريم وأبو مريام، وعندئذ كفوا عن القتال، وخرج إليه الرجلان، فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية، وأخبرهما بوصية النبى ﷺ بأهل مصر، بسبب هاجر أم إسماعيل: روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط[٣]، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمّة ورحمًا؛ أو قال: ذمة وصهرًا**[٤]، فقالا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، أمنا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: مثلى لا يُخدع، ولكننى أؤجلكما ثلاثًا لتنظرا فقالا: زدنا، فزادهما يومًا، فرجعا إلى المقوقس عظيم القبط[٥]، وأرطبون الوالى من قِبَل الروم، فأخبراهما خبر المسلمين، فأما أرطبون فأبى وعزم على الحرب، وبيّت المسلمين، فهزموه هو وجنده إلى الإسكندرية[٦]، ومما هو جدير بالذكر، ما يدل على شهامة المسلمين ومروءتهم أنه لما فتح الله على المسلمين (بلبيس) وجدوا فيها ابنة المقوقس واسمها (أرمانوسة) وكانت مقربة من أبيها، وكانت فى زيارة لمدينة بلبيس مع خادمتها (بربارة) هربًا من زواجها من قسطنطين بن هرقل (وهو فيما بعد والد قنسطتز) صاحب موقعة ذات الصوارى وكانت غير راغبة فى الزواج منه، ولما تمكنت مجموعة من الجيش الإسلامى من أسر أرمانوسة جمع عمرو بن العاص الصحابة وذكرهم بقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]. ثم قال: لقد أرسل المقوقس هدية إلى نبينا، وأرى أن نبعث إليه بابنته

---

(١) جولة فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢١٤).

(٢) النجوم الزاهرة (١/٧، ٨).

(٣) القيراط: معيار فى الوزن وفى القياس، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة.

(٤) مسلم، ك فضائل الصحابة رقم (٢٥٤٣).

(٥) البداية والنهاية (٧/١٠٠).

(٦) فتح مصر ص (٢٤).

وجميع من أسرناهم من جواريها وأتباعها، وما أخذنا من أموالهم، فاستصوبوا رأيه[1]، فأرسلها عمرو إلى أبيها معززة مكرمة ومعها كل مجوهراتها وجواريها ومماليكها، وقالت لها خادمتها (بربارة) أثناء سفرهما: يا مولاتى إن العرب يحيطون بنا من كل جانب فقالت أرمانوسة: إنى آمن على نفسى وعرضى فى خيمة العربى، ولا آمن على نفسى فى قصر أبى[2]، ولما وصلت إلى أبيها سر بها وبتصرف المسلمين معها[3].

٣ - معركة أم دنين:

ذكر ابن عبد الحكم فى روايته: أن عمرا مضى بجيشه حتى فتح «بلبيس» بعد قتال دام نحوا من شهر، ثم مضى حتى أتى «أم دنين» وتسمى المقسس وهى واقعة على النيل، فقاتل المسلمون حولها قتالاً شديداً، وأرسل عمرو إلى أمير المؤمنين يستمده فأمده أمير المؤمنين بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل يقوم مقام الألف، وهم الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقيل الرابع خارجة بن حذافة، وقال عمر فى كتابه له: أعلم أن معك اثنى عشر ألفًا، ولن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة[4]، وقد خرج الروم مع الأقباط لمواجهة المسلمين، وجرت بينهم معركة حامية استعمل فيها عمرو بن العاص دهاءه الحربى كما صنع خالد بن الوليد فى حروب العراق، وذلك أنه جعل جيشه ثلاثة أقسام، حيث أقام كمينًا للأعداء فى الجبل الأحمر، وأقام كمينًا آخر على النيل قريبًا من أم دنين، وقابل أعداءه ببقية الجيش، ولما نشب القتال بين الفريقين خرج الكمين الذى فى الجبل الأحمر وانقض على الروم فاختل نظامهم وانهزموا إلى أم دنين، فقابلهم الكمين الذى بقربها فأصبحوا بين جيوش المسلمين الثلاثة وانهزموا وتفرق جيشهم ولجأ بعضهم إلى حصن بابليون الحصين[5]، وهكذا كسب المسلمون هذه المعركة ووقاهم الله شر أعدائهم بفضله تعالى وذلك بتوفيق قائدهم المحنك إلى هذه الخطة المحكمة التى شتت بها قوات الأعداء[6].

---

(١) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام ص (٤٣١).

(٢، ٣) فتح مصر، صبحى ندا ص (٢٤).

(٤) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢١٨).

(٥، ٦) المصدر نفسه ص (٢١٩).

٤ - معركة حصن بابليون:

تقدم عمرو وجيشه إلى حصن بابليون وحاصروه حصاراً محكمًا ودام الحصار سبعة أشهر، وأرسل المقوقس خلال ذلك رسله إلى عمرو بن العاص للمصالحة فاستجاب عمرو ابن العاص على الشروط: الإسلام أو الجزية أو الحرب، فاختار المقوقس الجزية، وكتب المقوقس إلى هرقل يستأذنه فى ذلك، فلم يقبل منه بل حنق عليه ولامه لومًا شديداً واستدعاه إلى القسطنطينية ثم نفاه، ولما أبطأ فتح حصن بابليون قال الزبير بن العوام: إنى أهب نفسى لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين[١]، وراح عمرو بن العاص يحاصر حصن بابليون ثم تسوروا الحصن فى الليل واشتبكوا مع الجنود فى قتال عنيف، وكان أول من تسور الحصن الزبير بن العوام فوضع سلمًا من ناحية سوق الحمام ثم صعد وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره أن يقتحموا الحصن، فما شعروا إلا والزبير بن العوام على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فكبر تكبيرة فأجابه المسلمون من خارج الحصن، ولم يشك أهل الحصن أن المسلمين قد اقتحموا جميعًا الحصن فهربوا، فعمد حوارى رسول الله بأصحابه إلى باب حصن بابليون ففتحوه، واقتحم المسلمون الحصن وفتحوه عنوة، ولكن عمرو بن العاص أمضى الصلح على أن يخرج جند الروم ما يلزمهم من القوت لبضعة أيام، أما حصن بابليون وما فيه من الذخائر وآلات الحرب فتبقى غنيمة للمسلمين ثم خرب أبو عبد الله أبراج الحصن وأسواره[٢].

ثانيًا: فتح الإسكندرية:

رابط عمرو بن العاص ورجاله عدة أشهر فى حصن بابليون ليستجم الجنود ويصله الإذن من أمير المؤمنين عمر بالسير لفتح الإسكندرية، فلما تحقق ذلك ترك عمرو فى الحصن مسلحة قوية من المسلمين، وفصل بجنوده من بابليون فى مايو سنة ٦٤١م، الموافق جمادى الآخرة سنة ٢١هـ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط الذين اطمأنوا إلى أن مصلحتهم باتت فى مساندة القوة الإسلامية المظفرة، وقد أصلحوا لهم الطرق، وأقاموا لهم الجسور والأسواق، وصار لهم القبط أعوانًا على ما أرادوا من قتال الروم[٣]، وقد آثر عمرو السير على الضفة اليسرى للنيل حيث محافظة البحيرة لتتيح له الصحراء

(١، ٢) الفتوحات الإسلامية د. عبد العزيز الشناوى ص (٩١).

(٣) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٢٤).

مجالاً واسعًا لحركة خيله وجنوده، وكى يتجنب ما كان سيعترضه من الترع الكثيرة لو سار فى دلتا النيل، ولم يلق عمرو إلا قتالاً يسيراً عند مرفوط أو (الطرانة) كما يسميها المؤرخون العرب[1]، ثم عبر النهر إلى الضفة الشرقية حيث تقع مدينة نقيوس الحصينة[2]، وكانت ذات حصن منيع فتخوف عمرو أن يتركها على جانبه ويسير عنها، ولكن الروم بدل أن يتحصنوا من المسلمين فى حصنهم ركبوا سفنهم ليحاربوا المسلمين فيها ويمنعوهم من الاقتراب من مدينتهم، فرماهم المسلمون بالنبال والسهام وطاردوهم فى المياه، فولوا الأدبار فى سفنهم نحو الإسكندرية، وسرعان ما استسلم من بقى فى الحصن ودخله المسلمون ظافرين، وأمضوا عدة أيام يستبرئون ما حوله من أعدائهم[3]، وأرسل عمرو قائده شريك بن سمى ليتعقب الروم الفارين، فالتقى بهم وليس معه إلا قوة معدودة، فطمع فيه الروم وأحاطوا به، فاعتصم بهم فى نهد من الأرض عرف فيما بعد بكوم شريك، فأرسل إلى عمرو يطلب الأمداد، وما إن علم الروم أن المدد فى الطريق إلى المسلمين حتى لاذوا بالفرار[4]، وعند سلطيس على ستة أميال جنوبى دمنهور كان اللقاء التالى بين عمرو والروم، وجرى قتال شديد انهزموا فيه وولوا الأدبار[5]، ومما يؤسف له أن هذه المعارك التى خاضها المسلمون بقواتهم المحدودة ضد قوات تفوقهم عدة أضعاف من الروم عدداً وعدة، والتى استمر بعضها عدة أيام لم تظفر من مؤرخى المسلمين سوى بأسطر قليلة أو كلمات معدودة، فى حين أفرد بعضهم عشرات الصفحات للحديث عن القادسية أو اليرموك أو نهاوند[6].

ومن هذه المعارك الكبرى التى لا تشفى فيها مصادرنا العربية غليلا معركة كريون وهى آخر تلك السلسلة من الحصون التى تمتد بين بابليون والإسكندرية، وقد تحصن بها تيودرو قائد الجيش الرومى ودار قتال شديد استمر بضعة عشر يومًا، ورغم ذلك فلم يظفر من ابن عبد الحكم سوى بهذه الكلمات: ثم التقوا بكريون، فاقتتلوا بها بضعة عشر يومًا، وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو، وصلى (عمرو) يومئذ صلاة الخوف، ثم فتح الله للمسلمين، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية، وفى أثناء ذلك أورد قصة عن بطولة عبد الله ابن عمرو ووردان مولى أبيه[7]، وقد كانت الإسكندرية عند فتح

(١، ٢) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٢٤).

(٣، ٤، ٥، ٦) المصدر نفسه ص (٢٢٥).

(٧) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، حمدى شاهين ص (٢٢٦).

المسلمين لها عاصمة البلاد وثانية حواضر الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية، وأول مدينة تجارية فى العالم، وكان البيزنطيون يدركون خطورة استيلاء المسلمين عليها ويحملون هم ذلك، حتى قال هرقل: لئن ظهر العرب على الإسكندرية فإن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم(١)، وقد زعم الرواة أنه تجهز ليخرج إلى الإسكندرية بنفسه ليباشر قتال المسلمين بها، فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته، وكفى الله المسلمين مؤنته(٢)، واضطربت أمور الدولة البيزنطية بعد موت هرقل إذ تولى الحكم ابناه قسطنطين وهرقل الثانى (هرقليانوس) وشاركتهما الإمبراطورة مارتينة أم هرقليانوس، لكن قسطنطين سرعان ما وافته منيته بعد مائة يوم من وفاة أبيه مما جعل أصابع الاتهام تتجه إلى الإمبراطورة التى كانت ترغب فى أن ينفرد ولدها بالحكم، فاشتعلت الثورة ضدها، واستمرت الفتن ضاربة فى البلاد عدة أشهر، حتى تولى كونستانس بن قسطنطين الحكم شريكا لعمه هرقليانوس(٣).

وكانت الإسكندرية فضلاً عن متانة أسوارها وضخامة ووفرة حماتها تمتاز بموقعها الدفاعى المميز - فكان البحر يحميها من شمالها؛ حيث السيطرة آنذاك للروم، وكانت بحيرة مريوط تحميها من جنوبها، وكان اجتيازها عسيراً، بل غير مستطاع، وكانت إحدى تفريعات النيل قديما واسمها نزعة الثعبان تدور حولها من الغرب، وبذلك لم يبق إلا طريق واحد من الشرق يصل إليها؛ وهو الطريق الواصل بينها وبين كريون(٤).

وطال الحصار عدة أشهر مما أثار مخاوف عمرو من ملل جنوده أو شعورهم بالعجز أمام عدوهم، فقرر أن يبث كتائبه تجوس خلال بلاد الدلتا وقرى الصعيد، غير أن طول حصار الإسكندرية آثار حفيظة الخليفة عمر، وأثار فى نفسه الهواجس والظنون حول استعداد جنوده للتضحية والمبادأة، ورأى أن ذلك ما كان إلا لما أحدثوا(٥)، وشرح ذلك فى رسالة إلى عمرو بن العاص يقول فيها: «أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين، ذلك إلا لما أحدثتم، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك

---

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، حمدى شاهين ص (٢٢٦).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٢٦) نقلاً عن ابن عبد الحكم.

(٣) المصدر نفسه ص (٢٢٧).

(٤) المصدر نفسه ص (٢٢٥).

(٥) المصدر نفسه ص (٢٢٧).

أربعة نفر، (يعنى الزبير وصحبه)، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف، إلا أن يكون غيَّرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم فى الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة فى صدور الناس، ومر الناس جميعًا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة، وليعج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم.

فلما أتى عمرو الكتاب جمع الناس وقرأه عليهم، ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله ويسألوه النصر، ففعلوا ففتح الله عليهم[(١)]، ويروى أن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد الأنصارى فقال: أشر علىَّ فى قتال هؤلاء، فقال مسلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب النبى ﷺ فتعقد له على الناس، فيكون هو الذى يباشر القتال ويكفيه، فقال عمرو: ومن ذلك؟ قال: عبادة بن الصامت، فدعاه عمرو إليه، فلما دنا منه أراد النزول عن جواده؛ فقال له عمرو: عزمت عليك إن نزلت، ناولنى سنان رمحك، فناوله إياه فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم، ففتح الله على يديه الإسكندرية فى يومهم ذاك[(٢)]، وقد جاء فى رواية: إنى فكرت فى هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله يريد الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت فعقد له ففتح الله على يديه[(٣)]. ويروى ابن عبد الحكم أن حصار الإسكندرية استمر تسعة أشهر وأنها فتحت فى مستهل المحرم سنة عشرين للهجرة[(٤)]، وهى ما يوافق ٢١ ديسمبر سنة ٦٤٠م، بينما انتهى بتلر فى دراسته عن فتح مصر إلى أن حصار المدينة قد بدأ فى أواخر يونيو سنة ٦٤٠م وأنها استسلمت فى ٨ نوفمبر سنة ٦٤١م وهو ما يوافق ٧ ذى الحجة سنة ٢١هـ، وقد يرجح هذا القول ما ورد فى رسالة عمر الفاروق إلى عمرو بن العاص: إنكم تقاتلونهم منذ سنتين، فما بين وصول عمرو العريش فى ديسمبر سنة ٦٣٩م وتسليم الإسكندرية فى نوفمبر ٦٤١م ما يعادل سنتين هلاليتين، واستبقى عمرو أهل الإسكندرية فلم يقتل ولم يسب وجعلهم أهل ذمة كأهل بابليون... ثم ترك فى الإسكندرية حامية من قواته بعد أن اطمأن إليها ونشر بقية كتائبه لتفتح بقية حصون

---

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٢٨) نقلاً عن ابن عبد الحكم.

(٢) المصدر نفسه ص (٢٢٨).

(٣) الأنصار فى العصر الراشدى ص (٢١٢).

(٤) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٢٩).

الروم وجيوبهم فى مصر، فاستكمل فتح ساحل البحر المتوسط ومدنه الكبرى مثل رشيد ودمياط وغيرها: وكذلك بسط سيطرته على كل دلتا مصر وصعيدها[1].

ثالثًا: فتح برقة وطرابلس:

وسار عمرو بعد أن استقر له فتح مصر ليؤمن فتوحه من ناحية الغرب إذ كانت للروم قوات فى برقة وطرابلس تتحصن هناك، وربما لو واتتها الفرصة ساقها الإغراء إلى مهاجمة المسلمين بمصر، فاتجه فى قواته إلى برقة سنة ٢٢هـ وكان الطريق بينها وبين الإسكندرية آنذاك مترعًا بالخضرة والعمران، فلم يلق كيداً فى طريقه إليها، فلما وصلها صالحه أهلها على أداء الجزية، وكان أهل برقة بعد فتحها يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث فكانوا أخصب قوم بالمغرب ولم يدخلها فتنة، ثم سار عمرو إثر ذلك إلى طرابلس ذات الحصون المنيعة، وبها جيش رومى كبير، فأغلقت أبوابها وصبرت على الحصار الذى استمر شهراً لا يقدر المسلمون منها على شىء، وكان البحر من ورائها لاصقًا ببيوت المدينة، ولم يكن بين المدينة والبحر سور، فاستبانت جماعة من قوات المسلمين الأمر، فتسللت إلى المدينة من جهة البحر، وكبروا؛ فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، إذ هاجمهم عمرو فى قواته أيضًا فلم يفلت منهم إلا ما خفت بهم مراكبهم، وغنم المسلمون ما بالمدينة، وبث عمرو قواته فيما حولها وأراد عمرو أن يستكمل فتوحه فى الغرب ويسير إلى تونس وأراضى إفريقية ليفتحها، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب، غير أن الخليفة كان يخشى على جيوش المسلمين من الانسياح فى جبهة جديدة ولم يطمئن بعد إلى ما فتحت فى زحفها السريع من الشام إلى طرابلس، فأمر القوات الإسلامية بالتوقف عند طرابلس، وبذلك امتدت دولة الإسلام فى عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتشمل مساحة شاسعة من الأرض يحدها من الشرق نهر جيحون والسند، ومن الغرب بلاد إفريقية وصحراؤها، ومن الشمال جبال آسيا الصغرى وأراضى أرمينية، ومن الجنوب المحيط الهادى وبلاد النوبة فى دولة عالمية واحدة متعددة الأجناس والديانات والنحل والعادات، عاش أهلها فى عدل الإسلام ورحمته، ذلك الدين الذى احتفظ لهم بحقهم فى الحياة الكريمة وإن اختلفوا معه فى عقائدهم؛ ومع أهله فى عاداتهم وأعرافهم[2].

---

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٢٩).

(٢) المصدر السابق ص (٢٣١).

المبحث الثالث

أهم الدروس والعبر والفوائد فى فتح مصر

أولاً: سفارة عبادة بن الصامت الأنصارى إلى المقوقس:

حاصر عمرو بن العاص حصن بابليون فأرسل المقوقس إلى عمرو الرسالة التالية: إنكم قد ولجتم فى بلادنا، وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم فى أرضنا، وإنما أنتم عصبة يسيرة، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم، ومعهم من العدة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا، فأرسلوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام، ولا يقدر عليه. ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفًا لمطلبكم ورجائكم، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم، نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء. فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين، حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم، ويستحلون ذلك فى دينهم! وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين. فرد عليهم عمرو مع رسلهم: إنه ليس بينى وبينك إلا إحدى خصال ثلاث: إما إن دخلتم فى الإسلام، فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين(١).

فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال: كيف رأيتموهم قالوا: رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم علي التراب وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشعون فى صلاتهم. فقال عند ذلك المقوقس: والذى يحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم، وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد

---

(١) عبادة بن الصامت صحابى كبير وفاتح مجاهد ص(٩١).

اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقووا على الخروج من موضعهم فرد إليهم المقوقس رسله، وقال: ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم، ونتداعي نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم. فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر، وأحدهم عبادة بن الصامت، وكان طوله عشرة أشبار، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم، وألا يجيبهم إلى شيء دعوه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال(١)؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدم فى ذلك إلىَّ، وأمرنى ألا أقبل شيئًا سوي خصلة من هذه الثلاث الخصال. وكان عبادة بن الصامت أسود، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس، ودخلوا عليه، تقدم عبادة، فهابه المقوقس لسواده، فقال: نحوا عنى هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمنى. فقالوا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما، وهو سيدنا وخيرنا، والمقدم علينا وإنا نرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله. فقال المقوقس للوفد: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغى أن يكون دونكم؟ قالوا: كلاً، إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأيا، وليس ينكر السواد فينا.

فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود وكلمنى برفق فإنى أهاب سوادك، وإن اشتد على كلامك، ازددت هيبة، فتقدم إليه عبادة فقال: قد سمعت مقالتك، وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم مثلى، وأشد سواداً منى وأفظع منظراً، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى، وأنا قد وليت وأدبر شبابى، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعًا، وكذلك أصحابى، وذلك إنما رغبتنا، وبغيتنا الجهاد فى سبيل الله تعالى، واتباع رضوان الله، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة الدنيا، ولا طلبا للاستكثار منها؛ إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا، وما يبالى أحدنا أكان له قنطار من ذهب، أم كان لا يملك إلا درهما، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها، يسد بها جوعته، وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى، واقتصر على هذا الذى بيده؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا، وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جوعته ويستر عورته، وتكون همته وشغله فى رضا ربه وجهاد عدوه.

---

(١) وهى التى تقدمت: وهى الإسلام أو الجزية أو القتال.

فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط، لقد هبت منظره؛ وإن قوله لأهيب عندى من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل المقوقس على عبادة فقال: أيها الرجل، قد سمعت مقالتك، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمرى ما بلغتكم إلا بما ذكرت ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا، وأنتم فى ضيق وشدة فى معاشكم وحالكم، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار، ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به.

فقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه: يا هذا؛ لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوى عليهم، فلعمرى ما هذا الذى تخوفنا به، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، وإن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه وجنته، وما من شىء أقر لأعيننا، ولا أحب إلينا من ذلك وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين؛ إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا، وإن الله تعالى قال لنا فى كتابه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].. وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساء أن يرزقه الشهادة وألا يرد إلى بلده، ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا هم فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أمامنا. وأما قولك: إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن فى أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه، فانظر الذى تريد، فبينه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم، ولا نجيبكم إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت، ولا تطمع نفسك فى الباطل، بذلك أمرنى الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين؛ وهو عهد رسول الله ﷺ

من قبل إلينا؛ إما إن أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك، فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم. وإن أبيتم إلا الجزية، فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض كلم شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم، إذا كنتم فى ذمتنا، وكان لكم به عهد الله علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم، هذا ديننا الذى ندين لله تعالى به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقس: هذا مما لا يكون أبدا، ما تريدون إلا تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا. فقال له عبادة: هو ذاك، فاختر ما شئت. فقال المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاثة؟ فرفع عبادة يديه، وقال: لا، ورب السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم. فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه، وقال: قد فرغ القول مما ترون؟ فقالوا: أو يرضى أحد بهذا الذل؟ أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم؛ فهذا لا يكون أبدا، ولا نترك دين المسيح ابن مريم، وندخل فى دين لا نعرفه، وأما ما أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا عبيداً أبداً، فالموت أيسر من ذلك؛ لو رضوا منا أن تضعف لهم ما أعطيناهم مراراً، كان أهون علينا. فقال المقوقس لعبادة: قد أبى القوم، فما ترى؟ فارجع إلى صاحبكم علي أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون، فقام عبادة وأصحابه. فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك: أطيعونى، وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث، فوالله ما لكم بهم طاقة، وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منها كارهين. فقالوا: أى خصلة نجيبهم إليها؟ قال: إذاً أخبركم.. أما دخولكم فى غير دينكم، فلا آمركم به؛ وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم، ولن تصبروا صبرهم، ولابد من الثالثة. قالوا: فنكون لهم عبيداً أبدا؟ قال: نعم تكونوا عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم، وتكونوا عبيدا، وتباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين

أبدا، أنتم وأهلوكم وذراريكم. قالوا: فالموت أهون علينا، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة، وبالقصر من جمع القبط والروم كثير(١).

ومن الحوار الذى دار بين عبادة والمقوقس، ظهرت نباهة عبادة وإدراكه لمرامى خصمه فلم يتأثر بتلك الأساليب التي استخدمها للتأثير فى نتائج المحادثات تلك، كما ظهر عبادة واضحًا فى تصوراته وأهدافه، ولم ينس فى خضم ذلك أن يدعو إلى الإسلام ويرغب فيه، ويظهر انفتاح المسلمين على غيرهم من الأمم والأديان مما ترك أثرًا طيبًا فى نفس المقوقس الذى اختار الصلح مع المسلمين(٢).

ثانيًا: من فنون القتال فى فتوح مصر:

مارس عمرو بن العاص رضى الله عنه فى فتح مصر فنونًا عدة فى القتال منها:

١- الحرب النفسية:

عندما أمر المقوقس النساء أن يقمن على سور بابليون مقبلات بوجوههن إلى داخله، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبوهم بذلك، فأرسل إليه عمرو:.. إنا قد رأينا ما صنعت، وما بالكثرة غلبنا من علينا، فقد لقينا ملككم فكان من أمره ما كان، فقال المقوقس لأصحابه: صدق هؤلاء القوم، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطينطينية، فنحن أولى بالإذعان(٣)، فقد كان عمرو من القادة الذين يستخدمون الحرب النفسية لإرهاب عدوه وإحباط روح القتال لديه، وكان يعتمد فى الحرب على الله ثم على العقل والسيف لتحقيق هدف واحد هو تحقيق النصر الحاسم فى نهاية المعركة(٤).

٢- أسلوب المباغتة بالكمائن:

مارس عمرو أسلوب المباغتة بالكمائن فى وقعة عين شمس، فقد أعد هذه الكمائن إعدادًا محكمًا مما يسر له سبل النجاح الكامل، فهو قد أرسلها لاتخاذ مواقع معينة من الليل، فأحسن اختيار تلك المواقع، وعين ساعة انطلاق كل منها فى وقت يكون العدو منشغلاً بمجابهته، فباغتته تلك الكمائن فى ميمنته وميسرته، فأحسن بذلك اختيار

---

(١) النجوم الزاهرة، ملوك مصر والقاهرة (١/ ١٠ – ١٦).

(٢) الأنصار فى العصر الراشدى ص(٢١١).

(٣، ٤) الحرب النفسية، الدكتور أحمد نوفل ص(١٧٤).

التوقيت، وساعة الصفر ونقاط الصدام مع العدو. وهكذا تعتبر عملية عمرو (المباغتة بالكمائن) فى هذه الوقعة من أكثر عمليات المباغتة نجاحًا وإتقانًا(١).

٣- أسلوب المباغتة فى أثناء الحصار:

وأتقن عمرو كذلك أسلوب المباغتة فى أثناء حصار حصن بابليون. فبينما كان الروم المحاصرون فى هذا الحصن مطمئنين إلى أن المسلمين لن يستطيعوا النيل منهم، بفضل مناعة حصونهم وأسوارهم وما لديهم من ذخائر ومؤن ومعدات حربية، وبسبب ما وضعوه من عوائق من الحسك الشائك على أبواب الحصن، وفى الخندق الذى جفت مياهه بعد هبوط مياه النيل إذا بهم يفاجأون فى ليلة مظلمة بالزبير بن العوام ومجموعة من رجاله المقاتلين، يعتلون السور مكبرين، ويباغتونهم فيعملون السيف فيهم، ويهزم من فى الحصن من المدافعين فيطلبون الصلح والأمان، ويدخل المسلمون الحصن فاتحين(٢).

٤- أسلوب النفس الطويل فى الحصار:

اعتمد عمرو فى حصار «كريون» و«الإسكندرية» النفس الطويل؛ فهو عندما أيقن صعوبة الانتصار على الروم المتمركزين فى مواقع منيعة ومحصنة فى كريون، بدأ بمناوشتهم محاولاً، لمرة واحدة فقط، شن هجوم على الحصن، إلا أنه فشل، فاستمر فى المناوشة تاركًا للزمن، والإرهاق، ونفاد الذخيرة، والمؤونة وصبر الرجال أن يفعل فعله، وهكذا كان، وما أن استمر حصار كريون بضعة عشر يومًا حتي أيقن الروم عزم المسلمين على الاستمرار فى هذا الحصار فلم يجدوا بدا من الاستسلام وتسليم الحصن للمهاجمين، وحدث الشيء نفسه فى حصار الإسكندرية، إلا أن هذا الأخير استمر مدة أطول (ثلاثة أشهر) وذلك لأن الروم كانوا يدركون إدراكًا تامًا أن هذه هى الفرصة الأخيرة لجيشهم بل ولهم جميعًا، فإن سقطوا فى الإسكندرية سقطوا فى مصر وفى إفريقيا بأسرها. وهذا ما حصل تمامًا(٣).

ثالثًا: بشارة الفتح إلى أمير المؤمنين:

بعث عمرو بن العاص معاوية بن حديج وافدا إلى عمر بن الخطاب بشيرا بالفتح فقال له معاوية: ألا تكتب معى؟ فقال له عمرو: وما أصنع بالكتاب، ألست رجلاً عربيًا تبلغ

(١-٣) الفن العسكرى الإسلامى ص(٣٢٠).

الرسالة، وما رأيت حضرت[1]، فلما قدم على (عمر) أخبره بفتح الإسكندرية فخر عمر ساجدا وقال: الحمد لله. ونترك معاوية بن حديج يحدثنا عن قصته فى إبلاغ أمير المؤمنين ببشارة الفتح: لما بعثنى عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب وصلت المسجد فبينما أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل (عمر بن الخطاب)، فرأتنى شاحبًا على ثياب السفر، فأتتنى، فقالت: من أنت؟ قال: فقلت: أنا معاوية بن حديج، رسول عمرو ابن العاص، فانصرفت عنى ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف إزارها على ساقها أو على ساقيها حتى دنت منى فقالت: قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك، فتتبعتها فلما دخلت فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه، ويشد إزاره بالأخرى، فقال: ما عندك؟ فقلت: خيرًا يا أمير المؤمنين، فتح الله الإسكندرية، فخرج معى إلى المسجد فقال للمؤذن: أذن فى الناس (الصلاة جامعة)، فاجتمع الناس، ثم قال لى: قم فأخبر أصحابك فقمت فأخبرتهم، ثم صلى ودخل منزله، واستقبل القبلة، فدعا بدعوات، ثم جلس فقال: يا جارية هل من طعام؟ فأتت بخبز وزيت فقال: كل فأكلت على حياء ثم قال: كله فإن المسافر يحب الطعام، فلو كنت آكلا لأكلت معك فأصبت على حياء، ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت لعل أمير المؤمنين قائل - نوم القيلولة - قال: بئس ما قلت أو بئس ما ظننت، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية[2].

ومن هذا الخبر نستنتج أن المسجد فى عصر الإسلام الأول كان يمثل أهم وسائل الإعلام حيث يجتمع المسلمون فيه بنداء الصلاة جامعة، وهذا النداء يعنى أن هناك أمرًا مهما سيتم إبلاغه لعموم المسلمين، فإذا اجتمعوا ألقيت عليهم البيانات العسكرية والأمور السياسية والاجتماعية وغير ذلك، كما نستفيد من هذا الخبر وصفًا لحياة عمر رضى الله عنه، وهو خليفة المسلمين، حيث يقول لمعاوية بن خديج لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية، وهذا يدل على كمال اليقظة لحق النفس وحقوق الآخرين، وإذا استطاع المسلم أن يجمع بين مراعاة ذلك كله فإنه يكون من المتقين المحسنين[3].

---

(١) فتوح مصر والمغرب ص(١٠٤، ١٠٥).

(٢) فتوح مصر والمغرب ص(١٠٥)، فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية، د. إبراهيم المتناوى ص(١١٤).

(٣) التاريخ الإسلامى للحميدى (١١، ١٢/٣٤٨، ٣٤٩).

رابعًا: حرص الفاروق على الوفاء بالعهود:

ذكر ابن الأثير: إن المسلمين لما انهوا إلى بِلْهيب وقد بلغت سباياهم إلى اليمن أرسل صاحبهم إلى عمرو بن العاص: إننى كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلى منكم: فارس والروم، فإن أحببت الجزية على أن ترد ما سبيتم من أرضى فعلت.

فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه فى ذلك، ورفعوا الحرب إلى أن يرد كتاب عمر. فورد الجواب من عمر: لعمرى جزية قائمة أحب إلينا من غنيمة تقسم ثم كأنها لم تكن، وأما السبى فإن أعطاك ملكهم الجزية على أن تخيروا من فى أيديكم منهم بين الإسلام ودين قومه، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين ومن اختار دين قومه فضع عليه الجزية، وأما من تفرق فى البلدان فإنا لا نقدر على ردهم، فعرض عمرو ذلك على صاحب الإسكندرية، فأجاب إليه، فجمعوا السبى واجتمعت النصارى وخيروهم واحداً واحداً، فمن اختار المسلمين كبروا، ومن اختار النصارى نخروا وصار عليه جزية، حتى فرغوا(١).

إن هذا يعتبر شاهد صدق على ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم من العزوف عن الدنيا والإقبال على الآخرة، والرغبة الصادقة فى هداية العالمين إلى الإسلام، فإن دخول الأسرى فى الإسلام لا يفيد المسلمين شيئًا من الدنيا، وبقاؤهم على دينهم يتضمن فائدة دنيوية لهم حيث يلزمون بدفع الجزية للمسلمين، ومع ذلك نجد عمر رضى الله عنه يأمر بتخيير الأسرى بين الإسلام أو دفع الجزية، وحينما تم تطبيق ذلك كان الصحابة ومن معهم يكبرون تكبيراً أشد من تكبير الفتح حينما يختار أولئك النصارى دين الإسلام، ويجزعون جزعًا شديداً حينما يختارون البقاء علي دينهم حتى كان أولئك الأسرى من ضمن جماعة المسلمين وخرجوا عن دين الإسلام، ومما يلفت النظر فى هذا الخبر حرص الصحابة على خلق الوفاء ويتضح ذلك من قول عمر رضى الله عنه فى كتابه: وأما من تفرق فى البلدان فإنّا لا نقدر على ردهم، وجاء فى رواية: ... ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفى له به(٢)، فعمر رضى الله عنه ينظر إلى الوفاء بالعهد قبل إبرام الاتفاق مع الأعداء، حتى لا يكون المسلمون فى وضع لا يستطيعون فيه الوفاء، وهذا الخلق يعتبر مرحلة عالية من الوفاء - وهو من أخلاق النصر - لأن من يبرم اتفاقية على أمر ثم لا

---

(١) الكامل فى التاريخ (٢ /١٧٧).

(٢) التاريخ الإسلامى (١١ /٣٥١).

يستطيع الوفاء به يكون معذوراً ولكن حينما يفكر بعمل الاحتياطات اللازمة لموضوع الوفاء بالعهد حتى لا يجد نفسه بعد ذلك عاجزاً عن الوفاء، فهذا نهاية التدبير، وغاية النظر الثاقب(١).

خامسًا: عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم:

توجه عمرو بجيشه نحو الإسكندرية، وفى طريقه إليها جرت بينه وبين أهل تلك البلاد حروب كان النصر فيها حليف المسلمين، ومن المواقف التى تذكر فى ذلك أن عبد الله بن عمرو بن العاص أصيب بجراحات كثيرة فى معركته مع أهل الكريون فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال عبد الله:

أقول إذا ما جاشت النفس اصبرى، فعما قليل تحمدى أو تلامى

فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو: هو ابنى حقًا(٢)، وهذا موقف من مواقف الصبر والتحمل يذكر لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما الذى اشتهر بالعلم والعبادة، فجمع إلى ذلك الشجاعة والصبر على الشدائد(٣).

سادسًا: دار بنيت لأمير المؤمنين بمصر:

بعث عمرو بن العاص إلى الفاروق بقوله: إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع، فكتب عمر: أنّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقًا للمسلمين(٤).

وهذا دليل على كمال ورع أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، وزهده فى مظاهر الحياة الدنيا، وإذا كان الكبار والزعماء هم الذين يترفعون عن أوحال الدنيا، ومتاعها الزائل، فإن من دونهم من باب أولى أن يترفعوا عن ذلك(٥).

سابعًا: دعوى حرق المسلمين مكتبة الإسكندرية:

يقول الدكتور عبد الرحيم محمد عبد الحميد: لم نعثر على نص أو إشارة إلى أن

(١) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٣٥١).
(٢) فتوح مصر ص(٥٧).
(٣) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٣٣٠).
(٤) فتوح مصر ص(٦٩).
(٥) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٣٥٦).

عمرو بن العاص حرق مكتبة الإسكندرية، وجل ما فى الأمر أننا قرأنا نصًا لابن القفطى ينقله ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) قائلاً: اشتهر بين الإسلاميين يحيى النحوي وكان إسكندريًا، وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم تكن للعرب بها أنسة، ونرى ابن القفطى (ت٦٤٦هـ/١٢٦٧م) يكمل القصة قائلاً: فقال له عمرو: وما الذى تريده إليه قال: كتب الحكمة فى الخزائن الملوكية.. أربعة وخمسون ألفًا ومائة وعشرون كتابًا.. فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى، وقال: لا يمكننى أن آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين، وكتب إلى عمر، وعرفه قول يحيى، فورد كتاب عمر يقول: أما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها، فتقدم بإعدامها، فشرع عمرو ابن العاص فى توزيعها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقد وذكرنى عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فذكروا أنها استنفدت فى ستة أشهر فاسمع ما جرى وأعجب[١].

إلا أن قصة الحرق هذه وردت قبل ابن القفطى، وقبل ابن العبرى **فهذا عبد اللطيف البغدادى**(ت٦٤٩هـ/ ١٢٣١م) قال: وأنه دار العلم الذى بناه الإسكندر حيث بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٢]، وعند دراسة هذه الروايات نرى أنه لابد من إبداء الملاحظات التالية:

١- لا يوجد ترابط بين تلك الروايات الثلاث، ولا صلة فى النقل التاريخى تربط من ألفوها فضلاً عن أنهم عاشوا فى فترة زمنية متقاربة.

٢- لا يوجد أى إسناد يرجع إليه فى هذه الروايات وإنما هى افتراضات افترضها أصحابها.

٣- أنها وجدت فى فترة بعيدة عن زمن فتح مصر وعمرو بن العاص ويمكن القول بكل ثقة أن هذه القصة مختلقة اختلاقًا واضحًا يمكن الطعن فيها من النواحى التالية:

- لم يذكر قصة حرق مكتبة الإسكندرية من أرخ لتاريخ مصر وفتحها ممن عاش قبل من ذكروا هذه القصة بعدة قرون.

---

(١) عمرو بن العاص القائد والسياسى ص(١٣٣).

(٢) المصدر نفسه ص(١٣٤).

- لم تذكر هذه القصة عند الواقدى ولا الطبرى، ولم يتفق عليها ابن الأثير ولا ذكرها ابن خلدون، فضلاً عن ابن عبد الحكم، ولم يصفها ياقوت الحموى عند وصف الإسكندرية.

- يمكن إرجاع هذه القصة إلى فترة الحروب الصليبية، من جهة البغدادى وربما وضعها تحت ضغط معين أو ربما انتحلت عليه فيما بعد.

- إذا وجدت هذه المكتبة المزعومة، فيمكن القول: إن الروم الذى غادروا الإسكندرية كان بإمكانهم إخراجها معهم، أو ربما فعلوا ذلك.

- لقد كان بإمكان عمرو إلقاؤها فى البحر فى فترة قصيرة بدلاً من حرقها الذى استغرق ستة أشهر، مما يدل على القصد فى تزييف هذه القصة وتأليفها، ويمكن القول بلا وجل: إن عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضى الله عنهما بريئان مما نسب إليهما فى هذه القصة المصطنعة التى كانت من تخيلات أناس أحبوا التهويل فتخيلوا وجود مالم يكن موجودًا(١).

ثامنًا: لقاء عمرو بن العاص والبابا بنيامين:

يقول المؤرخ ابن عبد الحكم: كان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو بنيامين، وكان هاربًا فى الصحراء بسبب الاضطهاد المذهبى الذى تعرض له الأقباط على أيدى الرومان المسيحيين، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر، كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقى عمرو، فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما صاروا يومئذ لعمرو أعوانًا(٢)، وقد جاء فى رواية المؤرخ القبطى ساويرس بن المقنع أن سانوتيوس أحد رؤساء القبط وقتئذ، والذى كان يتولى إدارة شئون الكنيسة مدة اختفاء البطريق بنيامين، قد روى لعمرو موضوع الأب المجاهد بنيامين البطريق وأنه هارب من الروم خوفًا منهم، فكتب عمرو بن العاص إلى عمّال مصر كتابًا يقول فيه الموضع الذى فيه بنيامين بطريق النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله، فليحضر آمنًا مطمئنًا ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته، فلما سمع القديس بنيامين هذا، عاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاث عشرة سنة، فلما ظهر فرح

(١) عمرو بن العاص القائد والسياسى ص(١٣٤).

(٢) فتوح مصر وأخبارها ص(٧٣، ٧٤).

الشعب وكل المدينة بمجيئه ولما علم عمرو بوصوله أمر بإحضاره بكرامة وإعزاز ومحبة، فلما رآه أكرمه وقال لأصحابه: إن فى جميع الكور التي ملكناها إلى الآن ما رأيت رجلاً يشبه هذا، وكان الأب بنيامين حسن المنظر جداً، وجيد الكلام بسكون ووقار، ثم التفت عمرو إليه وقال له: جميع بيعتك ورجالك اضبطهم ودبِّر أحوالهم وانصرف من عنده مكرمًا مبجلاً. وعلق الأستاذ الشرقاوى على هذا اللقاء فقال: وقرَّب عمرو إليه البطريق بنيامين حتى لقد أصبح من أعز أصدقائه عليه، واطمأن العرب الفاتحون فى مصر، وخطبهم أميرهم عمرو بن العاص فى أول جمعة صلاها بجامعه بالفسطاط فقال: .. استوصوا بمن جاوركم من القبط، فإن لكم فيهم ذمة وصهراً، فكفوا أيديكم، وعفُّوا وغضوا أبصاركم(١).

****

(١) الفاروق ص٢٤٧.

المبحث الرابع

أهم الدروس والعبروالفوائد فى فتوحات الفاروق:

أولاً: طبيعة الفتح الإسلامى:

حاول بعض المؤرخين من النصارى والمستشرقين تشويه الفتح الإسلامى فى العصر الراشدى، وزعموا أن الفتوحات كانت حروبًا دينية وقالوا : إن المسلمين أصحاب عقيدة، ولكنهم توسلوا بالتعصب الأعمى، وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والإرغام، وخاضوا إلى ذلك بحار الدم والقسوة، وأنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم، والسيف باليد الأخرى[١]، وممن ركز منهم على هذه الفكرة (سيديو) و(ميور) و(نيبور) . إذ ينقل (ميور) عن نيبور قوله : وكان من الضرورى لدوام الإسلام أن يستمر فى خطته العدوانية وأن ينفذ بحد السيف ما يطالب به من دخول الناس فى الإسلام كافة، أو بسط سيطرته العالمية على الأقل، غير أنه لا مناص لأى من الأديان أن يجنح أتباعه للحرب فى إحدى مراحل حياته، وكذلك كان الحال فى الإسلام ، ولكن الزعم أن المسلمين هدفوا إلى بث الدعوة بالقوة، أو أنهم أكثر عدوانا من غيرهم، زعم يجب إنكاره إنكاراً تاما[٢]، وقد رد بعض المستشرقين على هذه التهم ووصفوا الفتح الإسلامى بالمثل العالية والأخلاق الكريمة فهذا فون كريمر يقول: وكان العرب المسلمون فى حروبهم مثال الخلق الكريم، فحرم عليهم الرسول[٣] قتل الرهبان ، والنساء، والأطفال، و المكفوفين، كما حرم عليهم تدمير المزارع ، وقطع الأشجار، وقد اتبع المسلمون فى حروبهم هذه الأوامر بدقة متناهية، فلم ينتهكوا الحرمات، ولا أفسدوا الزروع، وبينما كان الروم يرمونهم بالسهام المسمومة، فإنهم لم يبادلوا أعداءهم جرمًا بجرم، وكان نهب القرى وإشعال النار قد درجت عليها الجيوش الرومانية فى تقدمها وتراجعها، أما المسلمون فقد احتفظوا بأخلاقهم المثلى فلم يحاولوا من هذا شيئًا[٤]

---

(١) تاريخ العرب العام، سيدبو ص (١٣٣) .

(٢) فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ص (١٢٦) .

(٣) الرسول ﷺ لا يحرم من تلقاء نفسه بل بالوحى الإلهى .

(٤) الإسلام وحركة التاريخ أنور الجندى ص (٨٣) .

وقال روزنتال: وقد نمت المدينة الإسلامية بالتوسع لا بالتعمق داعية إلى العقيدة، مناقشة لتلك الحركات الفكرية الموجودة وفوق كل ذلك تقدم الإسلام فتهاوت الحواجز القديمة من اللغة والعادات، وتوفرت فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنيات لتبدأ حياة فكرية جديدة على أساس المساواة المطلقة، وبروح المنافسة الحرة(١).

إن الحقيقة التاريخية تقول بأن المسلمين لم يكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام لأنهم قد التزموا بقول الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وأما إقبال الشعوب على الإسلام فكان بسبب ما لمسوه فى الإسلام نفسه، فهو النعمة العظيمة، ولما لمسوه فى المسلمين من التخلق بأخلاق الإسلام والالتزام بأحكامه وأوامره ونواهيه، ولما لمسوه فى القادة والجند الذين كانوا يقومون بالدعوة بالتطبيق العملى، فتميزت مواقفهم بأنبل المواقف التى عرفها التاريخ العالمى، فقد كان الخلفاء والقادة يوصون جندهم بالاستعانة بالله، والتقوى، وإيثار أمر الآخرة على الدنيا، والإخلاص فى الجهاد، وإرادة الله فى العمل، والابتعاد عن الذنوب، فكانت فيهم الرغبة الأكيدة الملحة لإنقاذ الأمم والأفراد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ونقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فكان قادة المسلمين على رأس جندهم يتلقون الصدمات الأولى فى معارك الجهاد، واستشهد عدد كبير منهم، وقد كان القادة يسيرون خلف جندهم فى وقت الأمن والعودة يرفقون بهم ويحملون الكلأ ويعينون الضعيف، وكان القادة دعاة فى المقام الأول، طبقوا مبادئ الحرب الإسلامية تماماً والحق أن المسلمين كانوا يخوضون جهاداً فى سبيل الله، وليس حرباً كما كانت تفعل الدول الأخرى(٢).

ثانياً: الطريقة العمرية فى اختيار قادة الجيوش:

كانت للفاروق طريقة متميزة فى اختيار قادة الفتح، فقد وضع عدة شروط وضوابط لاختيار قادة جنده وهى كالآتى:

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلى ص(٤٦).

(٢) فتح مصر، الدكتور إبراهيم المتناوى ص (١٢٧).

١- أن يكون تقيًا ورعًا عالمًا بأحكام الشريعة:

وكان يقول ويردد: من استعمل فاجرًا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله[١]، ولما أرسل إلى سعيد بن عامر ليستعمله على بعض الشام، فأبى عليه، فقال عمر: كلا والذى نفسى بيده لا تجعلونها فى عنقى وتجلسون فى بيوتكم[٢].

٢- أن يشتهر القائد بالتأنى والتروى:

لما ولّى عمر رضى الله عنه أبا عبيد الثقفى قال له: إنه لم يمنعنى أن أؤمر سليطًا إلا سرعته إلى الحرب، وفى التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان، والله لولا سرعته لأمرته ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث[٣].

٣- أن يكون جريئًا، وشجاعًا وراميًا:

ولما أراد عمر أن يولى قائدًا لجيوش المسلمين لفتح نهاوند[٤] واستشار الناس فقالوا: يا أمير المومنين أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك، ورأيتهم وكلمتهم فقال: أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكوننّ أول الأسنَة[٥] إذا لقيها غدًا، فقيل: من يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن المزنىٍّ، فقالوا: هُوَ لها[٦].

٤- أن يكون ذا دهاء وفطنة وحنكة:

قال عمر رضى الله عنه: ولكم علىّ ألا ألقيكم فى المهالك ولا أحجزكم فى ثغوركم[٧]. ولما نزل عمرو بن العاص وجنده على الروم بموقعة أجنادين لفتحها وكان قائد الروم الأرطبون وهو أدهى الروم، وأبعدها غورًا، وأنكاها فعلاً، ووضع جندًا عظيمًا بإيلياء والرملة وكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمر قال: رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عما تنفرج[٨]، ولما أراد عمرو أن يجمع المعلومات عن

---

(١) موسوعة فقه عمر ص(١٠٠) عن سيرة عمر لابن الجوزى ص (٦٧).
(٢) موسوعة فقه عمر ص (١٠٠) عن مصنف عبد الرزاق (١١/٣٤٨).
(٣) تاريخ الطبرى (٤/٢٦٦). والمكيث: الهادئ المتانى.
(٤) نهاوند: من بلاد الفرس قرب همذان.
(٥) الأسنة: واحدة السنان أى سن الرمح.
(٦) تاريخ الطبرى (٥/١٠٩).
(٧) موسوعة فقه عمر ص (١٠٩).
(٨) تاريخ الطبرى (٤/٤٣١).

الأرطبون وجيشه، حتى يضع خطته الحكيمة لمهاجمته، والانتصار عليه دخل ابن العاص معسكر قائد الروم وكاد أن يقتل إلا أن الله نجاه وخدع عمرو بن العاص أرطبون الروم ولما وصل الأمر إلى عمر بن الخطاب. قال: غلبه عمرو، لله عمرو[1].

٥- أن يكون القائد لبقًا حاذقًا له رأى وبصر بالحروب:

يقول صاحب المغنى (ابن قدامة الحنبلى) فى كلامه عن أمير الحرب: .. ويكون ممن له رأى وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايدة للعدو، ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين[2]. ولذلك اختار الفاروق سعد بن أبى وقاص لقيادة حرب العراق بعد أن استشار الناس.

٦- الرغبة فى العمل:

كان من خطة عمر رضى الله عنه أن لا يولِّى رجلاً عملاً لا رغبة له فيه ولا قناعة إلا إذا اضطر إلى ذلك ليكون العمل أكثر إتقانًا، فقد ندب الناس مرة وحثهم على قتال الفرس بالعراق، فلم يقم أحد ثم ندبهم اليوم الثانى فلم يقم أحد، ثم ندبهم فى اليوم الثالث، وهكذا ثلاثة أيام، فلما كان فى اليوم الرابع كان أول من انتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى، ثم تتابع الناس، فأمّر على الجميع أبا عبيد - وهو لذلك أهلٌ - ولم يكن صحابيًا، فقيل لعمر: هلا أمّرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر عليهم من استجاب[3]، وقد تجسدت هذه الصفات فى كل من سعد بن أبى وقاص، وأبى عبيدة ابن الجراح، وعمرو بن العاص رضى الله عنهم وغيرهم كثير.

ثالثًا: حقوق الله، والقادة والجند من خلال رسائل الفاروق:

● حقوق الله: كان الفاروق رضى الله عنه يرشد قادته وجنوده من خلال رسائله ووصاياه إلى أهمية التزامهم بحقوق الله والتى من أهمها:

١- مصابرة العدو: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وكان مما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الصبر لسعد بن أبى وقاص حين بعث به إلى العراق: واعلم أن لكل عدة عتاداً، فعتاد

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/٤٣٢).
(٢) المغنى لابن قدامة (٨/٣٥٢).
(٣) البداية والنهاية (٧/٢٦).

الخير الصبر، فالصبر على ما أصابك أو نابك، يجتمع لك خشية الله[1]، كما كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح وهو بالشام قائلاً: لقد أثنى الله على قوم بصبرهم. فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨]. فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة، واقرأ كتابى هذا على الناس ومرهم فليقاتلوا فى سبيل الله وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة[2].

٢- أن يقصدوا بقتالهم نصرة دين الله: فقد استوعب الفاروق رضى الله عنه قول رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[3]، فنجد حياته وتوصياته ورسائله يهيمن عليها هذا المعنى العظيم.

٣- أداء الأمانة: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]. فمن وصايا الفاروق رضى الله عنه للقادة والعسكر فى عدم الغلول قوله: (إذا لقيتم العدو فلا تفروا، وإذا غنمتم فلا تغلوا)[4].

٤- عدم الممالأة والمحاباة فى نصرة دين الله: ومن مشهور قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المحاباة والمودة: من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله، ومن استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله[5].

● حقوق القائد: وبين الفاروق فى رسائله وتوجيهاته حقوق القائد والتى منها.

١- التزام طاعته: فحين بعث الفاروق بأبى عبيد بن مسعود الثقفى على رأس جيش نحو العراق أرسل برفقته سلمة بن أسلم الخزرجي وسليط بن قيس الأنصارى رضى الله عنهما وأمره أن لا يقطع أمراً دونهما وأعلمه أنهما من أهل بدر ثم إن أبا عبيد حارب

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٠٦).

(٢) تاريخ فتوح الشام ص(١٨٣).

(٣) البخارى رقم (٢٦٥٥).

(٤) الخراج لأبى يوسف ص (٨٥).

(٥) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية (١/ ٦٦).

الفرس بموقعة الجسر وقد أشار عليه سليط أن لا يقطع الجسر ولا يعبر إليهم فلم يسمع له مما أدى إلى هزيمة عسكر المسلمين، فقال سليط فى بعض قوله: لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكنى أسمع وأطيع وإن كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك[1].

٢- أن يفوضوا أمرهم إلى رأيه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء: ٨٣]. جعل الله تفويض الرعية الأمر إلى ولى الأمر سببًا لحصول العلم وسداد الرأى، فإن ظهر لهم صواب خفى عليه بينوه له وأشاروا به عليه، ولذلك ندب إلى المشاورة ليرجع بها إلى الصواب[2]، وقد جعل عمر رضى الله عنه للعسكر أميراً واحداً يفوضون أمرهم إلى رأيه ويكلونه إلى تدبيره حتى لا تختلف آراؤهم فتختلف كلمتهم[3]، ففى السنة التى بعث فيها الفاروق بجيوش المسلمين إلى نهاوند وأمرهم بالتجمع هنالك كان الجيش يتألف من جند أهل المدينة المنورة من المهاجرين والأنصار وفيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وجند أهل البصرة بقيادة أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، وجند أهل الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وبعد تجمعهم كتب إليهم الفاروق رضى الله عنه: إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزنى[4].

٣- المسارعة إلى امتثال أمره: وفى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان أول عمل قام به هو ندب الناس إلى فارس حيث أخذ يدعوهم لمدة ثلاثة أيام ولم يستجب أحد، وفى اليوم الرابع كان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى مما أدى بعمر رضى الله عنه أن يوليه ذلك البعث بالرغم من وجود صحابة رسول الله لأنه سارع إلى تلبية النداء[5]، وعندما وجه الفاروق عتبة بن غزوان إلى البصرة قال ناصحًا إياه ومذكرًا له بقوله: اتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك،

---

(١) مروج الذهب (٢/٣١٥، ٣١٦).

(٢) الأحكام السلطانية ص(٤٨).

(٣) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها (١/١٠٠).

(٤) المصدر نفسه (١/١٠٠).

(٥) المصدر نفسه (١/١١٣).

وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد ضعف حتى صرت أميراً مسلطاً وملكاً مطاعاً تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك فيا لها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك عمن دونك(١).

٤- عدم منازعته فى شىء من قسمة الغنائم: ومما قاله عمر بن الخطاب حول قسمة الغنائم: اللهم إنى أشهدك على أمراء الأمصار فإنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويقسموا فيأهم ويعدلوا عليهم، فمن أشكل عليه شىء رفعه إلىّ(٢)، فمن ذلك فى فتح الأبلة(٣) عندما تم تقسيم الغنائم بين الجند كان نصيب أحدهم قدراً من نحاس فلما صار بيده تبين أنه من ذهب وعرف ذلك الجند فشكوا إلى أمير الجند(٤)، فأشكل ذلك عليه فكتب بدوره إلى عمر رضى الله عنه يخبره بذلك فأتاه الرد بقوله: أصر على يمينه بأنه لم يعلم أنها ذهب إلا بعد أن صارت إليه فإن حلف فادفعها إليه وإن أبى فاقسمها بين المسلمين فحلف فدفعها إليه(٥)، وعندما جمت الغنائم فى معركة جلولاء ذكر جرير بن عبد الله البجلى أن له ربع ذلك كله هو وقومه فكتب سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بذلك إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر: صدق جرير قد قلت له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل المؤلفة قلوبهم فاعطهم جعلهم، وإن كانوا إنما ما قاتلوا إلا لله ولدينه واحتسبوا ما عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين وبر لا حاجة لنا إلى الربع بل نحن من المسلمين(٦).

● حقوق الجند: وقد بين الفاروق فى رسائله ووصاياه حقوق الجند والتى منها:

١ - استعراضهم وتفقد أحوالهم: فقد روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى إدارته أنه قال: إنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة، فذاك لأن عمر كان مأموراً بالجهاد وهو أمير المؤمنين فهو أمير الجهاد فصار بذلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلى الذى يصلى صلاة

---

(١) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها (١/ ١١٤).
(٢) الخراج لأبى يوسف ص (٥٠).
(٣) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج.
(٤) الإدارة العسكرية (١/ ١٢٠).
(٥) مناقب أمير المومنين لابن الجوزى ص (١٢٨).
(٦) الإدارة العسكرية (١/ ١٢١).

الخوف حال معاينة العدو[١]، وكان رضى الله عنه عندما يعقد الألوية لقادته وقبل سيرهم للغزو يستعرضهم ويوصيهم، فمما كان يقول لهم: ائتزروا وارتدوا وانتعلوا واحتفوا وارموا الأغراض وألقوا الركب وانزوا على الخيل وعليكم بالمعدية - أو قال العربية - ودعوا التنعم وزى العجم، ولن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم على ظهور الخيل ونزعتم بالقسى[٢]، وهذا يظهر لنا مدى حرص الفاروق رضى الله عنه فى الاستعداد وإظهار القوة واحتذى قادته حذوه فى صف واستعراض العسكر وإبراز القوة للعدو سواء فى المعارك الحربية أو أثناء الاستعداد لها، فكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يخطب الجند بمصر فى صلاة الجمعة ويحثهم على إسمان دوابهم ويتوعدهم إن لم يفعلوا ذلك بحط الفريضة عنهم يوم العرض فمن قوله: ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه واعلموا إنى معرض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك[٣]، وعندما لقى معاوية عمر رضى الله عنهما عند قدومه الشام وجد أبهة الملك وزيه من العدد والعدة فاستنكر عليه ذلك وقال له: أكسروية يا معاوية؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا فى ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما اجتمع عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين[٤].

٢- الرفق بالجند فى السير: وقد كتب الفاروق إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما قائلاً: وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامى الأنفس والكراع، واقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح[٥]..، وحين بعث الخليفة عمر رضى الله عنه بمدد إلى جند الشام حمل ضعيفهم وزودهم وأمر عليهم سعيد بن عامر، وعندما هم بالمسير قال عمر: على رسلك حتى أوصيك، ثم سار عمر نحو الجيش راجلاً وقال له: يا سعيد وليتك هذا الجيش ولست بخير رجل فيهم إلا أن تتقى الله، فإذا سرت فارفق بهم ما استطعت ولا تشتم

(١) الفتاوى (٢٢/٦٠٩).

(٢) نهاية الأرب (٦/١٦٨).

(٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص (١٤١).

(٤) الإدارة العسكرية (١/١٣٧) نقلاً عن المقدمة.

(٥) نهاية الأرب (٦/١٦٩).

أعراضهم ولا تحتقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع سواك ولا تسلك بهم المغاور واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة[1] الطريق، والله تعالى خليفتى عليك وعلى من معك من المسلمين[2].

٣- أن يتصفحهم عند مسيرهم: فقد كان الفاروق يتصفح الجيوش عند مسيرهم ويوصيهم بالأخلاق الرفيعة والقيم العظيمة، فقد أمر سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بالوفاء مع الأعداء حين طلبهم للأمان وأن لايغدروا وبين له أن الخطأ فى الغدر هلكة ووهن له وقوة للأعداء وحذره أن يكون شيئًا على المسلمين وسببًا لتوهينهم[3].

٤- عدم التعرض عند اللقاء لمن خالفه منهم لئلا يحصل افتراق الكلمة والفشل:

ومن وصايا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأمرائه وقادته فى هذا الباب قوله: لا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحداً الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله الشيطان أن يلحق بالكفار[4].

وعندما بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالقائد سلمان بن ربيعة الباهلى على رأس جيش كان برفقته عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد الأسدى وحدثت بين عمرو بن معدى كرب وسلمان بن ربيعة أمور بلغت عمر رضى الله عنه فكتب إليه عمر قائلاً: أما بعد: فقد بلغنى صنيعك بعمرو وإنك لم تحسن بذلك ولم تجمل فيه، فإذا كنت بمثل مكانك فى دار الحرب فانظر عمراً وطليحة وقربهما منك واسمع منهما فإن لهما بالحرب علمًا وتجربة وإذا وصلت إلى دار السلم فأنزلهما منزلتهما التى أنزلا أنفسهما بها وقرب أهل الفقه والقرآن[5]، وكتب إلى عمرو بن معدى كرب: أما بعد فقد بلغنى إفحامك لأميرك وشتمك له، وإن لك لسيفاً تسميه الصمصامة وإن لى سيفاً أسميه المصمم وإنى أحلف بالله لو قد وضعته على هامتك لا أرفعه حتى أقدك به، فلما جاء الكتاب لعمرو قال: والله إن هم ليفعلن[6].

---

(١) الجادة: معظم الطريق والجمع جواد.

(٢) تاريخ فتوح الشام ص (١٨٦) للأزدى.

(٣) الإدارة العسكرية (١/ ١٧٩).

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص (١٣١).

(٥، ٦) الأوائل للعسكرى (٢/ ٤٥).

يتجلى من النصين السابقين فقه الفاروق فيما ينبغى أن يتحلى به القائد فى دار الحرب من الائتلاف للقلوب وخاصة وهم بإزاء العدو، وأن على القائد أن يستشير من له خبرة بالحرب، وهذا لا يعنى انقطاع العلاقة والمودة بينهما حين عودة العسكر إلى دار السلام، وفى فتح الرها[1] على يد عياض بن غنم قدم عليه مدد من الشام بقيادة بسر بن أبى أرطأة العامرى وجه به يزيد بن أبى سفيان بأمر من عمر رضى الله عنه وحدث بينهما خلاف وهم فى دار الحرب، وكان عياض مستغنيًا عن المدد فطلب إليه الرجوع إلى الشام فكتب عمر رضى الله عنه إلى عياض طالبًا منه أن يوضح له سبب إرجاعهم وخاصة وهم ما قدموا إلا لمساندتك ولإعلام العدو أن الأمداد متواترة إليك فتنكسر قلوبهم ويسارعوا إلى طاعتك، فأجابه عياض قائلاً: خشيت أن يحصل شيء من التمر وتختلف قلوب العساكر ولما كنت غنيًا عن مدده اعتذرت إليه وأمرته بالعودة، هذا هو السبب فى إعادته[2]، عندها صوبه عمر رضى الله عنه ودعا له خاصة وهم بإزاء العدو حتى لا تتفرق الكلمة ويتناحروا فيما بينهم ويحصل الفشل[3].

٥- حراستهم من غرة يظفر بها العدو فى مقامهم ومسيرهم:

اهتم الفاروق بأمر الحراسة ولذلك أمر قادته بالحرص والحذر من بيان العدو وأخذهم على غرة، وطلب منهم إقامة الحرس فى حلهم وترحالهم، فمن ذلك قوله لسعد بن أبى وقاص: أذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيان جهدك ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدو الله وعدوك[4]، وكان رضى الله عنه يوصى قادته باتخاذ العيون وبث الطلائع عند بلوغ أرض العدو حتى يكونوا على علم ودراية بحالهم وبنواياهم، فمما كتبه إلى سعد بن أبى وقاص قوله: وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخفى عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تثق به وتطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك فى بعضه، والغاش عين عليك ليس عينا لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم

---

(١) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام.

(٢) فتوح الشام ابن أعثم (١/٢٥٣-٢٥٥).

(٣) الإدارة العسكرية (١/١٨٨).

(٤) نهاية الأرب (٦/١٧٠).

وتتبع الطلائع عوراتهم، وانتق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك[١].

ويتضح لنا من هذه الوصية القيمة أن الخليفة عمر رضى الله عنه لم تقتصر عنايته باتخاذ العيون على الأعداء بل اتخذها أيضًا فى الجيوش الإسلامية فى الرقابة الإدارية على الولاة والعمال والقادة والجند ليتعرف أحوالهم وسيرتهم ومعاملتهم وسير أعمالهم العسكرية، فقد كانت له عيون فى كل جيش ومعسكر ترفع إليه تقريراً عما يدور فيه[٢]، وعندما شكا عمير بن سعد الأنصارى إلى الخليفة عمر حين قدم عليه وكان على طائفة من أهل الشام قائلاً: يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عرب سوس[٣]، وإنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئًا ولا يظهروننا على عوراتهم، فقال له عمر: فإذا قدمت فخيرهم بين أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بعير بعيرين ومكان كل شىء شيئين، فإن رضوا بذلك فأعطهم وخربها فإن أبوا فأنب إليهم وأجلهم سنة ثم خربها[٤]. ثم لما قدم عليهم عمير ابن سعد عرض عليهم ذلك فأبوا فأجلهم سنة ثم خربها[٥].

٦- اختيار موضع نزولهم لمحاربة العدو: فقد كان الفاروق يوصى سعد بن أبى وقاص بأن لا يقاتل حتى يتعرف على طبيعة أرض المعركة كلها مداخلها ومخارجها ووفرة الماء والكلأ بها وما يجرى مجرى ذلك[٦]، كما كتب إليه قبل القادسية بأن يكون أدنى حجر من أرضهم لأنهم أعرف بمسالكها من عدوهم، فمتى كانت الهزيمة استطاع التمكن من الانسحاب بالجند فينجوا من القتل فلا يستطيع العدو اللحاق بهم لجبنه من اتباعهم وعدم معرفته بطرقها[٧]، وبالإضافة إلى ذلك فقد ولى الفاروق سعد بن أبى وقاص وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان ريادة الجيش فى اختيار موقع وموضع نزوله وإقامته، فقد قام الفاروق بتوزيع المهام الإدارية بين القادة[٨]، وكان الفاروق يشترط فى

---

(١) نهاية الأرب (٦/ ١٦٩).

(٢) الإدارة العسكرية (١/ ٣٩٦).

(٣) مدينة بالثغر من ناحية الحدث.

(٤) فتوح البلدان للبلاذرى (١/ ١٨٥).

(٥) المصدر نفسه (١/ ١٨٥)، الإدارة العسكرية (١/ ٣٩٧).

(٦) نهاية الأرب (٦/ ١٧٠)، الإدارة العسكرية (١/ ٢٠٥).

(٧) الإدارة العسكرية (١/ ٢٠٥).

(٨) المصدر نفسه (١/ ٢٠٦).

إدارته العسكرية على قادته عند اختيارهم لموضع نزولهم وإقامة معسكراتهم الحربية أن لا يفصلهم عن مقر القيادة العسكرية العليا ماء، وذلك لما لها من مركزية فى التخطيط ولتسهيل الإمداد والتموين[١]، كما كتب عمر رضى الله عنه إلى أبى عبيدة بن الجراح قائلاً: ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه[٢].

٧- إعداد ما يحتاج إليه الجند من زاد وعلوفة: كان عمر رضى الله عنه يبعث لجند المسلمين بالعراق من المدينة المنورة بالتموين من الغنم والجزور[٣]، وحمى النقيع والربذة[٤] للنعم التى يحمل عليها فى سبيل الله، كما اتخذ فى كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لما يعرض، فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس، وبالبصرة نحو منها، وفى كل مصر من الأمصار على قدره[٥]، ثم حين قدم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بالشام لمصالحة أهل بيت المقدس أنشأ إدارة لتموين الجيش عرفت باسم الأهراء[٦]، وكان عمرو بن عبسة أول موظف عين لإدارة تموين الجيش[٧].

٨- تحريضهم على القتال: كتب الفاروق إلى أبى عبيدة يحرضه على الجهاد قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أمين الأمة أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك، فإنى أحمد الله عز وجل سراً وعلانية وأحذركم من معصية الله عز وجل وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا ممن قال الله فى حقهم: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وصلى الله على خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين[٨]. فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة قرأه على المسلمين فعلموا أن أمير المؤمنين يحرضهم على القتال ولم يبق أحد من المسلمين إلا بكى من كتاب عمر

---

(١) الإدارة العسكرية (١/٢٠٦).

(٢) الإدارة العسكرية (١/٢٠٧) نقلاً عن تاريخ الطبرى.

(٣) فتوح البلدان للبلاذرى (٢/٣١٤).

(٤) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز.

(٥) الإدارة العسكرية (١/٢١٧).

(٦) الهرى: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان والجمع أهراء.

(٧) الإدارة العسكرية (١/٢١٧).

(٨) فتوح الشام للواقدى (١/١١٧).

ابن الخطاب، كما كتب إلى سعد بن أبى وقاص بالعراق ومن معه من الأجناد يحرضهم على القتال ويمنيهم ويأمرهم الالتزام بالفضائل ويحذرهم من ارتكاب المعاصى[1]، هذا وكان من مهام أمراء الأعشار فى إدارة الفاروق رضى الله عنه التحريض فى القتال[2].

٩- أن يذكرهم بثواب الله وفضل الشهادة: ففى عصر الفاروق قام سعد بن أبى وقاص فى القادسية يذكر جنده بثواب الله تعالى وما أعد لهم فى الآخرة من النعيم، ورغبهم فى الجهاد وأعلمهم ما وعد الله نبيه من النصر وإظهار الدين وبيَّن لهم ما سوف يكون بأيديهم من النفل والغنائم والبلاد، وأمر القراء أن يقرأوا سورة الجهاد (الأنفال)[3]، كما قام أبو عبيدة بن الجراح فى جند الشام خطيباً ومذكراً إياهم بثواب الله تعالى ونعيمه ومخبراً إياهم أن الجهاد خير لهم من الدنيا وما فيها[4]، كما اشتهر عن عمرو بن العاص قوله لجند فلسطين: من قُتل كان شهيداً ومن عاش كان سعيداً، وأمر الجند أن يقرأوا القرآن وحثهم على الصبر ورغبهم فى ثواب الله وجنته[5].

١٠- أن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق: فقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص ومن معه من الأجناد يوصيه بقوله: أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى من احتراسكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله[6]...

١١- أن ينهاهم عن الاشتغال بتجارة وزراعة ونحوهما: فقد أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد فى أن يبلغوا العسكر أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل، وأن ينهوهم عن الزراعة حتى إنه عاقب من لم يمتثل ذلك[7]، كل ذلك حرصاً من الفاروق رضى الله عنه بتفريغ الجند للجهاد ونشر الإسلام، ولئلا

(١، ٢) الإدارة العسكرية (١/ ٢٣٩).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٥٦).

(٤) الإدارة العسكرية (١/ ٢٤٣).

(٥) فتوح الشام (١/ ١٨، ٢٠).

(٦) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص (١١٩).

(٧) الإدارة العسكرية (١/ ٢٥٦).

يلتصقوا بالأرض حين يزرعون فيركنون إلى ذلك ويصبح قلبهم منشغلاً، ولذلك استطاع عمر رضى الله عنه أن يوجد جنداً متفرغًا للقتال جاهزًا لوقت الحاجة والطلب، وضمن عدم انتشارهم لجنى الثمار والزراعة وما يتبعها من حصاد وحرث وتسويق(١).

رابعًا: اهتمامه بحدود الدولة:

كان عمر رضى الله عنه من خوفه على المسلمين وحدود الدولة الإسلامية لاتساعها وكرهه لقتال الروم يقول إذا ذكر الروم: والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه(٢). وقال الشيء نفسه حول حدود الدولة الإسلامية نحو الفرس: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، وإنى أوثر سلامة المسلمين على الأنفال(٣)، فأمر بإقامة قواعد عسكرية إسلامية لها عدة وظائف ومهام، والتى سبق وأشرنا إلى بعض منها، بالإضافة إلى كونها مراكز حربية فى مواقع استراتيجية متقدمة على الحدود بينها وبين البلاد المفتوحة لترد أى عدوان خارجى، وكمراكز تجمع للجند ولنشر الإسلام وكان فى طليعتها مدينتا البصرة والكوفة فى مجاورة الدولة الفارسية والفسطاط بمصر(٤)، وثغور أخرى بسواحلها وسواحل الشام لرد هجمات الروم من البحر، وجند أربعة أجناد فيما بعد فيقال جند حمص وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين حيث كانت لاختصاصهم حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند أمرائهم لتسهيل عملية إدارتهم فى المهمات العسكرية ولرعاية شئونهم والتى كانت منها، العطاء(٥)، هذا إلى جانب المعسكرات والتحصينات التى بالثغور والتى سبق إجلاء العدو عنها واستولى عليها المسلمون واتخذوها قواعد عسكرية لهم وأسكنوا بها جندهم لحماية حدود الدولة الإسلامية(٦)، ثم صار المسلمون كلما تقدموا فى الفتح أقاموا فى نهاية توسعهم ثغراً يحرس الحدود يشحن بالجند المرابطين ويتولى أمره قائد من أكفأ القواد(٧)، ومن أهم

---

(١) الإدارة العسكرية (١/٢٥٧).

(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/١٥٥).

(٣) تاريخ الطبرى نقلاً عن الإدارة العسكرية (١/٣٥٢).

(٤) الإدارة العسكرية (١/٤٥٢).

(٥) فتوح البلدان (١/١٥٦).

(٦) تاريخ التمدن، جرجى زيدان (١/١٧٩).

(٧) الإدارة العكرية (١/٤٥٣).

تلك الإجراءات التى اتخذها الفاروق رضى الله عنه بإقليم العراق والمشرق المسالح التى أقيمت بين المسلمين والفرس، فحينما بلغ اجتماع الفرس على يزدجرد للقائد المثنى ابن حارثة والمسلمين كتبوا إلى الخليفة عمر بذلك فجاءهم الرد بقوله: أما بعد، فاخرجوا من بين ظهرانى الأعاجم وتفرقوا فى المياه التى تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم .. فنفذ المثنى الأمر(١)، كما أوصى الخليفة عمر رضى الله عنه سعداً قبل القادسية بقوله: وإذا انتهيت إلى القادسية فتكون مسالحك على أنقابها(٢).

وفى جلولاء كتب عمر رضى الله عنه إلى سعد: إن هزم الله الجندين، جند مهران وجند الأنطاق فقدم القعقاع بن عمرو بثغر حلوان بجنود المسلمين لحماية المنطقة والحفاظ عليها من تقدم الأعداء وحتى يكون ردءا لإخوانه من جند المسلمين الغازى منهم والمقيم(٣)، لذا كان القائد سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بالعراق يطلب من الجند ويحثهم على التقدم نحو الفرس مخبراً إياهم أن الثغور والفروج قد سدت بقوله: ليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه كفاكموهم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذاتهم(٤)، والملاحظ أن هذه المسالح فى عهد الفاروق لا تنشأ إلا بأمر من القيادة العليا المركزية للإدارة العسكرية وذلك فى قول الخليفة عمر لقادة المسالح: أشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمرى(٥)، وقد بلغت ثغور الكوفة وحدها فى عهد الفاروق أربعة ثغور هى: ثغر حلوان وعليه القعقاع بن عمرو التميمى، وثغر ماسبذان وعليه ضرار بن الخطاب الفهرى، وثغر قرقيسيا(٦) وعليه عمر بن مالك الزهرى، وثغر الموصل وعليه عبد الله بن المعتم العبسى. وكان لكل قائد من هؤلاء من ينوب عنه فى ثغره لإدارته إذا توجه لمهمة ما.

ومن الجدير بالذكر أن جند المسلمين لا يبنون الثغور حصناً ولا يمصرون مدينة إلا وأقاموا المسجد فى المقدمة لما له من دور دعوى وتربوى وجهادى كما هو معروف(٧)،

(١، ٢) الإدارة العسكرية (١/٤٥٣).
(٣) المصدر نفسه (١/٤٥٤) نقلاً عن الطبرى.
(٤، ٥) المصدر نفسه (١/٤٥٤).
(٦) بلد على نهر الخابور قرب مالك بن طوق وعندها مصب الخابور فى الفرات.
(٧) الإدارة العسكرية (١/٤٥٥).

وأما فيما يتعلق بحماية الحدود بين الروم والمسلمين فى الجبهة الشامية فى عهد عمر رضى الله عنه، فقد بدأت عنايته بها أيضًا منذ الفتح الإسلامى لبلاد الشام حيث اتخذ لذلك إجراءات دفاعية كثيرة ومتعددة لحماية المنطقة، منها بناء المناظر وإقامة الحرس واتخاذ المسالح بها، وتحصين المدن الساحلية إلى جانب الرباطات الدائمة بالإضافة إلى الحصون المفتوحة وترتيب المقاتلة فيها، أى الجند الغازى وسياسة التهجير أو النواقل، وجمعه الساحل الشامى كله تحت إدارة عسكرية موحدة، ففى السنة التى سار فيها عمر بنفسه إلى بلاد الشام لتوقيع الصلح مع أهل بيت المقدس تفقد بعض الثغور الشامية ووضع بها الحاميات والمسالح ورتب بها أمراء الأجناد والقادة وسد فروجها ومسالحها وأخذ يدور بها ليرى احتياجاتها الدفاعية[١]، ثم رجع إلى المدينة وخطب الناس قبل رجوعه قائلاً: ألا قد وليت عليكم وقضيت الذى علىَّ فى الذى ولانى الله من أمركم إن شاء الله قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغنا ما لديكم، فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج وبوأنا لكم، ووسعنا عليكم ما بلغ فيئكم وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمينا لكم أطماعكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن عَلِمَ عِلْمَ شىء ينبغى العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[٢].

وعندما فتح أبو عبيدة بن الجراح ثغر إنطاكية بالحدود الشامية الشمالية كتب إليه الخليفة عمر رضى الله عنه قائلاً: أن رتب بإنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء[٣]، فنقل أبو عبيدة قومًا من أهل حمص وبعلبك بها مرابطة بها لحماية حدود المنطقة من أى عدوان خارجى وعين على الثغر حبيب بن مسلمة الفهرى الذى اتخذ من ثغر إنطاكية قاعدة لانطلاقه لغزو ما خلف الحدود الإسلامية، فمنها كان يأتى المدد للخطوط الأمامية فى الجبهة الرومية وكان منها غزوه للجرجومة[٤] التى صالح أهلها على أن يكونوا أعوانًا للمسلمين وعيونًا ومسالح فى جبل اللكام ضد الروم[٥]، وكذلك عندما سار أبو عبيدة إلى ثغر بالس[٦] رتب به جماعة من المقاتلين، وأسكنه قومًا من عرب الشام الذين أسلموا بعد قدوم

---

(١) الإدارة العسكرية (١/٤٥٧).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/٤٠).

(٣) فتوح البلدان (١/١٧٥).

(٤) الجرجومة: يقال لأهلها الجراجمة على جبل اللكام بالثغر الشامى.

(٥) معجم البلدان (٢/١٢٣).

(٦) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة.

المسلمين لحفظ الثغر وضبطه من هجمات الروم(١).

ومن التحصينات والوسائل الدفاعية التى اتخذها الوالى معاوية بن أبى سفيان لحماية الحدود الإسلامية لسواحل الشام فى نهاية عهد عمر بن الخطاب وبداية عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهما هو قيامه ببناء عدة حصون مثل أطرسوس(٢)، ومرقية(٣)، وبلنياس(٤)، وبيت سليمة، بالإضافة إلى قيامه بتطوير الحصون التى استولى عليها الجند المسلمون بسواحل الشام وشحنها جميعاً بالجند المقاتلة وأقطعهم القطائع بها وبنى المناظر ووضع بها الحرس لمراقبة اقتراب العدو فتقوم كل منظرة بإشعال النار لإخبار الأخرى التى تليها إلى أن يصل الخبر إلى المدينة والثغر والمسلحة فى زمن قليل فيسرعون نحو الجبهة التى أقبل منها العدو للتصدى له ومنعه من التسلل(٥).

وفيما يتعلق بحماية الحدود بين المسلمين والروم فى الجبهة المصرية لإدارة عمر رضى الله عنه، فقد شملتها الرعاية والعناية كمثيلاتها من الجبهات الأخرى فقد أمر عمرو بن العاص ببناء الفسطاط كقاعدة عسكرية أولى لإيواء جند المسلمين بالمنطقة وجعل لكل قبيلة محرساً وعريفاً فمنها كان المنطلق فى الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا بالإضافة إلى كونها إحدى الحاميات الدفاعية المهمة للثغر المصرى إلى ما هنالك من مهام تضطلع بها، واشترط عمر رضى الله عنه فى موقعها، كما اشترط فى مواقع القواعد السابقة، بأن لا يفصل بينها وبين القيادة العليا المركزية بالمدينة ماء حتى يكون الاتصال بينهما مستمراً وميسراً(٦)، وكان عمرو بن العاص يذكر جنوده بأن مقامهم بمصر عبارة عن رباط وذلك فى قوله: اعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوق قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية. وفى الفترة التى استولى فيها جند المسلمين على الحصون والمسالح التى بالثغر المصرى قاموا بتجديدها وترميمها والاستفادة منها فى مرابطتهم حيث شحنوها بالجنو،د وكان العريش أول مسالح مصر وأعمالها(٧)، وقد أمر الفاروق بإقامة المسالح على

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى (١/ ٢٢٤).

(٢) بلد من سواحل بحر الشام وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية.

(٣) مرقية: قلعة حصينة فى سواحل حمص.

(٤) بلنياس: كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

(٥) فتوح البلدان (١/ ١٥٠ - ١٥٨).

(٦) فتوح مصر لابن عبد الحكم، الإدارة العسكرية (١/ ٤٦٢).

(٧) تاريخ اليعقوبى ص (٣٣٠).

سواحل مصر كلها[1]، وحينما فتح عمرو بن العاص ثغر الإسكندرية جعل به ألف رجل من أصحابه مسلحة به لحفظه وحمايته، وكان عددهم لا يفى بالغرض المطلوب مما جعل الروم يعودون إليهم من البحر فقتلوا من قتلوا من أصحاب المسلحة وهرب من هرب، فرجع إليهم عمرو بن العاص مرة أخرى وفتح الثغر وجعل من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع الجيش كما جعل فى السواحل الربع الآخر وأبقى معه بالفسطاط النصف الآخر[2]، وكان الفاروق يبعث فى كل سنة غازية من أهل المدينة المنورة ترابط بثغر الإسكندرية ويكاتب الولاة بأن لا تغفل عنها وأن تكثف رابطتها، إضافة إلى من جعل بها عمرو بن العاص من المرابطين[3]، وبذلك استكمل عمر رضى الله عنه فقهه البعيد فى حماية الحدود البرية وتحصينها فى الجبهات الثلاث العراقية والشامية والمصرية[4]، ولم يقتصر الأمر على هذه الوسائل الدفاعية لحماية الحدود الإسلامية بل أنشأ عمر رضى الله عنه نظام الصوائف والشواتى وهى الحملات التى كانت تخرج بانتظام سنويًا كالدوريات المنظمة فى فصل الصيف وفى فصل الشتاء[5]، ولم تقتصر حملات الشواتى والصوائف على ثغور بلاد الشام بل شملت جميع حدود الدولة الإسلامية حينئذ، وكان يتولاها كبار القادة أمثال أبى عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبى سفيان والنعمان بن مقرن وغيرهم كثير[6]، وكان الفاروق يزيد فى الأرزاق والأعطيات للجنود الذين يبعثون إلى الثغور للمرابطة بها حتى تعينهم على تحمل بعدهم ويقطعهم القطائع بها[7]، ونرى قادة الفاروق رضى الله عنه فى إدارتهم العسكرية للمعارك يقسمون لأهل المسالح من الفيء مثل الذى يقسم لهم لأنهم كانوا ردءا للمسلمين لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه[8]، وحين حضرت الخليفة عمر رضى الله عنه الوفاة قال موصيًا الخليفة من بعده: وأوصى الخليفة من بعدى بأهل الأمصار خيرًا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم[9].

---

(١) البداية والنهاية (١٠٣/٧).

(٢) البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية سعاد ماهر ص٧٧.

(٣) فتوح مصر ص (١٩٢)، الخطط للمقريزى (١٦٧/١).

(٤، ٥) الإدارة العسكرية (٤٦٤/١).

(٦) فتوح البلدان للبلاذرى (١٩٤/١، ١٩٥).

(٧) الفن الحربى فى صدر الإسلام عبد الرؤوف عون ص (٢٠١)، الإدارة العسكرية (٤٦٥/١).

(٨) الإدارة العسكرية (٤٦٥/٢)، تاريخ الطبرى (١٣٤/٤).

(٩) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص (٢١٩، ٢٢٠).

خامسًا : علاقة عمر مع الملوك :

كانت علاقة الفاروق مع ملك الفرس حربية، فقد توفى وجيوشه تطارد يزدجرد فى بلاده وتدوخ ملكه، وأما علاقته مع ملك الروم فقد استقر الصلح بين الدولتين منذ أتم عمر رضى الله عنه فتح الشام والجزيرة وجرت بينه وبين ملك الروم المكاتبات، وذكر مؤرخو العرب أن هذه المكاتبات كانت مع هرقل ولكن لم يذكروا هل كانت مع هرقل الأول الذى انتزع منه عمر بلاد الشام أم مع ابنه هرقل الثانى المعروف بهرقل قسطنطين، لأن هرقل الأول توفى سنة (٦٤١م) الموافقة سنة (٢١هـ) وتولى الملك ابنه المذكور فى هذه السنة أى قبل وفاة عمر رضى الله عنه بسنتين وسواء كانت المكاتبة، والمراسلة مع هرقل الأول أو الثانى، فقد كانت الرسل تتردد بينهما بالمكاتبة وأن أم كلثوم بنت على ابن أبى طالب رضى الله عنه وزوج عمر بن الخطاب أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من ألطاف المدينة إلى إمبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه فى نظيرها عقداً نفيساً من الجواهر، فأخذه منها عمر ورده إلى بيت المال وقد جاء فى كتب التاريخ أن أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريد عمر[١].

سادسًا : من نتائج الفتوحات العمرية :

١- إزالة الدولة الفارسية (الساسانية) من الوجود، وفى الجانب المقابل حجمت الدولة الرومية (البيزنطية)، ومن ثم انتهى ذلك الصراع الجاهلى الذى كان ناشبًا بين الفرس والروم والذى جر شعوب المنطقة إلى حروب دامية أنهكت الدولتين معًا، لا لشىء إلا للمحافظة على مصلحة الزعامات فى كلتا الدولتين.

٢- وجود قيادة عالمية واحدة للمنطقة التى تقع فى وسط الكرة الأرضية كلها الممتدة من حدود الصين شرقًا إلى المغرب غربًا، ومن بحر العرب جنوبًا حتى آسيا الصغرى شمالاً، قيادة جديدة بمؤهلات لم تعهدها البشرية، فهى محكومة مثلها مثل بقية أبناء شعوب المنطقة بقيم ومثل ونظام.

٣- هيمنة المنهج الربانى على جميع الناس، دون ضغط عليهم فى تغيير معتقداتهم وديانتهم، ودون تفريق بين الأسود والأحمر والأبيض والأصفر، بل الناس كلهم أمام

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٥٩)، أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٣٥٩).

شرع الله سواء، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، ولمس الناس ثمار تطبيق شرع الله فى حياتهم من الأمن والتمكين، والبركات، والسعة فى الأرزاق وغيرها.

٤- ظهر فى دنيا الناس أمة الإسلام التى جمعت بين أفرادها عقيدة التوحيد، وشريعة المولى عز وجل وترفعت عن آصرة الأعراق والأنساب والاعتبارات الأرضية الأخرى، وبرز فى هذه الأمة قيادات من كل الأجناس العرقية، فكان لها المكانة العالية فى وسط هذه الأمة، ولم يوجد ما يشينها أو يغير من مكانتها فى الأمة، ولهذا كانوا يقولون لمن يقاتلونهم: فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم بلادكم[1].

٥- برزت حضارة ربانية متكاملة، ومتوازنة ومتناسقة ضمت بين أرجائها تفاعلات الأمم والشعوب المندرجة تحت شرع الله تعالى وقبلت فى عضويتها العالم بأسره، أسوده وأصفره وأبيضه وفق المنهج الربانى، وأحكامه، وأصبح الفاروق نموذجًا فى قيادته الحضارية للبشرية فى زمانه يعطينا صورة مشرقة للإنسان القوى المؤمن العالم، الذى يسخر كل إمكانات دولته وجنوده وأتباعه وعلومه ووسائله وأسبابه لتعزيز شرع الله وتمكين دينه وخدمة الإنسانية، وإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس والمادة إلى عبادة الله، ونفذ قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ [الحج: ٤١].

لقد أنتجت الفتوحات الإسلامية حضارة إنسانية رفيعة فى ظل دين الإسلام، وبذلك نستطيع أن نعرف الحضارة الربانية بأنها: تفاعل الأنشطة الإنسانية للجماعة الواحدة لخلافة الله فى الأرض عبر الزمن، وضمن المفاهيم الإسلامية عن الحياة والكون والإنسان[2].

****

---

(١) دراسات فى عهد النبوة للشجاع ص (٣٧٠).

(٢) الإسلام والحضارة للندوة العالمية للشباب (١/ ٩٠).

المبحث الخامس
الأيام الأخيرة فى حياة الفاروق

كان أمير المؤمنين الفاروق رضى الله عنه مثالا للخليفة العادل المؤمن، المجاهد التقى الورع، القوى الأمين، الحصن المنيع للأمة وعقيدتها، قضى رضى الله عنه خلافته كلها فى خدمة دينه وعقيدته وأمته التى تولى أمر قيادتها، فكان القائد الأعلى للجيش والفقيه المجتهد الذى يرجع الجميع إلى رأيه، والقاضى العادل النزيه، والأب الحنون الرحيم بالرعية، صغيرها وكبيرها، ضعيفها وقويها، فقيرها وغنيها، الصادق المؤمن بالله ورسوله، السياسى المحنك المجرب والإدارى الحكيم الحازم، أحكم بقيادته صرح الأمة، وتوطدت فى عهده دعائم الدولة الإسلامية، وتحققت بقيادته أعظم الانتصارات على الفرس فى معارك الفتوح، فكانت القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند، وتم فتح بلاد الشام ومصر من سيطرة الروم البيزنطيين[1]، ودخل الإسلام فى معظم البلاد المحيطة بالجزيرة العربية، وكانت خلافته سدا منيعا أمام الفتن، وكان عمر نفسه بابا مغلقا لا يقدر أصحاب الفتن الدخول إلى المسلمين فى حياته، ولا تقدر الفتن أن تطل برأسها فى عهده[2].

أولاً: حوار بين عمر وحذيفة حول الفتن (واقتراب كسر الباب):

قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: كنا عند ابن الخطاب رضى الله عنه، فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله فى الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه كما قال! قال: هات، لله أبوك، إنك لجرئ، قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.** قال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد الفتن التى تموج كموج البحر! قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إنّ بينك وبينها بابًا مغلقًا!! قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قلت: لا بل يُكسر!! قال: ذاك أحرى أن لا يغلق أبداً، حتى قيام الساعة !! قال أبو وائل الراوى عن حذيفة:

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى ص (١٥١).
(٢) الخلفاء الراشدون للخالدى ص (٧٧).

هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال حذيفة: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة! إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. قال أبو وائل: فهبنا أن نسأل حذيفة: من الباب؟ فقلنا لمسروق: سل حذيفة من الباب؟ فقال مسروق لحذيفة: من الباب؟ قال حذيفة: هو عمر[1]!!! إن حذيفة قدّم العلم لعمر رضى الله عنهم، بأن الباب المنيع هو الذى يمنع تدفق الفتن على المسلمين، ويحجرُها عنهم، إنَّ هذا سيُكسر كسرًا، وسيتحطم تحطيمًا، وهذا معناه أنه لن يغلق بعد هذا حتى قيام الساعة، وهذا ما فهمه عمر، أى أن الفتن ستبقى منتشرة ذائعة بين المسلمين، ولن يتمكّنوا من إزالتها أو توقُّفها أو القضاء عليها، وحذيفة رضى الله عنه لا يقرر هذا من عنده، ولا يتوقعه توقعًا، فهو لا يعلم الغيب وإنما سمع هذا من رسول الله ﷺ ووعاه وحفظه كما سمعه، ولهذا يعلق على كلامه لعمر قائلاً: إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط، أى حدثته حديثًا صحيحًا صادقًا، لا أغاليط ولا أكاذيب فيه، لأننى سمعته من رسول الله ﷺ، ثم إن عمر رضى الله عنه يعلم الحقيقة التى أخبره بها حذيفة، فهو يعلم أن خلافته باب منيع يمنع تدفق الفتن على المسلمين، وأن الفتن لن تغزو المسلمين أثناء خلافته وعهده وحياته[2]، وكان عمر رضى الله عنه يعلم من رسول الله ﷺ، أنه سيقتل قتلاً، وسيلقى الله شهيداً، قال أنس بن مالك رضى الله عنه: صعد رسول الله جبل أحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل بهم، فضربه رسول الله ﷺ برجله، وقال له: اثبت أُحُد: فإنما عليك نبىّ، وصديق، وشهيدان[3].

١ - دعاء عمر فى آخر حجة له سنة ٢٣:

عن سعيد بن المسيب: أن عمر رضى الله عنه لما نفر من منى أناخ بالأبطح فكوم كومة من بطحاء، فألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء فقال: اللهم كبرت سنى، وضعفت قوتى، وانتشرت رعيتى، فاقبضنى غير مضيع، ولا مفرط، ثم قدم المدينة[4].

---

(١) البخارى، ك الفتن رقم ٧٠٩٦.

(٢) الخلفاء الراشدون للخالدى ص (٧٩).

(٣) البخارى ك المناقب رقم (٣٦٧٥).

(٤) تاريخ المدينة وإسناده صحيح إلى سعيد بن المسيب (٣/ ٨٧٢).

٢ - طلب الفاروق للشهادة:

عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد نبيك، وجاء فى رواية: اللهم قتلا فى سبيلك ووفاة فى بلد نبيك، فقال عمر رضى الله عنه: وأنى يكون ذلك؟ قال: يأتى به الله إذا شاء[١]. وقد علق الشيخ يوسف بن الحسن بن عبدالهادى على طلب عمر للشهادة فقال: وتمنى الشهادة مستحب، وهو مخالف لتمنى الموت، فإن قيل: ما الفرق بينهما؟ قيل: تمنى الموت، طلب تعجيل الموت قبل وقته، ولا يزيد الإنسان عمره إلا خيرا، وتمنى الشهادة هو أن يطلب أن يموت عند انتهاء أجله شهيدا، فليس فيه طلب تقديم الموت عن وقته، وإنما فيه طلب فضيلة فيه[٢].

٣ - رؤيا عوف بن مالك الأشجعى:

قال عوف بن مالك الأشجعى: رأيت سببًا[٣] تدلى من السماء، وذلك فى إمارة أبى بكر رضى الله عنه وأن الناس تطاولوا له، وأن عمر فضلهم بثلاثة أذرع، قلت: وما ذاك؟ قال: لأنه خليفة من خلفاء الله تعالى فى الأرض، وأنه لا يخاف لومة لائم وأنه يقتل شهيدا، قال: فغدوت على أبى بكر فقصصتها عليه فقال: يا غلام انطلق إلى أبى حفص فادعه لى، فلما جاء قال: يا عوف اقصصها عليه كما رأيتها، فلما أتيت أنه خليفة من خلفاء الله تعالى قال عمر: أكل هذا يرى النائم؟ قال: فقصها[٤] عليه، فلما ولى عمر أتى الجابية، وإنه ليخطب فدعانى فأجلسنى، فلما فرغ من الخطبة قال: قص علىَّ رؤياك. فقلت له: ألست قد جبهتنى[٥] عنها؟ قال: قد خدعتك أيها الرجل[٦]، وجاء فى رواية: قال: أو لم تكذب بها؟ قال: لا ولكنى استحييت من أبى بكر، فقصها علىَّ[٧]،

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٣١) إسناده حسن، تاريخ المدينة (٣/ ٨٧٢).

(٢) محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٣/ ٧٩١).

(٣) سببا: أى حبلا، النهاية (٢/ ٣٢٩).

(٤) محض الصواب (٣/ ٨٦٩).

(٥) جبهه: كمنعه.

(٦) تاريخ المدينة (٣/ ٨٦٨، ٨٦٩)، إسناده حسن فيه عبدالرحمن بن المسعودى. صدوق اختلط قبل موته التقريب رقم (٣٩١٩).

(٧) الطبقات (٣/ ٣٣١)، محض الصواب (٣/ ٨٦٨).

فلما قصصتها، قال: أما الخلافة فقد أوتيت ما ترى، وأما أن لا أخاف فى الله لومة لائم، فإنى أرجو أن يكون قد علم ذلك منى، وأما أن أقتل شهيدا، فأنى لى بالشهادة وأنا فى جزيرة العرب(١).

٤ - رؤيا أبى موسى الأشعرى حول وفاة عمر:

قال أبو موسى الأشعرى قال: رأيت كأنى أخذت جوادا كثيرا فجعلت تضمحل حتى بقيت واحدة، فأخذتها فانتهيت إلى جبل زلق، فإذا رسول الله ﷺ إلى جنبه أبو بكر، وإذا هو يومئ إلى عمر أن تعال، فقلت: ألا تكتب بها إلى عمر؟ فقال: ما كنت لأنعى له نفسه(٢).

٥ - آخر خطبة جمعة لعمر فى المدينة:

وقد ذكر عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه بعض ما قاله عمر فى خطبة الجمعة ٢١ ذى الحجة ٢٣ هـ وهى آخر خطبة له، وقد ذكرت ما قاله عبدالرحمن بن عوف من الخطبة عند حديثى عن كيفية استخلاف أبى بكر الصديق فى كتابى الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق، وقد أخبر عمر نفسه المسلمين عن رؤيا رآها، وعبرها لهم قال فى نفس الخطبة: إنى رأيت رؤيا، لا أراها إلا حضور أجلى. رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين!!! وإن قوما يأمروننى أن استخلف وأعين الخليفة من بعدى!! وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، ولا الذى بعث به نبيه، فإن عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض(٣)!

٦ - اجتماع عمر مع حذيفة قبل طعنه:

قبل استشهاد الفاروق بأربعة أيام أى يوم الأحد ٢٣ ذى الحجة قابل الصحابيين حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف رضى الله عنهما، وكان قد وظف حذيفة ليقدر خراج الأرض التى تسقى بماء نهر دجلة، ووظف سهل بن حنيف ليقدر خراج الأرض التى تسقى بماء نهر الفرات، وقال لهما: كيف فعلتما؟ أخاف أن تكونا قد حملتما

---

(١) محض الصواب (٣/٨٦٩).

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/٣٣٢) إسناده صحيح.

(٣) الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد رقم (٨٩) إسناده صحيح.

الأرض ما لا تطيق، قالا: حملناها أمرا هى له مطيقة. فقال عمر: لئن سلمنى الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبدا، ولكنه طعن فى اليوم الرابع من هذه المحاورة بينه وبينهما(١).

٧ - منع الفاروق للسبايا من الإقامة فى المدينة:

كان عمر رضى الله عنه لا يأذن للسبايا فى الأقطار المفتوحة بدخول المدينة المنورة، عاصمة دولة الخلافة، فكان يمنع مجوس العراق وفارس، ونصارى الشام ومصر من الإقامة فى المدينة إلا إذا أسلموا ودخلوا فى هذا الدين، وهذا الموقف يدل على حكمته وبعد نظره، لأن هؤلاء القوم المغلوبين المنهزمين حاقدون على الإسلام، مبغضون له، مهيأون للتآمر والكيد ضد الإسلام والمسلمين، ولذلك منعهم من الإقامة فيها لدفع الشرٍّ عن المسلمين، ولكنّ بعض الصحابة رضى الله عنهم كان لهم عبيد ورقيق من هؤلاء السبايا النصارى أو المجوس، وكان بعضهم يلحُّ على عمر أن يأذن لبعض عبيده ورقيقه من هؤلاء المغلوبين بالإقامة فى المدينة، ليستعين بهم فى أموره وأعماله، فأذن عمر لبعضهم بالإقامة فى المدينة، على كره منه ووقع ما توقَّعه عمر، وما كان حذّر منه(٢).

ثانيًا: مقتل عمر وقصة الشورى:

١ - مقتل عمر رضى الله عنه:

قال عمرو بن ميمون: إنى لقائم(٣) ما بينى، وبينه إلا عبدالله بن عباس، غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين، قال استووا، فإذا استووا، تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلنى - أو أكلنى - الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرْنسًا(٤)، فلما ظنّ العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف فقدّمه - للصلاة بالناس - فمن يلى عمر، فقد

---

(١) الخلفاء الراشدون للخالدى ص (٨٢)، البخارى رقم (٣٧٠٠).

(٢) الخلفاء الراشدون للخالدى ص (٨٣).

(٣) إنى لقائم: أى: فى الصف ينتظر صلاة الفجر.

(٤) البُرْنس: نوع من الثياب يشبه الجلباب.

رأى الذى أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرُون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال عمر: يا ابن عباس، انظر من قتلنى، فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصَّنَع[١]، قال: نعم، قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذى لم يجعل منيّتى بيد رجل يدّعى الإسلام قد كنت أنت وأبوك يريد العباس، وابنه عبدالله تحبّان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال عبدالله: إن شئت فعلت، أى: إن شئت قَتَلنا. قال: كذبت – أى: أخطأت – بعدما تكلموا بلسانكم، وصلّوا قبلتكم، وحجوا حجّكم، فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فأتى بنبيذ[٢] فشربه، فخرج من جوفه، ثُم أتى بلبن فشربه فخرج من جُرْحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه.. وقال: يا عبدالله بن عمر انظر ما علىّ من الدَّين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر، فأدّه من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف أموالهم، فسل فى قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدّ عنى هذا المال، وانطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل، يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يبقى مع صاحبيه.. فسلّم عبدالله بن عمر، واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السَّلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه به اليوم على نفسى، فلما أقبل، قيل: هذا عبدالله بن عمر قد جاء، قال: ارفعونى، فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلىَّ من ذلك.. فإذا أنا قضيت فاحملنى ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذن لى فأدخلونى، وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين، قال: فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشى، فسلم عبدالله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت عائشة: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه[٣]، وجاءت روايات أخرى فصلت

---

(١) الصَّنَع: يشير إلى غلام المغيرة بن شعبة، أبو لؤلؤة، فيروز.

(٢) المراد بالنبيذ المذكور، تمرة نبذت فى ماء، أى نقعت فيه، كانوا يفعلون ذلك، لاستعذاب الماء.

(٣) البخارى، ك المناقب رقم (٣٧٠٠).

بعض الأحداث التى لم تذكرها رواية عمرو بن ميمون قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن عمر رضى الله عنه عنه طعن فى السحر، طعنه أبو لؤلوة غلام المغيرة بن شعبة، وكان مجوسيا[١]، وقال أبو رافع رضى الله عنه: كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء[٢]، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقى أبو لؤلؤة عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل على غلتى، فكلمه أن يخفف عنى فقال عمر: اتق الله، وأحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه يخفف عنه، فغضب العبد، وقال: وسع كلهم عدله غيرى؟! فأضمر على قتله، فاصطنع خنجرا له رأسان، وشحذه، وسمه، ثم أتى به الهرمزان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب به أحدا إلا قتلته. قال: فتحين أبو لؤلؤة عمر، فجاءه فى صلاة الغداة حتى قام وراء عمر، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم يقول: أقيموا صفوفكم، فقال كما كان يقول: فلما كبر، وجأه[٣] أبو لؤلؤة وجأة فى كتفه، ووجأة فى خاصرته، فسقط عمر[٤]، قال عمرو ابن ميمون رحمه الله: سمعته لما طعن يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]

٢ - ابتكاره طريقة جديدة فى اختيار الخليفة من بعده:

استمر اهتمام الفاروق عمر رضى الله عنه بوحدة الأمة ومستقبلها، حتى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهى بلا شك لحظات خالدة، تجلى فيها إيمان الفاروق العميق وإخلاصه وإيثاره[٥]، وقد استطاع الفاروق فى تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها فى اختيار الخليفة الجديد وكانت دليلا ملموسا، ومعلما واضحا على فقهه فى سياسة الدولة الإسلامية، لقد مضى قبله الرسول ﷺ ولم يستخلف بعده أحدا بنص صريح، ولقد مضى أبو بكر الصديق واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة، ولما طلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر فى الأمر مليا وقرر أن يسلك مسلكا آخر يتناسب مع المقام؛

---

(١) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (٣٦٩).

(٢) الأرحاء، جمع رحا وهى التى يطحن بها.

(٣) وجأه بالسكين: ضربه.

(٤) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (٣٧٠).

(٥) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى ص (١٦١).

فرسول الله ﷺ ترك الناس وكلهم مقر بأفضلية أبى بكر وأسبقيته عليهم فاحتمال الخلاف كان نادرا، وخصوصا أن النبى ﷺ وجه الأمة قولا وفعلا إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده، والصديق لما استخلف عمر كان يعلم أن عند الصحابة أجمعين قناعة بأن عمر أقوى وأقدر وأفضل من يحمل المسئولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر(١)، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد فتعتمد على جعل الشورى فى عدد محصور، فقد حصر ستة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم بدريون وكلهم توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وكلهم يصلحون لتولى الأمر ولو أنهم يتفاوتون وحدد لهم طريقة الانتخاب ومدته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة وحدد الحكم في المجلس والمرجح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات فى المجلس وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل أو يسمع ما يدور فى مجلس أهل الحل والعقد(٢)، وهذا بيان ما أجمل فى الفقرات السابقة:

أ - العدد الذى حدده للشورى وأسماؤهم:

أما العدد فهو ستة وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم جميعا. وترك سعيد بن زيد بن نفيل وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلته بنى عدى(٣).

ب - طريقة انتخاب الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا فى بيت أحدهم ويتشاوروا وفيهم عبدالله بن عمر يحضرهم مشيرا فقط وليس له من الأمر شيء، ويصلى بالناس أثناء التشاور صهيب الرومى، وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة الأنصارى أن يرقبا سير الانتخابات(٤).

(١) أوليات الفاروق ص (١٢٢).

(٢) المصدر نفسه ص (١٢٤).

(٣) البداية والنهاية (٧/١٤٢).

(٤) أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة ص (٦٤٨).

جـ- مدة الانتخابات أو المشاورة:

حددها الفاروق رضى الله عنه بثلاثة أيام وهى فترة كافية، وإن زادوا عليها فمعنى ذلك أن شقة الخلاف ستتسع ولذلك قال لهم: لا يأتى اليوم الرابع إلا وعليكم أمير(١).

د- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

لقد أمرهم بالاجتماع والتشاور وحدد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل وأبى أحدهم فليضرب رأسه بالسيف، وإن اجتمع أربعة وفرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما(٢).

وهذه من الروايات التى لاتصح سندا فهى من الغرائب التى ساقها أبو مخنف مخالفا فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصحابة رضى الله عنهم، فما ذكره أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم - أى أهل الشورى - فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما(٣): فهذا قول منكر وكيف يقول عمر رضى الله عنه هذا وهو يعلم أنهم هم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذى اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم(٤). وقد ورد عن ابن سعد أن عمر قال للأنصار: أدخلوهم بيتا ثلاثة أيام فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم(٥)، وهذه الرواية منقطعة وفى إسنادها (سماك بن حرب) وهو ضعيف وقد تغير بآخره(٦).

والصحيح فى هذا ما أخرجه ابن سعد بإسناد رجاله ثقات أن عمر رضى الله عنه قال لصهيب: صل بالناس ثلاثا وليخل هؤلاء الرهط فى بيت فإذا اجتمعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه(٧)، فعمر رضى الله عنه أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/٣٦٤).
(٢، ٣) تاريخ الطبرى (٥/٢٢٦).
(٤) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى د. يحيى اليحيى ص(١٧٥).
(٥) الطبقات (٣/٣٤٢).
(٦) مرويات أبى مخنف من تاريخ الطبرى ص (١٧٦).
(٧) الطبقات (٣/٣٤٢).

الرهط ويشق عصا المسلمين ويفرق بينهم، عملا بقوله ﷺ : **«من أتاكم وأمركم جميع، على رجل واحد منكم، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»**(١).

هـ - الحكم في حال الاختلاف:

لقد أوصى عمر بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبدالله ابن عمر فأي الفريقين حكم له، فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، ووصف عبدالرحمن بن عوف بأنه مسدد رشيد فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبدالرحمن بن عوف مسدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه(٢).

و - جماعة من جنود الله تراقب الانتخابات وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاري وقال له: يا أبا طلحة إن الله عز وجل أعز الإسلام بكم فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم(٣)، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم(٤).

هكذا ختم حياته -رضي الله عنه- ولم يشغله ما نزل به من البلاء ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظامًا صالحًا للشورى لم يسبقه إليه أحد، ولا يشك أن أصل الشورى مقرر في القرآن والسنة القولية والفعلية، وقد عمل بها رسول الله - ﷺ - وأبو بكر ولم يكن عمر مبتدعًا بالنسبة للأصل، ولكن الذي عمله عمر هو تعيين الطريقة التي يختار بها الخليفة، وحصر عدد معين جعلها فيهم وهذا لم يفعله الرسول ﷺ ولا الصديق - رضي الله عنه - بل أول من فعل ذلك عمر ونعم ما فعل، فقد كانت أفضل الطرق المناسبة لحال الصحابة في ذلك الوقت(٥).

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٢).

(٢، ٣، ٤) تاريخ الطبري (٥ / ٢٢٥).

(٥) أوليات الفاروق السياسة ص (١٢٧).

ثالثًا : وصية عمر رضى الله عنه للخليفة الذى بعده :

أوصى الفاروق عمر – رضى الله عنه – الخليفة الذى سيخلفه فى قيادة الأمة بوصية مهمة قال فيها : أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً؛ أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء العدو، وجباة الفىء، لا تحمل منهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشى أموالهم فترد على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمة خيراً، أن تقاتل من وراءهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم للمؤمنين طوعًا، أو عن يد وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله، والحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس، ولا تخشى الناس فى الله، وأوصيك بالعدل فى الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورك، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فإن فى ذلك بإذن الله سلامة قلبك، وحطًا لوزرك، وخيراً فى عاقبة أمرك حتى تفضى فى ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك، وآمرك أن تشتد فى أمر الله، وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك فى أحد الرأفة، حتى تنتهك منه مثل جرمه، واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق، ولا تأخذك فى الله لومة لائم، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء على المؤمنين، فتجور وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك،وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط لك اقترفت به إيمانًا ورضوانًا، وإن غلبك الهوى اقترفت به غضب الله، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذّمة، وقد أوصيتك، وخصصتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى، فإن عملت بالذى وعظتك، وانتهيت إلى الذى أمرتك أخذت منه نصيبًا وافراً وحظًا وافيًا، وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمك، ولم تترك معاظم الأمور عند الذى يرضى به الله عنك، يكن ذلك بك انتقاصًا، ورأيك فيه مدخولاً، لأن الأهواء مشتركة، ورأس الخطيئة إبليس داع إلى كل مهلكة، وقد أضل القرون السالفة قبلك، فأوردهم النار وبئس المورود، وبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله، الداعى إلى معاصيه، ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات، وكن واعظًا لنفسك، وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت

عالمهم، ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلّها فتفقرهم، ولا تجمّرهم فى البعوث فينقطع نسلهم ولا يجعل المال دُولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم، هذه وصيتى إليك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام[1].

هذه الوصية تدل على بعد نظر عمر فى مسائل الحكم والإدارة، وتفصح عن نهج ونظام حكم وإدارة متكامل[2]، فقد تضمنت الوصية أموراً غاية فى الأهمية، فحق أن تكون وثيقة نفسية، لما احتوته من قواعد ومبادئ أساسية للحكم متكاملة الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية يأتى فى مقدمتها:

١ - الناحية الدينية: وتضمنت:

أ - الوصية بالحرص الشديد، على تقوى الله، والخشية منه فى السر والعلن، فى القول والعمل، لأن من اتقى الله وقاه ومن خشيه صانه وحماه (أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له) (وأوصيك بتقوى الله والحذر منه.. وأوصيك أن تخشى الله).

ب - إقامة حدود الله على القريب والبعيد (لا تبال على من وجب الحق) (ولا تأخذك فى الله لومة لائم) لأن حدود الله نصت عليها الشريعة فهى من الدين، ولأن الشريعة حجة على الناس، وأعمالهم وأفعالهم تقاس بمقتضاها، وأن التغافل عنها إفساد للدين والمجتمع.

ج - الاستقامة (استقم كما أمرت) وهى من الضرورات الدينية والدنيوية التى يجب على الحاكم التحلى بها قولاً وعملا أولاً ثم الرعية (كن واعظًا لنفسك) (وابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة).

٢ - الناحية السياسية: وتضمنت:

أ - الالتزام بالعدل، لأنه أساس الحكم، وإن إقامته بين الرعية تحقيق للحكم قوة وهيبة ومتانة سياسية واجتماعية، وتزيد من هيبة واحترام الحاكم فى نفوس الناس (وأوصيك بالعدل) (واجعل الناس عندك سواء).

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/٣٣٩)، البيان والتبيين للجاحظ (٢/٤٦)، جمهرة خطب العرب (١/٢٦٣ - ٢٦٥)، الكامل فى التاريخ (٢/ ٢١٠)، الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى ص (١٧١، ١٧٢).

(٢) الإدارة الإسلامية فى عصر عمر بن الخطاب ص (٣٨١).

ب - العناية بالمسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار لسابقتهم فى الإسلام، ولأن العقيدة وما أفرزته من نظام سياسى، قام على أكتافهم، فهم أهله وحملته وحماته (وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً، أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم).

٣ - الناحية العسكرية: وتضمنت:

أ - الاهتمام بالجيش وإعداده إعداداً يتناسب وعظم المسئولية الملقاة على عاتقه لضمان أمن الدولة وسلامتها، والعناية بسد حاجات المقاتلين (التفرغ لحوائجهم وثغورهم).

ب - تجنب إبقاء المقاتلين لمدة طويلة فى الثغور بعيداً عن عوائلهم وتلافياً لما قد يسبب ذلك من ملل وقلق وهبوط فى المعنويات، فمن الضرورى منحهم إجازات معلومة فى أوقات معلومة يستريحون فيها ويجددون نشاطهم خلالها، من جهة، ويعودون إلى عوائلهم لكى لا ينقطع نسلهم من جهة ثانية (ولا تجمرهم فى الثغور فينقطع نسلهم) (وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء العدو).

ج - إعطاء كل مقاتل ما يستحقه من فىء وعطاء، وذلك لضمان مورد ثابت له ولعائلته يدفعه إلى الجهاد، ويصرف عنه التفكير فى شئونه المالية (ولا تستأثر عليهم بالفىء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم).

٤ - الناحية الاقتصادية والمالية: وتضمنت:

أ - العناية بتوزيع الأموال بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم، وتلافى كل ما من شأنه تجميع الأموال عند طبقة منهم دون أخرى (ولا تجعل الأموال دولة بين الأغنياء منهم).

ب - عدم تكليف أهل الذمة فوق طاقاتهم إن هم أدوا ما عليهم من التزامات مالية للدولة (ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين).

ج - ضمان الحقق المالية للناس وعدم التفريط بها، وتجنب فرض ما لا طاقة لهم به (ولا تحمل منهم إلا عن فضل منهم) (أن تأخذ حواشى أموالهم فترد على فقرائهم)[١].

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى ص (١٧٤، ١٧٥).

٥ - الناحية الاجتماعية: وتضمنت:

أ - الاهتمام بالرعية، والعمل على تفقد أمورهم وسد احتياجاتهم وإعطائهم حقوقهم من فئ وعطاء (ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها).

ب - اجتناب الأثرة والمحاباة واتباع الهوى، لما فيها من مخاطر تقود إلى انحراف الراعى، وتؤدى إلى فساد المجتمع واضطراب علاقاته الإنسانية (وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله) (ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم).

ج - احترام الرعية وتوقيرها والتواضع لها، صغيرها وكبيرها، لما فى ذلك من سمو فى العلاقات الاجتماعية، تؤدى إلى زيادة تلاحم الرعية بقائدها وحبها له (وأناشدكم الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم).

د - الانفتاح على الرعية، وذلك بسماع شكاواهم، وانصاف بعضهم من بعض، وبعكسه تضطرب العلاقات بينهم ويعم الارتباك فى المجتمع (ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم).

هـ - اتباع الحق، والحرص على تحقيقه فى المجتمع، وفى كل الظروف والأحوال، لكونه ضرورة اجتماعية لابد من تحقيقها بين الناس، (ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات) (واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق).

و - اجتناب الظلم بكل صوره وأشكاله، خاصة مع أهل الذمة، لأن العدل مطلوب إقامته بين جميع رعايا الدولة مسلمين وذميين، لينعم الجميع بعدل الإسلام (وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة).

ز - الاهتمام بأهل البادية ورعايتهم والعناية بهم (وأوصيك بأهل البادية خيرا فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام)[١].

ح - وكان من ضمن وصية عمر لمن بعده: ألا يقر لى عامل أكثر من سنة، وأقروا الأشعرى أربع سنين[٢].

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى ص (١٧٣ - ١٧٥).

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص (١٠٢).

رابعًا: اللحظات الأخيرة:

هذا ابن عباس رضى الله عنه يصف لنا اللحظات الأخيرة فى حياة الفاروق حيث يقول: دخلت على عمر حين طعن، فقلت: أبشر بالجنة، يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ولم يختلف فى خلافتك اثنان، وقتلت شهيدا، فقال عمر: أعد علىَّ، فأعدت عليه، فقال: والله الذى لا إله إلا هو، لو أن لى ما فى الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع(١)، وجاء فى رواية البخارى، أما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإن ذلك من الله جل ذكره منَّ به علىَّ، وأما ما ترى من جزعى فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه(٢).

لقد كان عمر رضى الله عنه يخاف هذا الخوف العظيم من عذاب الله تعالى مع أن النبى ﷺ شهد له بالجنة، ومع ما كان يبذل من جهد كبير فى إقامة حكم الله والعدل والزهد والجهاد، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وإن فى هذا لدرسا بليغا للمسلمين عامة فى تذكر عذاب الله الشديد وأهوال يوم القيامة(٣).

وهذا عثمان رضى الله عنه يحدثنا عن اللحظات الأخيرة فى حياة الفاروق فيقول: أنا آخركم عهدا بعمر، دخلت عليه، ورأسه فى حجر ابنه عبدالله بن عمر فقال له: ضع خدى بالأرض، قال: فهل فخذى والأرض إلا سواء؟ قال: ضع خدى بالأرض لا أم لك، فى الثانية أو فى الثالثة، ثم شبك بين رجليه، فسمعته يقول: ويلى، وويل أمى إن لم يغفر الله لى، حتى فاضت(٤) روحه، فهذا مثلٌ مما كان يتصف به أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه من خشية الله تعالى، حتى كان آخر كلامه الدعاء على نفسه بالويل إن لم يغفر الله جل وعلا له، مع أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولكن من كان بالله أعرف كان من الله أخوف، وإصراره على أن يضع ابنه خده على الأرض من باب إذلال النفس

(١) صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق ص (٣٨٣).

(٢) البخارى، ك فضائل الصحابة، رقم (٣٦٩٢).

(٣) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٣).

(٤) فاضت: خرجت، صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص (٣٨٣).

في سبيل تعظيم الله عز وجل، ليكون ذلك أقرب لاستجابة دعائه، وهذه صورة تبين لنا قوة حضور قلبه مع الله جل وعلا(١).

١- تاريخ موته ومبلغ سنه:

قال الذهبي: استشهد يوم الأربعاء لأربع أو ثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح(٢)، وكانت خلافته عشر سنين ونصفًا وأيامًا(٣)، وجاء في تاريخ أبي زرعة عن جرير البجلي قال: كنت عند معاوية فقال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أبو بكر - رضي الله عنه - وهو ابن ثلاث وستين، وقتل عمر - رضي الله عنه - وهو ابن ثلاث وستين(٤).

٢- غسله والصلاة عليه ودفنه:

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - غسل وكُفِّن، وصلي عليه، وكان شهيدًا(٥)، وقد اختلف العلماء فيمن قتل مظلومًا: هل هو كالشهيد لا يغسل أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه يغسل، وهذا حجة لأصحاب هذا القول(٦).

والثاني: لا يغسل ولا يصلى عليه، والجواب من قصة عمر أن عمر عاش بعد أن ضُرب وأقام مدة، والشهيد حتى شهيد المعركة لو عاش بعد أن ضرب حتى أكل وشرب أو طال مقامه فإنه يُغسل، ويصلى عليه، وعمر طال مقامه حتى شرب الماء، وما أعطاه الطبيب، فلهذا غسل وصُلي عليه رضي الله عنه(٧).

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٩/٤٤، ٤٥).

(٢) في التهذيب ق ١٧٧/ب نقلاً عن محض الصواب (٣/٨٤٠).

(٣) سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني (١/١٦٠).

(٤) مسلم، فضائل الصحابة رقم (٢٣٥٢)، محض الصواب (٣/٨٤٣).

(٥) الطبقات (٣/٣٦٦) إسناده صحيح.

(٦) الإنصاف للمرداوي (٢/٥٠٣) محض الصواب (٣/٨٤٤).

(٧) محض الصواب (٣/٨٤٥).

٣- من صلى عليه؟

قال الذهبي: صلى عليه صهيب بن سنان[١]، وقال ابن سعد: وسأل على بن الحسين سعيد بن المسيب: من صلى على عمر؟ قال: صهيب، قال: كم كبر عليه؟ قال: أربعًا، وقال: أين صُلى عليه؟ قال: بين القبر والمنبر[٢]، وقال ابن المسيب: نظر المسلمون فإذا صهيب يصلى لهم المكتوبات بأمر عمر رضى الله عنه فقدموه فصلى على عمر[٣]، ولم يقدم عمر رضى الله عنه أحداً من الستة المرشحين للخلافة حتى لا يظن تقديمه للصلاة ترشيحًا له من عمر، كما أن صهيبًا كانت له مكانته الكبيرة عند عمر والصحابة رضى الله عنهم، وقد قال فى حقه الفاروق: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه[٤].

٤- دفنه رضى الله عنه:

قال الذهبي: دفن فى الحجرة النبوية[٥]، وذكر ابن الجوزى عن جابر قال: نزل فى قبر عمر عثمان و سعيد بن زيد، وصهيب، وعبدالله بن عمر[٦]، وعن هشام بن عروة قال: لما سقط عنهم - يعنى قبر النبى ﷺ وأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فى زمن الوليد بن عبدالملك[٧] أخذوا فى بنائه، فبدت لهم قدمٌ، ففزعوا، وظنوا أنها قدم النبى ﷺ فما وجدوا أحداً يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: لا والله ما هى قدم النبى ﷺ ما هى إلا قدم عمر - رضى الله عنه[٨] - وقد مرّ معنا: أن عمر أرسل إلى عائشة - رضى الله عنهما - ائذنى لى أن أُدفن مع صاحبىَّ، فقالت: (أى والله)، وقال هشام ابن عروة بن الزبير: وكان الرجل إذا أرسل إليها - أى عائشة - من الصحابة قالت: لا والله لا أوثرهم بأحد أبداً[٩]، ولا خلاف بين أهل العلم أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر - رضى الله عنهما- فى هذا المكان من المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام[١٠].

---

(١) محض الصواب (٣/٨٤٥).

(٢) الطبقات (٣/٣٦٦) وفى إسناده خالد بن إلياس وهو متروك.

(٣) الطبقات (٣/٣٦٧)، محض الصواب (٣/٨٤٥).

(٤) الفتاوى (١٥/١٤٠).

(٥) محض الصواب (٣/٨٤٦).

(٦) ابن مروان الأموى من خلفاء بنى أمية.

(٧) البخارى، ك الجنائز رقم (١٣٢٦).

(٨) البخارى، ك الاعتصام، رقم (٢٦٧١) رقم (٦٨٩٧).

(٩، ١٠) محض الصوات (٣/٨٤٧).

٥ - ما قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الفاروق:

قال ابن عباس: وُضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يَرُعنى إلا رجل آخذ منكبى، فإذا على بن أبى طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحبّ إلىَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أنى كنت كثيراً أسمع النبى ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»(١).

٦ - أثر مقتله على المسلمين:

كان هول الفاجعة عظيماً على المسلمين، فلم تكن الحادثة بعد مرض ألمَّ بعمر، كما كان يزيد من هولها فى المسجد وعمر يؤم الناس لصلاة الصبح، ومعرفة حال المسلمين بعد وقوع الحدث يطلعنا على أثر الحادث فى نفوسهم، يقول عمرو بن ميمون:.. وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، ويذهب ابن عباس ليستطلع الخبر بعد مقتل عمر ليقول له: إنه ما مرّ بملأ إلا وهم يبكون وكأنهم فقدوا أبكار أولادهم(٢)، لقد كان عمر - رضى الله عنه - معلماً من معالم الهدى، وفارقًا بين الحق والباطل، فكان من الطبيعى أن يتأثر الناس لفقده(٣)، وهذا الأثر يوضح شدة تأثر الناس عليه، فعن الأحنف بن قيس: قال: .. فلما طعن عمر أمر صهيباً أن يصلى بالناس، ويطعمهم ثلاثة أيام حتى يجتمعوا على رجل، فلما وضعت الموائد كف الناس عن الطعام، فقال العباس: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد مات، فأكلنا بعده وشربنا، ومات أبو بكر - رضى الله عنه - فأكلنا، وإنه لا بد للناس من الأكل والشرب، فمد يده فأكل الناس(٤).

وكان عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عندما يُذكر له عمر يبكى حتى تبتل الحصى من دموعه، ثم يقول: إن عمر كان حصناً للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات انثلم الحصن، فالناس يخرجون من الإسلام(٥).

وأما أبو عبيدة بن الجراح، فقد كان يقول قبل أن يُقتل عمر: إن مات عمر رق

---

(١) البخارى، ك المناقب رقم (٣٦٨٥).

(٢، ٣) العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض ص (٤٤).

(٤) محض الصواب (٣/٨٥٥).

(٥) الطبقات الكبرى (٣/٢٨٤).

الإسلام، ما أحب أن لى ما تطلع عليه الشمس أو تغرب وأن أبقى بعد عمر، فقيل له: لم؟ قال: سترون ما أقول إن بقيتم، وأما هو فإن ولى وال بعد فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يطع له الناس بذلك ولم يحملوه، وإن ضعف عنهم قتلوه[١].

خامسًا: أهم الفوائد والدروس والعبر:

١ - التنبيه على الحقد الذى انطوت عليه قلوب الكافرين ضد المؤمنين:

ويدل على ذلك قتل المجوسى أبى لؤلؤة لعمر رضى الله عنه، وتلك هى طبيعة الكفار فى كل زمان ومكان، قلوب لا تضمر للمسلمين إلا الحقد والحسد والبغضاء، ونفوس لا تكن للمؤمنين إلا الشر والهلاك والتلف، ولا يتمنون شيئًا أكثر من ردة المسلمين عن دينهم وكفرهم بعد إسلامهم[٢]، وإن الذى ينظر جيداً فى قصة مقتل عمر - رضى الله عنه - وما فعله المجوسى الحاقد أبو لؤلؤة يستنبط منها أمرين مهمين، يكشفان الحقد الذى أضمره هذا الكافر فى قلبه تجاه عمر، وتجاه المسلمين، وهما:

أ - أنه قد ثبت فى الطبقات الكبرى لابن سعد بسند صحيح إلى الزهرى[٣]، أن عمر رضى الله عنه قال لهذا المجوسى ذات يوم: ألم أحدث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح، فالتفت إليه المجوسى عابسا، لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه، فقال: توعدنى العبد.

ب - الأمر الثانى الذى يدل على الحقد الذى امتلأ به صدر هذا المجوسى أنه لما طعن عمر رضى الله عنه، طعن معه ثلاثة عشر صحابيًا استشهد منهم سبعة.. جاء فى رواية الإمام البخارى قوله: فطار العلج[٤] بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة[٥]، ولو كان عمر - رضى الله عنه - ظالمًا له، فما ذنب بقية الصحابة الذين اعتدى عليهم؟!، ومعاذ الله تعالى أن يكون عمر ظالمًا له، إذ قد ثبت فى رواية البخارى أنه لما طعن رضى الله عنه قال: يا ابن عباس، انظر من قتلنى، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة،

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨٤)، العشرة المبشرون بالجنة ص (٤٤).

(٢) سير الشهداء دروس وعبر، عبد الحميد السحيبانى ص (٣٦).

(٣) الطبقات (٣/ ٣٤٥) إسناده صحيح.

(٤) العلج: الواحد من كفار العجم، والجمع علوج وأعلاج وهو يعنى أبا لؤلؤة.

(٥) البخارى، ك مناقب الصحابة رقم (٣٧٠٠).

قال: الصنع؟ أى: الصانع، قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام[1]، وهذا المجوسى أبو لؤلؤة قام أحبابه أعداء الإسلام ببناء مشهد تذكارى له على غرار الجندى المجهول فى إيران، يقول السيد حسين الموسوى من علماء النجف: واعلم أن فى مدينة كاشان الإيرانية، فى منطقة تسمى (باغى فين) مشهداً على غرار الجندى المجهول، فيه قبر وهمى لأبى لؤلؤة فيروز الفارسى المجوسى، قاتل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، حيث أطلقوا عليه ما معناه بالعربية (مرقد بابا شجاع الدين)، وبابا شجاع الدين هو لقب أطلقوه على أبى لؤلؤة لقتله عمر بن الخطاب، وقد كتب على جدران هذا المشهد بالفارسى: (مرك بر أبو بكر، مرك بر عمر، مرك بر عثمان) ومعناه بالعربية: الموت لأبى بكر، الموت لعمر، الموت لعثمان، وهذا المشهد يزار من قبل الشيعة الإيرانيين، وتلقى فيه الأموال، والتبرعات، وقد رأيت هذا المشهد بنفسى، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت بتوسيعه وتجديده، وفوق ذلك قاموا بطبع صورة على المشهد على كارتات تستخدم لإرسال الرسائل والمكاتيب[2].

٢ - بيان الانكسار والخشية والخوف التى تميز بها عمر رضى الله عنه:

ومما يدل على هذا الخوف الذى سيطر على قلب عمر رضى الله عنه قبيل استشهاده قوله لما علم أن الذى طعنه هو المجوسى أبو لؤلؤة: الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام[3]، فإنه رغم العدل الذى اتصف به عمر رضى الله عنه، والذى اعترف به القاصى والدانى، والعربى والعجمى، إلا أنه كان خائفًا أن يكون قد ظلم أحداً من المسلمين، فانتقم منه بقتله، فيحاجه عند الله تعالى، كما تدل على ذلك رواية ابن شهاب: أن عمر قال: الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط، وكما تدل عليه كذلك رواية مبارك بن فضالة، يحاجنى بقول: لا إله إلا الله[4]، وهذه عجيبة من عجائب هذا الإمام الربانى، ينبغى أن يتربى عليها الدعاة والمصلحون وأن يكون الانكسار علامة من أكبر علاماتهم حتى ينفع الله تعالى بهم، كما نفع

---

(١) البخارى، ك المناقب رقم (٣٧٠٠).

(٢) لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ص ٩٤.

(٣) البخارى، ك المناقب رقم (٣٧٠٠).

(٤) سير الشهداء دروس وعبر ص ٤٠.

بأسلافهم كعمر – رضى الله عنه – وليكن مقال الجميع قول القائل:

واحسرتى، واشقوتى	من يوم نشر كتابيه
واطول حزنى إن أكن	أوتيته بشماليه
وإذا سئلت عن الخطا	ماذا يكون جوابيه؟
واحر قلبى أن يكون	مع القلوب القاسية
كلا ولا قدمت لى	عملا ليوم حسابيه
بل إننى لشقاوتى	وقساوتى وعذابيه
بارزت بالزلات فى	أيام دهر خاليه
من ليس يخفى عنه من	قبح المعاصى خافيه[1]

٣ – التواضع الكبير عند الفاروق والإيثار العظيم عند السيدة عائشة:

أ – التواضع الكبير عند الفاروق رضى الله عنه:

وقد دل عليه من قصة استشهاده قوله لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً[٢]، ويدل عليه كذلك قوله لابنه لما أذنت عائشة بدفنه إلى جنب صاحبيه: فإذا أنا قضيت فاحملونى، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين[٣]، فرحم الله عمر – رضى الله عنه –، ورزقنا خلقًا من خلقه، وتواضعا من تواضعه، وجزاه خير ما يجزى به الأتقياء المتواضعين، إن ربى قريب مجيب[٤].

ب – الإيثار العظيم عند السيدة عائشة رضى الله عنها:

ومما يدل على الإيثار عند السيدة عائشة أنها رضى الله عنها كانت تتمنى أن تدفن

---

(١) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص (١٢١، ١٢٢).

(٢، ٣) البخارى، المناقب رقم (٣٧٠٠).

(٤) سير الشهداء ص (٤١).

بجوار زوجها ﷺ، وأبيها أبي بكر، فلما استأذنها عمر لذلك أذنت وآثرته على نفسها وقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه اليوم على نفسي[1].

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو على فراش الموت:

إن اهتمام الفاروق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يتخل عنه حتى وهو يواجه الموت بكل آلامه وشدائده، ذلك أن شابًا دخل عليه لما طعن، فواساه، وقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال - أي عمر -: وددت أن ذلك كفاف، لا عليَّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا على الغلام، قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك[2]، وهكذا لم يمنعه - رضي الله عنه - ما هو فيه من الموت عن الأمر بالمعروف، ولذا قال ابن مسعود - رضي الله عنه - فيما رواه عمر بن شبة: يرحم الله عمر لم يمنعه ما كان فيه من قول الحق[3]، ومن عنايته الفائقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الحالة أيضًا، لما دخلت عليه حفصة - رضي الله عنها - فقالت: يا صاحب رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين، فقال عمر لابن عمر رضي الله عنهما: يا عبد الله: أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع، فأسنده إلى صدره، فقال لها: إني أحرج عليك[4] بما لي عليك من الحق أن تندبيني[5]، بعد مجلسك هذا، فأما عينك فلن أملكها[6]، وعن أنس بن مالك قال: لما طُعن عمر صرخت حفصة فقال عمر: يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن المعول عليه يعذب؟ وجاء صهيب فقال: واعمراه، فقال: ويلك يا صهيب أما بلغك أن المعول عليه يعذب[7]، ومن شدته في الحق رضي الله حتى بعد طعنه وسيلان الدم منه فعندما قال له رجل: استخلف عبد الله بن عمر، قال: والله ما أردت الله بهذا[8].

(١، ٢) البخاري، ك المناقب رقم (٣٧٠٠).

(٣) فتح الباري (٧/ ٦٥)، سير الشهداء ص (٤٢).

(٤) احرج عليك: احرج الشيء على فلان أي حرمه عليه.

(٥) تندبيني: من الندب: أن تذكر النائحة الميت بأحسن أوصافه.

(٦) مناقب أمير المؤمنين ص (٢٣٠)، الحسبة د. فضل إلهي ص (٢٧).

(٧) فضائل الصحابة أحمد بن حنبل (١/ ٤١٨) إسناده صحيح.

(٨) سير الشهداء ص (٤٣).

٥ – جواز الثناء على الرجل بما فيه إذا لم تُخش عليه الفتنة:

كما هو الحال هنا مع عمر – رضى الله عنه –، إذ أثنى عليه من قبل بعض الصحابة لأنهم كانوا يعلمون أن الثناء عليه لا يفتنه، قال ابن عباس رضى الله عنهما وهو العالم الربانى والفقيه الكبير: أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز بك الدين والمسلمين؛ إذ يخافون بمكة، فلما أسلمت كان إسلامك عزا وظهر بك الإسلام..، وأدخل الله بك على كل أهل بيت من توسعتهم فى دينهم، وتوسعتهم فى أرزاقهم، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئًا لك، وهكذا لم تؤثر هذه الكلمات فى قلب عمر شيئًا، ولم يفرح بها، ولذا رد على ابن عباس قائلاً: والله إن المغرور من تغرونه[١].

٦ – حقيقة موقف كعب الأحبار من مقتل عمر رضى الله عنه:

كعب الأحبار هو كعب بن مانع الحميرى، كنيته أبو إسحاق، واشتهر بكعب الأحبار، أدرك النبى ﷺ وهو رجل وأسلم فى خلافة عمر، سنة اثنتى عشرة[٢]، وقد اشتهر قبل إسلامه بأنه كان من كبار علماء اليهود فى اليمن، وبعد إسلامه أخذ عن الصحابة الكتاب والسنة، وأخذوا وغيرهم عنه أخبار الأمم الغابرة، خرج إلى الشام، وسكن حمص وتوفى فيها[٣]، وقد اتهم كعب الأحبار فى مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر ا بن الخطاب فقد جاءت رواية فى الطبرى عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه تشير إلى اتهامه فى مقتل عمر جاء فى تلك الرواية:.. ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده فى كتاب الله عز وجل التوراة، قال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟ قال: اللهم لا ولكنى أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك، قال: وعمر لا يحس وجعًا ولا ألما فلما كان من الغد جاءه كعب، فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يوم وليلة؛ وهى لك إلى صبيحتها، قال: فلما كان الصبح، خرج إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت، جاء هو فكبر، قال: ودخل أبو لؤلؤة فى الناس، فى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فضرب عمر ست

---

(١) سير الشهداء دروس وعبر ص (٤٥).

(٢) جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل ص (٢٩٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٤٨٩ – ٤٩٤).

ضربات، إحداهن تحت سرته، وهي التى قتلته(١)، وقد بنى بعض المفكرين المحدثين على هذه الرواية نتيجة، مفادها: اشتراك كعب الأحبار فى مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مثل د. جميل عبد الله المصرى فى كتابه: أثر أهل الكتاب فى الفتن والحروب الأهلية فى القرن الأول الهجرى، وعبد الوهاب النجار فى كتابه: الخلفاء الراشدون، والأستاذ غازى محمد فريج فى كتابه: النشاط السرى اليهودى فى الفكر والممارسة(٢)، وقد رد الدكتور أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبى على الاتهام الموجه لكعب الأحبار فقال: والذى أراه فى هذه القصة المعقدة: أن تلك الرواية، التى رواها الإمام الطبرى رحمه الله تعالى غير صحيحة، لأمور كثيرة من أهمها:

أ - أن هذه القصة لو صحت لكان من المنتظر من عمر رضى الله عنه أن لا يكتفى بقول (كعب)، ولكن لجمع طائفة ممن أسلم من اليهود وله إحاطة بـ(التوراة) مثل عبد الله بن سلام، ويسألهم عن هذه القصة، وهو لو فعل لافتضح أمر (كعب)، وظهر للناس كذبه، ولتبين لعمر رضى الله عنه أنه شريك فى مؤامرة دبرت لقتله، أو أنه على علم بها، وحينئذ يعمل عمر رضى الله عنه على الكشف عنها بشتى الوسائل، وينكل بمدبريها، ومنهم كعب، هذا هو المنتظر من أى حاكم، فضلاً عن عمر رضى الله عنه المعروف بكمال الفطنة، وحدة الذهن، وتمحيص الأخبار لكن شيئًا من ذلك لم يحصل، فكان ذلك دليلاً على اختلاقها(٣).

ب - أن هذه القصة لو كانت فى التوراة، لما اختص بعلمها كعب رحمه الله تعالى وحده، ولشاركه العلم بها كل من له علم بـ(التوراة) من أمثال عبد الله بن سلام رضى الله عنه(٤).

جـ- أن هذه القصة لو صحت أيضًا لكان معناها أن كعبا له يد فى المؤامرة وأنه يكشف عن نفسه بنفسه، وذلك باطل لمخالفته طباع الناس، إذ المعروف أنه من اشترك فى مؤامرة، يبالغ فى كتمانها بعد وقوعها، تفاديًا من تحمل تبعاتها، فالكشف عنها قبل وقوعها لا يكون إلا من مغفل أبله، وهذا خلاف ما كان عليه كعب، من حدة

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/١٨٢، ١٨٣).

(٢) العنصرية اليهودية وآثارها فى المجتمع الإسلامى (٢/٥١٨، ٥١٩).

(٣، ٤) الحديث والمحدثون، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة، محمد أبو زهو ص (١٨٢).

الذهن، ووفرة الذكاء[1].

د - ثم ما لـ (التوراة) وتحديد أعمار الناس؟ إن الله تعالى إنما أنزل كتبه هدى للناس، لا لمثل هذه الأخبار التى لا تعدو أصحابها[2].

هـ - ثم أيضًا هذه التوراة بين أيدينا ليس فيها شيء من ذلك مطلقًا وبعد أن أورد الشيخ محمد محمد أبو زهو[3] تلك الاعتراضات الأربعة الأولى، عقب عليها، بقوله: ومن ذلك كله، يتبين لك أن هذه القصة مفتراة، بدون أدنى اشتباه، وأن رمى كعب بالكيد للإسلام فى شخص عمر، والكذب فى النقل عن التوراة اتهام باطل، لا يستند على دليل أو برهان[4].

ويقول الدكتور محمد السيد حسين الذهبى رحمه الله: ورواية ابن جرير الطبرى للقصة لا تدل على صحتها، لأن ابن جرير كما هو معروف عنه لم يلتزم الصحة فى كل ما يرويه، والذى ينظر فى تفسيره يجد فيه مما لا يصح شيئًا كثيرًا[5]، كما أن ما يرويه فى تاريخه لا يعدو أن يكون من قبل الأخبار التى تحتمل الصدق والكذب، ولم يقل أحد بأن كل ما يروى فى كتب التاريخ[6]، ثابت وصحيح[7]، ثم يتابع قائلاً: ثم إن ما يعرف عن كعب الأحبار من دينه، وخلقه، وأمانته، وتوثيق أكثر أصحاب الصحاح[8] له، يجعلنا نحكم بأن هذه القصة موضوعة عليه، ونحن ننزه كعبًا عن أن يكون شريكًا فى قتل عمر، أو يعلم من يدبر أمر قتله ثم لا يكشف لعمر عنه، كما ننزهه أن يكون كذابًا وضاعًا، يحتال على تأكيد ما يخبر به من مقتل عمر نسبته إلى التوراة وصوغه فى قالب إسرائيلى[9]. إلى أن يقول: اللهم إن كعبًا مظلوم من متهميه، ولا أقول عنه: إلا أنه ثقة مأمون، وعالم استغل اسمه،

---

(١) الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية ص (١٨٢).

(٢، ٣) العنصرية اليهودية (٢/٥٢٤).

(٤) الحديث والمحدثون ص (١٨٣).

(٥، ٦) العنصرية اليهودية (٢/٥٢٥).

(٧) الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص (٩٩).

(٨) المصدر نفسه ص (٩٦).

(٩) المصدر نفسه ص (٩٩).

فنسب إليه روايات معظمها خرافات وأباطيل، لتروج بذلك على العامة، ويتقبلها الأغمار من الجهلة(١).

وأما الدكتور محمد السيد الوكيل فيقول: إن أول ما يواجه الباحث هذا هو موقف عبيد الله بن عمر الذى لم يكد يسمع بما حدث لأبيه حتى يحمل سيفه، ويهيج كالسبع الحرب، ويقتل الهرمزان وجفينة وابنة صغيرة لأبى لؤلؤة؛ أفترى عبيد الله هذا يترك كعب الأحبار والشبهة تحوم حوله، ويقتل ابنة أبى لؤلؤة الصغيرة؟ إن أحداً يبحث الموضوع بحثًا علميًا لا يمكن أن يقبل ذلك، ويضاف إلى ذلك أن جمهور المؤرخين لم يذكروا القصة، بل لم يشيروا إليها، فابن سعد فى الطبقات وقد فصل الحادث تفصيلاً دقيقًا لم يشر قط إلى الحادثة، بل كل ما ذكر عن كعب الأحبار أنه كان واقفًا بباب عمر يبكى ويقول: والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره(٢)، وأنه دخل على عمر بعد أن أخبره الطبيب بدنو أجله فقال: ألم أقل لك إنك لا تموت إلا شهيداً، وأنت تقول: من أين وأنا فى جزيرة العرب(٣)، ويأتى بعد ابن سعد ابن عبد البر فى الاستيعاب فلا يذكر شيئًا قط عن قصة كعب الأحبار(٤)، وأما ابن كثير فيقول: إن وعيد أبى لؤلؤة كان عشية يوم الثلاثاء، وأنه طعنه صبيحة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة(٥)، لم يكن إذن بين التهديد والتنفيذ سوى ساعات معدودات، فكيف ذهب كعب الأحبار إلى عمر، وقال له ما قال: اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام، ثم يقول: مضى يوم وبقى يومان، ثم مضى يومان وبقى يوم وليلة، من أين لكعب هذه الأيام الثلاثة إذا كان التهديد فى الليل والتنفيذ صبيحة اليوم التالى؟ ويتوالى المؤرخون، فيأتى السيوطى فى تاريخ الخلفاء، والعصامى فى سمط النجوم العوالى، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وابنه عبد الله فى كتابيهما مختصرة سيرة الرسول، وحسن إبراهيم حسن فى تاريخ الإسلام السياسى وغيرهم، فلا نجد واحداً منهم يذكر القصة من قريب أو بعيد، أليس هذا دليلاً على أن القصة لم تثبت بصورة تجعل المحقق يطمئن إلى

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص (٩٩).

(٢) الطبقات (٣/ ٣٦١).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٣٤٠).

(٤) جولة فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٩٦).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ١٣٧).

ذكرها هذا إذا لم تكن منتحلة مصنوعة، كاد بها بعض الناس لكعب لينفروا منه المسلمين، وهذا ما تطمئن إليه النفس ويميل إليه القلب، وبخاصة بعد ما عرفنا أن كعبا كان حسن الإسلام، وكان محل ثقة كثير من الصحابة حتى رووا عنه حديث رسول الله ﷺ(١).

٧ - ثناء الصحابة والسلف على الفاروق:

أ - فى تعظيم عائشة رضى الله عنها له بعد دفنه:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أدخل بيتى الذى فيه رسول الله ﷺ وأبى، فلما دفن عمر معهما فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر(٢)، وعن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت: من رأى ابن الخطاب، علم أنه خلق غناء للإسلام، كان والله أحوذيا(٣)، نسيج وحده، قد أعد للأمور أقرانها(٤)، وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: إذا ذكرتم عمر طاب المجلس(٥).

ب- سعيد بن زيد رضى الله عنه:

روى عن سعيد بن زيد أنه بكى عند موت عمر فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: على الإسلام، إن موت عمر ثَلَم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة(٦).

جـ- عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:

قال عبد الله بن مسعود: لو أن علم عمر بن الخطاب وضع فى كفة الميزان، ووضع علم الأرض فى كفة لرجح علم عمر(٧)، وقال أيضًا: إنى لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم(٨).

وقال عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر فتحًا وكانت هجرته نصراً وكانت إمارته

---

(١) جولة فى عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٩٦).

(٢) محض الصواب (٣/٨٥٢).

(٣) الأحوذى: هو الجاد المنكمش فى أموره، الحسن السياق للأمور.

(٤) محض الصواب (٣/٨٥٣) رجاله كلهم ثقات إلا عبد الواحد بن أبى عوف صدوق يخطئ.

(٥) المصدر نفسه (٣/٨٥٣) نقلا عن مناقب أمير المؤمنين ص (٢٤٩).

(٦) الطبقات (٣/٣٧٢)، أنساب الأشراف، الشيخان ص (٣٨٧).

(٧) مصنف بن أبى شيبة (١٢/٣٢) إسناده صحيح.

(٨) المعجم الكبير للطبرانى (٩/١٧٩، ١٨٠) إسناده صحيح.

رحمة[١].

د- قال أبو طلحة الأنصارى: والله ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم وفي دنياهم[٢].

هـ- قال حذيفة بن اليمان: إنما كان مثل الإسلام أيام عمر مثل مقبل لم يزل في إقبال، فلما قتل أدبر فلم يزل في إدبار[٣].

و- عبد الله بن سلام: جاء عبد الله بن سلام رضى الله عنه بعدما صلى على عمر رضى الله عنه فقال: إن كنتم سبقتمونى بالصلاة عليه، فلن تسبقونى بالثناء عليه، ثم قال: نِعم أخو الإسلام كنت يا عمر، جواداً بالحق، بخيلاً بالباطل، ترضى من الرضا وتسخط من السخط، لم تكن مداحا ولا معيابا، طيب العرف[٤]، عفيف الطرف[٥].

ز- العباس بن عبد المطلب: قال العباس بن عبد المطلب: كنت جارا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فما رأيت أحدا من الناس كان أفضل من عمر، إن ليله صلاة، ونهاره صيام، وفي حاجات الناس، فلما توفى عمر سألت الله تعالى أن يرينيه في النوم فرأيته في النوم مقبلا متشحا من سوق المدينة، فسلمت عليه وسلم علىَّ، ثم قلت له: كيف أنت؟ قال: بخير. قلت له: ما وجدت؟ قال: الآن حين فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوى لولا أنى وجدت ربا رحيما[٦].

ح- معاوية بن أبى سفيان: قال معاوية: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن[٧].

ط- على بن الحسين: عن ابن أبى حازم عن أبيه قال: سئل على بن الحسين عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ومنزلتهما من رسول الله قال: كمنزلتهما اليوم، وهما

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى (٩/١٧٨) إسناده ضعيف فيه انقطاع.

(٢) الطبقات (٣/٣٧٤).

(٣) الطبقات (٣/٣٧٣) إسناده صحيح.

(٤) العَرْف: الريح طيبة كانت أو خبيثة.

(٥) الطبقات (٣/٣٦٩).

(٦) تاريخ المدينة (٣/٣٤٥) فيه انقطاع، الحلية (١/٥٤).

(٧) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين للذهبى ص(٢٦٧).

ضجيعاه[1].

ى- قبيصة بن جابر: عن الشعبى قال: سمعت قبيصة بن جابر يقول: صحبت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فما رأيت أقرأ لكتاب الله ولا أفقه فى دين الله، ولا أحسن مدارسة منه[2].

ك- الحسن البصرى: قال الحسن البصرى: إذا أردتم أن يطيب المجلس فأفيضوا فى ذكر عمر[3]، وقال أيضاً: أى أهل بيت لم يجدوا فقده فهم أهل بيت سوء[4].

ل- على بن عبد الله بن عباس: قال: دخلت فى يوم شديد البرد على عبد الملك بن مروان فإذا هو فى قبة باطنها قُوهِىٌّ[5] معصفر، وظاهرها خزاعيز[6]، وحوله أربعة كوانين[7]، قال: فرأى البرد فى تقفقفى[8]، فقال: ما أظن يومنا هذا إلا بارداً. قلت: أصلح الله الأمير، ما يظن أهل الشام أنه أتى عليهم يوم أبرد منه، فذكر الدنيا، وذمها، ونال منها، وقال: هذا معاوية عاش أربعين سنة عشرين أميراً، وعشرين خليفة، لله در ابن حنتمة ما كان أعلمه بالدنيا يعنى عمر رضى الله عنه[9].

٨- آراء بعض العلماء والكتّاب المعاصرين:

أ- قال الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر السابق: لقد كشفت أعمال عمر عن تفوقه السياسى، وبيّنت مواهبه العديدة التى ملكها، وعن عبقريته الخالدة، التى لا تزال تضىء أمامنا الطريق فى العديد من مشكلات الحياة المختلفة فى معالجة القضايا والمشاكل التى واجهته أثناء خلافته[10].

---

(١) محض الصواب (٣/٩٠٨).

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوى (١/٤٥٧) فى إسناده مجالد بن سعيد تغير آخر عمره.

(٣) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى ص ٢٥١، محض الصواب (٣/٩٠٩).

(٤) الطبقات (٣/٣٧٢).

(٥) قوهى: ثياب بيض.

(٦) محض الصواب (٣/٩١١).

(٧) الكانون: الموقد.

(٨) تقفقف: ارتعد من البرد وغيره، أو اضطرب حنكاه واصطكت أسنانه (القاموس) ص(١٠٩٤).

(٩) محض الصواب (٣/٩١١)، ابن الجوزى (٢٥٢).

(١٠) الإدارة فى الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب ص (٣٩١).

ب- قال عباس محمود العقاد: إن هذا الرجل العظيم أصعب من عرفت من عظماء الرجال نقداً ومؤاخذة، ومن مزيد مزاياه أن فرط التمحيص وفرط الإعجاب فى الحكم له أو عليه يلتقيان، وكتابى عبقرية عمر ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التى تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له ودراسة لأطواره، ودلالة على خصائص عظمته واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة.. وعمر يعد رجل المناسبة الحاضرة فى العصر الذى نحن فيه، لأنه العصر الذى شاعت فيه عبادة القوة الطاغية وزعم الهاتفون بدينها أن البأس والحق نقيضان؛ فإذا فهمنا عظيمًا واحداً كعمر بن الخطاب، فقد هدمنا دين القوة الطاغية على أساسه، لأننا سنفهم رجلاً كان غاية فى البأس، وغاية فى العدل، وغاية فى الرحمة.. وهذا الفهم ترياق داء العصر يشفى به من ليس بميئوس الشفاء[1].

جـ- قال الدكتور أحمد شلبى:.. وكان الاجتهاد من أبرز الجوانب فى حياة عمر خلال حقبة خلافته الحافلة بالأحداث، فحفظ الدين، ورفع راية الجهاد، وفتح البلاد، ونشر العدل بين العباد، وأنشأ أول وزارة مالية فى الإسلام، وكون جيشًا نظاميًا للدفاع وحماية الحدود، ونظم المرتبات والأرزاق، ودوَّن الدواوين، وعين الولاة والعمال والقضاة، وأقر النقود للتداول الحياتى، ورتب البريد، وأنشأ نظم الحسبة، وثبت التأريخ الهجرى، وأبقى الأرض المفتوحة دون قسمة، وخطط المدن الإسلامية وبناها، فهو بحق أمير المؤمنين وبانى الدولة الإسلامية[2].

د- قال المستشار على على منصور: إن رسالة عمر فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى قبل أربعة عشر قرنًا من الزمن دستور للقضاء والمتقاضين، وهى أكمل ما وصلت إليه قوانين المرافعات الوضعية وقوانين استقلال القضاء[3].

هـ- اللواء الركن محمود شيت خطاب: وإذا كانت أسباب الفتح الإسلامى كثيرة، فإن على رأس تلك الأسباب ما كان يتمتع به عمر بن الخطاب من سجايا قيادية فذة لا تتكرر فى غيره على مر السنين والعصور إلا نادراً[4].

---

(١) الإدارة فى الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب ص(٣٩٢).

(٢) المصدر نفسه ص (٣٩٢)، التاريخ الإسلامى (١/٦٠٩).

(٣) الإدارة فى الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب ص(٣٩٢).

(٤) المصدر نفسه ص(٣٩٣).

و- الدكتور صبحى المحمصانى : بانقضاء عهد الخليفة الراشد عمر، ينقضى عهد مؤسس الدولة الإسلامية التى وسع رقاعها، وثبت دعائمها، فكان مثال القائد الموجه، والأمير الحازم الحكيم، والراعى المسئول، والحاكم القوى العادل والرفيق الرؤوف، ثم مات ضحية الواجب، وشهيد الصدق والصلاح، فكان مع الصديقين والصالحين من أولياء الله تعالى، وسيبقى اسم عمر بن الخطاب مخلداً ولامعًا فى تاريخ الحضارة والفقه(١).

ز- الشيخ على طنطاوى : أنا كلما ازددت اطلاعًا على أخبار عمر، زاد إكبارى وإعجابى به، ولقد قرأت سير آلاف العظماء من المسلمين وغير المسلمين، فوجدت فيهم من هو عظيم بفكره، ومن هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخلقه، ومن هو عظيم بآثاره، ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها، فكان عظيم الفكر والخُلق والبيان، فإذا أحصيت عظماء الفقهاء والعلماء، ألفيت عمر فى الطليعة، فلو لم يكن له إلا فقهه لكان به عظيمًا، وإن عددت الخطباء والبلغاء كان اسم عمر من أوائل الأسماء، وإن ذكرت عباقرة المشرعين، أو نوابغ القواد العسكريين، أو كبار الإداريين الناجحين، وجدت عمر إماماً فى كل جماعة، وعظيمًا فى كل طائفة، وإن استقريت العظماء الذين بنوا دولاً، وتركوا فى الأرض أثرًا، لم تكد تجد فيهم أجلّ من عمر. وهو فوق ذلك عظيم فى أخلاقه، عظيم فى نفسه(٢).

٩- آراء بعض المستشرقين فى عمر رضى الله عنه :

أ- قال موير فى كتابه الخلافة : كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادئ عمر وأظهر ما اتصف به إدارته عدم التحيز والتعبد، وكان يقدر المسئولية حق قدرها وكان شعوره بالعدل قويًا ولم يحاب أحداً فى اختيار عماله، ومع أنه كان يحمل عصاه ويعاقب المذنب فى الحال حتى قيل إن درة عمر أشد من سيف غيره، إلا أنه كان رقيق القلب وكانت له أعمال سجلت له شفقته، ومن ذلك شفقته على الأرامل والأيتام(٣).

ب- وقالت عنه دائرة المعارف البريطانية : كان عمر حاكمًا عاقلاً، بعيد النظر، وقد أدى للإسلام خدمة عظيمة(٤).

جـ- وقال الأستاذ واشنجتون إيرفنج فى كتابه محمد وخلفاؤه : إن حياة عمر من

---

(١) [براءات] الخلفاء ا[لر]اشدين فى الفقه والقضاء ص (٤٦، ٤٧).

(٢) أخبار عمر ص(...).

(٣) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص(٥٤، ٥٥).

(٤) المصدر نفسه ص : ٥٥).

أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلاً ذا مواهب عقلية عظيمة، وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة، وهو الذى وضع أساس الدولة الإسلامية، ونفذ رغبات النبى ﷺ وثبتها، وآزر أبا بكر بنصائحه فى أثناء خلافته القصيرة، ووضع قواعد متينة للإدارة الحازمة فى جميع البلدان التى فتحها المسلمون، وإن اليد القوية التى وضعها على أعظم قواده المحبوبين لدى الجيش فى البلاد النائية وقت انتصاراتهم، لأكبر دليل على كفاءته الخارقة لإدارة الحكم وكان ببساطة أخلاقه واحتقاره للأبهة والترف، مقتديًا بالنبى ﷺ وأبى بكر، وقد سار على أثرهما فى كتبه وتعليماته للقواد[1].

د - وقال الدكتور مايكل هارت: إن مآثر عمر مؤثرة حقًا، فقد كان الشخصية الرئيسية فى انتشار الإسلام بعد محمد ﷺ[2] وبدون فتوحاته السريعة من المشكوك به أن ينتشر الإسلام بهذا الشكل الذى هو عليه الآن، زد على ذلك أن معظم الأراضى التى فتحها فى زمنه بقيت عربية[3] منذ ذلك العهد حتى الآن، ومن الواضح أن محمداً ﷺ له الفضل الأكبر فى هذا المضمار، ولكن من الخطأ الفادح أن نتجاهل دور عمر وقيادته الواعية[4].

١٠ - ما قيل من الشعر فى رثاء الفاروق رضى الله عنه:

قالت عاتكة بنت زيد بن عمر بن الخطاب رضى الله عنها:

فجَّعَنى فيروز لا در دره ... بأبيض تالٍ للكتاب مُنيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا ... أخى ثقة فى النائبات مجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله ... سريع إلى الخيرات غير قطوب[5]

وقالت أيضا:

عين جودى بعبرة ونحيب ... لا تملى على الإمام النجيب

فجعتنى المنون بالفارس ... المعلم يوم الهياج والتلبيب[6]

---

(١) الفاروق عمر بن الخطاب ص(٥٥).

(٢) يبدو أن المستر مايكل هارت لا يعرف سيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

(٣) الأراضى أصبحت ضمن الدولة الإسلامية.

(٤) من الخطأ الفادح أن نتجاهل دور الصديق وقيادته الواعية بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(٥) المائة الأوائل، ترجمة خالد عيسى وأحمد سبانو ص(١٦٣).

(٦) التلبيب: الأخذ بالصدر، كناية عن اشتداد المعركة.

عـصـمـة الناس والمعـين على الدهر وغـيـث المنتـاب والمحـروب

قل لأهل السـراء والبـؤس مـوتوا قـد سقـتـه المنون كـأس شعـوب[1]

هذا وقد طويت بوفاة الخليفة الراشد العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها، فقد عرف فيه التاريخ رجلا فذا من طراز فريد، لم يكن همه جمع المال، ولم تستهوه زخرفة السلطان، ولم تمل به عن جادة الحق سطوة الحكم، ولم يحمل أقاربه ولا أبناءه على رقاب الناس، بل كان كل همه انتصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيادة الشريعة وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته، وقد حقق ذلك كله بعون الله عز وجل فى تلك الفترة الوجيزة التى لا تعد فى عمر الدول شيئا مذكورا[2].

إن دراسة هذه السيرة العطرة تمد أبناء الجيل بالعزائم العمرية التى تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله وتساعد الدعاة والعلماء على الاقتداء بذلك العصر الراشدى ومعرفة معالمه وصفاته ومنهجه فى السير فى دنيا الناس، وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضارى من جديد.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأربعاء الساعة السابعة وخمس دقائق صباحا بتاريخ ١٣ من رمضان ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٨ من نوفمبر ٢٠٠١م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

ولا يسعنى فى نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بين يدى الله عز وجل، معترفا بفضله وكرمه وجوده، فهو المتفضل، وهو المكرم وهو المعين، وهو الموفق، فله الحمد على ما من به علىّ أولا وآخرا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملى لوجهه خالصا ولعباده نافعا، وأن يثيبنى على كل حرف كتبته ويجعله

(١) تاريخ الطبرى (٥/٢١٤)، الأيام الأخيرة فى حياة الخلفاء د. إيلى منيف شهلة ص٤٠.

(٢) جولة فى عصر الخلفاء الراشدين ص٢٩٧.

في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه. قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاَّبي

المراجـــع

١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم شعوط المكتب الإسلامى، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢- أبو بكر رجل الدولة، مجدى حمدى، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣- أبو عبيدة عامر بن الجراح، محمد شُرّاب، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤- أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد، عبد الحميد محمود طهماء، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥- إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء، محمد الخضرى، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦- أخبار القضاة لوكيع، وكيع محمد بن خلف بن حيان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م.

٧- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، تأليف على الطنطاوى، ناجى الطنطاوى، المكتب الإسلامى، الطبعة الثامنة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٨- أدب الإملاء والاستملاء لأبى سعيد عبد الكريم بن محمد السمعانى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٨١م.

٩- أدب صدر الإسلام د. واضح العمد.

١٠- أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة، رفيق العظم، دار الرائد العربى بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١١- أصحاب الرسول، محمود المصرى، مكتبة أبى حذيفة السلفى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٢- أصول التربية للنحلاوى.

١٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن

القيم، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، طبعة ١٤٠٧هـ.

١٤- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الخليفة المجتهد للعمرانى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، طبعة من اللجنة المشتركة لنشر إحياء التراث.

١٥- أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم، عبد الحميد طهمار، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٦- أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية، حسن المِمّى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٨م الطبعة الأولى.

١٧- أهل الفسطاط، د. صالح أحمد العلى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

١٨- أوليات الفاروق د. غالب عبد الكافى القرشى، المكتب الإسلامى بيروت، مكتبة الحرمين الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٩- استخلاف أبو بكر الصديق، جمال عبد الهادى، الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٠- اقتصاديات الحرب فى الإسلام - د. غازى، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢١- الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن فى الإسلام، مصطفى منجود، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٢- الإتقان فى علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى، دار ابن كثير، دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٣- الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، علاء الدين على بن بلبان الفارسى، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢٤- الأحوال الشخصية لأبى زهرة.

٢٥- الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث

الهجرى، د. سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى.

٢٦- الإدارة العسكرية فى عهد عمر بن الخطاب، د. فاروق مجد لاوى، روائع مجد لاوى، الأردن، لبنان، قطر، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٧- الأدب فى الإسلام فى عهد النبوة وخلافة الراشدين، د. نايف معروف، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٨- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر ابن عبد البر، دار الكتب العربى، بيروت.

٢٩- الإسرائيليات فى التفسير والحديث، محمد حسين الذهبى - دار الإيمان دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٥م.

٣٠- الإسلام والحضارة، الندوة العالمية للشباب، أبحاث وقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشاب الإسلامى المنعقد فى الرياض ٢٧ ربيع الثانى ١٣٩٩هـ، الناشر شركة دار العلم للطباعة بالسعودية - الطبعة الثانية.

٣١- الإسلام وحركة التاريخ، أنور الجندى، دار الكتاب المصرى - الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٣٢- الإصابة فى تمييز الصحابة، أحمد بن على بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٣٣- الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة السادسة ١٩٨٤م (تراجم - حديث).

٣٤- الأغانى للأصفهانى، أبو الفرج على بن الحسين، دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ.

٣٥- الإماة والرد على الرافضة، لأبى نعيم الأصبهانى، مكتبة العلوم والحكم ط. أولى ١٤٠٧هـ.

٣٦- الأموال لأبى عبيد قاسم بن سلاَّم، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٣٧- الأنصار فى العصر الراشدى، للدكتور/ حامد محمد الخليفة، رسالة علمية لم تطبع بعد.

٣٨- الأيام الأخيرة فى حياة الخلفاء، د. إيلى منيف شهلة، دار الكتاب العربى، دمشق، القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٣٩- الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ضوابطه ومستقبله، عبد السلام السليمانى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤٠- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، الناشر نشاط آباد، فيصل آباد، باكستان.

٤١- الاكتفاء لما تضمنه من مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبى الربيع سليمان الكلاعى الأندلسى، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٢- البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية، سعاد ماهر، دار المجمع العلمى، جدة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤٣- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى، دار الريان، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٨م.

٤٤- البيان والتبيان، للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجى بمصر، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٤٥- التاريخ الإسلامى مواقف وعبر، د. عبد العزيز عبد الله الحميدى، دار الدعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤٦- التاريخ الإسلامى العام، على حسن إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

٤٧- التبيان فى آداب حملة القرآن، للنووى، دار القرآن الكريم، بيروت.

٤٨- التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية، د. محمد العمادى مؤسسة حمادة، الأدرن.

٤٩- التربية القيادية، منير الغضبان، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥٠- التمكين للأمة الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف،

دار السلام، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥١- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة، صالح أحمد العلى، الطبعة الثانية دار الطليعة بيروت، ١٩٦٩م.

٥٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٩٨٧م الطبعة الثالثة.

٥٣- الجهاد فى سبيل الله، عبد الله القادرى، دار المنارة جدة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٥٤- الحديث والمحدثون أو عانية الأمة الإسلامية بالسنة، د. محمد أبو زهو، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥٥- الحرب النفسية د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان، طبعة عام ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥٦- الحسبة فى العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين، د. منهل إلهى، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٥٧- الحضارة الإسلامية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار غريب، القاهرة.

٥٨- الحكمة فى الدعوة إلى الله، سعيد القحطانى، مؤسسة الجريسى، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٥٩- الحياة الاقتصادية فى العصور الإسلامية الأولى، د. محمد بطاينة، دار طارق، دار الكندى، الأدرن.

٦٠- الخراج لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم، دار المعرفة بيروت لبنان، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٦١- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح البارى، د. يحيى إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦٢- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم البهنساوى، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٦٣- الخلفاء الراشدون، حسن أيوب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٦٤- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦.

٦٥- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العانى، د. حسن فاضل زعين، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد طبعة ١٩٨٩م.

٦٦- الخنساء أم الشهداء، عبد المنعم الهاشمى، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

٦٧- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطى، الناشر، محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.

٦٨- الدعوة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب، حسنى محمد إبراهيم غيطاس، المكتب الإسلامى.

٦٩- الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، السيد عمر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، المعهد العالمى للفكر الإسلامى.

٧٠- الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، حمدى شاهين، دار القاهرة بدون تاريخ الطبعة.

٧١- الدولة العباسية، محمد الخضرى بك، مؤسسة دار الكتاب الحديث بيروت، لبنان ١٩٨٩م.

٧٢- الرقائق لمحمد أحمد الراشد.

٧٣- الرقابة المالية فى الإسلام د. عوف الكفروى.

٧٤- الرقة والبكاء، موفق الدين عبد الله أحمد بن قدامة، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٧٥- الرياض النضرة فى مناقب العشرة، لأبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى، المكتبة القيمة القاهرة.

٧٦- الزهد، لوكيع، وكيع بن الجراح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٧- السلطة التنفيذية، د. محمد الدهلوى، دار المعراج الدولية الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٧٨- السنن الإلهية فى الأمم والجماعات والأفراد، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٧٩- السنن الكبرى لأبى بكر أحمد بن حسين بن على البيهقى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨٠- السياسة الشرعية د. إسماعيل بدوى، مكتبة المنار، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨١- السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم العمرى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة.

٨٢- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على محمد الصّلاّبى، دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٣- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم دمشق الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٨٤- السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨٥- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة.

٨٦- الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذرى فى أنساب الأشراف، تحقيق د. إحسان صدقى العمد، المؤتمن للنشر، السعودية - الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٧- الصحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألبانى، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الإسلامى، بيروت لبنان.

٨٨- الصفات الشخصية وسمات السلوك القيادى عند عمر بن الخطاب، د. محمد النوافلة، دار مجدلاوى، الأردن.

٨٩- الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام، نادية حسين صقر، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة ١٤٠١هـ.

٩٠- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر بيروت.

٩١- الطريق إلى المدائن، أحمد عادل كمال، دار النفائس ، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٩٢- الطريق إلى دمشق، أحمد عادل كمال، دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٩٣- العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٩٤- العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان بن رجاء السحيمى، مكتبة الإمام البخارى، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٩٥- العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل، تحقيق وصى الله عباس، المكتب الإسلامى.

٩٦- العلو للعلى الغفار، محمد أحمد الذهبى.

٩٧- العمدة لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م.

٩٨- العمليات التعرضية الدفاعية، نهاد عباس، دار الحرية بغداد.

٩٩- العنصرية اليهودية وآثارها فى المجتمع، الدكتور أحمد عبد الله الزغيبى، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٠٠- الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

١٠١- الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٠٢- الفاروق عمر، عبد الرحمن الشرقاوى، دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٠٣- الفاروق مع النبى د. عاطف لماضة، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٠٤- الفتوح، ابن اكتم الكوفى، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٨٨هـ- ١٩٨٦م.

١٠٥- الفتوحات الإسلامية، د. عبد العزيز الشناوى، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٠٦- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد بن حزم الظاهرى، مكتبة الخانجى، مصر.

١٠٧- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزائرى.

١٠٨- الفن الحربى فى صدر الإسلام، عبد الرؤوف عون، دار المعارف مصر، طبعة ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

١٠٩- الفن العسكرى الإسلامى، د. ياسين سويد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

١١٠- القادسية، أحمد عادل كمال، دار النفائس، الطبعة التاسعة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١١١- القضاء فى الإسلام، عطية مصطفى مشرفة - شركة الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٦م.

١١٢- القضاء فى عهد عمر بن الخطاب، د. ناصر الطريقى، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١٣- القضاء ونظامه فى الكتاب والسنة، د. عبد الرحمن الحميضى، منشورات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١١٤- القلم لأبى خيثمة، تحقيق الألبانى، دار الأرقم، الكويت.

١١٥- القيادة العسكرية فى عهد الرسول ﷺ، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١١٦– القيادة والتغيير، بشير شكيب الجابرى، دار حافظ، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

١١٧– القيادة الواردة على سلطة الدولة، د. عبدالله الكيلانى، دار البشير، عمان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

١١٨– الكامل فى التاريخ، أبو الحسن على بن أبى المكارم الشيبانى المعروف بابن الأثير، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٩م.

١١٩– الكامل فى اللغة والأدب، لأبى العباس محمد بن يزيد، البابى الحلبى، مصر، طبعة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

١٢٠– الكفاءة الإدارية د. عبدالله قادرى، دار المجتمع ، جدة ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

١٢١– المائة الأوائل، ترجمة خالد عيسى وأحمد سبانو، للدكتور مايكل هارت، دار ابن قتيبة، الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

١٢٢– المبسوط لمحمد بن أحمد بن أبى سهل شمس الأئمة السرخسى – دار المعرفة بيروت.

١٢٣– المجتمع الإسلامى دعائمه وآدابه د. محمد أبو عجوه، الناشر مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى نوفمبر ١٩٩٩م.

١٢٤– المحلى بالآثار، للإمام أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى دارالكتب العلمية ، بيروت لبنان.

١٢٥– المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحى رواية الإمام سحنون، دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ.

١٢٦– المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى – محمد حسن شُرّاب – دار القلم بيروت، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.

١٢٧– المرتضى، سيرة أمير المؤمنين، لأبى الحسن الندوى، دار القلم، دمشق الطبعة الثانية ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

١٢٨- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبى عبدالله النيسابورى بذيله التخليص للذهبى طبعة سنة ١٣٩٠ هـ- ١٩٧٠م، دار الفكر.

١٢٩- المصنف للحافظ أبى بكر عبدالرزاق بن همام الصنعانى، المكتب الإسلامى، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٣٠- المعاهدات فى الشريعة الإسلامية والقانون الدولى، د. محمد الديك، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

٢٣١- المعجم الكبير للطبرانى، تحقيق حمدى عبدالمجيد السلفى، طبعة أولى ١٤٠٠ هـ، الدار العربى للطباعة، بغداد.

١٣٢- المعرفة والتاريخ للفسوى، لأبى يوسف الفسوى، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ.

١٣٣- المغنى للإمام العلامة ابن قدامة المقدسى، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

١٣٤- الموارد المالية د. يوسف عبدالمغفور.

١٣٥- الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد بن حنبل، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٣٦- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحى، صححه ورقمه وخرج أحاديث، محمد فؤاد عبدالباقى، دار إحياء الكتب عيسى الحلبى وشركاه.

١٣٧- النجوم الزاهرة، جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى الأتابكى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٣٨- النظام السياسى فى الإسلام، محمد أبو فارس ، دار الفرقان عمان الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٣٩- النظام القضائى فى العهد النبوى والخلافة الراشدة، مناع القطان، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٤٠- النظم الإسلامية، صبحى الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين بيروت، مايو ١٩٨٠م.

١٤١- الهندسة العسكرية فى الفتوحات الإسلامية، د. قصى عبد الرؤوف ، دار الشئون الثقافية العامة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٤٢- الوسطية فى القرآن الكريم، على محمد الصّلابى، دار النفائس، دار البيارق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٤٣- الولاية على البلدان فى عصر الخلفاء الراشدين، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العمرى.

١٤٤- اليرموك وتحرير ديار الشام، شاكر محمود رامز، المطابع العسكرية، ط ١، بغداد، ١٩٨٦م.

١٤٥- اليمن فى ظل الإسلام، د. عصام الدين.

١٤٦- تاريخ الإسلام فى عهد الخلفاء ، محمد أحمد الذهبى، دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٤٧- تاريخ الأمم والملوك، لأبى جعفر الطبرى، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٤٨- تاريخ التمدن، جرجى زيدان بن حبيب ، دار مكتبة الحياة - بيروت لبنان.

١٤٩- تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥٠- تاريخ الدعوة الإسلامية فى زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين - د. جميل عبدالله المصرى، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٥١- تاريخ القضاء فى الإسلام، د. محمد الزحيلى، دار الفكر المعاصر، بيروت دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٥٢- تاريخ القضاعى، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق للقاضى محمد بن

سلامة بن جعفر الشافى، دراسة وتحقيق د. جميل عبدالله المصرى، منشورات جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ.

١٥٣- تاريخ المدينة، عمر بن شبه النميرى ، تحقيق فهيم محمد شلتون، دار الأصفهانى، جدة، بدون تاريخ.

١٥٤- تاريخ اليعقوبى، أحمد بن يعقوب بن جعفر، دار صادر بيروت - لبنان.

١٥٥- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، للحافظ أحمد بن على الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى.

١٥٦- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مطبعة الآداب، النجف ١٩٦٧م.

١٥٧- تاريخ دمشق لأبى القاسم على بن الحسن بن عساكر، تحقيق مطاع الطرابيشى، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق.

١٥٨- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، د. على محمد الصلابى - مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٥٩- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، للسيوطى، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط الثانية ١٣٨٥هـ.

١٦٠- تذكرة الحفاظ للذهبى، لأبى عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، طبعة دار إحياء التراث العربى، بيروت ، لبنان.

١٦١- تراث الخلفاء الراشدين فى الفقه والقضاء، الدكتور صبحى محمصانى، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٦٢- ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة عمر، د. محمد بن صامل السلمى، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦٣- تطور تاريخ العرب السياسى والحضارى، د. فاطمة الشامى.

١٦٤- تفسير ابن كثير، ابن كثير القرشى، دار الفكر ودار القلم بيروت ، لبنان الطبعة الثانية.

١٦٥- تفسير الرازى، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثانية.

١٦٦- تهذيب الأسماء واللغات، للنووى، دار الكتب العلمية، بيروت عن الطبعة المنيرية.

١٦٧- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للمزى، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت.

١٦٨- تهذيب تاريخ ابن عساكر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٦٩- جامع الأصول فى أحاديث الرسول، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى.

١٧٠- جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، تصوير دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ بيروت.

١٧١- جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، دار المجتمع الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٧٢- حذيفة بن اليمان، أمين سر الرسول، إبراهيم محمد العلى، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م.

١٧٣- حركة الفتح الإسلامى، شكرى فيصل، دار العلم للملايين - الطبعة السادسة ١٩٨٢م.

١٧٤- حروب الإسلام فى الشام فى عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م.

١٧٥- حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد بن سالم، دار المنار، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

١٧٦- حروب القدس فى التاريخ الإسلامى والعربى - د. ياسين سويد، دار الملتقى، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٧٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبى نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهانى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٧٨- خالد بن الوليد، صادق عرجون، الدار السعودية، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

١٧٩- خلاصة تاريخ ابن كثير، محمد كنعان، مؤسسة المعارف بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

١٨٠- خلافة الصديق والفاروق، عبدالعزيز الثعالبى، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م.

١٨١- دراسات فى الحضارة الإسلامية ، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربى.

١٨٢- دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبدالرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م.

١٨٣- دراسة فى تاريخ المدن العربية - د. عبدالجبار ناجى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٨٤- دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة، د. أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربى - الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

١٨٥- دور المرأة السياسى فى عهد النبى والخلفاء الراشدين، أسماء محمد، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٨٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى - المكتب الإسلامى - بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٨٧- زاد المعاد فى هدى خير العباد، أبو عبدالله محمد بن أبى بكر الجوزية، حققه: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.

١٨٨- سراج الملوك، أبو بكر الطرطوش، المطبعة الوطنية، الإسكندرية، ١٢٨٩هـ- ١٨٧٢م.

١٨٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألبانى، المكتب الإسلامى.

١٩٠- سنن أبى داود: الإمام أبو داود سليمان السجستانى، تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١ هـ، سوريا.

١٩١- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبدالله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.

١٩٢- سنن الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، دار الفكر ١٣٩٨ هـ.

١٩٣- سنن النسائى، أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م، دار الفكر، بيروت.

١٩٤- سياسة المال فى الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب، عبدالله جمعان السعدى، الناشر مكتبة المدارس، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

١٩٥- سير أعلام النبلاء، محمد أحمد الذهبى، مؤسسة الرسالة، الطبعة السبعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٩٦- سير السلف لأبى القاسم الأصفهانى، دار الراية، الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩٧- سير الشهداء دروس وعبر، عبدالحميد عبدالرحمن السحيبانى، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٩٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائى، تحقيق د. أحمد بن سعد حمدان الغامدى دار طيبة، الرياض، السعودية.

١٩٩- شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن على بن محمد الأذرعى، خرج أحاديثها، محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى - بيروت.

٢٠٠- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، عز الدين عبدالحميد المدائنى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. البابى الحلبى، القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.

٢٠١- صبح الأعشى فى قوانين الإنشا، لأحمد بن على القلقشندى - وزارة الثقافة والإرشاد القومى، مصر ١٣١٨ هـ، مكتبة الحلوانى، سوريا، عام ١٣٩٢هـ.

٢٠٢- صحيح البخارى لأبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٠٣- صحيح التوثيق فى سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب، مجدى فتحى السيد،

دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٠٤- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم صالح العلى، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٠٥- صحيح مسلم بشرح النووى، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م.

٢٠٦- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٢٠٧- صفة الصفوة، للإمام أبى الفرج ابن الجوزى، دار المعرفة ، بيروت.

٢٠٨- صلاح الأمة فى علو الهمة، الدكتور سيد بن حسين العفانى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٠٩- صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م - ١٣٩٣هـ.

٢١٠- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى، شرح محمود شاكر، مطبعة المدنى - القاهرة.

٢١١- عبادة بن الصامت صحابى كبير وفاتح مجاهد، الدكتور/ وهبة الزحيلى، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

٢١٢- عبقرية الإسلام فى أصول الحكم، منير العجلانى، دار النفائس ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.

٢١٣- عبقرية خالد، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية - بيروت.

٢١٤- عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية ، بيروت.

٢١٥- عصر الخلافة الراشدة - د. أكرم ضياء العمرى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

٢١٦- عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام، د. ناصر بن على حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م.

٢١٧- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، إسماعيل الصابونى، إدارة الطباعة المنيرية، نشر محمد أمين دمج، بيروت - ١٩٧٠م.

٢١٨- علم أصول الفقه وتاريخ التشريع، أحمد إبراهيم بك، المطبعة الفنية، القاهرة.

٢١٩- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلى، فرانز روزنتال، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٢٠- على بن أبى طالب مستشار أمين الخلفاء الراشدين، د. محمد عمر الحاجى، دار الحافظ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٢١- عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر، دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٢٢٢- عمر بن الخطاب،حياته، علمه، أدبه، د. على أحمد الخطيب، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٢٢٣- عمر بن الخطاب، صالح بن عبدالرحمن بن عبدالله، دارالقاسم، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

٢٢٤- عمرو بن العاص القائد والسياسى، د. عبدالرحيم محمد عبدالحميد على، دار زهران للنشر، عمان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٢٢٥- عوامل النصر والهزيمة، شوقى أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٢٦- عون المعبود شرح سنن أبى داود، محمد شمس الحق العظيم آبادى، ضبط وتحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٢٧- عيون الأخبار لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٢٢٨- غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، يحيى بن الحسين.

٢٢٩- فتح البارى، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٢٣٠- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير: محمد على

الشوكانى، دار الفكر.

٢٣١- فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية - د. إبراهيم المتناوى، دار البشير طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢٣٢- فتح مصر، صبحى ندا، دار البشير - طنطا، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢٣٣- فتوح البلدان للبلاذرى، لأبى العباس أحمد بن يحيى البلاذرى، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٢٣٤- فتوح مصر لابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم، نسخة عن طبعة لندن (١٣٣٩ هـ- ١٩٢٠م)، نشرمكتبة المثنى بغداد.

٢٣٥- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.

٢٣٦- فصل الخطاب فى مواقف الأصحاب، محمد صالح الغرسى، دار السلام ، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

٢٣٧- فضائل الصحابة لأبى عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ، دار ابن الجوزى، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٣٨- فقه الأولويات دراسة فى الضوابط، محمد الوكيلى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٤١٦هـ- ١٩٩٧م.

٢٣٩- فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٤٠- فقه التمكين فى القرآن الكريم، على محمد الصلابى، دار البيارق، عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢٤١- فقه الزكاة، يوسف القرضاوى، الطبعة الرابعة - ١٩٨٠م - مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

٢٤٢- فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطى، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق، سوريا.

٢٤٣- فن الحكم فى الإسلام ، مصطفى أبو زيد فهمى، المكتب المصرى الحديث.

٢٤٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوى، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م.

٢٤٥- لقاء المؤمنين، عدنان النحوى، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

٢٤٦- لله ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، السيد حسين الموسوى، دار اليقين.

٢٤٧- لوامع الأنوار البهية، شرح الدرة المضية فى عقيدة الفرقة الرضية لمحمد بن أحمد السفارينى، المكتب الإسلامى، مكتب أسامة.

٢٤٨- مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، للقلقشندى، تحقيق عبدالستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.

٢٤٩- مبادئ النظام الاقتصادى الإسلامى، د. سعاد إبراهيم صالح، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

٢٥٠- مجلة البحوث العلمية، تصدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، رجب، شعبان، رمضان، شوال ١٤٠٣هـ.

٢٥١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، دار الريان القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت.

٢٥٢- مجموعة الفتاوى، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م.

٢٥٣- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى، والخلافة الراشدة، محمدحميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

٢٥٤- محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، للإمام يوسف بن الحسن بن عبدالهادى الدمشقى الصالحى الحنبلى، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

٢٥٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢٥٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن حسين بن على المسعودى، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٧- مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، عصر الخلافة الراشدة، د. يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٢٥٨- مسند أحمد ، المكتب الإسلامى، بيروت.

٢٥٩- مسند الشافعى، ترتيب محمد عابد السندى، دار الكتب العلمية.

٢٦٠- مصنف ابن أبى شيبة للإمام أبى بكر عبدالله بن محمد بن أبى شيبة العبسى، دارالقرآن والعلوم الإسلامية - كراتشى باكستان ١٤٠٦هـ.

٢٦١- مع الرعيل الأول، محب الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٦٢- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، إدوار غالى الذهبى، مكتبة غريب، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٢٦٣- معجم الأدباء، لياقوت الحموى، دار صادر، بيروت.

٢٦٤- مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٥- مقدمة ابن خلدون.

٢٦٦- من أخلاق النصر فى جيل الصحابة، الدكتور السيد محمد نوح، دار ابن حزم، الطبقة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٢٦٧- من معين السيرة، صالح أحمد الشامى، المكتب الإسلامى، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٦٨- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبى الفرج عبدالرحمن الجوزى، دار الكتاب العربى، بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٢٦٩- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٧٠- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٧١- منهج الرسول فى غرس الروح الجهادية فى نفوس أصحابه، السيد محمد نوح، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م نشرته جامعة الإمارات العربية المتحدة.

٢٧٢- موسوعة فقه عمر بن الخطاب، د. محمد قلعجى، دار النفائس - الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

٢٧٣- نسب قريش : أبو عبدالله مصعب بن عبدالله بن الزبيرى، دار المعارف القاهرة.

٢٧٤- نصب الراية لأحاديث الهداية لعبد الله بن يوسف الحنفى الزيلعى، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

٢٧٥- نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى، ظافر القاسمى، دارالنفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٧٦- نظام الحكومة الإسلامية : للكتانى، المستمر : التراتيب الإدارية، محمد عبدالحى الكتانى الإدريسى الحسنى، الأرقم بن أبى الأرقم، بيروت.

٢٧٧- نهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى، مطبعة كوتسا توماسى بالقاهرة.

٢٧٨- نونية القحطانى لأبى محمد عبدالله بن محمد الاندلسى القحطانى، دار السوادى، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

٢٧٩- وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم محمد باعبدالله ، دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٢٨٠- وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

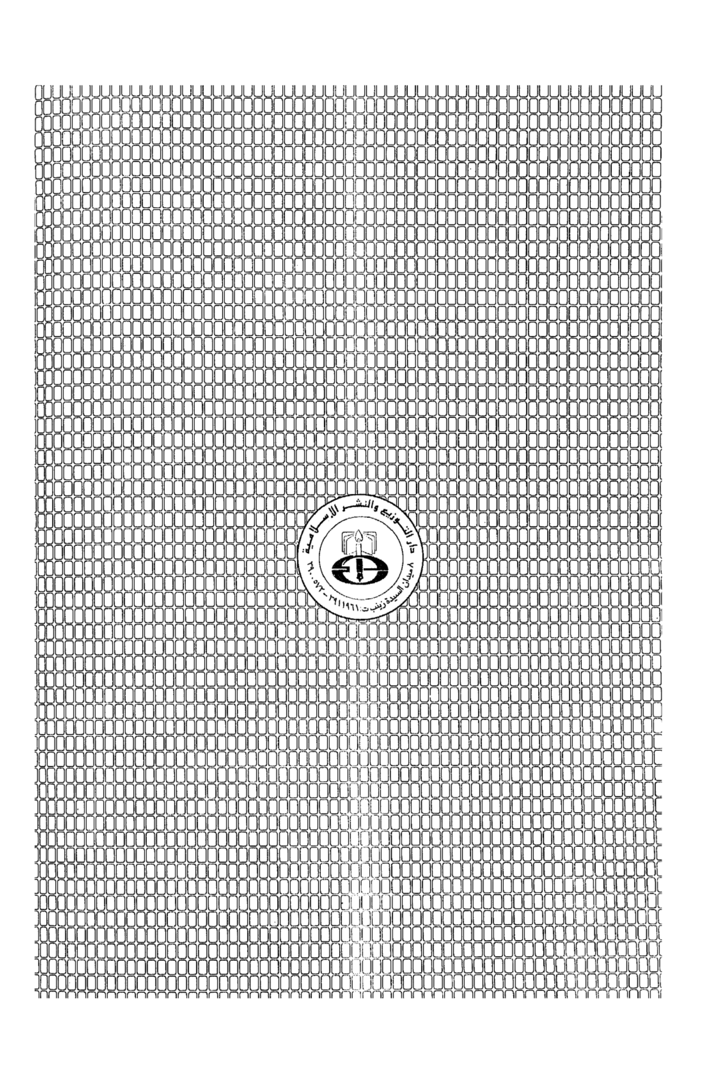
الموضوع	الصفحة

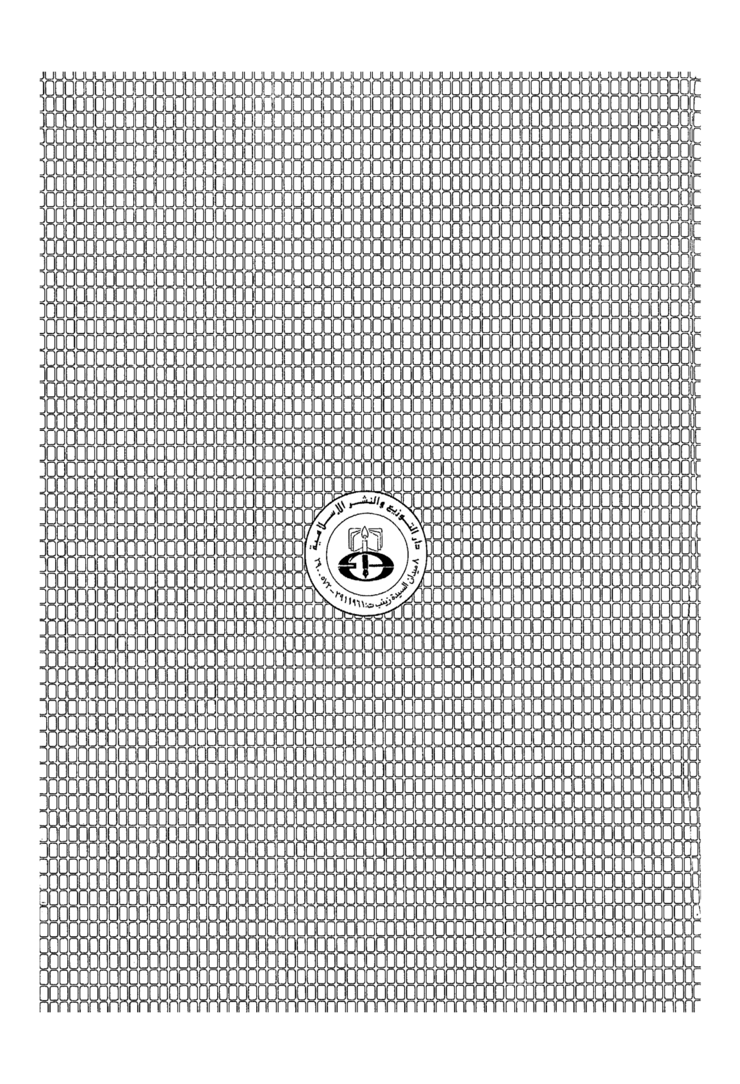
دار الطباعة والنشر الإسلامية

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤

Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel:. 015 / 363314 - 362313

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣


دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢


دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢

هذا الكتاب

عن الخليفة عمر بن الخطاب وصفاته وموافقـــاته للقـــرآن وإلمامه بأسباب النزول واجتهاداته القضائية واهتمامه بأمر العبـــادات والعلم والدعاة والعلماء والشعراء .

وعن العصر الذى عاش فيه ودوره فى تطوير المؤسســـــة المالية والقضائية وتحديده لأهم الصفات التى يجب أن تتوفر للقاضى وما يجب عليه واهتمامه بالحسبـــة (الأمر بـــالمعروف والنهى عن المنكر) وفقـــه عمر فى التعامل مع الولاه .

و عن الفتوح فى عهد عمر مثل فتوح العراق وإيران والشام ومصر وليبيا ووصف المعارك التى وقعت فى هذه الفتوح مع التركيز على أخذ العبـــر والعظات منها .

وعن الرسائل التى كانت بين عمر وقادة جيوشه وبينه وبين الملوك والأمراء مع التركيز على النواحى التربوية فى هذه الرسائل .

والكتـــاب ضمن سلسلـــــة تاريخ الخلـــفـــــاء الراشدين للدكتور على محمد الصَّلاَّبى .

ودار التوزيع والنشر الإسلامية تقدم هذا التاريخ للخلفاء الراشـــدين وعظماء الأمة الإسلامية ترجو الله أن ينتفع القارئ الكريم بهذا التاريخ ليقف على أمجاد أمته وليكون له فيهم القدوة والمثل الأعلى .

والله من وراء القصد

النا[شر]



دار التـــوزيع والنشـــر الإســـلامـيـــة
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com